الرد على ضلالات
زكريا بطرس

حقائق الإسلام الدامغة
وشبهات خصومه الفارغة

دكتور
ابراهيم عوض

جزيرة الورد
للنشر والتوزيع

الرد على ضلالات
زكريا بطرس

- ايهما أعظم... محمد أم المسيح ؟
- رسالة تافهة يطنطن بها المبشرون
- الوعود الإلهية عن محمد والمسيح
- تقاليع مخبولة فى دراسة السيرة النبوية
- القرآن و أمية بن ابى الصلت... أيهما أخذ من الآخر؟
- بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل
- حدوتة الأنبا جرجى... هكذا يحارب المدلسون الإسلام
- هل أخطأ القرآن فى اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟
- اعجاز قرآنى علمى أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد

جزيرة الورد
للنشر والتوزيع
Tel:02 278 77 574 - 010000 40 46

حُجَج الإسلام الدامغة

وشبهات خصومه الفارغة

(الرد على سفاهات زكريا بطرس وأمثاله من المبشرين)

د. إبراهيم عوض

مكتبة الإيمان - المنصورة
٠٢/٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
ت: ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٧٩٩٦١٦٢٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

www.alukah.net

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب:	حُجَج الإسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة
المؤلف:	د. إبراهيم عوض
الطبعة:	طبعة أولى / ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م
الناشر:	مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيداع:	رقم الإيداع: ١٠٨٠٥ / ٢٠١٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم

خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٢/٩٩٦١٦٣٥

٠١٠/٠١٠٤١١٥ - ٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦

حقوق النشر:

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب في أي صورة من الصور (ورقية - أقراص مدمجة - على شبكة الإنترنت الدولية - على الشبكات الداخلية في المؤسسات التعليمية أو خلاف ذلك) وأيضاً لا يجوز اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة إلا بموافقة الناشر على هذا . وبصورة مُسَجَّلة وموثقة في الشهر العقاري بجمهورية مصر العربية .

مقدمـــة

الأوكة

مقدمة

أُخْتُوَّة الوطن

تربطنا نحن المسلمين والنصارى فى بلادنا المحروسة رباط من الأخوة: أخوة الوطن، وأخوة اللغة، وأخوة الجيرة والزمالة والصداقة، وأخوة العادات والتقاليد، فضلا عن أخوة الإنسانية. وقد كنا طول عمرنا نعيش معا فى مودة وانسجام، وفى أسوإ الأحوال: فى ظل من المجاملات التى من شأنها تسهيل العيش المشترك وترطيب أجوائه. وإذا عاد واحد مثلى إلى الوراء وجد أنه كان يخالط فى صباه وشبابه كثيرا من النصارى: زملاء فى الدراسة، أو جيرانا فى المسكن، أو تجارا نشترى منهم ما نحتاج إليه، أو موظفين يقضون لنا مصالحنا الإدارية... وما إلى ذلك. ولست أستطيع أن اتذكر أن خصومة أو حتى حساسية عابرة نشأت بينى وبين أحد منهم البتة... إلى أن سمعت لأول مرة، وبدهشة شديدة، ما قاله زميلى الذى كان يسكن مع بعض رفقائه المسلمين المجندين غرفة مجاورة لغرفتى فى شقة مفروشة كنا نستأجرها أيام كنت معيدا صغيرا. وكان أصحاب البيت نصارى، وكانوا يجاملوننا نحن الشبان العزاب ببعض الحلوى وما أشبه من حين لآخر كانوا يبعثون بها مع ابنتهم الصغيرة من شقتهم التى تقع تحت شقتنا مباشرة فنتقبلها شاكرين مسرورين. فماذا قال لى ذلك الزميل، الذى كنت أضحك معه كثيرا وأطلق عليه على سبيل المعابثة: "فانوس" مثلما كنت أطلق اسم "أحمد الدنف" على زميله أحمد، الذى كان دائما ما يغلبه النوم وهو جالس معنا فيتدلى فكه أمامنا؟ لقد قال لى مرة ونحن واقفان فى شارع

رمسيس فى أعقاب حرب رمضان المجيدة، وبدون مناسبة: أنتم عرب، ولستم مصريين، وهذه ليست بلادكم. وكانت العلاقة بيننا وقتذاك على أحسن ما يرام. ثم قرأت بعد هذا ما فر لى الدافع وراء ذلك الكلام الضال، وهو أن الكنيسة قد وسوست لهم فى آذانهم بهذا التخريف الآثم.

وكان من ثمار تلك السياسة فى الآونة الأخيرة هذا الكم الهائل من المواقع والمحطات الفضائية التى تهاجم الإسلام وتشتم المسلمين وتسب ربهم ورسولهم وقرآنهم وآباءهم وأمهاتهم سبا شنيعا بذيئا لا يمكن إيراد شىء منه هنا، علاوة على تحدى المسلمين بأنهم لا يستطيعون الرد على ما تثيره من شبهات ضد دينهم. بل إنى كنت ولا أزال أستقبل على بريدى الصوتى من بعضهم رسائل تهاجم الإسلام أيما هجوم، وبعضها من المدعو: زكريا بطرس حيث يورد لى أسماء كتب يستفزنى إلى الرد عليها إن كنت أستطيع. وفى الوقت ذاته كنت أتلقى طلبات من القراء المسلمين الذين يحسنون الظن بى تلح علىّ أن أرد على تلك الهجمات، وهو ما لم يكن من السهل ولا من الحصافة تجاهله، فكان تلك الفصول التى بين يدى القارئ، والتى يتناول كل فصل منها بالتحليل والتفنيد كتابا منشورا على سبيل التحدى فى أحد المواقع التنصيرية. وهى فصول تدخل فى باب مقارنة الأديان والمناظرات الدينية، هذا الباب الذى لا تخلو منه ثقافة من الثقافات، وعن طريقه تتاح الفرصة للبشر كى يطالعوا الرأى والرأى المضاد. ولسوف أدع القراء يواجهون تلك الفصول مباشرة دون أن أقف بينهم وبينها شارحا أو معلقا. وعلى الله قصد السبيل.

* * *

www.al-mostafa.com

بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل

بين السيد المسيح والنبى محمد
فى القرآن والإنجيل

كتب وكيبيديا بطرس فى موقعه المعروف على الشبكة (إنترنت) كلمة بعنوان "بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل" يقارن فيها بين عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله عليهما جميعا السلام بغية الوصول إلى أن ثمة فرقا شاسعا لا يمكن احتجابه بين المسيح (الله أو ابن الله عنده) وبين محمد، الذى ذكر بقصص بوذا بصيغة الخبل. وتقوم الكلمة المذكورة على أساس أن القرآن الكريم يقول فى المسيح كذا وكذا مما لم يذكره لمحمد. وهو ما يبدو فى نظر القصص على أن محمدا رجل كذاب، وأن عيسى بن مريم إله أو ابن للإله، وذلك على النحو التالى:

"المسيح فى القرآن هو:

١- كلمة الله

٢- وروح منه

٣- آية من الله

٤- بلا مساس من البشر

٥- وأنه تكلم فى المهد

٦- خلق طيرًا

٧- شفى المرضى

٨- أقام موتى

٩- تنبأ بالغيب

١٠- مؤيد بالروح القدس

١١- مباركًا

١٢- خلت من قبله الرسل

١٣- ممسوح من الأوزار والخطايا

١٤- صعد إلى السموات

١٥- سيأتي حكمًا مقسطًا

١٦- وأنه وجيهًا في الدنيا والآخرة".

وطالما لم يختم القمص كلامه في كل موضوع من هذه المواضيع بالسؤال التالي: ومحمد؟ وهو سؤال لا يجوز لي شرح ما يحمل في طياته من معنى كما هو بيّن وواضح. وسوف نتناول ما قاله القمص تحت باب **يترك كل ما قاله مهلهلا لا يتماسك.**

وسنبدأ بما قاله عن وصف القرآن للمسيح بأنه "كلمة الله" وهذا كلامه نصه "المسيح هو كلمة الله (١) (النساء ٤: ١٧١)" إذ المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (٢) (سورة آل عمران ٣: ٤٥)" إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بكلمة منه، يسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين" (٣) (يوحنا ١: ١، ٢، ١٤)" في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله. كان في البدء عند الله، الكلمة صار جسدًا وحل بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب"

(٤) معنى كلمته في اللغة اليونانية التي نشأت بها الكتاب المقدس هي «كلمة من الله الناطق». والواقع أنني لا أدري كيف يمكن لي الوصول إلى الشيء الذي يريدها هذا التمحص من النصوص القرآنية التي أوردها. إن الله قال إن المسيح عليه السلام لم يكن سوى رسول، أي أنه لم يكن إلهًا أو ابن الله. إذ ليس للقضية في هذا الموضع إلا ذلك المعنى. بل إن مجرد كونه رسولًا ليس له من معنى إلا أنه كان بشرًا. فقد جاء في القرآن عن الرسل قوله سبحانه وتعالى: «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم» (يوسف ١٠٩، النحل ٤٣)، «ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية» (الرعد ٣٨)، «يا بني آدم، إما يأتينكم رسل منكم (أي بشر مثلكم)» (الأعراف ٣٥) أي أن الرسل لم يُبعثوا إلا من البشر، سواء كانوا من الرجال كما هو معهود البشر على وجه العموم (جمع «رجُل» و«رجلة») أو البشر فيهم خاصة ذلك أن الوثنيين كانوا يستنكرون أن يكون الرسول من البشر، فكانوا يقولون: «أبعث الله بشرًا رسولًا؟» (الإسراء ٩٤). وردًا على قولهم «لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا» (الإسراء ٩٥) ونقل بقية النص القرآني قوله في هذا المعنى: «ولو أننا نزلنا عليهم ملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون» (الأنعام ١١١). فمعنى أن المسيح عليه السلام لم يكن سوى رسول أنه كان بشرًا من البشر. وقد جاء القرآن هذا ردًا على النصارى الذين ألّهوه عليه السلام كما هو معروف. ليكن ذلك بطريقة يظن أنه يستطيع خداع القراء، على حين أنه لا يخدع إلا نفسه ومن على شاكلته ممن يعتمدون على التدليس والتلبيس.

أما قصة أن عيسى عليه السلام «كلمة من الله» فمعناه أنه قد خُلق بالأمر الإلهي دون أن يكون له أب. الأمر الذي تحقق بها التي تحقق ولادة طفل

حديث وهي الاتصال الجنسي بين رجل وامرأة، وتناقل كليهما للإحساس، ووقوع الاتصال في الأوقات التي يمكن أن يتم فيها الحمل، وعن ذلك والمقصود أن الله قد قال له "كن" فكان، وهو نفسه الذي في خلق آدم "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن، فيكون" (آل عمران ٥٩) إن المدلس يحاول الاستشهاد بالقرآن، فكان من الواجب عليه الأمانة في النقل عن القرآن وعدم قطع أي نص من خصوصه من سياقه المحكم ولا من سياقه في الآيات التي تحيط به ... إلخ

ثم إن المدلس يسوق لنا كلام يوحنا ليدلل به على ألوهية المسيح عليه السلام، وهو "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجد كما لوحيد من الآب" (يوحنا ١: ١، ٢، ١٤) وهذا كلام لا يوصل لشيء مما يريد أن يدلس به علينا، إذ إنه يناقض من الكلمة إلى الكلمة التي بعينها مباشرة. كيف؟ لقد قال في البداية إن الكلمة كان (أو كائن) عند الله أي أنها لم تكن هي الله، بل عند الله ذلك أن الشيء لا يكون عند نفسه، بل عند غيره لكن يوحنا سرعان ما ينسى فيقول إن الكلمة التي كانت عند الله هي الله ذاته ثم لا يكتفي بهذا أيضاً بل يمضي في التخبط قائلاً إن الكلمة كائن كالابن الوحيد للآب (أو "الأب")، وكل ذلك في سطرين اثنين لا غير! ومع ذلك كله فإنه لا يكتفي بهذا، بل يمضي فيقول إن معنى "الكلمة" في اللغة اليونانية التي كُتب بها الكتاب المقدس هي "لوغوس"، أي عقل الله الناطق

معنى هذا أن "الكلمة" كانت في البداية عند الله، ثم صارت هي الله ذاته، ثم عادت فأصبحت ابنه الوحيد، ثم عادت ثانية فأصبحت عقل الله (عقل الله الناطق من فضلك ترى هل هناك عقل ناطق وعقل صامت؟ ومن؟ الله سبحانه!) ألم يفكر المقدس فيما سيحدث لله حين يترك عقله

وبأي فسيحسد في دينه؟ ترى كيف سيدبر سبحانه العالم بدون عقل؟

ليس ذلك فقط، بل إن القصص لتتكلف جمة الطل تكلفاً رغم ثقل روحه. فيسوق قوله تعالى في النبي محمد عليه السلام: "قل سبحان ربي! هل كنت إلا بشراً رسولاً؟" (الإسراء: ٩٣)، "إنما أنا بشرٌ مثلكم" (الكهف ١١٠، وفصلت ٦) دليلاً على أن القرآن، في الوقت الذي يحكم فيه لعيسى أنه ليس إله أو الله نفسه، يقول عن محمد إنه ليس سوى رسول وهذا كله كذب وخداع لا أدري كيف يجرؤ أي إنسان يحترم نفسه أن يُقدم عليه! لقد كان على القصص أن يضع قرآنه على الآيات القرآنية الكريمة التي تنفي الألوهية تماماً عن عيسى عليه السلام وتؤكد أنه مجرد إنسان كسائر الناس، يأكل ويشرب ويدخل الحمام للعمل كما يعمل الناس.

قال تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ۝ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ۝ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ۝ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ۝ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم ۝ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧].

و﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي

ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴿١١٧﴾ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٨﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿٣٠﴾ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١]. كما سبق قبل أن عيسى مثل آدم كلاهما مخلوق بكلمة "كن" لا من انفصال جزء بعضه!

وسيستمر البعض في تحريفه التي يحاول أنه يمكن أن يمر على القارئ، فهو سيستشهد على زعمه أن المسيح يختلف عن الرسل الكرام (في أنه روح، ورسل الله إنسان) بقوله جل جلاله: "إن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء ١٧١) ثم يعقب قائلا إن "البعض يعترض بأن معنى "روح الله" أي "رحمة" من الله والواقع أنا لا أدري لماذا يعود المسلمون لحقائق. ففي "المعجم الوسيط" (الجزء الأول ص ٣٨٠) نجد هناك كلمتين ١ (الرَّوْحُ) [بفتح الراء وسكون الواو] معناها الراحة أو الرحمة أو نسيم الريح ٢ (الرُّوحُ) [بضم الراء ومد الواو] معناها النفس و(رُوحُ القُدُس) [عند النصارى] لأقنوم الثالث. ويقول البعض أن المقصود بروح القدس في القرآن هو جبريل عليه السلام (سيأتي الحديث عن ذلك بعد قليل). وقد يعترض البعض أيضا بأن مثل المسيح أنه روح من الله كمثل آدم الذي قال عنه "ونفخت فيه من روحي" [سورة الحجر ٢٩، وسورة ص ٧٢] فدعنا نناقش هذا الرأي بمقارنة ما قيل عن المسيح وعن آدم لنجد اختلافا كبيرا

آدم	المسيح
ونفخت فيه من روحي	إنما المسيح ... روح منه
هذا التعبير الذي قيل عن آدم ليس بالتعبير الذي قيل عن المسيح، بل هو التعبير الذي قيل عن مريم [الأنبياء ٩١] "والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" فهل لحن نؤله العذراء؟	ومعنى روح منه يستطرد مع الآيات القرآنية التي تتحدث عن تأييد السيد المسيح بالروح القدس، وهو في المهد. كما توضح الآيات التالية

ومن الواضح الجلي أن الرجل قد غشي على عقله تماما، إذ مهما تكن معنى الروح في كلام القرآن عن عيسى عليه السلام فلا ريب أن "الروح" هنا هي نفسها الروح في حال سائر البشر، أما ما يقوله هو فكلام فارغ لا سبيل إلى صحته أبدا، إذ يضيف أن القرآن يقول عن آدم "ونفخت فيه من روحي"، مثلما يقول عن مريم "ونفخنا فيها من روحنا" أي أن المسيح، حسبما يقول، لم ينفخ في آدم وعيسى، بل في آدم ومريم، فلا وجه لمقارنة إذن بين آدم وعيسى. أتعرف أيها القارئ ما الذي يترتب على هذا؟ الذي يترتب عليه هو أن يكون الخارج من آدم ومريم مشابهين، أي أن البشر جميعا (وهم الذين خرجوا من صلب آدم) يشبهون عيسى (الذي خرج من رحم مريم). وعلى هذا فيمكن أن نقول إن البشر جميعا (البشر من ناحية، وعيسى من الناحية الأخرى) هبة إذ فيها إن "الروح" هنا بمعنى "الألوهية"، أو أن نقول بجعل جميع البشر على أساس أن "الروح" بمعنى "الحياة والوعي والإرادة ومن ذلك" ويبقى آدم نفسه. فأما الإسلام فيقول إنه عليه السلام

بشر مخلوق من طين. وأما الكتاب المقدس فيقول في ... إنه ابن الله، في الوقت الذي يسب عيسى فيه إلى يوسف النجار [٣٠] ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، بن هالي، [٣١] بن متثات، بن لاوي، بن ملكي، بن يناء، بن يوسف، [٣٢] بن مثاثيا، بن عاموص، بن ناحوم، بن حسلي، بن نجاي، [٣٣] بن ماث، بن متثاثيا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهوذا، [٣٤] بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شألتيئيل، بن نيري، [٣٥] بن ملكي، بن ادي، بن قصم، بن ألمودام، بن عير، [٣٦] بن يوسي، بن اليعازر، بن يوريم، بن متثات، بن لاوي، [٣٧] بن شمعون، بن يهوذا، بن يوسف، بن يونان، بن اليواقيم، [٣٨] بن ملا، بن منا، بن متثا، بن ناثان، بن داود، [٣٩] بن يشى، بن عوبيد، بن بوعز، بن سلمون، بن نحشون، [٤٠] بن عمينادب، بن آرام، بن حصرون، بن فارص، بن يهوذا، [٤١] بن يعقوب، بن إسحق، بن إبراهيم، بن تارح، بن ناحور، [٤٢] بن سروج، بن رعو، بن فالج، بن عابر، بن شالح، [٤٣] بن قينان، بن ارفكشاد، بن سام، بن نوح، بن لامك، [٤٤] بن متوشالح، بن أخنوخ، بن يارد، بن مهللئيل، بن قينان، [٤٥] بن أنوش، بن شيث، بن آدم، ابن الله" (لوقا ٣) فالمسيح، كما هو واضح من النص، لم يُنسب لله، بل الذي نُسب لله هو آدم! وهو ما يعني أن الكتاب المقدس نفسه يضع آدم في مكانة أعلى مما لا يقدس نفسه للمسيح، عليهم جميعا السلام

وفي النص التالي، وهو عبارة عن الإصحاح الأول كله من إنجيل متى، نقرأ: "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد آرام. وآرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون

وسلمون ولد نوعز من راحاب ونوعز ولد عوبيد من رعوث وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود الملك وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد ابيا وابيا ولد آسا وآسا ولد يهوشافاط ويهوشافاط ولد يورام ويورام ولد عزريا وعزريا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون وآمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبي بابل وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتئيل وشألتئيل ولد زربابل وزربابل ولد أبيهود وأبيهود ولد ألياقيم وألياقيم ولد عازور وعازور ولد صادوق وصادوق ولد آخيم وآخيم ولد أليود وأليود ولد ألعازر وألعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا. أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان بارا، ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سرا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم». وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه عمانوئيل» الذي تفسيره الله معنا. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع".

ولاحظ كيف أن سلسلة نسب المسيح تمر فيه عشرة يوسف النجار [illegible] أن لك الحواريين تركيبا بطرس يفكر فيه على مهل إذن قدم (وليس المسيح) هو ابن الله، أما المسيح فابن يوسف النجار. وبمناسبة هذا نجد [illegible] أن يسمى المسيح عليه السلام "عمانوئيل" من أي إنسان. رغم أن هذا الاسم يُطلق على كثير من الناس الذين ليسوا بأبناء لله! كما أن النص يقول إنها ستسميه "يسوع" لكي تتحقق النبوءة لقديمة التي تقول إنه سيسمى "عمانوئيل"! وهو كلام مضطرب جدا.

[illegible] الناس جميعا يقولون إن أبا عيسى هو يوسف النجار. كتب لوقا في إنجيله (١ : ٥) أن الناس كانت تسميه "ابن يوسف". وهو نفس ما قاله متى (١ : ١٥) ومرقس (٣ : ٢٣، و ٤ : ٢٢)، وكان عيسى عليه السلام يسمع ذلك منهم فلا ينكره عليهم. بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف [illegible] "أبواه" أو "أبوه وأمه" (٢ : ٢٧، ٣٣، ٤١، ٤٢) كذلك قالت [illegible] لابنها عن يوسف هذا إنه أبوه (لوقا ٢ : ٤٨) وقد رأيت كيف أن [illegible] ثلاث عشرة أجيال من أول فصل من أول إنجيل من الأناجيل [illegible]، وهو إنجيل متى، تسرد سلسلة نسب المسيح بدءا بآدم إلى أن تصل إلى يوسف النجار "رجل مريم" ثم سماه مؤلف هذا الإنجيل) ثم توقف عند [illegible] في معنى هذا للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ؟

[illegible] أصر رئيسنا بعض على القول بأن عيسى هو ابن الله، فلنكن جادين، ولنعلم أن كلمة "ابن الله" أو "أبناء الله" قد أطلقت في كتابه المقدس على مئات الكثيرين من أولي الخليقة حين سمّى آدم كما أنه "ابن الله" وهذه [illegible] عيسى ما يقول "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، [illegible] أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" فقال الرب "لا يتبين روحي في

لإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر" وتكون أيامه مئة وعشرين سنة" تسلط في الأرض فعله في شك الأيام. وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس، وولدن لهم أولاد، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر رجال اسم" (تكوين ٦). "فقدس سيدك يا الله الله فليهب الذي محمد وعلا" (مزمور ١ ٢٩). "من في السماء يعدل الرب من يشبه الرب بين أبناء الله" (مزمور ٦ ١٩). "أسرائيل إلى البحر" (خروج ١٤ ٢٢، و٢٣ ٢٢ ٢٣) "لما يقصف الله داود قائلا" قالت لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك" (مزمور ٢ ٧)، وسهل بشعياء له بقوله "قالت أنا" (إشعياء ٦٣ ١٥ ١٦). ثم يقول المسيح ذاته "أهوى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون" (متى ٥ ٩). "احذروا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات" (متى ٦ ١). ويقول المسيح في صلاته لهم "أبت الذي في السماوات". فضلا عن أن المسيح قد أخذه الشيطان ليجربه فوق الجبل ويدفعه إلى السجود له، وليس من المعقول أن يجرب الشيطان الله يرى أيمكن أن يسجد له الله أم لا. فمما ليس من المعقول أن يكون رد الله على الشيطان هذا هو "اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد". وهو ما يعني بكل جلاء أن عيسى كان يطلق لفظ الله على أبيه "لا على أنه هو نفسه" ولا على أنه "جزء" وعلى أن من الواجب عليه أن يسجد له كما أنه عليه السلام قد سماه أيضا "ابن الإنسان" (متى ١١ ١٩)، وهي ذات الكلمة التي استخدمت للإنسان تحديدا (متى ١٢ ١) وفوق ذلك فإن عيسى عليه السلام، كلمة ذات معنى خطير، قد يُفهم منها أن "الوحدة" التي يعبّر بها أحيانا عن علاقته بالله ليست شيئا آخر سوى الطاعة المخلصة له سبحانه، والخضوع لإرادته بصفاء تام. ومن هنا نراه يقول عن كل من يفعلون

مشيه يفعل إبهم إخوته وأمه ، كما هو الحال عندما أخوه ذات مرة ، وكان قد حل أحد البيوت ، فأن أمه وإخوته بالخارج يريدونه ، فأخبرهم قائلا " من هي أمي؟ ومن هم إخوتي؟ " ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي ، وأختي وأمي " (متى ١٢ : ٤٧ - ٤٩) وهي إجابة تفهم منها أن أمه لم تكن تستحق بنوته لها ولا أن إخوته يستحقون أخوته لهم ، وذلك لما بدا من تفريطها وتفريطهم في الإيمان بدعوته .

بعد ذلك كله فإن الجواب على السؤال الذي طرحه القمص "هل قال في القرآن كله إن محمدًا هو روح من الله؟" هو "لم يقل ذلك في القرآن عن محمد وحده ، بل قيل عن آدم أبي البشر ، ومن ثم عن البشر كلهم بما فيهم محمد عليه السلام كما رأينا ، والسبب هو أن آدم لم يُخلق بالطريق الذي أصبح هو الطريق المعتاد بعد خلق آدم وحواء ، أي من خلال رجل وامرأة ، فلذلك نفخ الله فيه مباشرة من روحه ، وهو ما تكرر في حالة السيد المسيح عليه السلام ، وإن كان على نحو أخص ، إذ كانت له أم ، بخلاف آدم ، الذي لم يكن له أب ولا أم .

بل إنه يذهب في تعليق تكريه بطرس الذي أبعد فيقول له إنه إذا كان يجحد من خلق المسيح دون أب دليلا على أنه ابن الله ، فيجحد مع مطلقه بل حر الذي ويجعل دم هو نفسه (استغفر الله!) لا لأنه فقط لأنه لم يكن له أب ولا أم ، فهو إذن يتفوق على المسيح من هذه الناحية كما هو واضح ، إن كان في هذا تفوق على الإطلاق ، وهو ما لا نسلم به ، لكنه ينسى مطلقه تفضح تفريق عنده ، ثم إن المسكين يستمر في سياسة التهويمة فيؤكد أن قوله تعالى على لسان مريم تخاطب الروح حين تمثل لها بشرًا كي يهب لها

علامة "التي يكون في علامة"، ولم يمسسني بشر" معناها أنه عليه السلام "ليس من بشر" وهذا غير صحيح البتة، فقد جاء عليه السلام من بشر، وهي مريم، التي حملت به وحفظته في رحمها وتغذى من دمها الذي يجري في عروقها تسعة أشهر، ثم وضعته وأرضعته من ثديها الذي في صدرها، إلا أنه ليس له أب. وهذا كل ما هنالك! فهذا فقط "النفخة"، التي ليس لأحد أن يدعي فيها دون أن يكون هناك رحمٌ يحمله وثدي يرضعه، لا أم سوية ...، وهذا أوغل في الخروج عن السنن المعتادة في الخلق!

بعد ذلك ينتقل الكتاب بعد عرض بقية أخرى هي تأييد المسيح بروح القدس، الذي نحسبه دليلا على أن عيسى يتفوق على محمد عليه السلام، وهذا نص كلامه "التأييد بالروح القدس (البقرة ٢ ٧٨، ٢٥٣) "وتأييد عيسى بن مريم البينات وأيده بروح القدس" ونرد على ذلك بورد الأدلة والبراهين القاطعة التي تثبت بطلان هذا الإدعاء من هذه الأدلة

١ [سورة المائدة ٥ ١١٠] "إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا".

٢- فمن هذه الآية عدة أمور في الأهمية في دلالتها، إذ توضح أن تأييد المسيح بروح القدس هو منذ أن كان في المهد صبيا، وذلك كلمه الناس في هذه السن فكيف يكون الروح القدس هو جبريل، وهو الذي ينطق على لسان من في المهد؟

٣ كيف يتفق هذا مع ما جاء في [سورة يوسف ١٢ ٨٧] "ولا تيأسوا من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين" فهل معنى روح الله هنا هو جبريل؟

٤- وقد جاء تفسير روح الله في [تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٦٠] "لا يستنكر أن لا يتضعوا رجاءكم و منكم (من روح الله) أي من الله"

٥- [وأيضا تفسير ابن كثير ج١ ص٨٧] روح منه أي منه الله الأعظم.

٦- وهناك بيت شهير أن القدوس هو الله [سورة الحشر ٥٩ ٢٣] "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس" وأيضا في [سورة الجمعة ٦٢ ١] "يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس"

وأنا أرى القرآن بنفسه، فالرجل يدلس الله دون أي تحفظ به يتصرف بغير ضبط وهو يطعن صحيحه، وقد تصرحت بذلك بأدلته، فهو يحرفه ويحذف ويخلف رموزا بعينها استلت من قصة الشرطة والعدالة، ولكن لا أريد الخوض من كل ناحية إنه يزعم أن المسيح، بعض القرآن، ثان من روح القدس، أم محمد فلا يريد أن يقول إن عيسى عليه السلام [illegible] أم محمد فمجرد بشر عادي لكن ما دام يستشهد [illegible] انظروا إلى قوله تعالى [illegible] "قد قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون" وقد قلنا [illegible] "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" [illegible] "قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين" [illegible] "وإنه (أي القرآن) لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين" بسبب ترك قلبي [illegible] "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" [illegible] "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد (أي عادى) الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو

أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴿٢٢﴾ المجادلة ؟؟؟

لا يجد أي قارئ لهذا (في الفصل الأول من إنجيله) عن نبي الله عليه السلام، أنه زكريا وأن الأول قد مات، منذ أن كان حبيناً في بطن أمه، بالروح القدس (مثلما يدعي لا مؤلفوه فحسب)، وتالي امتلأ به هو أيضاً، بالروح القدس من صغره " فطهر له (أي زكريا عليه السلام) ملاك الرب، واقف عن يمين مذبح البخور " فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا " ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، " لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " ؟؟؟، فمتى زكريا أبوه من الروح القدس " ؟

فكما هو في المسيحي العادي، فإن روح القدس لا يؤيد لرسول الكريم فقط، بل يسبغ على قلبه بالفعل مثلما يدل على كل الرسل والأنبياء، فقد أنه يؤيد المؤمنين كلهم لا به دون من حاد الله ورسوله، ويمتلئ به نبي منذ أن كان جنيناً لا يزال، ولكن معنى الروح القدس بعد هذا ما يكون، فمعلوم أنه لا خصص بعيسى عليه السلام، وعلى هذا لا يمكن تأييده بعد بعيسى غير الإله أو بن الإله عن سائر البشر، أم خلط صاحب في قوله تعالى " ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " الذي خرقه فيكتبه هكذا " ولا تيأسوا من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين " متعمداً عدم ضبط " الروح " لغرض في نفسه مستصح لديه، ومتعمداً عدم ربطه بما قبله وما بعده

بخلافه لا تليق بأحد منهم فيكتب: "الكافرين" مكان "الكافرون"، أو أن خلطه بين "الرُّوح" (بضم الراء المشددة) كما في الآيات الأنفة و"الرَّوْح" (بفتح الراء، وهو الراحة والرحمة) رغم أنه سبق أن فرق بينهما في قبيل، فهو متصف بما نسب إليه، كما قلت، بهذين، ومن ثم لا يثبت على حال ولا على حال، بل كلما رأى ما يقض له بكل أن يجدم قصبته سارع بجحده دون أن يعي أنه قد سبق له اتخاذ عكس ذلك تماما.

وعلى أي حال فكيف لنا أن نرى يكون روح الله وروح القدس هو الله؟ كيف يكون روح الله هو الله نفسه، أو يكون "روح القدس" هو "القدوس"؟ لكن قد تذكرون ما قلته عن "كلمة الله" التي كانت "عند الله"، ثم أصبحت بعد قبيل هي "الله" ذاته، لنعود مرة أخرى فنكون "وحيد الله"، ثم "عقل الله" عرفنا أن صلاح حال هذا الرجل مرهون منه إن وصف الروح هو بالقدسة لا يرقى للمسيح أية ألوهية أو بنوة لله. وإلا فقد وُصف الوادي الذي رأى فيه موسى النار بـ"الوادي المقدس"، مثلما وُصفت أرض فلسطين بـ"الأرض المقدسة" و"المباركة" أفنجعل منهما أيضا إلهين أو ولدين من أولاد الإله؟ قال عز شأنه على لسان موسى عليه السلام "يا قوم، ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" (المائدة ٢١). وقال جل جلاله مخاطبا موسى "يا موسى، إني أنا ربك، فاخلع نعليك، إنك بالوادي المقدس طُوى" (طه ١٢). وعلى أية حال فلم يوصف عيسى عليه السلام في القرآن بالقدسة، فهل نقول به أقل مرتبة وشأنا من وادي الطور وأرض فلسطين؟

كذلك يشير صُوَيحب إلى وصف القرآن لعيسى عليه السلام بأنه "آية"، متسائلا: هل في القرآن أيضا أن محمدا آية كالمسيح؟ وللمرة الثانية قال نصا "آية من الله: (١) [سورة المؤمنون ٢٣ ٥٠]". وجعلنا من مريم وابنه آية"

(٢) [سورة الأنبياء ٢١: ٩١] فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٣) [سورة مريم ١٩: ٢١]، قال كذلك قال ربك هو علي هين، ولنجعله آية للناس. (٤) [المعجم ج١ ص ٣٥] آية تعني: العلامة والإمارة، العبرة، والمعجزة. وماذا عن محمد؟ هل قيل في القرآن كله أن محمدًا كان آية من الله؟".

وهو بهذا يظن أنه قد فتح عكا، مع أن الكلام الذي يقوله هنا لا يخرج عن الترهات التي يحسب أصحابها الجهلاء أنها هي العلم القدس. لقد وصفت بعض الآيات القرآنية السيدة مريم مع المسيح معا بـ "الآية"، أفمفهم من هذا أنها تساوي المسيح، فهي أيضا إله؟ فهذه واحدة، أما الثانية فالآية في القرآن قد تكون ناقة، أو حمارا وضفادع ودما وقملا، أو طيرا وطيرا، أو مائدة طعام، أو حية فارقتها الروح قد لفظها البحر، أو عصا تحولت إلى ثعبان، أو عجزا عن النطق .. إلخ؟ فهل تجعل الناقة والعصا والقملة والضفدعة والطين والطير آلهة مثلما تريد أن تجعل من وصف القرآن لعيسى عليه السلام بـ "الآية" دليلا على أنه إله وأنه يتميز من ثم على محمد عليه السلام؟ وهذا إن حصرنا معنى الآية في المعجزة، وإلا فكل شيء في العالم من حولنا هو آية على وجود الله وقدرته وحكمته. وقد تكررت الكلمة كثيرا في القرآن بهذا المعنى كما هو معروف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿١٢﴾ ومما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴿١٣﴾ [النحل: ١٠ - ١٣]. ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٢١﴾ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين ﴿٢٢﴾ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴿٢٣﴾ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿٢٤﴾ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴿٢٥﴾ [الروم: ٢١ - ٢٥] . . . إلخ .

إذن فأين الميزة التي تظن أيها القمص الذكي أن عيسى عليه السلام ستتفوق بها هنا على سيد الأنبياء والمرسلين؟ إنها تحب سيدك عيسى وتجله وتعظمه وتضعه في العيون ما والقلوب، بل بعد أنفسنا أتباعه الحقيقيين المخلصين، لكنا لا يمكننا القول بألوهيته، وإلا كفرنا بالله سبحانه ورسله الكرام الذين إنما أتوا ليدعوا أول شيء إلى وحدانية الله سبحانه وعدم الإشراك به .

والآن لننظر، أيها القمص، إلى قوله تعالى في النصوص التالية التي تشهد لما نقول، ولذلك لو كان لك عينان للنظر أو أذنان للسمع، وأشك في ذلك كثيرا، يقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤]، ويقول سبحانه عن قوم فرعون: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ

السماء قال تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٤]. ويقول تعالى مخاطبا زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِم بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١٠-١١]. إلخ. ثم إن "الآية" هي شيء يخلقه الله، أي أنها شيء مخلوق لا إله ولا ابن إله! هل رأيت الآن نفسك، أيها القارئ الكريم، كيف صدقت بل استحالت على الرجل المسيء وانتقدته؟

وننتقل الآن إلى نقطة أخرى ليوقع ذا العدة نفسه في مأزق جديد مما قال عنه لولا سخف منطقه. إنه يذكر الآيات التي أخبر الله سبحانه على يد عيسى عليه وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام، وهي كلامه في المهد، وإبراؤه الأكمه والأبرص وشفاؤه المرضى وإحياؤه الموتى بخلقه الطير من الطين بإرادة الله وقدرته لا بقدرة منه هو ولا بإرادته، فضلا عن تكليمه سبحانه إياه من النوع مما يأكل الناس وما يدخرونه في بيوتهم، ثم يتساءل قائلا: وماذا عن محمد؟ يعني أن الرسول الكريم لا يملك أن يسامي عيسى عليه السلام هنا أيضا! وهذه مكيدة صغيرة مضحكة. فإن لمحمد عليه السلام معجزته التي رواها كتب السيرة والأحاديث، وإن كانت من نوع مختلف، مثلما أن لكل من الأنبياء والرسل الآخرين معجزته الخاصة به. أي أن عيسى لا يتميز عن غيره من النبيين والمرسلين هنا أيضا. وهذا انفرد بوقوع المعجزات على يديه دون غيره من الأنبياء والرسل الكرام. أفيسعى أن نعد هذا تميزا منه عليهم؟ لا، لأنه لم يفعل ذلك ولم يستطعه من تلقاء نفسه، بل بقدرة الله سبحانه وإرادته. وهو، قبل هذا وبعد هذا، ليس إلا نبيا من الأنبياء ورسولا من المرسلين، أي عبدا من العباد. وهذا هو المهم

لأنه هو جوهر الموضوع، أما وقوع المعجزات أو عدم وقوعها فلا يعني شيئا ذا بال في تلك القضية!

أما الإنباء بالغيب ففي القرآن نبوءة بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وقد تحققت. وفي القرآن نبوءة بانتصار الإسلام على غيره من الأديان، وقد تحققت. وفي القرآن نبوءة بأن الناس لن يستطيعوا قتل الرسول عليه السلام، وقد تحققت. وفي القرآن أن حيّ يُستخرج من السحر الحدث ومن السحر المسيح كليهما، وهو ما لم يكن أحد يعرفه في منطقة الشرق الأوسط على الأقل، ثم اتضح الآن أنه صحيح. وفي القرآن نبوءة بأن عمد العُزّى عم الرسول سيصْلَى نارا ذات لهب، وقد تحققت، إذ مات كافرا. وفي الحديث نبوءة بأنه سيأتي يوم على المسلمين تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، لا من قلة في العدد، بل لأنهم غُثاء كغثاء السَّيْل، وقد تحققت في الأعصر الأخيرة، وبخاصة هذه الأيام كما يرى كل من له عينان. وقد قال الرسول ذلك، والمسلمون في عز قوتهم الإبدانية حينما كان الإسلام لا يزال أخضر عضًا في النفوس، وهو ما لم يتصوره الصحابة حينذاك لأنه كان غريبا تمام الغرابة على العقل والمنطق، إذ كان مدّ الإسلام من العنفوان والجيشان بحيث لم يكن أحد يتصور خلاف ذلك!

وعلى كل حال فليست العبرة بالمعجزات الحسية، وإلا فمن الأنبياء من لم تأت معجزاتهم بالثمرة المرجوة منها لأن أقوامهم قد نفوا رغم ذلك متمسكين بكفرهم وعصيانهم، ومن هؤلاء السيد المسيح، إذ كفر به اليهود إلا القليلين منهم، مما اضطر تلاميذه (حسبما ورد في كتبهم دانها) إلى النحول بدعوته إلى الأمم الأخرى رغم أنه كان في البداية ينكر أن يتطلع أي من هذه الأمم إلى مشاركة بني إسرائيل في الدعوة التي أتى بها وكان

يشبههم بالكلاب، الذين يسعى في رأيه أن يُخرجوا من الحي ويُبادوا عن آخرهم. فالمعجزات ليست من البراهين الحاسمة، فعلاوة على عدم استطاعتها تليين القلوب القاسية والرؤوس الصلبة والرقاب الغليظة وإضاءة النفوس المعتمة كما قلنا، فإنها لا تستطيع أن تعاند الأيام، إذ ما إن يمر زمانها حتى تضمحل صورتها في النفوس ولا يعود لها أي تأثير، بل تصبح مضغة للتزييف والتشويه وهي في حالة نقية، عليه وعلى إخوانه الأنبياء السلام، لم تكن ترد على تحدي الكفار له، بل كانت موجهة إلى المؤمنين (في المرحلة الأولى على الأقل) لتثبت لإيمانهم، لا إلى الكفار الذين ثبت أنهم لا يصيخون السمع إليها!

وبالمناسبة فإن النصارى لا يُقرّون بكلام عيسى في المهد لأنه غير مذكور في الأناجيل التي يعترفون بها، وإن جاء في بعض الأناجيل الأخرى غير المعتمدة عندهم شيء قريب من ذلك. أي أن القُمّص يحاججنا بما ورد في القرآن رغم إعلانه الكفر به. وعلى كل حال فإن العبرة بإحياء شخص أو عدة أشخاص ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد، بل العبرة كل العبرة في إحياء الأمم من العدم الحضاري والخلقي والنفسي والسياسي والاجتماعي والدوفي، وهو ما كرّم الله محمداً به، إذ أنهضت يداه المباركتان الميمونتان أمة العرب من حالة الهمجية والوحشية والتخلف المزري الذي كان ضاربا أطنابه فوق بلادهم ومجتمعاتهم بل فوق حياتهم كلها، فجعل منهم حكاما يسوسون العالم ويقودونه ثقافيا وخلقيا وعقيديا لعدة قرون دون سند، اللهم إلا سند القرآن والإيمان! ولم يحيدوا حتى الآن عن عقيدة التوحيد رغم

على المعتقدات التي وقعت فوق رؤوسهم، سواء كانت من صنع أيديهم أو من صنع أعدائهم، بخلاف غيرهم من الأمم التي ما إن يصيب أحدها مصيبة حتى ترتد إلى الوثنية والكفر، والعياذ بالله، وذلك بأن يعبد ما غزوت!

وبالمناسبة فملاحدة النصارى يفسرون معجزات عيسى عليه السلام بأنها حدثت مع المرضى الذين شفاهم أو أعادهم إلى الحياة، على حين أنهم (حسبما يقول هؤلاء الملحدون) لم يكونوا قد ماتوا ولا كانوا مرضى مستعصاة! ثم أن الموتى الذين عادوا على يديه إلى الحياة لم يحدثونا عما جرى لهم في العالم الآخر، ولعمري إنه لأمر عجيب أن يسكتوا فلا يذكروا شيئاً عن تلك التجربة العجيبة! وفوق هذا فما الفائدة التي عادت على العالم أو حتى على المجتمع الإسرائيلي أو الروماني من عودة من أعادهم إلى الدنيا كرة أخرى؟ إنها معجزات وهمية لا قيمة لها إلا لمن شاهدها، بل لا قيمة لها إلا لمن كتب الله له الإيمان، وإلا فاليهود برغم عدم لم يروا هذه المعجزات أية قيمة وظلوا يكفرون بالمسيح ويتهمون أمه بأنها بغيٌ، فضلاً عن تدمرهم عليه لدرجة لولا أن توفاه الله إليه وتركهم في ظلمات لا يبصرون بعد أن شبه لهم أنهم قتلوه فعلاً! بل إن معظم الذين اتبعوه قد انحرفوا بدعوته أقبح الانحراف، إذ قلبوها رأساً على عقب وحولوها من التوحيد إلى الشرك، والعياذ بالله!

كذلك أحيا النبيُّ إيليا ميتاً مثلما فعل عيسى، فهل يعدُّه ابناً ثانياً لله؟ وهذه قصة إيليا حسبما حكاها الكتاب المقدس (الملوك الثاني ١٧) «١٧ وبعد هذه الأمور مرض ابنُ المرأة صاحبة البيت واشتدَّ مرضهُ حدٌّ حتى لم تبقَ فيه نسمةٌ ١٨ فقالت لإيليا «ما لي ولك يا رجل الله! هل جئت إليَّ لتذكير إثمي وإماتة ابني؟» ١٩ فقال لها: «أعطيني ابنك» وأخذهُ من

حضنه، وصعد به إلى العُلِّيَّة التي كان مُقيمًا بها، واضجعهُ على سريره، وصرخ إلى الرَّبِّ وقال: «أيُّها الرَّبُّ إلهي، أأيضًا إلى الأرملة التي أنا نازلٌ عندها قد أسأت بإماتتك ابنها؟» [٢١] فتمدَّد على الولد ثلاث مرَّات، وصرخ إلى الرَّبِّ وقال: «يا ربُّ إلهي، ليرجعْ نفسُ هذا الولد إلى جوفه». [٢٢] فسمع الربُّ لصوت إيليا، فرجعت نفسُ الولد إلى جوفه فعاش. [٢٣] فأخذ إيليا الولد ونزل به من العُلِّيَّة إلى البيت ودفعهُ لأمِّه، وقال إيليا: «انظري، ابنك حيٌّ». [٢٤] فقالت المرأةُ لإيليا: «هذا الوقت علمتُ أنك رجلُ الله، وأن كلام الرَّبِّ في فمك حقٌّ».

ثم صنع أليشع نفس المعجزة فأحيا طفلا آخر لأمه، فهل بعدها ابن ذلك لله، أستغفر الله؟ وهذا ما كتبه مؤلفو الكتاب المقدس في سفر "الملوك الثاني" (إصحاح رقم ٤) عن هذه الحكاية: [٣٢] "ودخل أليشعُ البيت وإذا بالصبيِّ ميتٌ ومضطجعٌ على سريره. [٣٣] فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما، وصلَّى إلى الرَّبِّ. [٣٤] ثمَّ صعد واضطجع فوق الصبيِّ ووضع فمهُ على فمه، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدَّد عليه فسخن جسدُ الولد. [٣٥] ثمَّ عاد وسعى في البيت تارةً إلى هنا وتارةً إلى هناك، وصعد وتمدَّد عليه فعطس الصبيُّ سبع مرَّات، ثمَّ فتح الصبيُّ عينيه. [٣٦] فدعا جيحزي وقال: «ادْعُ هذه الشُّونميَّة» فدعاها. ولمَّا دخلت إليه قال: «احملي ابنك». [٣٧] فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض، ثمَّ حملت ابنها وخرجت".

أما قول القمص الهلوان إن عيسى عليه السلام يتميز عن سيد الأنبياء والمرسلين بأنه "قد خلت من قبله الرسل"، فهو ما لم أفهم مقصده منه، إذ إنه صلى الله عليه وسلم قد خلت الرسول من قبله هو أيضا. ألم يسبقه عيسى ويحيى وزكريا واليسع وموسى وهارون وشعيب وسليمان وداود

ويعقوب وإسحاق وإسماعيل ولوط وإبراهيم وهود وصالح ونوح وغيرهم؟ اللهم إلا إذا كان زكريا بطرس لم يفهم معنى "خلت"، وهو ما أرجحه بل ما من نبي إلا خلت من قبله الرسل ما عدا أول نبي بطبيعة الحال. سيد أبي، رغم ذلك، لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن أن يكون هذا ميزة لأحد من الأنبياء على أحد! أترى أولى نبي كان يقل عمن جاءوا بعده لا لشيء إلا لأنه لم يخلُ قبله أحد من الرسل؟ أما إذا أصر القمص على ما يهرف به فإن محمدا عليه السلام يزيد على عيسى من هذه الناحية بدرجة، إذ إن عدد من خلا قبله من الرسل يزيد على من خلا قبل عيسى برسول هو عيسى نفسه. أليس كذلك؟ لا بل إن محمدا هو الذي يفضُل عيسى من هذه الناحية، فعيسى مَحُوطٌ بالمرسلين من قبل ومن بعد، أما الرسول الكريم فكان خاتم النبيين، وهو أمر لم يُكتب لأحد من إخوانه الكرام، فهو الختم المِسك الذي بلغت على يديه الكريمتين ظاهرة النبوة أسمق مستوياتها، ولم يعد هناك من جديد يمكن أن يضاف إليها، وبخاصة أن الكتاب الذي أتى به ما زال باقيا على حاله الأول غضًّا نضرًا لم تمتد يد التضييع أو التزييف والعبث إليه على عكس بعض الكتب السابقة عليه.

إن ما قاله القرآن هنا ليجري في عكس الاتجاه الذي يلوي القُمُصُ الآية نحوه، فالقرآن يقول: "ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (المائدة/ ٧٥)، ومعناه أن المسيح لا يمكن أن يكون إلها أو ابن إله، إنما هو واحد من الرسل الكثيرين الذين مضَوْا من قبله، فكما كانوا بشرا فهو أيضا مثلهم بشر من البشر. وعلى أية حال فقد قيل الشيء نفسه عن محمد عليه الصلاة السلام، وبنفس التركيب، وهذا هو: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (آل عمران/ ١٤٤)، وكان ذلك حين ظُنّ في معركة أُحُد أنه قد مات (صلى الله عليه وسلم، ومسح الأرض

بكرامة من يتطاول عليه من كل ضالّ مضلّ رجيم، وعتلّ فاسد رجيم)، فقال الله فيهم إن محمدا ليس إلا رسولا كسائر الرسل الذين سبقوه، وسيموت كما ماتوا، ولا معنى لانقلاب أحد على عقبيه بعد موته، لأن الله صاحب الدين حيّ لا يموت، أما محمد فلم يكن إلا رسولا جاء ليبلغ العباد دعوة الله!

ومما يطن ركريا بطرس أنه يستطيع الشغب به على المسلمين قوله إن عيسى كان مباركا، أما محمد فلا. ولا أدرى من أين له بأن عيسى وحده هو الذى بورك دون الأنبياء جميعا. لقد ذكر القرآن، الذى يعتمد عليه بطرس فى محاولة التنقص من سيد الرسل والنبيين، أن البركة قد أُنزلتْ على أشياء وأشخاص كثيرين، لا على عيسى وحده، كما أن البركة فى غير حالة عيسى عليه السلام قد تُذكر بلفظ آخر، أو يُذكر ما يريد عليها فى الإكرام والمحبة. فبعض أجزاء الأرض قد باركها الله: "وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها" (الأعراف/ ١٣٧)، والمسجد الأقصى بارك الله حوله: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله" (الإسراء/ ١)، والموضع الذى رأى موسى فيه النار فى سيناء قد بارك الله حوله أيضا: "فلما جاءها نُودى أن بُورك من فى النار ومن حولها" (النمل/ ٨)، وإبراهيم وإسحق قد بارك الله عليهما: "وباركنا عليه وعلى إسحاق" (الصافات/ ١١٣)، وهناك نوح والأمم التى كانت مع نوح، وقد بارك الله عليه وعليهم جميعا جاء فى كلامه سبحانه له: "يا نوح، اهبط (أى من السفينة بعد انحسار الطوفان) بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك" (هود/ ٤٨)، وهناك البيت الحرام، وقد باركه الله: "إن أول بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركا وهدى للعالمين" (آل عمران/ ٩٦)،

وكذلك القرآن الكريم، وقد جعله الله مباركا أيضا: "وهذا ذكرٌ مباركٌ أنزلناه، أفأنتم له منكرون؟" (الأنبياء/ ٥٠)، كما أن الليلة التي أُنزل فيها هذا الذكر هي أيضا ليلة مباركة: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة" (الدخان/ ٣).

أما بالنسبة لنبينا، عليه وعلى كل الأنبياء الكرام أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، فقد جاء في القرآن أنه عز وجل يريد أن يُذهب الرجس عن أهل بيته جميعا ويطهّرهم تطهيرا: "إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا" (الأحزاب/ ٣٣)، كما أثنى مولى عليه أعظم الثناء، ودعك من قوله: "وإنك لعلى خُلُق عظيم" (القلم/ ٤)، وقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء/ ١٠٧)، وقوله: "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ" (التوبة/ ١٢٨)، وقوله: "رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ليُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور" (الطلاق/ ١١)، وقوله: "من يُطع الرسول فقد أطاع الله" (النساء/ ٨٠)، وقوله: "إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما" (الأحزاب/ ٥٦). والحق أن ما قاله سبحانه وتعالى في تكريم حبيبه محمد في هذه الآيات وغيرها لم يرد مثله في أي نبي آخر، وإن لم يكن مقصدنا هنا المقارنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين إخوانه الكرام، اللهم إلا ردا على ذلك القمص الذي يريد أن يثير هذه النعرة الجاهلية رعناء.

ولقد بلغ من عظمة نفسه عليه السلام ونبل أخلاقه أن نهى أتباعه عن تفضيله على أي من إخوانه الكرام كما يتبين من الأحاديث التالية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استبّ رجلان، رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين. فقال اليهودي:

والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي . فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيّروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش جانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله" وعن أبي هريرة أيضا قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم . قال ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبتُ . ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن" . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى"

ولم يكن لنحبّ أن ندخل في هذا المضيق ، إلا أن للضرورة أحكام ، إذ لم يكن متصوّرًا أن يهبّ بعض الناس في هذا العصر فيتطاولوا على سيد الأنبياء جهارا نهارا ، فكان لا مناص من إلجامهم بلجام الحرس حتى يعرفوا حدودهم ويقفوا عندها فلا يُقدِموا أذيتهم عليه . وبالمناسبة فتكملة الآية الكريمة التي جاء فيها على لسان المسيح أن الله قد جعله مباركا هي "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" (مريم/ ٣١) . أي أنه عبد له سبحانه وتعالى لا ربٌّ مثله ولا ابنٌ له كما يدّعي القمص البهلوان ، ولذلك أمره الله بالصلاة والزكاة ما دام حيا ، إذ الرب لا يُؤمر ولا يُنهى ، بل الذي يُؤمر ويُنهى هو العبد . لكن القُمّص يتجاهل هذا ولا يستشهد به حتى لا تنكشف فضيحته!

كذلك جاء في كلام القُمّص الأرعن أن عيسى عليه السلام سيأتي

حكمًا مُقسطًا بدليل الحديث التالي الذي أورده البخاري: "لن تقوم الساعة حتى ينزل فيكم (أي بينكم) ابن مريم حكمًا مقسطًا (أي عادلا)". والذي يفسر "الأرعن" لفظ "المقسط" فيه بأنه اسم من أسماء الله الحسنى، مما يفيد أن عيسى هو الله أو على الأقل ابن الله، إذ ذكر أن "المعجم الوسيط" قد شرح "المقسط" بأنه اسم من أسماء الله الحسنى. ثم ختم كلامه قائلا: "وماذا عن محمد؟" وهذا الكلام هو تخبيص في تخبيص! أندري لماذا؟ لأن هذا الحديث وأمثاله من الآثار التي تتحدث عن عودة المسيح عليه السلام إلى الدنيا إنما تؤكد ما يسُوء وجه هذا الأرعن. ذلك أن تلك الأحاديث إنما تتحدث عن رجوع المسيح ليكسر الصلبان ويحطم أوعية الخمور ويقتل الخنزير ويدعو الناس بدعوة التوحيد التي أتى بها نبينا عليه السلام وصلّ عمن يزعمون أنهم اتبّاع عيسى عليه السلام ويسحق التثليث ويترأ من معتنقيه على رؤوس الأشهاد. لكن الذكر الحكيم يقتطع من هذه الأحاديث جملة بنزعها من سياقها طالما أنه يمكن أن يُحتج بها على العقول ويمضي في سبيله دون أن يعقب عليه أحد.

نقرأ مثلا في "صحيح البخاري": "حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيّب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليُوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها". ويقول صاحب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" في تعليقه على هذا الحديث: "روى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين وروى نعيم بن حماد في "كتاب الفتن" من حديث ابن عباس أن عيسى بعد ذلك

يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة ، وبإسناد فيهم منهم عن أبي هريرة يقيم بها أربعين سنة . وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعا . وفي هذا الحديث "ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات . وقال في آخره ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون" وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة "يُهِلُّ ابنُ مريم بفجِّ الروحاء بالحج والعمرة" أحدث . وفي رواية لأحمد من هذا الوجه. ينزل عيسى فيُقتل الخنزير ويُمحى الصليب وتُجمع له الصلاة ويُعطى المال حتى لا يُقبل ويضع الخراج . وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما" ولكي يعرف القراء الكرام مدى الخبث الخائب الذي يدعو إليه ذلك العبيط أسوق إليهم كاملا نص الحديث الذي اقتطع منه المختار الفاجر ما اقتطع جاء في "صحيح البخاري" "حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مُقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" . ويشبهه ما جاء في "مسند أحمد بن حنبل" "حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة يبلغ به النبيّ صلى الله عليه وسلم. يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مُقسطًا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" . وكذلك ما جاء في "سنن الترمذي" "حدثنا قتيبة حدثنا الليث بن عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده

ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مُقسطاً فيكسر الصليب ويقتل خنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" ثم إن الأحاديث التي وردت في هذا الموضوع تسمّي كلّها السيد المسيح "ابن مريم"، أي أنه مولود لمريم، على حين أن القرآن الكريم ينفي بقيد قاطع أن يكون الله قد ولد أو وُلد، وهو ما يعني أن الله لا يكون أبا أو ابن، لكن العبيط يتجاهل هذا كله ويريد أن يتحلى عن عقولنا ودينا وتوحيدنا!

أما التحابيل المتهافت الذي يتحايث به الأرعن من خلال الاستشهاد بـ"المعجم الوسيط" على أن "المقسط" هو اسم من أسماء الله الحسنى، فنفضحه بالإشارة إلى أن النبي الكريم قد وُصف هو أيضا (وفي القرآن لا في الحديث) بأنه رؤوف رحيم وكريم وحق وشهيد، وهي من أسماء الله الحسنى أيضا، كما وُصف خُلُقه بأنه "عظيم"، وهو اسم آخر من تلك الأسماء الكريمة كما أُمر الرسول بأن يكون من المقسطين، و"المقسط" من أسماء الله الحسنى حسبما نقل صوابجيا عن "المعجم الوسيط". قال تعالى: "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم"، "إنه (أي القرآن) لقولُ رسولٍ كريم" (الحاقة/ ٤٠)، "وشهدوا أن الرسول حق" (آل عمران/ ٨٦)، "لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة/ ١٤٣)، "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم" (القلم/ ٤)، "وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يحب المُقسطين" (المائدة/ ٤٢) وبناءً على هذا المنطق العيالي فالرسول محمد هو **الإله أو ابن الإله!**

إنه فلّما كان اسم من أسماء الله إلا أمكن استخدامه للبشر، إلا أنه بالنسبة إلى الله يكون مطلقا، أما في حالة البشر فهو مقيّد محدود. كذلك فقد قال الحديث إن "ابن مريم" (لاحظ "ابن مريم" لا "ابن الله" ولا "الله"

ذاته) سوف يبرز "حكمًا مُقْسِطًا"، بتذكير كلمة "حكم"، وكأنه فرد في مجموعة من جنسه، مع أنه سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد، الذي ليس كمثله أحد. كما أن الله لا يبرز من رحم امرأة وفرْجها ويخالط الناس ويمشي وسطهم ويأكل ويشرب وينام ويتزوج وينجب وينقبا وتصيبه الأمراض والخوف مثلهم، ودعنا من صلبه وقتله ووضعه بالرمح في جنبه وشتمه وإهانته وصراخه من الألم والعذاب طالبًا النجدة (النجدة مني، إذا كان الله نفسه هو الذي يُضرب ويُقتل ويهان؟)، فضلا عن أن يُتوفى ويُصلى عليه (يُصلى "عليه" لا "له")، تعالى الله عن أن يُتوفى أو يُصلى عليه أحدًا وأخيرًا في "المعجم الوسيط" (وغير الوسيط أيضًا بطبيعة الحال) لا يقصد أن معنى "المقسط" ينحصر في أنه "اسم" من أسماء الله الحسنى "وحسب"، بل يذكر ذلك على أنه معنى من المعاني التي تُستخدم فيها الكلمة، وإلا فقد ورد هذا "المقسط" في القرآن عدة مرات منسوبًا للبشر كما هو معروف، إذ قال عز شأنه مثلا "إن الله يحب المقسطين" (المائدة/ ٤٢، والحجرات ٩، والممتحنة/ ٨).

ولا يكتفي المدلس بهذا، بل يضيف كذبة أخرى قائلا إن عيسى عليه السلام، طبقًا لما يقول القرآن، سوف يكون شفيعًا في الدنيا والآخرة. وقد سنشهد على هذه الكذبة بقوله تعالى عن ابن مريم عليه السلام مخاطبًا أمه على لسان الملائكة "يا مريم، إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين". وهذا نص كلامه: "شفيعًا في الدنيا والآخرة (١) سورة (آل عمران ٣، ٤٥) "اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين" (٢) [ابن كثير ج١ ص ٢٨٣]" وفي الدار الآخرة يشفع عند الله ."، ثم يختم كالعادة بالسؤال التالي: "وماذا عن محمد؟". والملاحظ أولا أن القرآن الذي يستشهد به لم

يذكر الشفاعة لعيسى بل لم يشر إليها مجرد إشارة . وكل ما قاله أنه سيكون وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين" . إنما قال ذلك ابن كثير ، وهو مجرد اجتهاد من عنده لا يُلزم بشيء ما دام لم يسُقْ لنا الحيثيات التي أقام عليها هذه الدعوى . إن في القرآن كلاما عن ابن مريم يوم القيامة يصوره عليه السلام وهو واقف أمام ربه يسأله عما أتاه أتباعه من بعده من تأليههم له سؤال الرب للعبد الخائف الراجف الذي يعرف حدوده جيدا ، فهو يسارع للتنصل من هذا الكفر الشنيع ومن قالوه . وحتى لو كانت له عليه السلام في ذلك الموقف شفاعة ، فما الذي في هذه المكرمة مما يشفع به على محمد عليه الصلاة والسلام؟

إن محمدا عليه الصلاة السلام لهو صاحب الشفاعة العظمى حسبما نصّ على ذلك كثير من الأحاديث النبوية . روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُحْبَس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا . فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس . خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فقال فيقول: لستُ هناكم ، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب: أكله من الشجرة وقد نُهي عنها ، ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض . فيأتون نوحا فيقول: لستُ هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب. سؤاله ربه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . قال. فيأتون إبراهيم ، فيقول: إني لست هناكم ، ويذكر ثلاث كلمات كذبهنّ . ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلّمه وقرّبه نجيًا . قال: فيأتون موسى ، فيقول. إني لستُ هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته . قال. فيأتون عيسى ،

فيقول لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة، قال قتادة وسمعته أيضا يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة، قال قتادة وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة، قال قتادة وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود، قال ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم". وهو ما يدل على أنه لا شفاعة لأحد مثله في ذلك الموقف، بل ستكون الشفاعة لسيدنا محمد عليه السلام وحده من دون الأنبياء والرسل وهذه إحدى المكرمات التي اختص بها سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وإذن فهذا لا يمكن من عيسى ولا غيره من المرسلين في شيء، فتقديم أحد الأنبياء على سائر إخوانه لا يسيء إليهم في

قليل ولا كثير ، فكلهم مكرمون معظمون بفضل الله ، لكنه يدل على أن صاحب التقديم قد اختص بمزيد من التكريم والتعظيم . وهذا هو وضع المسألة دون ضغطات ولا سحجات فارغة من تلك التي يبرع فيها أحلاس الجهل والحقد!

أما ما نقله المدلس عن ابن كثير فقد عمد به كعادته ليبلغ غاية في نفسه ، إذ أخذ منه ما يريد وحذف ما لا يريد ، لكن الله لا يتركه بهذه تلك الغاية ، إذ ذهب العبد الله بن ابن كثير فأضافه يقول في تفسير قوله تعالى عن المسيح بن مريم عليه السلام " وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين " أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وتبرئة عليه من الكتب وغير ذلك مما منحه الله به وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين " . ومعنى هذا ، لو أخذنا بتفسير ابن كثير ، أن عيسى لن تكون له هذه الميزة استثنائية ، سواء بالنسبة لرسول محمد خصوص أو بالنسبة للأنبياء كلهم عموما ، فالشفاعة ستكون لجميع ، وليس لعيسى وحده كما أراد هذا الأبليس أن يوهمنا كذبا وزورا . بيد أن الشفاعة العظمى إنما هي من نصيب سيد الأنبياء والمرسلين كما ورد في الحديث الآنف الذكر .

ومن ادعاءات زكريا بطرس الضحولية قوله بأن عيسى قد أصعد إلى السماء حيا ، فماذا عن محمد؟ والجواب هو أن محمدا قد عُرج به إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى كما ذكر القرآن لدى تحجيجنا به هذه واحدة . والثانية هي أن النص القرآني ليس قاطع الدلالة في موضوع صعود عيسى عليه السلام بجسده ولا صعوده حيا ، إذ تقول الآية الكريمة " إذ قال الله يا عيسى . إني متوفيك ورافعك إلي " (آل عمران 55) وليس

فيها على سبيل القطع الذي لا تمكن المماراة فيه أنه سبحانه قد أصعده إلى السماء حيًّا بجسده. بل من المسلمين من يفهم تلك الآية كما فهمها المُنصِّر، لكن هناك أيضا من المسلمين من يقولون بالوفاة العادية ورفعة المكانة لا الجسد. وعلى أية حال هل هناك فرق كبير بين قوله سبحانه عن السيد المسيح وبين قوله عن إدريس عليهما السلام: "واذكُرْ في الكتاب إدريس، إنه كان صِدِّيقًا نبيًّا* ورفعناه مكانًا عليًّا" (مريم، ٥٦- ٥٧)؟ ثم إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ذكر أيضا أن إيليا قد رفعه الله إليه أيضا بالمعنى المادي، أي أصعد جسده إلى السماء: "وفيما هُما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء. وكان اليشع يرى وهو يصرخ: «يا أبي، يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها». ولم يره بعدُ" (ملوك ٢/ ٢/ ١١- ١٢). إذن، كما قلت من قبل، لا أعني أبدا التقليل من شأن سيدنا عيسى عليه السلام، على الأقل لأنني مسلم بعد أتباعه الحقيقيين. كل ما هنالك أني أحاول أن أقدم صورة منطقية ومستقيمة وصحيحة في المقارنة بين النبيين العظيمين، محمد وعيسى عليهما السلام، صورة تُظهرهما في أبعادهما الصحيحة على أساس أن عيسى هو من محمد بمثابة الأخ الأصغر مثلا وآخر وأثر. وهذا كل ما هنالك. وفي النهاية نقول: فلنفترض أن عيسى قد أُصْعِد فعلا بجسده إلى السماء وأنه هو وحده الذي حدث له ذلك، فلسوف حينئذ هو وحده بعد؟ وما الفائدة التي عادت على الدعوة من جراء هذا؟ لقد انحرف فريق كبير من أتباعه بسبب هذا الصعود وغيره وأشركوه مع الله، وهو البشر الضعيف العاجز الفاني!

وينفي كلام المدنس عن مسح عيسى عليه السلام من الأوزار وسوئه المعتاد في آخر الكلام: "وهذا عن محمد؟". وهذا ما قاله نصًّا.

مسموح من الأوزار. (انظر خاتمة الفداء ص ٢٤). (١) [سورة مريم]. (٢) [سورة آل عمران]. (٣) الإمام الرازي جـ٣ ص ٦٧٦ (٤) أبي هريرة (٥) صحيح البخاري. وماذا عن محمد؟ وهو، بإشارته إلى سورتي "آل عمران"، بما يقصد قوله تعالى عن امرأة عمران (أم مريم عليها السلام) وإعاذتها إياه هي وذريتها عند ولادتها من الشيطان الرجيم ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران ٣٦]، أما سورة "مريم" فلم أجد فيها شيئاً يتعلق بالموضوع الذي نحن بإزائه. وبالنسبة لما جاء في "آل عمران" فليس فيه سوى أن زوجة عمران قد استعاذت لابنتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم، وهو ما يفعله كل مؤمن لنفسه ولأولاده. وفي تفسير الرازي "روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من استعاذ في اليوم عشر مرات وكّل الله تعالى به ملكاً يذود عنه الشيطان". وفي "سنن أبي داود" عن ابن عمر أن رسول الله قال: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه. فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

فليس في الآية في حد ذاتها ما يدل على أن عيسى عليه السلام كان ممسوحاً وحده من الأوزار دون الأنبياء والمرسلين، وإن كنا نؤمن أنهم جميعاً عليهم الصلاة السلام كانوا من خيرة صفوة البشر، وكانت أخلاقهم من السمو والرفعة بحيث تتلاءم مع المهمة الجليلة التي انتدبهم الله لها من بين سائر البشر. ومع هذا فهناك مثلاً، في مسند ابن حنبل، حديث عن النبي عليه السلام رواه أبو هريرة يقول فيه: "ما من مولود يُولد إلا نخسه الشيطان فيستهلّ صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه". ثم قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". وفي "سنن

الدارمي عن ابن عباس أنه قال "ليس من مولود إلا يستهل، واستهلاله بعصر الشيطان نفسه فيصيح، إلا عيسى بن مريم" وليس فيه، كما هو واضح، أية إشارة إلى مسحه عليه السلام من الأوزار والخطايا، بل الكلام فيه عن نخسة الشيطان التي يبكي الطفل بسببها عند الولادة أول ما يستهل الحياة والتي يقول الأطباء إن سببها هو استنشاقه لأول مرة الهواء المتشقق من الشر، فهو رد فعل بيولوجي لا مفر منه لأي طفل. لكن لأن ولادة عيسى كانت ولادة غير طبيعية فربما كان ذلك هو السبب في أنه لم يصرخ عند خروجه من بطن أمه كما يصنع سائر الأطفال.

ولعل الظن أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أراد، بذلك الحديث، أن يدفع عن أخيه الصغير عيسى وأمه من طرف خفي قالة السوء والشُنَع التي يلهج بها اليهود الأرجاس. إذ فليس في القرآن ولا في الحديث أن سيدنا عيسى عليه السلام كان ممسوحاً من الأوزار والخطايا وحده دون النبيين والمرسلين أجمعين، وبالتالي فلم يعن هذا أنه كان ذا أوزار وخطايا، إذ الأنبياء والمرسلين كلهم هم من ذرية البشر خَلْقاً وفصلاً وسوىً لا عيسى وحده. ومع ذلك فقد قرأنا في حديث الشفاعة العظمى كلام الرسول الأعظم عن غفران الله له هو كل ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وهو ما استحق به وبغيره تلك المرتبة العالية، وإن لم يعن هذا أيضاً أنه، صلى الله عليه وسلم، كانت له ذنوب تُذكر، وإلا ما قال الله فيه: "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم" أو "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم" أو "إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً". وقد أورد الرازي الذي يستشهد به الأخ الحديث التالي "ما منكم أحد إلا وله شيطان قيل. ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم"

واظن أن هذا الحديث يضع حدا للجدال السخيف الذى فتح به ذلك المتهالك العقل!

والآن بقى ما قاله الرازى فى هذا الموضوع "ذكر المفسرون في تفسير ذلك المس الحسن (يقصد القول المذكور فى سورة "آل عمران" حين سمت أم مريم إلى الله أن يعيذ ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم) وجوها أحدها أن الله تعالى عصمها وعصم ولدها عيسى عليه السلام من مس الشيطان. روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها". ثم قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم: وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". طعن القاضي في هذا الخبر وقال "إنه خبر واحد على خلاف الدليل، فوجب رده، وإنما قلنا إنه على خلاف الدليل لوجوه أحدها أن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبي ليس كذلك والثاني: أن الشيطان لو تمكن من هذا النخس لفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصغير وإفساد أحوالهم والثالث: لم خص بهذا الاستثناء مريم وعيسى عليهما السلام دون سائر الأنبياء عليهم السلام؟ الرابع أن ذلك النخس لو وجد بقي أثره، ولو بقي أثره لدام الصراخ والبكاء، فلما لم يكن كذلك علمنا بطلانه". واعلم أن هذه الوجوه محتملة، ولأحد لا يجوز دفع خبر، والله أعلم" ومن هذا يتبين لنا بأجلى بيان أن الكذاب لم يقطع عادته فى التدليس، إذ لم يقل الرازى إن عيسى عليه السلام قد مُسح من الأوزار والخطيئة، بل سوق كلام المفسرين القائلين بذلك، لكن بإنجاز شديد، أما من نعوا هذا فقد فصّل كلامهم تفصيلا. ثم اكتفى بالقول بأن وجوه الاعتراض التى اعترض بها هؤلاء ليست قاطعة فى النفى، وإن كان من الممكن زعم ذلك أن تكون صحيحة. أى أنه لم ينف ولم يثبت، بل اكتفى بإيراد الرأيين

وأقصى ما يمكن بسته له من الرأي في هذه القضية أن الأدلة التي احتج بها القاضي (عبد الجبار المعتزلي) لا تحسم الأمر. وهذا كل ما هنالك. فأين ما نسبه زيكو إلى ذلك المفسر الكبير؟

وبهذا نكون قد فرغنا من تفنيد سخافات زيكو في المقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام، وبقيم نحن مقارنتنا بين النبيين الكريمين، ولكن على أسس منطقية وتاريخية وحضارية سليمة. فالتوحيد الذي نادى به محمد بقي كما هو، والحمد لله، رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على رحيل سيد الأنبياء عن الدنيا، ورغم كل الدواهي والنكبات التي نزلت على رؤوس المسلمين، ورغم المؤامرات التي حاكها ومازال يحيكها الصليبيون والصهيونية ضدهم وضد دينهم، بخلاف جمهور أتباع عيسى عليه السلام الذين سرعان ما غشت أيديهم عما أتاهم به من التوحيد النقي. كذلك فتلاميذ عيسى قد تركوه عند أول محنة حقيقية وهربوا تاركين لخلدهم حين جد الجد الرومان ليقتص عليه حسبما تقول الأناجيل ذاتها، رغم أنه قد أنبأهم بأنهم سوف يضربون ويعذبون وحيدا في يد الأعداء، ورغم تأكيدهم مع ذلك أنهم لن يتخلوا عنه. بل إن بطرس قد أنكر معرفته به وأقسم بالله إنه لا صلة له به على الإطلاق. أما صحابة محمد فكانوا يفدونه بالنفس والنفيس. وقد بايعوا عليه مثلا في غزوة أحد وتحملوا عنه السهام بظهورهم. ولولا ذلك لكان من الممكن أن تصل إليه يد الكفار بالأذى الشنيع، إذ كانوا حريصين أشد الحرص على قتله آنذاك! كما أن رسالة محمد هي رسالة عالمية، على عكس رسالة عيسى التي كانت خاصة ببني إسرائيل. ليس ذلك فقط، بل إن دعوة عيسى عليه السلام كما تصورها لنا الأناجيل ليست أكثر من مجموعة حفنة نسوذها المثالية التي لا يمكن تحقيقها في دنيا البشر، أما رسالة محمد فرسالة شاملة، إذ هي رسالة عقيدية خلقية اجتماعية

اقتصادية سياسية ثقافية . بعبارة أخرى هي رسالة حضارية تغطي جميع جوانب الحياة . ومرة ثانية لا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن محمداً قد وضع رسالته موضع التنفيذ و التطبيق ونجح في ذلك نجاحاً مذهلاً لم يحدث من قبل ولا من بعد ، وكانت ثمرة ذلك أن انبعث الله على يديه أعظم أمة ظهرت من العدم فحققت في الدنيا العالمية وأصبحت سيدة العالم لقرون طويلة . ومثال أو مثالان هنا يغنيان عن ضرب غيرهما ، فإن أمة لم تبلغ في نجاح الحضارة ما بلغته الأمة الإسلامية بفضل دعوة محمد وبقيت بدعوة محمد ، أما أمم الصربية فالحضارة جزء لا يتجزأ من حياتها كما أن الرهبانية التي ابتدعها مذعور لتمسك بدين المسيح والتي حذرنا منها رسول الفطرة لغته المستقيمة قد حرّمت ورائها الحرافات حسية خطيرة ومستطيرة ، ليس أكلها الاعتداء على العقول والنفوس حتى في أقدس الأماكن عندهم ، فضلاً عن العلاقات غير الشرعية بين الرهبان و الراهبات . وكذلك الملايين من الأوربيين و المسيحيين بين الأحياء على حسب ما نقرأ في الصحف هذه الأيام . وهذان مثالان اثنان لا غير على نجاح الخارق الذي أحرزته دعوة رسول الكريم والذي لم تستطعه دعوة أي نبي أو مصلح آخر على مدار التاريخ البشري كله . أما دعوة عيسى عليه السلام حسبما يدعيه قسم يسمى بـ " الأناجيل " فلم تطبق ولو ليوم واحد . بل طول الوقت نراه جمعة من المرضى والمنسوسين والعُرج والبُرص و العُمْي يفدون على السيد المسيح طلباً للبركة والشفاء ، مع بعض المواعظ المشجية ، وكان الله يحب المحسنين ومرة ثالثة لا ينتهي الأمر هنا . ذلك أن عيسى ، كما نقرأ في الأناجيل ، لم يأت إلى قومه بشريعة ، ودعا من نقضه الشريعة الموسوية زعم أنه قد أكد أنه لم يأت لينقض الناموس ، بل ليكمله ثم جاء بولس فألقى على البقية الضئيلة من تلك الشريعة! ومرة رابعة لا تنتهي المسألة عند هذا الحد ، إذ لو

نظرنا في الموضوع من الزاوية الشخصية نجد أن هناك فرقا بين محمد وعيسى كبير. فمحمد كان يعيش حياته كاملة فتروح وتغيب ذريته، أما عيسى فلم يتزوج هذا الجانب من جوانب شخصيته. وقد كان محمد حين يروح وتأتي عرفته الأرض، أما عيسى فلا شك أن حياته لم تعرف هذا الشيء.. وإن كنا لا نقف أمامه طويلا ولا نستطيع أن نتدخل برأينا في الجانب الذي من أجله لم يقض له عليه السلام أن يتزوج ويتجب كما يفعل الرجال في الظروف العادية. إلا أننا نستنكر بشدة ما يتهمه به بعض الملاحدة الغربيين المحرومين من أنه عليه السلام كانت له علاقات منحرفة بهذه أو بتلك من أتباعه. نستغفر الله العظيم من هذا الرجس النجس الذي يراد به تلويث عرض واحد من أطهر الرسل الكرام. وأخيرا وليس آخرا، أين ما نرى ذهب الإنجيل الذي بشر به السيد المسيح؟ إن الذي بين الأيدي الآن إنما هو مجموعة من السير كتبها بعض متتبعي أتباعه بعد وفاته بعشرات السنين ودون أن يلتزموا فيها بأي منهج، بل كل ما اعتمدوا عليه هو الأقاويل التي سمعوها من هنا وهناك وأوردوها بعقلها وعُجرها وبُجرها دون تمحيص. وهذه السير ليست هي السير الوحيدة التي وصلتنا، بل هناك سيرٌ أخرى أهملتها الكنيسة وأخذت بهذه. ولا أحد يعرف السبب الذي على أساسه تمت هذه التفرقة! أما القرآن الذي نزل على قلب محمد فبقي كما هو لم يتغير فيه شيء. وبهذه الطريقة يمكننا أن نعرف الفرق الجوهري بين محمد وعيسى عليهما السلام وبين الأشخاص، كما قلت، بأحوين أخ أكبر (هو محمد)، وأخ أصغر (هو عيسى)، عليهما وعلى جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه!.

* * *

أيهما أعظم: محمد أم المسيح ؟

أيهما أعظم: محمد أم المسيح؟

الدراسة التي بين يدي القارئ هي في الرد على كتاب من الكتب التي تملئ بها مواقع النصارى المبشرين يتحدثون بها المسلمين، وعنوانه "من هو الأعظم؟ المسيح أم محمد؟ سؤال لا بد من جوابه" رواية دينية بعد حادث واقعي" ولاحظ أن عبد المسيح ورملاءه، وهم مؤلفو الكتاب المذكور، يتكلمون عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، لا على أنه مدعيٌ كذاب، بل على أنه نبي كبير وعظيم من عظماء البشر، بل على أنه ثاني أعظم عظماء هما المسيح ومحمد عليهما السلام. وقد قمت في الدراسة التي نحن بصددها الآن بتقسيم كتاب عبد المسيح ورملائه إلى عدة أقسام، بادئ أولا كل قسم من هذه الأقسام بمقدمة واحدة، ثم متبعًا إياه بالرد المطول على ما فيه، بكل عفف وخشين. وبعد هذا التوضيح أترك القارئ مع الكتاب والرد عليه ليحكم بنفسه لنفسه في هذا الموضوع الهام

من هو الأعظم؟ المسيح أم محمد؟

سؤال لا بد من جوابه - رواية دينية بعد حادث واقعي

عبد المسيح وزملاؤه

* * *

تمهيـــد

* نعيش في عصر السرعة حيث فرّت الفترات السريعة القدرات المعدة، وتحرك فيض الكتب وبرامج التغريبون قلوب الشعوب، وتخبط العقل والأحساس تخبطًا وتصدر الأسئلة وتدور الأبحاث، فيبغي على الجميع أن يتساءلوا ما هو الحق الأزلي؟ وما هي الأفكار السامية التي تقنعه بتصديق صالح وبدون شعور؟ فكل من يتعلم الاستماع والإصغاء لآراء الآخرين يكتسب أفقًا أوسع من محيطه المحدود.

** ونحن مع عبد المسيح وزملائه في أن يفتح الناس جميعًا عقولهم وقلوبهم لمعرفة ما في أيدي الآخرين وتقبل البضاعة التي يعرضونها قبل أن يصدروا حكمهم عليها، بل حكمه على شيء فرع من تصوره. أما إذا كان التصور غير موجود أصلًا لأن الإنسان لم يطلع على ذلك الشيء، فهل يا ترى من المستطاع له أن يصدر حكمًا بشأنه؟ بالطبع لا. والمعروف أنه في كل مرة من المرات التي كان الكفار يعترضون على نبينا الكريم كان القرآن يتدخل معهم في حوار ويجادلهم ويعرض ما عنده في سعة صدر، وبنفس عندهم تمطق مفحم، ويطلب منهم دائمًا تشغيل مخهم وعرض كل شيء على عقولهم قبل أن يرفضوه. ولم يقع قط أن صادر حقهم في التفكير ولا في القبول والرفض. كذلك يعلن القرآن في مواضع متعددة منه أن العقل هو أساس الإيمان، وأن كل إنسان حر في أن يؤمن بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أو يكفر، فهذه مسؤوليته الشخصية، لا دخل لأحد سواه فيها، ولا حساب عليه إلا في حدود وسعه. وعلى هذا يسعى أولًا أن يُعرض الإسلام عليه عرضًا حسنًا يُبدي عما فيه من روعة وبديع، وإلا فكيف يمكن أن يكون هناك حساب لمن لم يعرف شيئًا عن الإسلام، أو عرفه ولكن بطريقة مشوهة تستر محاسنه وتضفي عليه عيوبًا لا يعرفها ولا نعرفه.

وليس ثمة وسيلة يمكنه بها أن يعرف الحقيقة في أمر ذلك الدين ؟ قال سبحانه وتعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"، "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، "قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون"، "كذلك زينا لكل أمة عملهم، ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون"، "وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر"، "قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد". خلاصة القول أنه يوافق محمد عبد المسيح وأصحابه فيما يدعون إليه في هذه الفقرة التمهيدية.

• • •

١- السؤال المثير

• أعد أحد خدام الرب زيارة السجون في إحدى البلدان العربية بتغلغل طريق الحياة للمسجونين. وكان يحصل على رخصة رسمية من دوائر الحكومة لزيارة كل من يريد أن يسمع بشارة الحق والسلام التي تطهر القلوب وتغير الأذهان. وكان خادم الرب هذا يدخل السجن بدون مرافقة حارس، ويقف الحارس ومتأكد أن البحث الصريح لا يجري مع المسجونين تحت مراقبة، فكان يتقدم منفرداً إلى عنبر المجرمين ويجلس معهم. دخل مرة إلى جماعة من المسجونين محكوم عليهم بالسجن أكثر من عشر سنوات، وكانوا قد عرفوه من زيارته لسجنهم وتعودوا أن يستمعوا إلى إرشاداته للحق ويشرى الخلاص. وكانوا يسجنون بعد خروجه حول حظائره بشدة وحماس لا نظير لهما. لما دخل هذه المرة إلى زنزانتهم أقفلوا الباب وراءه فقالوا له: "لن تخرج من هذه المعركة إلا إذا حولتنا حولنا قاطعاً وصريحاً على سؤالنا". فرد خادم

الرب عليهم قائلا: إني آتي إليكم طوعًا وبدون حارس مسلح وأقدم لكم أحبوه من كلمة الله بقدر إمكانياتي، وما لا أعرفه لا أقوله. فأحبوه. لا تنظروا مني أسرارًا عن النجوم، ولا أساليب للسحر بل تطلب مني كرجل دين حر، قاطعًا وبهدوء على السؤال المتداول بينهم من هو الأعظم؟ محمد أم المسيح؟ لما سمع خادم الرب هذا السؤال قال في نفسه وهو في حيرة: إن قلت إن محمدًا هو الأعظم يهجم المسيحيون، لأن الجالسين في هذه الدير به كانوا مجرمين وبلا ضمير. وإن قلت إن المسيح هو الأعظم لربما يقوم أحد المسلمين علي ويكسر رقبتي من شدة غيظه، علما أن كل من يهين محمد أو يشتمه يُعتبر عند بعض المسلمين مجدف يستحق الموت. فصلى خادم الرب في قلبه مسئلا ربه ليُلهمه الإجابة الحكيمة لمنعهم هؤلاء المسحاء. وكل من يسأل يرشاد الرب في الأوقات الحرجة يملأ منه حوارا فوريا فألهم الروح القدس هذا الخادم المتصابق، وهو خلف الباب المغلق، حوارًا واضحًا قلمه بتواضع. ولم تلاحظ خادم الرب أثناء صلاته المضمنة بالإجابة على هذا السؤال قال له المسحاء لا تهرب من مسؤوليتك، ولا تكن جبانا، بل اشهد بالحق كله. فسمعهد نك بأن تتركك بلا إجابة ولا مصيفة مهمة قلت لا تكذب ولا تخف أفكك لك، بل أجبهم بالحق الكامل. فتشجع وقال لهم يقول الرب مستعد أن أقول لكم الحق الصريح. بل سؤال المطروح أمامي ليس هو الموضوع الذي أعددته لكم اليوم من الكتاب المقدس، ولكني مصمم على أن تسمعوا البشارة بين محمد والمسيح فلا أخفي عنكم حقيقة إنما لست مسؤولاً على ما ينتج عن شروحاتي، بل أنتم المسؤولون لأنكم خرجتموني على جادة سؤال تم أطرحه وما توجه إطلاقًا. فهذا هو الذي لا أقر لك من هو الأعظم. بل اترك القرآن والحديث أن يُعطيكم جواب مقنع. تأملوا في القرآن تأملوا الحق فتعرفوا الحق المحمي، والحق يحرركم

** بالنسبة لهذه القصة يؤسفني أن أقول إنها لا تدخل العقل ، بل هي من اختراع المؤلف أو المؤلفين ، اخترعوها لتكون إطارا فنيا مشوقا متوسمين أن يكون الإقناع بها على هذا النحو أشد وأفعل في نفس القارئ ، وإلا فأية دولة عربية تسمح لواحد من غير ضباط السجن وحنوده أن يدخل زنازين المسجونين ، فضلا عن أن يترك المسؤولون في السجن باب الزنزانة ورء الوعاظ ليقوم المساجين بإغلاقه بأنفسهم من الداخل (الله أكبر !) أو تركه مفتوحا حتى يخرج أو يعن لهم لا حتى يريد المسؤولون في السجن؟ إن المنع في مثل تلك الحالة هو إخراج المساجين من زنازينهم إلى قاعة كبيرة حيث تتم أمثال تلك المقابلات ، أما في الزنزانة فلم نسمع بمثل هذا في أي من الأوقات! ثم كيف يا ترى يمكن أن نصدق لجوء المسلمين لواحد من القسس لحسم السؤال موضوع القصة؟ وهل يشك المسلم في هذه القصة ، بله أن يلجأ إلى قسيس يعلم هو قبل غيره أنه سيختار المسيح بطبيعة الحال؟ وكيف لم يلجأوا إلى عالم مسلم يستفتونه في هذه المسألة إن ثار في أذهانهم مثل هذا السؤال أصلا؟ ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء والمرسلين ويحترمونهم كلهم وهم ، وإن آمنوا بأن محمدا هو أفضل الأنبياء ، لا يجعلون منه قضية يدخلون بسببها في مجادلات ومماريات مع كل من هب ودب

ولنلاحظ التفرقة التي صور بها الكاتب أو الكتاب رد الفعل عند كلا الفريقين فأقصى ما سيفعله النصارى بالقسيس إن اختار النبي محمدا أنهم سيهاجمونه ولنأخذ القارئ بباله من أنهم "سيهاجمونه" وكفى دون أن يكون هناك تحديد لنوعية هذا الهجوم ، وهو ما قد يعني العمل على ضربه دون أن يشعروه بالتهديد بالضرورة فهذا ما يمد على الذهن حين يسمع كلمة "يهاجمونه" أما عندما وصف استجابة المسلمين لتفضيله المفترض للسيد المسيح فقد قال تحديدا "وإن قلت إن المسيح هو الأعظم لربما يقوم أحد

المسلمين عليّ ويكسر رقبتي من شدة غيظه، علمًا أن كل من يهين محمدًا أو يشتمه يُعتبر عند بعض المسلمين مجدفًا يستحق الموت" والفرق واضح للأعمى، وهو يعني أن الكاتب أو الكتاب يصف المسلمين بالقسوة والتعصب، بخلاف النصارى، فمن أقصى ما يُتوقع من مجرميهم عديمي الضمائر أن يهجموه، لكن دون أن يكسر أحد منهم رقبته على الإطلاق كما حدث في الوقت الذي ينص على أن الموت ينتظر من يشتم النبي محمدًا فمن النصارى لا يفكرون في شيء من هذا القبيل ولم لا، وهم ليس متحضرون حتى لو كانوا مساجين مجرمين بلا ضمير؟

ولكن قبل ذلك كله كيف يريد من مؤلف القصة الاقتناع بأن أمثال هؤلاء المجرمين عديمي الضمير (كما يسمونهم) يمكن أن تشغل عقولهم في السجن (مرتع الجرائم والفساد كله) مثل تلك القضايا الدينية التي لا تفيد إلا عتاة المجرمين ممن ارتقوا في تدينهم وقطعوا في ذلك أشواطًا بعيدة؟ ثم قبل قبل ذلك كيف تسمح السلطات في بلد من البلاد أن يدخل وعظ من دين ما الزنزانة على جميع المساجين من كل الأديان دون أن تقرر ألباء دينه على حدة فيكلمهم براحته في شؤون دينهم دون أن يزعجوا الآخرين بما يقولون، بل كيف يمكن أن تقوم بسيطة فتنة في الزنازين لا يعلم مدى فداحتها إلا الله وحده؟ بل هل يمكن أن يقبل العقل ترك السلطات المسئولة في السجن واعظًا نصرانيًا يدخل على مساجين مسلمين يبشرهم بدينه مع ألباء طبيعته؟ الحق أن هذا كلام لا يهضمه العقل مثلما لا يهضم العقلُ معكوس هذا الوضع من سماح السلطات في بلد نصراني لواعظ مسلم بالدخول على المساجين النصارى يعرض عليهم دينه ويعمل على إدخاله فيه! وأخيرًا فماذا عني بجعل المجرمون عديمو الضمير أن يقولوا مثل هذه العبارة المتوقعة "لا ينتظر منك أسرارًا عن النجوم ولا أساليب السحر بل يطلب منك كرجل

دبس حواراً قاطعاً ونهائياً على السؤال المتداول بيننا: من هو الأعظم؟ محمد أم المسيح؟" ؟ وهل يا ترى سوف يقتنع المسلمون بما سيقوله واعظ نصراني عن تفضيل المسيح؟ وكيف يعرفون أنه صادق في حكمة أو كاذب؟ ما معيار الصدق والكذب هنا؟ إنه ، الذي ستأتي في قصتنا ، هو أن محمداً الأفضل ، وما عدا هذا لن يكون في نظرهم صدقاً على الإطلاق!

ونصل إلى العبارة الأخيرة ، وهي تكشف أن القصة كلها ، كما قلت أنفاً ، قصة مخترعة ، فها هو ذا القسيس يقول إنه سوف يترك القرآن والحديث يعطيانهم حواراً مقنعاً . أي أن الكلام موجه إلى المسلمين وحدهم ، وهو من ثم لا يريد أن يقدم لهم دليلاً من خارج الكتاب والسنة اللذين لا يؤمنون إلا بهما . فأين ذهب النصارى إذن؟ أولم يكونوا ضمن من كانوا يتحاورون في تلك القصة وسألوه الحوار فيها ، وخاف هو نفسه منهم أن يهاجموه إذا أجابهم بما لا يتوقعونه ولا يريدونه؟ ثم إن قوله: "إن قلت إنّ محمداً هو الأعظم يهاجمني السجناء المسيحيون" هو دليل آخر على أن القصة مخترعة مفتراة ، إذ كيف يتصور أن من المستطاع إقناعنا بأنه يمكن أن يصدر الحكم منه لصالح محمد ، وهو الذي يؤمن بأن المسيح إله أو ابن الإله ، ومحمد على أحسن تقدير هو مجرد نبي؟ فمن يا ترى يضع النبي البشر قبل الإله؟ إنهم إلا إذا أرادوا أن يقولوا لنا بأنه كان واعظ تجريدياً لا ينتمي إلى أي دين ، بل يدعو إلى الفضيلة المطلقة دون ربطها بعقيدة أو عبادة معينة . لكن هذا الافتراض يكذبه تسميته بـ "عبد المسيح" تكذيباً شديداً! كذلك فإن الواعظ النصراني يعلن أنه سوف يتخذ معياره من القرآن والحديث النبوي ، فهل سيفي بوعده فعلاً ويلتصق بكتاب الله وسنة نبيه لا يحرج عنهما ، أو سوف ينسى هذا الوعد ويخرج عنهما إلى العهد الجديد ولو بين الحين والحين ، علاوة على تفسيره لنصوص القرآن والسنة بما لا يقبلانه من تفسير؟ لن

سيدع بالحوات الأب ، وعما قليل سوف نرى ما يفعله خادم الله بنفسه

* * *

٢- ولادة محمد والمسيح

* يعرف الجميع أن أبا محمد هو عبد الله ، وأمه هي آمنة فكان محمد بشرًا حقًا من والد معروف وأم محترمة لم يذكر القرآن ولا يقول عنه الإسلام إن محمدًا وُلد بطريقة غير طبيعية ، فلم تحفه بشارة ملاك ، ولا وُلد من كلمة الله ، بل وُلد بطريقة طبيعية مثل باقي الناس من أبيه عبد الله وأمه آمنة . وحيثما القرآن مرارًا أن المسيح لم يولد بطريقة طبيعية كسائر البشر ، ولم يكن أبوه بشرًا ، فوُلد من مريم العذراء بدون تدخل أي رجل لأن الله نفخ من روحه فيها فالمسيح هو الإنسان الوحيد الذي وُلد من روح الله (سورة النساء ٤: ١٧١ ، وسورة الأنبياء ٢١: ٩١ ، وسورة التحريم ٦٦: ١٢) ليس المسيح ابن إنسانًا عاديًا بل روح إلهي وبنفس الوقت جسد عادي ، وُلد من روح الله ومن مريم العذراء لم يولد محمد من روح الله ، إنما وُلد من أب حق وأم حقة ، فهو جسد عادي فقط لا روح إلهي

** وأن أن محمدًا قد وُلد من أب وأم معروفين ومحترمين فهذا مما لا يختلف فيه أحد ، وإن كان قد ظهر بين الحمقى المؤثرين من المنصرين في الفترة الأخيرة من يستغله ويشكك في هذا كتشكيكهم في كل ما هو ثابت في الإسلام لم يكن موضع شك أو جدل يومًا من الأيام ، لكنها الحظة التشويهية الخبيثة ودعاياتها الفجة التي يظن أصحابها أنها يمكن أن توصلهم إلى شيء بعدما ذاقوا مرارة عجزهم عن أن ينالوا من المسلمين مثالًا ، فكان لا بد لهم من اللجوء إلى الكذب ، كالقمص العبيط ، الذي يأتي في برنامجه بعض المعاتيه من شبان النصارى ويسمي كلًا منهم بـ "الأخ محمد" ، وكأن

كل مسلم اسمه "محمد"، وكان المبشرين النصارى يتركون أى متنصر على اسمه القديم، فضلا عن أن يكون هذا الاسم هو "محمدا"، الذى لا يوجد فى الدنيا كلها اسم يسبب هم هرشا فى الجلد وانتفاخا فى القولون وصداعا فى الرأس مثله! كما يلجأ القمص الكذاب إلى رفع "دائرة المعارف الإسلامية" الاستشراقية التنصيرية سيده فى وجه المشاهدين كلما ظهر فى برنامجه قائلا لهم: أنا لا آتى بشىء من عندى، بل أستقى كلامى من الموسوعة الإسلامية، موهما الجهلة الذين ليس عندهم بأس من الأمر أن تلك الموسوعة إنما كتبها مسلمون لا يهود ونصارى وملاحدة عربيون يكرهون محمد ودين محمد كراهية التعمى، بل كراهية الموت. وهو أسلوب لا يليق بمن يزعم أنه يتكلم باسم الله ويدعو الناس إلى الصراط المستقيم، على حين أن صراطه كله التواء وحيد شيطانى، وإن كان مفضوحا لدى كل من لديه ذرة من العلم بتلك الأمور. لكن مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا لا ينتهج منهج القمص السليط اللسان، بل يقف عند حدود الأدب، أو على الأقل حدود المجاملة. وهو ما نشكره له ونحمده عليه كلما وجب ذلك ولم يتعارض مع أى من اعتقادات دينه أو عقيدته. فشكرا له على هذا وعلى كل ما قاله فى الكتاب، وهو غير قليل، أيا ما كان باعثه على ذلك، أى سواء قاله من قلبه وضميره أو كان الدافع له هو مجرد المجاملة كما قلت. ومنه أن محمدا نبى كريم، وأن دينه دين عظيم ومن إلى ذلك، مما يعيد شكره عليه محاولين أن نرد بنفس الأسلوب ما أمكن، وهو ما يدلّ على أننا لا ننتهج نفس الطريقة مع جميع المخدّرين من أتباع الديانات الأخرى، بل نميز بين مجادل مهذّب، فهذا نحافظ على مشاعره، وخبير نحس دنس حقير، فهذا ليس له عندنا إلا الحذاء.

وأما أن محمدا لم يولد بطريقة غير طبيعية فهذا صحيح، إذ وُلد كما يولد

سائر البشر من أب وأم بشريين ، وإن كان هناك من علماء المسلمين من أحاط مولده صلى الله عليه وسلم بطائفة من الأعاجيب كالشجرة التي تلقته أمه وهي دانية منها بسهيل ولادة طفل لا نظير له ، وكتصدع إيوان كسرى وسلاح بوار أصاء ما بين الشام ومكة ، وغير ذلك من المعجزات التي لا يصدّق بها إلا بعض علماء المسلمين لا كلهم ، وبخاصة أن القرآن لم يذكر شيئا من هذا ولا السنة النبوية الصحيحة وهو مما يُحسب للإسلام ونبيه ، الذي لو كان نبيا رائعا كما يتهمه الحقدة من مروّجي الأكاذيب لزعم المزاعم حول ميلاده وشخصيته ، لكنه لم يفعل ، لسبب بسيط هو أنه ليس مؤلف الدين ، بل مجرد رسول نزل عليه القرآن فبلّغه كما هو للعالمين دون زيادة أو نقصان أو تحريف .

وأما أنه عليه السلام لم يُولد بكلمة الله فهذا ما لا نوافق عليه بطل القصة المخترعة ، إذ ما من شيء في الدنيا إلا وقد أتى إلى الوجود بكلمة الله "كن ، فيكون" . قال عز شأنه: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن ، فيكون" ، "إنما أمرُنا لشيء إذا أردناه أن نقول له: كن ، فيكون" . كما نص القرآن على أن مولد عيسى ، وإن اختلف قليلا عن الوضع الطبيعي لتوفر الأم فيه دون الأب ، فهو لا يختلف عن ميلاد آدم من حيث إن كليهما تم بكلمة الله "كن فيكون" : "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . خلقه من تراب ثم قال له: كن ، فيكون" . بل إن أمر آدم أعجب وأدعى إلى الدهشة بالنسبة لنا نحن الذين تعودنا على أن نرى المواليد يأتون من حواء النقاء الحسي بين رجل وامرأة ، لا من تراب ، وهو يزيد بما لا يقاس عن ميلاد المسيح من مريم فقط عليه السلام مما يفسره اليهود الملاعين بأنه ثمرة الخطيئة بين الأم ورجل من البشر يقولون تارة إنه يوسف النجار ، وتارة إنه جندي روماني ، وهو ما يرفضه المسلمون تماما ويعدون القول به كفرا بواحا لا ريب في

ذلك ووجه الإبعاد في العجب والدهشة في أمر آدم أنه خلق من تراب، لا من أب وأم ولا من أم فحسب، بل من تراب وهو أدعى إلى العجب والدهشة من أمر ميلاد المسيح كما هو واضح وضوح الشمس.

وأما قوله إن القرآن يجعل مريم أن المسيح لم يولد بطريقة طبيعية كسائر البشر، ولم يكن أبوه بشرًا، فوُلد من مريم العذراء بدون تدخل أي رجل لأن الله نفخ من روحه فيها. فالمسيح هو الإنسان الوحيد الذي وُلد من روح الله (سورة النساء ١٧١، وسورة الأنبياء ٩١، وسورة التحريم ١٢) فقط، وفيه فالمسيح فعلا لم يولد بالطريقة الاعتيادية التي يولد بها سائر البشر من بعد آدم وحواء، لكن القرآن لم يقل إنه لم يولد من أب بشري بل يومئ بأنه هذا الكلام من معنى، بل الذي فيه أنه لم يولد من أب بشري أو غير بشري، ولا فيه أيُّ كان على أي نص في كتاب الله يقول إن عيسى قد وُلد من أب غير بشري. القرآن واضح الدلالة في أن عيسى هو ابن مريم فقط، وهذا سُمّي كثيرًا في القرآن بـ"عيسى بن مريم" أو "المسيح عيسى بن مريم"، وهو ما ليس له من معنى إلا أنه ابن امرأة فحسب، ولا أب له على الإطلاق لا بشري ولا غير بشري. وأي قول بأنه هو ابن الله كما يُلمح الواعظ هنا من طرف خفي هو كفر وشرك صراح لا جدال في ذلك. وهذه النقطة هي أحد الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية، ولكل إنسان أن يؤمن بما يريد لا مشاحّة لأحد سواه في ذلك، لكن هذا شيء، والتلميح بأن القرآن يقول بنبوة المسيح عليه السلام لله شيء آخر مختلف تمام الاختلاف، ولا يتماشى مع عقيدة الإسلام ولا نصوص القرآن والسنة في قليل أو كثير. وأي محاولة للتضليل في هذا السياق هي محاولة مقصيٌّ عليها بالفشل ولا تجدي صاحبها فتيلا، فلا داعي لها إذن. المسيح في الإسلام هو عبد الله ورسوله لا غير، مثله مثل نوح وإبراهيم وموسى

وزكريا ويحيى وعيسى وهود وصالح وشعيب لا أكثر ولا أقل، مع اختلاف المدد التي مرت من رسول إلى آخر، ورغيمهم كلهم هو محمد عليه السلام، إذ هو رسول للعالمين جميعا وخاتم النبيين والمرسلين، كما أنه لم يكن رسولا فقط، بل وضع بمدينة موضع التطبيق، فكان رئيس دولة وقاضيها، وكذلك قائدها العسكري في معظم الأحيان.

وينفي قوله إن المسيح هو الإنسان الوحيد الذي وُلد من روح الله، وهذا أيضا قول لم يقل به القرآن المجيد، بل قال إن البشر جميعا قد نُفخ فيهم من روح الله، إذ جاء في سورة "السجدة" ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة ٦ - ٩]، وفي سورة "الحجر": ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر ٢٨ - ٢٩]، وفي سورة "ص": ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص ٧١ - ٧٢]. بل جاء أيضا في القرآن قوله تعالى إن الله سبحانه قد أوحى إلى محمد روحا من أمره: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى ٥٢]. فهل بعد هذا يمكن المجادلة بأن عيسى هو الوحيد الذي وُلد من روح الله؟ لا إخال هذا ممكنا أبدا! وعلى ذلك فقول الواعظ في آخر الفقرة السابقة: "ليس المسيح إذن إنسانا عاديًا بل روح إلهي، ونفس الوقت جسد عادي، إذ وُلد من روح الله ومن مريم العذراء. لم يولد محمد من روح الله إذ وُلد من أب حق وأم حقة، فهو جسد عادي فقط لا روح إلهي" هو كلام لا يمكن التسليم به لأنه تقوُّلٌ على الله والقرآن بغير حق كما

رأيا معا كذلك فقوله إن المسيح عليه السلام، حسبما جاء فى القرآن، روح الله، هو كلام خاطئ تماما، فالقرآن يقول إن الله نفخ فى مريم من روحه، ولم يقل إن عيسى هو روح الله، مثلما قال إن الله نفخ فى الطين من روحه فكان الإنسان الذى هو آدم وحواء وأولاد آدم وحواء إلى يوم يبعثون. لو أنه قال إنه وقومه يؤمنون بهذا فلا تثريب عليه، إذ هو حر فى اعتقاده رغم أنا نراه مخطئا فى هذا الاعتقاد. كما أنه قد أخطأ فى نسبة هذا الاعتقاد إلى القرآن، ولن نقول إنه "كذب" فى ذلك، جريًا على ما قلناه قبل قليل من أنا سوف نتمسك بأهداب المجاملة إلى أقصى حد ما دمنا لن نخرج على مقتضيات إيماننا بالله وبرسوله وكتابه المجيد.

* * *

٢- الوعود الإلهية عن محمد والمسيح

* نقرأ في القرآن بخصوص المسيح أن الله بشرّ مريم العذراء أنه سيُولد المسيح منها. فالقرآن يقول: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران ٤٥]. فالقدوس نفسه بشر لمريم البشرى السارّة عن ولادة المسيح وسمّاه: كلمة منه. لقد استمع كل الأنبياء الصالحين إلى كلمة الله ونقلوها بإخلاص مهما كلّفهم الأمر. أما المسيح فلم يسمع الوحي، بل هو كلمة الله المتجسّد. وحلّ فيه سلطان الكلمة الإلهية بقوتها الخالقة الشافعة الغافرة المعزّية والمجدّدة. فلأجل ذلك أعلن الله مسبقًا ولادة المسيح لمريم العذراء شخصيًا مؤكدًا لها الأعجوبة العظمى. لم نقرأ في القرآن عن محمد أنه كلمة الله المتجسد، إنما نقرأ أنه تلقى الوحي ونقله إلى مستمعيه. ولم يبشر الله أمه آمنة بشارة خاصة، ولم ينفخ روحه فيها، أما مريم العذراء فواجهها الملاك جبرائيل المرسل من الله فقبلت

منه روح القدس . وأصبحت المختارة بين النساء كقول القرآن ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران ٤٢) وقد ورد اسمها في القرآن ٣٤ مرة ، بينما لم يرد اسم أم محمد ولو مرة واحدة

** لا خلاف على ما قاله الواعظ عن تبشير الملائكة مريم بولادة المسيح ، إذ الواعظ لم يرد على أن نقل ما نقرؤه في القرآن عنه عليه السلام ، ولكنك لن تقف أمامه ، بل ستنقل لما قاله الواعظ بعده من أن عيسى هو كلمة الله المتجسد ، وهو ما لا وجود لشيء منه في القرآن البتة ولو كان هذا كلاماً يعبر به الواعظ عن عقيدته في السيد المسيح لكان حرٌّ فيه . أما أن ينسب ذلك للقرآن فلا بد أن يقف وموقفه قانلين له إنه قد أخطأ خطأ فاحشاً ، إذ ليس في القرآن في أي موضع منه أن عيسى عليه السلام هو كلمة الله المتجسد ، فالله في الإسلام يستحيل أن يتجسد لأنه ليس كمثله شيء . ومعروف أن هناك أشياء متجسدة لا تقع تحت حصر والإحصاء . ومن ثم فالله لا يشبهها ولا يتجسد تجسدها . كما أنه سبحانه هو الأول ، فلا شيء قبله ، والآخر ، فلا شيء بعده ، أما الأشياء المتجسدة فلها بداية ونهاية ، ووجودها محدود ، وليست أول شيء ولا آخره كما أن قوله إن عيسى (طبقاً لما ورد في القرآن) لم يزل عليه وحي هو قول خاطئ لا أدري من أين أتى به . ففي سورة " النساء " يطالعنا قوله عز وجل ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (النساء ١٦٣) . وفي هذا النص نقرأ أن الله قد أوحى إلى عيسى كما أوحى إلى محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأيوب إلخ ومثله قوله عز شأنه من سورة " المائدة " ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴿٤٦﴾ [المائدة: ٤٦]، فـ "إيتاء" الله عيسى الإنجيل هو هو نفسه "إيحاؤه" إياه إليه. أما لو قال واعظنا إن هذا هو اعتقاده خرج بذلك من العهدة وأراح وأراح نفسه، أما أن يعزو شيئ إلى القرآن ليس في القرآن فدون ذلك خرط القتاد كما كان العرب يقولون. ومثل ذلك قوله جلت قدرته: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧]، ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠]، فالله أرسل روح القدس لتأييد عيسى عليه السلام، وهو ما يشبه قوله سبحانه في سورة "النحل" وسورة "الشعراء" على التوالي عن القرآن الذي أنزله سبحانه على محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]. ولا شك أن تخصيص القرآن سورة كاملة فيه لمريم عليها السلام وعدم تخصيص مثلها لأم الرسول الكريم ولا لأحد من زوجاته إنما هو برهان لا يُصدّ ولا يُرَدّ على أنه رسول الله حقًا وصدقًا من رب العالمين، وإلا لتحول الأمر عنده إلى منافسة شرسة فعفّى على ذكر مريم وصنع بدلا منه شهرة لسانه وأمه فيا لعظمة النبي الكريم!

وعلى ذلك فكل ما رتبه الواعظ على هذا هو عندنا مرفوض رفضا باتا جملة وتفصيلا، فسلطان الله وقدرته وقوته الخالقة لم تحلّ في عيسى قط، وما

كان هذا أن يحل ، لأنه عليه السلام في القرآن ليس أكثر من عبد ورسول أما إذا كان قد أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى فإننا لا نشح في هذا ، لكن القرآن واضح في ذلك تمام الوضوح ولم يتركه مائعا ، إذ قال إنه إنما كان يصنع من ذلك ما يصنع بإذن الله لا بإذنه ، كما أكد القرآن أنه عليه السلام لا يملك لنفسه ولأحد غيره من الأمر شيئا ثم إن هذه من الأشياء صنع معجزات منهم صنع بل إن العلي الجبار سوف يوقفه أمامه يوم الحساب ويسأله كما يسأل عبده جميعا ، وسوف ينفصل ساعتها من الخطيئة العظمى التي اخترعها بعض الشر حين سموا أو تناسوا أنه عبد واتخذوه إلها . جاء في سورة "المائدة" ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

أَقُولُ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]. وفي سورة "مريم" وسورة "الزخرف" نقرأ أنه قال: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٦]. ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦٤].

* * *

٤- براءة محمد والمسيح

* لما كان محمد فتىً أتى إليه ملاكان وطهرا قلبه. وفي هذا يقول القرآن: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح: ١ - ٣]. ومنذ ذلك الوقت أصبح له اللقب الشريف المصطفى، فلم يكن صفيًا وطاهرًا في ذاته، إنما أحد الملاكان الوزر من قلبه تطهيرًا. لقد

احتاج محمد إلى عملية جراحية للقلب لتنقية فؤاده قبل أن يصبح نبيًا ورسولا لله. نقرأ عن ابن مريم في القرآن إنها ستلد علامًا زكيًا حسب الآية: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم ١٩). واجمع المفسرون العلماء مثل الطبري والبيضاوي والزمخشري أن كلمة "زكيًا" تعني: صافيًا ونقيًا وبلا خطية. فقبل ولادة المسيح أعلن الوحي انه يولد طاهرًا ويعيش بلا إثم. لم يكن محتاجًا إلى تطهير قلبه لأنه كان قدوسًا أصلا. ولم يستمع ابن مريم إلى كلمة الله فحسب، بل كان هو الكلمة ذاته. فلا فرق بين رسالته وسلوكه، إذ عاش ما قاله، وثبت بلا لوم وبدون خطية. يشهد القرآن أن لكل الأنبياء والرسل خطايا معينة، ويذكر الأخطاء لعصمهم، ما عدا المسيح، فكان دائمًا بريئًا وطاهرًا. لقد حفظه روح الله منذ ولادته في القداسة الكاملة رغم طبيعته البشرية، فلم يسقط في التجربة لأنه كان روح الله المتجسد. اعترف محمد شخصيًا ثلاث مرات في القرآن بأن كان يجب عليه استغفار ربه ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر ٥٥). ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد ١٩) ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب ٣٧). ويظهر أن أكثرية المسلمين يرفضون هذه الحقيقة ويؤولونها إلى القرآن هنا واضح ويتكلم بصراحة. كان محمد إنسانًا طبيعيًا مولودًا من والدين طبيعيين، فعاش حياة الفطرة، وأخطأ مثلنا واستغفر ربه عن ذنوبه وخطاياه، أما المسيح فوُلد من روح الله، وهو كلمة الله المتجسد، وعاش قدوسًا وطاهرًا منذ حداثته.

** إن ما قاله الواعظ النصراني عن غسل الملائك قلب سيدنا محمد عليه السلام هو شهادة عظيمة في حقه، إذ معنى ذلك أن الرسول قد أصبح مطهرا من حظ الشيطان، أما المسيح فلم يصنع به الله شيئا من هذا، وهو ما يمكن أن يتعلل به من يريد محاربة الواعظ، لكننا لن نفعل لأن عيبه هي نفسها حقيقة أو على الأقل الاقتراب منها. فنصرف الآن إذن عن هذا الصنيع، وسوف نعود إليه فيما بعد، وليكن المسيح عليه السلام بلا خصيته كما قال الواعظ، أفيجعل هذا منه إلها أو ابن إله؟ الواقع أنه لا صلة بين هذا وذاك، وإنما نقصد الاستدلال بالقرآن فكيف يصح تجاهل قوله تعالى مما سبق ذكره في المقارنة الماضية ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (المائدة ١٧)، ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة ٧٥، ٧٦)، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف ٥٩) إلخ؟ كما أنه سبحانه لم يقل في حق عيسى مثل ما قاله في حق محمد في الآيات التالية، من سورة "القلم": ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤)، وسورة "الانشراح": ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح ٤)، وسورة "النساء": ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء ٨٠)، وسورة "الحجرات": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات ٢ ـ ٣)، وسورة "الأحزاب": ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] مثلا. وبالمثل لم يقرن سبحانه اسمه باسم نبيه عيسى كما قرن نبيه وبين اسم نبيه محمد، ومنه ما نقرأ في سورة "الأحزاب": ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وسورة "الفتح": ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ٨ - ١٠]، وسورة "النساء": ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠]. كما تكرر في القرآن القول بأن محمدًا رسولٌ للناس كافة، على حين أن عيسى رسولٌ لبني إسرائيل ليس إلا. فأما فيما يخص محمدا فقد جاء في سورة "الأنبياء" وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي سورة "سبأ": ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وفي سورة "التكوير": ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ (أي القرآن) إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧]. وأما بالنسبة لعيسى فنقرأ في سورة "آل عمران": ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٤٩]، وفي سورة "الصف": ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ

قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ [الصف: ٦].

وأما وصفه تعالى لعيسى بأنه "غلام زكي" فهو نفسه ما وُصف به "الغلام" الذي قتله العبد الصالح في قصة سورة "الكهف"، إذ وُصف بأنه "نفس زكية" ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤]. فما الفرق إذن بما يعطي للواعظ الحق في الصفة التي يصفهم؟ إن كل الأطفال يولدون أطهارا أنقياء كلهم أجمعين أنقى أصفى، حتى الذين سيصيرون فيما بعد من عتاة المجرمين والقتلة والحرامية المستبدين والزعماء العنصريين. أم هناك من يجادل في ذلك؟ وهذا يقال للأطفال أحباب الله! أم هذا وصف الله عيسى هو بأنه غلام زكي هو دون الأطفال كلهم يولدون دون خطيئة كما هو معروف، إذ يتزنون من بطون أمهاتهم، ونفوسهم وقلوبهم صفحات بيضاء، علاوة على أنهم عند مولدهم لا يكونون حاملين من الإرادة، خيرا كانت هذه الإرادة أو شرا، ومن ثم لا تمكن نسبة الشر إليهم، فالجواب على ذلك هو أن قول روح القدس مريم حسبما ورد في السورة المسماة باسمها الكريم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩]، هو رد على ما كانت قد قالته له نصه منها خشية أن يكون رجلا من الرجال جاء للاعتداء على عرضها وهو ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨]. فكان رده ذاك نصب عا أنه ليس بشرا، وأنه لا يأت للاعتداء عليها، وأن الغلام من ثم سيولد ولادة طاهرة، أي أنها ستُرزقه من الحلال لا من الحرام. ومعروف أن لكي نفهم الكلام لا بد أن ناخذ بعين الاعتبار السياق الذي قيل فيه هذا الكلام، وإلا أخطأنا معناه كله أو بعضه أو الظلال المحيطة به. وهذا هو سياق تلك العبارة التي وردت على لسان روح القدس كاملا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ [مريم: ٧-٢١]. ونلاحظ أن رد الملاك عليها حين استعجبت أن يكون لها ولد دون أن تعرف أحدا من الرجال هو نفس الرد على زكريا عندما بشّره بأنه سيرزقه ولدا رغم تقدمه في العمر ورغم عقم زوجته، إذ سألت مريم روح القدس قائلة: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا [مريم: ٢٠]، فأجابها بقوله: قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ [مريم: ٢١]. وهو ما أجيب به زكريا قبل ذلك في نفس السورة: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ [مريم: ٧-٩]. وانظر الآيتين ٤٠، ٤٧ من سورة آل عمران، فبينهما نفس المعنى. وهو ما يدل على أن مولد المسيح، رغم كل شيء، لا يختلف عن مولد واحد كيحيى. ويمثل له القرآن أيضا في الآية التاسعة والخمسين من سورة آل عمران إلى أنه لا يختلف عن خلق آدم، أي أنه لا ريب فيه عليه السلام بأي معنى من المعاني، بل هو عند الله مثل بقية العباد.

ونتساءل بعد هذا كله أنه "علامٌ زكيٌّ" بالمعنى الذي فهمه الواعظ المصري. فهل معنى هذا أن الغلام الزكي لا تخور عليه الخطأ قط؟ أي لو قلنا به فلان ذكيٌّ أو وقورٌ أو مُجِدٌّ، أيكون معنى هذا أنه هكذا في كل صغيرة وكبيرة وفي كل خطة؟ لا، بل المقصود أن هذا هو الغالب عليه وأنه لا يحيد عن هذا إلا على سبيل الاستثناء. وقد بينا أنه عليه السلام كان يسفعل ويبعس ويشتم، ويتحدث إلى أمه في هجة خشنة لا احترام فيها،

ويأكل من الحقول دون إذن أصحابها ، كما كان يمر على طاقة اليد و لم قبل الأكل على أنه أمر معيب ، مؤكدا أن الأفضل تناول الإنسان طعامه دون غسل يديه أو فمه إلخ حسبما كتب مؤلفو الأناجيل ، وإن كنا نحن المسلمين لا نصدق كثيرا مما نسبه إليه أولئك المؤلفون من تصرفات خاطئة لا تليق برسل الله ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وحتى لو قبلنا أنه كان إلها كما يقولون ، فالرد هو أنه لم يكن إلها تقيا ، بل كان إلها متجسدا في هيئة إنسان ، ومن ثم كان مهيأ للخطايا بين حين وآخر بصفته الإنسانية مثلما كان يخضع للجوع والعطش والحاجة إلى دخول الخلاء ، ومثلما كان يقلق ويحزن ويغضب ويتوجع من الآلام والذات نسبيا بل حتى لو قلنا إن "التركي" هو الذي لا يرتكب خطيئة قط ، فالواقع أن هذا ليس خاصا بعيسى وحده صلى الله عليه وسلم كيف ذلك؟ الجواب يأخذه من النص الذي يتحدث فيه المسيح ذاته ، وليس أحدا سواه ، عن الدعاء لتركية بين البشر بوصفها شيئا ليس في موقوف عليه وحده ، وهو موجود في الإصحاح الخامس والعشرين من متى "٢٩ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يُمْنَاكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣١ وَقِيلَ أَيْضًا: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ. ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِسَبَبِ الزِّنَا يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ فَإِنَّهُ يَزْنِي. ٣٣ أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. ٣٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا عَرْشُ اللهِ، ٣٥ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. ٣٦ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. ٣٧ بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى هذَا فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ. ٣٨ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. ٤٠ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. ٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. ٤٢ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. ٤٣ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، ٤٥ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. ٤٦ فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ العَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ ٤٧ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ ٤٨ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ." وليس أحدا سواه ، عن الدعاء لتركية بين البشر بوصفها شيئا ليس موقوفا عليه وحده ، وهو موجود في الإصحاح الخامس والعشرين من متى "٢٩ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يُمْنَاكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣١ وَقِيلَ أَيْضًا: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ. ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِسَبَبِ الزِّنَا يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ فَإِنَّهُ يَزْنِي. ٣٣ أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. ٣٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا عَرْشُ اللهِ، ٣٥ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. ٣٦ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. ٣٧ بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى هذَا فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ. ٣٨ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. ٤٠ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. ٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. ٤٢ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. ٤٣ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، ٤٥ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. ٤٦ فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ العَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ ٤٧ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ ٤٨ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ." وليس أحدا سواه ، عن الدعاء لتركية بين البشر بوصفها شيئا ليس موقوفا عليه وحده ، وهو موجود في الإصحاح الخامس والعشرين من متى "٢٩ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يُمْنَاكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣١ وَقِيلَ أَيْضًا: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ. ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِسَبَبِ الزِّنَا يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ فَإِنَّهُ يَزْنِي. ٣٣ أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. ٣٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا عَرْشُ اللهِ، ٣٥ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. ٣٦ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. ٣٧ بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى هذَا فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ. ٣٨ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. ٤٠ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. ٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. ٤٢ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. ٤٣ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، ٤٥ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. ٤٦ فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ العَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ ٤٧ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ ٤٨ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ."

دفع النبي لقومه من الإقدام على قتله مجرد أنه يدعهم رسالة ربه بل ينتظرهم من دمار جراء عصيانهم وكفرهم واصفا دمه الذي سيريقونه عندئذ بـ "الدم الزكي" : «لكن اعلموا علما أنكم إن قتلتموني ، تجعلون دما زكيا على أنفسكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها . لأنه حقا قد أرسلني الرب إليكم لأكلمكم في آذانكم بكل هذا الكلام»

ثم لقد تكرر في القرآن المجيد الكلام عن تزكي هذا الشخص أو تركيته بوصفه أمرا ممكنا جدا وليس فيه شيء خارق ففي سورة "الشمس" ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ١-١٠]، وفي سورة "الليل" ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ﴾ [الليل: ١٤-٢٠]. على أن القرآن ليذكر أن النبي عليه السلام يزكي الآخرين ، أي يمنح الناس زكاة النفوس. قال تعالى في سورة "البقرة" ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝١٥١ ﴾ [البقرة: ١٥١]، وفي سورة "آل عمران" ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وفي سورة "التوبة" ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفي سورة "الجمعة" ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [الجمعة: ٢]. ثم إن فصال القرآن على عيسى عليه السلام هو فصال عظيم ، فهو الكتاب الوحيد الذي برأ مريم

عليه السلام مما شنّع اليهود به عليه وافتروا على عرضها الافتراءات لتحسه مثلهم، ووسموا ابنها بالجنون والسحر، فتصدى القرآن لهم وحدها وسفه أباطيلهم. وإن لم يعدُّ بهما رغم هذا حدود البشرية والعبودية لله الواحد الأحد، وكفّر من يؤلههما تكفيرا.

ويقول الواعظ النصراني إنه "لا فرق بين رسالة عيسى ومسلوكه، إذ عاش ما قاله، وثبت بلا لوم وبدون خطية". إلا أن كتبة الأناجيل لهم، فيما يبدو، رأي آخر، إذ ذكروا مثلا أنه كان مارا هو وتلاميذه بحقل من الحقول، فانقضوا عليه يأكلون مما بطونهم دون إذن من صاحبه الذي كان غائبا! وبالإضافة إلى ذلك فقد، صلى الله عليه وسلم، يأمر أحد الرجال أن يذهب إلى إحدى القرى ويأخذ الأتان المربوطة هناك ويأتيه بها دون إذن من صاحبها، كي يركبها عند دخوله القدس! كما أن أولئك الكتبة يجعلون أول معجزة يجريها عيسى عليه السلام هي تحويل الماء إلى خمر، أي استبدال شراب الشيطان بشراب الفطرة! وهناك موقف غير مقبول البتة نسبوا إليه فيه احتقار امرأة كنعانية أو فينيقية احتقارا مزريا غير لائق بالمرء، إذ أنه ذلك المرأة لتشفي ابنتها، بيد أنه رفض لأنها، كما قال، غير إسرائيلية، وهو لم يُبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وقال ما في الخبز وكلب مهين إذ تطعم الذي تختصه الأولاد يجرم على الكلاب. فما كان منها إلا أن قالت في هذه الحرفة وذكية صارعة كي تفند بها إن الكلاب أيضا تصيب من الفتات الذي يسقط من المائدة تحت الأرجل. فعندئذ وعندئذ فقط رضي أن يشفي ابنتها، مع أن شفاءه لم يكن يكلفه شيئا ولا يقتضيه بذل. فهو معجزة ربانية يجريها الله على يديه دون أي تعهد! وهناك إلى جانب هذا وذاك وذاك شتائمه لمخالفيه اليهود ولعنه لهم وقلبه موائدهم في الهيكل واستخدام السوط في إخراجهم منه، وغيره لا يجدون في أكثر من مناسبة عن

بلامساه . و بالذات بطرس . وحفاوه في كلامه إلى أمه وغنها كما تقدمت الإشارة فأين قوله المشهور عن محبة أعدائنا ومباركة لاعبيه وإدارة الخد الأيسر لمن يصفعنا على الخد الأيمن وترك الإزار لمن يغتصبنا الرداء حتى تمشي في الشوارع عراة تمامًا وبلابيص تستعرض عوراتنا وسوءاتنا مباهين بها؟ وصح أن هناك فجوة هائلة بين المبدأ والتطبيق يعني صحة كل ما قاله الواعظ عن التضارب التام بين الدعوة والسلوك عنده عليه السلام وليس هذا الكلام من نقدٍ، بل من الأباطيل نفسها، وكل دوره منحصر في الإشارة إلى ما فيها هي دون تدخل من جانبنا، وإن كنا نحن المسلمين لا نصدق ما يقال عنه صلى الله عليه وسلم مما يسيء إلى صورته الكريمة

، في إنجيل الطفولة (THE ARABIC GOSPEL OF THE INFANCY OF THE SAVIOUR) لنبي السلام عيسى تتصرف تصرفات مخجلة تدل على قسوة وعنطة وشراسة تتناقض مع ما يدعيه الواعظ النصراني له صلى الله عليه وسلم وليس المسلمون هم الذين كتبوا هذا الإنجيل، بل بعض النصارى الذين أرادوا تمجيده عليه السلام والزعم بأنه إله فمن ذلك أنه، عندما ضرب أحد صبيان اليهود العبوريين على الست بركة ماء، بالعصا التي صنعها عيسى بيده في ذلك اليوم مقدس عند اليهود تلعب عندها وشكّل بعض التماثيل الطينية حولها كما يفعل الأطفال، قام عيسى بتجفيفه وإدانته عقابًا له على ضربه بقدمه الحوض الصغير وتجفيف منه، مع أن الخطأ الذي ارتكبه هذا الصبي اليهودي ليس بالخطأ الجسيم، بل هو من وجهة نظر المتدينين باليهودية، وعيسى لم يأت بنص كلامه لينقضها بل ليكملها، إذ هو عمل محمود فما القول في هذا؟ وكيف يمكن الادعاء بأن بائه، عليه السلام، كان مثالًا للوداعة والتسامح وضبط النفس والعطف على ضعف البشر؟ وهبْ أن ذلك تصرف خاطئ من الصبي

اليهودي ، كيف تكون عقوبة ذلك الحقير الهين ، إن صح تسميته خطأ أصلاً ؟ ومن ذلك أنه أن طفلاً اصطدم به في الطريق دون قصد وهو يجري فأوقعه ، فما كان منه إلا أن توعده أنه سيقع في الأرض كما أوقعه وأنه لن يقوم من سقطته ثانية وقد كان ، إذ وقع الولد ميتاً في الحال! فيا للتسامح ، والحب والرحمة! ترى يسعى أن نعمل ذلك بأنه لا يكن وقتئذ إلهاً نصلح عنده خبرة تساعده على الفهم والتسامح ؟ لكن هل الأهة يكبر وينصح ، وفي الحال ذلك ينقصه خبرة مثلنا ونتحد قوله في عصية وقسوة وصنع عجل ذهبي إلهاً ؟ ، هذا من الوهية هزيلة! وهذان هما الفصلان كما قالهما في ترجمتي الإنجليزية والفرنسية لذلك الإنجيل

A- " 46 Again, on another day, the Lord Jesus was with the boys at a stream of water, and they had again made little fish-ponds. And the Lord Jesus had made twelve sparrows, and had arranged them round His fish-pond, three on each side. And it was the Sabbath-day. Wherefore a Jew, the son of Hanan, coming up, and seeing them thus engaged, said in anger and great indignation: Do you make figures of clay on the Sabbath-day? And he ran quickly, and destroyed their fish-ponds. But when the Lord Jesus clapped His hands over the sparrows which He had made, they flew away chirping. Then the son of Hanan came up to the fish-pond of Jesus also, and kicked it with his shoes, and the water of it vanished away. And the Lord Jesus said to

him: As that water has vanished away, so thy life shall likewise vanish away. And immediately that boy dried up. 47. At another time, when the Lord Jesus was returning home with Joseph in the evening, He met a boy, who ran up against Him with so much force that He fell. And the Lord Jesus said to him: As thou hast thrown me down, so thou shalt fall and not rise again. And the same hour the boy fell down, and expired."

B- " XLVI - Un autre jour, le Seigneur Jesus se trouvait encore avec des enfants sur le bord de l'eau, et ils avaient détourné l'eau de ce ruisseau par des fosses, se construisant de petites piscines; et le Seigneur Jesus avait fait douze monceaux, et les avait arrangés, trois de chaque côté, autour de sa piscine. Or, c'etait un jour de sabbat; et le fils du Juif Hanani, s'approchant et les voyant agir de la sorte: Est-ce ainsi, dit-il, qu'un jour de sabbat vous faites des figures de terre? Et accourant promptement, il détruisait leurs piscines. Mais lorsque le Seigneur Jésus eut frappé des mains sur les monceaux qu'il avait faits, ils s'envolaient en criant. Ensuite le fils d'Hanani s'approchant aussi de la piscine de Jesus pour la détruire, son eau s'evanouit, et le Seigneur Jésus lui dit: Comme cette eau s'est évanouie, de même votre vie

s'évanouira; et sur-le-champ cet enfant se dessecha

XLVII. - Dans un autre temps, comme le Seigneur Jesus retournait le soir à la maison avec Joseph, il fut rencontré par un enfant qui, courant rapidement, le heurta et le fit tomber. Le Seigneur Jesus lui dit Comme vous m'avez poussé, de meme vous tomberez, et ne vous releverez pas; et, à la même heure, l'enfant **tomba et expira ".**

ـال إنه حين تبعه طفل أشده ومُعضده نحيى عليه السلام غذه، حسب بدسر مة نحو لأـحين أيضا، بصرف إلى سربه هو وتلاميذه دون أيه مبالاة حسب تقول هناك وقت يأكلون ويشربون حتى الناموس والصفائر لم يدركوا عنه دقيقة، وكل شيء لم يحدث! وفوق كل هذا فإن الشيطان قد طمع فيه ولكن بعد ذلك، فقده هذا وهبه واحد ينتقل به من رأس الجبل إلى قلب البرية ى قمته بعيد طالب منه هذا وذاك من المطالب الغريبة المختلفة للإنس مما يخالف مصلحته عنه إنه كان غريب من الشيطان له! فكيف الله يطمع يئيس فيه بل هذا الطمع؟ ألا ترى أن الشيطان كان قد طمع في النفس وضعف بصيرته فلم يعد يميز المرتبات ولم يدرك أنه إنما يتعامل مع الله نفسه لا مع واحد من البشر! فكيف لم يتهيب الرب ويقول له "يا أخي، حل في وجهك حصاد مسيح، فهذا عيب لا يليق". ثم يصفعه فمًا على وجهه يجعل منه مطرد شرير، وجسد يعرف أن لله حق ولا يعود لشهوته أبدًا؟ بل كيف يطمع هو أن الشيطان ويتبعه أيضا أحيانًا وحينما سقط؟ بل كيف يصرح عليه السلام بأنه قد جاء ليتمم الناموس، ثم يفصل على الناموس في النو ، بحجة نسخ هذا التشريع أو ذاك من التشريعات التي أتى بها موسى؟

وكل ذلك معروف لمن قرأ الأناجيل، وليس نحن المسلمين الذين قلنا هذا، بل كتبة العهد الجديد. وقبل ذلك كله قوله، عليه السلام، قد خالف أشد المخالفة أساس دينه وجوهره وتحور الذي تحور هذا الدين إليه ويدور عليه، وذلك حين وضعه أعداؤه على الصليب طبقا لما ورد في الأناجيل لا مما يؤمن نحن المسلمين به، إذ يعتقد النصارى أنه، عليه الصلاة والسلام، قد جاء ليفدي البشر جميعا (البشر جميعا لا بني إسرائيل، الذين تكرر منه القول بأنه بعث إلى هم وحدهم، ولكي يعتقهم لا ليكفر عنهم خطيئتهم ولا يخلصهم)، لكنه انتصر فراح ضحية فعلها ويقتل ويتمزق أشلاء وتكرب، وفوق الصليب يصرخ ويخور مستغيثا ولا مغيث، بل يقيد أنه لسي مهمته التي نزل من أجلها على الأرض أو على الأقل لم يستطع أن يرتفع إلى مستواها ومعنى هذا أن مسيحه لم يكن مخلصا لما يدعى به. وهذا أضعف ما يقوله النصارى عن ربوبيته، ومعنى ذلك أن هذا الرب أضعف من أن يحتمل الخطيئة مع أنه هو الذي خلق، فيما خلق، خطأ، وكان يستطيع أن يعفي نفسه من احتمال هذا الخطأ، وأضعف كذلك من أن يتحمل العذاب والألم، مع أنه هو الذي خلق، فيما خلق، العذاب والألم، وكان يستطيع أن يعفي نفسه من الشعور بذلك العذاب والألم، وهذا إن كان الأمر يخلصون ويأثمون ويعذبون وعلى يد من؟ على يد المجرمين من مخلوقاتهم! حقا وبالمناسبة فمن المسلمين الأوائل والأواخر من تعرضوا لمثل هذا التعذيب والحمد لله وروح صاحبه دون طمأنة كهذه من رفاقهم ومحبيهم!

وبالمناسبة أيضا فإنه لا يمكن أن نعقد مثل هذه المقارنة، ونعتقد أن الرسول الكريم ما كان ليشرح صدره بمثل هذا الكلام، بل لا بد من أن بعض النصارى يتحدثون مسلمين بهذه المقارنة فتجد مثلا هذا الكلام الذي نحن بصدده الآن منشورا في المواقع النصرانية المختلفة، كما أن بعض

فمنصة يستغرون في رسائلهم المشاكية للرد عليه وعلى أمثاله، مع الفهور بسببه في الشذوذ لحق الرسول الكريم. وإن كان مؤلفو هذا الكتاب (وهذه شهادة حق) حريصين على ألا يلجأ إلى هذا المستنقع العفن، وهو ما نحمده لهم ونقدر أثره في رد عليهم كما لا بد أن القراء قد لاحظوا فنحن نرد مضطرون إلى الرد على مثل تلك الاستفزازات والتحديات بين الحين والحين حتى لا تظل القراء الذين لا يجيدون اللغة من جميع جوانبه لهم تجد صعب، مع أنه قد يرون بأنفسهم الآن ليس فيه من الصعوبة قليل أو كثير. وإن شئت أشعر بشيء من خروج مما أسسه من أم دون قصد لبعض الأصدقاء المصريين الذين يحاسبوننا ويعاتبوننا المودة لأن هذا الكلام لا بد أن يكون له تأثير غير طيب في نفوسهم مهما كانت سعة صدورهم وعفوهم لكنا نعتمد رغم ذلك على حسن إنصافهم. فهجوم على سيد المرسلين قد أضحى شغلة كل عاطل لا شغلة له ولا مشغلة. وخاصة ذلك القمص سعيد الذي يمضي كل قليل بمؤلف من الكتب يتحداني أن أرد عليها جميعا. وكلما فندت له بعض ما يرسله من مجلدات وجهالات ولم أترك فيه قطعة منتصبة بقطعة أخرى على مدى عشرات الصفحات في منطق محكم ناصر قال ببساطة دون أن يكلف نفسه الرد على شيء مما كتبته بعده من هذا وتعال إلى شيء آخر، أو إن هذا الذي كتبته لا يقنعني فكذا في "تعيين وبس"، وكأن الله يحب المحسنين" فنرجو من هؤلاء الأصدقاء أن يعذرونا ولا يظنوا أننا معترضون بإيلامهم، بل كل ما هنالك أننا نرد على بعض هذه التحديات التي أشرنا إليها، بعضها فقط مما نرى أنه يعنى عن الباقي، وليس كلها، ولا قلل نفرح من الكتابة والكلام، ونحن نستطيع زعم ذلك أن بعضنا ولا واحدا على الأقل مما نطرح من استفزازات. كما أن الطرف الآخر لا يحشم نفسه الرد على ما نقول. وإذا فعل فإنه يلجأ إلى

الكذب والافتراء والتلاعب بالنصوص، ولا يفصّل القول تفصيلا كما نفعل نحن دائما بحيث لا نترك ثغرة في الموضوع دون أن نسدها.

وقد تحول الواعظ النصراني أن يمر به بين السيد المسيح ورسلائه الأنبياء قوله "يشهد القرآن أن لكل الأنبياء والرسل خطايا معينة، ويذكر الأخطاء بعضهم ما عدا المسيح، فكان دائما بريئا وطاهرا" ولقد كان يود لو أنه ذكر خطيئة التي ادعى أن القرآن سجلها على الأنبياء، لكنه لم يفعل، وهو لم يفعل لأنه لا يذكر الحقيقة، لا تقول كذبة منه وهناك، بل تقول بعيدة منه أو خلط بين القرآن والكتاب المقدس، الذي يسجل هم كل خاطئة وخاطئة من نسل القتيل الذي لا يحتمل، وكان الأنبياء والرسل هم عصابة من المجرمين العتاة فمنهم القاتل، ومنهم الزاني، ومنهم المستكبر، ومنهم المحادع، ومنهم مُصاحع المحارم، ومنهم المشارك في الوثنية، ومنهم المُهينُ حوها ومباركها على سبيل ممارستها من زوجاته، ومنهم من يتهم العرض الشهواني الفاجر الداعر، ومنهم من يجدف في حق الله... وهلم جرا، خلاف القرآن، الذي لم يذكر شيئا إلا عن موسى حين قتل المصري عن غير عمد واستغفر ربه في الحال فغفر له جل وعلا، وإلا ما قاله في حق ذي النون عندما ضاق ذرعا بقومه يأس من صلاح حالهم فتركهم ومضى، فكانت نتيجته أن التقمه الحوت حيث بقي في بطنه يعاني تُرحاءهم والكرب إلى أن تحنن الله عليه برحمته وهداه أو تاب، كما نرى، ليست خطيئة، إذ إن قتل المصري لم يكن مقصودا، بل كان على سبيل الخطأ، وتبارك موسى الأمر في الحال فاستغفر ربه من أعماق قلبه نادما مرتجفا مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم عازما على أن يكون أكثر تنبها في المرات القادمات وألا يكون ظهيرا للكافرين أبدا. وكان الله عند حسن ظنه به فغفر له لمعرفته سبحانه له غير ملوم. كما أن ذا النون لم يقترف خطيئة ولا خطأ، بل كل ما

وقع منه أنه ترك قومه يأسا منهم بعدما دق الأمرين في دعوتهم إلى دينه دون ثمرة، وكان يسعى لا يفارقهم إلا بعد أن يأذن الله له. وهذا كل ما هنالك. ولا حصيلة إلى ذلك أن الأنبياء والرسل هم صفوة خلق الله لنبيل جوهرهم ومعدنه من بين البشر. فلا يعقل أن يكونوا بهذا الخلق الإجرامي المنحط. ولا دليل على النبوة العكسي. وهذا منطقي تماما. لأنه إذا كان الأنبياء لا يتميزون عن سواهم من الناس وكانوا قابلين للوقوع في الخطأ والخطيئة إلا لاحظ، انتفت عنهم كل ما يمكن البشر الفكاك منه مصطفى ولا داعي إذن ولا معنى لشيء اسمه النبوة. ولينصرف كل نبي إلى حال سبيله ليصبح من شأنه، وهيهات! وعلى هذا فسكوت القرآن عن ذكر خطيئة عيسى لا يعني أنه تفرد من بين إخوته الرسل بهذا، بل هذا هو موقف القرآن منهم جميعا بوجه عام.

وبعد، كيف وعندي في قول وعضد عن نبي محمد عليه الصلاة والسلام أنه كان محمد في كل يوم ملاكا وطهرا قلبه. وفي هذا يقول الحق: ﴿ألم نشرح لك صدرك ۝ ووضعنا عنك وزرك ۝ الذي أنقض ظهرك ۝﴾ [الشرح: ١-٣]. وعند ذلك وقت أصبح له بقلب الشريف المصطفى قلبا بكرا صافيا وطاهرا في ذاته. إذ أخذ الملاكان الطاهران من قلبه تطهيرا. لقد اصطفى محمد في عصمة حرجة بقلب شفيف فؤاده قبل أن يصبح نبيا ورسولا لله. عرف محمد شخصيا ثلاث مرات في القرآن بل كان يجب عليه استغفار ربه: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ۝﴾ [غافر: ٥٥]. ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ۝﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا

يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا
(الأحزاب: ٣٧) ويظهر أن كثيرا من المسلمين يرفضون هذه الحقيقة
ويذهبون إلى القول بأنه وضع ويتكلم بصراحة كان محمد بشرا طبيعيا
مولودا من والدين طبيعيين، فعاش حياة بشرية، وأخطأ مثلنا واستغفر ربه
عن ذنوبه وخطاياه، أما المسيح فولد من روح الله، وهو كلمة الله المتجسد،
وعاش قدوسا وطاهرا منذ حداثته".

وبدأ بتفسير الواعظ لقوله تعالى: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك" (يونس: ٩٤) الذي فسره بأن الملائكة قد جاءت إلى صبي صغير في كتف حبيبة السعدية جسمه يروي بعض كتاب السير، فاستخرجت قلبه وغسلاه وطهراه واحدة، فكذلك الأول وحق لهذا الأمر كذلك فمعنى هذا أن محمد قد تم تطهيره قبل أن يرتكب أي خطيئة، ومعنى هذا بدوره أنه صلى الله عليه وسلم كان أحسن حظا من أخيه عيسى، الذي ظل دون عدد (أي ظل يعيش في كنف حصينة) إلى أن نجده يتلألأ حسب كلام كتاب الأناجيل، وذلك أن تعميد يوحنا المعمدان في نصرانية إذ هو تطهير متعمد من الخطيئة وصعوده على التوبة، وهذا واضح تمام من خلال الذي يقوله من بعده (أصحاح ثالث من إنجيل متى) وفي ذلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا «توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية **أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة**» ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جراد وعسلا برى أحسن خروج منه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم، فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى

مقصوديه، قال لهم «أولاد الأفاعي، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة. ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم إبراهيم لنا أبا، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار. أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده، وسينقي بيدره، ويجمع القمح إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا «أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلي؟» فأجاب يسوع وقال له «اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر» حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه. وصوت من السموت قائلا «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»

والجدير بالملاحظة هنا كيف أنه، بعد اعتراف السماء بنبوة عيسى بعد حسب عقائد النصارى، لا بد بتعميد، أي بعد أن تم تطهيره وتزكيته، أن قبل ذلك فلا كتب له. بعد أن وقع التطهير من الخطيئة، جاء التطهير بحربة لشك، من خلال عصبة هذا الشرير. أن التعميد قد أتى لتطهيره. ولم تسعه هذه الكلمات فيما بعد، فنص على يحيى (أسقاه وتعميده) وحسب وقته، إذ يقول هو وحواريوه بعد قطع رقبة يحيى عليه السلام بن سنابه المسلمون ويشربون دون أن يذرفوا عليه دمعة أو يقولوا عنه كلمة تدل على أنه محط اهتمامهم. وذلك يحيى، يجزر على مقربة منهم شر جزار! كما أن تعميده، عليه السلام، لم يسعه مثلا من توضيح أنه ما جاء ليقضي

ـــموس (الذي أكد أنه لن يزول حرف واحد أو حتى نقطة على حرف منه
ـــى لن تزول السماوات والأرضون، أي إلى يوم القيامة)، ينقض في الحال
على عدد من أحكامه فيبعبها بعده، كما هو مستحيل في الإصحاح الخامس
من متى، مناقضا بذلك نفسه مناقضة لا يمكن تسويغها بأي حال، ومنبها
نفسه بدية لا تغتفر حسب كلامه هو ذاته. إذ قال إن من ينقض أحد أحكام
ذلك الناموس يكون أصغر وارد في ملكوت السماوات: «لا تظنوا أني
جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني
الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو
نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه
الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات
وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات. فإني
أقول لكم إنكم إن لم يزد برك على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت
السماوات». وهذه خطيئة، وأي خطيئة! كذلك فإنه، عليه السلام، في
الوقت الذي شدد فيه على تلاميذه أنه يجب عليهم أن يجروا أعمالهم
أمام الناس لأعينهم ولا يكتفوا بأن يحبوهم فقط، نراه عفا ذلك في
نفس الخطبة يلتفت إليهم ويأمرهم من جملة من أمور متنوعة هم بقلة الإيمان
(متى ٦: ٣١، و٨: ٢٦)، ومساواة كل واحد منهم بـ «أبي مراق» (٧: ٥).
ووصفهم بأنهم «أشرار» (٧: ١١). وقد تكرر منه هذا وشبهه وأشد
منه في مواضع مختلفة من الأناجيل كما سنعلم جميعا. ثم إنه كان يصلي ذات
مرة فسأله أحد تلاميذه أن يعلمهم كيف يصلون تعليمهم الصلاة على النحو
المبين هنا في الإصحاح الحادي عشر من لوقا. «وقد كان يصلي في
موضع. فلما فرغ، قال واحد من تلاميذه: يا رب، علمنا أن نصلي كما
علم يوحنا أيضا تلاميذه». فقال لهم: «متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في

سماوات ، ليتقدس اسمك ، لتأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا لأننا لحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير» . فما معنى أمره هم بأن يقولوا مثله «واغفر لنا خطايانا» ؟ معناه أنه كان يطلب من الله أن يغفر له خطاياه . وعلى كل فقد حسمها المسيح عليه السلام عندما صرح قائلا: «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (متى ١١) أي أن يحيى ، حسب حكمه هو ، أفضل منه . أليس عيسى واحدا من الذين وعدتهم النساء؟ كذلك حسمها عليه السلام عندما سأله رئيس قائلا «أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» فقال له يسوع «لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله» (لوقا/ ١٨).

والآن ما هي الذنوب التي ارتكبها محمد عليه الصلاة والسلام في نظر وعظنا المؤقر؟ نتركه يقول ما عنده بنفسه "اعترف محمد شخصيا ثلاث مرات في القرآن بأن كان يجب عليه استغفار ربه ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر ٥٥]. ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد ١٩]. ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب ٣٧]. ويظهر أن أكثرية المسلمين يرفضون هذه الحقيقة ويؤولونها" هذا ما قاله الواعظ ، والآن إلى القارئ الكريم تعليقنا على هذا الذي قاله: أولا محمد عليه الصلاة والسلام لم

يعترف في القرآن بشيء، بل هو كلام الله لا كلام الرسول. وثانيا ما هي يا ترى تلك الذنوب التي عرضه الوعظ إلى رسول الله تحديدا؟ الواقع أنه لا يوجد شيء من هذا القبيل على الإطلاق. فلا الرسول قد زنى مثلا ولا أراق دم غريب ولا كذب على أحد ولا حقد عليه ولا أوقع بين أحد من الناس، ولا تهاون في تبليغ الدعوة التي كُلف بها ولا حاد عنها وقبل من الأعداء وأمنيتهم ولا شرب خمرا ولا سرق ولا استند بالناس وروّعهم ولا انحرف بحقوقهم ولا ولا ولا ولا... بل إن مؤلفو الكتاب المقدس أحدا من الأنبياء بلا رُؤوه بشيء منه أو أكثر كما يعرف كل من قرأ ذلك الكتاب. وإذا فبالتأكيد الوعظ المسيحي على أي مصدر يقول إن الرسول قد أتى أمرا من هذه الأمور! الحق أنه لا يوجد شيء من ذلك لا في القرآن ولا في الأحاديث ولا في كتب السيرة والتاريخ.

إن استغفار الإنسان ربه إنما هو دليل الإيمان بقوى الله وخشية التعدية منه والرجاء الكبير فيه سبحانه. وليس شرطا حينئذ أن يكون قد اقترف إثما. بل يمكن جدا أن يكون، كما في حالة الرسول محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، قد اجتهد فلم يوفقه السماء على اجتهاده، كما حدث مثلا حين أتاه أحد المسلمين وهو يحدث بعض الكفار العتاة في جلسة هادئة رجا منها أن يكونوا أفضل إنصاتا. ومن ثم أحرى أن يهتدوا إلى الحق بعيدا عن مؤثرات الجماهير وأصوات العصبة. فبان في وجهه صلى الله عليه وسلم شيء من عدم الارتياح ظنا منه أنه سيفسد جو الجلسة التي لم يكن يطمع في أفضل منها. فنزل القرآن معاتبا له عليه السلام. فلو شئت أن تأخذ بما يقوله بعض المفسرين من أن الكلام في الآيات موجه له فلك. فهذا كل ما يمكن أن يقال عن الذنب الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم مما ينبغي أن يستغفر ربه منه. لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما

يتبناه وهو، كما نرى، أمر من تلقاء نفسه تمامًا، لكن الرسول لم يتفق في أفق آخر لا يصير له في تسمو وتسموق، فكان لا بد من الاستعفار وهذا لن أحدد بذلك تعبير، ولم يكن لانتهار توجه إلى أحد لكفار خاصتي لا إليه صلى الله عليه وسلم كما يقول بعض العلماء الآخرين.

أما مسألة زينب وزوجه صلى الله عليه وسلم بها فلنفترض أنه لم يمكن أن يكون قد حصل، وهو أنه عليه السلام قد رآها فوقعت في نفسه وأحبها، فما الذي حدث عندئذ؟ الذي حدث هو أنه صلى الله عليه وسلم كتم هواه، ولم يستجب للعرض الذي عرضه عليه زيد زوجها بأن يطلقها ينزوجها هو فما وجه الحظر هنا؟ هل يلام عليه السلام في شيء لا مسؤولية فيه عليه؟ إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، ولا تدخل في سلطان صاحبها ولا تخضع لسيطرته. ومن ثم فلا ملام عليه فيما يشعر به في مجال المشاعر والعواطف. وعليه ألا يستجيب للدواعي الشهوة فيتعمس في الحرام أو على الأقل فيما لا ينبغي فهل صدر عنه صلى الله عليه وسلم شيء من هذا؟ لا ثم لا ثم لا. فما المشكلة إذن؟ وهذا إن كان الأمر كما افترض بعض من يقولون أنهم يستطيعون الإساءة إليه. وسنرى أنهم أنا فيما افترضوه.

لكن الحكاية الحقيقية تختلف عن هذه تمامًا، إذ كانت العلاقة بين زيد وزوجته يسودها التوتر منذ البداية لأنها كانت تشعر أنها من أعز قبيلة عربية، وهي قبيلة قريش، بينما زيد من قبيلة بني كلب المغمورة، فضلا عن أنه حبر الرق في بعض أطوار حياته، فكان زيد يحس أنه لم يعد يرى في الاستمرار في الزواج أي معنى. لكن النبي كان ينهاه عن عزمه هذا، على حين تريد السماء منه أن يتزوج زينب بعد تطليق زيد لها حتى يقضي على التقليد الغريب الذي كان يرى في الابن المتبنى نفس حقوق الابن

تصيبني وما يترتب على وضعه من أحكام تشريعية وأوضاع اجتماعية، وهو ما كان النبي يخشاه، جرّاء ما تثيره مثل هذه الأمور من انتقاد متشدد وتشنيع المشنّعين. وهذه هي الآية الخاصة بذلك الموضوع من سورة "الأحزاب" والتي تعاتبه على أنه يخشى الناس والله أحق أن يخشاه. وتقدمها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ (أي تزوجها ونال منها ما يناله الرجل من زوجته) ﴿زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾. فواضح من الآية أنه لا علاقة لها بما يتقوله المتقولون على النبي عليه السلام مما لا مطعن فيه مع ذلك عليه، بل له الشرف كل الشرف أن استطاع أن يكتم مشاعره وهو يسمع ما لا الشرنبات رغم ما عرضه عليه زيد من تطليق زينب كي يتزوجها عليه السلام. نخرج من هذا كله بأن أقصى ما يمكن أن تصور وقوعه منه صلى الله عليه وسلم مما استوجب استغفار ربه هو تصرفه بخوف أم مكتوم حين عبس وتولى بوجهه رجاء أن ينصرف وينأيه في وقت آخر لا يكون حاضرا فيه ذلك النفر من المشركين الذين كان يطمع في حسن إصغائهم ما يقول ويلقيهم به، على حين يستطيع ابن أم مكتوم أن يطرق بابه في أي وقت آخر ليسأله عما يريد. أما هؤلاء المشركون فقدرما كانت تتاح له معهم مثل تلك الفرصة السانحة؟ وهذا، بكل يقين، أقل بكثير مما ذكرناه وقوعه من المسيح عليه السلام.

• • •

٥- الوحي لمحمد والمسيح

• تلقى محمد الوحي بواسطة الملاك جبريل الروح الأمين. ورد في الأحاديث الصحيحة أنه كان إذا نزل عليه الوحي يُغشى عليه. وفي رواية يصير كهيئة السكران. يعني: يقرب من حال المغشي عليه بتغيّره عن حالته

المعهودة تغيرًا شديدًا حتى تصير صورته صورة السكران. وقال علماء المسلمين به كان يؤخذ من الطيب. وعن أبي هريرة كان محمد إذا نزل عليه الوحي استفزته الرعدة. وفي رواية كربت لذلك ونزل له وجهه وعرق عليه، ورغا غطيط البكر. وعن عمر بن الخطاب: كان إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل. وسئل محمد: كيف يأتيك الوحي؟ فقال أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال. واجمع علماؤهم على أن محمدًا كان يجد ثقلا عند نزول الوحي وينحدر جبينه عرقًا في اليوم الشاتي. ورغا غطيط البكر، محمرة عيناه. وعن ابن ثابت كان إذا نزل الوحي على محمد ثقل لذلك فخذ ومرة وقع فخذه على فخذي، فوالله ما وجدت شيئًا أثقل من فخذ محمد. ورغا أوحي إليه وهو على راحلته فترغد حتى يظن أن ذراعها ينقصم. ورغا تركت فاطمة ابنها محمدًا شخصيًا، بل أوحى له بواسطة ملاك جبرائيل فقط، فكان الله بعيدًا عنه حتى أثناء الإيحاء. لم يرسل الله ملاك جبرائيل إلى المسيح لسنة، ولم يتصل المسيح وحيًا بواسطة شخص ثالث، لأنه كان نفسه قول الحق المتجسد- سورة مريم ١٩: ٣٤، وكلمة الله لأمره، وروحًا منه، مستمدًا من الله نفسه عرفًا إرادته. فمن أراد أحد أن يتعمق في مشيئة الله فليدرس سيرة المسيح لأنه كلمة الله القدير المتجسد. يخبرنا القرآن أن الله وهبه علم المسيح قبل تجسده الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ (آل عمران ٣: ٤٨). فلم يتكلم إلا بكلام الله، وكان ينطق حسب القرآن بالوحي فورًا بعد ولادته معزيًا أمه ومرشدًا إياها ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

مريم ٩٠ - ٩٢] لقد تكلم المسيح حسب القرآن بكلمة الله وهو فعل بغير حاجة إلى ملاك أو وسيط لأنه كان فعل الله وروحه ووحيه شخصيًا. لذلك عملت قوة الله في ابن مريم ظاهرة في خلق ونشأته وانعزاله والتعرية والتجريد. إن خلاصة الوحي لمحمد في القرآن والحديث هي الشريعة التي تتضمن الأوامر والنواهي الإلهية. فوحي محمد أتى بكتاب القرآن والشريعة، أما خلاصة الوحي للمسيح فهي ذاته لأن إنجيله ليس شريعة بل إعلان حياته وأقواله ووصف شخصيته. وقد منح المسيح أتباعه قوة روحه القدوس لإتمام وصيته. فأتباع المسيح لا يؤمنون بالدرجة الأولى بكتاب ولا بدين ولا يعيشون تحت الشريعة، بل يؤمنون بشخص فريد، ويعتقدون بالمسيح شخصيًا وينبعونه. فالمسيح هو وحي الله بالذات.

** هذه الفقرة مملوءة بالتخطات والتناقضات والكلام الكبير الذي ليس وراءه طائل، ونبدأ على بركة الله أولا الملاك جبريل، أي الروح الأمين حسبما جاء في كلام لوقا. هو هو الروح القدس، فقد جاء في سورة "الشعراء" خطاب إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء ١٩٢ - ١٩٥]، وهو نفسه ما نقرؤه في سورة "النحل" حيث يقول رب العزة لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل ٩٨ - ١٠٢]. والآن هل صحيح أن الروح القدس لم يكن له دور في حياة السيد المسيح كما يزعم

لو عظ هو؟ سأترك دائرة معارف الكتابة نفسها تتولى الجواب على هذا السؤال. إذ نقرأ في مدونة "الروح القدس" ما يلي

"بدأ عصر الأنبياء بنبوءة حاضر من الروح القدس. فنقرأ عن يوحنا المعمدان السابق للمسيح أنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس" (لو ١: ١٥ و٨٠). وبوحي من الروح أدرك سمعان الشيخ ظهور المسيح في شخص الطفل يسوع (لو ٢: ٢٥). كما أن ملاك الله أعلن ليوسف أن الذي حُبل به في مريم "هو من الروح القدس" (مت ١: ٢٠). وبذلك نالت العذراء المباركة "أن تحبل حبلى من روح القدس" (مت ١: ١٨) وهكذا قال الملاك للعذراء مريم "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥) وعندما كان يسوع في الثلاثين من عمره جاء ليعتمد من يوحنا المعمدان. وكما حُبل بيسوع بالروح القدس فولد "قدوس" هكذا نزل عليه، عند معموديته، "الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة" إعلانا أنه ابن القدوس (مت ٣: ١٦، لو ٣: ٢٢) ولعل الرسول بطرس كان يشير إلى هذه الحادثة في حديثه الأول للأمم عن "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة" (أع ١٠: ٣٨) ويشير يوحنا إلى ذلك بالقول: "لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح" (يو ٣: ٣٤) وكانت قوة الروح القدس واضحة في حياة يسوع وخدمته. فبعد صعوده من الماء مباشرة أخرجه الروح إلى البرية حيث واجه المجرب (مت ٤: ١ - ٣، مرقس ١: ١٢ و١٣، لو ٤: ١ - ٣). وعند قوة الروح القدس باعتباره "آدم الأخير"، أي الإنسان الكامل. وقد نسب الرب قدرته على إخراج الأرواح النجسة إلى الروح القدس (مت ١٢: ٢٨) وهكذا كان الأمر بالنسبة لتعليمه. فقد مسحه الروح القدس ليبشر المساكين ويبادي المأسورين بالإطلاق (لو ٤:

(١٨) وصوال خدمته هنا على الأرض كان الناس يبهرون من تلك القوة العجيبة التي له حتى قالوا "به مجنون" (مرقس ٣: ٢١)، كما "بهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان" (مرقس ١: ٢٢) كما كان يبدو "حيا متجاهلاً لحاجته الجسدية (يو ٤: ٣١) حتى قال البعض عنه: "به شيطان وبه شيطان" (يو ٨: ٤٨) وعندما رجع السبعون من جولة كرازية ناجحة "تهلل يسوع بالروح" (لو ١٠: ٢١). وقد يسأل البعض هذا السؤال إذ كيف يسوع هو الله الابن، فلماذا كان في حاجة إلى قوة الروح القدس لإتمام خدمته؟ ويرجع جانب من الجواب إلى ناسوته الكامل الذي اتخذه في تجسده، فلم يقلل من ناسوته كونه الله، فلم تحجب قدرته الالهية ناسوته، فهو كإنسان كامل عاش معتمداً على روح الله. فيسوع، إذ صار إنسانا، كان يعتمد على روح الله الحال فيه. وهذا فهو في تدبير الخلاص أخذ دور المسيا، أي الذي مسحه روح الله، وفي نفس الوقت كان مدركا لسلطانه الإلهي المطلق، فهو لم يكن كسائر الأنبياء، فلم يقل: هكذا يقول الرب، بل الحق الحق أقول لكم".

ومن هذا النص الذي نعتمد تمام الاعتماد على ما ورد في العهد الجديد، وبالذات الأناجيل، نرى أن "روح القدس لم يترك عيسى بن مريم يتصرف في أي أمر من أموره، على عكس ما يقول واعظنا الطيب الذي على قناته (واكتفي بهذا فلا أصفه بشيء آخر)، حتى إن كاتب المادة يقول بعظمة لسانه: "إذا كان يسوع هو الله الابن، فلماذا كان في حاجة إلى قوة الروح القدس لإتمام خدمته؟". وهو سؤال لا معنى له إلا أنه المسيح رغم كونه إله كان بحاجة إلى الروح القدس! فلماذا، يا واعظنا الطيب الذي على قناته، نرى أن نزول روح القدس على سيدنا محمد هو نقص فيه وفي رسالته، وهو الذي لم يدع يوما ولا يدعي عنه أتباعه أنه إله أو ابن للإله أو فيه شيء

يبعثون .

ذكره عن المسيح قبل خمسة الكتاب و حكمة و نبوة والإنجيل ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]. فأما الجزء الأول من كلامه فقد أثبت من كلام عيسى المصرى فى "دائرة معارف الكتابية" أنه غير صحيح البتة، ونفى دعواه أن القرآن يخبر عن عيسى عليه السلام فى سورة "مريم" بما "ليس الحق منحصرا". فهل هذا صحيح؟ تعالوا نقرأ ما جاء فى تلك السورة:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ١٦-٣٧].

والمعنى، كما يفهمه الناطقون بالعربية، أن ما رووه الآيات هنا عن

المسيح إنما هو قول الحق لا ما يقوله المفترون المؤهون أنه الواعظون أنه الله نفسه أو ابن الله. أي أن هذا هو وضع عيسى حسب قول الحق لا أن عيسى نفسه هو قول الحق. ومن هنا عرفت الآيات التي تليان ذلك بقولهما على لسان عيسى ذاته: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ۝ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝﴾ [مريم ٣٥ - ٣٦]. لكن الواعظ الطيب الذي على لباته يحاول أن يحرف المعنى عن مواضعه. وهيهات! فعيسى ينفي أن يكون الله قد اتخذ ولدا أو يمكن أن يتخذ ولدا. كما يؤكد عليه السلام أن الله هو ربه وربّ البشر جميعا وليس أبوه، فضلا عن أن يكون هو هو نفسه! ومع ذلك فإن براعة الواعظ الطبيب الذي على لباته بطل أنه من الذكاء بحيث يستطيع خداع المسلمين عما يقوله القرآن. فهل هذا يصح يا براعة الواعظ المحلل؟ وللمرة الخامسة أن عيسى هو نفسه قول الحق. فما الذي يترتب على ذلك مما يريد واعظنا الطيب الذي على لباته أن يرتبه له؟ لا شيء. فنحن كلما استشهدنا بنص قرآني ردّدنا عبارة "قال الله تعالى". لا يعني أن الآية أو الآيات القرآنية المستشهد بها هي "قول الله". لكن هذا لا يجعل قول الله ذلك هو الله ذاته. مثلما أننا نحن البشر خلق الله. لكن هذا لا يجعلنا نحن الله. إن إضافة الشيء هذا إلى الله لا يجعل ذلك الشيء هو الله نفسه كما هو واضح وضوح الشمس! فقول الله ليس هو الله. وخلق الله ليس هو الله! بل نحن هذا أمام طرف فاعل وطرف مفعول لا أمام طرف واحد وذاته. ولا أدري أي شيطان قد سوّل لذلك الواعظ أن يهرف بما لا يستقيم في العقل ولا في اللغة!

كذلك فإن قول واعظ المحلل بأن القرآن يخبرنا أن الله ذاته علّم المسيح في نفسه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ [آل عمران ٤٨] هو أيضا قول غير صحيح. إذ ليس في

نقول هنا ولا في أي مكان آخر منه أي كلام عن التجسد لتناقضه الأبدي مع دعوته التوحيدية السمحة المستقيمة. ويرجع في سورة آل عمران التي نقل منها الواعظ ما نقل سفرا بعض في سياقه كاملا ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٤٥-٥١]. ولا أظن هل يستطيع عاقل أن يجد في تلك الآيات أي كلام أو حتى مجرد إشارة إلى التجسد. أو أي شيء يمكن أن يفهم منه. ولو على سبيل التوهم من بعيد، أن الله قد علم عيسى التوراة والإنجيل وهو لا يزال في بطن أمه؟ ترى هل في بطون الأمهات كتاتيب وروضات أطفال ومدارس وجامعات؟ ليس في النص أي شيء يستند به على أن ذلك التعليم تم قبل ولادة عيسى عليه السلام. بل النص واضح الدلالة على أن رفعته وتكليمه الناس في المهد وفي الكهولة وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسالته إلى بني إسرائيل. كل ذلك سوف يتم بعد ولادته وبلاحظ، فيما يخص تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، أنه معطوف على تكليمه الناس في المهد وفي الكهولة. وتكليمه الناس في المهد وكهلا لم يتم إلا بعد ولادته بعض أنه، كما أن الفعل هنا هو نفسه هناك.

لا وهو الفعل المضارع ما لا يمكن أن يقال معه إن لكل من الأمرين وما حدث يختلف عن زمن وقوع الأخر. كما أن المضارع لا يدل على الزمن الماضي في مثل هذا السياق أبدا. وهذا كله مما يستحيل معه أن يكون تعليم الله لعيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل قد تم وهو لا يزال في عالم الرحم وهو يرد إلى الذهن ثم كيف يتم تعليم قبل أن يوجد المتعلم؟ بل هذا هو المستحيل بعينه. لا بد أن يوجد المتعلم أولا ليكون ثم تعليم ثانيا. هذه بديهية لا يعتبر تجاهلها إلا لكي من كان القوم يراعون البديهيات أو يخترمون المنطقيات؟

وبالنسبة إلى ما ذكره الموقع في مقارنة بين الدينين دين محمد ودين عيسى، وما جاء به هذان المصلحان، نقول إننا لا نختلف معه كثيرا فيما قاله من أن وحي محمد التي كتاب القرآن والشريعة، أما خلاصة الوحي المسيح فهي ذاته لأن تعليمه ليس شريعة بل أخلاق حياته وأقواله ووصف شخصيته. ذلك أن الإسلام شريعة وليس مجرد عبادة أو مجموعة من الأخلاق. وهذه الشريعة تغطي كل جوانب الحياة وأنشطة الحضارة البشرية كما هو معلوم. أما دين عيسى فلا يعدو بعض الموعظات مغرقة في المثالية وأنى لا تصلح لأي ساه اجتماعي أو حضاري على الإطلاق. ومن هنا تأكيد السيد المسيح بأن مملكته ليست من هذا العالم. فهي عبارة صادقة. بل إن ما نسبه إليه مؤلفو الأناجيل من مواعظ أخلاقية هي كلمات لا تسمن ولا تغني من جوع. كما أن المصروفات متصدقة له هناك من شأنها أن تفوض مجتمعات التي نحن نعيش فيها فمثلا كيف يقوم مجتمع أو حضارة على مبدأ العمل وهل هذا ضمنا ما كان عيسى يأمر به أتباعه؟ أو كيف يقوم مجتمع أو حضارة على أساس تسليم المجرمين لا لما يريدون فقط بل يزيدهم كما كان يحصل حينما يدعي شخص مثلا وأراد عضنك

دعك فعليك أن تتنزل له عن الإزار أيضا . إلى آخر ما نعرفه عن قصة حمل ومن يشبهها من الكلام المنمق الجميل في الأناجيل الذي لا يؤكل عيش . وبالمناسبة فالإزار هو قصعة سلاس التي تغطي الجزء الأسفل من الجسم ، ومن هنا يرى القارئ أقول دائما إن عليه في هذه الحالة أن يمشي "بنوص" !. وأخيرا فليس يحسن أن يعوت النسيه إلى قول الواعظ ، وهو يتخبط في كلامه عن المسيح من فقرة إلى أخرى ، بل من سطر إلى سطر آخر ، إن "المسيح هو وحي الله بالذات" . وهو ما يفيد أنه عليه السلام ليس هو الله . ذلك أن وحي الله شيء ، والله شيء آخر . أم هناك من يُقلّ عقله ويتمارى في هذا؟ وعلى كل حال فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه ولا محبوب سواه أن اختزل الواعظ الكريم لسيد المسيح بجلالة قدره إلى مجرد وحي!

وعلى كل حال فليس عيسى هو وحده الذي كان "يقول" ، بل هذا أمر عام عند الأنبياء الآخرين ، إذ كانوا هم أيضا "يقولون" وهذه بعض شواهد: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (الأنعام: ٧٤). ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ (أي إبراهيم) بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۖ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ ﴾ (الأنعام: ٧٤-٨٢). ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝ قَالَ

بقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴿٦١﴾ أبلغكم رسالات ربي وأنصح
لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿٦٢﴾ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴿٦٣﴾ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين ﴿٦٤﴾ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴿٦٥﴾ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في
سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴿٦٦﴾ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من
رب العالمين ﴿٦٧﴾ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٦٨﴾ أوعجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴿٦٩﴾ قالوا أجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
﴿٧٠﴾ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء
سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من
المنتظرين ﴿٧١﴾ فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
وما كانوا مؤمنين ﴿٧٢﴾ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴿٧٣﴾ واذكروا إذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون
الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٧٤﴾ [illegible]
﴿٧٥﴾ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ﴿١٠٤﴾ حقيق على أن لا أقول على
الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل ﴿١٠٥﴾
[illegible] ﴿١٢٨﴾ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿١٢٩﴾ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا
ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في

أن الأحاديث الصحيحة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم تعد بعشرة

فقال المسيح كذلك لأنه؟ هو ما قول لكم: إن الله يأمركم على ... (في القرآن) بكل حرف عشر حسنات. أما أنا أقول لكم: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف. ثلاثون حسنة. ثم: سفسطة. فليس في حديث: لا أقول لكم على الشعر، ولكن على الله. كما أن قول السيد المسيح في الأناجيل: الحق أقول لكم قد ورد على لسان الحصر في حديث من أحاديث: ما من مسلم يزوره بن حجر العسقلاني، وفي بعضها: نعم. الحق أقول لكم قد سألني ربي عن عظم ... ربي لا أحبك. فرحه ربي عني. وهذا حديث ينتهي فيه النبي محمد على المحور الذي إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. وفي حديث آخر سمع أبو در الغفاري رضي الله عنه يقول عن الرسول عليه السلام ... وأوصاني أن أقول الحق. وإن كان مر. وهي كلمة الحق أقول. إلا أنها جاءت على التركيب الأصلي من بين الفعل والمفعول به.

ثم إن بولس قد استخدم هو نفسه هذه العبارة: وإني أقول لكم: تحفظوا على هذا السر. لئلا تكونوا أنتم عند أنفسكم حكماء (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١١: ٢٥). هل يقول بولس أقول لكم: إنه إن حقيقة لا يستطيع المسيح شيئاً (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٥: ٢). وهو كلام حضرتكم كما يرى القراء. وإذا كان عيسى قد تكلم حول بولس. مهما كانت الأسباب. على القول بأنه لن يتبع عباده سنن (٨). والعمل الحسن عاهرة. التي هي ربي عبارة بحسنة دعاء عبده. لأن بولس سخر عبدة حصة غزة محمد تحرك شفق بذعة حسنة قتل سكر بصر. وإذا هذا النبي نقول لكم عنه كما سبقت فقلت أيضاً: إن الذين يتعاطون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٩: ٢١). لم يقل قول مسيح بصيغة: الحق أقول في المسيح ولا أكذب. بل بصيغة: لا أكذب في المسيح. الحق (رسالة بولس الأولى

في تيموثاوس (٢ : ١)، فهل نقول به هو أيضاً إنه أول للإله؟ كما أن المسيح قد استعمل بدوره عبارة "أنا الباب" التي يكرر الواعظ المقدس الذي على يديه أن يكون قد قدم وقال لهذا (أي المسيح) أيضاً مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كُلَّ حين ولا يُمَلّ. فمثلاً «كان في مدينة قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً. وكان في تلك المدينة أرملة وكانت تأتي إليه قائلة اقضِ لي حقي من خصمي! وكان لا يشاء إلى حين. ولكن بعد ذلك قال في نفسه وإن كنتُ لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً، فإني لأجل أن هذه الأرملة تُزعجني، أُنصفها، لئلا تأتي دائماً فتلطمني!» وقال الربُّ «اسمعوا ما يقول قاضي الظُّلم. أفلا يُنصف الله مُختاريه، الصارخين إليه نهاراً وليلاً، وهو متمهلٌ عليهم؟ فأقول لكم إنه يُنصفهم سريعاً. ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعله يجد الإيمان على الأرض؟» (لوقا ١٨: ١-٨). فمن يدري؟ إنها مسألة، كما هو واضح، لا تستحق كل هذه الضجة!

* * *

٩- آيات محمد وآيات المسيح

* يعجب الذين وهب الله محمداً هبة باهرة في سور القرآن، من آيات محمد أعظم من كلام الله. ويشهد القرآن للمسيح بكلمات محدودة، بل يبرز أعماله العجيبة وشفاءاته المتعددة. إن يدعى المسيح أعظم، وهو ينصرف كحسار شقي. بل أظهر نفسه أنه ينبوع اللُّطف ومصدر المحبة والرحمة، وعظمت قوة الله فيه بآيات متعددة عجيبة.

الطبيب الأعظم المبارك

* لقد برهن القرآن أن المسيح شفى المئات من عمليات جراحية وعلاجية بدون أدوية، وأبرأهم بكلمته المباركة. وتجسدت كلماته قوة شافية لكل وجع

مبروك. والمسيح هو المبارك أينما يكون وسع البركة لجميع الناس في كل العصور – سورة آل عمران ٤٩ ، وسورة مريم ٣١ .

ب ، يختلف ابن مريم عن الأنبياء في مس جسده وشفاء بكلمته المقدسة . فالمسيح هو المطبب الأعظم في كل الأول أحب المساكين وفقراء مرضى ، حنن قلبهم رحمة وإبداء بمراحمه . وشفى كل مريض تقدم إليه

محي الموتى

ج ، وأعظم عمل قام المسيح به هو إقامة الموتى مشهود له من الإنجيل والقرآن . فقد أقام ابن مريم ثلاثة صغيرة ، وشاباً راشداً ، ورجلاً بالغاً من الموت . فمن يقدر أن يقيم الأموات ويعيدهم إلى الحياة إلا الله؟! فيجب علينا أن ندرك عمق هذا المعنى في الآيات القرآنية أن المسيح استطاع إقامة الموتى مرارا . ويقول القرآن عن ابن مريم : يقدر أن يقوم بأية ما من تلقاء نفسه ، بل الله هو الذي أيده بروح القدس يستطيع أن يتمم مشيئة الله . لقد أعطى موسى الكتاب وأرسل من بعده بالرسل وآتى عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون – سورة البقرة ٢ : ٨٧ . تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس – البقرة ٢ : ٢٥٣ . إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني – المائدة ٥ : ١١٠ . فيا للعجب! القرآن يشهد مرارا بمعجزات الله مع المسيح وروحه القدوس!

والثلاثة اجتمعوا وتعاونوا في إثبات المسيح في وحدة متكاملة. فقوة الله عامة في ضعف جسد ابن مريم بسلطان إلهي.

الفتق الخالق

د- ونقرأ في القرآن أن المسيح، وهو طفل، خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فأصبح حيًا طيرًا في الحال. "أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله" (آل عمران ٣: ٤٩). نجد في هذه الآية العبارة المدهشة: "أخلق" الدالة على أن المسيح هو خالق مقتدر لا يقدر إنسان أن يخلق من العدم شيئًا ولا أن يُعيد المادة الميتة إلى الحياة، إلا المسيح. ويشهد القرآن بقدرة المسيح الخالقة بواسطة نفخته الحية فنفخ في هيئة الطير فأصبحت طيرًا حيًا كما أن الله نفخ نسمته في آدم سابقًا. لكن المسيح قادرًا أن يبث الحياة في الطين الميت.

الرزاق اللطيف

هـ- لاحظت جماهير قدرة ابن مريم فتبعته حتى إلى الصحراء بأعداد مكثفة وأزمان وباقية معه حتى الليل. فالقرآن يشهد بأن المسيح أنزل لأتباعه مائدة من السماء وسط الصحراء وأشبع أتباعه المخلصين. إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين- سورة المائدة ١١٢-١١٥. يبحث البعض في موهبة أطعمة السماء على مائدة أكثر من أن يتعمقوا بحثهم في شخصية

وهذا أمر عجيب. لقد تبع المسيح حسب الإنجيل خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين، فأظهر بذلك قدرته الخلقية بطريقة عجيبة. لم يستعن بكلام فارغ بل عمل ما قاله وشفى وفعل أعمالا خلقية.

كاشف الأسرار

وإن استاء محمد من بعض أتباعه في المدينة لأنهم جاءوا في بيوتهم أطعمة وشراب، ولم يشاركوا فيها المهاجرين من مكة. فأفهمهم قائلا إن المسيح سيأتي عن قريب وسيسكنكم ما تأكلون وما تشربون في بيوتكم لأن له عيناً حارقة، وينظر خلال الجدران ويخبر المنافقين ما يخفون حسب قول المسيح في الإنجيل «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ٤٩). يعرف المسيح الحقيقة ويقرأ أفكار القلوب. ويعلم أيضاً أسرار الشخصيات. وسوف يعين لك أعمالك السيئة والصالحة هو المسيح في صدور الناس وليس أحد يرى أمامه.

المشرّع العظيم

ونقرأ أيضاً في القرآن أن المسيح حلل لأتباعه ما حُرّم عليهم في شريعة موسى. ولم يأمرهم أن يحفظوا الشريعة كاملة. ويقول الإنجيل إن المسيح وضح لحواريه خصوص أنواع الأطعمة أن ما يدخل في جوفهم لا يجسمهم، بل ما يخرج من قلوبهم هو الشر. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة مثل القتل والزنى والكذب الخ. ونطمع أن المسيح بهذا الانقلاب الفكري والشرعي أنه هو المشرّع الذي يحق له ويستطيع أن يكمل الشريعة. لقد أثبت القرآن هذا الامتياز الفريد موضحاً أن المسيح لم يعش تحت شريعة ليتعبدها، بل به قام فوقها ليكملها. لقد كان

موسى وكل الناس في العهد القديم يعيشون تحت الشريعة. وكان عليهم أن ينتظروا مجيء المسيح فكان له السلطان أن يعدل الشريعة. والعهد الجديد يقول: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحلف بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها عرش الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا برأسك تحلف لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على هذا فهو من الشرير» متى ٥: ٣٣ و٣٤.

ج- فموسى لم يدرك أن المسيح جاء ليسد عجزه ولا ليجدد شريعته. بل هو مبشر بسلطان الله. وما يكون من مهمته الخاصة أن يسأل أهل العهد القديم عن أسرار الناموس وما هي تفاصيل أحكامه كما أوحي محمد ﷺ في شك مما أنزل إليه- سورة يونس ٩٤ أن المسيح فكك الشريعة وجدد وصحح بعض أحكامها وهكذا قال «اتقوا الله وأطيعون- سورة آل عمران ٥٠ ثم يرشد المسيح الناس إلى ما فيه الخير. بل طلب منهم أن يتبعوه ليتلقوا تعاليمه لذلك يسمي تلاميذ المسيح بأحسن الألقاب حواريين. وأنصار الله. ومسلمين مؤمنين. وخاصة أتباعه. ويقرأ في أتباعه في سورة الحديد ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية- الحديد ٢٧ وفي سورة آل عمران إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم- آل عمران ٥٥ فيظهر أن أتباع المسيح هم صفة خاصة بهم من أنهم هم الصاعدون لا يستكبرون. كما هو مكتوب في سورة المائدة لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون- المائدة ٨٢. إن هذه الشهادة القرآنية تدل على عظمة أتباع المسيح. إنه لا يعبر الأحوال السياسية والاجتماعية

بواسطة حروف وحبل ، بل يحدد حصة عصاة ويعيرهم من الذين إلى محبين ، ومن أعداء متباعدين إلى حمام قريب منذ صغرهم . كما أنه شخصياً ، بات يستخدم بل ليجذاه ويبدل جسمه فدية عن كثيرين - متى ٢٠ : ٢٨ . كل من يقارن آيات محمد بآيات المسيح يرى أن آيات محمد في القرآن هي كلمات جافة . وكل آيات المسيح وعجائبه هي أعمال محبة وخدمات لرحمة إلهي لا تحد .

** سمعنا مقول بعض المحدثين الذي وهبهم الله لمحمد هي آياته المزعومة في سور القرآن ، فليست آيات محمد أعمالاً بل كلاماً . ويشهد القرآن للمسيح بكلمات محدودة ، إذ يبرز أعماله العجيبة وشفاءاته المتعددة ، بينما المسيح أعماله ، وهو يتصرف كخالق شافي ، بل أظهر نفسه أنه يمنح الخلاص ومصدر المحبة والرحمة . وعلمت قوة الله فيه آيات متعددة عجيبة . وهو في هذا يدل على أن العقل قد عجز تماماً عن الرجال كيف؟ بل دعنا نتكلم على هذا النحو بمعنى أن المسيح لم يتكلم . وأن محمداً لم يعمل فهل هذا صحيح؟ بل هل يدخل هذا عقل عاقل؟ نتوقع أن كلا النبيين الكريمين قد قال وعمل . فقد جاء محمد بالقرآن من عند الله . وكانت له أحاديث تشرح القرآن أو توضح كتابة تصبغه أو تضيف له تفصيلات لم يتطرق إليها ذلك الكلام فيها عليه السلام أو تفصيل أو توسع بتطبيق أحكامه حسب الحالات والظروف المختلفة ... إلخ . وجاء عيسى بالمواعظ والعبر الأمثال التي تملأ الأناجيل . وقد ذكر عيسى قد تلى بعض المعجزات فلم نذكر شيئاً من ذلك . وكيف نفعل ، والقرآن الكريم قد ذكرها . بل ذكر بعض آخر منها لم ترد في الأناجيل المعتمدة عند النصارى؟ لكن الانطلاق من هذا إلى المزعوم بأن محمداً لم يفعل شيئاً هو ما أقول . كلا صراحة ، وبتسيب وقح . وأنا متى قلت في بداية المدرسة إني ساكون هادئ هذا

مرة؟ لا لا، لا داعي، سل سلطان باطن من ذلك! حقاً بين أن العقل وسيلة بكل طاقته على إخراج الناس من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور التوحيد الساطع؟ بلى أنه هاجر النبي من مكة إلى مدينة بعد أن وحد الله وصلى مع البضعة الشرعية إلى المسجد الأقصى؟ بلى أنه بعقد معاهدات بين المسلمين واليهود في يثرب تنظم العلاقات السياسية والاجتماعية والدينية بين الفريقين؟ بلى أنه بسن تشريعات وقوانين شتى من شؤون الحياة لا ينظمه وقته على أحسن ما يكون النظام مع قصر النظر وأوضح جانبه وحروف مجتمعاتهم جميعاً بين شاهد بعقلية الكريمة وإن فيه لعبرة لحكيمة؟ بلى أنه بين دوره الحجة في مدينة منتصف في غضون عدة عشرة لا راحت ولا جاءت في حساب تاريخ، أن تتحول إلى بؤرة ضوء تتسحب معاقل الشرك وتثبت وعودة النور والبشر؟ بلى أوجد الله كل مجرد كلام لا يشبع من جوع ولا يروي من ظمأ؟ أوليس في عمله ما معجزات لنبيه المسيح على جلالة النبع بالعدد من هذه الأخيرة محسوبة لكل ما تشتمل عليه من تشريعات وأنشطة سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وعسكرية، دنيوية؟ كلا وحاشا، فإن الذي يعطي الجمع صورة ويعلمه كيف يصنع ما شاء من التصاوير، ثم يشرح له كيف يوجه عصبية عصيد ليسد جوعته ويدخر بعضه من سمك اصطاد ليبيعه لغيره، فليس شيء مما عدد ذلك بعزيز منه هو، فيطعم ويغني، ويطعم ويغني سواه من حوله، لأفضل أنه مرة من تزويد غيره بأكلة سمك مرة أو مرتين، ثم يتركه بعد ذلك يجوع ويضيع وحده والانفصال على حقوق الآخرين ليأكل منها دون بذل من أصحابها، وخاصة أنه ليس عنده وقت لتلبية حاجات كل جوع، وإنه عجباً أن أحلا معذوره إلى الأبد وتقبله وجهه سوجه مع العلم بحرية وبرجته وأنصاره الصارخين لا يعرفون كيف

يتصرفون ولا كيف يواجهون هذا المأزق العسير!

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع، والتحيات في الأسواق. وويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون! لأنكم مثل القبور المختفية، والناس يمشون عليها لا يعلمون!" ولست أدري كيف صاغ عيسى عليه السلام مقصده بدقة إذا لم يتفق له - وحتى لو كان قد حدث فريسي على ملاحظته هذه هو حذقه وشوقه للشكلي في أمور الدين. فبدلاً من يقول إن المقصد شيء يعلمه الله كان يمكنه لفت نظر الفريسي إلى أن المقصد خارجية لا تكفي، بل لا بد معها من مقصد نقي وضمير. ثم إن الدافع في سورة سبأ وتبعيد فهذا هو ما كان يتوقعه الشخص من صلى الله عليه وسلم! ومن ذلك أيضاً سبابه للفريسيين بهذه العبارة البرهة: "يا أولاد الأفاعي! كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟"

وفي مناسبة أخرى يهاجم عيسى نفس الكلام الذي يقوله الرؤساء في خطبهم الخطيرة حيث يقول لجموع الجنود وتلاميذه قائلاً: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه واعملوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول في ولائم، والمجلس الأول في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي! وأما أنتم فلا تدعوا سيدي، لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعكم إخوة. ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات. ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح. وأكبركم يكون خادماً لكم.

لمن يرفع نفسه يتضع . ومن يضع نفسه يرتفع " «لكن ويلٌ لكم أيها
كتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام
الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. " ويلٌ لكم أيها
كتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون
صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم " ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون
المرائون! لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا، ومتى حصل
تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا " ويلٌ لكم أيها القادة العميان
القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن من حلف بذهب الهيكل
يتعهد " أيها الجهلة والعميان! أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس
الذهب؟ " ومن حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من حلف بالقربان
الذي عليه يتعهد " أيها الجهلة والعميان! أيما أعظم القربان أم المذبح
الذي يقدس القربان؟ " فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه.
ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. " ومن حلف بالسماء
فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه " ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون
المرائون! لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل
الناموس الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تترك
تلك " أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل
ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تطهرون خارج الكأس
والصحفة، وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة " أيها الفريسي
الأعمى! نقِّ أولا داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضا نقيا
" ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تشبهون قبورا مبيضة
تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة
هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل

مشحونون رياء وإثما. "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون! لأنكم تشبهون قبورا مكلسة، تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضا، من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما. أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة. فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل!"

في موقف آخر جرى حوار بينه وبين عالم كبير حواريه فاسمع معلمنا يعيد كلام في منتهى العنف والقسوة "وأنذا أعلمهم أن على الناس يسعى أن يتألهوا كثيرا، ويرفضوا شيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتلوا، وبعد ثلاثة أيام يقوم". وقال لتلاميذه فواحدة تفرس إليه وقالت شهرزاد: وانتفضت وأصر تلاميذه. فانتهر تفرس قائلا "ذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" حتى أنه يكسبها سيرة تخلو من أي حنان أو عطف، إذ كان قد مات مرة في عرس بقاء الحليب وبقيت خمر، فتقدمت أمه الشاهد إلى هذا كأنها تطلب منه أن يعد حلا، فرد عليها في حشونة جافية "ما لي ولك يا امرأة؟" ولكن من ذلك أنه قام بعدها بتحويل الماء الموجود في تفرس إلى خمر، وكانت أول معجزة له، فما هي معجزة تليق بالأنبياء والرسل الأمناء وعلى أية حال أقسم بكل يسعى أن يفعل هذا من السماء بدلا من هذه حشوية لي لا تصح ولا تليق؟ حتى متى يتهددد ويلعبها في شراسة وجبن "يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء ورجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما

يضع الذباحة وجهه تحت جناحه . وما تريدون ! هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ! » . « جسد استدار يوبخ المثل التي صنعت فيها أكثر قوله لأنها لم تشك « ويل لك يا كورزين ، ويل لك يا بيت صيدا ! لأنه لو صنعت في صور وصيدا ، القوات المصنوعة فيكما ، تابتا قديما في المسوح والرماد . ولكن أقول لكما إن صور وصيدا تكون لهما حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما . « وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم . « ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لك » .

وحتى السنة التي توقع عليه السلام أن يجد فيها فكهة يأكلها في حينه ، لم يكن الوقت أوان ثمر . حتى هذه السنة قد نعتها حين لم يجد فيها تينا ودعا عليها ألا تثمر إلى أبد . فبست في حين . الله ما دب البتة لمكيدة بل كان له عقل وإدراك ؟ وإذا كان له عقل وإدراك فهل هناك معنى لتعنيفه ؟ أم هل هناك معنى لتيبيسه وحرمان الآخرين من ثمرها إلى أبد ؟ وكيف يعقل أن السيد المسيح حكم على التينة ؟ ولو كان تيبيسها في مصلحة عامة ما كان شك أن يأتي به هذا الذي جاء ؟ بل أي إله هذا الذي لا يدري أوان موسم التين أم لا ويلعن ثمرة في غير أوانه ؟ فلماذا ترك الناس ينتظرون إذن ؟ ألا يدري خالق الأمر كله عنه في عنه ؟ وفي الجواب لسوف هذا الكلمة التي قالها السيد المسيح عليه السلام وسحقها بموجز الاحتمال « جئت لألقي نارا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ وبي صبغة أصطبغها ، وكيف أنحصر حتى تكمل ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض ؟ كلا . أقول لكم بل انقساما . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت ، حد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ينقسم

[illegible] على الأب، والأب على الأم، والأم على البنت، والبنت على الأم، والحماة على كنتها، والكنة على حماتها، ولا أظن أن هذا يكفي.

أما أن عمران قد قال على لسان المسيح ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [illegible]، فهذا صحيح، لكن الواقع يخبر بأية نتيجة هذه الآية. وهي صريحة الدلالة على أن عيسى بن مريم ليس إلا عبد الله يدعوه له هو نفسه، لا يعرف ولا ابن إلاه ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [illegible]، وهو ما يصنّ شبهه في وجهه صكة نفته تفتيت ثم هذه العبارة التي يظن الواقع الخيب الذي على ما له أن يؤسس وصفه خاص لعيسى بوصفه بن الله قد وقف عليها نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. ويمكن للقارئ الرجوع إليهم جميعا في الآيات ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩ من سورة الشعراء، إلى جانب الآية الثانية من سورة نوح. فضلا عن الآية الثانية التي وردت على لسان هود ﴿ وَإِن تَكُمْ تَرْحَمْنَا فَاتَّقُونِ وَأَطِيعُونِ ﴾ [illegible]، ذلك أن وحدة الرسول ليس أمرا خاصا بعيسى بن مريم وحده، بل هو حق لكل رسول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [illegible]، وقد جاء ذلك في محمد عليه الصلاة والسلام، والشواهد عليه كثيرة، منها في القرآن الآيات التالية ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]، ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [illegible]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [illegible]، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [illegible]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [illegible]، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [illegible]، ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [illegible]، والغريب أنني [illegible] في كل مورد في سبعينات [illegible]

خاصي ، قد قرأت مرة بعض المنصرين الإنجيليين يعيبون على نبي محمد عليه الصلاة والسلام أنه يقرن بين اسمه واسم الله تعالى في مثل تلك الآيات . فقلت في نفسي إن هؤلاء الناس لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب . فهل صحيح أن القرآن لا يحتوي على مثل الآيات التي تتحدث عن محمد ؟ فما هو الدليل على أن عيسى هو وحده الذي قيل في حقه ذلك ، ومن أنه فهو من الله . وهب أنصفهم بأن القرآن قد ذكر في حق محمد صلى الله عليه وسلم أنه على الحق ، مع أنه لا قرن عيسى هذا يعني أنه يعينه في كل من الأحوال . ولا يقرن بين طاعته لله وطاعة محمد يعني أنه يضع نفسه مع الله على قدم وساق . بل القرآن واضح أشد الوضوح في تأكيد عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى فكيف لا ؟ وهو نفسه لم يقل في مسألة طاعة بين الله سبحانه وبين أي نبي من أنبيائه ، اللهم إلا في حالة عيسى عليه الصلاة والسلام .

وهناك في سنتهد أن حفظ الله تعالى في الآيتين التاليتين ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ... ﴾ إذا قال الله بعيسى إن أتباعك ... فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم ... لا يوصف بأي شيء ... ذلك أنه في الآية الأولى قد حذف نفسه . وهي كالآتي ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ ... ومن الواضح أن الصفات الكريمة التي جعلها الله في قلوب أتباع عيسى لم تبق فيه كما أراد الله . بل سرعان ما حرف كثير من أتباعه بها واستحق أن يصفهم الله بأنهم فاسقون ... كما قاله تعالى في سورة المائدة ﴿ لتجدن

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

[illegible] من عداوة الذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون [illegible] لا علاقة له بالقسيسين والرهبان في حب لهم قسوس ورهبان على من وقع أنهم قد أسلموا وتبعوا محمدا ولو كان ذلك ما أحدثه له من سابق على قول ولا يخبل أنهم من حاشية رسول من عند الله إليه وبعثه إليهم إذ مسلمون من أتباع محمد لا قسيسون ولا رهبان نصارى. فضلا عن أن يكون لهم نصرانيتهم نصرانية مثلثة. وكي يكون لقارئ مشهدا لغاب سوف أورد لآية المذكورة في سياقها كاملا: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ [illegible] وفي توضيح أنهم [illegible] سمعوا من محمد وهو يتلو عليهم بعض من الذكر الحكيم حتى فاضت عيونهم وزيدهم بالقرآن وآياته التي أنزله والرسول الذي جاء به. والقصة معروفة في أسباب نزول القرآن. إذ سمع نفر من وفد النجاشي النصارى بعض آيات القرآن فأثرت فيهم وأخذت من وجوههم فأسرعوا إلى إعلان إسلامهم برسالة محمد وصاحبهم مرة أخرى بأكداس الآيات لا تدع أحدا من النصارى يوصفه نصرانيا، بل تمدح النصارى تركوا نصرانيتهم وأصبحوا مسلمين من أتباع محمد عليه السلام.

* * *

٧- موت محمد وموت المسيح

[illegible]

[illegible] المسيح ولد ومات وقام من قبره حسب القرآن، كما أخبرنا

رفع خطية العالم

أن يعرّض نفسه دون معنى للفضائح فإنك تجده سرعان ما يعتذر عنه قائلاً: نعم، لقد كان لي مع هذا الشخص في الماضي علاقة وقد أخطأ معي، ولكنه الآن يعتذر عن خطئه، وقد سبق السيف العذل، وأنا أسامحه وأصفح عنه، وأنا أعلم أن هذا الاعتذار ليس صادقاً، ولكنه يريد أن يتخلص من الفضيحة التي أوقع نفسه فيها، وأنا أريد أن أتخلص من الفضيحة التي أوقعني فيها، فأنا أسامحه وأصفح عنه، وأنا أعلم أنه لا يريد أن يتخلص من الفضيحة التي أوقع نفسه فيها، وإنما يريد أن ي

عصمة قد تخورت حدود المعقول وسرحت العقول! علاوة على أن مصلوب معلون نص لكتاب مقدس كما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية: "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، "فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبا". وهو نص الذي لطالما لبس بولس فاخذ يبحث عنه عن مخرج فلم يجد إلا تأويل المتأولين لسوء في حق سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب «ملعون كل من علق على خشبة». "لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع، لننال بالإيمان موعد الروح" (غلاطية ٣). أي أن الله يعرض نفسه لنعمة من أجل خلقه. ومن الذي يلعنه يا ترى؟ طبعا هو نفسه لأن النعمة لم تكن من غيره! يا للهول هل فهم أحد شيئا؟ لا يا صاحبي، حدث الله بيننا وبين الأفاكين الملاعين! وطبعا نحن لا نؤمن بشيء من هذا، بل أردت فقط أن أبين بأن الأمور لو طاوعنا الوعظ الطيب ومشينا معه لخربت الدار، مع احترامنا التام لسيدنا عيسى بن مريم عليه وعلى أمه الصلاة والسلام.

وهذا إن كان الرسول قد مات مسموما كما قيل في بعض الروايات، إذ السؤال هو: هل يمكن أن يموت أي شخص من مثل ذلك المقدار الذي تناوله من السم؟ ومتى؟ بعد عدة سنوات؟ ترى ألم يعقل ألا يصاب الرسول عليه السلام بساعتها بأي مرض أو عرض من أعراض التسمم، ثم يظهر مفعول السم بعد مرور عدة سنوات؟ ذلك أن تلك الرواية التي لا معنى لها تقول إن واقعة التسمم قد حصلت في غزوة خيبر، أي سنة سبع للهجرة، بينما مات سيدنا بعد هذا بثلاث سنوات، وفي حين يُتهم التسمم إلى تسعة جدد،

وفيه يتعرض الشخص لجرعة واحدة كبيرة من السم أو جرعات متعددة خلال فترة قصيرة من الزمن لا تتجاوز ٢٤ ساعة. وتظهر الأعراض وتتطور بسرعة كبيرة وتنتهي بالوفاة إذا لم يُسعف المسموم. وهناك تسمم بالزمن. وفيه يتعرض الشخص لجرعات صغيرة متتابعة من السم خلال مدة طويلة من الزمن قد تمتد لعدة سنوات. وفي هذه الحالة فإن السم يتراكم في الجسم وتزداد سميته تدريجيا حتى تبدأ حينذاك بظهور الأعراض المرضية. وفي الفرنسي أيضا سطور شافية من مادة "Poison" في "الويكيبيديا". وهي أخرى في نفس الفقرة: "Acute poisoning is exposure to a poison on one occasion or during a short period of time Symptoms develop in close relation to the exposure Chronic poisoning is long-term repeated or continuous exposure to a poison where symptoms do not occur or after each exposure immediately". ومن الواضح أن حالة الرسول ﷺ على الرواية المشهورة، لا تندرج تحت أي من هذين التعريفين. ومن ثم فلا معنى لترديد ذلك الكلام الغريب. وحتى لو افترضنا جدلا أنه، وهو ما لا يصح افتراضه، دفع إليه عليه السلام قد مات مسموما، فقد فعلته يهودية كما قتل المسيح اليهودُ حسب زعم النصارى. فالحال واحد من بعض الوجوه، فلماذا الزعم بأن فعلته صلى الله عليه وسلم يقلل من كرامته؟

هذا، وقد راجعت الحديث حتى تحت المسألة في "موسوعة الحديث الشريف" (تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول "تراقم" الدرر السنية)، وهي من أضخم موسوعات الحديث النبوي وأحفلها بالخدمة العلمية، فوجدت بها أربع روايات لا ثالث لها موسوعة وخرّجتها جميعا على النحو الذي أثبتُ لكلمة حيث تعاودني في عام. فهذا أول اقتضاء البخاري

... رواه أبو هريرة. حلاصة الدرجة فيه سعيد بن محمد الوراق. ذكر من خرجه. تحدث الذهبي. المصدر ميزان الاعتدال- "ما رأيت أكمل حيز تعدي حتى هذا أو قصعت البهري" الراوي أبو هريرة. حلاصة الدرجة فيه سعيد بن محمد الوراق. ليس بالقوي، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم وحسنوا حديثه. تحدث الزيلعي المصدر تخريج الكشاف- "ما رأيت أكمل حيز تعدي فيه أو قصعت البهري" الراوي أبو جعفر. حلاصة الدرجة معضل. تحدث الزيلعي المصدر تخريج الكشاف- "ما رأيت أكمل حيز تعدي فيه أو قصعت البهري" الراوي أبو هريرة. حلاصة الدرجة فيه سعيد بن محمد الوراق. ضعيف. تحدث ابن حجر العسقلاني. المصدر الكافي الشاف. فهذا هو وضع حديث من جهة سنده، وهو وضع لا يبعث على الطمأنينة أما من جهة متنه، أو مضمون نصه المحفوظ. فيعني أن ملاحظة ما هو منسوب له صلى الله عليه وسلم من القول بأن ما بين أكمة كان تعوده باستمرار. ومعنى هذا أنه كان دائم الشكاية منه وحديث عنه كما يصنع الآن في مرضه الأخير. وهو ما لم يحدث. بل إنه قد حدث أن مرض رسول الله قبل تلك الحمى التي عاودته في أيامه الأخيرة ودخلت زوجه بعدها إلى فراشه ثم لم يكن عند العرب سلاح لمسه، حتى سواء كان له أنه قيمة ضئية. فيشير به صحابة رسول الله عليه طول تلك المسيرات الثلاث التي قضت ما بين أكمة حيز ووفاته صلى الله عليه وسلم ما عاوده المرض يعاوده طول تلك المدة؟ وسواء بعد ذلك قبل مرضهم أم رفضه. إذ تلك مسألة أخرى. لكن هذا أيضا لم يقع. فما معنى؟ أنه لا أساس عنده فهذا أول "قطع البهري". فـ"البهر" هو ما يسمونه اليوم بـ"الأوزطي". وقد سألت صديقا لي طبيبا كان أديبا فقال لي معنى العبارة هو انحصار هذا السوائل. فعدت أسأله عن أثر ذلك، فكان

حواريه أنه هو الموت في خلال دقائق معدودات، وإن كان ممكنا تداركه لأن بعد التقدم الطبي الهائل يشترط أن تتم معالجة المريض في الحال. وهذا أيضا لم يقع للمسيح، إذ ظل يشكو المرض عدة أسابيع، ويقاسي وجع الحمى أيام ويحاول أن يعالجها بماء البرد طوال ذلك الوقت. ويمكن لقارئ الرجوع في هذا إلى الكتاب الذي وضعه د. حسين مؤنس عن "التاريخ الصحي لرسول صلى الله عليه وسلم" (سلسلة "اقرأ" / العدد ٦٥٧) أي أنه لم يكن هناك ما يدل على أن مرضه الأخير كان من أثر السم حقا. وهذا إن كان قد تسرب إلى بعضه شيء منه دون مال. وهو ما لا تتصور حدوثه. وإلا لكان قد مات لساعته كما مات الصحابي الآخر وهو لم يبرح مكانه كما تقول بعض الروايات أو تعاني منه أشد المعاناة كما على ذلك الصحابي طبقا لما تقوله بعض الروايات الأخرى، إذ كانت اليهودية قد تخيرت أفتك أنواع السموم. وعلى هذا فحتى لو كان قد تسرب منه شيء إلى معدته صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون شيئا تافها لا يمكن أن يكون له كل هذا الأثر **بعد انصرام ثلاث سنوات.**

والعجيب أن يقول وعظ التحريف إن المسيح مات طوعا، فهل مات فعلا المسيح طوعا؟ ألم يكن يجأر فوق الصليب وينادي، وما من معيث؟ ومن قبل ألم يكن يطلب من ربه أن يجيز كأس الموت عنه؟ ألم يتعلق من سمعه إلى أيدي اليهود ووصفه بأنه شيطان، مما يفيد أنه سخط على الصلب والموت على الصليب؟ ألم يذهب خارج المدينة هو وتلاميذه قبل ذلك حتى يبتعد عن أبصار المتربصين، مما يشير بكل جلاء إلى أنه كان يتحاشى شرب ذلك الكأس؟ جاء في الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا: "من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للاثني عشر: «ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن

معضلة!» «فأجابه سمعان قائلاً: «يا سيد، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» «أجابهم يسوع: «أليس أني أنا اخترتكم الاثني عشر؟ وواحد منكم شيطان!» «قال عن يهوذا سمعان الإسخريوطي، لأن هذا كان مزمعاً أن يسلمه، وهو واحد من الاثني عشر» وفي الإصحاح الذي بعده يقول: «وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه» وفي الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى يصف موقف هذا الإنجيل متأخر جداً عن وقت الساعة التي سنتحدث فيها عندما يقول: «حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة تدعى جثسيماني، فقال لتلاميذه: «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» «ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب» «فقال لهم: «نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي» «ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» «ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف» «فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً: «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» «ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة» «فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه».

كذلك نقرأ في الإصحاح السابع والعشرين من متى أيضاً الوصف لما حدث له، عليه السلام، في خاتمة الأجرة حسب اعتقادات القوم «فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة،

تصرخ يسوع ليصعد بصوت عظيم، وأسلم الروح.

وينفي قول الواعظ عن موت المسيح وقيامته من قبره حسبما تروي الأناجيل "ولا يذكر القرآن موت المسيح" تاريخي، خاصة إن قال سورة المسيح عن نفسه في سورة مريم ٣٣ حين يقول: "والسلام عليّ يوم وُلدتُ ويوم أموت ويوم أُبعث حيًا" ٣٤ ذلك عيسى ابن مريم قول المسيح وأنه ولد ومات وقام من قبره حسب القرآن. كما أخبرنا الأناجيل سلفًا. وكل من يؤمن بهذه الحقيقة التاريخية يجب أن يؤمن حي بقاء عيسى حيًا حتى الآن. سوف لن يموت المسيح بعد رجوعه على الأرض لأنه "يقتل سوف لن يموت في المستقبل البعيد، بل قال لن يموت في المستقبل القريب الحاضر. فالقرآن يعترف بولادة المسيح وموته وقيامته بشكل كما يشهد جميع المسيحيين عالميين من تاريخية موت المسيح وقيامته. وبينما نظر في كلام الواعظ هذا نرى في استعمال الفعل المضارع في الآية الكريمة دلالة على أن عيسى عليه السلام لن يموت بعد رجوعه على الأرض لأنه "يقتل سوف لن يموت في المستقبل البعيد، بل قال لن يموت في المستقبل القريب الحاضر. [illegible] لا يصح هذا الاستدلال به عند لأن المضارع هنا لا يدل على [illegible] ولا المستقبل [illegible] المضارع مثلاً في الآية التالية [illegible] يوم الحديث عن يوم القيامة. ولم يعد يوم القيامة في المستقبل البعيد، إذ هو لا [illegible] لا بعد حدوثه حتى وجه [illegible]. وقد استخدم المضارع فيه كما [illegible] في تركيب مضارع آخر مثل ما في الآية: "ثم إنكم يوم القيامة [illegible] وفي الآية: "ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم [illegible] كنتم تزعمون" [illegible] "ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون" فقول الله [illegible] صدق الله العظيم [illegible] فلا تخشى الله تخيف [illegible] يوم [illegible] الأمر عن

الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم ١٤ - ١٨]. ﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ (أي الكفار) مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ ﴾ [الإسراء ١٧: ٥١-٥٢]. ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [غافر ٤٠: ٣٢-٣٣]. ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿ ﴾ [ق ٥٠: ٤١-٤٤]. ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج ٧٠: ٤٢-٤٣]. ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿ ﴾ [المزمل ٧٣: ١٢-١٤]. ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿ ﴾ [عبس ٨٠: ٣٣-٣٤].

• • •

٨- محمد والمسيح بعد موتهما

• دُفن محمد في المدينة المنوّرة، وقبره معروف حتى الآن. ويزوره ملايين من الحجاج سنويا مؤمنين أن عظام محمد لا تزال في قبره، وأن نفسه دخلت البرزخ وهو ينتظر يوم الدين العظيم. أما المسيح فرفعه الله إليه ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران ٣: ٥٥]. ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء ٤: ١٥٨] فالله أخرج ابن مريم من قبره، وأصعده إلى نفسه. وهو من مقربين. وجيهًا في الدنيا والآخرة ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ ﴾ [آل عمران ٣: ٤٥]. لقد وُجد قبر المسيح فارغًا لأنه قام حقًا كما أعلن مسبقًا. وأما عظام محمد فلا تزال في قبره. المسيح حي. وأما محمد فميت لم يقم بعد من

الأموات ، ولم يصعد إلى جنة عدن حتى الآن . ما أعظم الفرق بين موت وحياة! وكما أن الحياة أعظم من الموت ، هكذا يكون المسيح أعظم من محمد . المسيح هو الحياة الأبدية بالذات .

** في الرد على هذه الفقرة نعيد أولا ما قلناه قبلا من أن في القرآن كلاما عن ابن مريم يوم القيامة يصوره عليه السلام وهو واقف أمام ربه يسأله عما أتاه أتباعه من بعده من تأليههم له ، سؤال الرب لعبده الخائف الرجاف الذي يعرف حدوده جيدا ، فهو يسارع بالتنصل من هذا الكفر الشنيع ومن قائليه . ثم إن محمدا عليه الصلاة السلام هو صاحب الشفاعة العظمى حسبما نصّ على ذلك كثير من الأحاديث النبوية ، وهذا معنى قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " فالشفاعة ستكون لسيدنا محمد عليه السلام وحده من دون الأنبياء والرسل بما فيهم سيدنا عيسى عليه السلام . وهذه إحدى المكرمات التي اختُصّ بها سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان هذا لا يدل من عيسى ولا غيره من المرسلين في شيء ، فتقديم أحد الأنبياء على سائر إخوانه لا يسيء إليهم في قليل ولا كثير ، فكلهم مكرّمون معظّمون بفضل الله . لكنه يدل على أن صاحب التقديم قد اختُصّ بمزيد من التكريم والتعظيم .

ومن مغالطات الواعظ الطيب الذي عنى نيابة قوله إن عيسى قد أُصْعِد إلى السماء حيا ، بينما لا تزال عظام محمد في قبره . وتعقيبنا على هذا هو أن عيسى ، طبقا لما يؤمن به الواعظ المحترم وطائفته ، قد مات مثلما مات محمد ، فما المشكلة إذن؟ لكنه يقول إن عيسى قام من الأموات ، أما محمد فلا . ترى هل وجود عظام إنسان في الأرض يعني أن روحه هي أيضا في الأرض؟ إن كل الأرواح عند فناء الجسد تصعد رجعة إلى ربها ، أما الجسد فهو كما وقتي تكتسيه الروح ثم تخلعه لدى الموت . وبناءً على هذا فوجود عظام

نبي الكريم في المدينة المنورة لا يعني أبدا أن روحه ليست عند ربه سبحانه وتعالى. ثم هل الله سبحانه وتعالى في السماء فعلا؟ أم هو فوق الزمان والمكان بحيث إن ربط الناس بينه سبحانه وبين السماء عادة لا يعني أنه في السماء أو فوقها؟ وعلى أية حال فقد عُرج به في حياته صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى كما ذكر القرآن الذي يستشهد به واعظنا الطيب. كذلك فالنص القرآني ليس قاطع الدلالة في موضوع صعود عيسى عليه السلام بجسده ولا صعوده حيًا، إذ تقول الآية الكريمة ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وليس فيها على سبيل القطع الذي لا تملك المماراة فيه أنه سبحانه قد أصعده إلى السماء حيًا بجسده. إن من المسلمين من يفهم تلك الآية كما فهمها القُمّص. لكن هناك أيضا من المسلمين من يقولون بالوفاة العادية ورفعة المكانة لا الجسد. وعلى أية حال هل هناك فرق يُذكر بين قوله سبحانه عن السيد المسيح وبين قوله عن إدريس عليهما السلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]؟ ثم إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ذكر كذلك أن إيليا قد رفعه الله إليه أيضا بالمعنى المادي، أي أصعد جسده إلى السماء: "وفيما هُما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما. فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء. وكان اليشع يرى وهو يصرخ: «يا أبي، يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها»" ولم يرهُ بعدُ" (ملوك ٢/ ٢/ ١١-١٢). يبدو لا أبغي أبدا التقليل من شأن سيدنا عيسى عليه السلام. فنحن المسلمين نعُدّ أنفسنا أتباعه الحقيقيين ونؤمن أن غيرنا قد كفروا به وضلوا عن سواء السبيل وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا. كل ما هنالك أنه يجب أن نقدم صورة منطقية ومستقيمة وصحيحة في المقارنة بين النبيين العظيمين محمد وعيسى عليهما السلام

وفي النهاية نقول: فلنفترض أن عيسى قد أُصعد فعلا بجسده إلى السماء وأنه هو وحده الذي حدث له ذلك، فالسؤال حينئذ هو: وماذا بعد؟ وما الفائدة التي عادت على الدعوة من جرّاء هذا؟ لقد ترتب على هذا الصعود وغيره أن أشركه كثير من البشر مع الله، وهو البشر الضعيف العاجز الفاني! وأخيرا لقد سكتّ طوال الفقرة كلها فلم أشأ أن أعتمد على الواعظ الخطب الذي على منبره فرحته وأقول له: إنك بإصرارك على أن المسيح قد صعد في السماء بجسده لتهدم معتقدك في ألوهيته وخلوده حينما نقول: إنه بجسده هذا على الأرض كي يكون مثلنا ويذوق الألم كما نذوقه ويموت على الصليب كأي إنسان يموت عليه ... إلخ، فما معنى أن يبقى بجسده بعد ذلك كله إذن، أي بعد أن تحققت الحكمة من تجسده وتم صلبه وفداؤه للبشر من خطيئتهم وعاد من حيث أتى ورجع بها خالصا كما كان لا تشوبه شائبة من البشرية؟ ألا ترى واعظنا الخطيب أنه يضع نفسه دائما في مأزق عسر لا يمكنه التخلص منه؟

• • •

٩- سلام محمد وسلام المسيح

• ينطق جميع المسلمين عند ذكر اسم محمد بالعبارة: صلى الله عليه وسلم. ألم يحلّ سلام الله على محمد بعدُ حتى ينبغي على الله والملائكة أن يصلوا عليه كما هو مكتوب في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). لم يتبرز محمد بعدُ ويتمتع بخلاص الأبدي بل ينقصه سلام الله حتى يكون فرض على جميع المسلمين في كل العصور أن يصلوا عليه ويسلموا. أما المسيح فيشهد حسب القرآن: السلام عليّ يوم وُلدتُ ويوم أموت ويوم

بُعث حيًا فابن مريم هو رئيس السلام الذي عاش من بداية حياته إلى نهايته في سلام مع الله وفي رضاه. قد تمت ولادته من مريم العذراء حسب إرادة الله وقدرته بدون خطية. فعمّ السلام لأجل تجسد كلمة الله حتى تفتحت السماوات وأنشدت الملائكة مرنمة: المجدُ لله في الأعالي. وعلى الأرض السلامُ. وبالناس المسرّة- لوقا ٢: ١٤. مات المسيح موتًا حقيقيًا إذ لم يمت بسبب خطاياه، بل بسبب خطايانا نحن الخطاة. فاختبر المسيح حتى في موته السلام مع الله. جميع الناس يموتون بسبب خطاياهم الشنيعة لأنّ أُجرة الخطيّة هي موتٌ- رومية ٦: ٢٣. أما الله فسُرّ بالمسيح لأنه صالحَ القدوس مع البشر بموته البديلي عنهم، فاستقر مسرة الله على ابن مريم. إنّ قيامة المسيح من بين الأموات هي أعظم برهان على براءته وقداسته. لو ارتكب المسيح خطية واحدة في حياته لوجد الموت فيه حقّ وقضه مثل محمد. لكنه لم يرتكب خطية ولا شبه خطية، ولأجل ذلك غلب الموت وترك قبره طائرًا. فالمسيح حي، أما محمد فميّت. لذلك يشهد جميع المسلمين عند ذكر اسم المسيح سلام عليه شاهدين بأنه بحيا في السلام. لقد حثّ محمد اضطهادات مُرّة وقام بجهاد وحروب مرارًا وأمر بقتل أعدائه والمشركين والمرتدين ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ١٩١]. ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء ٨٩]. ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال ١٧]. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال ٣٩]. ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة ٥]. فلم يأت محمد بسلام بدون جهاد، بل أمر بغزوات واشترك بسفك

لدماء لأجل السلام. فكان أمير مؤمنين والقائد السياسي المحنك في الجزيرة العربية. اضطهد اليهود المسيح بالعنف أيضاً. إذ لم يدافع عن نفسه بالسيف، ومنع أتباعه من سفك الدماء قائلاً: من يأخذ السيف فبالسيف يؤخذ- متى ٢٦: ٥٢. فكل مسيحي يقتل لأجل نصر المسيحية بالسلاح سفك دم الأعداء يدخل جهنم لأنه يعصي ويخالف أمر سيده رئيس السلام. أما المسلم الذي مات في جهاد فيرجع ثوابه إلى الجنة مباشرةً. فيظهر جلياً أن المسيح وحده أسس سلاماً حقيقياً دون قتال وحرب، بينما فرض محمد جهاد والقتال مراراً على المسلمين. أما المسيح فطلب أن يسفك دمه المسيحيون عوض عن دم أعدائه لكي لا يقتلهم وصلى لأجل قاتليه: اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون- لوقا ٢٣ ٣٤. فالمسيح هو السلام والمسلم الحقيقي الموحد إن اعتبر كلمة الإسلام والمسلم مشتقة من كلمة السلام

** أولاً لم يقل الله إن محمد لا يحظى بالسلام في حياته أو بعد مماته حتى يجعل الواعظ المسلم من ذلك دليل على الملاحاة والمكايدة، بل قال في حقه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب ٣٣: ٥٦). وفي ذات الوقت لم يقل سبحانه في أحد سواه لا عيسى ولا غير عيسى إنه يصلي عليه هو وملائكته، ولم يطلب من المؤمنين ولا من الكافرين أن يصلوا ويسلموا عليه تسليم مثلما فعل مع محمد. ومعنى الله وملائكته "يصلون" على النبي أن الصلاة مستمرة لا تتوقف. لأن الفعل المضارع في هذه الحالة يدل على الديمومة وعدم الانقطاع لا في حياته ولا بعد وفاته. أي أن هذا شرف لم يحظ به إلا نبينا صلى الله عليه وسلم. بيد أن الواعظ الظريف يقلب الأمور رأساً على عقب، وشبهات ما يريد. ولو أردنا أن نتحاسب مع واعظنا الذكي بطريقته الذكية "لطلع له عيب حسب كبير". فالمسيح يقول: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ

ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴿مريم: ٣٣﴾، وهو (بالمناسبة) نفس ما قيل في يحيى عليه السلام قبيل ذلك في سورة مريم نفسها. قال تعالى عن ذلك النبي الشهيد: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ ﴿مريم: ١٥﴾. ومعنى هذا أن السلام على عيسى ويحيى مقصور على يوم ولادتهما ويوم مماتهما ويوم بعثهما ليس إلا. خلاف صلاة الله وملائكته على سيدنا رسول الله (صلاة الله والملائكة، وليس صلاة المشركين كما تحط!)، فهي متصلة لا نهاية لها. ومع هذا كله فنحن نحترم سيدنا عيسى احتراما شديدا لا يحترمه به سوى المسلمين، لأن الإيمان في ديننا لا يتم إلا بالإيمان به وبكل الأنبياء والرسل وتبجيلهم، عليهم جميعا السلام. ومن احترامنا له وتبجيلنا له أننا عادة ما نلحق باسمه حين يأتي ذكره على ألسنتنا قولنا "عليه السلام". والأمر بالنسبة له وللنبي في هذه الحالة واحد. نعرف أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالصلاة والسلام على محمد فقط نصا. إلا أننا من هذه الحالة لأن مريم وابنها غير سميهما بالسلام أو الصلاة والسلام جميعا. فكيف يتجرأ بعض من أتباعنا ويخصون عيسى بمريم بشارة السلام؟ وبمناسبة؟

وأنا يقول الرافعي إن هذه سنة حسنة فقط إذا ما بقي هذا النبي هو الوحيد من صفحة الوجود الذي لم يمت، وقد بقي منفردا في حضنيهما، فلم تعد هذه حسنة ولا غيرها إن عاد مات هو الآخر كما معتقد الرافعي وشيعته، وهو ما يزكي حسنة. وقد ذكرت لهم بأنه حسنة لا يجوز عليها الموت من صفحة الوجود، فيكون الأمر ما يكون. فأفهمهم أن مريم ابنة عمران عليها السلام قد ماتت كلاهما قد مات. ولا أحد أحسن من أحد، فعلى هذا لا معنى ولا مغزى لكل هذه الحكايات التي لا تسمن ولا تغني من جوع. أقصد بأن عيسى وأمه مريم العذراء حسب عقيدة المسلمين وقرآنهم، قد رفعا عليه أفضل الصلاة

لأن هذا يصدق على ولادة كل مولود من بشر وغير البشر. أم ترى سفسطته تقول إن المسيح وحده هو الذي وُلد بإرادة الله وقدرته، وبقية المخلوقات بقدرة الشيطان وإرادته؟ أرجو أن يتنبه الواعظ من تلافيفه ويعرف أين هي ذهبت أينه. وإلا تكشفت عورته وسهل اصطياده. كذلك يقول إنه تجرد ولادة عيسى صلى الله عليه وسلم قد عم السلام! فأرجو أن يدلني بهذه على محمد السلام. أين أراضه؟ بل أنا أعيش في اضطرابات ومتاعب وأحقاد منذ أن خلقهم الله، منذ ميلاد عيسى، وحتى الآن. وإني أراث الله الأرض ومن عليها مرة أخرى يا بقية الواعظ المسكين، حاسب على كلامك ولا تنطق بما تحسب عليك سحرية الساحرين وشعوذة المشعوذين، وتستأنس بهم. إنما أنت ناصح أمين! أم ترك لا تعيش معنا في دنيا هذه هي الدنيا؟ صح النوم، صحى الله بدنك، ودام عليك عافيتك، وعمرك توقع بزلل، وحماك من الخطل! أم هو كلام. والسلام؟ إن كان الأمر كذلك فتعال أملأ لك ثلاثين منه دون مقابل، بل حسبة لوجه الله!

ثانيا: يتطرق الواعظ إلى الكلام عن حروب رسول الله محمد عليه السلام وفي دعوته. مقارنة بالمسيح عيسى بن مريم، الذي لم يرفع السيف في وجه أعدائه واستعمر هم. لكن وفق السيد الواعظ أن عيسى لم يستعمر في دعوته سوى ثلاث سنوات فقط لا. بخلاف محمد، الذي استعمر ثلاثة وعشرين سنة قضى منها في مكة يتحمل أذى قومه وسخريتهم واستهزائهم وجبروتهم ثلاث عشرة سنة كاملة. لا ثلاث سنين فحسب. لم يرفع في وجههم عود ثقاب. فضلا عن أن يجرد لقتال سيف. ودع الله أن يعذرهم لأنهم لا يعلمون. كذلك فقد رأيت السيد المسيح في لحظة مكاشفة يعنفهم صريحة مدوية فيقول: "جئت لألقي نارا على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت؟ وفي رواية أضعفها. وكيف أنحصر حتى تكمل؟ أتظنون أني

حتى لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا. أقول لكم بل انقساما. لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة ينقسم الأب على الابن، والابن على الأب، والأم على البنت، والبنت على الأم، والحماة على كنتها، والكنة على حماتها". فهو أنه عيسى عليه السلام قد استمر على الأرض بضعة أعوام أخر لكان له شأن آخر، ولكانت له حياة أخرى على هذا النحو تعرف في شدة وشدة، ولا أكاد أقوى فيها الضعيف. وها هي ذي أمم الغرب النصرانية أكبر شاهد على ما نقول، إذ لا تعرف، منذ أن دخلت في النصرانية وقرأت إنجيل السلام، إلا لغة الحرب والسيف، ثم الدفع والقتال، ثم الطائرات والدبابات والصواريخ، ثم الأسلحة النووية، ولم تقرأ أبدا جملة يوصي فيها المتعلم بالحسنى مع أحد إلا أن يكون قويا مثله يخيفها ويوقفها عند حدها. وحتى اليوم وبعد قرون تذوق من "سلامها" القتال ما يبهج الست بالدعاء، خارج من أعماق قلوبها كل "حرب" لله بينها حربا مستعجلة ويرغب فيها. ولا أظن، إلا أن تستيقظ عقلية مستحوذة ولا تستجدع ما يروجونه على ألسنة هذا الوعظ وأمثاله من أن النصرانية دين السلام، فهي دين أفصح من الإسلام دين القتال، وذلك لغاية نوايا حتى لا يقف هؤلاء عند من يعصر عليهم حتلاهم البلاد وكسحهم الثروات وتدميرهم نيرانا وتهديمهم لأعراضهم وتغتيلهم لهم ولأولادهم وبناتهم. يعمه الله على هذه الجهالات! وأخيرا فقد أضحكني وعظ القسيس حين قال إن المسيح لم يقل قط أن يقتل أعداءه، بل كان يدعو لهم بالغفران. ترى من الذي يقدم لنا طوال الوقت في الإنجيل، لا على الأعداء فقط بل على الأعداء والأصدقاء معا، بالشتائم والسباب والتهديد والوعيد بخراب النار وبئس القرار مما سبق بعضه شواهد قبل قليل؟ فيا ليت شعري أين الذي فعل ذلك!

* * *

١٠- آية الله

* ... في الوحي حتى تقول المسيح آية لله لأن الله جعله وأمه آية للعالمين. ﴿فنفخنا فيها من روحنا وجعلنا ابنها وأمها آية للعالمين﴾ ... ﴿وجعلناه وأمه آية﴾ ... ولم يتلقب المسيح بهذا اللقب العديد من المرسلين من الله مثله. ولم يحصل على لقب "آية الله" لأحد في رسالته الحالية. بل كان هذا الولد في هذه الصفة الفريدة، يعرف بالإسلام، وخاصة الشيعة، عندما كثيرين يحملون لقب "آية الله". وعلى الشيعة في إكرام آية الله خميني إذ قال البعض منهم به فاقدهم وروح القدس يظهر أن المسيحيين حتى تقول "آية الله" خاص. كما أن الشيعة يدعون أن هذا "آية الله" قد هو الشرق بينهم" بل المسيح شفى مرضى وبرئ الأعداء وجعل سلاما من الله والشر وخلص ملايين من عذاب يوم القيامة أن آية الله خميني فحرض المسلمين حربين مع العراق وفي الحالتين قتل ملايين. وكان خميني يوافق على قتل آلاف الأبرياء من أهل إيران وقال بعض الغرب والشرق ما أعظم الفرق بين آية الله المسيحي وآية الله الشيعي. لقد عانقه عندما سئل عن آية الله خميني لأنه قبل أن يستحقها حتى محمد! وأجمع بعض العلماء من عدة بلدان عربية في مؤتمر بمصر الشيعة بقرارهم به يجب على آية الله خميني أن يمنع أتباعه من أن يسموه "روح الله" أو "روح القدس". وإلا فإنه يخرج من الإسلام لأن شخصا واحدا في الدنيا والآخرة يستحق أن يسمى بهذا "روح القدس". لا وهو ابن مريم المولود من روح الله. إن كان آية الله خميني فإننا جميعا نقرأ بالشيعة أجمعين، فإن الله عين للمسيح بدعوة أوسع وسماه آية لجميع الناس. فليس ابن مريم آية الله للمسيحيين أو لليهود فحسب، بل أيضا للمسلمين والبوذيين والكنفوشيين

والمسيحيين وللمسلمين. فمن يتعمق في المسيح يدرك أنه آية الله الكبرى لكل الناس.

** لا أظن أن سيدنا المرغط حدّث حين يقول إن علماء المسلمين قد سهو الحبيبي إلى أن هناك واحداً فقط يصح تلقيبه بـ«روح القدس هو السيد المسيح» ذلك أن روح القدس في الإسلام ليس هو عيسى بن مريم، بل هو جبريل عليه السلام. وقد ذكر الله تعالى في القرآن أنه أيّد عبده المسيح بروح القدس، مما يدل على أنهما شيئان مختلفان (البقرة: ٨٧، ٢٥٣، والمائدة: ١١٠). ولا أدري من أين أتى واضع المقال بكلامه هذا. لكني في ذات الوقت لا ألومه ولا يمكن أن ألومه أبداً. فالمسيح عليه السلام، ولا سيما عند الحبيبي، مجرد علم من أعلام الشيعة. أما المسيح نبيّ الله فمعذور الله على عدم علاوة على أن مكانة النبي عند الله معروفة، وكذلك مصيره في الدار الآخرة. أما الحبيبي، أمثاله من المتعلمين، فلا ندري عنهم شيئاً، بل نكلهم إلى الله سبحانه. فأين هذا من ذاك؟ وما كان يجب أن يتدهدى السيد المرغط إلى هذا المستوى في المقارنة بين المسيح والحبيبي، إذ لا يصح ولا يجوز ولا يليق، لا من باب الدين ولا من باب العقل ولا من باب الذوق. إن تقدير الأشياء على هذا النحو يعيرهم به من يشير للعاديين مهما بلغوا من مكانة بين أقوامهم. ومع ذلك فبالنسبة إلى ما ذكره المرغط من أن الحبيبي كان يعلم الشرق والغرب، فقد رأيت عيسى عليه السلام في الأناجيل يوزع معارفه وشتائمه ذات اليمين وذات الشمال. ومع هذا أيضاً رغم أني لا أصدق أنه عليه الصلاة والسلام كان يهذي هذيان ولا يهذي الأعلام في المسائل. وهنا أرجح أن يشبه القرآن إليّ أني، حين أقول شيئاً عن المسيح لا يقبله المسلم المسلم، فإني أستمده من الأناجيل التي لا أوافق بصيغة الحال على كثير مما ورد فيها، لكني أحترم سيدنا المرغط لما في كتابه المقدس ليس إلا أن

حقيقي فيه ، عليه السلام ، فهي آية تبرئ كريمة طهر مريم من كل ما يمس به من لا ينبغي ممن اختارهم الله أنبياء ورسلا . كما أنه لم يعد طوره يوم قبره أنه ابن الإله فأرجو أن يكون ذلك مفهوما .

ونعطف على ما جاء في هذه الفقرة من أن القرآن قد وصف عيسى عليه السلام بأنه "آية" فنقول إن كتاب الله قد وصف أيضا أشياء أخرى كثيرة بأنها "آية" منها ما رآه محمد في معراجه إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، ومنها جنتا سبأ ، وناقة صالح ، ويد موسى وعصاه ، ومنها الطوفان والجراد والقمل والضفادع ودمه التي عذب الله بها فرعون وملأه ، ومنها الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبرق والرعد والرياح والسحاب والمطر والشجر والدواب والبحار والسفن واختلاف ألوان البشر ولغاتهم ، أما دعوى الواعظ المسكين بأن المسيح هو البشر الوحيد الذي قيل في القرآن إنه "آية للناس" ، فهي دعوى خاصة خطأ البشر ففي القرآن آيات أخرى في غير ما ذكر ، هي حجة على عزوفه عن قراءة كتب يجيبها الله بعد موتها . فالله سبحانه مائة عام ثم بعثه ، ثم أمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه وحماره كيف لم يتغير شيء منها ، وإلى عظامه كيف ينشزها سبحانه ثم يكسوها لحما ، وتبدت له نفسه . فقال له ربه جل جلاله ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وهناك آيات أخرى أيضا ذكرها القرآن في قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً

لِأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ [النور: ٤٤]، فضلا عن الآيات المتمثلة في يوسف وإخوته ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧]، وآيات أصحاب الكهف ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩]، وكذلك الآيات التي قال تعالى فيه سنريهم مكتوبة في أنفسهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]. وقيل ذلك كله إلى خلق البشر من تراب، وإلى خلق أزواج لهم من أنفسهم، أي أن كل واحد من البشر، ذكرا كان أو أنثى، وليس عيسى وحده، هو في حد ذاته آية ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢٠-٢١]. ومعنى ذلك أن وعد الطبيب النبي على براءته يختفي تماما في مأزق ما كان أعداء عيسى وعدد يترتب عليه من جرح شديد له وهناك يستمر النبي كل نبيا أن يظل معطيا عورته لو سنك لسانه ولم يتهور ويلق بنفسه في المعاطب!

ولا يقتصر ذكر الآيات البشرية على القرآن الشريف، بل نجدها أيضا في الكتاب المقدس مما يجعلنا نتساءل أي هذا الحد يجهل بولس وعد الطبيب النبي على براءته كتابه المقدس؟ ثم نراه يعرف ما فيه، لكنه يكتمه كي يجوز نقطة نصاخه بالباطل ضد المسلمين؟ سواء كان هذا أو ذاك فهو في بعض النصوص التي تتحدث عن الآيات البشرية في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: جاء في الإصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني

وفيما هُم يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء. وكان اليشع يرى وهو يصرخ «يا أبي، يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها» ولم يرهُ بعدُ. ويقول

داود (مزمور ١١٨): "صرخت كتابة بكثيرين". وفي الإصحاح العشرين من سفر إشعياء نقرأ: "في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلا «اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك» ففعل هكذا ومشى عريانا وحافيا. فقال الرب «كما مشى عبدي إشعياء عريانا وحافيا ثلاث سنين، آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش. هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش، الفتيان والشيوخ، عراة وحفاة ومكشوفي الأست، خزيا لمصر". فيرتعبون ويخجلون من أجل كوش رجائهم، ومن أجل مصر فخرهم". وفي الإصحاح الثاني عشر من سفر حزقيال يقول الله لحزقيال مخاطبا إياه بخصوص بيت إسرائيل المتمرد: "وأنت يا ابن آدم اعمل لك أمتعة جلاء واجل نهارا قدام عيونهم. في العتمة تخرجها تغطي وجهك فلا ترى الأرض، لأني جعلتك آية لبيت إسرائيل". فقل أنت لهم: "إني أنا آية لكم. كما صنعت هكذا يصنع بهم". وفي الإصحاح الرابع عشر، ولكنكم هو ذا "الأمر كل إنسان من بيت إسرائيل أو من الغرباء المتغربين في إسرائيل، إذا ارتد عني وأصعد أصنامه إلى قلبه، ووضع معثرة إثمه تجاه وجهه، ثم جاء إلى النبي ليسأل لأجل نفسه عني، فإني أنا الرب أجيبه بنفسي وأجعل وجهي ضد ذلك الإنسان وأجعله آية ومثلا". وفي الإصحاح الرابع والعشرين، ولكنكم أيها هو ذا "تتأوهون بغضكم على بعض". "ويكون حزقيال لكم آية". "في ذلك اليوم يفتح فمك للمنفلت وتتكلم، ولا تكون بعد أخرس، وتكون لهم آية، فيعلمون أني أنا الرب". وفي الإصحاح الثالث من سفر زكريا، ولكنكم هو ملاك الرب قائلا "اسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك، لأنهم رجال آية، لأني هأنذا آتي بعبدي «غصن». فهوذا الحجر الذي وضعت قدام يهوشع على حجر واحد سبع عيون، هأنذا ناقش نقشه، يقول رب

الخشوع، وأزيل إثمه تلك الأرض في يوم واحد». وفي الإصحاح الثاني عشر من الإنجيل متى يقول عيسى عن مريم عليه السلام: «حينئذ أحضر قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: «يا معلم، نريد أن نرى منك آية». فأجاب وقال لهم: «جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال». وهو ما تكرر في الإصحاح السادس عشر من نفس الإنجيل. وجه إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه، فسألوه أن يريهم آية من السماء. فأجاب وقال لهم: «إذا كان المساء قلتم صحو لأن السماء محمرة. وفي الصباح اليوم شتاء لأن السماء محمرة بغموسة. يا مراؤون! تعرفون أن تميزوا وجه السماء، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون! جيل شرير فاسق يلتمس آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي». وكذلك في الإصحاح الحادي عشر من الإنجيل لوقا: «وفيما كان الجموع يزدحمون، ابتدأ يقول: «هذا الجيل جيل شرير يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل». ولا ننس بوجه خاص مؤلفي الأناجيل الذين أعادهم المسيح إلى الحياة مرة أخرى بدون الله، فهم من أعظم الآيات البشرية. وأخيرا في الإصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا: «وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا». وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد».

◆◆◆

١١- رحمة الله

* نقرأ عن المسيح في القرآن أن الله بعثه رحمة للناس ورحمة منه (مريم ٢١). كما قال الله عن محمد وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (الأنبياء ١٠٧). إن كل مسلم يدرك أن وحي محمد يختلف مبدئياً عن وحي المسيح. نرى أن مضمون الرحمة في هذين الرجلين يختلف أيضاً اختلافاً جذرياً. لقد كان محمد نبي مسلم وعندما بلغه أملاه الملاك جبرائيل عليه، أما المسيح فلم يكن نبياً ورسولاً فحسب، بل كان الوحي المجسد، فلم يكن محتاجاً إلى وسيط كالملاك في كلامه في ذاته كلمة الله الأزلي. فكما أن نور الشمس يسمع بين الوحي في الإنجيل والقرآن. هكذا تختلف رحمة محمد عن رحمة المسيح جوهرياً. فقد جاء وحي محمد بوساطة آيات القرآن وعلاقاته في الحديث وقدوته في السنة. وتحدث هذه الإضافات في الشريعة مع أوامره وتحريماته منظمة جميع نواحي حياة الأمة الإسلامية فتنظم العبادات بالتفاصيل كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج. وحتى الحدود والسدود. وأما المعاملات فتنظم جميع نواحي الحياة في العائلة والإرث والعقود والجهاد والعقوبات. فتُثير حياة مسلم حسب الشريعة. وهكذا صارت خلاصة رحمة الله المرسلة في إنشاء الشريعة تحرر الإنجيل أن الإنسان لا يتبرر بحفظ الشريعة لأن لا أحد أكمل ونصها. وهكذا لم يُقدم المسلم أن الصوم دون خطأ. وأهملت الأكثرية الصلوات الخمس، وكسر ملايين الصوم، ولم يدفعوا الزكاة بالحبة، ولم يمارسوا الحج بدون هفوات وكم من مرة أحضا الرجل غير زوجته وأولاده! وكم من عقد عُقد غيبة وجدع! وكم من مرة صدر من المئذنين كذب! وهل عُرف إنسان بدون كذب، وأنانية وحقد وخساسة؟ فالشريعة لم تدين الإنسان بأعماله وبيانه. وخلاصة الشريعة هي الحكم على الإنسان بحضن لأجل الفشل والذنب

[illegible] بعد شريعة محمد عمت جميع الأمة بصفة شاملة. كما أن شريعة موسى تركت أحباءه على الله في كل توجيهه ضامنة التسليم الكلي والخضوع المطلق. إن الشريعة من سائر الخلق، وإن تغير المكان من دينه فكل شريعة حكم على الأمم وبيئاتها. فليست الشريعة صالحة لإنسان جهة الشريعة هي القانون الخالد ولا يستطيع أحد أن يرفضها. ينتمي كل تقي عقل العصور، ويبرهن ذلك قوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ...]. ولكن بالحقيقة ليس بخصائص أحد من الأمة الإسلامية على العقول بهذه الشامل قبل يوم الدين لأن ليس عندهم سبيل في الديمومة إلا شريعة خاتمة الأولى يوجد خلاص في شريعة لا معنوية ولا لغوية. وليس كل واحد في يوم الدين حسابه حساب الله وفقه من الشريعة الدين أخير الساعة. ولذلك عترف بني بأن جميع الناس سيدخلون جهنم حتمًا ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ... ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. ثم من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٦٩-٧٠]. وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ... ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. لأن رحمة ربك وسعت كل شيء رحمة وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [الأعراف: ١٥٦]. نعترف بأن مسيحي وهندي وبوذي ومسلم أشرار بطبيعتهم لأن ليس أحد من البشر صالح ولا واحد [illegible] جميعًا أخطأوا وأعوزهم مجد الله- رومية ٣: ٢٣. بل الله مع في المسيح رحمة خاصة لكل الناس. رحمة لا تدين خطاة ولا تهلكهم. بل تحبهم من غضب الله ودينونته العادلة- يوحنا ٣: ١٧ و١٨. لم يأتِ المسيح ليدين العالم. وطلب من حواريه تلاميذه قبيل إتمام الفداء الأخير قائلًا: المسيح ليس تعلن شريعة بمحمد تصديقها. بل إعلان محبة الله بمحمد، وبرهم محبي فعاش المسيح ذاته وأكمل الشريعة لأجله. وهذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم- يوحنا ١

٢٩ وأما إشعياء النبي فقال الحق وسعد نفسه موضحا بيانة المسيح عنا في ذبيحة الله لكل أحزانه جسمه وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا منسحق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا مال كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا- إشعياء ٥٣: ٤ خلص المسيح نفسه من لعنة الشريعة، وخلصنا من حكم الدينونة في اليوم الأخير، ويوجد الذين يقبلون إليه مؤمنين غفرانه قد صالح المسيح البشر لله وأوجد سلاما بدمه ويوصينا الرسول بولس بقوله هذه الحقيقة الروحية كونوا لطفاء نصالحوا مع الله لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه- ٢كورنثوس ٥: ٢٠ و٢١ هذا استطاع المسيح أن يؤكد للمسيح أمامه: ثوبك نجس، معفورة لك خطاياك واعلن أيضا لتحفة نفسه معفورة لك خطاياك ويستمر المسيح بدعوته لكل تائب ندم على إثمه، ويؤكد له: إن الله بحث لأني صالحت به لم يرسل الله المسيح رسولا إلى العالمين ليبشر شريعة ثقيلة يستحيل تطبيقها كلا! إنما المسيح نفسه كان رحمة الله متجسدا حين ظهرت فيه محبة الله للناس أجمعين، وأحب خطاة وبرئ أعداءه وشجع الخاشعين لدى مريم هو رحمة الرحمن الرحيم ويشهد الكتاب على أنه جوهر من جوهر وروح من الله في الجسد- سورة النساء ١١١ ليس خلاف ولا فرق بينه وبين رحمة الله لذلك أصبحت كفارته المقدسة على الصليب لله عرض من الله للهالكين فكل من يقبل نعمة التغيير يتصالح مع الله ويتأكد أن المسيح حي جالس عن يمين العظمة. فرحة المسيح لا تذهب ولا تهدأ بل أوجدت تغييرا عاما ونعمة خاصة وسلاما مع الله لا يعيش أتباع المسيح تحت شريعة موسى فيما بعد ولا تحت شريعة محمد بل يتمتعون في نعمة الإنجيل ويجب أن نقدر هذا الامتياز لكل

وصـــوح ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [...] فالمراد بحكم المسيحيين من الشريعة شرعية ويشتهم رسميا في نعمة الإنجيل . فهل رحمة المسيح تمنح سلاما عاما وتمنح روحيا في يقين الخلاص وتقودهم خدمات محبة وترحمه اليقين

** هذه الفقرة مليئة بالمغالطات والأخطاء والتناقضات لواضحة لكل من يحكم عقله . وخاصة إذا تدبر على معرفة بالقرآن الكريم والكتاب المقدس . وسبدأ بقول الواعظ الغريب الذي على بيانه إن المسيح طلب من أتباعه الالتزام بالشريعة . وقوله في ذات الوقت إن النصرانية قد ألغت الشريعة . كيف؟ لا أدري . وليست هذه أحدا آخر يدري! وهذا هو كلامه بنصه : "لم يدع المسيح حفظ وصايا الله . وطلب من حواريه إتمامها بحذافيرها . فخلص المسيح أتباعه من لعنة الشريعة . وخلصهم من حكم الخطية في يوم الأخير" نرى كيف يأمر المسيح أتباعه بأن يتمسكوا بوصايا الشريعة . بل بأن يتمموها بدقة . وفي نفس الوقت يقول إنه قد خلصهم منها ومن لعنتها؟ بمعنى هذا أنه ، عليه السلام ، حين أمرهم بإتمامها قد أمرهم أن يقترفوا اللعنة ألسي كذلك؟ هذا ما يقوله كلام الواعظ بمنتهى الوضوح! والواقع أن متكلمة في كلام ذلك الواعظ وأشباهه أنهم يريدون أن يسوقوا كلاما لا معنى له ، وعليا أن نقبله بوصفه مجرد جزء نقص تملأ نقصه ، ولأن الوقت قصير ، ولا يسعنا أن نخضعه بموضوعية لتفكير ، بل نقبل دون تفكير ما يريد الواعظ وأشباهه منا أن نؤمن به عليه رغم أنه لا يؤدي إلى شيء من الصالح المراد ترتيبه عليه حتى لا يكتشف غور كلامه ، وبين تهافت منطقه ، وتظهر المغالطات الفجة في طريقة تفكيره كما هو حادث الآن

ثم كيف يقال إن المسيح قد خلصهم من لعنة الشريعة؟ ترى هل هناك مجتمع في الدنيا يعيش دون شريعة؟ وكيف ينظم الناس حياتهم ويديرون بها

الصعاب و الخطر ويعرفون حقوقهم و واجباتهم و العقوبات التي تردع المجرم عن إجرامه . أو على الأقل يكون عذرة معذوره من أن يسلك نفس السبيل ؟ ترى لمن ادعى أي مدع نعاليه سيد المسيح التي كان يوصي بها تلاميذه كما يقول الأناجيل ؟ لم يكن يأمر كل من أمن به أن يترك عمله الذي يكتسب منه رزقه ؟ لم يرفض أن يدعي أحد مؤمن به بتشييع جثمان أبيه قائلاً له دع موتى يدفنون موتاهم . ما يفيد أنه لو أن أفراد المجتمع كلهم به لكان معنى هذا أن تبقى جثث الموتى في البيوت و الشوارع و الحقول حتى تنهشها الكلاب و الثعالب و النسور لأنه لن يكون هناك في هذه الحالة موتى آخرون ليقوموا بواجب الدفن ؟ ألم يقوموا بدفن موتاهم ؟ ألم يبين لهم كيف يدفنون ؟ ألم يقل لهم بل على الأغنياء التخلي عن كل ثرواتهم حتى يدخلوا ملكوت السماوات ؟ ألم يوجب عليهم أن يتركوا أولادهم لمن يعولهم و أن يتركوا جندهم الأبرياء لمن يصنعهم على جدهم الأيمن و أن و أن و أن ؟ أليس في المسيحية تشريعات خاصة بالمتزوجين و العزاب و الزواج و الطلاق و الصلاة و الصيام و الحج و الميراث و الحدود مثلاً . ودعك من أن كثيراً منها تشريعات مُعجزة جداً ؟ أليس في المسيحية حرام يسمّى السماوات على الذين يخرجون عن طورهم أو طوع بكبسة ؟ أليس القتل و السرقة و الكذب و خيانة و عقوبة الأب و الأم مثلاً حرام في المسيحية ؟ أم أن المسيحي يستطيع أن يرتشي ويقتل ويسرق ويعتدي ويسب ويستغل ويتجسس ويكون يكذب دون أن تخشى عقاباً من الله يوم القيامة ما دام السيد المسيح ، صلى الله عليه وسلم ، قد جاء برحمة و بتعاليم تتماشى ؟ فإذا كان الأمر كذلك ، وهو لم يكن يغير كذلك ، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك ، فأي فرق إذن بين المسيحية وبين الإسلام أو أي دين آخر يُسوّل واعظها الطيب الذي على سبيله ترغيب الناس بوضع شيء ما ، مختلف عند عند الآخرين ؟ إن آفة بعض

[illegible] أنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على أنفسهم ولا أن يذهبوا فيردوا ما يسمعونه دون أن يعرضوه على عقولهم ويطبقوا فيه نظر الفاحص المنقد. بل لا بد لهم من النظر والتفكير في كل ما يُعرض عليهم. ونحن نحمد الله على هذا الوصف من النشر. فإن فيه عقوبة ما يقال لنا، وإلا لبدونا في صورة وهذا الكلام الذي يقوله واعظ الطبيب الذي على بينة لا يصدر عنه إلا عن سمة التفكير، بل يصغي في شوق ولهفة!

وهل تناقضت كلام واعظ قومه؟ لقد كان محمد بن مسلمة وعبد الله بن أبي بكر قد أملاه ملك جبريل عليه. أما المسيح فلم يكن نبيا ورسولا فحسب، بل كان الوحي المتجسد، فلم يكن محتاجا إلى وسيط كملك بل كان في ذاته كلمة الله الأزلي. أدلك أنه يقرأ أن محمدا هو من أنبياء الله، فما معنى هذا؟ أليس معناه أنه يسعى للإيمان به صلى الله عليه وسلم؟ ألم ترى أنه سبحانه قد أرسله على سبيل البعث فلم يرد من عباده أن يؤمنوا به بل أن يتحدوا دينه ربما بصنعهم في حجرة الاستقبال كأشكال من الأشكال؟ أعطوني عقولكم أيها القراء! أوليس الذي يسبح السابق كما أن مقررات المرحلة الإعدادية تأخذ مكان مقررات المرحلة الابتدائية لأنها ستشمل عليها وتزيد عنها وتفصل القول فيها وتضيف أشياء مهمة لم تعد مناسبة مدارك الكبار [illegible] يح. وكما تأخذ الثانوية مكان الإعدادية، والجامعة مكان الثانوية؟

[illegible] يضحك قول واعظ الطبيب أن صانع المسيح البشر إلى واحد سلاما لديه، نعم يضحك لدقته في وقع الذي يقع العين [illegible] بل لقد قد ركبها وما زال يركبها ألف عثرت وعثرت! أين الله هذا السلام الذي يأبى واعظ إلا أن يجعله سلاما لديه؟ نعم أين هذا السلام؟ أترى يتحدث عن سلام في ريح عاتية أو في زوبعة؟ وإلا فما معنى أن

هذه الحروب والخصومات والاشتباكات والشجار والقلق والسأم والخوف وعدم الرضا في كل مكان على وجه الأرض؟ أم تراه يقول إن هذا هو السلام؟ إن مصيبة بعض النقاد أنهم يعيشون أسرى ما يتوهمونه من النقد لا يخاطبون أن يخرجوا من أسر هذا الوقع والأهواء والزور والحياة الحقيقية ليروا الذي صدق ما يقولون أو كذبوا! وواعجبا وأشباهه للأسف من ذلك الصنف من الناس!

ويقول واعجبا أيضا: إن الله لم يرسل المسيح رسولا إلى العالمين يبشر شريعة تخلفه بستحيل تصديقها. كلا! إن المسيح عيسى بن مريم كان رحمة الله المتجسد حين ظهرت فيه محبة القدوس للجميع. وأحب الخطاة وبارك أعداءه وشجع المنبوذين. فابن مريم هو رحمة الرحمن الرحيم. ويدل هذا اللقب على أنه جوهر من جوهر وروح من الله في جسد - سورة النساء ١٧١. فليس خلاف ولا فرق بينه وبين رحمة الله. لقد أصبحت كفارته الثالثة عن البشر كلمة خرجت من الله لتهلكهم. فكل من يقبل نعمة التبرير بتصالح مع الله ويتصور مشاركة المسيح حي جالس عن يمين العظمة. فرحمة المسيح لا تدينه ولا تهلكه بل أوجدت تبريرا عادلا ونعمة خاصة وسلاما مع الله. كلام كلام كلام كلام فقط. والسلام كلام لا محصلة من ورائه. ومع هذا فلا بد أن نسير نحاسبه واعجبا الحكيم. ألا وهو أنه إذا كانت المسيحية قد أتت برحمة من خلال الله الذي تجسد في المسيح فما نحو الكثير من الأعوام. فإن الإسلام لم يترك البشر دون رحمة وغفران على مدى ثلاثين من السنين منذ أن خلق الإنسان إلى أن أتى المسيح عليه السلام. بل أكد لنا أن الله سبحانه وتعالى قد تاب على آدم بمجرد أن ارتكب معصية وعوقب عليها بالخروج من الجنة وستغفر ربه. وبه دخلت شر. ولا تحسد ولا يحزنون. ولا حسبه ولا تعقيدات لا يفهمها العقل ولا تسمح مع عدل الله ورحمته

وقدرته ووحدانيته واستحالة تجسده. أم سبقال إن الله كان ناسيا أن آدم قد ارتكب ذنبا أدى إلى حرمانه من رحمته سبحانه طوال تلك الملايين من السنين، إلى أن سبقه عيسى فمات وتحمل ما كان قد فاته كل تلك الأحقاب المتطاولة. أستغفر الله! فمتى كان الله عاجزا حتى يحتاج إلى معونة غيره؟ فمن ذا الذي وهن جسد المسيح ليعين الله وهو على الصليب؟

ومما يدعو للوقوف عنده لتوضيح وجه الحقيقة فيه قول واعظ السوء في تسويغ ما لا حدود له من الكلام إن الشريعة لم تقرر الخاطئ، ولم تحرر الذنب من ذنبه، فكل شريعة تحكم على الآثم وتهلكه. فمتى الشريعة سيدخل الإنسان جهنم؟ يا أخي، قل لله ولا قالك! لقد جاءت الشريعة لتنظم حياة الناس فلا يعتدي أحد على أحد، وإلا عوقب في الدنيا، أو الآخرة فقد يعفو فيه، وقد يرحمه الله أو يخفف عنه حسب ظروفه وفهمه ومدى ما بذل من جهد لتجنب وقوع الخطأ منه، ولكنك حسب ما عمل من الصالحات التي من شأنها أن تعادل ما اقترف من ذنب، بل ربما كانت العقوبة المقررة كافية بعفو الذنب في الآخرة. ومع هذا كله، فهناك رحمة الله الواسعة التي تسبق دائما غضبه وعدله. أليس الله كريما؟ أليس عفوا غفورا رحيما بل جبارا عفوا؟ فكيف يكون سبحانه كذلك، وهو أعظم من ذلك، دون أن يظهر في حسابه لعباده لا ذنب؟ فالغفران إذن لا ينتظر بالضرورة إلى الآخرة، بل قد يتم هنا في الدنيا أولا وأول ما دام الشخص يستغفر ربه ويندم على ما فرط منه من معصية ويسارع إلى فعل الخيرات. ثم لقد جعل الله للإنسان ضميرا، وهو سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وليس ثمة ذنب إلا وعفو الله أكرم منه وأعظم. ولا يفوق هذا كله أن الحسنة في الإسلام بعشر أمثالها، بل بها تتضاعف إلى سبعمائة ضعف وأكثر إلى ما شاء الله، على حين أن السيئة بما تُجزى مثلها

فقط . وهذا إن حُرِّمت أصلا . وكثير مما لا يجزئ الإنسان عنها كما يعرف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ولا يعرف أن كل ما يفعله الشخص يعوض ما أنكه من آثام أولا ثانيا ... أن الأمر يختلف بالكلية عما يعرف به . فعلا ... ولا يقتصر الأمر على صلاة و صيام و صدقات فحسب ، بل يدخل في هذا كل حذارة ، وكل يقظة أحذر من كل حذارة ، تتسم في وجوه الناس وملاطفة الأذى عن طريق ، وتخلص النصح للآخرين ، والسهر في خدمة المجتمع وسعي الشخص على لقمة عيشه وبابه نفسه عن المعصية وتأديته أي عمل نافع له وللناس من حوله ، وسداده كلما أو قصر أو عصفورا شربه ماء وصولته لزوجته ونفقة في نفسه ، بل إن معاشرته ها في الفراش تأخذ حسنة وعليها أجرا على أن هذا ليس هو كل شيء ، بل إن لكل يد هم حسنة كتب له بها أجر ، وقد عليه فعلا ليس له سبعة أجور إن شاء الله . أما يد هم سيئة فإنه لا يكتب عليه إلى ، وقد تعيب كتب عليه ذنب واحد ، وقد خاف ربه ومنع عن أن له أجر على نحو لا يسع المجال لشرحه ، حتى هو إن الإسلام دين عظيم ، لكل أصحاب العقول المتحضرة لا يتعجب . فهو مثل هذه النسبة لا يستطيع أحد أن يقدر حق قدرها ، وعليه أن يعمل كل ما جهده ، وعليه أن يحسب ، ما أمكنه الحساب ، بسبب معاصي وذنوب ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوب ، إلى ما كرمت ولا تعلنه في وجهي ، ويترك حوبه بعد هذا على الله ، وإن عذبه الله أبدا فكما يرى أنها ... ليس هناك أحد ولا أكثر معذبة ولا أقرب إلى فقره الشر ولا أشد على معالجة أمورهم في حياة الإسلام وليس معنى هذا أن كل شيء سلك ... تام تماما ، بسبب وجود أي جزء شيء سمه تام تماما ، لأنه ليس في دنياه من كل شيء ... أي شيء كمثل على الكتب

والتدقيق والضحك على دقون أحكام المتحققين مثل زعمائهم والذين يحبون أن يسمعوا أن كل شيء عدا العلم زعم معرفتهم قبل غيرهم أنهم لا يسمعون إلا كذبا وزورا. بل نحن في ملكوت الله المطلع على كل شيء والذي خلق عباده ضعفاء حقراء، وكل ما هو مطلوب منهم، كما قلت، أن يبذلوا جهدهم وطاقتهم لا يألون منهما شيئا، وأن يتباعدوا عن مواطن التقصير والحرام والإساءة ما أمكنهم ذلك، وأن يسارعوا إلى الاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب إن وقعوا في شيء منه، ثم أن يزكوا أنفسهم بين يدي الله. ونعم الله! ترى هل يريد الواحد منا أكثر من هذا؟ إنه إذن حشرٌ كثيرٌ يستأهل ضرب المتوفى! ترى هل هناك ما يضاهي في الغرابة قوله صلى الله عليه وسلم "شذوذ وفاروق" أو قوله: "إن مسحة لا أرضى قطع ولا ظهرا أبقى"؟ ثم أين نحن من قوله عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]؟ بل أين نحن من قوله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]؟.

وأترك القراء مع هذه الدفقة المحببة من أحاديث سيد المرسلين في هذا الموضوع: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هم بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة. فإن هو هم بعملها كتبها الله له سيئة واحدة". "إن عبدا أصاب ذنبا.. فقال: رب، أذنبت.. فاغفر لي. فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا.. فقال: رب، أذنبت.. آخر، فاغفره؟ فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء

لله . ثم أذنب ذنبا . قال رب أصبت . آخر ، فاغفره لي . فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي . ثلاثا ، فليعمل ما شاء . وفي الحديث أن الناس قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله . قال. فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال فوالذي نفسي بيده كذلك . يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها . أو منافقوها ، شك إبراهيم ، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم . فيقولون. هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا . فيتبعونه . ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها . ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلِّم سلِّم . وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان! هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله . قال. فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم: فمنهم المؤمن يبقى بعمله . أو الموبَق بعمله ، أو الموثق بعمله ، ومنهم المخردل ، أو المجازى ، أو نحوه . ثم يتجلى . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتُحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ثم

يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول: أي رب صرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: أليست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت؟ ويحك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انبهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخيرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ فيقول: ويحك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب، لا أكونن أشقى خلقك! فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنّ، فسأل ربه وتمنى، حتى إن الله ليذكّره، يقول: كذا وكذا، حتى انقطعت به الأماني، قال الله: ذلك لك، ومثله معه". "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم". "قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرّقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنّه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البرّ فجمع ما فيه،

وأمر السحر فجمع ما فيه. ثم قال له: فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم. فغفر الله له". ثم استدل: أفمن الممكن أن يسمع الإنسان مثل هذه الأحاديث العظيمة في العفو والغفران والرحمة الإلهية ويتصور أن ثم موضعاً لفكرة التجسد والصلب والفداء؟ حاشا لله وكلا!

ومن هذا يتضح بطلان كل ما قاله واعظ من أن كل مسلم سيدخل لا محالة النار قبل أن يريح ريح الجنة فهو كلام من لا يفهم مرامي الآيات المذكورة ولا سياقها وأسباب نزولها. يقول الواعظ: "اعترف النبي بأن جميع أتباعه سيدخلون جهنم حتماً ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾" (مريم ١٩: ٦٨-٧٢). إلا من رحم ربك وذلك حقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿٣٢﴾ (هود ١١: ١١٩). ووجه الحق هو أن الكلام في الآيتين خاص بالكافرين المعاندين الذين أصموا آذانهم عن دعوة الحق والتفكير فيها ورفضوا أن يفتحوا قلوبهم لنور هذه الهداية رفض المتمردين المتصلبين! ومعنى لآية الثانية أن جهنم لن تقتصر على عصاة البشر فحسب، بل ستشمل نظراءهم من الجن أيضاً. كما أنها لن تقتصر من هؤلاء وهؤلاء على فريق دون فريق، بل كل العصاة سوف يصلون نارها: فقراء كانوا أو أغنياء، ورجالاً كانوا أو نساء... وهكذا. ونلاحظ أن القرآن لم يقل إنه سبحانه سوف يملأ جهنم "بالجنة والناس أجمعين"، بل "من الجنة والناس أجمعين". والحرف "من" يفيد التبعيض، بمعنى أن بعض الجن وبعض الإنس هم الذين سيملأون جهنم لا الجن والإنس جميعاً. وأرجو أن يلتفت القارئ إلى قوله تعالى في نفس السورة للمسلمين قبل انتقال الآيات إلى الحديث عن الكافرين بقليل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٢٠﴾ (هود ١١٣). وهو ما يفيد أنه لو لم يركن المسلمون إلى الذين ظلموا ما مستهم النار بمجرد مسّ، فكيف يفهم منهم أن المسلمين المطيعين سوف يدخلون النار ويصلون عذابها ضربة لازب؟ وإلا فأين المهرب من جنة عرضها السموات والأرض كما جاء في سورة "آل عمران" وسورة "الحديد"؟ أما بل أصرّ مُصرٌّ على أن الكلام في سورة "مريم" يعني أن البشر جميعاً سوف يردُون النار أولاً، فلا بد أن نعرف بدءً أن الورود لا يعني الدخول والمقاسة، فورود الماء معناه الوصول إلى نهير أو البئر لا نزول الشخص فيه. وعلى هذا يكون المراد هو أن النار ستكون في الطريق إلى الجنة، فمن استحق جنة اجتاز الطريق لدار النعيم مباشرة دون أن يناله من النار أدنى لأنه لن يدخلها، وإلا أحد من العذاب نصيبه حتى يتطهر فيخرج عندئذ ليستحق بأصحاب الفردوس.

ومضيًا في المقارنة بين مصير المسلمين والنصارى يقول الواعظ إنه "لن يحصل أحد من الأمة الإسلامية على الخلاص النهائي الشامل قبل يوم الدين لأن ليس عندهم بديل في الديمونة إلا الشريعة الحاكمة". أما على الجانب الآخر فقد "خلّص المسيح أتباعه من لعنة الشريعة، ونجّاهم من حكم الديمونة في اليوم الأخير" وهو لا يكتفي بهذا، بل يضيف أن "إشعياء النبي أنبأ قبل ألفين وسبعمائة سنة موضحًا نيابة المسيح عنّا في ديمونة الله "لكنّ أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها. ونحن حسبناه مُصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً. وهو مجروحٌ لأجل معاصينا مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديبُ سلامنا عليه، وبحبره شُفينا. كلّنا كغنم ضللنا. ملنا كلُّ واحدٍ إلى طريقه والربُّ وضع عليه إثم جميعنا- إشعياء ٥٣: ٤". والواقع أن هذا كله ليس إلا كلامًا في كلام. كيف؟ يقول إن المسلمين لن يحصلوا على الخلاص النهائي الشامل إلا يوم الدين بعكس النصارى، وهو ما يفهم منه أن

مسلمين منعمون هنا في العذاب والمعذبة، على خلاف النصارى، الذين يرتعون في الدنيا في بحبوحة الجنة وما أعده الله فيها لعباده المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فهل هذا صحيح؟ الحق أنه لا يقول بهذا إلا مجنون. فكلا الفريقين يعيش في هذه الأرض كما يعيش الفريق الآخر. يعمل ويكد لكي يعيش. ويعاني متاعب الحياة بآلامها المختلفة من أمراض ومخاوف وقلق وملل وفقر وصنع وجهل. ويتطلع إلى السعادة على هذه الكرة فيبحث ويجتهد ويجد. وفي بلادنا نرى الفريقين كليهما يتصارعان من أجل العلاء والرفعة وحتى التي تملأ الشوارع وحتى الرصيف والزحام المرهب في المترو والسيارات. والصايعية غير المهرة الذين يتقاضون أجورا عالية لا يستحقونها. والمدارس والجامعات التي هي أكثر من هم على القلب وتأكل الميزانيات أكلا ثم لا تخرج إلا جهلة لا يستطيع أغلبهم كتابة اسمه كتابة صحيحة. والدروس الخصوصية التي لا علم فيها بل حفظ مخصصات كلها جهل وتخلف. والاستثمارات العامة هي في حقيقتها زرائب. والصحة التي تُصمّ الآذان وتكاد تصيب الناس بالجنون. والكذب وخلف الوعد. والأقطاب السياسية التي تحاصر الأذان في كل مكان. والأغاني الهابطة المصحوبة برقص بطنات تحكحكن أردافهن في جدران كأنهن قطط جائعة. والصحف التافهة التي لا تثقف عقلا ولا ترقي ذوقا ولا تقول الصدق علنا. إلخ. أم ترى واعظنا يزعم أن النصارى لا يقاسون شيئا من هذا. بل يعيشون في جنة عرضها كعرض السماء والأرض يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشيا دون أن يخرجوا من بيوتهم بل دون أن يغادروا فراشهم. وكل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يتمطوا بدلال يليق بأهل السعادة من ساكني الجنان ويفتحوا أفواههم وهم مستلقون على ظهورهم فيتساقط الطير مشويا في حلوقهم ومعه ما لذ وطاب من العصائر

حنوة من عرقسوس وثمر هندي وسوب ودوم وحرنوب (ولا داعي لذكر كولا والبيبسي بروا على حكم مقاطعة أمريكا). وقد هبت عليهم نسائم الفردوس الحصلة المعطرة ودخلت ملائكة عليهم من كل باب "سلامٌ عليكم بما صبرتم، فنعم عُقبى الدار". على حين أن المسلمين عندنا حين أدفأتهم في صقيع الجاري.. قد أبهلت على جنودهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أعيدوا فيها "وذوقوا عذاب الحريق". وسربلتهم ثياب من زفت وقطران. وليس هم طعامٌ إلا شجرة الزقوم. ولا شرابٌ إلا على الحميم" فيكفي المصري قد غفرت له ذنوبه. ولسنا لا نعلم الواقع الذي لا يكذب هو أن ثمرة هذا الدواء لن تظهر إلا في الآخرة. ومن ثم فلا فرق في ذلك هنا بين حالة الأولى وحالة الأخيرة. وهذا إن صدقنا أن ما يقوله الرجل صحيح. وهو بكل تأكيد غير صحيح

ونصل إلى إشارة الرجل إلى سورة الشعراء. وهو مطمئن الخال يقصد أن عيسى عليه السلام هو الله وأن الله الذي شفى المسوسين. وذلك أنه قد ذكرت الآية في سفر الشعراء أن الكلام عن عبد الله لا عن الله أو لا عن الله نفسه. وهذا هو النص في سفره كاملا كما ورد في السفر المذكور "قول عبدي يعقل. يتعالى ويرتفع ويسمو جدا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره قد فسد أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسد ملوك أفواههم. لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به. وما لم يسمعوا فهموا". من صدق خبرنا. ومن استعلنت ذراع الرب" نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه. ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن. كمستر عنه وجوهنا. محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها. وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مُصابا مضروبا من

لله ومذلولا. "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي؟ "وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلما، ولم يكن في فمه غش. "أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح "من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها "لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين "(إشعيا/ ٥٢/ ١٣- ١٥ ، و٥٣/ ١- ١١).

فمن أصر قداسة الواعظ على أن يرى هنا المسيح عليه السلام، فها هو ذا مؤلف سفر إشعياء يصفه على لسان الكون سبحانه بأنه عبد لله لا ابن له ولا سنن أنه لم يحدث مرة أن قال المسيح عليه السلام لأحد ممن تعامل معهم: "يا عبدي، أو يا عبدي"، بل إنه لم يسمهم حتى "عبيدا" (وهي الكلمة التي تستخدم عادة لعبد الإنسان لا لعبد الله، الذي يجمع عادة على "عباد") بل سماهم: "أحباء" "لا أعود أسميكم عبيدا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء، لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يوحنا/ ١٥/ ١٥) أي أن المسيح، عليه السلام، من الناحيتين: الإيجابية والسلبية كلتيهما، هو عبد لله كسائر عباد الله، وإن زاد عنهم بأنه كان رسولا نبيا. لكن قول مؤلف إشعياء عن ذلك العبد: "ظلم أما هو فتذلل

ولم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. أمن الصُّعقة ومن الدَّيْمومة أحد. وفي جيبه مَنْ كان يظنُّ أنه قصير من أرض الأحياء. أنه ضرب من أخي دمٍ شقيي؟ وجُعل مع الأشرار قبرُه. ومع غني عند موته" لا ينطبق على السيد المسيح صلى الله عليه وسلم. إذ إنه لم يكن صامتاً بل كان يتكلم طوال الوقت مع تلاميذه أو أعدائه أو المرضى المتعبين. وهذا الكلام هو الذي ألَّب عليه المجرمين بعد ذلك حتى عندما وُضع على الصليب حسب روايات مؤلفي الأناجيل لم يكف عن الكلام، بل كان يجيب على ما يوجه له من أسئلة وتهكمات. كما أحد يصيح ويتألم وهو في نزعه الأخير حسب يزعمون. ثم إنه لم يُدفن مع الأشرار. ولا مات مع أغنياء. وروية الصَّلب موجودة لكل من يريد. فبماذا نقوم على خلاف ما نقول! وفوق ذلك كيف يقال إنه قد ظُلم. وهو ابن الله أو الله ذاته؟ هل الآلهة يمكن أن تُظلم؟ وليس أبوه هو الذي أرسله بنفسه لكي يموت هذه الميتة قد. للبشرية؟ فكيف يسمَّى هذا ظلماً؟ الواقع أنه إذ قلنا إنه كان هناك ظلم فليس أمامنا إلا القول بأن هذا الظلم هو من الذي اختاره وأرسله. استغفر الله، لا من الذين أسلموه للقتلة ولا من الذين صلبوه لأن هؤلاء جميعاً إنما كانوا الأدوات المنفذة للمشيئة الإلهية التي بها عصمت ما عملت رحمة بالبشرية وتكفيراً لها عن ذنوبها كما يقول القوم! كذلك فالسيد المسيح لم يكن مختفياً. معاذ الله! وإذا كان فيمن قبل المجرمين المذنبين من بني إسرائيل فقط. وهؤلاء لا قيمة لهم عند الله. أما الذين آمنوا به فقد أحبوه واحترموه. والأناجيل مملوءة بالكلام الطيب الذي كانوا يعلنونه عليه. وفوق ذلك فإن قول إشعياء" لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمَّلها" لا ينطبق على السيد المسيح بحال لأنه لم يحدث أن حمل أحزان أحد ولا تحمَّل أوجاعه. بل كل ما هنالك أنه أذهب عن بعض المرضى (وليس

عـ كنـ نحن البشر) لأحزن و لأوجع التي كانوا يقاسونها ولم يتحمل هو نفسه شيئا منها ، وإلا فهل كان في كل مرة يشفي فيها أحدا من مرضه كان يصاب هو بدلا منه بذلك المرض؟ هذا هو معنى العبارة ، وهو ما لا ينطبق على المسيح بتاتا ، بيد أن الفقرة في تفكيرهم وتفسيرهم لكتابهم المقدس لا يجرون على أي منهج أو منطق ، بل يقولون كل ما يعنّ لهم بغض النظر عما فيه من شطط في الخروج على كل منطق وعقل! كذلك فإن الكلام يخلو تماما مما يعتقده النصارى في المسيح من أنه قام من الأموات وصعد إلى السماء! ثم إن نهاية النص تتحدث عن نسل له تطول أيامه ، وليس للمسيح أي نسل ، لسبب بسيط هو أنه لم يتزوج كما يعلم جميع الناس: "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ".

ولا بد من التنبيه إلى أن كثيرا من المفسرين اليهود يؤكدون أن المقصود في هذه النبوءة هو النبي إرميا وليس عيسى عليه السلام ، أما الفريق الآخر منهم الذي يرى أن الكلام عن المسيح فإن المسيح عندهم ليس هو ابن مريم بل شخصا آخر لا يزالون في انتظار مجيئه كما هو معروف (انظر Matthew Henry Complete Commentary on the Whole Bible" في التعليق على الفقرات ١٣ - ١٥ من الإصحاح الثاني والخمسين من سفر إشعياء). وهذا الشخص لن يكون واحدا من الأقانيم المعروفة لأنهم لا يعرفون التثليث النصراني الذي هو ، في الواقع ، نتاج الفكر المتأخر عن المسيح . وعلاوة على هذا نجد الفرد جيّوم في" A New Commentary on Holy Scripture" (لندن/ ١٩٢٩م/ ٤٥٩) يؤكد أن هناك خلافا حادا حول حقيقة الشخص الذي يشير إليه هنا لم يهدأ أواره . وأن التفسير التقديم الذي كان يرى أن المراد في نبوءتنا هو السيد المسيح قد أخلى

مكنه لحساب القول بأن المقصود هم بنو إسرائيل كلهم، وبخاصة أنه قد سبق في سفر إشعياء استعمال لفظ "العبد" مرادا به بنو إسرائيل، كما أنه من غير المعقول أن يكون الكلام بهذا التفصيل عن شخص لن يظهر إلا بعد ٥٠٠ عام تقريبا. ومن هذا يتبين لنا أن كلام السيد الواعظ هو كلام خاطئ تماما.

* * *

١٢- من هو الأعظم؟

● لا يناسب هذا السؤال حصر هذين الشخصيتين البارزتين لأنهما أعظم شخصيات في تاريخ البشر فالنبي محمد يتبعه ١١٠٠ مليون مسلم بعد مرور ١٣٧٠ سنة بعد الهجرة، بينما بلغ الذين يؤمنون بالمسيح ١١٠٠ مليون بعد ١٩٦٠ سنة من وفاته وتأثر أتباعه من محبة مخلصهم حتى قبلوا لأنفسهم اللقب: "المسيحيون" لا دين آخر ولا حرب، لا فلسفة ولا مذهب جمع عددا أوفر مما جمع هذان الرجلان في مذهبهما هذا يقدر تاريخ المسيح ومحمدًا القمتين عبر العصور كان محمد مدركا لشعبه محتملا لاضطهاد والحقد ١٢ سنة في مكة المكرمة. وتغير بعد الهجرة في سنة ٦٢٢ م إلى شخصية بارزة ماهرة في السياسة والتشريع والجهاد حتى أصبح أمير المؤمنين وخليفة الله في أرضه بالأمة الإسلامية أما المسيح فلم يقبل السؤال: من هو الأعظم؟ لأنه تواضع جدا وقال إنه «جاء ليُخدَم بل ليَخدُم، كما أعلن أن الذي يريد أن يكون أولا يكون الآخر، ومن يريد أن يتأمر فليكن عبدًا للجميع. فكل من يعلي العظمة لم يفهم المسيح وقصده بعد لأنه اعترف بأنه وديع ومتواضع القلب، فالمودعون فقط هم الذين يرثون الأرض- متى ٥: ٥. وهكذا نقرأ عن المسيح أنه أصبح مذلولاً ومحتقرًا

ومتعولا مرفوضا من أمته ومهانا حتى رفعوه على خشبة العار بأيدي الأمة- اشعياء ٥٣ : ١-٣. فالمسيح أراد وعاش إنكار النفس مصلوبا وعذبا. قد سمى بطرس مقدما رسله شيطانا محرنا عندما حاول أن يمنعه عن طريق الاحتقار والموت سيأتي على البشر- متى ١٦ : ٢٣. وأعلن المسيح نوعه أيضا بالنسبة لله وقال: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك- يوحنا ٥ : ١٩. وقال أيضا: الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال- يوحنا ١٤ : ١٠. وعترف المسيح أن الآب أعظم منه، فمحمد سمى الآب وأنكر نفسه. كل من يريد أن يفهم المسيح فلا بد أن يتواضع أولا ويسأل من هو الأصغر؟ ويسمى من هو الأعظم؟ لأن المسيح جعل نفسه أصغر الجميع، وأصبح خطية لأجلنا ليصبح نحن بر الله فيه. لذلك بذل نفسه فدية عن الأشرار والمجرمين ليتحرروا من ديونهم لله ويتغيروا إلى صورة محبته القدوسة.

** يا أيها الواعظ، لقد حيرتني، فما دمت تؤمن بسنة محمد وعصمته، فلماذا تشعب إذن وتضرب تحت الحزام من حين لحين كتلميحك إلى أن محمدا قد كان قد عاش حياته في مكة رجل سلام يتحمل الاضطهاد وحقد بعض سبل، فقد انقلب في المدينة رجل عدوان؟ لقد وصلتني الليلة رسالة إلكترونية عن "الهولوكوست الإسلامي". وهي تكمن في الرد عليك، إذ إن مرتكبي الهولوكوستات المذكورة فيها هم في غالبيتهم الساحقة من النصارى الذين يقولون إنهم أتباع المسيح سمى الوداعة والسلام. وهناك هولوكوستات أخرى لم تُذكر، كالهولوكوست الذي اجترمه الإسبان في شبه جزيرة إيبريا عقب انتصار النصارى على بني نصر آخر حكام الإسلام في تلك البلاد، إذ لم يبق مسلم هناك بعد فترة قصيرة يوحد الله، فإما ذهب المسلمون، وكانوا

يُعدّون بالملايين؟ والرسالة تجري على النحو التالي

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Muslims Holocaust and Genocide Remembrance Day

Muslims Against Terrorism

http: //www. m- a-t. org

In order to remember more than 32 million Muslims killed \ displaced during the past 1400 years, Muslims Against Terrorism (MAT) will be holding two memorial ceremonies in Toronto and Calgary.

Major holocausts and genocide of Muslims are as follows.

Crusaders killed more than half million Muslims during and after occupying Jerusalem.

Ganges Khan and his forces killed more than a million Muslims during the occupation of Iraq and neighboring areas. More than a million Muslims were killed \ forced to change religion by Spanish Crusaders in South America.

More than 2 million Muslims were killed \ forced to

change religion displaced by Spanish and other European extremists during the rebellion against Ottoman empire.

More than 3 million Muslims were killed by the European colonial powers during and after the occupation of Muslim countries.

More than 8 million Muslims were killed displaced by Tsars of Russia.

More than 3 million Muslims were killed displaced by communist government of Russia.

More than 1. 5 million Muslims have been killed in China, Cambodia, Vietnam, and other Far East countries since the world war II.

More than half million Muslims have been killed displaced in Burma since world war II.

More than half million Muslims have been killed in India and Kashmir since 1947

More than half million Muslims were killed by Serbs and Croats in Bosnia during early 90s.

More than 100,000 Muslims were killed in Kosovo and Albania during mid 90s.

More than a million Muslims were killed in East European countries during the communist governments.

More than 5 million Muslims have been killed displaced in Palestine since 1948.

More than 6 million Muslims were killed \ displaced by the Russian occupation of Afghanistan.

Thousands of Muslims have been killed by secular dictator governments (backed by the West) in Muslim countries since the independence from the colonial powers.

Why 32 million Muslims killed \ displaced during past 1400 hundred years?

يا أيها الواعظ ، إذا كنت وقومك تحلون المسيح فنحن المسلمين نحله أيضا ونحبه حبًا جمًا وندفع عنه وعن أمه الطاهرة الأذى والعدوان من أية جهة يأتيان ، لكننا رغم ذلك لا نؤهه ولا نرتفع به فوق النبوة ، فما هو في نهاية المطاف إلا عبد الله ورسوله مثلما محمد عبد الله ورسوله ، ومثلما نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان واليسع ويونس وزكريا وهُود وصالح وشُعَيب عباد الله ورسله ، عليهم جميعا الصلاة والسلام كذلك فنحن لا نستطيع قبول كثير مما تقصه الأناجيل عنه وتنسبه إليه مما أشرنا إلى بعضه فيما مضى من فقرات . ولكن ما دمت فتحت موضوع المقارنة بين النبيين الكريمين العظيمين فلا بد أن نمشي بدلوتنا . وسوف تدور المقارنة على ثلاثة محاور: الأول هو مدى توفير كل من

لتشريعات التي تنظم أمور الحياة . والثاني هو القيم الحضارية التي يشترك فيها كل من النبيين . والثالث هو عنصر الرجال الذين رباهم كل من الرسولين حسبما نقرأ في كتب قومه .

وبدأ بالتشريعات . ومعروف أن النصرانية تخلو تماماً من أي شيء يتعلق بتنظيم المجتمع أو الدولة سواء في مجال السياسة والحكومة ، أو الاقتصاد والعمل والإنتاج والصناعات والحرف والبيع والشراء والربا ، أو العلاقات التي تربط أفراد الأسر والأقارب والجيران بعضهم ببعض ، أو الحروب والمعاهدات التي يسعى الالتزام بها إليها . ذلك أن النصرانية ليست سوى طائفة من الأخلاقيات المغرقة في المثالية الساذجة التي تتأبى على التطبيق مهما كانت رغبة الشخص أو المجتمع في ذلك لأنها تدور في عصرة تشريعية وتفترض في الناس أنهم مجموعة من الملائكة الأطهار الأبرار ، أو من الموتى المتلبسين . فهم لا يحسون ولا يعصرون ولا يتألمون ولا يقتتلون على شيء ولا يرون له قيمة ، ومن ثم لا يثورون ولا يتمردون على أية إهانة أو إذلال . وبطبيعة الحال فإن الناس ليسوا كذلك ولا يمكن أن يكونوا كذلك . ومن ثم كان لا بد من تشريعات تنظم أمورهم في مجالات الحياة المختلفة . وهو ما قام به الإسلام على خير وجه . وراعى فيه إقامة توازن عبقري بين واقعية البشر وبين مثاليتهم بطريقة لا تسمح مع العصر في ذات الوقت على السمو بتلك الطبيعة إلى أقصى ما يمكنها نوعه من درجات الرقي والسمو رغم ذلك . وعلى ذلك فمن الخطأ وضع الإسلام موضع المقارنة مع النصرانية ، إذ لا تستطيع هذه الديانة الأخيرة أن تصمد لحظة من نهار أو ليل لتلك المقارنة إلا على سبيل الكثرة من جانب بعض الناس . ويسعى الأمر ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام من أن مملكته ليست من هذا العالم . وهي كلمة واضحة الدلالة على أن النصرانية ، حتى في أيام تحريفها ، لا تصلح بحال

لدين، فكيف تصح مقارنة الإسلام، فضلا عن تفضيلها عليه؟ بل هذا كلام لا يدخل العقل! وهذا ستقل بن محور الشبه في المقارنة بين محمد ومسيح عليهما الصلاة والسلام، وهو محور نفسه حضارية.

ومن المعروف أن حضارة تقوم على عدة أسس هي العقيدة، والأخلاق، والقانون، والعلم، والذوق، والعمل. وبكل جرأة هذا، وهو العمل، هو أول ما تتجه في المقارنة بين الإسلام والنصرانية. وكان المسيح عليه السلام، طبقا لما جاء في كتب الأناجيل، يحض على العمل على أنه عائق في طريق دعوته، وقد كان يأمر كل من يدخل في تلك الدعوة أن يترك وراء ظهره مهنته التي يأكل منها، وكذلك أسرته، وبيته.[٦] من ذلك ما ورد أنه «بينما يسوع يكرز ويقول: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات»».[٧] «وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر، وكانا صيادين. فقال لهما: «هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس»». «فللوقت تركا الشباك وتبعاه». «ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه، في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما، فدعاهما». «فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه» (متى ٤)، «ولما رأى يسوع جموعا كثيرة حوله، أمر بالذهاب إلى العبر». «فتقدم كاتب وقال له: «يا معلم، أتبعك أينما تمضي»». «فقال له يسوع: «للثعالب أوجرة وطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»». «وقال له آخر من تلاميذه: «يا سيد، ائذن لي أن أمضي أولا وأدفن أبي»». «فقال له يسوع: «اتبعني، ودع الموتى يدفنون موتاهم»» (متى ٨). «وفيما يسوع مجتاز من هناك، رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية، اسمه متى، فقال له: «اتبعني»».

فقد وتبعه" (متى ٩). وبالمناسبة فهذا النص الصغير يدل دلالة قاطعة على أن كاتب هذا الإنجيل ليس هو متى حواري عيسى، فهو يتكلم عن متى نفسه بوصفه شخصاً آخر. وهذا ظاهر من استعمال ضمير الغائب لا المتكلم. "وحينما قال يسوع تلاميذه «إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فليُنكرْ نفسهُ ويحملْ صليبهُ ويتبعني" (متى ١٦).

ويتصل بهذا تعويذه عليه السلام من شأن المال. مع أن المال في نفسه عنصر إنساني من عناصر الحياة. إذ هو ترجمة الجهد المبذول في العمل والإنتاج أو فيما يحتاج إليه الإنتاج كي يمكن إجراءه. ولا يمكن أن يُذال المال ويُكره. اللهم إلا إذا كان قد أتى من حرام، أو يُنفق في حرام، أما إدانته والتنفير منه والدعوة إلى كراهيته كأنه شرٌ في ذاته كما كان المسيح يفعل فقد سبق مؤلفو الأناجيل فهو ما لا يمكن الموافقة عليه. لأنه يهدم ركناً من أركان الحياة والعمران البشري. ولا فضل لمن يأكل الناس ويشترون ويبيعون ويكسبون إذا أهملوا العمل وما يترتب على العمل من كسب ومال؟ "«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيثُ يُفسدُ السوسُ والصدأُ، وحيثُ ينقبُ السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء، حيثُ لا يُفسدُ سوسٌ ولا صدأٌ، وحيثُ لا ينقبُ سارقون ولا يسرقون. "لأنهُ حيثُ يكونُ كنزُكَ هناك يكونُ قلبُكَ أيضاً. "سراجُ الجسد هو العينُ، فإن كانت عينُكَ سليمةً فجسدُكَ كلُّهُ يكونُ نيراً. "وإن كانت عينُكَ شريرةً فجسدُكَ كلُّهُ يكونُ مظلماً، فإن كان النورُ الذي فيكَ ظلاماً فالظلامُ كم يكونُ!" «لا يقدرُ أحدٌ أن يخدمَ سيدين، لأنهُ إما أن يبغضَ الواحدَ ويحبَّ الآخر، أو يلازمَ الواحدَ ويحتقرَ الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال." «لذلك أقولُ لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياةُ أفضلَ من

بعضكم . والحسد أفضل من اليأس؟ انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في مخازن . ولكنكم تسمونني يقوتها الله فكم بالحري أفضل منها؟ ومن منكم بالهم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟ ولماذا تهتمون بالملبس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ولكني أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا . فكم بالحري جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره . وهذه كلها تزاد لكم فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره" (متى ٦)

وقد يسأل سائل ما يقصده المسيح عليه السلام بقوله الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام عندما أشار إلى أن الله سوف يرزقنا كما يرزق الطير يبدأ في الصباح رائحة وتعود بطانا في المساء . ألا وهو أن الرسول محمد قد وضح ما يقصده بالمقارنة بين الطير . وهو ألا نركن إلى الكسل ونهمل العمل ، بل علينا أن نعمل ونرزق من فضله وقد كانت الطير تبدأ أعشاشها وتطير في فضاء الله الوسيع سعيا ورزقا لها والدودة . وحينئذ نحصل على رزقنا . فكذلك يسعى أن نتحرك نحن أيضا ونجتهد ونتعب حتى نحصل على رزقنا . فالرزق لا يأتي دون تعب وعرق وكد وكدح وهذا معنى بعثه صلى الله عليه وسلم بين الرزق وبين شرط التوكل على الله حق توكله "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" وهذا ما نجده في حديث السيد المسيح عليه السلام . بل قد أن الله يرزق الطير دون مجهود من جانبها . وهذا غير

صحيح كما يعرف جميع الناس.

يسوع "١٦ وإذا واحدٌ تقدَّمَ وقال له «أيها المعلِّمُ الصالحُ، أيَّ صلاحٍ أعملُ لتكونَ لي الحياةُ الأبديةُ؟» ١٧ فقال له «لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحدٌ صالحًا إلاَّ واحدٌ وهو الله. ولكن إنْ أردتَ أن تدخلَ الحياةَ فاحفظِ الوصايا» ١٨ قال له «أيَّةَ الوصايا؟» فقال يسوعُ «لا تقتُلْ، لا تزْنِ، لا تسرقْ، لا تشهدْ شهادةَ زورٍ ١٩ أكرِمْ أباكَ وأمَّكَ، وأحبَّ قريبَكَ كنفسِكَ» ٢٠ فقال له الشابُّ «هذه كلُّها حفظتُها منذُ حداثتي. فماذا يُعوِزُني بعدُ؟» ٢١ قال له يسوعُ «إنْ أردتَ أن تكونَ كاملاً فاذهبْ وبِعْ أملاكَكَ وأعطِ الفقراءَ، فيكونَ لكَ كنزٌ في السماءِ، وتعالَ اتبَعْني» ٢٢ فلمَّا سمعَ الشابُّ الكلمةَ مضى حزينًا، لأنَّهُ كان ذا أموالٍ كثيرةٍ. ٢٣ فقال يسوعُ لتلاميذِه «الحقَّ أقولُ لكُمْ إنَّهُ يعسُرُ أن يدخلَ غنيٌّ إلى ملكوتِ السمواتِ! ٢٤ وأقولُ لكُمْ أيضًا يا بَنِيَّ، حملُ من ثقبِ إبرةٍ أيسرُ من أن يدخلَ غنيٌّ إلى ملكوتِ اللهِ!» ٢٥ فلمَّا سمعَ تلاميذُهُ بُهِتوا جدًّا قائلين «إذًا من يستطيعُ أن يخلُصَ؟» ٢٦ فنظرَ إليهم يسوعُ وقال لهُم «هذا عندَ الناسِ عسيرٌ مستصعبٌ، ولكنْ عندَ اللهِ كلُّ شيءٍ مستطاعٌ» ٢٧ فأجابَ بطرسُ حينئذٍ وقال لهُ «ها نحنُ قد تركْنا كلَّ شيءٍ وتبِعْناكَ. فماذا يكونُ لنا؟» ٢٨ فقال لهُم يسوعُ «الحقَّ أقولُ لكُمْ إنَّكُمُ الذينَ تبِعْتُموني، في التجديدِ، متى جلسَ ابنُ الإنسانِ على كرسيِّ مجدِهِ، تجلسونَ أنتُمْ أيضًا على اثني عشرَ كرسيًّا تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الاثني عشرَ. ٢٩ وكلُّ من تركَ بيوتًا أو إخوةً أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً من أجلِ اسمي، يأخذُ مئةَ ضعفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ ٣٠ ولكنَّ كثيرينَ أوَّلونَ يكونونَ آخرينَ، وآخرونَ أوَّلينَ» (متى ١٩ ونو قيل بن لعنى إذا كان من حرام أو يدفع بن حرام أو يشغل صاحبه عن طاعة الله ويعريه ولأنه

فوسه يشكل عندئذ عقبة تمنع صاحبه من دخول ملكوت السماوات، أما لتعبير من قال مطلقاً فلا أدري كيف يكون!)

وبذلك كان من ثمرة هذا الموقف المدني من السيد المسيح أنه وتلاميذه كانوا يعتمدون في مطعمهم ومشربهم ومركبهم ... إلخ على ما يجود به عليهم الآخرون، أو على ما يقتنصونه في طريقهم من حقول أو حظائر يهجمون عليها دون إذن من أصحابها، أو على معجزات السيد المسيح الطعامية. وإن لم تأت المعجزة بالتمرة المطلوبة لعين التينة المسكينة التي لم تستجب له لأن الأوان ليس أوان تين، وليس هذا سبب في ذلك. وليس على تلك الأسس تقوم المجتمعات البشرية، بل على العمل والجد والإنتاج والمشاركة والتصنيع والتبادل. ولما أقرض المجتمع وصايا "هؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون كرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا. لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً لطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا، لأن الفاعل مستحق طعامه" (متى ١٠)، في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. فالفريسيون لما نظروا قالوا له: «هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت!» فقال لهم: «أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه؟ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه، بل للكهنة فقط. أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء؟ ولكن أقول لكم: إن ههنا أعظم من

لهيكل! فلو علمتم ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة، لما حكمتم على
أبرياء! فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» (متى ١٢ والتعريف
أن كاتب الإنجيل يعرض المسألة على أنه انتهاك حرمة السبت، ويسوع
يتناسى انتهاك حرمة الحقل في عباب صاحبه و الأكل منه دون إذنه).
" فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم
ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين «المكان موضع خلاء و الوقت قد
مضى فاصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً».
فقال لهم يسوع «لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أنتم ليأكلوا».
فقالوا له: «ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان» فقال
«ائتوني بها إلي هنا» " وأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ
الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى
الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ للجموع " فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا
ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة " والآكلون كانوا نحو خمسة
آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد (متى ١٤)، "" وأما يسوع فدعا
تلاميذه وقال «إني أشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون
معي وليس لهم ما يأكلون وأنا لست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا
في الطريق» " فقال له التلاميذ «من أين لنا في البرية خبز بهذا المقدار،
حتى يشبع جمعاً هذا عددهم؟» " فقال لهم يسوع «كم عندكم من الخبز؟»
فقالوا «سبعة وقليل من صغار السمك» " فأمر الجموع أن يتكئوا
على الأرض، " وأخذ السبع الخبزات والسمك، وشكر وكسر وأعطى
تلاميذه، والتلاميذ أعطوا الجميع " فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما
فضل من الكسر سبع سلال مملوءة، " والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل
ما عدا النساء والأولاد (متى ١٥)، " بعد قليل من أورشليم وجاءوا إلى

بيت فاحي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما «اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها، فحلاهما وأتياني بهما. وإن قال لكما أحد شيئا، فقولا الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما» (متى ٢١). وفي الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع، فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط فقال لها «لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد». فيبست التينة في الحال (متى ٢١)." وفي أول أيام الفصير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له «أين تريد أن نعد لك تأكل الفصح؟» فقال «اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان وقولوا له المعلم يقول إن وقتي قريب عندك أصنع الفصح مع تلاميذي» فعمل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح" (متى/ ٢٦).

هذا ما نقوله الأناجيل في موضوع العمل والمال، وهو (كما نرى) لا يصلح لمجتمعات البشرية، فلا شيء لن يبقى على الأرض طول الحياة حتى يولي الناس ما يحتاجون. كما أنه لن يحصل معجزات، والدليل على ذلك قصة الحقل وقصة التينة وقصة عيد الفصح، ولن يستفيد من معجزاته إلا من حوله حسبما شاهدنا. ليس هناك إذن سوى سبيل واحد هو العمل والإنتاج والاعتماد على النفس والتعاون وتوزيع الاختصاصات، كل شخص فيما يحسن ويتقن. وهذا ما يقوله الإسلام. لقد تكرر في القرآن الشريف مرات بعد مرات، عقب الإيمان مباشرة، الأمر بالأعمال الصالحات، وهي تشمل كل شيء، فتشمل حياة الإنسانية كي تتحرك وتستمر، وأوجب العمل على المسلمين "وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" وفي الحديث الرسول ما يدل على أنه لا بد من العمل وتعهد كل إنسان مهنة يزاولها ويعيش منها مُعينا إخوانه في المجتمع والإنسانية

ومستعبدا لهم . وأن المال خيرٌ ما كان من حلال وما أُنفق في حلال وأُدّي فيه حق الله وللآخرين . وأن العمل واجب حتى آخر نفس في حياة الإنسان . بل حتى آخر لحظة في عمر الشيب . وأن العبادة لا ينبغي أن تعطل الإنسان عن عمله ولا أن تحول عنه . وربما قُدّم في بعض الظروف عليها . بل على العالم بعد أن يفرغ من عبادته أن ينطلق سعيا وراء الرزق ممارسا مهنته ومؤديا عمله . وأن مهن كلها محترمة . وأنه لا يكفي أن يؤدي الإنسان العمل . بل لابد من إتقانه على أوجه مطلوب . واحتضار ليس في الذنب ما يعاب على من يستمتع بطيباتها ما دام يرعى ربه فيها . فالإسلام لا يبغض الحياة ولا ينهجها . بل يأخذ بيدها ويتعاون معها على خير البشرية . يقول رسول الكريم: "من بات كلاً من عمل يده بات مغفورا له" . "ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله . ألا أخبركم بالذي يليه؟ رجل معتزل في غُنيمة له يؤدي حق الله فيها" . "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كلٍ خير" . "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . وابدأ بمن تعول" . "دينارٌ أنفقته في سبيل الله . ودينارٌ أنفقته في رقبة . ودينارٌ تصدقت به على مسكين . ودينارٌ أنفقته على أهلك أعظمهم أجرا الذي أنفقته على أهلك" . "بلغ ما استطعت للمرء نصائح" . "من أحيى أرضا ميتة فهي له" . "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكور أدخله الله الجنة" . "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال المهاجرون الأولون يا رسول الله . ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفوا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال لا . ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم" .

وفي السنن عن أبي أمامة أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه

وسلم قبل الإسلام في التجارة. فلما كان يوم الفتح جاءه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبا بأخي وشريكي! كان لا يماري ولا يجاري! يا سائب، قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تقبل منك، وهي اليوم تقبل منك وتكون لك سبب وصية". "بعثك الله نبيا بالرعي عليه". قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: "وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط". "حبل ثلاثة لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر: فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر، ورجل ربطها تغنيا وتعففا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر، ورجل ربطها فخرا ورياء، فهي على ذلك وزر". "على كل مسلم صدقة". قالوا: فإن لم يجد؟ قال: "فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق". قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: "فيعين ذا حاجة الملهوف". قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: "فليأمر بالخير". أو قال: "بالمعروف". قال: فإن لم يفعل؟ قال: "فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة". "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده". "عن سعد بن أبي وقاص: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث، والثلث كثير، أو كبير. إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس". "أفضل الصدقة ما ترك غنى، وليد أعلبا خير من يد السفلى، وابدأ بمن تعول". "عن أبي هريرة:

قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة. ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا. ثم يتلو: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات... إلى قوله الرحيم. إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. وكان (معاذ بن جبل رضي الله عنه) يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم "البقرة" فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذا فقال: إنه منافق. فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي نواضحنا، وإن معاذ صلى بنا البارحة، فقرأ "البقرة"، فتجوزت. فزعم أني منافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معاذ، أفتان أنت؟ (ثلاثا) اقرأ "والشمس وضحاها" و"سبح اسم ربك الأعلى" ونحوها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فصام بعض وأفطر بعض، فتحرّى المفطرون وعملوا، وضعف الصوّام عن بعض العمل. فقال في ذلك: ذهب المفطرون اليوم بالأجر، لأن يعدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطى أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة. وجاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون! قال: ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله؟

تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين". "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". "من بات كلا من عمله بات مغفورا له". "إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها". "عن مسلمان (وكان عبدا مملوكا لبعض أهل المدينة) فأراد أن يتحرر من رقه، فكلفه على أن يغرس له شجر نخيت له نخل بشجر (عقوه) فقال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال غرس وشارطه هو، فإن أردت أن تغرس لأجلي. فقال فأتيته فقال فجاء فجعل يغرس معه، فلما وحدة غرستها سيدي، فعشت إلا أشهر وحدة". "الذنب حصرة حبوة فمن أحدها خلفها بورك له فيها، ومن أحدها بغير حقها لم يبارك له، وكان كالذي يأكل ولا يشبع". "المؤمن الخير خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك و مستعن بالله، ولا تعجز". "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"... إلخ.

كما حض الإسلام على الصدقات وهو يترغبه مراعيا المسلم إن شاء أداها، وإن شاء يؤدها، وإن شاء أخرج كثيرا، وإن شاء أخرج قليلا، وإن شاء يستمر في تأديتها، وإن شاء توقف، بل قسمها وجعلها حقا للفقير لا يمن به صاحب، وجعل لها موعدين يتوسلون على جمعها وتوزيعها أي أنه اتبع أسلوبا تشجيعيا ولم يتركه كالأمر في الهواء، وتلك لسبة التي يخرجها المسلم تقدر من ماله في مجال الصدقات مقدارا معقولا يكفي لقضاء على الفقر، ولا يسبب الأغنياء كل ثروتهم بل يترك لهم الكثير رغم ذلك، والمقصود بالفقر هنا الفقر المشروع عن عجز صاحبه عن الكسب أو من خلال الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لا الفقر الناتج عن الكسل والبلادة وقلة الكرامة والطمع فيما في أيدي الآخرين دون وجه حق، ولأن الزكاة تقام

مقس في الإسلام فقد استمر حتى عصرنا هذا الذي لم تعد الحكومات الإسلامية فيه تهتم بتطبيقه. بل لا يزال كثير من المسلمين يخرجون حق الخمس في أموالهم طيبة به نفوسهم راجين فضل الله به ورضاهم عنه

هذا عن العمل، وأما عن بعض ما حدث به الإسلام عن العلم وفضله ومكانة أهله عند الله فحسبنا هنا أن نذكر مثلاً لآيات المتلائمة التالية: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ (طه: ١١٤)، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ (الزمر: ٩)، ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة: ١١)، ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران: ١٨)، ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ (الأنعام: ١٤٣)، ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: ٧٦).

أما الأحاديث المحمدية فمنها على سبيل المثال: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر، فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الخير، فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، من سئل عن علم فعلمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار، نضر الله عبداً سمع مقالتي

فحفظها ووعاها وأداها فربَّ حامل فقه غيرُ فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه". "من حدث حديثاً وهو يظن العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة". "من طلب العلم فأدركه كان له كفلان من الأجر، فإن لم يدركه كان له كفلٌ من الأجر". "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته". وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تدرون من أجود جود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الله تعالى أجود جود، ثم أنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجلٌ علَّم علماً فنشره، يأتي يوم القيامة أمةً وحده أو قال أمة وحده". "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه". "مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله". "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له". "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده". "إذا اجتهد (المؤمن) فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر".

ومن هذه الأحاديث يتبين لنا قيمة العلم ومدى اهتمام الإسلام به واعتباره به وحضه عليه وتشجيعه من يسعى لتحصيله. ويكفي أنه هو الشيء الوحيد الذي أمر الله رسوله عليه السلام أن يستزيد منه، وأنه هو الشيء الوحيد أيضاً الذي لم يورث الأنبياء شيئاً آخر سواه. وإن فضل العالم على سائر الناس، بما فيهم العابد، هو فضلٌ جدُّ كبير. وإن المجتهد مأجور حتى لو

أحد . وهو ما لا مثيل له ولا قريب منه في أي مذهب أو فلسفة أو نظام أو دين آخر . بل أقصى ما يصنع فيه الخطئ في هذه الحالة هو أن يخفف عنه العقوبة . أما أن يُعفى منها فهذا أمر صعب المنال . لكن أن يُؤجر رغم خطئه فهذه هي عقرية دين محمد عليه الصلاة والسلام وليس في النصرانية ولا في غيرها من كل ذلك . وبعد هذا أيضاً متسع لمن يريد التحقق من هذا الذي نقول . فليفتش براحته وعلى أقل من مهله . وأنا زعيم أنه لن يعثر على شيء من ذلك بتاتاً . بل سيخرج بالنتيجة مؤداه أن العلم بالنسبة للنصرانية هو شيء لا وجود له على الإطلاق . وكأنك حين تتحدث عن العلم فإنك تتحدث عن العقم! ترى كيف يمكن أن تقوم حضارة دون علم؟ لكن سعي الإنسان لما هو مسنون للمسيح عليه السلام من قوله إن مملكته ليست من هذا العالم! وهذا هو محور الاختلاف بين الإسلام والنصرانية. الإسلام هو دين الحضارة والحياة والحيوية والتقدم . والنصرانية ، على العكس من ذلك . تعني صهرها للحياة وتردي ثيابها للرهبان وتستقبل الموت والسكون ، ولا تهش حركة العقل وتؤلف الحضارة!

لم في الحق الحقيقي فيردد النصارى أن المسيح عليه السلام قد أتى بشريعة التسامح يقصدون قوله "أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم بحبوا" لكنك سرعان ما تكتشف خطأ هذه المبادئ الخلقية لا تصلح للمجتمعات البشرية . ولا تحتاج الأمر فيها إلى كارثة إذ ترى مدى ما يريد المحرمون والظلمة الجنس من ذلك الكلام الذي لم يجن منه أصحاب الحق والمظلومون سوى الأذى والهوان والضياع . فما يشعر الاضطراب في المجتمع كله وبأحاده إلى الفوضى والانهيار؟ بل قد تجد أن يتحلى الإنسان بالتسامح في بعض الظروف . وخاصة إذا كان أقوى من أساء إليه أو كان عاجزاً عن أخذ حقه أو وجد أن تنبيه هذا الجاني سوف يؤدي إلى ضرر أفدح من صبره

نصر وتعاضى، ألم أن يتحول التسامح والإغضاء إلى سياسة دائمة فهو الضعف والانحدار الاجتماعي والسياسي. فأحد مثلاً ما فعله العرب فيما حين حسب اليهود من كل أرجاء المسكونة وألقاه هم برغم أنوفهم بين العرب دولة على أرض فلسطين وشرد معظم أهل البلاد في الآفاق وانتهج مع الباقين سياسة التضييق والترويع والاضطهاد وهدم البيوت وحصار وتقييد الحريات والتنكيل والتحقير والتشهير عليهم بأنهم هم المعتدون والإرهابيون، وأن الصهيونية قوم مسالمين لا يبغون أكثر من أن يأخذوا بلاد الفلسطينيين ويقتلوهم ويستعملوا الباقين حتى يعقلوا أحذيتهم صباح مساء دون أن يقف ذلك من جانب اليهود حد أو شعور بالحياء. إلى آخر ما يعرفه كل أحد عن طريقة تعامل الصهيوني والعربي مع الفلسطينيين مصابيه. فالله عليكم ماذا يريد الصهيوني أفضل من نصح الفلسطينيين بالسكوت على ما حدث لهم، مع شفعه بتقديم بناتهم وزوجاتهم وأمهاتهم للمحتلين اليهود ليفعلوا بهن حرية على سياسة: من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر. ومن اغتصبك ردحاً فأدر له الإزار أيضاً. ومن سخرك ميلاً فسخر نفسك له ميلين. وأعطه كل ما معك فوق الطبعة وتسمحه أن يخلع عن نفسه الملل بصفعك على قفاك وكمك في وجهك وخصيم لحمك وأسنانك وركلك في أردافك وبصق في وجهك ومطارك بالشتائم المعتبرة لساعات حتى تُذاخ النهجة على نفسه وتتركه وأنت مطمئن أنه قد سنوفي رغبته المريضة في إيذائك وشتمي من الأذى الذي يعذبه والذي لا يهنأ إلا إيذاء الآخرين من العرب والمسلمين؟

وفوق ذلك فهو لا يوجد ولم يوجد ومن يوجد في يوم من الأيام مجتمع بشري يقوم على التسامح المطلق، ولا قمع الشرطة والقوانين والمحاكم والحكومات ونعيش كما نعيش الناس في الحديقة التي كنت أسمعها وأنا

طفل صغير والتي تقول به كل هذه الهيدروجين بلاد لا يتعامل الناس فيها بالفلوس، بل كل من أراد شيئا فما عليه إلا أن يذهب إلى التاجر أو الصانع أو المزارع الذي عنده ذلك الشيء ويقول له: أعطني كذا وكذا مما عندك بالصلاة على النبي" فيعطيه ما يريد ويذهب هو بما أخذ دون أن يكلف نفسه نطق كلمة "شكرا" فهل هذا معقول؟ إنه إنما نعيش في دنيا الواقع والحقائق لا في دنيا الخرافات. فتأكد بأنك حتى لا يضحك عليك الناس!

ثم إنه إذا كان عيسى عليه السلام قد دعا إلى التسامح على هذا النحو الذي كما وضحنا من قبل ويكرره الآن. كان أول من خرج على ذلك الكلام ولم يلتزم به قط، ولا فمن الذي كان يعير بني إسرائيل لا يكف لسانه عنهم أبدا ويصفهم بـ "المرائين" و "فئة الأنبياء وراجمي المرسلين" و "أولاد الأفاعي" و "حراف بني إسرائيل الضالة" و "فاعلي الإثم" و "الشعب الصُلْب الرقبة" و "الجيل الشرير" و "لصوص المغارة"؟ أليس هو عيسى عليه السلام حسبما نقرأ في الأناجيل في كل مناسبة وفي كل غير مناسبة حتى إننا لنظن أنه لم يكن يعرف هدوء الأعصاب، ولا لسانه التوقف والسكينة، وأن الداعي إلى التسامح شخص آخر غيره، بل شخص يعاديه ويجري على نقيض سنته بل إنه لم يُعف تلامذته أنفسهم من سوط لسانه، إذ اتهمهم بقلة الإيمان أكثر من مرة، وبالذات بطرس الذي تكرر إفراده له بذلك الاتهام. أما أمه فلا أذكر أنه وجه لها كلمة طيبة قط طوال وجوده على الأرض، بل كان خشنا قط معها حتى إنه ذات مرة رد على من نبهوه إلى أنها تنتظره هي وإخوته خارج البيت الذي كان فيه، قائلا إن أمه وإخوته الحقيقيين هم من يؤمنون برسالته. فما معنى هذا؟ وهذا كله موجود في الأناجيل. وحتى لو صدقنا أنه كان يتسامح فعلا كما كان يأمر غيره أن يفعل، فإن مدة التسامح والصبر لم تتجاوز ثلاثة أعوام، ثم ترك الدنيا ومضى إلى ربه

أن محمد فإنه قد جرى على خطة الصبر والغفران لا أعوام ثلاثة فحسب، بل ثلاثة عشر عاما قبل أن يؤذن له بالقتال بعدما كانت كل فرص الصبر والعفو والتعايش قد تمت كلها وباءت بنتيجة. ولا شك أن لكل شيء في دنيا هذه من نهاية! فحمل الصبر لا يمكن أن تمتد إلى الأبد إلا إذا كنا نعيش في غير دنيا البشر! ثم هناك إنسان واحد أصبره على خلقه الأبي فيديرني خلقه الأبي. ولعله مباركي حسنة توصي الأناجيل! هذا أمر مستحيل استحالة طلوع الشمس من مغربها. وتلك الاستحالة أمر طبيعي قدمه. فهكذا طبع الناس منذ الأزل حتى الأبد. كما أن الخيرة لا تستقيم بالتسامح المطلق المذكور. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض كما جاء في القرآن المجيد. وإذ لا يفل الحديد إلا الحديد! والبشر كلهم يعرفون ذلك أكثر مما يعرفون أنفسهم. وإن فريقا من المخادعين يكتمون الحقيقة عامدين متعمدين. والمسيح عليه السلام هو نفسه القائل إنه ما جاء ليبقي سلاما بل سيفا. وإنه سيكون سببا في انقسام البيت الواحد على نفسه، مما يدل أقوى دلالة وأجلاها على أن خطة التسامح لا يمكن أن تكون مطلقة مفتحة الأبواب على البلوى. وأن الاصطدام قادم قادم مع استمرار العنت والاضطهاد والعدوان من جانب الخصوم. وإلا فالعفاء على كل شيء وكل أحد! ومن ناحية أخرى فقد سمعنا الرسول الكريم يدعو لقومه في عز اضطهادهم له ولأتباعه قائلا: رب، اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون!

إن القرآن لا يأمر أتباعه بمبدأ أخذ الأيسر، لكنه يوصيهم مع ذلك بالصبر والتصبر والرد على المذنبين بكلمة "سلام" وبالعفو عند المقدرة، إلا أن لكل شيء نهاية كما قلنا. ولابد أن يأتي يوم يفيض فيه الكيل وينحد الإنسان عندئذ من الإجراءات ما يُنكت عنه المجرمين المتوحشين لينتفس

صُعداء . وإلا فستُلغى الشرعة والسنة والقضاء والمحاكم والحكومات كما فعل من قبل ساحرين ! وهذه بعض من النصوص التى تحث المسلم على الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة . وإن كان القرآن لا يوجب عليه ذلك ، وإنما يؤثر فقط العفو والصفح فى كثير من الظروف على رد العدوان بالعدوان. ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى ٤٣) ، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل ١٢٦ - ١٢٨) ، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٣٤ - ٣٥) ، ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ (ق ٣٩ - ٤٠) ، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل ١٠) . وهم جرا ومع ذلك نجد فى القرآن عقوبة لكل جريمة يرتكبها الشخص فى حق الأفراد أو فى حق المجتمع ككل ، ويعتبر هذا فلا قيام ولا استمرار لأى كيان جماعى فى دنيا البشر ، اللهم إلا إذا أمكن مثلا إلغاء نظام المرور وتوقف سائقى السيارات والقطارات والدراجات وبقيادات يفعلون ما يحلو لهم . وهو ما لا بد أن تكون نتيجته التوقف تماما عن الحركة فى كثير من الحالات أو البطء الشديد فى الانتقال من مكان إلى مكان ، فضلا عن الحوادث والمصائب المرورية التى لا تعد ولا تحصى فهل هذا ممكن؟ وعليه فقس النظام الاجتماعى كله بمؤسساته وهيئاته وإدارته وقوانينه ومحاكمه وسجونه . تصور مجتمعا يخون أى شخص فيه أن يسير شبرا ، وهو يعرف أنه لا محالة سيحصل على ثمرة كده ، ولا أمان له إن خرج إلى الشارع لأن السفلة يتحلقون على باب الدار ليشتموه ، والمجرمين

يتربصون به ليضربوه ويسرقوه. والفتنة يمسكون بتلابيبهم أو مؤسساتهم يجهزون على حياته وفي الفقر يشيعونه. والعهرة يتمترسون على ناصية حتى إذا خرجت واحدة من بيته هتكوا عرضها وأهانوه وفضحوه ودمّروه! هل يستطيع مثل ذلك الشخص أن يكون عنده نفس للعمل والإنتاج؟ قل لنا من هذا الناصح "تسمح يا أخي الكريم! يا أخي الكريم من فضلك على جدك الأيمن فادر له جدك الأيسر، ومن فتنك مرة فقم من موتك وتعرض له كي يفتنك مرة أخرى فيكون لك مكان بارز في ملكوت السموات". لكنه لن يأخذ جرد واحد منا تقول على سبيل الحد، فارح نفسك يدن، بل اسأله المستضيع لك فلان تقلاني أن أفعل هذا؟ واجتنب معروف سيد، فلا تضيع وقتك يدن، بل تحلّ بالعقل، وكُلْ وعش وفل يا بطل، واعلم ربك أن هناك شرطة وسجون ومحاكم وقوانين واضحة تسمى "عيب" و"حرام" و"ممنوع" وضد نفسك". ولا كانت حياتك كارثة بكل المقاييس!

والآن إلى بعض نفحات من أخلاق الإسلام فمن الآيات القرآنية نقرأ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴿٢٦٦﴾ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴿٢٦٧﴾ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴿٢٦٨﴾ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿٢٦٩﴾ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ﴿٢٧٠﴾ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ﴿٢٧١﴾ (البقرة ٢٦٦ - ٢٧١)، ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴿٢٣﴾ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴿٢٤﴾ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ﴿٢٥﴾ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴿٢٦﴾ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴿٢٧﴾ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴿٢٨﴾ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴿٢٩﴾ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء ٢٣ - ٣٠)، ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴿٣٠﴾ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو

لِتُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴿ ... ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ
عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا بَلَغَ
الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ
عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا
عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿ ... ﴾ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ
عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴿ لقمان : ١٤ - ١٥ ﴾
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ
فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴿ لقمان ١٨ - ١٩ ﴾
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴿ الحجرات ٦ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

مِنْهُنَّ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[الحجرات: ١١ - ١٣].

أن أحاديث النبي عليه السلام في هذا الميدان فوق منها الأحاديث الآتية: "كل كلام يؤخر الله منه ما شاء إلى يوم القيامة إلا النعي وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم، يعجل لصاحبها في الدنيا قبل الموت". "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. فقال له رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنا، ونعلي حسنة. قال: إن الله يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس". عن عائشة قالت: كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما أجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته". "لا يفرك (أي لا يبغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر". "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه". "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم تجد فبكلمة طيبة". وعن أبي موسى الأشعري "قال النبي صلى الله عليه وسلم: على كل مسلم صدقة. قالوا: فمن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه

ويتصدق . قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيأمر بالخير، أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة". "كلّ معروف صدقة". "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة". "إخوانكم خولكم (أي خدمكم)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم". "لا يقولنّ أحدكم: عبدي، فكلكم عبيدالله، ولكن ليقل: فتاي ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقل: سيدي". "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: إن خياركم أحاسنكم أخلاقا". "إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا". "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب". "ما شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة". "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق". "من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له، ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب الله له حجة وعمرة. ومن عاد مريضا أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك لا يرفع قدما إلا كتب له به حسنة، ولا يضع قدما إلا حط عنه

سيئة ورفع له بها درجة حتى يقعد في مقعده ، فإذا قعد غمرته الرحمة فلا يزال كذلك حتى إذا أقبل حيث ينتهي إلى مرزئه ". "الحياء خير كله". "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين (أي شخصين متجاورين في مجلس أو اجتماع) إلا بإذنهما". "عن جابر بن سمرة: كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي (أي حيث ينتهي به المجلس)". "عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له". "عن أبي أمامة الباهلي: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا إليه ، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا". "يشمت العاطس ثلاثا ، فما زاد فهو مزكوم". "قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين". "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . يلتقيان فيصد هذا ، ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام". "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال". "ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر". "لا يدخل الجنة قتات (أي نمام)". "سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر". "من آذى ذميا فأنا خصمه". "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ له شيئا بغير حقه فأنا حجيجه يوم القيامة . وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى صدره: ألا ومن قتل رجلا له ذمة الله ورسوله حرم الله عليه الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا". "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش

الأرض، حتى ماتت». (وعن رسول الله أن رجلاً وجد كلباً يلهث من العطش فنزل بئراً فملأ خفه منه ماء، فسقى الكلب حتى روي. فقال رسول: فشكر الله له فغفر له. فقال الصحابة: إن لنا في البهائم لأجراً يا رسول الله؟ قال: في كل كبد رطبة أجر».

كذلك ففي الوقت الذي نقرأ في الأناجيل ما يدل على أن المسيح لم يكن يعبأ بالنظافة، بل كان يؤثر العكس فقد لمحنا به تلك الأناجيل، نجد العكس من ذلك تماماً في القرآن والسنة كما سوف نرى بعد قليل. نأخذ مثلاً النص التالي الموجود في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل لوقا: «وفيما هو يتكلم سأله فريسي أن يتغدى عنده، فدخل واتكأ. فابتدأ الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء. فقال له الرب: «الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً. يا أغبياء، أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة، فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم. «ولكن ويل لكم أيها الفريسيون! لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك». «ويل لكم أيها الفريسيون! لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع، والتحيات في الأسواق». «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرؤون! لأنكم مثل القبور المختفية، والذين يمشون عليها لا يعلمون!» فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: «يا معلم، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً!» فقال: «وويل لكم أنتم أيها الناموسيون! لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم». «ويل لكم! لأنكم تبنون قبور الأنبياء، وآباؤكم قتلوهم». إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم، لأنهم هم

قبورهم وأنتم تقولون قبورهم" لذلك أيضا قالت حكمة الله: إني أرسل إليهم أنبياء ورسلا، فيقتلون منهم ويطردون "لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهراق منذ إنشاء العالم، "من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت. نعم، أقول لكم: إنه يطلب من هذا الجيل! "ويل لكم أيها الناموسيون! لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم، والذاهبون منعتموهم". كما أنه لا ينادي أمه إلا بـ "يا امرأة". ومن ذلك أنه كان في عرس في قانا الجليل ونفدت الخمر فنبهت أمه نظره إلى ذلك، فكان جوابه عليها: "ما لي ولك يا امرأة؟" (إنجيل يوحنا/ ٢: ٤). ولم تفارقه هذه الخشونة والفظاظة حتى حين كان على الصليب يستقبل الموت حسبما نقرأ في الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا: "وكانت واقفات عند صليب يسوع، أمه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية "فلما رأى يسوع أمه، والتلميذ الذي كان يحبه واقفا، قال لأمه: «يا امرأة، هوذا ابنك». "ثم قال للتلميذ: «هوذا أمك» ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته". ومن جهة أخرى نجد أن تعاليمه عليه الصلاة والسلام، حسبما تحررنا الأناجيل، تخلو من أي توجيه يتعلق بالذوق والصحة.

أما تعاليم القرآن المجيد والسنة المشرفة فمملوءة بكل ما يحمي المجتمع من مظاهر القبح والتشويه والأذى والمرض، والتنبيه إلى أن كل شيء في الدنيا إنما يجري بحساب منضبط وبخضع لميزان دقيق، ومن ثم فلا إفراط ولا تفريط لمن يريد النجاة من متاعب الحياة والاستمتاع بصحة جيدة، وأن ثمة قواعد للذوق واللياقة ينبغي مراعاتها في التعامل اليومي حتى تمضي عجلة الحياة والعلاقات الاجتماعية سلسة دون توقف أو صرير، ويسود الحب والتفاهم والصفاء. ففي القرآن مثلا نقرأ قوله تعالى: "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"

(البقرة/ ١٤٥)، "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة/ ٢٢٢)، "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون" (المائدة/ ٩٠- ٩١)، "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (الأعراف/ ٣١)، "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون* ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون" (النحل/ ٦٨- ٦٩)، "فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون* إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم" (النحل/ ١١٤- ١١٥)، "والسماء رفعها ووضع الميزان* ألا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان" (الرحمن/ ٧- ٩)، "من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا* وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا" (النساء/ ٨٥- ٨٦)، "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون* فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم* ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون"

(النور ٢٧- ٢٩)، "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (الحجرات/ ٣- ٥)، "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الممتحنة/ ٨- ٩)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (المجادلة/ ١١).

وفي الحديث النبوي "إن الله جعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تداووا بحرام"، "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"، "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يُقِمْن صُلْبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه"، "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"، "عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضا أو أُتِي به قال: أذهب الباس ربَّ الناس اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما"، "عُرِضتْ عليَّ أمتي بأعمالها حسنةً وسيئةً: فرأيت في محاسن أعمالها إماطة الأذى عن الطريق، ورأيت في سيئ أعمالها النُّخاعة في المسجد لا تُدفَن"، "الإيمان بضع وسبعون بابا: أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله"، "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره، فشكر الله له فغفر له"، "لا

يسوء أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"، "اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جنبا، وأصيبوا من الطيب"، "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"، "تسوكوا، فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب. ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك"، "مالكم تدخلون علي قلحا؟ استاكوا، فلولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل ظهور"، "الفطرة خمس: الختان والاستحداد (أي حلق العانة) وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الآباط"، "عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فمضمض وقال: إن له دسما"، "من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، أو قال: فليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته"، وعن أبي أيوب الأنصاري "أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في السفل، وأبو أيوب في العلو. قال: فأتته أبو أيوب ليلة فقال: يمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: السفل أرفق. فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها فتحول النبي صلى الله عليه وسلم في العلو، وأبو أيوب في السفل. فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه. فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، ولكني أكرهه. قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت. قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُؤتى (أي يأتيه الوحي في أي وقت، فلهذا لم يكن يأكل الثوم)"، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

ان "خرّج"، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه وخيته. ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟". "قال (أبو رجاء العطاردي)، خرج علينا عمران بن حصين، وعليه مُطرَفٌ من خزّ، فرده عليه قبل ذلك ولا بعده، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فإن الله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه". "عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّر اسم "عاصية"، وقال "أنت جميلة (أي هذا سمتك من الآن فصاعدا)". وعن أبي سعيد الخدري، "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع". "بينما نركب على ماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير". "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه". "لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا". "إن تبسمك في وجه أخيك يكتب لك به صدقة". "قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يُرحم". "الجنة تحت أقدام الأمهات". "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك (أي فمها)". "ألا عسى أحدكم أن يضرب امرأته ضرب الأمة! ألا خيركم خيركم لأهله (أي لزوجته)". "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم". "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه". "إن الله يبغض كل جعظري جوّاظ صخاب في الأسواق". "رفقًا بالقوارير (أي الجنس اللطيف)".

ونصل إلى المقارنة بين العقيدتين والإسلام، كما هو معروف، دين

التوحيدي النقي الذي لا يدانيه دين آخر في هذا. أما النصرانية فهي ديانة التثليث، وهذا التثليث لا يدخل العقل. فأولا كيف يتجسد الله بحيث لا يشغل من الزمان والمكان إلا حيزا محدودا ضئيلا، وهو الذي خلق الزمان والمكان والكون كله، والمطلق الذي لا تحده حدود، والأرض جميعا في قبضته، والسموات مطويات بيمينه المباركة؟ وكيف يحتويه الزمان والمكان، وهو الذي خلقهما؟ وثانيا كيف تنفرد النصرانية بهذا التثليث من بين الأديان السماوية كلها؟ وليست العهد القديم الذي يحكي تاريخ أنبياء بني إسرائيل، فأين منه هذا التثليث؟ الجواب هو أنه لا وجود فيه لتثليث ولا تربيع ولا تخميس! فلماذا النصرانية بالذات دون سائر أديان السماء؟ بل إن الأناجيل ذاتها تخلو تماما من ألفاظ "الناسوت واللاهوت والتثليث والأقانيم الثلاثة"، وليس هذا من معنى إلا أن تلك العقيدة لم تظهر في النصرانية إلا بعد المسيح وكتابة الأناجيل. أي أنها لم تكن يوما من العقيدة التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام وأنها إنما اختُرعتْ مُؤخرة. وثالثا أن النصرانية لا تنفرد فقط بالتثليث شذوذا على أديان السماء، بل تتفق في ذلك مع بعض ديانات الوثنية، إذ كان عند الفراعنة تثليث، وعند الإغريق تثليث، وعند الهنود تثليث. وهذا من الوضوح بمكان بحيث لا تمكن المماراة فيه بأي حال، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "وقالت النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ذلك قولُهم بأفواههم يُضاهئون قولَ الذين كفروا من قبلُ قاتلهمُ اللهُ أنى يؤفكون" (التوبة/ ٣٠). ورابعا أنه لا يصح أن يقال إن الله قد تجسد ليموت على الصليب ويُصفع ويهان ويُضرب بالحربة في جنبه ويسخر به كل من هب ودب ويجار في القضاء العريض دون أن يجد من يجيبه ويحميه، وذلك من أجل أن يفدي البشر من خطيئتهم. وإذا قيل فقد كان الله قادرا على الغفران والفداء دون شيء من هذا السخف جاء الرد أمعن في السخف، إذ يزعم

لم يعلموا إنه إنما فعل ذلك كي يشعر بآلام عبده . وهو سبحانه أعلم في الضلال . بمعناه أنه سبحانه ليس عنده القدرة على إدراك آلام البشر أو تخيلها على الأقل إلا إذا ضُرب وأهين وشُتم وسُمّر على الخشبة وقُتل . فأي إله هذا الذي يحتاج الإدراك والتخيل حتى يعي هذه الحدود؟ فمن إذن الذي خلق الآلام والأوجاع؟ وهل هناك شيء في كون الله لم يخلقه الله نفسه؟ وبعد هل هذا الكائن الخسيس هو الله؟ بطبيعة الحال لا . إذ يقولون إن هذا هو جانب البشرية في المسيح . ومعنى ذلك أن الله ليس هو الذي تألم وصُلب وقُتل . أي أنه سبحانه لم يخلص نجرة الشاه ومقدسة العذارى . بل الذي خلصها هو إنسان متى ومشك أيها القارئ . وعلى هذا فهو سبحانه لم يعذ أحداً . بل الذي خلص عبده شخص ليس له في الثور ولا في الفحم . شخص مسكين استصغته الله و"شبهه" القصية دون أن يكون قد ارتكب ذنباً . وهذا واضح من صراحه وهو على الصليب: إلهي . إلهي . لماذا تركتني؟ وهو ما يتضح أيضاً من كلامه قبل ذلك عن الله سبحانه بوصفه "أبيه" . كما في رده على إبليس مثلاً حين أخذ يجربه وطلب منه . ضمن ما طلب . أن يجر ساجداً له . فقد كان رده إلا أن أجابه قائلاً . مكتوب أنه للرب إلهك وحده تسجد! وهو ما يعني مرة أخرى أن الخطيئة القديمة قد عوقبت بصلب المسيح منها . فأي خطة هذه؟ وبعد هو أنه سبحانه وتعالى قد غضب وصُلب وقُتل فداء لعبده . ألم يكن يسعى أن تكون النتيجة هي العفو الشامل لكل الناس في كل الأزمان؟ لكنه يبدو فجأة أنه لا يزال في مكانه السابق بسارحه . إذ يجب على الناس أن يؤمنوا بتجسد الله وموته على الصليب كي يتم الفداء . إذن فلقد مات وقُتل وعاد إذ كان كل هذا لا أثر له؟ وبالتالي فقد كان يسعى أن يكرّم يهود مرقس بجعله إلى المكان الذي كان يختفي فيه السيد المسيح مع تلاميذه . أليس هو الأداة التي أعانت على تنفيذ

خطة لإلهية للتكفير عن خطيئة البشرية؟ بيد أن النصرانية تقول عكس ذلك تمامًا، فيهود فيهم ملعون لعنة! وواضح ليس يهود وحده هو الملعون، بل أيضًا لأنه الذي كان تسبب بهود بدء بسلطات سببًا في أن سوء هو اللعنة، فقد جاء في سفر التثنية كما بيّنا من قبل أن من يُصلب فهو ملعون إذن فيهود ملعون، ولأنه الذي سلمه يهودا لسلطات ملعون أيضًا. أي أن النصرانية تسوي بين قاتل ومقتول، الضحية والمجرم، ومعنى هذا أن الأمر قد ارتد تعقيدًا وتشكك فعيسى قد أتى لافتكاك البشر من اللعنة التي استحقوها بسبب خطيئة، لكن مؤلفة بولس هذا قد جلب اللعنة على يهودا، وهو واحد من أولئك البشر الذين يرون الله من عيانه بيانه بقية اللعنة من حول رقابهم، وفوق هذا فإن الله قد جلب اللعنة على نفسه ثم إنه بعد هذا كله، لم تكن مشكلة خطيئة الموروثة، بل أضاف إليها خطيئة كفر اليهود وغير اليهود به واستخفافهم من ثم اللعنة الأبدية، وهي أبدية لأن أحدًا لن يأتي بعد ذلك ليعتق البشر من أوهاقهم، فالمسيح لا يأتي إلا مرة واحدة، بالنصوص المعتمدة لكريت، لا يشتعل إلا مرة واحدة وحسب، وعشرات الحكمة يا ترى في سكوت الله كل تلك الدهور المتطاولة التي يعدها علماء الطبيعة ملايين السنين قبل أن يفكر في رحمته تلك الأرضية التي ما تأت بالتيجة المرجوة، إذ ما زال مليارات الناس يكفرون بالمسيح، بل يكفرون حتى بعيسى بحد ذاته، ويلاحظ أنه عندما مات المسيح على الصليب كما تقول الأناجيل لم يكن هناك أحد غير الحواريين يؤمن به وحتى الحواريون لم يكونوا يؤمنون به كلهم، بل كان بعضهم واحد هو يهودا، علاوة على أن يعقوب المسيح لم يكن على مستوى المطلوب وهذا سبب رأيه نحن، بل رأيه هو، وقد كان يتهمهم بقلة الإيمان وعدم الفهم، كما كان يدعى كيرنثس "أب شيطان"؟ وواضح أن صورة أخذة وتتأثر في

نصرانية غير واضحة ولا مقنعة ، على عكسها في الإسلام كما يعرف ذلك كل من له أدنى معرفة بالديانتين . وحدي عشر من شذوذ الخلقية التي أثبتها النصرانية لا تناسب طبيعة البشرية في شيء حسنه وصحته ، والدليل على ذلك أنه لا يوجد حتى من يتعصبون لتلك الديانة من يعتقد شيئاً مما هو منسوب لمحمد مسيح من دعوة مفرطة في المثالية السامحة غير المقيدة بتطبيق تعاليمها تماماً للتعارض مع فطرة البشر . وثاني عشر كيف يكون مسيح من الله ، وفي إنجيل يوحنا (١ : ٥) أن الناس كانت تسميه ابن يوسف ، وهو نفس ما قاله متى (١ : ٥٥) ولوقا (٣ : ٢٣ ، و ٤ : ٢٢) ، وكان عيسى عليه السلام يسمع ذلك منهم فلا ينكره عليهم ؟ بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف بعضهما لبعض مراراً إنهما "أبواه" أو "أبوه وأمه" (٢ : ٢٧ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٣) كما قالت مريم لابنها عن يوسف هذا أبوك (لوقا ٢ : ٤٨) كما أن متى ذكر أن السلسلة الأولى من أولى فصول من أولى إنجيل من الأناجيل المعتبرة عندهم ، وهو إنجيل متى ، تسأل مسيحية بسبب تسمية متى بدءاً بأن تصل إلى يوسف النجار (زوج مريم) الذي سماه مؤلف هذا الإنجيل ثم تتوقف عنده . فما معنى هذا لمسيحية إن لم تكن ثالثة أو رابعة ؟ لقد توقعت ، عندما قرأت الإنجيل لأول مرة في حياتي ، أن تنتهي السلسلة بمريم على أساس أن عيسى ليس له أب من البشر ، إلا أن الإنجيل حيّب ظني بخيبة شديدة . وهو ما يؤكده النص الذي استشهد به من مصنع إنجيل برنابا (أحد الأناجيل غير القانونية) And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath

polluted the Sabbath day'. يقول المؤلف إن أحد اليهود المعاصرين على الشريعة الموسوية، حين رأى عيسى الصغير يصنع يوم سبت من الطين طيورًا، ذهب من فوره إلى أبيه يوسف وشكا له ما صنع ابنه من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس. ومثله قول المؤلف ذلك الإنجيل في موضع آخر إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع والده في حقلهم Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat' وعبر ذلك من الموضع التي وُصف فيها يوسف بأنه "والد" بل إنه يقترن إلى يوسف، تعجبًا من المعجزات التي كان يصنعها عيسى الصغير، قد دعا ربه شاكرًا إلى أعطاه غلامًا مثله Happy am I for that God hath given me this young child'

والآن إلى المقارنة بين موقف كل من أصحاب النبيين الكريمين رضي الله عنهما من الفريقين كليهما. فأما أصحاب المسيح فسوف يرد تصرفاتهم مما ظهر الخطر على حياته صلى الله عليه وسلم حتى تم صلبه بناء على معتقدات النصارى. وهذا هو ما صنعوه حسبما كتب مؤلف إنجيل متى (في الإصحاحين ٢٦- ٢٨). وهو يكشف عن مؤلفي الأناجيل الأخرين "وبعد كل تلمسة تكلم مع الاثني عشر "وفيما هم يأكلون قال «الحق أقول لكم إن واحدا منكم يسلمني» "فحزنوا جدا، وابتدأ كل واحد منهم يقول له «هل أنا هو يا رب؟» "فأجاب وقال «الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني "إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه. ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد» "فأجاب يهوذا مسلمه وقال. «هل أنا هو يا

سيدي؟ » قال له «أنت قلت» وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: «خذوا كلوا هذا هو جسدي» وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون. حينئذ قال لهم يسوع «كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة. لأنه مكتوب: إني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» فأجاب بطرس وقال له «وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً» قال له يسوع «الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات» قال له بطرس: «ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك» هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ. حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني، فقال للتلاميذ «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم «نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي» ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: «أهكذا ما قدرتما أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف» فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة. فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام

بعينه. ٢٠ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسْلَمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. ٢١ قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ!».

٢٢ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. ٢٣ وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ». ٢٤ فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. ٢٥ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَا قَدْ جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيْدِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. ٢٦ وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ. ٢٧ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ. ٢٨ أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ ٢٩ فَكَيْفَ تُكْمَلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟» ٣٠ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مُعَلِّمًا فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. ٣١ وَلَكِنَّ هَذَا كُلَّهُ قَدْ كَانَ لِكَيْ تُكْمَلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ تَلاَمِيذُهُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. ٣٢ وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ. ٣٣ وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ. ٣٤ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ. ٣٥ فَلَمْ يَجِدُوا وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلَكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ ٣٦ وَقَالاَ: «هَذَا قَالَ إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ». ٣٧ فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ

عنيك؟ » وأما يسوع فكان ساكتا. فأجاب رئيس الكهنة وقال له «أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ » قال له يسوع «أنت قلت! وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء» فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا «قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه! ما رأيكم؟ » فأجابوا وقالوا «إنه مستوجب الموت». حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه قائلين «تنبأ لنا أيها المسيح، من ضربك؟ » أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار، فجاءت إليه جارية وقالت «وأنت كنت مع يسوع الجليلي! » فأنكر قدام الجميع قائلا «لست أدري ما تقولين! » ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى، فقالت للذين هناك «وهذا كان مع يسوع الناصري! » فأنكر أيضا بقسم «إني لست أعرف الرجل! » وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس «حقا أنت أيضا منهم، فإن لغتك تظهرك! » فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف «إني لا أعرف الرجل! » وللوقت صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له «إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات» فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا

وإذ كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه. فأوثقوه وساقوه ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي. حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا «قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا» فقالوا «ماذا علينا؟ أنت أبصر! » فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: «لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم» فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة

لنقرأه. "فهذا سُمّي ذلك الحقل «حقل الدم» إلى هذا اليوم." حينئذ ما قيل يرجم النبيّ الثاني «واحدٌ وثلاثين من الفصلة، ثمن المُثمّن الذي ثمّنوهُ من بني إسرائيل. "واعصرهُ عن حقل الفخاري، كما أمرني الربُّ». "فوقف يسوعُ أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً: «أأنت ملك اليهود؟» فقال له يسوعُ: «أنت تقول». "وبينما كان رؤساءُ الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. "فقال له بيلاطس: «أما تسمع كم يشهدون عليك؟» "فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة، حتى تعجّب الوالي جدًا. "وكان الوالي مُعتادًا في العيد أن يُطلق للجمع أسيرًا واحدًا، من أرادوه. "وكان لهم حينئذ أسيرٌ مشهورٌ يُسمّى باراباس. "فبعد ما اجتمعوا قال لهم بيلاطس: «من تريدون أن أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذي يُدعى المسيح؟» "لأنه علم أنهم أسلموه حسدًا. "وإذ كان جالسًا على كرسيّ الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: «إياك وذلك البار، لأني تألمتُ اليوم كثيرًا في حلم من أجله». "ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلب باراباس ويُهلكوا يسوع. "فجاوب الوالي وقال لهم: «من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم؟» فقالوا: «باراباس!». "قال لهم بيلاطس: «فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟» قال له الجميع: «ليُصلب!» "فقال الوالي: «وأيّ شرّ عمل؟» فكانوا يزدادون صراخًا قائلين: «ليُصلب!» "فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا، بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: «إني بريءٌ من دم هذا البار! أبصروا أنتم!» "فأجاب جميع الشعب وقالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا». "حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب. "فأخذ عسكرُ الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. "فعرّوه وألبسوه رداء قرمزيًا.

وصنعوا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة في يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين «السلام يا ملك اليهود!» وبصقوا عليه، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. وبعد ما استهزأوا به، نزعوا عنه الرداء، ولبسوه ثيابه، وصلبوه.

وفيما هم خارجون وجدوا رجلاً قيروانياً اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليبه. ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة، وهو الذي «موضع الجمجمة» أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولما ذاق لم يرد أن يشرب. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي «اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة». ثم جلسوا يحرسونه هناك. وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: «هذا هو يسوع ملك اليهود». حينئذ صلب معه لصان، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار. والذين اجتازوا يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين «يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب!» وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قائلين «خلص آخرين ولا يقدر أن يخلص نفسه! إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به! قد اتكل على الله، فلينقذه الآن إن أراده! لأنه قال إني ابن الله!» وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه. ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً «إيلي، إيلي، لما شبقتني؟» أي إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا «إنه ينادي إيليا». وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه. وأما الباقون فقالوا «اترك نرى هل يأتي إيليا يخلصه!» فصرخ

... بصوت عظيم، وأسلم الروح.

إن الإنسان ليستغرب أشد الاستغراب ويتساءل: ترى أين الجموع التي كانوا يحيطون بالمسيح ويتبعونه في كل مكان يذهب إليه، ويطعمهم المعجزة الأرغفة بالآلاف، وكان عليه السلام يطعمهم، ويشفي الصحاب الأمراض المستعصية منهم، بل ويعيد بعضهم إلى الحياة مرة أخرى بعد أن ماتوا؟ بل أين حواريوه المقربون؟ لقد تحيروا كلهم، وكأنهم فضّ مجلس؟ وأين اليمين التي أقسمها بطرس بأنه لن ينكره ولن يتخلى عنه، ترى كيف نسيها وهان سيده عليه إلى هذا الحد؟ ولماذا أيضاً ذلك التلميذ الآخر الذي أمسكه الخدم من ملابسه فخلعها عن جسمه وتركها بأيديهم وانطلق عاريا وهو عريان كيوم ولدته أمه. حقاً إنها محنة! أي محنة! أهذه ثمرة كل تلك التربية التي تلقوها على يديه صلى الله عليه وسلم؟ أهذه حصيلة كل تلك الصحبة التي صحبوها إياه؟ فأين ذهبت كل تلك الخطب والأمثال التي كان يسترسل بها في أدائهم سحراً؟ أترى هم لم يكونوا يفهمون ما يقول، بل ما كانوا ينتظرونه على يديه من شيء فقط؟ ولا شيء فوق ذلك أن عيسى، في نظر النصارى، هو إله، وليس بشراً تلقاه عناية جهد بإله؟ إن محمداً بشر، كما سوف يرى حالاً، لأنه أثر وأثمر في تربية وتوجيه، وهو البشر الذي لم يدعه هو ولا زعم له أحد من أتباعه أنه إله أو يتحدر من صلب آلهة! أليس كذلك؟ ولا يقل أحد إن المسيح قد نهى تلاميذه عن الدفاع دونه وأمر بطرس أن يعمد سيفه مرة أخرى. ذلك أن رؤية الأحداث على هذا النحو لا تنفع أحداً، إذ من أين لبطرس السيف؟ وكيف لم يشهر المسيح في ذلك السيف قبل أن يشهره حواريه؟ بل لماذا كان بطرس يحمل سيفاً أصلاً، ولم يكن هناك معركة تستوجب ذلك؟ ولماذا هرب التلاميذ دون ساتر وملاذ؟ كما أن حواريين لم يكونوا رجال حرب، بل من مخولات السيد المسيح لا تتعدد

مع تلاميذه عن أنظار أعدائه دليل على أنه لم يكن يريد الموت ويعتصم هذه صلاته قبل القبض عليه واستجابة الله أن يجيز عنه تلك الكأس مرة. وتأكيد صراحته على الصليب، وتحقيره لمن يقبض عليه من شأن تلميذه الخائن الذي تنبأ بأنه سوف يسلمه إلى الأعداء فقال له بروايه متى (٢٦: ٢٥) «فقد أصغى إلى هذا السيد المسيح عليه السلام قد أعلمه صراحة مسبوقة أنه إنما جاء بالسيف، ثابت من تصعب عليه جدا الاطمئنان إلى ما ينسب إليه من أن من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ، وإلا كان كمن يكذب نفسه بنفسه

هؤلاء بعض أصحاب المسيح عليه السلام، وأما أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فنورد هنا تصرفاتهم في موقفين من أخطر المواقف التي مرت به صلى الله عليه وسلم، وسوف نرى كيف وهم يضحون بحياتهم وراحتهم من أجله ويفدونه بكل غال لديهم، وكيف حبب له وحرص على ألا يصيب نبيه سوء أو يناله أذى، يتجلى في ذلك الوفاء والبذل بها محمد، وأي محمد! محمد النضرة والإقدام والإخلاص والبذل والتضحية بل الشهادة والفوز برضا الله. وهذا هو الموقف الأول من قلب معسكر الله معركة أحد بعد أن تحولت كفة الميزان لصالح المشركين وتصورت الأحداث بسرعة وأحدق المشركون بالنبي يريدون قتله، بل لقد رأى قد جاء في سيرة ابن هشام شيء من التصرف. "وانكشف المسلمون وأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشج بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر وجنته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم

لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفع صخرة من عُبيد الله حتى استوى قائما، ومصّ مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده. وعن عائشة عن أبي بكر الصديق أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، فكان سقط الثنيتين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عنيه القوم: من رجلٌ يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا، يُقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم وقع فلم من المسلمين فاجتصروهم عنه. وقتلت أم عمارة تسعة نفر كلهم ضربه يوم أحد. قالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فأتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أباشر القتال وأذبّ عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ، وكان على عاتقها جرح أحوف له غورٌ، فقلت: إن ابن قمئة، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل يقول: دُلّوني على محمد، لا نجوتُ إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير وأناس معنا ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة، ولكني قد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان، ونزف دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع فمات في حفرة من حفرها، وهو محمي عليه حتى كثر فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمى عن قوسه حتى انقطع وتره، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان

حتى وقعت على وجهه فردها (أي بوسور) بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما. وتنهى أنس بن النضر بن عمر بن الخطاب وطلحة بن عبد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل. وقد وجدوا به بضعا وسبعين ضربة فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانه. أما عبد الرحمن بن عوف فأصيب فوه يومئذ فهتم وخرج عشرين جراحة أو أكثر، أصاب بعضها في وجهه فعرج.

وأما الموقف الذي وقف في غزوة الحديبية حين وقع الخلاف بين قريش والمسلمين وأصبحت الأمور على شفير الانفجار في أية لحظة، وبدأت المفاوضات الشاقة جدا في صحيح البخاري "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية، حتى إذا كان ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس حل حل فألحت، فقالوا خلأت القصواء، خلأت القصواء! فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت. قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه. وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه. فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه

فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نُصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة. فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره. فقال بُديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولا، فإن شئتم أن أعرضه عليكم فعلت. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقوله. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، فاقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته فأته، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبُديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات! أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي

بيده فوالله ما كانت تلك عندي ثم أخرك بها لأحتبك. قال وجعل يكلم نبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرفع عروة رأسه، فقال من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن (أي الأضاحي)، فابعثوها له، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا

عن ذلك. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت الملك قد فُلِّدتْ وأُشعرتْ، فما أرى أن يُصدّوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم. فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني. اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر

المسلمين ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد . قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبدا . قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي . قال: ما أنا بمجيزه لك . قال: بلى ، فافعل . قال: ما أنا بفاعل . قال مكرز: بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أيْ معشر المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّب عذابا شديدا في الله . قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى . قلت: ألسنا على الحق ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى . قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا . قال: فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به . قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى . قلت: ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى . قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل ، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق . قلت: أليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا . قال: فإنك آتيه ومطوّفٌ به . قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا . قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال: فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبي الله ، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر

لنفسه وذع حليفه فحلفه . فلما رأى ذلك قام فحرر وجعل بعضهم يجيء بعضه حتى كاد بعضهم يقتل عند ذلك جاءه سورة الممتحنة . فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ . الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ وآتوهم ما أنفقوا ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر ، فقال أجل ، والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أري أنظر إليه فأمكنه منه ، فضربه حتى برد (أي مات) ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبي ، وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله ، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويل أمه مسعر حرب ، لو كان له أحد . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة . فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم

نناشده بالله والرحم لم أرسل فمن رده فهو أمر فأرسل إلى صلى الله عليه وسلم إليهم، فأنزل الله تعالى "وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان الله بما تعملون بصيرا * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام، والهدى معكوفا أن يبلغ محله. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما * إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية" وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا "بسم الله الرحمن الرحيم"، وحالوا بينهم وبين البيت".

* * *

الخاتمة

* أصغى الساحر في غرفة السجن بصمت إلى كلمات خادم الرب، ونظر البعض إليه بغضب، وأرقت من أعينهم الغضبة والحقد، بينما كان الآخرون منذهلين ومندهشين. وأما الأقنة ففرحت بجوابه واستخلصت من كلامه رجاء وتعزية. وقال خطيب الجماعة لخادم الرب: قد رأينا أنك مستقيم، وقلت لنا جهرا أفكار قلبك ولم تخدعنا. سوف نفكر بكلامك ونقارن أقوالك بالقرآن والحديث، ونجيبك جوابا قاطعا لا يرقى على كلامك، بل تطلب منك استمرارية المباحثة حتى تستمع إلى ما نقوله عن قريب. لن نلمسك ولا نضرك رغم أن بعضنا معتاظين جدا من كلامك لأنك وعدتنا بالأمن وطلبنا منك أن تكلمنا عما تريده. سوف نفتح أمامك طالبين البيت العودة. فليكون من يقولوا الحق في الاستقامة والاحترام. جاوبهم رجل الله كل من من الحق يسمع صوت الحق، والحق

بحيرة تحيرا. فإن أردتم أن تعرفوا الحق الكامل عن المسيح ومحمد فأنكم بحاجة إلى الإنجيل بصراحة أكثر. فكل من لا يملك منكم الإنجيل الشريف ويريد أن يقرأ فيه، فأقدم له نسخة هدية لكي يتأمل في الحق الكامل. وبعد هذا الكلام قام من وسطهم، ولم يمنعه أحد بل فتحوا الباب وسمحوا له بالخروج. أما الأبحاث فذهبت في هذه الزوبعة واستمرت إلى الليل. وأما أنا فذهبت فشكرت ربي حيث أنه أراني أن يُبرز الحق حسب معرفته من القرآن والحديث ومن غنى التوراة والإنجيل.

●● لم تعلق على هذا الكلام فهل أن موعد الصلب المدى على لسانه إنما كان يحتمل! أو... أو مد؟ أو أنه مسلم، لكنه لا يريد أن يكشف عن إسلامه مرة واحدة، فهو يلمح إلى هذا الأسلوب التدريجي، فيصف عيسى عليه السلام بأنه نبي عظيم، مع أنه يظهر أنه يفضل عليه عيسى رغم في تضليل النصارى عن حقيقة معتقده هي فكرة طرأت لي، وقد تكون صحيحة، أو هي على الأقل فكرة وجيهة تحتاج في التثبت منها إلى التربص والانتظار. فلنكن، أيها القراء، إذن من المتربصين حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا!

●●●

رسالة تافهة يضحك بها المبشرون!
(هتك الستار عما في رسالة الكندي
الحمار من عار وعوار)

رسالة تافهة يطنطن بها المبشّرون!

(هتك الستار عما في رسالة الكندي الحمار من عار وغوار)

في عشية من عشيات شتى لا تتوقف خلال الشتاء وقعت في بعض مواقع النصرانية على رسالتين خطيرتين مشوريين معا الأولى من مسلم اسمه عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى مسيحي يسمى عبد المسيح بن إسحاق يدعوه فيها إلى الإسلام، والثانية رد من هذا إلى ذاك يفند فيها الإسلام ويتطاول على الرسول الكريم ويبين له أن النصرانية أفضل من الدين الذي أتى به سيد الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام وأن المسيح به جاء من عليائه وتجسد في شكل بشر ليعلم من حظيرته، على حين أن محمدا ما هو إلا نبي كذاب. وكان الهاشمي والكندي صديقين عربيين يعيشان في أيام الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد، الذي تتلمذ عبد الله بن إسماعيل الهاشمي على يد الكندي، ويشتغل في خدمته عبد المسيح بن إسحاق على ما يقول مشوّرو الرسالتين. ومن يقرأ ما كتبه هؤلاء المشوّرون وما قدم به المستشرق وليم موير لرسالة الكندي في ترجمتها الإنجليزية التي قدم لها، يدرك مدى افتراء المشوّرين على كتبة الكندي وبطرهم إليه على أنه شيء متفرد ومتفوق على كل ما يشبهه من رسائل جدلية، بل تثير في وجه المسلم شبهات وبراهين لا يكنه الرد عليها حسب تصورهم. ويمكن للقارئ العزيز أن يطالع هذا الكلام في مقدمة وليم موير لرسالة الكندي المنشورة في عدد من المواقع التنصيرية. وكانت في الأصل ورقة ألقاها أمام الجمعية الآسيوية الملكية في بريطانيا في أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر. وقد

ستعرض الرسالتان إلى قراءتهما ودرسهما بهدوء، فكان هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ والذي يبين أن نفس هؤلاء الصابئين المضلين طبع على شاكلة، فرسالة الكندي رسالة منهوكة أشد انهيافت كما سوف يرى بنفسه. ومعنى هذا أن كلامهم عن حضورة رسالة الكندي هو أضغاث أحلام لا حقائق صلبة. كيف؟ تعالوا نطالع معا ما حرره كاتبوي الطريف، لا حرمني الله منه ولا من خفة دمه وسحر جماله الذي ليس على أحد! آمين يا رب العالمين!

١ - وأول ما يثور في الذهن عند مطالعة هاتين الرسالتين هو السؤال التالي. منذ متى كان الأصدقاء الحميمون على شاكلة الهاشمي والكندي يتحاورون في الدين كتابة، وهم يتقابلون في كل وقت، ويمكنهم النقاش شفاها؟ إن أقصى ما يمكن أن يقع هو قيام طرف ثالث بتسجيل ما دار في أية مناقشة شفوية بينهما كما في كثير من كتب المناظرات والمحاورات، مثل كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي، وبعض الصفحات في كتب الجاحظ، لا أن يكتب كل منهما رسالة وكأنهما عدوّان لا يستطيعان أن يتفاهما دون عراك وتشاتم، أو شخصان متباعدان لا يتقابلان أصلا، ومن ثم لا يمكن أن يتم حوار شفوي بينهما. والمفروض أن كلا منهما قد اطلع، من خلال المناقشات الشفوية، على ما في ضمير الآخر وعرف ما يجنه من أفكار وآراء، وأدرك أنه من الصعوبة بمكان، إن لم يكن من الاستحالة في ظل الظروف القائمة آنذاك، أن يتنازل عن شيء من هذه الأفكار أو الآراء، وإلا لكان قد ظهر في خلال النقاش أنه مستعد هذا التعبير، إن لم يكن قد تعبر فعلا، وعندئذ لا داعي لكتابة مثل هذه الرسائل لأنهم سيكون في هذه الحالة "تطبيلا في المطل" كما يقولون في الريف عن المخراتي الذي يترك الأحياء التي لم يضرب طبلته فيها ويعيد التطبيل في

تمت التي سبق أن ضمنها وأيقظ سكانها ينبذولوا سحورهم، فما بالك بـ
كان الأمر يتعلق بالعقائد والأديان؟

٢- الثانية هي ما قدم به الناشرون هاتين الرسالتين، فقد قالوا: "في القرن التاسع الميلادي، في زمن الخليفة (العباسي) عبد الله المأمون (سنة ٢٤٧هـ و٨٦١م)، كتب مسلم تقي هو عبد الله بن إسماعيل الهاشمي رسالة لصديق له مسيحي، هو عبد المسيح بن إسحق الكندي، يدعوه فيها إلى الإسلام. وكان عبد الله معروفًا بالتقوى وشدة القيام بفروض الإسلام، كما كان عبد المسيح مشهورًا بتقواه وتمسكه بالمسيحية، كما كان في خدمة الخليفة مقربًا إليه. وقد ذكر الرسالتين أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" وقد قيل إن أمر الرسالتين بلغ الخليفة المأمون، فأمر بإحضارهما وقرئتا عليه فلم يزل ناصتًا حتى جاء إلى آخرهما فقال: ما كان دعاه إلى أن يتعرض لما لبس من عمله حتى أجار كتاب نفسه؟ فأما النصراني فلا حُجَّة له عليه، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا لم أقدم على ذمه. والدين دينان: أحدهما دين الدنيا، والآخر دين الآخرة. أما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به زرادشت، وأما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح. وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا، فإنه الدين الجامع الدنيا والآخرة" وجاء في ذلك التقديم أيضا: "كان في زمن عبد الله المأمون أحد علماء الهاشميين، وأظنه من ولد العباس، قريب القرابة من الخليفة، معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإعراق فيه والقيام بفرائضه وسننه، مشهور بذلك عند الخاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم، كندي الأصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية، وكان في خدمة الخليفة وقريبًا منه مكانًا. فكانا يتودَّدان ويتحابان ويثق كل منهما بنصحه وبالإخلاص له. وكان أمير

مؤمنين عالمون وجماعة أصحابه و متصلون به قد عرفوهما بذلك ، وهما عبد الله بن إسماعيل الهاشمي ، وعبد المسيح بن إسحق الكندي" . وهو نفس ما قاله ناشرو الطبعة الإنجليزية لرسالة الكندي سنة ١٨٨٧م . تلك الطبعة التي قدم لها وليم موير أحد عتاولة الاستشراق في عصره . وهذا نص ما كتبوه على الغلاف الخارجي:

" THE APOLOGY OF AL KINDY, WRITTEN AT THE COURT OF AL MÀMÛN (Circa A. H. 215; A. D. 830), IN DEFENCE OF CHRISTIANITY AGAINST ISLAM. With an essay on its Age and Authorship read before the Royal Asiatic Society by SIR WILLIAM MUIR, K. C. S. I. LL. D. D C. L. ; PRINCIPAL EDINBURGH UNIVERSITY; AUTHOR OF " THE LIFE OF MAHOMET, " " ANNALS OF THE EARLY CALIPHATE, " ETC. SECOND EDITION. PUBLISHED UNDER THE DIRECTION OF THE TRACT COMMITTEE LONDON: SOCIETY FOR PROMOTING CHRISTIAN KNOWLEDGE, NORTHUMBERLAND AVENUE, CHARING CROSS, W. C. ; 43, QUEEN VICTORIA STREET, E. C 26, ST. GEORGE"S PLACE, HYDE PARK CORNER, S. W BRIGHTON : 135, NORTH STREET NEW YORK: E. & J. B. YOUNG & CO. 1887 ".

وهذا كلام لا يدخل عقل صبي ولا امرأة عجوز محرفة ، لأنه لو كان

هذا هاشمي ودنك الكندي معروفين على النحو الذي يذكره التقديم لكانت كتب التراث امتلأت بخبر تلك المناظرة، وبخاصة أن النصراني قد نال فيها من الرسول والعرب والمسلمين نيلاً وفحّ شنيعًا بخلاف ما زعمه وليام موير في ص ١٦ من مقدمة نشرة الإنجليزية للرسالة من أن الكندي إنما تحدث عن الرسول باحترام مع تفنيده دعاءات محمد بعنف، وانتقاده للإسلام بمنتهى القسوة وهذا نص كلامه كما جاء في الأصل الإنجليزي:

While our Apologist speaks respectfully of the person of Mahomet, he vigorously denounces his claims as a prophet, and attacks the whole system of Islam with uncompromising severity.

وهو كلام كاذب، فقد قال الكندي عن رسول الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات مثلا محاطبا هاشمي "صاحبك أعرابي جلف، فخطر خاطرٌ في قلبه فسجعه بيانه وصار به إلى قوم بذو فتقرّب به إليهم، وهم يشهدون في كتابهم أن الأعراب أشدّ كفرًا ونفاقًا"، وهذا مجرد مثال ليس إلا. نعم لو كان هذا الهاشمي ودنك الكندي معروفين على النحو الذي يذكره التقديم لكانت كتب التراث امتلأت بخبر تلك المناظرة، ولكان لنا الرد على الكندي الوقح السافل وتضييع عيشته وعيشة أهله كثير من الكتاب. وهذا إن سكتت السلطات أصلا عن هذه السفاهة والسفالة ولم تؤدبه الأدب الشرعي الذي ينبغي أن يتلقاه كل مجرم رجيم. أما أن يصمت الجميع ويكفأوا على الخبر ماجورا فهذا ما لا يمكن أن يكون، وبخاصة أن هناك كتبا كثيرة جدا في الأدب الخداق حررتها يراعات المفكرين المسلمين كالجاحظ وابن حزم والقرطبي والغزالي والجويني وابن تيمية، فضلا عن أحبار اليهود وقساوسة النصارى الذين أسلموا ولم يعتموا أن أذنوا هم أيضا بنبوتهم بوصفهم من أهل البيت

تعارفين بخبايا المطلعين على أسراره، الجديرين بأن تكون كلمتهم أشد وقعا وأصوب للهدف، وذلك فيما هو دون ما نقرؤه في رسالة الكندي تحرير لبحث بمراحل، فكيف يمكن أن نتحيل سكوت الكتاب ورجال حاشية المأمونية عن الرد على ذلك المطلع لسقيم وما ارتكبه من سفالات مشينة منه؟ أو كيف يمكن أن نصدق أن المأمون، سيد العلم في وقته، قد علم بأمر هذه الرسالة وسكت عن سفالة الكذوب المجرم التي سوّدها فلم يسوّد عيشته لو كان له وجود حقيقي، ولم تكن الرسالتان منسوبتين إلى شخصين لم يكن لهما حقيقة، وإنما كنههما شخص آخر لم يصرح باسمه، ولم يكن يعيش في عصر المأمون بتاتا كما سوف يتبين بعد قليل؟ بل كيف يمكن أن نصدق تسمية المأمون لرسول الله ﷺ "صاحب" في قوله: "وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا"، إن هذا هو المستحيل بعينه!

ذلك أن كاتب الرد المفحم هو شخص اسمه "عبد المسيح بن إسحاق الكندي"، كان قد تلقى رسالة من شخص مسلم يدعى: "عبد الله بن إسماعيل الهاشمي"، فكتب رده عليها حال فيها من الغرب والرسول والإسلام نيلا تجاوز كل الحدود، ولم يترك شيئا في الإسلام دون أن يتناوله بالتحقير، وهذا الـ"عبد المسيح" لا وجود له في كتب التراث بأي حال، لكنهم إلا إشارة عارضة في كتاب البيروني "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ذكر فيها شيئا المفروض أن الكندي قد قاله في كتابه عن النصارى، وهذا كل ما هنالك. أما عن الكندي هذا فلا أحد يعرف، حتى لقد ظن المستشرق سخاو (ناشر الطبعة الإنجليزية من كتاب البيروني "الآثار الباقية عن القرون الخالية" عام ١٨٧٩م بعنوان The Chronology of Ancient Nations) أنه هو الكندي الفيلسوف. وهذا موجود في الملاحظات الملحقة في آخر الكتاب (الملاحظة رقم ١٨٧ الموجودة في صفحة ٤١٩ على

وجه التحديد)، وإن علّق ونبّه مُوير (ص ٦ من مقدمته لترجمة الرسالة المنسوبة للكندي) بأن ذلك غير ممكن لأن الكندي الفيلسوف كان مسلما لا نصرانيا، ومن ثم لا يُعقل أن يكون هو كاتب الرسالة التي تهاجم الإسلام وتنتصر للنصرانية.

ومع هذا فإن لويس شيخو، وهو معروف بوقاحته وجمود وجهه وغلظ حسه حتى لقد جعل كل شعراء الجاهلية النصارى مما أثار عليه سَيْل الكتب للدلالة النصرانية للشعر مما يود فتهكم على هذا التعميد العجيب الذي يُستخدم فيه الخمر بدلا من الماء، هذا الـ"شيخو" يمضي في تعنّت واستطراد فيزعم أن الكندي كاتب الرسالة هو فعلا الكندي الفيلسوف المعروف، ثم يتمادى في ضلاله قائلا إنه نصراني وإن أباه كان يتولى الكوفة للمهدي والرشيد العباسيين، وكأن من الممكن أن يتولى نصراني في تلك الأيام ولاية في الدولة الإسلامية، فضلا عن أن تكون تلك الولاية هي الكوفة التي تقع قريبا من دست الحكم في بغداد. ومع هذا كله لا يكتفي المتطفل بذلك، بل يضيف أن عبد المسيح بن إسحاق هو من أسماء هذا الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي. لله عليك أيها القارئ، هذه السخافة التي لا مثيل لها في الأولين والآخرين، وتعجب ما شاء لك التعجب، فلن تقضي من ذلك التعجب حتى لو ظللت تتعجب إلى يوم الدين! ولو كان الكندي الفيلسوف رجلا نكرة، أو كان عليه خلاف كأن يكون نصرانيا هو أو أبوه مثلا ثم أسلم، إذن لكان هناك بعض العذر لشيخو الكذاب، أما أن يكون الكندي مسلما من سلالة مسلمين في سلسلة طويلة تمتد راجعة في التاريخ إلى عصر النبي عليه السلام بحيث يكون جده السابع صحابيا من صحابة رسول الله، فهذا ما يقطع كل عذر لذلك الكذاب الذي لا يعرف وجهه من قفاه خجلا وحياء. وهذا يعطيك فكرة عن

الأساليب المداورة التي يلجأ إليها هؤلاء الكتبة المدينون مرودوا على التحريف والتكذيب والتزييف طوال تاريخهم. وبالفعل فقد أن جاء رسول الله بالإسلام، بكاية منهم فيه صلى الله عليه وسلم وفي دينه، وهيهات! ويلاحظ كذلك أن شيخو لم يذكر لنا من أين استقى ما قاله عن عبد المسيح الكندي. وهذا أمر طبيعي، فهو من البديهيات حيث التسليم ليس إلا، إذ ليس هناك أي رجل ذكر في كتب التراث كما قلت آنفا.

وهذا نص ما كتبه شيخو في كتابه "مجاني الأدب في حدائق العرب" عن "الكندي الفيلسوف": "هو يعقوب بن إسحاق الكندي النصراني. وكان شريف الأصل بصريًا، وكان أبوه إسحاق أميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد. ويعقوب هذا أوحد عصره في فنون الآداب، وشهرته تغني عن الإطناب. وكان له اليد الطولى بعلوم اليونان والهند والعجم معًا عدا بالطب والمنطق وتأليف النحو والهندسة والهيئة والفلسفة، وله في أكثر هذه العلوم تآليف مشهورة. ولم يكن في العرب من اشتهر عند الناس بمعاناة علم الفلسفة حتى سموه "فيلسوف" غير يعقوب. وكان معاصرًا لقسطا بن لوقا الفيلسوف البعلبكي النصراني، وستوفى ببغداد وأخذ عن أبي معشر البلخي. ومن أنسباء يعقوب هذا عبد المسيح بن إسحاق الكندي، وله رسالة مشهورة فند فيها اعتراضات ابن إسماعيل الهاشمي على النصرانية ذكرها أبو الريحان البيروني في تاريخه". والحق أن هذا الكذاب يكذب تلك الكذبة السلقاء البجحة دون خجل. فالكندي الفيلسوف مسلم لم يقل أحد قط إنه نصراني غيره، علاوة على أن المهدي والرشيد لا يمكن أن يولّيا نصرانيا ولاية، فضلا عن أن تكون ولاية الكوفة. كما أن عبد الله هاشمي كان بعد المأمون بزمن طويل، وهو ما سنعرفه بعد قليل كما قلنا، فلا شأن له بذلك الخليفة إذن!

وفي "الفهرست" لابن النديم نقرأ في ترجمة الكندي الفيلسوف ما يلي: "هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة وهو ثور بن مرتع بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب، وكان دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة مثل منطق وفلسفة وهندسة وحساب والأرثماطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وكان فاضلا، إنما وصلنا ذكره بالفلاسفة الطبيعيين بدأنا بتقديمه لموضعه في العلم ونحن نذكر جميع ما صنفه في سائر العلوم إن شاء الله تعالى". فهو مسلم بن مسلم بن مسلم من مسلم، أي مسلم أصيل في الإسلام كما هو واضح.

وفي "القفطي في الطب" لابن صبا نقرأ عن الكندي أيضا: "يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب واحد أبناء ملوكها، وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرا على الكوفة للمهدي والرشيد، ويعقوب بن إسحاق الكندي من أكثر كتاب الفلسفة أولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد، كتاب الفلسفة الداخلة ومسائل متفرقة والمدخل وما وراء الطبيعيات. رسالة في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات، كتاب الحث على تعلم الفلسفة رسالة في كمية كتب أرسطوطاليس، كتاب في قصد أرسطوطاليس في مقولات، رسالته الكبرى في مقياسه المسمى، وغيرها كثير".

وفي "طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة "يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب واحد أبناء ملوكها، وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي

كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث الأصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وكان قبل ذلك ملكًا على جميع كندة، وكان أبوه قيس بن معدي كرب ملكًا على جميع كندة أيضًا عظيم الشأن، وهو الذي مدحه الأعشى. أعشى بني قيس بن ثعلبة، بقصائده الأربع الطوال التي أولاهن: "لعمرك ما طول هذا الزمن". والثانية: "رحلت سمية غدوة أجمالها". والثالثة: "أرمعت من آل ليلى ابتكار؟". والرابعة: "أتهجر عاشيه أم تلم؟". وكان أبوه معدي كرب بن معاوية ملكًا على بني الحارث الأصغر بن معاوية في حضرموت، وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكًا بحضرموت أيضًا على بني الحارث الأصغر، وكان معاوية بن الحارث الأكبر وأبوه الحارث الأكبر وأبوه ثور ملوكًا على معد بالمشقر واليمامة والبحرين وكان يعقوب بن إسحاق الكندي عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد، وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جدًا في جميع العلوم"

وفي "أخبار العلماء" للقفطي: "يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبرين الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو يوسف الكندي المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية،

متخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم، فيسوق العرب وأحد أبناء ملوكهم. وكان أبو إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة، وكان أبوه قيس بن معدي كرب ملكاً على جميع كندة أيضاً عظيم الشأن وهو الذي مدحه أعشى قيس بقصائده الأربع الطوال..."

فهذا نسب الكندي، وهو كما ترى نسب معروف ليس عليه أدنى خلاف. ومظنة أن يكون شيخو جعله بهذا النسب مستحيلة كل الاستحالة، فهو من مؤرخي الأدب العربي، علاوة على أنه يعرف ولد الكندي وعمله وولايته على الكوفة أيام المهدي والرشيد، مما يدل على أنه يعرف كل شيء عن المؤرخين في ذلك العصر. لأن كلام المؤرخين عن ولد الكندي مما ورد في تضاعيف الكلام عن أبيه كما رأيت. فتأمل أيها القارئ هذا الأسلوب القذر الذي يلجأ إليها بعض الناس في حربهم ضد الإسلام، ثم يزعمون للمسلمين بعد هذا بكل وقاحة بعبوبهم هم، ولا يخجلون!

وأنى يتسنى للقارئ أن يثق بشيخو بكتاب مُلِمٍّ بالتراث العربي الإسلامي الذي يستحيل معه أن يكون على جهل بمثل رجل كالكندي الفيلسوف الذي طارت شهرته في الآفاق حتى لقد سماه "المعلم الثاني" بعد أرسطو المعلم الأول. فلا نقص أشد في التعريف بشيخو، وهو بشهادة لا يتهم أحد غيره، إذ قال معروف نفسه في كتابه "تاريخ الأدب العربية" "لأب لويس شيخو مدير مجلة المشرق، له مصنفات مختلفة منها دينية ولاهوتية كالبرهان الصريح في الأقوال المسيح. ومجموعة مقالات دينية قديمة كتبها بالعربية، وترجم بعض القديسين كالقديس يوحنا الدمشقي والقديس يعقوب كالبريوس والطوباوي بطرميوس. وأولياء الله في لسان، والبعد

عقوبة السيد المسيح ومنها جدلية كالأحبال الفاتونية والأحبال الدور، وخاورات جدلية، وردود مختلفة على الدهر، و مخلات الوطنية، وكشف أسرار الشيعة الماسونية. ومنها فلسفية كمجموعة مقالات فلسفية بقدمه للفلاسفة، ومقالات في النفس، و تصميم و تسلسل الندي، و الأقنوم السحرية ومنها كتابية في شرح مثاني واردة في الأسفار المقدسة وعقيدة، قاسمة فيها ومنها تاريخية كبيروت أحبارها وآثارها وكتاريخ جزيرة العرب حاضرا، وتاريخ الحرب الكونية، وتاريخ النصرانية وأدبها في عهد جاهليتها، وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر وفي الربع الأول من القرن العشرين، والمخطوطات العربية للكتبة المصرالية، وتاريخ الدقة طور سيناء، وتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين و العراق، ووصف مخطوطات مكتبة الشرقية (خمسة أجزاء)، وتاريخ الرهبانية اليسوعية، و الصناعة العربية، وتاريخ مجلة أدبية في حلب، وتاريخ القصدة الرسولية في الشام، ومن العربي تاريخه وآثاره ونشر من تواريخ تاريخ بيروت وأمراء العرب لصالح بن يحيى، وتاريخ شاكر بن زهلب، وتاريخ سعيد بن بطريق مع مختصر لسعيد بن يحيى الإطاكي، وتاريخ مخطوط المسحي، وتاريخ صفات لأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي، وتاريخ حوادث لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠، وله في اللغة كتاب زبدة الصرف في مختصر الصرف، و المنجد في اللغة العربية واللغة العامية بزيادة اللغة الفصيحة ونشر من كتب اللغة الأقنوم الكتابية للهمداني، وفقه اللغة للثعالبي، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت، وكتاب الكتاب لابن درستويه، والمزهر في شذور اللغة، وغير مصنف عربي في الملابسة مع مختارات ومعجم وفي الأدبيات الشعرية كتاب شعراء النصرانية في عهد جاهليتها ثم بعد الإسلام، ونشر دواوين حسان، والحرث والمسوار والمتنبي وسلامة بن جندل والنابغة

ومرثي شعراء العرب وحماسة البحتري، وله في الآدبات التربية ومنتخبات مرقيه المقري، ومرقاة المحبي، ومحبي الأدب مع شروحه، وأطرب الشعر وأصيب الثر، والأحداث الكثيبة، والتشابيه المصرية في شعراء الجاهلية، وأصيب المكافحات في أربع رويات، وروضة الأحداث في أطيب الأحداث، وشرح منها كثيبة ودعة على الدمه سخة مؤرخة، وكتاب فضائل الكتاب لابن المرزبان، وفاكهة الورقة في غلمان أضاف نامه، وله أسفار ومباحث شتى كثيرة من بيروت إلى هند وأسفاره إلى حمص وحماة وحلب ودمشق وحبيل مع ذكر آثار كل مدينة، وكتب فية كمفاتيح الضوء لأرسطو، وآلات المنعمة لموريتوس، وآلات مرمرة لسجي موسى، والمكحلة بتصفي

أن ابتدأ نعبد الله بن إسماعيل فقرأ في تاريخ الإسلام للذهبي تحت عنوان "وفاة هاشمي حصب جامع المنصور" وفيه (أي في سنة ٣٥٠ هـ) توفي أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل هاشمي حصب جامع المنصور، وكان د فعدد في الأسوة، فيه في صفة الوالي، إذ هو عبد الله بن إسماعيل بن بزهيه بن عيسى بن المنصور أبي جعفر". وفي "النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي أيضا أن عبد الله بن إسماعيل هذا توفي سنة ٣٥٠هـ، وأنه كان حصب جامع المنصور مثل أبيه، وأنه كان من بني العباس، وفي طبقة هارون بن ثم في علو النسب. فقد عرفنا أن هارون وُلد سنة ١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢١٨هـ، تبين لنا أن بينه وبين هاشمي هذا أكثر من قرن. ويبدو أن هذا هاشمي كذلك من رواة الحديث، إذ ورد نفس الأسم في عدد من روايات أسناد المرويات في كتاب واحدي، وفي سلسلة بعض الأحاديث في كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي مثلا. ومع ذلك فإني لا أظن أنه هو مؤلف الرسالة التي تدعو الكندي مرءوم إلى الإسلام للأسباب التي سوف يضع

عليها القارئ في هذا الكتاب.

٣- ليس ذلك فقط، بل إن النص الذي ورد عند البيروني و ستشهد به هؤلاء المفترون الكذبة بتمامه بدون نقطة، بل هو يجري على النحو التالي "وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصاري عنهم (أي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل هاشمي أنهم يقربون بتسع نفس، ولكن ذلك لا تكتمهم البوم جهراً" وقد علق عليه وديع مبيض في ص ١٧ من المقدمة الإنجليزية لكتاب بأن هذا الكلام موجود في ص ٢٥ (والحق يشير إلى نشرة جمعية تراثية معارف نسيحية التي صدرت في لندن عام ١٨٨٥م)، ونصه "لا يكتمون (أي الصابئة) ولا يستترون منه شيئاً عن الغرباء التي يتحدونهم من الناس، فإن تسع نفس لا ينهيأ لهم البوم جهراً، بل يختانون فيه فيتعمونه سراً" لكن هذا الكلام، في الواقع، غير موجود لا في رسالة الكندي ولا في رسالة هاشمي الموجودتين بين يدينا الآن. فما معنى ذلك؟ معناه أن الرسالة كتب مملوءة بالاضطراب وأن ما بين أيدينا من رسالة الكندي لم يكن هكذا في الأصل، بل اعتراه تغييرات، وإنه لم تكن تحتوي على الكلام المحط في حق الرسول عليه السلام، بل هو من إضافات بعض المحررين من متأخرين. فضلاً عن أن البيروني لم ينقل فيه رأي رسالة الهاشمي، بل كل ما هنالك أنه نقل بعضاً من رسالة الكندي فقط. وهكذا يتبين للقارئ الكريم أن جريمة الكاتبة لا وجود لها مهما تكن عنصرية المجرم، فما بالنا والمجرم هنا هو جمع المستشرقين، وهم أكذب خلق الله، ولا يتورعون عن المجيء بأي أساليب في حرب الإسلام وعلى كل فإن البيروني هو من أهل القرن الرابع الهجري، أي ليس كلامه حجة على أن الهاشمي والكندي كانا من معاصري المأمون.

٤- وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة، وهي العصر الذي عاش فيه صاحبا

[illegible] لو كانا هما فعلا هاشمي و[illegible] المذكورين فأمد عبد المسيح فكل ما وجدناه عنه هو زعم لويس شيخو الكذاب أنه من أسماء الفيلسوف الكندي المشهور الذي جعله نصرانيا دون أدنى خجل، وهو طبعا كلام مرفوض جملة وتفصيلا لمخالفته الحقائق التاريخية التي لا تجري على هوى أحد، سواء كان هذا الأحد شيخو أو مخو أو برايخو، بل يجب على شيخو وغير شيخو العلم به والخضوع لأدلته وبراهينه دون تشيع ولو بكلمة واحدة ولو كان عبد المسيح هذا وجود تاريخي حقيقي، فأين يا ترى كتبه الأخرى غير صاحب الأيوب وقدرته على الجدل والوقاحة بالشكل الذي نعكسه رسالته؟ بل مثله لا يمكن أن يبقى هذه البيضة الوحيدة ثم يصوم عن البيض إلى الأبد، بل لا بد مثله من مواصلة التأليف والدخول مع المسلمين في جدالات أخرى، وخاصة أن الكتب الإسلامية في الرسالة المسيحية وتخطئتها كثيرة متنوعة، ومن شأنها أن تستفز إلى الجدال كل صاحب قلم من أهلها، فلم لم يكن عبد المسيح أحد هؤلاء الذين تستفزهم تلك الكتابات فمتى يا ترى سوف تستفزه؟ كما أن مثله لن يكتفي بالكتابة في الدفاع عن دينه، بل سوف يكتب في شرح عقيدته وعبادته بشكل مستفيض، وكذلك سوف يكتب عن تاريخها وما إلى ذلك فأين تلك الكتب؟ وأنا بالمناسبة سمعت هاشمي يقول مخو (ص ١٨٧) إنه لا يعرف شيئا عن عبد الله بن إسماعيل هذا، وقد حاولت أنا أن أصل إلى شيء يزيل تلك الصعوبات فلم أجد أحدا بهذا الاسم إلا رجلا في القرن الرابع الهجري لا شأن له بالذي كان يعيش فيه المأمون العباسي وهذا الرجل هو أحد رواة الأحاديث، وكان يشتغل خطيبا لجامع منصور بغداد كما سبق القول، أي أن كل ما قيل عن أنه من أقرباء المأمون، وأن ذلك حفيظة قد علمه ما كان بينه وبين عبد المسيح المكذوب من جدال وقرعه

على الصدق لأمر لا يجسه هو كلام في محله، لأنه من الناحية النظرية مستحيل تمام الاستحالة. إذ يفصل بينه وبين المأمون قرن كامل حسبما رأينا، فهل من الممكن أن يتعاصر شخصان يفصل بينهما عشرة عقود؟ إن ذلك لا يمكن أن يقع إلا في حالة واحدة هي أن يكون راعم ذلك أحد أتباع الكتاب الذي يجعل الأمر أكثر من أنبه بمراحل كما في سفر أخبار الأيام الثاني (حسبما يعرف ذلك كل من له أدنى اتصال بالكتاب المقدس، إذ يشير فيه أن عُزِّيا بلغ من العمر حين تولى الملك كان اثنين وثلاثين سنة، ثم مات بعد ذلك بثماني سنوات، فيكون عمره حين هلك أربعين سنة. ثم بعد أقل من ثلاثة أسطر تماماً لكاتب السفر يقول إن ابنه آحاز، الذي تولى الملك بعده مباشرة، كان عمره آنذاك عشرين وأربعين سنة. وبين هذا من معنى إلا أن أحدهما أكبر من أبيه بستين (الإصحاح ٢١: ٢٠، و٢٢/ ١- ٢)!

٥- ثم إن مثل هاشمي الذي كان من شأن حديث وخطب أن يحدث في أكبر جوامع في تعداد ذلك العصر متوهج بالثقافة والفكر الإسلامي لا يمكن أن يخطئ تلك الأحاديث الصحيحة التي تشتمل عليها الرسالة المنسوبة له، ومنها قوله إنه قد افتتح رسالته إلى خصمه النصراني بالسلام عليه وأرجعه تشبُّهاً بسيده وسيد الأنبياء محمد رسول الله لأن الثقات، كما قال، قد رووا عنه أن هذه كانت عادته، وأنه كان إذا افتتح كلامه مع الناس يبدأهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم، ولا يفرق بين الذمي منهم والأمي، ولا بين المؤمن والمشرك. والحق أن النبي كان، مع احترامه جميع البشر، لا يحييهم جميعاً بذات التحية. وهذا واضح من تحاياه على الأقل للمسلمين وأرحامه غير المسلمين الذين سبق أن دعوهم إلى الإسلام. إذ كان يكتفي بقوله: "أسلم تسلم" أو "السلام على من اتبع الهدى" أو "السلام على

من تبع الهدى وآمن بالله ورسوله". فلم يكن يقول "السلام عليك ورحمة الله" كما يزعم كاتب الرسالة. وهذا من الوضوح بمكان بحيث لا يسع أي مسلم به أدنى اطلاع على السيرة النبوية أن يجهله. فما بالنا بمثل ذلك العالم الجليل متسلح بالدرجة الهاشمية ومدثر بعصبة القرابة إلى جعفر بن العباس؟!

٦- كذلك جاء في رسالة هاشمي المزعومة الحديث الثابت صوت رسول الله عليه السلام "لعنة تخلق حتى إلى الناس كافة، وقد أبعث بعصبة وبقطعة" أو "بحمة تقريب دبة بإيمان" وقد بحثت عن هذين الحديثين في موسوعة الأحاديث الصحيحة والضعيفة الموضوعة "تيسير الوصول إلى الحديث الرسول" في إصداره التاسع التابع لموقع "الدرر السنية". فلم أجد فيه أي أثر لا بين صحيح ولا بين الضعاف بل لقد ورد فحاولت العثور على كلمة "قطعة" أو "دبة" في أي حديث صوت الرسول الكريم، صحيح كان أو ضعيف، فلم أوفق إلى شيء بالمرة لتكتسبه بالكلية. أما الأول فلم أجده ورد إلا على لسان اليهود في رواية منقطعة ذكرها ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى "من كان عدوًا جبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله". وهو قوله عمر بن الخطاب لا لرسول عليه السلام، لذي لم يكن حاضرًا "إن جبريل منك بقطعة والإعسار والتشديد والعذاب" ولا يعقل أن يكون الرجل من رواة الأحاديث ويجهل أن هذين الحديثين لا وجود لهما لا بين صحيح الأحاديث النبوية الشريفة ولا ضعيفها. فأين أتى بهذين المعنى هذه المنتج!

٧- كذلك أحد من ضعيفه الضعيفة أن يقول أي مسلم في تحت لأبيه. لله هاشمي من بني العباس. فضلًا عن أن يكون هذا الهاشمي من رواة الأحاديث وحفظة السنة المطهرة "ويقول الله مؤكدًا". بئس التأكيد

... لله سبحانه، فمثل هذه اللغة العربية حقا جدا جدا على كتاب هذه العصور، بل إني لأحسبها لا تزال حتى في عصرنا هذا عربية كما كانت أبدا. ومثل لا أحال عليه بمعنى كتب اليهود المعروفة بـ "العهد القديم" بـ "الكتب العتيقة". أو كتب النصارى المعروفة بـ "العهد الجديد" بـ "الكتب الحديثة". فضلا عن أن يسمى أي إنجيل بـ "البشارة" كما صنع هاشمي فيما هو مسوق إليه هنا وآنفا. دعك من أن يستحدث كلمة "مسيح" للدلالة على "الكاهن والناصح" (أو على "المعبود الحسي بين الناس" مرادفة بـ "المسحوق" كما كان يستعملها مسلمون "أجلاء" في القديم). وذلك في حديثه عن رهبان الدين النصراني و"قيامهم فيه (أي في الأديرة) حفاة على المسوح والرماد باكين بكاء كثيرا متواترا منهمل الدموع من الأعين وحقون مستحقين بمستحق عجيب" كما نسب إليه. فهذه كلها ركاكة بكل معرفها مسلمون وقتذاك، زيادة على ركاكة الكلام في قوله "قيامهم على مسوح والرماد"، إذ المسوح هي الملابس المقشفة التي كان يلبسها بعض الرهبان إعلانا عن زهدهم في الدنيا، والرماد معروف، وهو الذي ينتج عن النار. فما معنى أن يقوم بدن على مسوح والرماد؟ وكيف؟ ذلك كلام غريب لا يتصور صدوره من عربي في أقرن شأنه أو شأنك أو أي شخص آخر ولا قبل هذا بعدة قرون. ودعنا من أن هاشمي لم يكن عربيا عدلا لا في نسبه ولا في ثقافته كما أن مسلما لا يقول "الإنجيل"، وهو يقصد الأناجيل التي كتبها (فيما يقال) متى ومرقص ويوحنا ولوقا، والعمدة في رسالة وإرسالته وقوله يوحنا. إذ الإنجيل في الإسلام هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى لا الكتب التي كتبها بعض الناس بعد تركه لعالم الأرض. ومن المستحيل أن يدور في ذهن أي مسلم أو أي شخص مسلم في العهد الحديث "مرسل" وكتاب يدور حوله سفر

[illegible] الرسل هم حواريو المسيح كما جاء في رسالة الهاشمي. ذلك أن حواريي المسيح لا يمكن أن يكونوا كهؤلاء الناس من المثقفين. ومثل لا يمكن أن يقول مسلم عاد ومن الهاشميين عن المسيح وحواريه إنه بعثهم إلى الأمم دعاة له. لأن هذا القول يناقض ما جاء في القرآن من أن عيسى عليه السلام ما أرسل إلى بني إسرائيل فقط. وهو ما أكده الرسول حين قارن بين نفسه وبين إخوانه السابقين من الرسل والأنبياء ما فيهم عيسى المسيح. فقال إن كل نبي منهم كان يبعث في قومه خاصة. أما هو فبعث إلى الناس كافة. كذلك من المستحيل أن يثني مسلم على بعض القساوسة والرهبان من أهل الكتاب وعلى عبادتهم ورهبانيتهم وهو يقرأ في القرآن ويتلو من الحديث الرسول أنهم كفار وأنهم قد ابتدعوا تلك الرهبانية التي حرمها الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة. فليس لأحد أن يكون مدح عام من قوله النبي الله ورسوله ومكانته. وفي وقت كان المسلمون مأمورة بقطع كل الصلات بالمولاة والانتماء إلى أهل دينهم.

٧ - ومثل هذا المسلم. فضلا عن أن يكون هذا المسلم عالما كبيرا كهؤلاء الهاشمي المنسوبة له الرسالة التي بين أيدينا. لا يتصور أن يكون مراد الهاشميين. الرهبان في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥] هم القساوسة والرهبان المؤمنين المتبعين والمصيبين. بل القساوسة والرهبان

الذين سمعوا القرآن على عهد النبي فكفروا حتى فاض الدمع من عيونهم وأسرعوا بدينه أي أنهم لم يعودوا نصارى، بل أصبحوا مسلمين موحدين يعتنقون دين النبي الكريم، وهذا واضح من آيات سورة "المائدة" مما لا مجال فيه. ومن ثم لا يمكن القول بأن ذلك هاشمي قد كتب عن النصارى والراهبين المتنصرين في عصر النبي هذا الكلام الذي لا يتصور صدوره عن مسلم وعرف النبي عليه السلام، بما أنزل عليه من الوحي، صحة ضمائرهم ونياتهم، وأنهم أصحاب مسيح حقا لا يستكبرون بسيرته لأحدهم منه، بل كانوا لا يقتلون النفس ولا يستحلون المال ولا يعشقون أحدا ولا يريدون بالناس سوءا ولا مكروها، وأنهم طالبو السلامة ولا يضمرون على أحد ولا عداوة"، بل لو كان أولئك النفر من الراهبين أصحاب المسيح وسائرين على سنته حقا كما يشير قول بعض الهاشمي لكانوا آمنوا برسول محمد عليه السلام، فما أن القرآن لا يشير في أي موضع منه على أي واحد من أهل الكتاب على عهد الرسول عليه السلام إلا بعد كان قد ترك ما هو عليه والتحق بأمة المسلمين، أما مسألة الأحبار والرهبان فيكفي أن نعرف من سورة "التوبة" ما قاله القرآن في حقهم ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿٣٠﴾ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿٣١﴾ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿٣٢﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿٣٣﴾ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] حتى يتبين له سخافة صدور مثل ذلك عن نفس وفرهان من عدم تسمم في ذلك المعهود! كان يستحيل أن يقول مأمون عن النصرانية إنها دين حرة، إذ معنى هذا أن من يعتنقها تاج يوم القيامة، وهو ما لا تملك أن تقول به مسلم. لأن الدين عندنا هو الإسلام. فهو الدين الوحيد الذي لا يصح الدين إلا به. أما أي دين آخر غير الإسلام فلا يصح، إذ الإسلام يجب ما قبله من الأديان. وبخاصة تلك التي تعرضت للعبث والتحريف وليهم القرآن والحديث أصدق الكذب ونصّ على أن جهنم هي مصيرهم، بغض النظر عن اعتقاد كل إنسان في دينه وصحته. وبغض النظر عن احترامنا بدورنا لاعتقاد كل إنسان.

٩- ويحرص هاشمي، طبقاً لما سبق بيانه، في فصل من الاستعراض الثقافي يذكر فيه ما جاء في كتب الهنود ومعتقداتهم الرؤساتهم وهو فصل غير مفهوم، إذ المفروض أن الكندي يعرف كل ذلك عنه من واقع أنهما صديقان. ولا يعقل أن تكون بينهما كل تلك الصداقة التي تحدث عنها مقدمو الرسالتين ثم يغيب صاحبها لا يتناقشان في أمور الدين. وبعد تصنع في ذهن هاشمي أن يكتب هذه الرسالة لصديقه يدعوه فيها إلى الإسلام، مما لا يقبله المنطق ولا يتسق مع صنع الأشياء. بل هل يعقل أن يتصدى هاشمي فيحاصر الكندي في دينه وكتبه وفرقه، وكأنه يكلمه في أمور لا يعرفها هذا الكندي، مع أنها من صميم دينه، ومن ثم فهو يعرفها معرفة مباشرة.

١٠- ومما تناوله هاشمي في رسالته كلامه عن السطورية، الذين

سماهم "أصحابك"، أي أصحاب الكندي، ثم يدل على أن الكندي مصوري. وقد تضيق نفوسهم بأنهم "أقرب وأشبه بأقاويل المصنفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلى قول معتزلة المسلمين، وهم الذين حمد نبينا صلى الله عليه وسلم أمرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والمواثيق، وجعل لهم من ذمته في عقله وأفضل أصحابه ما جعل، وكتب لهم في ذلك الكتب، وسجل لهم السجلات، وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين اقتضى الأمر إليه واستوثق به، فسودوا وتخرّموا بحرمته وذكروه بمعونتهم إياه على إعلان أمره وإظهار دعوته، وذلك أن قريشاً كانوا يشتمونه ويخبرونه عن سوء الوحي عليه ثم مكّن الله له وصار إليه فبذلك كان يكثر توادّهم وصلة محادثتهم، ويُرى كثير عندهم محلهم في تردده إلى بيتهم وعندهم وكان قريش وأصحاب الأديرة يكرمونه ويخلونه طوعاً، ويجرون أصحابهم ثم يريد الله أن يرفع من أمره ويعلي من ذكره. وكانت النصارى تميل إليه وتحبه تكيدة اليهود ومشركي قريش وما يتعاونه به من الشرّ، مع مودتهم له وإجلالهم إياه وأصحابه".

وهذا كلام كله حسن وشيقة، إذ متى عامل النبي الشاعرة معاملة حسنة وأثنى عليهم؟ ومتى كان الشاعرة يؤذونه ويعاندونه على رسالته ويعتدونه؟ وإذا كان هذا صحيحاً فلم يذكر هذا الكندي المصوري ويجزم في حقه عليه السلام ويقول فيه الكلام الذي سوف نضع عينه بعد قليل إذا كان ما يسوءه بهاشمي من أن الشاعرة يجفونه عليه السلام ويؤذونه ويعتدونه صحيحاً؟ يقولون في الأمثال الشعبية إن الحمل صعب بحته. فقال أحدهم هذا حمل، وهذه بحته، فأروني كيف صعب الحمل بحته وهو ما شوفه حتى هذا تاريخ ورسول، وهذا تاريخ الشاعرة، فأروني متى حدث ما ذكرتموه على لسان هاشمي إن الذين دعاهم النبي

من النصارى إلى الإسلام إنما كان أسلموا، وهؤلاء لا شأن لنا بهم هنا، وإنما النصارى يقرأ على ما كانوا عليه. فدعاهم عليه السلام إلى المباهلة، وهي الدعاء على الكاذب المبطل من الفريقين أن يهلكه الله ويخزيه ويبعده من رحمته ومن كل خير، فكيفهم خافوا وهربوا من المباهلة وأقروا أن يدفعوا الجزية معترفين أنه نبي صادق، لكن حظوظ الدنيا عستهم على صغارهم ومنعتهم من الدخول في الدين الحق. فمتى كان الأحبار يصنعون لنبيه موضع حصير؟ إن هذا هو الكذب المبين، لعنة الله على كل كذاب أفاك لئيم! ثم متى كان النبي عليه الصلاة والسلام يكثر من التردد على الأحبار ويجلس مجالستهم؟ ترى من أين كان يقول هم ويقولون له؟ إن كان هذا الغبي يريد إفهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه صبيغة عبرية، وقد كان يستمع إلى ما يلقى إليه قسوسه وينعلم منهم حتى استطاع في نهاية المطاف أن يصبح رسولا، فإنه أكرمه إلى هذا اللف والدوران؟ أليس في هذا الحديث خبيث وكيد موضع وكيف يستدل النهام برسول بن رجل من الهاشميين وعلم من أعلامهم. وفوق ذلك ألقى متمسك أشد تمسك بدينه؟ إن الكذابين يزعمون أن الرسول عليه السلام كان يتردد على القسوسة كلما ذهب إلى الشام، مع أن كل ما ذكره بعض كتاب السيرة أنه قد مر بحيرا مرة واحدة وهو صبي صغير، وأن تلك القافلة كانت تقصد من تجر لا تمكث، وأن ذلك الراهب قد حذر عمه أن طالب من كيد يهود فيه، لأنه سوف يكون نبي. وهذا كل ما حدث، فلا كلام ولا سماع ولا دروس، كما أن ذلك لم يتكرر مرة أخرى. وقد دفع مثل هذا الزعم الكاتب الأسكتلندي المشهور توماس كارلايل إلى السخرية من المستشرقين والمبشرين حين يقولون إن الرسول قد تعلم على يد بحيرا، متسائلا عما الذي يمكن أن يتعلمه صبي في نحو الرابعة عشرة من راهب

كسحر أو غيره لا يعرف كنهه؟! (انظر كتابه "الإسلام" ترجمة محمد السباعي، كتاب الهلال العدد ٣٢٦ فبراير ١٩٧٨م ص ٦٩) كذلك يقول كاتب الرسالة إن قسوسة النصرانية كانوا يجنونه هو وأصحابه، فهل كان الرسول كذلك أصحاب، وهو لم يكن قد بدأ دعوته بعد، ومن ثم لم يكن له أتباع أصلاً؟ وأعجب من ذلك وأنكى على الصحيح أن يقال إن الوحي عندما قد يرى مثيا عليهم بأنهم سوء "الأمة الذي والتي بيت قبل قليل أنه قد تولت فيهم أسمى من قبسي النصارى ورهبانهم، رغم أنه لم يكن ثمة وحي بعد، فكيف يتبرأ وحي، والنبي لم يكن قد أصبح نبياً بعد، لأن الكلام هو عن رحلاته إلى الشام، ومعروف أنه صلى الله عليه وسلم لم يذهب إلى الشام من قبل بدء الدعوة أبداً! إن هذا لا يمكن صدوره من مسلم، فضلاً عن عالم كبير من علماء المسلمين!

١١- ويقول الهاشمي فيما هو منسوب إليه "وقضيت جماعة من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العبادة، ودخلت كنائس وأديرة كثيرة وحضرت صلواتهم تلك الصلوات المسماة التي يسمونها "صلوات الأوقات"، وهي صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الساعة التي هي صلاة السحر، وصلاة نصف النهار، أعني صلاة الظهر، وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر والعشاء، وصلاة الشفع وهي صلاة العشاء المفروضة، وصلاة النوم التي يصلونها قبل أخذهم مضاجعهم، ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والخشوع والسجود بالصدق حتى ود الأرض وصرت حينها وتكشف إلى السماء صلواتهم، خاصة في يوم الأحد ويوم الجمع ويوم الأعياد التي يسمونها فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله، ويصلون ذلك بالغناء بأصواتهم أجمع، ويكثرون في صلواتهم ذكر الأب والابن والروح القدس، وأيام الاعتكاف التي يسمونها أيام الرعبة (صلوات الاستمطار)".

فمتى نسمع نسمع في أحد هذه الكتب يصف هذا الرجل بالصدق في حبه؟ أو كان رجلا ذهب حيث به لا يجد ما يشغل به وقته سوى التردد على الكنائس والأديرة لعل موعظة تسهر بالقبول فيها؟ لكنا نعرف أن الأديرة كانت في ذلك العصر مرتدا لجماعات من اللصوص والمكاري المتنكرين الذين يذهبون إلى هناك للتحرش بالرهبان النساء. وما أدراكم ما الرهبان النساء. التحرش بهم؟ فكيف شد صاحبنا عن هذا؟ وإلى القارئ واحدة من القصص التي كانت تتكرر كثيرا في ذلك العصر. وهي منقولة عن كتاب "الديارات" للأصفهاني. أكثر ذكر من حرجة يتعشق غلاما نصرانيا يقال له عيسى بن البراء بعدي الصيرفي. وله فيه قصيدة مدوحة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وعبادهم. ويسمي ديراتهم. وينصبهم فيها وجدلي من شهد دعلا وقد أنشد قوله في عيسى بن البراء العدي.

زائرة في غير وقت معقود ... كالبدر من كبدي مفقود

فقال دعبل ما يعلم أنه في حسنه أحد قط كما حسنت بكرا على هذا السبب! وقال بكر بن حرجة في عيسى بن البراء العدي:

قد أخجل الغصن المنوه شوخ ... وسبته بدير العاقول
والفرقدان والشعرى لا ... ترتب لقلبي الدنف الملهوف
حرق مت فمت من هواي ... وارثدي إلى فتح الطريق
فقد طالت علي وجوه أموري ... وأنت المستجار من الضيق

وذكر بكر بن حرجة كثيرا عند بعض أمير مشتهر بالشراب فيه، فتناول بعض الغلمان النصراني، وفيه يقول أحوزة مليحة منها قوله:

من عاشق بات هذا ... يطلق دمع صاغت اللحظ
موسى قلب مقلق حتما ... معذب بالشهد والهجر
من غير ذنب كنت أجنيه ... لا هزئي فمت به عبثا
شوقا إلى رؤية من أهوى ... كانت عافاه من البلاء

يا وجه من عاشق ما يلقى ... بأدمع منهلّة ما ترقى
داب إلى أن كاد يخفى عشقا ... وعن دقيق الفكر فيه دقّا
لم يبق فيه غير طرف يبكي ... بأدمع مثل نظام السلك
كأنه قطر السماء يحكي ... بخدّ نيران الهوى ويذكي
إلى غزال من بني النصارى ... عذارُ خدّيه مُنى العذارى
يترك ألباب الورى حيارى ... في ربقة الحبّ له أسارى
رمى بدير الروم رام قتلي ... بمقلة كحلاء لا من كُحل
وطُرّة بها استطار عقلي ... وخُدْن دلّ وقبيح فعل
ها أنا ذا من قدّه مقدودُ ... والدمع من خدّي له أعدود
ما ضرّ مَنْ قلبي به معمودُ ... لو لم يكدّر صَفْوه الصدودُ؟
يا ليتني كنت له صدّه ... فكنت عنه أبدا قريبا
أبصر حسنًا وأشمُّ طيبا ... لا واشيًا أخشى ولا رقيبا
أو ليتني كنتُ له قُربانا ... ألثم منه الفمَ والبنانا
أو حائلًا كنت أو مطرانا ... كيما يرى الطاعة لي إتيانا
أو ليتني كنتُ له زنّارا ... يدور لي خصراه حيث دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا ... صرتُ له تحت الدجى إزارا
يا ليتني في النحر منه غوذة ... أو خرة يشربني ملذوذة
أو حلة يلبسني مقدودة ... ليست إذا ما أخلقت مفقودة
يا ليتني كنت لعمرو مصحفه ... أو قلمًا يكتب بي ما ألفه
من حسن أشعارٍ له قد صنّفا ... فإن لي من بعض هذا ما كفى
يا لذي بحسنه أضناني ... وابتزّ صبري والغضى كساني
ظبيٌ على البعاد والتداني ... حلّ محلّ الروح من جثماني
واكبدي من خده المقرّح ... واحزني من ثغره المفلّح
لا شيء مثل الطرف منه الأدمح ... أذهب للنسك وللتحرج
إليك أشكو يا غزال الأنس ... يا من هلالي وجهه وشمسي
ما لي من الوحشة بعد الأنس ... لا تقتل النفسُ بغير النفس
ها أنذا في بحر الهوى غريقْ ... سكران من حبّك لا أفيقْ

مختـــرقٌ مـــا مـــنّي حـــريقٌ : يـــرمي العـــدوُّ والـــصديقُ

ويقول فيها:

يـــا عمـــرو لا تـــغترك بالمـــيح : ألا سمعتَ القـــول مـــن نـــصيح
يعـــربُ عـــن قلـــبٍ لـــه قـــريح : لـــيس مـــن الحـــبِّ بمـــستريح؟
يـــا عمـــرو بالحـــق مـــن اللاهوت والـــروح روح القـــدس والناسوت
ذاك الـــذي قـــد خُـــصَّ بالنعوت الـــنطق في المهـــد وبالـــسكوت
يحـــق مـــن في شـــامخ الـــسوامع ::: مـــن ســـاجد لـــربه وراكـــع
يبكـــي إذا مـــا نـــام كـــلُّ هاجـــع : خـــوفاً مـــن الله بدمـــعٍ هامـــع

ثمّ يقسم عليه بكل قسم يعرفه النصارى ويقول:

ألا نظـــرت يـــا أمـــيرَ أمـــري ::: محـــبًّا في عظـــيم الأجـــر؟

كذلك ألم يكن لهاشمي زوجة وأولاد وأهل يستفسرون منه عن سر ذلك التردد الكثير على دور العبادة النصرانية والبقاء الطويل فيها وتركهم دون عائل يقوم بمطالبهم؟ وهل من الممكن على من تكشّف أن يسجد أو أن يصرّب نفسه؟ وهل يكون السجود بوضع خد على الأرض؟ الواقع أن هذا كلام يبرحل الدمع! ومرة أخرى نحن أمام محاضرة في العبادات النصرانية، ولا أظن الهاشمي، لو كان شخصية حقيقية، يمكن أن ينخرط في هذا الدرس لدى لم يطلبه منه الكندي ولا يحتاج له. وعلى الناحية الأخرى نجد الكندي يشرح للهاشمي في رده على رسالته ألفاظا في كلامه لم تكن ثمة حاجة إلى شرحها، إلا أن يكون الكندي قد افترض أن صاحبه من العوام فهو يشرحها له، فهو يقول له أثناء حديثه عن جمع القرآن: "فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من آخرته كسورة "التوبة" التي كتبوها عن الأعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد، وما كان مكتوبا على اللِّخف (وهي حجارة بيض رقاق واحدتها لَخْفة، وهي في حديث زيد بن ثابت جامع القرآن) والعُسُب (وهو جريد النخل) وعلى عظم الكتف

ونحو ذلك، ولم يُجمع في مصحف" فهل مما يدخل اللبس أن يكون هامش نجاحة بن من يشرح له معنى "نفشت" و"انحدر"، وعلى يد من؟ على يد مصري! ثم هل من المعقول أن يقضي هاشمي كل تلك الأوقات في الكنائس والأديرة مخالط النصارى ويرهان مشاهدا ما يصنعون ويدخل معهم في مجادلات حول الإسلام والمصرية ثم لا يهتم بوضع رسائل في مقارنة بين الديانتين لتدعيم عقيدة مسيحي وتصاري قد دمث حماسته للجدال للبس على النحو الذي تعكسه رسالته لمكسيمي؟ أوليست الرسالة القصيرة المحمسة هي كل ما حدث به فرحته بعد كل تلك التجارب الكسيبة والمريرة التي حاصرته بسلامته حول ذلك الوقت؟ و"مصحف" وكل شيء في تلك الرسالة "مصحف" أن يقول لمكسيمي إنه قد ذكر له كل شيء عن مشاهداته وخبرته ونقاشاته في الكنائس والأديرة حتى يعلم كل من يطلع على "حصة" إليه أنه كان عالما بالقضية! ترى ما معنى هذه الإشارة إلى من يمكن أن يطلع على "حصة"، وهو ليس سوى "حصة" شخصي مفروض أنه لن يطلع عليه أحد آخر سوى صاحبه؟ أم إنه كان في نيته أن يقرأه الآخرون، أفلم يكن الأجدى به أن يضع في ذلك كتابا يقرؤه الناس جميعا كما قلنا قبل قليل؟ وأخيرا هل يعقل أن ينقض ذلك العالم المسلم على أهل دينه بهذه الحماقة وذلك الاحتقار تقربا إلى لمكسيمي كما صنع في سياق كلامه عن مناظرته مع نقسوسة والرهبان: "مناظرتهم مناظرة مصنعة ظاهرا للحق، مسقطا بيني وبينهم النجاح والمكاسرة والتصلف بالحسب، وأوسعتهم أمرا أن يقوموا بحضتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه، غير مؤاخذ هم بذلك ولا متعتب عليهم في شيء كمناظرة الرعاع وجهال وسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل هم يستندون إليه ولا عقل فيهم يعولون عليه، ولا دين ولا أخلاق تحجزهم عن سوء الأدب، وإنما كلامهم بالعصبية والمكابرة والمعاندة لسلطان الدولة بغير

عنه ولا حجة". الحق أن هذا ليس كلام الهاشمي، بل كلام نصراني حيث حقود يهتبل الفرصة لإفراغ ما يكظ قلبه من سم هاور بمزق مصارينه!

١٢- وفي الرسالة المنسوبة إلى الهاشمي نقرأ أيضا، فيما نقرأ، قوله لصديقه النصراني "فأنا الآن أدعوك بهذه المعرفة كلها مني بدينك الذي أنت عليه إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي، ضامنا لك به جنة عرضها صحيح ولا أمن من النار". والسؤال هو: أمن الممكن أن يتألى مثل هذا الهاشمي على الله ويضمن الجنة لأحد من الخلق؟ فمن هو يا ترى؟ أهو الله؟ أم هو نبي من أنبياء الله تلقى الوحي بذلك من الله؟ لا هذا ولا ذاك. وأي مسلم يعرف أنه لا أحد من البشر يمكنه أن يعرف مصير أحد في الآخرة. لا مصيره هو ولا مصير سواه. وهذا مفهوم في الإسلام، ولا مماراة فيه. فكيف يقع في هذه الغلطة الفظة مثل ذلك العالم الكبير؟ هذا كلام رجل لا يعرف الإسلام، وهو من الأسباب القوية التي تدفع إلى التشكك الشديد في الرسالة وفي نسبتها إلى عالم مسلم كهذا الهاشمي، الذي كان فوق ذلك من أهل الحديث وخطب جامع المنصور في بغداد.

١٣- وجاء في كلام الهاشمي أيضا عن الشهادتين: "وهذه الشهادة هي الشهادة التي شهد الله بها قبل أن يخلق الخلائق، إذ كان على العرش مكتوبا: لا إله إلا الله. محمد رسول الله" وقد تقصيت هذا الحديث في "الدرر السنية" فوجدت الأتي: "عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي بن أبي طالب، ودليل قوله (تعالى) في كتابه: "هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين" يعني بعلي" "خلاصة الدرجة" كذب موضوع" "المحدث: ابن تيمية. المصدر: منهاج السنة" فالحديث إذن موضوع لا أصل له. فهل من الممكن أن يردد عالم كالهاشمي مثل هذا الكلام الذي هو بالعوام أشبه، فضلا عن أن يذهب

مذهب الشيعة الذين لا يرون في نسب لا عيب كرم الله وجهه ولا يكادون يعترفون لأحد من الصحابة بشيء من الفضل إلا لأفراد قلائل منهم، مع أن بني هاشمي هو من بني العباس، الذين كانوا يشيعون في المسلمين أن العم أقرب رحما بالنبي من ابن العم. كما كان شعراؤهم يقولون في مدحه هم وإقناع جماهير المسلمين بأنهم أحق بالخلافة من العلويين؟ ومنه قول ابن اللاحقي:

لئن شذتْ بحق الله من كان مسلما ... أعمُّ بما قد نالَه العُجْم والعربْ
أعم رسول الله أقرب زُلفةً ... لديه أم ابن العم في رتبة النسبْ؟
وأيهما أولى به وبعهده؟ ... ومن ذا له حق التراث بما وجبْ؟
فإن كان عباسٌ أحقَّ بتلكمو ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سببْ
فأبناء عباسٍ هم يرثونه ... كما العمُّ لابن العم في الإرث قد حجبْ

وقول مروان بن أبي حفصة:

يا بني الذي وَرِث النبيَّ محمدًا ... دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحيُ بين بني البنات وبينكم ... قطَع الخصام، فلاتَ حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضةٌ ... نزلت بذلك سورة الأنعام
أنى يكون، وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام؟
ألغى سهامهم الكتابُ فحاولوا ... أن يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرتْ بنو ساقي الحجيج بحقهم ... وغُرِرْتمو بنتوهُم الأحلام

وقول منصور النمري للرشيد:

يا ابنَ الأئمة من بَعْد النبي ويا ابنَ ... ـمن الأوصياء أقرَّ الناسُ أو دفعُوا
إنَّ الخلافةَ كانتْ إرْثَ والدكُمُ ... من دون عمِّكُمُ، وعفْوُ الله مُتَّبعُ
لولاَ عَدِيٌّ وتيمٌ لم تكُنْ وَصَلَتْ ... إلى أمَيَّةَ تعْرِيبها وتُرْتَجَعُ
وما لآلِ عَلِيٍّ في إمارتكُمْ ... وما لهم أبَدًا في إرْثكُمْ طَمَعُ
يا أيها الناسُ لا تغْرُرْكُمُ حُلُومُكُمْ ... ولا تُصفِّكُمْ إلى أكْنافها البِدَعُ
العمُّ أوْلى من ابنِ العمِّ، فاستمعُوا ... قولَ النَّصيحةِ، إنَّ الحقَّ مُستمعُ

١٤- ومما لا يقتنع به العقل أبدا ولا يصدق أن من الممكن صدوره عن عاقل مسلم قول الهاشمي يدعو الكندي إلى الدخول في الإسلام وتأدية الصلاة: "وأدعوك إلى الصلوات خمس أتي من صلاها لم يخف ولم يحزن بل يستريح ويكون في الذهب والأخرة من الفائزين، وهي الفرض فيها فرضان فرضٌ من الله، وفرضٌ من رسوله مثل الوتر. وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الأخيرة، وركعتان في السحر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب. فمن ترك شيئا من هذا فليس يخاف به، ويجب على من تركها أن يؤدب ويستتاب منه". فهل يقال في الإسلام إن الصلاة فرضان فرض من الله، وفرض من الرسول؟ إن المعروف أن الصلاة فرض واحد، فرض فعله مأجور عليه، وتاركه يعاقب عليه، وأما السنة فمؤديها مأجور، وتاركها غير آثم. خلاف ما زعمه الهاشمي من أن تارك الصلاة سنتها دون تفريق بين فرض ونافلة، عقوبة واستتابة، إذ لا عقاب على تارك النوافل كما هو معلوم للمسلمين كافة. ثم لا نقول بأن ثمة عقوبة على من لم يصلِّ النوافل فهو هزل لا يليق! ثم هل وفّى الهاشمي من كل شيء مع الكندي، ودخل الكندي الإسلام، ولم يبق إلا أن يفرّق له بين العشاء والعتمة ويعلّمه أن الرسول قد نهى عن تسمية العشاء بـ"العتمة"! "وقد نهى رسول الله أن يُقال العتمة، وقل هي عتمة الليل، وإنما سُمّيت: "عتمة" لتأخرها في العشاء وبطئها"؟ ألا إن هذا مما يبعث على القهقهة!

١٥- ويمضي الهاشمي قائلا لصديقه الكندي: "ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة، وانظر إلى حرم رسول الله وآثاره ومواضعه المباركة وتلك المشاعر العجيبة" كما يبدو، كما هو واضح جليّ، على أن حرم رسول الله هو المسجد الحرام. فهل يسمى المسجد الحرام: "حرم رسول الله"؟ فضلا عن أنه ليس هناك في كتب الموسوعة الشعرية، وهي بالمئات، عبارة

"لمشاعر العجيبة". وفي "أنباه والأمكنة والجبال" للزمخشري نقرأ أن "الحرم مكة وما حولها، وحرم رسول الله ﷺ مدينة". وفي كتب الأدب العربي القديمة أن الأنصار دعوا إلى عمر بن عبد العزيز وكلموه في رد الأحواض التي "حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، أي إلى المدينة. وكذلك جاء على لسان عائشة رضي الله عنها أن عثمان قُتِل وطُلَّ دمه (أي ذهب هدرًا) في "حرم رسول الله"، أي في المدينة. وجاء على لسان عبد المطلب في كتب التاريخ والسيرة قوله عن نفسه وقومه، وكذلك قول غيره عنهم، بأنهم "أهل حرم الله"، أي مكة. كما يشار كثيرًا في كتب الأدب والتاريخ إلى مكة بأنها "حرم الله"، وإلى المدينة بأنها "حرم رسول الله"، وإلى أهل المدينة بأنهم "أهل حرم رسول الله". ولا يوجد في أي كتاب أن المسجد الحرام هو حرم رسول الله.

١٦- وثمة أخطاء أخرى لا تليق بأن يقع فيها مثل ذلك العالم المبجل، منها قوله عن شفاعة النبي يوم القيامة "ويقول الرحمن للملائكة إني أستحيي أن أردّ شفاعة صفيي وحبيبي محمد"، فأين هذا الكلام؟ ومن أين أتى به الكاتب؟ هل يعقل أن يقول هذا رجل من رجال الحديث؟ لقد بحثت عنه في "موسوعة الأحاديث" في كل من موقع "الدرر السنية" وموقع "يعسوب" على ولو آية"، فلم أجده لا في الأحاديث الصحيحة ولا في الضعيفة. ومنها أيضا: "وأما الزكاة فهي ربع العُشر"، مع أن هذه النسبة إنما هي في أنواع معينة من الأموال فقط، أما في الأنواع الباقية فالنسبة مختلفة عن ذلك، وهو ما يدل على أن الكاتب لا يعرف الإسلام إلا لماما. ثم يقول يضيف قائلا: "إذا أتى على مال وهو في ملك صاحبه حَوْلٌ كامل، فتصرف ذلك على المساكين من مئونة وتفقراء من أهلك"، وتعليقنا هو أن مستحقي الزكاة أكثر من ذلك، إذ هم ثمانية أصناف من البشر، فأين الباقون؟ مرة

أخرى عند كلام رجل لا يعرف الإسلام إلا اسما. ومن ذلك أيضا قوله إن الله سبحانه يحب أن يؤخذ بعزائمه وتشديداته. فهل يدري هذا الجاهل الهاشمي المزعوم حديث رسول الله في ذلك الموضوع؟ فلا يستطيع أن يورده على وجهه الصحيح الذي يدل على أن الله سبحانه يحب لعباده اليسر لا العسر وأنه إذا كان ثمة رخصة فهو يريد منهم الأخذ بها. إذ يقول الرسول الكريم: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته". وفي رواية أخرى: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"؟ ثم إنه ليس في الإسلام أية تشديدات. بل جاء بالترخيص برسالة اليسر والتيسير. وأعفى الناس مما كان في دين اليهود من تشديدات مُعْنِتة كان الله قد عاقبهم بها جزاء تمردهم وعصيانهم ومشاغبتهم في كل مناسبة. بل الكفر؟ بل إن لفظ "التشديدات" لا وجود له في القرآن الكريم ولا في حديث الشريف لا بصيغة مفرد ولا بصيغة جمع بأي حال من الأحوال. ومرة أخرى بحثت عن كلمة "تشديدات" في "الموسوعة الشعرية" في كلا القسمين قسم الشعر الذي يضم كل الشعر العربي تقريبا حتى منتصف القرن الماضي، وقسم المكتبة التي تضم عدة مئات من أشهر كتب التراث. وكذلك في "المكتبة التراثية" موقع الوراق. فلم يرتد لي من البحث إلا أربعة شواهد كلها من كتب لائحة مناديح الذي ينتمي إليه كاتبا الرسالتين على بعد تفكير. وهذه الشواهد موجودة في الكتب المنشورة في موقع "الوراق" فقط.

١٧- وأخيرا فقد ختم الهاشمي رسالته بالعيب على دين الكندي وعقائده وعاداته وشرائعه وعقله. إذ يقول له: "دع ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الخيبة الشديدة الظلمة المتعبة. وجهد ذلك الصوم الصعب والشقاء الدائم الذي أنت منغمس فيه. الذي لا يجدي عليك نفعا إلا

بعدك بدينك وتعديك نفسك، وقولك بذلك التخليط الذي نعرفه ولا تنكره، وهو قولكم بالأب والابن والروح القدس، وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع، فإني أريد لك عنه راحلاً فيه عدمك وشرف حسك عن حسناته، فإني وجدت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨)، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (المائدة: ٧٢ - ٧٥). فقد نصحتُ لك يا هذا وأديتُ بحق المودة وخالص المحبة، إذ أحببتُ أن أحلطك بنفسي، وأن أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانة واحدة. فإني وجدت ربي يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ (البينة: ٦ - ٨). وقال في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وأشفقت عليك أن تكون من أهل النار الذين هم شر البرية، ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية، ورجوت أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.. فدعْ ما أنت فيه من تلك الصلاة وتلك الخمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجهد ذلك الصوم

تصعب والشقاء الدائم الذي أنت منغمس فيه، الذي لا يجدي عليك نفعاً إلا تعذيب بدنك وتعذيب نفسك ... فإن أنت إلا جهلاً وتمادياً في كفرك وضلالك الذي أنت فيه ...". وهذا بالرغم مما كان قد كتبه قبلاً من ثنائه به وبقدسيته والرهبان، وبمصريته أيضاً في بعض الأحيان، فكيف ذلك؟

١١ - وبالمناسبة فقد كان المخطوط الأصلي الذي حققه وطبعه الدكتور تين (Dr Tien) حالياً من اسمي صاحبي الرسالتين، وهذا هو نص مقدمة التي كانت في المخطوط ثم حذفه وكتب مكانه الاسمان: "ذكر أنه كان في زمن عبد الله المأمون رجل من علماء هاشميين، وأطبائه من وفد العباس قريب القرابة من خليفة، معروفاً بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإعراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهوراً بذلك عند خاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم كندي الأصل مشهوراً بالتمسك بدين النصرانية، وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً، فكانا يتوادان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالإخلاص له. وكان أمير المؤمنين وجماعة أصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك، وكرهوا أن يذكر اسميهما لعلة من العلل. فكتب هاشمي في النصراني كتاب هذه نسخته" وهذا يدل، كما سبق الإيماء، على أن في الأمر كثيراً من الاضطراب من شأنه أن يلقي الريبة في الصدور. وبخاصة أن نقرأ في مقدمة الطبعة العربية أن مترجمها قد أجروا فيها بعض التعديلات والتغييرات حسبما يقول النص الآتي: "ويسرنا أن نقدم للقارئ العربي رسالتي هاشمي والكندي في هذه الصيغة الحديثة التي قدمنا فيها رسالة هاشمي كما وجدناها، أما رسالة الكندي للهاشمي فقد حذفنا منها المترادفات، والتكرار، والتحيات، ونقلنا الفقرات المكتسبة من ترجمة بيروت المعروفة بترجمة البستاني. وقد تركنا كلمة "النصارى" و"مصرية" كما هي رغم معرفتنا أن المقصود بها هنا هو

"المسيحية" وليس فرقة النصارى". كما أن وليام موير حين ترجم الرسالة المنسوبة للكندي لم يترجمها كاملة كما هي، بل اكتفى بترجمة مختارات منها وحذف الباقي كما أخبره في المقدمة (ص ٩)، مما يدل على أن النص الأصلي لم يبق على حاله. وهب أرجع أن ينسبه القراء إلى دلالة اسمي صاحبي الرسالتين عبد الله بن إسماعيل، وعبد المسيح بن إسحق. فـ"عبد المسيح" تقابل "عبد الله"، و"إسحق" تقابل "إسماعيل"، على اعتبار أن المسلم يتعبد لله، على حين يتعبد النصراني للمسيح. وينتسب المسلم إلى إسماعيل، أما النصراني فهو يفضل أن ينتسب إلى إسحق، على أساس أن إسماعيل هو ابن إبراهيم الذي إليه يعزى العرب، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، بينما إسحق هو ابنه الآخر الذي إليه ينتسب بنو إسرائيل، ومنهم المسيح عليه السلام. لكل ما سبق فإني أرجح أن الرسالتين مصنوعتان صنعا على يد نصراني لم يصرح باسمه بل تخفى وراء الاسمين المذكورين.

هذا ما عنّ لي فيما يخص رسالة الهاشمي، أو بالأحرى: الرسالة المنسوبة إلى الهاشمي، أما بالنسبة إلى رسالة الكندي المزعوم، ذلك الذي لا نعرف عنه شيئا بالمرة، فإلى القارئ العزيز ملاحظاتي عليها:

١- يلاحظ إسراف الكاتب في تبجيل الخليفة (الذي من المفترض أنه هو المأمون، والذي رأينا أنه لا يمكن أن يكون المأمون)، في الوقت الذي ينسفه في حق رسول الله. ولا أدري كيف يكون ذلك، وهو ما يدفعني إلى القول بأن الرسالة لم تكن في الأصل هكذا رغم أنها (كما قلت) لا تبعث أبدا على الاطمئنان إلى أن مؤلفها هو الكندي، بل دخلها عبث كثير مع هذا. ذلك أن من يحرص على تبجيل الخليفة كل هذا التبجيل وعلى التحشيم أمامه بكل تلك الحدة لا بد أن يحرص، على الأقل، على ألا ينسى

[illegible] الذي يحكم ذلك حقيقة واحدة لا يضعه [illegible] صاحبك احتج مثلاً. وهذا الوصف الذي لو كان قد كتبه لكان فعلاً إلى أحد المستعربين الذين قد صوبوه قد في قدمه على وجهه وحصر ألفه وتمرغه في الطين. إذ ليس الأمر هنا أمر حرية تفكير وتعبير بل أمر نفاقه وتبادؤ على أكثر رموز عند المسلمين. وبالذات في ذلك العصور حيث كانت الدولة تقوم على العقيدة والشريعة بالذين التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أضف إلى ذلك أن خلفاء العباسيين هم من نفس السلالة التي منها رسول الله تبين لنا كيف كان من المستحيل أن يأتي مثل ذلك الكتب الكذبي على لسان رسول الله في [illegible] إلى أحد من العلماء أن يتلوه به! ولست محتاجاً إلى الإشارة إلى قلة أدب الكذبي وعدم وسعة عقله وعلمي فضلاً عن أنه لا يصح به قول ما قاله في حق رجل غير مسار تاريخ وغيّر مسار قلوب خصوصاً وأن أسلوبي والأخلاقي ما كانت تجهله وما زالت تجهله حتى الآن الكثير من عباد. فإن خلائق من أمثال هذا الرجل لا يمكنها أن تقدر الأشياء قدرها حق ذلك أن قيمة الأشياء إنما تعرف حين تفقد أو تحجب. أما خلائقي فهي ظاهرة وأخلاقي واضحة فيها غنى عن المجاملات! وإني أقدر بعض ما قاله ذلك الكذب المحتال عن حقيقة أوقات إسلامك وحمدت الله على ما وهبني من رأي سيدي أمير المؤمنين. ودعوت الله الذي لا يخيب دعاء بأن يطيل بقاء سيدي أمير المؤمنين في أوسع نعمه ورحمته. ومن الواضح أنه يكذب أيضاً في إشارته إلى ما وهبه الله من رأي سيدنا أمير المؤمنين. إذ ليس في رسالة هاشمي أية إشارة من قريب أو من بعيد إلى أنه كان لأمير المؤمنين (أبي ما يكن أمير المؤمنين ذلك) رأي بخصوص ذلك الكتب المدعى!

٢- ومما قاله الكندي مزيفا لمصدقه اسمه "مكتوب في التوراة التي أسرها الله تعالى على موسى النبي، ووجده مجموع ما فيها وخبره السراة في السفر الأول من أسفارها خمسة، وهو المعروف بسفر "الخليقة" (التكوين)، أن إبراهيم كان نبيا مع أنه بخراسان، وأن الله تخلى له بعد تسعين سنة، فآمن به وحسب له ذلك برا. ولكنه كان قبل ذلك بتحنى بعد خمسة وسبعين سنة، المتحد على ما تقدم، لأن أهل حران كانوا يعبدون هذه الخمسة، فكان إبراهيم بعد الخمسة حنيفا مع أنه وأجداده وأهل بلده كلهم أقروا أنت أيها الحنيف وشهدت بذلك عليه، إلى أن تخلى الله له فآمن بالرب فحسبه له برا (تكوين ١٥ ٦) فذهبت حنيفيته التي هي عبادة الأصنام، وصار موحدا مؤمنا، لأنها بعد حنيفية في كتب الله أنزله بعد عبادة الأصنام، فوافت إبراهيم ذلك التوحيد بإسحق، الذي هو ابن موعده، وهو الذي فرأيته لله فعداه له بالكتاب، لأنه هكذا أمره الله خذ ابنك وحيدك الذي تحبه بإسحق واذهبا إلى أرض المريا، واصعداه هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك (تك ٢٢ ٢)" ولو رجعنا إلى سفر "التكوين" (أو سفر "حنيفة" كما سماه بكتب النحل كتاب الوسادة) نجد أنه كذلك قرري لا يجحد ولا يستحي على وجهه، إذ ليس في ذلك السفر ولا في أي سفر آخر من الكتاب المقدس عنده هو وأمثاله شيء مما زعم فليس فيه أن إبراهيم كان نبيا بعد الأصنام وليس فيه كلمة "حنيف" ولا "حنيفية". وليس فيه أن الله قد اختار إبراهيم بعد بلوغه التسعين من عمره، بل قبل ذلك بطويل زمن والسفر المذكور ما زال بحمد الله موجودا في العهد القديم، فليرجع إليه القارئ بنفسه يرى مدى الكيد الدنيء الذي يتعامل به ذلك المأفون مع خصمه المسلم المزعوم ومن بجاحته وعرفته في تكذيب أنه يقول خصمه المسلم ما لا يقول، لكن الله قد أبى إلا أن يفضح

مزاعمهم فتجعله يناقض نفسه بنفسه ويكذب نفسه بنفسه، فهو يقول مثلاً مسلم: "كان إبراهيم يعبد الصنم حيث مع أبيه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيها الحبيب وشهدت بذلك جميعاً". مع أن المسلم لم يقل شيئاً من ذلك. أو بالأحرى أن الذي كتب رسالة مسلم لم يقل على لسان مسلم شيئاً من ذلك، لكن إرادة الله اقتضت فضحه وهتك ستره على سوأته أمام أبصار الناس جميعاً!

وفي ص ٧٧ وما بعدها من كتاب "فاضحة الأكاذيب" لمحمد جواد، وهو مشرح على الشبكة من بعضه. يضع القارئ حلاصة تحقيق ذلك بعد شبكة مسألة في سطور تامة تحرية لتكذيب الكذاب الذي يجري على سنة أسلافه في الافتراء والتدليس والتزييف دون أن يعرف له حتى يقول الأسد محمد جواد: "قال عبد الله الهاشمي في صحيفة ١٢ في ذكر إبراهيم عليه السلام "ملة أبيه إبراهيم. فإنه كان حنيفاً مسلماً". وذكر في صحيفة ٦ قول الله تعالى في سورة آل عمران ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فقال عبد المسيح، صحيفة ٣٠: إن إبراهيم إذا كان تارلا نجران مع أبيه تسعين سنة، وبعد بلا أصنام المسمّى بالعزّى. ثم قال: فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع أبيه وأجداده وأهل بلده. كما أقررت به أنت أيها الحبيب وشهدت به، إلى أن يخلي الله به. ثم قال: لأنا نجد الحنيفية في كتب الله شريعة مبنية لعبادة الأصنام" فيبت شعري من أين يسنب عبادة الأصنام لإبراهيم، ولم يجئ هذا ذكر في توراته ولا كتب وحيه؟! وأما قوله إن إبراهيم إذا كان تارلا نجران مع أبيه تسعين سنة، ثم يعبد بلا أصنام المسمّى بالعزّى، فإنه قد اشتمل على أكاذيب عديدة:

(١) إن سورة الله تكذب قوله هذا، وهي تذكر في أواخر الأصحاح

الحادي عشر من سفر التكوين أن إبراهيم كان ساكنا في أرض ميلاده أور الكلدانيين فيما بين النهرين وفي فيها إلى أن تزوج هو وأخوه الأصغر منه هاران، وولد هاران ولده لوطا، ثم خرج من أور الكلدانيين ليذهب إلى أرض كنعان فأتى إلى حاران. فأين بروده تسعين سنة مع أبيه في حاران؟ وأيضا في الأصحاح الثاني عشر من التكوين، في العدد الرابع، أن إبراهيم قد خرج من حاران وأتى إلى أرض كنعان كان عمره خمسا وسبعين سنة، فأين تكون التسعون سنة في حاران؟ وتقتضي دلالة التوراة وتواريخهم أن إبراهيم لم يسكن في حاران إلا سبعين فقط، وتواريخهم معلقة على ولادته تذكر أن خروجه من بلاده أرض الكلدانيين كان سنة ١٩٢٣ قبل المسيح، وخروجه من حاران كان سنة ١٩٢١ قبل المسيح، فيكون مكثه في حاران سنتين، فأين التسعون سنة؟!

(٢) إن إبراهيم لم يكن له ولد واحد في حاران

(٣) إن عبد الله هاشمي، يعترف به ينتهي نسل إبراهيم كل عبد وثني، وهل ذكر من القرآن الكريم أنه كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين؟، فما هذه الأكاذيب المتابعة؟

وأيضا أين عبد المسيح من مقدسه كتاب العهد الجديد؟ فيه يقول في "أعمال الرسل": في الأصحاح السابع في العدد الثاني، أن الله ظهر لإبراهيم وهو فيما بين النهرين قبل سكنه في حاران، وأمره بالخروج إلى الأرض التي يريه الله إياها وهي أرض كنعان، فخرج من أرض الله ووجه إبراهيم دخل حاران وسكن فيها وهو الذي أوحى إليه، فأين تكون عبادته للأصنام في حاران؟ هذا إن في الكتاب المقدس شرك وبدع، ولكن ما دنس إبراهيم مع عبد المسيح، الشخصي أو النوعي، حتى يرمي قدسه بعبادة الأصنام، ويكذب عليه بهذه الزور والبهتان من نفس الكتاب قول عبد المسيح: "لأن خط

"الحنيفية" في كتب الله المنزلة سبعا بعدة الأصنام"؟ ويالله العجب! هذه الكتب التي بزعم عبد المسيح وأصحابه أنها منزلة من الله بين أيدينا، ونُبَصِّرُه إليها بعض ما رقصته المجامع، ومما رقصه البروتستنت من كتبهم، ويُرُونَنا أين يوجد فيها "الحنيفية" مع "بعدة الأصنام"؟ أفلا يعلمون أن في المسلمين من قرأ كتبهم حرفا حرفا؟ ولكن ماذا نقول؟

لا يهتدي الأقسى عن عنيه ... ما لم يكن منها له زاجر

أيها القارئ، ما هو حالك في الدهشة والأسف عن الصدق والأمانة والشرف والاستقامة والدين؟ هب أن الناس يتسامحون في الكذب في الأمور الدنيوية ومعاملات المعيشة، ولكن الديانة المنوط بها الهدى والصلاح والاستقامة كيف يتأتى أمرها على الكذب الصريح المتسلسل من رجل يدعوه إلى الدين، ومن الكتب المنسوبة إلى الوحي الإلهي؟ فأين الشرف والأمانة والصلاح؟! وأين الدين والتقوى؟! وما هذه الجراءة على قدس الرسل والأنبياء والصالحين؟ وما هذه الجراءة القبيحة على جلال الله وقدسه؟ ويالله العجب الدهش من أناس يدعون مثل ما ذكرناه من الكذب إلى مثل ما ذكرناه من الكذب والجراءة على جلال الله وقدسه! ويا للأسف! وحسبنا الله ونعم الوكيل، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين".

هذا ما قاله محمد جواد، ولكي يتبع معه القارئ ما نقول أرى أن أضع بين يديه ما كتبه مؤلف سفر "التكوين" عن إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق بتلك الفترة التي يشير إليها ذلك النص، وهو موجود في الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر "وهذه مواليد تارح ولد تارح آبرام وناحور وهاران وولد هاران لوطا" "ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين" "واتخذ آبرام وناحور لأنفسهما امرأتين: اسم امرأة

أبرام سارايْ، واسمُ امرأة ناحور ملكةُ بنتُ هاران، أبي ملكةَ وأبي يسكة. وكانت سارايْ عاقراً ليس لها ولدٌ. وأخذ تارحُ أبرام ابنَهُ، ولوطاً بن هاران ابن ابنه، وسارايْ كنتهُ امرأةَ أبرام ابنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. وكانت أيامُ تارح مئتين وخمس سنين. ومات تارحُ في حاران. وقال الربُّ لأبرام: «اذهبْ من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمةً عظيمةً وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنهُ. وتتبارك فيك جميعُ قبائل الأرض». فذهب أبرامُ كما قال له الربُّ وذهب معهُ لوطٌ. وكان أبرامُ ابن خمس وسبعين سنةً لما خرج من حاران. فأخذ أبرامُ سارايْ امرأتهُ، ولوطاً ابن أخيه، وكلَّ مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان". وكما يرى القارئ ليس في النص أي كلام عن عبادة إبراهيم للأوثان. وليس فيه لفظة "حنيف". وليس فيه أن إبراهيم ظل في حاران حتى بلغ السبعين من عمره. وليس فيه أن الله تجلى له وهو ابن خمسة وسبعين. ورغم ذلك يقول مؤلف "أعمال الرسل" (في الإصحاح السابع منه) إن الله تجلى لإبراهيم قبل ذلك بكثير حين كان لا يزال في أرض الكلدانيين. وهو ما يتفق مع قوله نقلاً في سفر "التكوين": "ظهر الربُّ لأبيك إبراهيم وهو في ما بين النهرين. فلما سكن في حاران وقال له اخرجْ من أرضك ومن عشيرتك. وهلمَّ إلى الأرض التي أريك. فخرج حينئذٍ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران. ومن هناك بعد ما مات أبوه، إلى هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها. ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم. ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده".

٣- ويقصي الكتاب فضلا به من سل بحق من سارة الحرة حرج مسيح مخلص العالم. ولن أسوق في الرد على ذلك هراء ونقصه وتدميره لأنه لا يحتمل مسوغ من سمه حتى في أول فقرة من أول إصحاح منه. وهو يجري على النحو الذي "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. وإبراهيم ولد إسحاق وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام. وآرام ولد عميناداب وعميناداب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوعز من راحاب وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود الملك وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا وأبيا ولد آسا. وآسا ولد يهوشافاط ويهوشافاط ولد يورام ويورام ولد عزيا. وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون وآمون ولد يوشيا. ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل. وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتيئيل وشألتيئيل ولد زربابل. وزربابل ولد أبيهود وأبيهود ولد ألياقيم وألياقيم ولد عازور. وعازور ولد صادوق وصادوق ولد آخيم وآخيم ولد أليود. وأليود ولد أليعازر وأليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب. ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا. ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا". ولكن أحب أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن سلسلة النسب هذه، وسوف نلاحظ في أثناء ذلك أن صلة النسبة بين المسيح وإبراهيم، لأن النسبة بنبي، لا تعرف المسيح إلى جده منها بنبي. بل

يوسف النجار، الذي لا تربطه علاقة أبوة بالمسيح، فمهما إلا دقت كف يخرب من يكفرون بالله وبالمسيح، وليست مهمة يوسف النجار هو أبوة، وهي فضيحة تكرر نفسها مرة ومرة ومرة، ومهما مؤلف إنجيل متى كتب هو واضح للأسف، وتكون الإنجيل بكلام صريح مباشر بأن يوسف هو أبوة فعلا، وقد جاء هذا الكلام على لسان الله فيما جاء

And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath polluted the Sabbath day.

وهو ما يؤكده نص آخر مأخوذ من مقطع إنجيل توما يقول المؤلف إن أحد اليهود لعيبي على شريعة الوسوية، حين أن عيسى الصغير يصنع يوم سبت من الطين صار، ذهب من فوره إلى أبيه يوسف وشكاه ما صنع ابنه من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس، وهذا قول مؤلف ذلك الإنجيل في موضع حرفيا

Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat.

عيسى ذهب ذات يوم لزرعه يصنع مع والده في حقلهم، وعبر ذلك من موضع آخر يأصف فيها يوسف بأنه أبوة، بل إنه اعتبرا أن يوسف، تعجب من المعجزات التي كان يصنعها عيسى الصغير، فقد دعا ربه شاكرا أن أعطاه علاما مثله

Happy am I for that God hath given me this young child.

وفي إنجيل توما أيضا، لا يزال الحوار حول جبريل كلام على لسان يوحنا بن زبدي أحد

حواريين مؤداه أن أحد رجل من نسل [illegible] قد ولد يسوع الناصري وشاشة، وكان أبوه والده كوالدته. وكان هو يسمى مشا (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعربة عن الإنجليزية، دار صادر دار بيروت، بيروت ١٩٦٤م، ٢٣٦) ولا نس أيضا أن سلسلة نسب الآنسة تدكر أن عيسى هو ابن داود، ومعروف من هو داود في العهد القديم! إنه الزاني بامرأة أوريا الحثي. فنسب عيسى يهوذا يربط بين محارمهما الأول بزوجة ابنه، والثاني بابنته التي حبلت منه. أستغفر الله العظيم!

وها هي ذي نصوص من العهد الجديد تقول بصريح كلام لا لبس فيه إن عيسى هو ابن يوسف وبعد ما جاء في أولها في الإصحاح الثالث [illegible] ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، ابن هالي، ابن متثات، ابن لاوي، ابن ملكي، ابن يناي، ابن يوسف، ابن متثيا، ابن عاموص، ابن ناحوم، ابن حسلي، ابن نجاي، ابن ماث، ابن متثيا، ابن شمعي، ابن يوسف، ابن يهوذا، ابن يوحنا، ابن ريسا، ابن زوربابل، ابن شألتيئيل، ابن نيري، ابن ملكي، ابن أدي، ابن قصم، ابن ألمودام، ابن عير، ابن يوسي، ابن اليعازر، ابن يوريم، ابن متثات، ابن لاوي، ابن شمعون، ابن يهوذا، ابن يوسف، ابن يونان، ابن ألفسم، ابن عبد، ابن مينا، ابن متثا، ابن ناثان، ابن داود، ابن يسى، ابن عوبيد، ابن بوعز، ابن سلمون، ابن نحشون، ابن عمينادات، ابن آرام، ابن حصرون، ابن فارص، ابن يهوذا، ابن يعقوب، ابن إسحاق، ابن إبراهيم، ابن تارح، ابن ناحور، ابن سروج، ابن رعو، ابن فالج، ابن عابر، ابن شالح، ابن قينان، ابن أرفكشاد، ابن سام، ابن نوح، ابن لامك، ابن متوشالح، ابن أخنوخ، ابن يارد، ابن مهللئيل، ابن قينان، ابن أنوش، ابن شيث، ابن آدم، ابن الله" [illegible] وهذا ما جاء في الإصحاح الرابع منه "وكان

الجميع يشهدون له وينعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه. ويقولون «أليس هذا ابن يوسف؟» ثم بدأت عقولهم تدور به وتحدثهم في الإصحاح الأول من إنجيل متى به. «في الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل. فوجد فيلبس فقال له «اتبعني». وكان فيلبس من بيت صيدا، من مدينة أندراوس وبطرس. فيلبس وجد نثنائيل وقال له «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة» فقال له نثنائيل «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» قال له فيلبس «تعال وانظر» ثم يرفع هذا الكتاب مؤلف إنجيل يوحنا في الإصحاح السادس منه «فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال «أنا هو الخبز الذي نزل من السماء» وقالوا «أليس هذا هو يسوع ابن يوسف، الذي نحن عارفون بأبيه وأمه؟ فكيف يقول هذا إني نزلت من السماء؟» فأجاب يسوع وقال لهم «لا تتذمروا فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يقبل إلي إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير. والمكتوب في الأنبياء «ويكونون جميعهم متعلمين من الله» ثم نختم الآن هذا الرد في الإصحاح الثاني من إنجيل لوقا «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان بار تقي ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه. وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب. فأتى بالروح إلى الهيكل. وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك. الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم، ومجد لشعبك إسرائيل» والملاحظ هنا أن سمعان يسوع بأنه عبد الله لا ابن

سبحانه) ثم يستأنف بعد السطر من غير الاصحاح حيث تؤكد مريم لاسمها الله هو يوسف "وكان يعبدان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. وإذ كان له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. وبعدما تمموا الأيام لما رجعا بقي الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما. بل ظنا أنه بين الرفقة، فجاءا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالسا في وسط المعلمين، يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته. فلما أبصراه اندهشا. وقالت له أمه «يا بني، لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين!» وبصعبة جاء فهم مسعدين لا نقول بهذا، بل نؤمن أنه أخذ دون أن من البشر، لكي هذا جعل من عيسى عليه الصلاة والسلام ابن الله، إذ هو عبد من عباده سبحانه الكلمة جاء على لسان سمعان الكاهن)، ونبي من أنبيائه.

٤- وفي محاولة من كاتب الكذب والإفك تشبث برأه يقول: في نفس الكلام الذي ذكره مباشرة بعد خروج في الاصحاح الثالث منه "فقال موسى لله «ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟» فقال الله لموسى «أهيه الذي أهيه». وقال «هكذا تقول لبني إسرائيل الله أرسلني إليكم» وقال الله أيضا لموسى «هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم، إله إسحق، وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور". إن الله هنا قد أكد ذكر التوحيد والنهي عن الشرك حيث قال إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. فكرر ثلاث مرات لفظ الإله بعد ذكر التوحيد كما كان

قدين . فهو واحد دو ثلاثة أقانيم لا محالة . لأنه أجمل في قوله: "إله آبائكم" ثم قال مكررًا اسم الجلالة ثلاث مرات "فمن قال بها ثلاثة فهو أشرك" ومن قال به واحد مكرر ثلاث مرات يكون قد دفعه لتكتب حقه . لأنه قد كان يمكنه أن يقول "إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب" يقصد بذلك صاحب الثلاث ورفت أنه لو قال "إله آبائكم" وهذا توحيد لأنه ذكر كلمة "إله" مرة واحدة ، ثم عاد فقال "إله إبراهيم ، وإله إسحق ، وإله يعقوب" مكررًا كلمة "إله" هذه ثلاث مرات ولو لم يكن يقصد الثلاث في العبارة الأخيرة لقال بدلا منها "إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب" دون تكرير كلمة "إله" في كل مرة مع أنه كان في الأشياء الثلاثة . ولاحظ أولا قوله إن الله قد "تعرى عن سر الثلوث" وكأن الله صاحب العار ، وذلك في سخر شنوى أمام موقد شداد وتحاكى الحوديث والتواريز تقصير سبيل الشيء الطويل! كذلك من "تصحيح حوزه بن" يزعم بأن عبارة "إله آبائكم" توحيد ، على حين أن عبارة "إله إبراهيم ، وإله إسحق ، وإله يعقوب" تعديد ، زعم أن هذه هي "تلث" وأن أحد هو "حوج" أحد يقصه وقصيصه لا يريد ولا ينقص "ولا قلبو قلت عن نفسي مثلا بني أستاذ محمد ، وأستاذ محمد ، وأستاذ نبيل ، أكون حينئذ ثلاثة أستاذة أو ثلاثة أقانيم في أستاذ" فعندئذ لو قلت إنني أستاذ فلان وفلان وفلان وفلان وفلان وفلان وفلان وفلان حتى بلغت تعداد عدة ألوف كما يسعني أن أقول عن نفسي لأن تلاميذي يعدون فعلا بالألوف . أكون في هذه الحالة آلاف الأساتيذ معا أو آلاف الأقانيم في أستاذ؟ إن هذا المعنى لا يفقه شيء في أساليب اللغة . ومن قولنا "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" هو نفسه قولنا "إله إبراهيم وإسحق ويعقوب" لا يريد ولا ينقص . اللهم إلا أن في تكرار شيء من التأكيد . كما أن في تكرار "لا" في قولك مثلا "لا أحب الشخص

ولا ينقاس "تكلما الشفي لا وجود له في قولنا: "لا أحب البصاص والنقاس". وكما في تكرار نفه عبارة أخرى مثيلتها في الذهن أو المتسبة إلى الحسية أو حضورها مثل قول بوحنا "أنا أكره الثرثرة" قلت لك إني أكره الثرثرة. ألا تفهم؟ أنا أكره الثرثرة. بالله عليك كف عن هذا العبث. قال أكره الثرثرة" فهذا كل ما هنالك. أما قول محادثه المصري بعض الشيء لو لم يكن يقصد شيئا في العبارة الأخيرة لقال بدلا منها "إنه لا يتكلم إبراهيم وإسحق ويعقوب" فالرد عليه هو أنه فعلا في كتاب يشوع في الإصحاح الثاني بعد المائة عشرة حيث نقرأ ما نصه "ذهب وجمع مشايخ بني إسرائيل وقال لهم الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب". وقد أيضا في الإصحاح الثالث من سفر الخروج "ذهب وجمع مشايخ بني إسرائيل وقال لهم الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب". إذ لم يقل "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" بل قال "إله إبراهيم وإسحق ويعقوب" دون أن يكرر كلمة "إله" أفما نقول في ذلك؟ كنت أحب من القارئ العزيز أن ينتبه إلى أن كلمة "إله" في الكتاب المقدس يمكن أن تضاف على بشر أيضا. فالله سبحانه وتعالى يقول لموسى عليه السلام في أول رسالة من الإصحاح السابع من سفر الخروج "فقال الرب لموسى انظر أني قد جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك". وهو ما يدل على أن الكتاب المقدس لا يسعى أن يوحد بكل تلك الحدية

ثم إن معنى كلامه هو أن إله إبراهيم الذي هو الآب، على حين أن إله إسحق كان هو الابن، وإله يعقوب هو الروح القدس مثلا فمن هو إله موسى؟ ومن هو إله داود؟ ومن إله سليمان؟ ومن إله زكريا؟ هل من إله قال إني من الأب؟ ترى أهو إله قضاعي؟ ولماذا لم يقل يهوه ذلك في إصحاح عاشر بدلا من هذا العدد الثاني والعشرين؟ وقد كان قد قاله هذا

فمحمد لم يستدركه بعد ذلك؟ بل ماذا لم يفعله محمد أداه ولم تنتظر إلى زمن موسى؟ بل على الأقل لماذا لم يفعله محمد أو يعهد به هذا الكلام ولم ينتظر حتى كتبه لوقا؟ ولماذا لم يفعله موسى إذ هو موحى إذ كان يقصد هذا؟ بل ماذا لم يشأ موسى بعيسى نفسه؟ ولماذا لم يقل بل يعهد بصريح العبارة إن الله تاب فتاب ويستريح؟ بل مسيح الله لم يفعله. فكيف نصدق ما يقوله كاتب الرسالة للعبرانيين؟ وبالمناسبة فقد جاء في نص لسانه أن الله سوف يدعى بل الأب "الهه الذي أهبه". ثم يراه عقب ذلك يقول إن اسمه "يهوه". وهو ما يريك العقل. إذ لا يعرف الإنسان أيًا من الاسمين هو المقصود. وبل كل التاريخ فقد أثبت أن هذا وذاك كلام في هوى. لأنه ما إن جاء مسيح حتى ما بعد أحمد يسميه بهذا الاسم أو ذاك. إذ يقول النصارى به هو الأب. ثم جاء محمد فقد دعاه به هو "الله" أم قول صاحب المزمور فثبت على الحق "أني دين أوضح من عند إلا من عند الحق الذي أودعه في نفسه التي السرمد على لسانه. وهي في يدي أصحاب الثورة؟ بل هذا أوقات ما يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذي هو المسيح سيد وكشفه لنا. فليس له من معنى إلا أن كل الأنبياء قبل عيسى عاشوا ومضوا دون أن يعرفوا أن لله ثلاثة أقانيم. أي مدى جهلاء بالدين حتى إنك بل عيسى نفسه لم يتصدق بل أي ذكر للتثليث؟ وإذا ما يكن الأمر فمحمد حين تكلم في كلام يعقوب بدين. وهو موجود في الإصحاح الثاني والثلاثين من ذات السفر "وقال يعقوب" أبيه لأبي إبراهيم وإله أبي إسحاق. يا رب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك. صغرت أن عن جميع أطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك فإني بعصاي عبرت هذا الأردن. والآن قد صرت جيشين. نجني من يد أخي. من يد عيسو. لأني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين" وأنت قد قلت

... أحسن إليك وأجعل سنك كرمل البحر الذي لا يُعدُّ لكثرته» أحسن قال له إبراهيم، وربه يستحق الشكر. أي له شر كلمة إله مرئيين لا ثلاثة؟ ترى هل يمكن أن نفهم من هذا أن الله ثالوث؟ ألا يرى القارئ أن أمام أمر كلّه هزلٌ لا جدّ فيه؟

... في دفاعه عن التثليث يسأل الكندي خصمه وصديقه المسلم قائلاً: ألا تعلم أن الواحد لا يُقال له واحد إلا على ثلاثة أوجه: إما في جنس، وإما في نوع، وإما في العدد. وليس أرى أحداً يدعي غير هذا، أو يقدر أن يحد الواحد لأوجه الثلاثة. فإن قلت إنه واحد في جنس صار واحداً غير ذي نوع ولا عدد، لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم أنواعاً كثيرة تحته. وذلك أنه لا يجوز في الله أن يقال إنه واحد في النوع صار ذلك واقعاً على أقانيم شتى، لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العدد. وإن قلت إنه واحد في العدد، كان ذلك نقضاً لكلامك أنه واحد فرد صمد. لأنه لو سألك سائل عن نفسك: ما أنت؟ لا تقدر أن تخبره أنك واحد فرد فكيف تفعل عفتك هذه نفسها التي لا تفصل بعضك عن سائر جنسك؟ وليست مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضاً بالتبعيض والانفصال. لأن العدد الواحد المفرد بعض العدد، لأن كمال العدد هو عن جميع أنواع العدد، فالواحد بعض العدد. وهذا نقضٌ لكلامك الذي قلت إنه واحد في النوع، فليس يوجد شيء واحداً فرداً. وإن قلت إنه واحد في الجوهر، سألك هل تخالف صفة الواحد في النوع صفة الواحد في العدد؟ أو هل تعني واحداً في النوع واحد في العدد لأنه عام؟ وإن قلت قد تخالف هذه تلك، فليست تلك الواحد في النوع عندك هي حكمة مما يعم أفراد شتى. والواحد الذي لا يعم شيئاً غيره فيجب أن الله واحد في الجوهر يعم أشخاصاً شتى، أو هل هو شخص واحد؟ وإن كان معنى قولك إنه واحد

في النوع واحد في العدد، فبذلك لم تعرف الواحد في النوع ما هو وكيف هو. ورجعت إلى كلامك الأول أنه واحد في العدد، وهذه صفة المخلوقين. وإن قلت: هو تقدر أنت أن تصف الله واحد في العدد إذا كان كزعمك لم واحد في العدد بعضه وليس بكامل؟ فإنما تثبت له بعضه واحداً كاملاً في جوهر منه في العدد، أي في الأقسام الثلاثة. فقد كملت صفته من الوجهين جميعاً، وصفناه واحداً في جوهر ذاته أغنى من جميع خلقه، لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره، بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني، أحد صمد كل شيء، قدوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب داخل في العدد فلأنه خارج جميع النوع العدد لأن العدد لا يُعدّ. وإن كان النوع نوعين روحاً وجسداً، فقد دخل في النوعين في هذه الثلاثة التي لأخذه وصفته ثم يعدل على صفة يكمل بثبت كما يليق به. فوصفته له واحد ليس على ما وصفته أنت. وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعاً لك وللناظر في كتابنا هذا، إذا نظر بعين الإنصاف".

ونحن نتوقف قليلاً عند رد هذه المغالطة السخيفة لا لنبين مدى وهنها، وهيهات أن ينتبه صاحبها لمدى ما يهرف به كالمغالطة تلك أنه لا معنى لقوله إن الواحد قد يقال به "واحد في الجنس أو في النوع". لأن هذا تحصيل حاصل. فالجنس بطبيعته لا يمكن أن يكون اثنين، ولا أن كل جنس وبهذا يتجلى للقارئ ما في ذلك الكلام من مغالطة. وبالتأمل في هذا الرأس الكثير التسرع تجده يترنح أوراداً لا حصر لها، وكل رتبة وكل فرد هو كيان مستقل لا علاقة له أو له بما يسميه بالأقسام. أما الكاتب فيدوس كل منطق ويقفز زعم ذلك إلى أقسامه. وهذه هي المرة الثانية التي نسمع فيها هذا، وهو بمغالطته تلك يريد أن يخترع مصطلحات جديدة ومنطق جديد، وهذا المنطق الذي يريد اختراعه هو المغالطة بعينها، والعجيبة

... هو بهذا لم يرد بل حكم بالكذب أمر محقق. ولكن هيهات. وبضيعة ... دون واحدية الله ... وحدة جنس ولا نوع لأنه ليس جنس ولا ... ولا كان ذلك نوع تحت جنس لأنهى متعددة، وأفراد تحت نوعه ... متعددة بالعدد، والله غير متعدد. ويقضي بالإسلام عن الواحد في العدد ... الإحلال على التوحيد الإسلامي بقوله: "وإن قلت إنه واحد في ... ذلك نقص لكلامك أنه واحد ذو صمد. لأنه لو سألك سائل ... نفسك كم أنت؟ لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد. فكيف يقال عنك ... الصفة التي لا تنفصل عنك بحال عن حالة؟ وكيف مع وصفك به ... العدد كنت وصفته أيضا بالتجزيء والتفصيل. ألا تعلم أن التوحيد بالفرد ... العدد، لأن كمال العدد مما جميع أنواع العدد، فالواحد بعض ... العدد. وهذا نقص لكلامك". وتعيد ذلك من أيسر ما يكون، فإن الله ... سبحانه يصفه لا يُحد ولا ينقسم ولا يتكرر. بخلاف المخلوقات، فإنها تُحد ... وتنقسم وتتكرر. ومن ثم فقولنا إن الله واحد يختلف اختلافا بينا عن قولنا ... الواحد منا في نفسه بأنه واحد. لأن قولنا إنه واحد معناه أنه لا جنس له ... يشمل أنواعا متعددة متشابهة، ولا نوع له يشمل أفرادا متعددين متشابهين، ... بخلاف قولنا إن فلانا واحد، فهو يدل على أنه واحد من أحاد كثيرة ... متشابهة. وهذا حق بين، إلا أن صاحبنا يغلط في مبادئ لا يختلف من ... يعقل كثير ولا قليل أن الله في الإسلام واحد أحد لأنه: جسم ... شرحت لأن، لا يمكن أن يكون هناك شبيه به لا في قوته المطلقة ولا في ... ذاته المطلقة ولا في علمه المطلق ولا في وجوده المطلق الذي لا يحده حد ... ولا تدركه غاية ولا نهاية ... ح، ومن ثم فهو ليس واحدا في سلسلة من ... الأحاد أي أنه واحد ليس له ثان ولا ثالث ولا رابع ولا خامس ... فضلا عن أن يتحد فيحتويه مكان ويزمان ويخضع للقوانين والضرورات،

[illegible] كل من يعتقد وجود خالق لهذا الكون [illegible] الله عن ذلك. فهو سبحانه وتعالى خالق الكون والإنسان والحيوان والنباتات والجمادات. فكيف يمكن أن يخضع شيء منها لأمر ما يقوله صاحب الكتاب فكلام واضح لا يحتاج إلى شرح! وفي الشهادة السابعة عشرة التي كتبها مؤلف "دائرة المعارف الكتابية" وهم مجموعة من علماء اللاهوت المسيحي في مصر، في مادة "وحدة الوجود" في كل مكان هو تعبير عن الله وحدة. وهو يعني أن الله لا يتجسد أو يتحد مكان أو زمان. إذ هو دائم الوجود في كل مكان (مز ١٣٩: ٧-١٠، إرميا ٢٣: ٢٣ و٢٤، أع ١٧: ٢٧، عب ١: ٣ إلخ). فمن اللازم أن نحترس فيما يتعلق بالله. فنفهم عادة وحدة وجوده حتى لا نخلط الأمور فالله روح. ووجوده غير محدود يجب أن نفكر فيه بالمعنى الميتافيزيقي، وليس بالمعنى المادي. فهو متميز عن كل خليقته، بسمو قوته وحكمته وصلاحه وحده. كل خليقة. فهو خالق كل الأشياء المنظورة وغير المنظورة (أع ١٧: ٢٤). وهو الذي به نحيا ونتحرك ونوجد (أع ١٧: ٢٨). وفي علاقته وعنايته الخاصة هو "نور الذي في السماء" (مت ٦: ٩) "الله روح" أو أي شيء آخر فيما عدا ما لا نقول فيه إلا أنه ليس كمثله شيء". ولا قيود على الله وحكمه يقول كتاب عقيدة عقيدة على وحدة في تعدد الوحدة (١: ٢٤). وقد يقول في روح الله الواردة في تكوين ١: ٢، و٤١: ٣٨، وخروج ٣١: ٣، و٣٥: ٣٥، وعدد ٢١: ٢، وصموئيل الأول ١١: ١٠، و١١: ٦، وإشعياء ١٣: ١٦، و٤٢: ١، و٦١: ١ "نقول إنها روح الروح" أثبت لنا بعض الناس لا تشبه بل مرامي ما يقولون؟

وعلى ذات الشاكلة نجد [illegible] في مزاعمه محاولا [illegible] لزعوم بقوله: "وأما قولك به [illegible] صحيحة ولا وجود لكل ما

[illegible] أحد، فإن لم تصفه فأشر إلي بالذي وصفه بذلك هو الذي
[illegible] عنه وإما أن تقول إن له صاحبة، وإنه تحد ولدا وإما أنه لم
[illegible] أحد. ومن هو صاحب أو رجل قد قد عقله! ألا يقولون إن عيسى
[illegible] هو إله؟ ألا يسمون الله بأنه هو الله الواحد؟ ألا يقولون عن مريم
[illegible] إنها أم الله؟ ألا يدعها بعض النصارى؟ ألا يقولون بالأب والابن والروح
[illegible] القدس؟ ثم إن الكاتب نفسه في فصل قد سار إلى عبارة أنه إله وابن
[illegible] ويحق وبه يعقوب ومعرفة مستورة. المقصود هو أنها ثلاثة أقانيم لا
[illegible] أقنوم، لكنه هو وأهل ملته يتحدثون عن كل منه على أنه ذات مستقلة. وهذا
[illegible] من الوضوح بمكان. فهل الأقانيم ينفصل بعضها عن بعض ويستقل كل
[illegible] منها بوجود متميز، ويكون أحدها في السماء، والثاني على الأرض،
[illegible] والثالث ذهب بين ما بين السماء والأرض؟ هل يمكن أن يتحد أحد
[illegible] الأقانيم إلى أقنوم آخر فيقول له أنت أبي أو أمي، ويسجد له ويسجل
[illegible] بصريح صك العبودية، ويؤكد للناس من حوله أنه سوف يعود إليه بعد مماته،
[illegible] وأنه سوف يجلس عن يمينه يوم القيامة ويحاسب الناس معه ويشرب الخمر
[illegible] عنده، لقد كان عيسى عليه السلام يفعل أحسن كل مؤمن لأجيال! وهذا
[illegible] يعني أنه حتى محمد يعود لأبي بكر ويجلس عن يمينه سوف يتصرف
[illegible] تصرفات مستقبله لا يتصرفها الأب حتى إنه ليس لمحمد إلا أن يقبل
[illegible] هذا الذي يقوله دستة الرجل إلا أن يجمع عقوله ويرميها في أقرب مقلب
للقمامة! ولكن هيهات!

[illegible] سفسطته أيضا أحمد الله الذي يفصل دينها راسها، وهي في
[illegible] حديث عن الله وصفاته أفاد صفات ذاته فجوهر ذو كلمة وروح أزلي،
[illegible] منعزلا مرتفعا عن جميع المخلوقات والأوصاف ذلك أنه في وقت سابق
[illegible] يقر في بداية الحديث أن الله لغير صفات، يعود في نهايته فيبقى أن نكرر له

أيه صفات . لنعود كرة ثانية عقب ذلك فنتحدث عن صفات الله ونذكر له منها عددا غير قليل . ونعني أن الصفات في الله صفتان مختلفتان صفة صفعة ذاتية لم يزل متصفا بها . وصفة أخرى هي صفة فعله . فأما الصفات التي ليست من أجل فعله فمثل علمه وحياته وقدرته وإرادته . وأما الصفات التي هي من أجل فعله فمثل خلقه ورزقه . وأما الصفات التي هي طبيعيا لذاته التي لم يزل حيا وعالما متصفا بها فهي حياة وعلمه . فإن الله لم يزل حيا عالما . وحياة وعلمه إذا أريدا لا يخلو ومحال منك العقل والدين أن يتصف بهما بمنتهى الذاهبة بحيث لا يمكن أن يتصف بنتيجة التالية . فقد صح بنتيجة هذه المقدمات أن الله واحد في ذاته . وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاته بعينها جوهر اللاهوت الواحد فجوهره هي صفة الواحد منها الأقانيم الذي بعده . وهذه الصفة التي نتصف بنفسه ودلنا على سرها في كتبه سره على ألسنة أنبيائه ورسله فأول ذلك ما ناجى به موسى نبيه . حيث أخبره كيف خلق آدم . فقال في السفر الأول من كتاب التوراة في البدء خلق الله (وفي العبرية الآلهة بصيغة الجمع) السموات والأرض (تكوين ١ ١) فهذا يشير لكتاب المقدس إلى ثلاث الأقانيم الإلهية الثلاثة . ويقوله خلق بصيغ المفرد يشير إلى وحدة الصفة وجوهر الذي هو الأقانيم الإلهية الثلاثة . وقال أيضا في هذا السفر إن الله قال عند خلقه آدم نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا (تكوين ١ ٢٦) . وهو يقول أعمل على صورتي وشبهي . وقال في هذا السفر عندما أخطأ آدم هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر (تكوين ٣ ٢٢) . وهو يقول مثلي . وقال عز وجل في هذا السفر هلم نزل ونبلبل هناك ألسنتهم (تكوين ١١ ٧) . وذلك لما اجتمعوا ليبنوا صرحا يكون رأسه في السماء . فعرف الله ضعف أجسامهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه ولم يقبل أعمالهم . ووجه تسميتها هو أن الله يقول بلغة العبري يقول لغة

لا أنه واحد، أي أنه ليس له شريك مطلقاً، لأن لآلهة شيء، ولأقانيم شيء آخر. أما استعمال ضمير الجمع في حديث المتكلم عن نفسه فليس دليلاً على التعدد، ولا فكل رئيس أو ملك أو سلطان دائماً ما يفعل ذلك. ولا يفهم أحد من ذلك أنه ثلاثة ملوك أو ثلاثة رؤساء أو ثلاثة سلاطين. إنهم إذا كان المتحدث عنهم واحداً أو موصوفاً بموجب العقل والضمير أو ما في حكمهما فكلا إنه كلا! ويعجب أنه يعود فيقرر أن البشر أيضاً يستعملون ضمير الجمع في حديث عن أنفسهم. لكنه يسارع إلى المغالطة كعادته ترويجاً فيقول: (قلت نعم قد أجازه (أي النحاة البشرية) حيث يقول الرجل الواحد منهم (نحن فعلنا وأمرنا ونهينا ورأينا) ذلك، يقول له ذلك صحيح حاشر في مؤلف من أشياء مختلفة ومركب من أعضاء غير متشابهة، لأن الإنسان واحد لكنه أجزاء، فأين أجزاء من الإنسان الجسم واحد، وأحشاء التي هي أجزاء كثيرة وأعضاء شتى. فلذلك جاز له أن يقول ذلك وصلح من قال وأمرنا وأوجبنا، إذ هو عدد واحد كما ذكرت في قلب إن ذلك تعظيماً له أن يقول أنا وأمرنا وأوجبنا، قلت له وما يضاهي ذلك من بين صحيح المعقول حتى تورد؟ وطبعاً لا أظن أن هناك من يوافقه على هذا التمويه. ولا أدري لأي شيء إلا أن يقول لنا نحن نعقل ونكتب ونشرب ونمشي، لأن البشر دائماً والداً مركبون من أجزاء، وهم يراهم يكونون في بعض الأحيان مركبين من أجزاء، وفي أحيان أخرى كتلة واحدة لا تقبل التجزئة، وأنهم لا يستعملون ضمير الجمع إلا حين يكونون متألفين من أجزاء، فإن أصبحوا كتلة واحدة لا تقبل الانقسام عادوا فقال الواحد منهم "أنا كتبت وشربت ومشيت وسلطت"؟ لكنك تعلم أنه لا أحد منهم يستخدم ضمير الجمع لنفسه إلا الملوك والرؤساء والسلاطين. كما أن أولئك الملوك والسلاطين والرؤساء لا يفعلون ذلك في

كلامهم مع أنانيتهم وروحانيتهم وأجسادهم وعشيقاتهم مثلاً. أم ترى عبدة الفيران يقولون مع أنهم يكونون مع أنواعهم يكونون مختلفين من آخرهم، لكن يرضى كل منهم عبادة الآخر، وتضحي نفسه وحدة لا تنقسم لأنفسهم حين تخلوا عن أسرارهم وعشيقاتهم؟ الأمر أقبح بعقول راسخة!

وأيضاً صاحب هذه الشبهة المسخنة وحدة التسع فقال: لكل منهم يعتقد أنه واحد هو ثلاثة أقانيم. فيقال له: صفعتك من أنبرت وأنزل، وحلفت وحلف، وبرحبت وأوجعت، فهل الأول شيء غير الوجيعة، والثاني غير الحلف، والثالث غير الصفعة؟ وإن قلت: نعم، فقد قلت بثلاثة آلهة، وإن قلت: لا، فقد أقررت أن الله واحد لا ثلاثة، وهو في بعض المواضع أمر جاء على سبب حسبه في وقت حاجتهم، فرأى ثلاثة رجال وفوق إيوانه، فاستضيفهم فقال: يا سيدي لو كنت قد وجدتك نعمة في عيني فلا تتجاوز عبدك (التكوين ١٨، ٢، ٣) ألا ترى أن المنظور إليه من إبراهيم ثلاثة، ولكن الحضور شخص واحد؟ فشاهده رب واحد، وتضرع إليه سائلاً طالباً أن يكون عنده، فاعتبره الثلاثة سر الألوهية الثلاثة، وتسميته إياهم رباً واحداً ليست سر جوهر واحد، فهي ثلاثة حق، ورب واحد حق كما وصفته، وتسميته في نسبته إلى نفسه في الأصحاح ١٢ من التكوين مثلاً ليس هناك في حديثه عن إبراهيم إلا كلام عن رب واحد، واختار لزوجه في الأرض التي سكن بكنعان إلى بلوطة مرة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، فصار رب الأرباب وقال «لنسلك أعطي هذه الأرض» فبنى هناك مذبحاً لرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى جبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق، فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب، ثم بدا له أن يزور ثلاثة من عنده، فهل لله رجلان؟ وهل الله يأكل ويشرب ويستريح؟

ومع ذلك فإني أرجو من القارئ الكريم أن يقرأ القصة كلها لا القطعة التي قطعها الدارسون منها. وسوف يدرك أن الأمر كله عرك في غير معترك. وأن الرجال الثلاثة ليسوا هم الله. إذ سوف ينصرف الثلاثة بعد قليل من المكان. ويبقى إبراهيم رغم هذا وقتا طويلا يجادله ويرد عليه في حوار طويل فيه رجاء من جانب إبراهيم أن يسمح الله قوم لوط. وإصرار من جانب الله على عقاب قوم لوط. أي أن الرجال الثلاثة شيء، والله شيء آخر، ولا صلة بين الاثنين حسبما يعرف به كثيرون. ولقراءة وظهر لنا أن إبراهيم عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: «يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. وأخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم». فقالوا: «هكذا نفعل كما تكلمت». فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة، وقال: «أسرعي بثلاث كيلات دقيق سميذ. اعجني واصنعي خبز ملة». ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبدا ولبنا، والعجل الذي عمله، ووضعه قدامهم. وإذ كان هو واقف لديهم تحت الشجرة أكلوا. وقالوا له: «أين سارة امرأتك؟» فقال: «ها هي في الخيمة». فقال: «إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن». وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة: «أبعد فنائي يكون لي نعمة، وسيدي قد شاخ؟» فقال الرب لإبراهيم: «لماذا ضحكت سارة قائلة

أفحقيقة أنك وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك لهذا الوقت وتكون لسارة ابن». فتكررت سارة قائلة «لم أضحك». لأنها خافت. فقال «لا بل ضحكت». ثم قام الرجال من هناك ونظروا نحو سدوم. وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم. فقال الرب «هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله. وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية. ويتبارك به جميع أمم الأرض؟ لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب. ليعملوا برا وعدلا. لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به». وقال الرب: «إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر. وخطيتهم قد عظمت جدا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إلي. وإلا فأعلم». فانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم. وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب. فتقدم إبراهيم وقال «أفتهلك البار مع الأثيم؟ عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر. أن تميت البار مع الأثيم. فيكون البار كالأثيم. حاشا لك! ديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟» فقال الرب. «إن وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة. فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم». فأجاب إبراهيم وقال «إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة؟» فقال «لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين». فعاد يكلمه أيضا وقال «عسى أن يوجد هناك أربعون». فقال: «لا أفعل من أجل الأربعين». فقال. «لا يغضب المولى فأتكلم عسى أن يوجد هناك ثلاثون». فقال: «لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين». فقال: «إني قد شرعت أكلم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون». فقال: «لا أهلك

من أهل المشرق». فقال «لا يخطر لمولاي فأكلمه هذه المرة فقط عسى أن يوجد فيك عشرة». فقال «لا أهتدي من أهل المشرق» وذهب الرسول عندما فرغ من الكلام مع بني هم، ورجع بوجهه إلى مكانه وصبح عليه فأصبح أن الرجال قد انصرفوا وبقي الله مع إبراهيم منفردين ويتحدثان، إلى أن جاء الوقت الذي انصرف فيه الملكان سحرة، فهناك إذن انصرفا. الأول انصراف الرجال الثلاثة، والثاني انصراف الله أي أن الرجال الثلاثة ليسوا هم الله

وصفة أهل المشرق لا تؤهل لتحمد الله ولا برؤية العدالة في الحب ولا تحبه وتصرفه كأنه شخص من الأشخاص. لكني أحد أكبدي على حب حتى أقحمه على أساس من اعتقادنا فهو وأنزله خجلة يسقط الذي يتحرر به ويتخلص في الأدق ومع ذلك، أنه مسرحية بعد، إذ نقرأ في الإصحاح الذي بعد هذا الإصحاح مباشرة ما يلي: «فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، ولوط جالس في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما، وسجد بوجهه إلى الأرض وقال «يا سيدي، ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا وغسلا أرجلكما، ثم تكرمان وتذهبان في طريقكما» فقالا «لا، بل في الساحة نبيت» فألح عليهما جدا، فمالا إليه ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبز فطيرا فأكلا. وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة، رجال سدوم، من الحدث إلى الشيخ، كل الشعب من أقصاه فدعوا لوطا وقالوا له «أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة؟ أخرجهما إلينا لنعرفهما» فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه وقال «لا تفعلوا شرا يا إخوتي، هوذا لي بنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم، وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا، لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي». فقالوا «تنحه

بي فلان» ألم تقرأ «جاء هذا الإنسان ينقرب، وهو يحكم حكما. لأن نفعل بك شرا أكثر منهم». وبحق على الرجل لوط حدة وتقدموا ليكسروا الباب. فمد الرجلان يديهما وأدخلا لوطا إليهما إلى البيت وأغلق الباب. وأما الرجال الذين على باب البيت فضربهما بالعمى، من الصغير إلى الكبير. فعجزوا عن أن يجدوا الباب. إلى آخر القصة. فما الذي يفهمه من هذا؟ ألا يفهم أن الرجلين كانا ملائكة؟ لكن أين ذهب الباب؟ والعجيب أن مؤلف السفر بعد أن نص صراحة تقول على أنهما ملاكان اثنان لا ملاك واحد عاد فجعل يقول هنا: «يا سيد» بصيغة المفرد وكأنما ينظر إليهما هنا أيضا بأنهما كما فعل بلالة في قصة إبراهيم. وهذه أول مرة نعلم فيها أن الملائكة تأكل وتشرب مثلنا. ثم في القرآن نفهم أنهم لم يمدوا يدا إلى الطعام: لا هنا ولا عند إبراهيم.

إن التفسير المنطقي للأمر هو أن كلا من إبراهيم ولوط كان يتحدث مع ملائكة لذلك يريد كاتب السفر أن يقول بأنهم كانوا يمثلون الله فيصفون عنه ما يريد إبلاغه إليهما عليهما السلام، وإن كان الكاتب قد أفسد الأمر بوصفه ذلك في الأصل فأربك كل شيء. وتتضح سطحية هذا التفسير إذا قرأنا الإصحاح الثامن والعشرين من السفر ذاته مثلا. ففيه نجد أن الله نفسه يبدي إبراهيم قائلا له كذا وكذا. وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: «يا إبراهيم!». فقال: «هأنذا». فقال: «خذ ابنك وحيدك، الذي تحبه، إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»... فلاحظ بعد قليل أن الكاتب ينص على أن الملاك قال لإبراهيم كلاما، لكن بطريقة توحي أن الله هو الذي يتكلم فعلا لا أن الملاك يقول ما قال. «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء». وقد «أقسمت أقول الرب، أني من أجل

كنت فعلت هذا الأمر. ولم تمسك عنك وحبيبك. "أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. "وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي". وصح له يقول من جديد؟ ومن النصوص التي ذكر فيها الرب على أنه إله أبين فقط لا ثلاثة أقنوم الذي يقول فيه سبحانه يعقوب جسما نقرأ في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين "فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران. وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه. واضطجع في ذلك المكان. "ورأى حلما، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليه. "وهوذا الرب واقف عليه. فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق". وكذلك النص الذي سمع يعقوب بذاته سبحانه فيه يقول: "أنا إله إبراهيم وإله أبي إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها لك أعطيها ولنسلك" (تكوين ٢٨: ١٣). وقول موسى عنه عز وجل "هذا إلهي فأمجده. إله أبي فأرفعه" (خروج ١٥: ٢) فهل يقول به سبحانه ويعتقد المسلمون النصارى لا غير؟

ويتعارض أيضا كلام المسيح وعقيدة النصارى عن قدرته وسعته. فهل يفهم من هذه القصة أن الله تجسد في عيسى؟ إذن ما فعل عيسى في المهد، وخاصة أن ثمة تجسدات أخرى لله سبحانه في هيئة بشرية غير هذه يحكيها لنا الكتاب المقدس؟ من ذلك ما قصه علينا مؤلف سفر التكوين في النص السابق من أن يعقوب "رأى حلما، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليه. "وهوذا الرب واقف عليه" (وهذه أول مرة نعرف أن الله يقف فوق

سلام: ترى ماذا كان يعمل سبحانه وتعالى هناك؟). وكذلك ما نقرؤه في الإصحاح الثاني والثلاثين من أن يعقوب قام في ليلة من الليالي "وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق "أخذهم وأجازهم النهر، وأجاز ما كان له "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر "ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه "وقال: «أطلقني، لأنه قد طلع الفجر!» فقال: «لا أطلقك إن لم تباركني». "فقال له: «ما اسمك؟» فقال: «يعقوب» "فقال: «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» "وسأل يعقوب وقال: «أخبرني باسمك» فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك "فدعا يعقوب اسم المكان «فنيئيل» قائلاً: «لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ولخلصت نفسي» "وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه "لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا" (تك ٣٢). الذي صارعه يعقوب في تلك الليلة هو الله. ويلاحظ أنه هنا رجل واحد لا ثلاثة ولا اثنان كما هو الحال في قصة إبراهيم ويوشع على السواء. وعلى أية حال فهو هو الذي عبد إبراهيم الحبيب بدءاً من الله بعينه "إله إبراهيم" فقد "جاء سارة إلى سيدي إبراهيم" (تكوين ٢٤، ١٢). فلو جرينا فيه على طريقة صاحب الفقرات الآنفة الذكر لقلنا إنه ما هو إلا إبراهيم وحده وليس إله أي شخص آخر. وهو فهم يسعى على الدوام وقد تكرر ذلك في المواضع التالية (تكوين ٢٤: ٢٧، ٤٢، ٤٨). بل إن الله نفسه سبحانه وتعالى لا يقول عن نفسه لإسحق بن إبراهيم "أنا إله إبراهيم أبيك" (تكوين ٢٦: ٢٤). على حين أنه في الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين يقول

ليعقوب به إله أبيه (أى إله إسحق) " وإسحاق إسرائيل (وإسرائيل هو يعقوب كما هو معلوم) وكُلِّم الله كان له ولى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحق " فكلمه الله بشرائيل في رؤى الليل وقال: «يعقوب، يعقوب!» فقال «هأنذا» فقال «أنا الله، إله أبيك ...»". وإسحق يدعوه يقول لابنه عنه سبحانه "إله" (بهت فقط، لاحظ تكوين ٢٧ ٢٠). وكذلك يقول يعقوب عنه سبحانه "إله أبي كان معي" (لاحظ إله أبيه إسحق فقط هذه المرة، لكن لا إله هو ولا إله جده إبراهيم، تكوين ٣١ ٥). و"إله إبراهيم" (إله إبراهيم وحده هذه المرة دون إسحق ودون يعقوب تكوين ٣١ ٥٣). و"إله إسرائيل" (أى إنه هو وحده دون غيره، فيعقوب هو نفسه إسرائيل كما هو معروف) تكوين ٣٣/ ٢٠، ويقول محفظ يوسف لابنه يعقوب سبحانه ونعالى "إله أبيك" (تكوين ٤٩ ٢٥) وبالمثل يقول موسى عنه سبحانه "إله أبي" (خروج ١٨/ ٤). ويقول له الله: "أنا الرب إلهك" (خروج ٢٠ ٢، ٥. وانظر كذلك خروج ٢٠ ١٠، ١٢، و٢٣ ١٩ حيث يقول سبحانه عن نفسه له أيضا "الرب إلهك"، وكذلك خروج ٣٤ ١١ حيث نقرأ أن موسى تضرع "أدم سرت إلهه"، وخروج ٣٤، ٢٤، ٢٦، وتثنية ٧ ١، ٢، ٦، ٩، ١٢، ١٦، و١٥/ ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ١٢ ... إلخ حيث يقول الله عن نفسه مخصصا كليمه أو شعب إسرائيل فقط بأنى "الرب إلهك") أما فى الأناجيل فلا يقدم إلا عبارة "الرب إلهك" (متى ٤ ٧، ١٠، و٢٢/ ٣٧، ومرقس ١٢/ ٣٠، ولوقا ٤ ٨، ١٢، و١٠ ٢٧)، أو عبارة "إلهى" (متى ٢٦/ ٤٧، ومرقس ١٥ ٣٤)، أو عبارة "إله إسرائيل" (متى ١٥ ٣١، ولوقا ١/ ٦٨)، أو ما شابه حيث لا تثليث ولا يحزنون (وهناك مرة واحدة استشهد فيها عيسى عليه السلام بالعبارة التى أثارت كل

هذا الأخذ والرد في العهد القديم "أما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: "أنا إلهُ إبراهيم وإلهُ إسحاق وإلهُ يعقوب؟" (متى ٢٢: ٣٢، وانظر كذلك مرقس ١٢: ٢٦، ولوقا ٢٠: ٣٧ وهي، كما يرى القارئ، ليست شيئاً جديداً، بل تذكرة بما قيل قديماً). فما رأي الكندي في هذا كله؟ وهذا غير تسميته سبحانه نفسه في خطاب لبني إسرائيل "عشرة كلمات"، وهو ما تكرر كثيراً جداً في العهد القديم. فهل نقول على طريقة صاحبنا الكندي إن أقنيمه سبحانه تسع ثلاثين بمقدار عدد بني إسرائيل على مدى الدهر؟ ثم هناك التسمية الثانية التي يستطيع عن طريق البهلوانية التي يجري عليها صاحبنا في الاستنتاج أن نرتفع بعدد الأقانيم الإلهية فنقول استناداً إليها إن أقنيمه سبحانه لا تُعدّ ولا تُحصى لأن موسى وهارون قد ابتهلا إليه قائلين: "اللهمّ إله أرواح جميع البشر" (عدد ١٦: ٢٢، و٢٧: ١٦)، فمن ذا يستطيع أن يحصي أرواح البشر جميعاً في كل العصور والأقاليم؟

ونعود مرة أخرى فنتساءل: ما الميزة التي يختص بها عيسى عليه السلام في مسألة التجسد إذ كان الله قد تجسد من قبله بأزمان طوال لكل من إبراهيم وحفيده يعقوب، ومن قبلهما تجسد سبحانه وتعالى لآدم، ومن بعدهما تجسد لموسى، ونستغفره جلّ وعزّ على ترديد هذا الكلام؟ فأما تجسده لآدم ففي الإصحاح الأول من السفر الذي نحن فيه: "وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات البرّيّة التي عملها الربُّ الإلهُ، فقالت للمرأة «أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟»، فقالت المرأة للحيّة «من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا»، فقالت الحيّة للمرأة «لن تموتا، بل الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير

واستذ» فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. «فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له «أين أنت؟» فقال: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت» فقال «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟» فقال آدم «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت». فقال الرب الإله للمرأة: «ما هذا الذي فعلت؟» فقالت المرأة: «الحية غرتني فأكلت». فالله هنا يتمشى في الجنة ويدنو على آدم الذي أحس به فاختبأ منه حتى لا يراه سبحانه وتعالى عما يصفون. وكأن الله يخفى عليه شيء في الأرض أو في السماء! ولكن هكذا اقتضت مشيئة مؤلف السفر الذي من الواضح أنه يقيس الله على البشر. ولم لا؟ ألا يتحسد مثل البشر ويأكل ويشرب ويستريح ويتمشى مثل أي عمدة في الريف في أملاكه مستمتعاً بثمراته؟ فما الغريب في أن يجري عليه ما يجري على البشر ويخفى عنه آدم حين يختبئ منه؟ ولنلاحظ تصرف مؤلف السفر في حكايته المضحكة، إذ ذكر هو نفسه أن الرب كان قد صنع لملابسهما منذ بدء الخلق، ومع ذلك يصر على القول على لسان آدم بأنهما لا يزالان عريانين! ولأن مع تعدد سبحانه لموسى وبعض رجال قومه فوق الجبل طبقاً لما كتبه مؤلف سفر الخروج في الإصحاح الرابع والعشرين «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بني إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة

ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا؟ ولا بعيد التساؤل المنطقي جداً: ترى ما الذي يتميز به عيسى عليه السلام في مسألة التجسد كي يجعل منه النصارى مسخ تثاليثهم وعبادتهم؟ وأرجو أن تلاحظ حكاية الأكل والشرب في كل مرة يتجسد فيها الله!

ورغم كل ما قدمنا فإن عيسى مستعد لأن يضرب عنه كفحاً ويسأل إذا كان تفسير الكنيسة لحكاية الرجال الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم هو التفسير الصحيح للأمر فعلاً، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى في كل كلام قاله لإبراهيم وسارة لأنبيائه، وتحدث في كل كلام قاله إبراهيم وسارة لأنبيائه عن الله؟ إنه سيظل في كلام عيسى مثلاً عن الله فلا نجده سيتحدث في الإشارة إليه إلا بضمير المفرد، فماذا نرى صاحب السفط قائلاً؟ وقد ذكرت عيسى بالذات لأن اعتقاد الكنيسة في التثليث من خلال إيمانه به عليه السلام هو الذي دفعه إلى كل تلك السفطات. فأردت أن آخذ من دقه وأقل له، ولا فالكتاب المقدس يقوم في الأساس على استعمال الضمير المفرد لله سبحانه وتعالى، ولا يلجأ لضمير الجمع إلا على سبيل النُدرة الشديدة التي لا تكاد تُذكر! والنصوص التي مرت وستمر في هذه الدراسة، وهي كثيرة جداً، خير شاهد على ما نقول. ومن يرد أن يطالع نصوصاً أخرى فأمامه الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى يستطيع أن يفتحه على أية صفحة ليرى بنفسه صدق هذا الكلام.

ولكي يثبت المدلس أن الله ثلاثة أقانيم يشير إلى ما جاء في المزمور ٣٣/ ٦ منسوباً إلى داود عليه السلام من أنه "بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فمه كل جنودها" قائلاً إن داود قد صرح بالثلاثة الأقانيم حيث قال: الله وكلمته وبنسمة فيه (أي بروحه). ثم يتساءل بحث عبي مفضوح "فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود؟" والرد عليه هو أن من المضحك أن يفسر

نسمة روح الله. لقد سبق أن أشرنا إلى قول يونس إن الله روح، وهو ما ردده مؤلفو "دائرة المعارف الكتابية" كما رأيت. فكيف تكون روح الله الذي هو أصلا روح؟ أتكون هي روح الروح؟ ثم لقد نسي العبي أن النص الذي قتطعه من سياقه ظنا منه أنه يخدم زعمه إنما يتكلم عن رحمة الله وكلمته وروحه لا عن الله وكلمته وروحه. ومع هذا فتعالوا أيها القراء نقرأ النص كاملا معا، وها هو ذا: "امتلأت الأرضُ من رحمة الربّ. بكلمة الربّ صُنعت السماواتُ، وبنسمة فيه كلُّ جنودها. يجمعُ كندُ أمواه البحر. يخزنُ لجج في أهراء. لتخشَ الربَّ كلُّ الأرض. ومنهُ ليخفْ كلُّ سكان المسكونة. لأنهُ قال فكان. هو أمر فصار. الربُّ أبطلَ مؤامرة الأمم. لاشى أفكار الشعوب. أمّا مؤامرةُ الربّ فإلى الأبد تثبتُ. أفكارُ قلبه إلى دور فدور. طوبى للأمة التي الربُّ إلهها. الشعب الذي اختارهُ ميراثا لنفسه. من السماوات نظر الربُّ. رأى جميع بني البشر. من مكان سكناهُ تطلّع إلى جميع سكان الأرض. المصوّرُ قلوبهم جميعا. المنتبهُ إلى كلّ أعمالهم. لن يخلص الملك بكثرة الجيش. الجبّارُ لا يُنقذُ بعظم القوة. باطلٌ هو الفرسُ لأجل الخلاص. وبشدة قوته لا ينجي. هوذا عينُ الربّ على خائفيه الراجين رحمته. لينجي من الموت أنفسهم، وليستحييهم في الجوع. نفسنا انتظرت الربّ. معونتنا وترسنا هو. لأنهُ به تفرحُ قلوبنا، لأننا على اسمه القدوس اتكلنا. لتكن يا ربُّ رحمتك علينا حسبما انتظرناك". وفي هذه السطور يتضح أن هناك ثمانية أشياء تتعلق بالرب لا ثلاثة فقط كما في النص الذي اقتطعه المأفون واجتزأه وعبث فوق ذلك به لكي يتم له تدليس المراد. وهذه الأشياء الثمانية هي: رحمته وكلمته ونسمة فيه ومؤامرته وأفكار قلبه ومكان سكناه وعينه واسمه القدوس. فهل معنى هذا أنه ثمانية أقانيم؟ ثم إن كلمة الله، حسب ذلك

الكلام لأبنه، هي وحدها التي خلقت السموات، بينما بقية قمه هي التي خلقت جنودها. أم رجته فلم تفعل شيئاً، بل امتلأت بها الأرض فقط. فهل يفهم من ذلك أن الأقنوم الثاني هو الذي خلق السموات، وأن الأقنوم الثالث هو الذي خلق جنودها؟ وأن الأقنوم الأول لم يخلق أي شيء؟ بل ما معنى هذا الكلام وضوح أن الله لم يشترك بكلمته في خلق كل شيء، بل قام أقنوم بخلق شيء، وأقنوم آخر بخلق شيء آخر، وفي الكون بأسره بقية قمه الكريم! الكتاب المسيح في الأناجيل (وهو الأقنوم الثاني عند النصارى كما تعرف) لم يسبق منه خلق أي شيء، بل كل شيء مسبوق في كلامه للأقنوم الأول الذي لم يرد عنه ذلك هنا أنه خلق أي شيء. فما القول في هذا الكلام؟ وعلى أية حال فهذا غير الكلام في الكتاب المقدس كله هكذا؟! وكيف عقل كل الأنبياء وأفهمهم عن ذلك إلى أن جاء المتكلمو النصرانية؟ ونلاحظ أني قد كتبت النص الذي استشهد الكندي بزعوم نجزء منه ولم أتوسع في الكتاب المقدس كله، ولا لتعبت الأقلام عدد أكثر كثيراً من ثمانية!

ثم يقضي هذا الكندي توهم مشيراً إلى ما جاء في سفر إشعياء من أن الله عز وجل تراءى له وللملائكة حافون به مقدسون له قائلين "قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجدهُ ملءُ كل الأرض" (إشعياء ٦: ١-٣). ينتهي من ذلك إلى القول بأن تقديس الملائكة لله ثلاث مرات وقصرهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سرٌ تقديسهم الأقانيم الثلاثة إلهاً واحداً وربّاً واحداً. وهذا شأنهم منذ خلقوا إلى الآن والآبد. وهذا نص كلامه تقريباً. لا أن لا أعتقد ينسى أن الله وصف نفسه في الإصحاح الثامن والعشرين من نفس ذلك السفر بأنه قدوس مرة واحدة لا ثلاثاً: "هكذا يقول الرب القدوس قدوس إسرائيل" وتكرر هذا في الكتاب المقدس عشرات المرات.

أم تثليث القدوس فقد تكررت مرتين فقط في هذا النص، وكذلك في نص آخر من رؤيا يوحنا (٤: ٨) "ولأربعة حيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيونا. ولا تزال نهارا وليلا قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي". ليس ذلك فقط بل وصف هارون أيضا بأنه "قدوس" في مزمور (١٠٦: ١٦) "وحسدوا موسى في المحلة، وهارون قدوس الرب". وكذلك كل إسرائيلي يبقى في أورشليم كما جاء في إشعيا (٤: ٣) "في ذلك اليوم يكون الغصن رب بهاء ومجد، وثمر الأرض فخر وزينة للناجين من إسرائيل. ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يترك في أورشليم، يسمى قدوسا كل من كتب للحياة في أورشليم". وهناك أيضا "قدوسون" كثيرون لا قدوس واحد، كما في دانيال (٨: ١٣) "وإذ قدوسا واحدا يتكلم، وقال قدوس واحد لفلان المتكلم". وقد دخل جبريل الذي رآه في رؤيا في الابتداء طائرا وعند نحو وقت تقدمة المساء (٩: ٢١) "وبينما أنا أتكلم في الصلاة، إذا الرجل جبرائيل الذي رأيته في الرؤيا في الابتداء طائرا وعند نحو وقت تقدمة المساء". وقال لي "يا دانيال، إني خرجت الآن لأعلمك تفهم. في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب". فتأمل الكلام وفهم الرؤيا "سبعون أسبوع قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية ولتسميم الخطايا، ولكفارة الإثم، ويؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين". وفي إنجيل لوقا نقرأ أنه "مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب". ثم لو كان تكرار "قدوس" ثلاث مرات دليلا على التثليث، فعندما لم يجز الكتاب المقدس على هذه الخطة باستمرار؟ وإذا ترك سبحانه وتعالى الأنبياء كلهم على جهل بهذا؟ أو إذا كان قد نوّرهم. فعندما لم يتوّرون بنوره ويبرجو ويستريحو بدلا من كل هذه المتاعب؟ ولماذا "قدوس" وحدها هي التي

تكررت (وفي موضعين اثنين فقط) ثلاث مرات ولم يحدث هذا مع "رحيم" و"كريم" و"قوي" و"عزيز" وسائر الصفات الربانية؟

وفي الكتاب المقدس عبارات معينة تتكرر كثيرًا بعضها في إثر بعض، ومنها عبارة "إلى الأبد رحمته"، التي تكررت ما لا أدري كم من المرات في عدد من الأسفار، والتي سوف أكتفي بذكر منها في المزمور السادس والثلاثين وحده، وهذا هو: "احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا إله الآلهة، لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا رب الأرباب، لأن إلى الأبد رحمته. الصانع العجائب العظام وحده، لأن إلى الأبد رحمته. الصانع السماوات بفهم، لأن إلى الأبد رحمته. الباسط الأرض على المياه، لأن إلى الأبد رحمته. الصانع أنوارًا عظيمة، لأن إلى الأبد رحمته. الشمس لحكم النهار، لأن إلى الأبد رحمته. القمر والكواكب لحكم الليل، لأن إلى الأبد رحمته. الذي ضرب مصر مع أبكارها، لأن إلى الأبد رحمته. وأخرج إسرائيل من وسطهم، لأن إلى الأبد رحمته. بيد شديدة وذراع ممدودة، لأن إلى الأبد رحمته. الذي شق بحر سوف إلى شقق، لأن إلى الأبد رحمته. وعبر إسرائيل في وسطه، لأن إلى الأبد رحمته. ودفع فرعون وقوته في بحر سوف، لأن إلى الأبد رحمته. الذي سار بشعبه في البرية، لأن إلى الأبد رحمته. الذي ضرب ملوكًا عظماء، لأن إلى الأبد رحمته. وقتل ملوكًا أعزاء، لأن إلى الأبد رحمته. سيحون ملك الأموريين، لأن إلى الأبد رحمته. وعوج ملك باشان، لأن إلى الأبد رحمته. وأعطى أرضهم ميراثًا، لأن إلى الأبد رحمته. ميراثًا لإسرائيل عبده، لأن إلى الأبد رحمته. الذي في مذلتنا ذكرنا، لأن إلى الأبد رحمته. ونجانا من أعدائنا، لأن إلى الأبد رحمته. الذي يعطي خبزًا لكل بشر، لأن إلى الأبد رحمته

اتخذوا إله السماوات، لأن إلى الآن رحمته" والآن تساءل: كم أقنوم يا ترى سوف يقول الكندى إن هذه العبارة تتكون منه؟ من المؤكد أن أقانيمها ستبلغ العشرات.

والعجيب الغريب أن تستمع بعد ذلك كله يرمى القرآن بالخطأ والتحدى سكبير، حين يقول إن الله ثالث ثلاثة، متوهما أنهم لا يقولون بهذا، بل مرقومون ما زالوا يقولون بكل البيان الكندى وأمثاله يقولون بالأب والابن والروح القدس؟ ألا يشرحون ذلك بأن الله هو الأب، والمسيح هو الابن، فضلا عن الروح القدس الذى كان يقوم بمهمة الرسول بينهما أيام أن كان عيسى عليه السلام يعيش على الأرض؟ ألم يقل المسيح إنه بمجد الله، ما يعنى أن لله شيء، وللمسيح شيء آخر؟ ألا يقولون إن الله أرسل ابنه إلى الأرض ليفدى البشرية من خطيئتها الأولى؟ ما يعنى أن الأب كان فى السماء، والابن على الأرض؟ ألم يكن الروح القدس يرسل على الابن آتيا من عند الأب حسبما يقول متى فى الأناجيل؟ ألم يصرخ هذا الابن إلى أبيه كى يخفف سجدته وهو على الصليب ضمن ما جاء أيضا فى تلك الأناجيل؟ ألم يقل إنه يوم القيامة سوف يشرف هذا الكرامة عند ذلك الأب؟ ألم يقل إنه سيجلس على يمينه يوم الدينونة ويحاسب الناس معه؟ فعلام يدل هذا كله؟ ألا يدل على أن هناك ثلاث ذوات مستقلة؟ وهل قال القرآن شيئا غير هذا؟ وأعجب من ذلك وأشد إمعانا فى العمالة والتدليس أن يقول الكندى لكلام الهاشمى المزعوم إن صاحبك (يقصد النبى عليه السلام) حثكم على الإيمان بالمسيح سيد العالم وخلص البشر ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

الأرض وكفى بالله وكيلا [illegible] فهل دعا الرسول إلى أن يؤمن بعيسى سيدا للأكوان ومخلص البشر؟ فما هذا يا ترى؟ كيف، وفي الآية السابعة عشرة من سورة المائدة أن الله لو أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ما استطاع أحد أن يعقب عليه سبحانه شيء؟ وبهذا الذهب بعيدا، وهذا النص الذي استشهد به الدلس ينهى النصارى بالقوى عديدة عن الغلو في أمر المسيح بتحديده بـ، ويؤكد أنه عليه السلام لا يريد غير أن يكون رسول الله وكلمته، أي كلمة "كن فيكون" التي خلق بها آدم ويخلق بها كل شيء، ويكفر من ينزله السيد المسيح أو يقول بصلبه وقتله؟ الواقع أن هذا الرجل يجري الكذب في دمه ويتنفسه تنفسا ولا يمكنه التعايش من دونه، ولا مات كما تموت السمكة إذا خرجت من الماء أما ما قاله عن المارقيونيين وأنهم هم الثلثة لا هم فهو كذب صراح يبرهن على أنه لا يعرف الخجل ولا حرمته، إذ إن مارقيون أقرب ما يكون إلى الثنوية، لأن الله عنده إلهان: إله العهد القديم العادل الذي خلق العالم، لكنه إله قاس وعنيف وعصبوب لا يعرف الرحمة لأحد بيهود شعب مختارا له، بخلاف إله العهد الجديد، إله اللطف والمرحمة ومن هنا نراه يرفض ما في العهد القديم ولا يقبل إلا ما جاء في إنجيل لوقا وبعض الرسائل الموجودة في العهد الجديد، وإن كان هناك من يقول إن لوقا هو الذي أخذ منه وهو على كل حال يقول بنبوة المسيح لأنه اللطف والمرحمة جاء في "دائرة المعارف الكاثوليكية" Catholic Encyclopedia تحت عنوان "Marcionites":

" Heretical sect founded in A. D. 144 at Rome by Marcion and continuing in the West for 300 years, but in the East some centuries longer, especially outside the

Byzantine Empire. They rejected the writings of the Old Testament and taught that Christ was not the Son of the God of the Jews, but the Son of the good God, who was different from the God of the Ancient Covenant. They anticipated the more consistent dualism of Manichaeism and were finally absorbed by it. As they arose in the very infancy of Christianity and adopted from the beginning a strong ecclesiastical organization, parallel to that of the Catholic Church, they were perhaps the most dangerous foe Christianity has ever known."

وهو خطأ ما نجده في كلمة 'Marcionisme' من المعجم المختص (Glossaire) حسب توقع 'www.cef.fr/catho'، إذ تقول هذه الكلمة:

"Mouvement heretique fonde par Marcion, philosophe gnostique. Le Marcionisme oppose le Dieu de Justice de l'Ancien Testament au Dieu d'Amour du Nouveau Testament. Il nie la realité de l'Incarnation du Christ prétendant qu'il est homme en apparence."

وليس هذا له علاقة بالإسلام كما نرى. فالله في الإسلام واحد أحد لا إله إلا هو، ومسيح عيسى هو عبد الله ورسوله، ولا يمكن أن يكون ابنه سبحانه. أي أن حديث الكتبي المبشر عن مرقيون والمرقيونيين هو كذب في كذب في كذب!

٥- ثم ينتقل الكتبي إلى الحديث عن سيدنا الرسول الكريم صلوات الله

وسلامه عليه فيقول إنه نبي يتيم في بيت عمه أبي طالب وشارك أهله عبادة اللات والعزى بدليل ما جاء في سورة "الضحى" من قوله تعالى "ألم يجدك يتيما فآوى* ووجدك ضالا فهدى* ووجدك عائلا فأغنى". ثم لما تزوج خديجة واعتنى بدعوتها أراد أن يرأس قومه، لكن لم يتبعه على ذلك إلا قليلون، فما كان منه إلا أن ادعى أنه نبي من عند الله وسهل عليه مهمته أنهم لم يكونوا ذوي علم بالنبوة والأنبياء، فكانوا لا يعرفون كيف يختبرون صدقه، وهكذا صار نبيا وحول هذه الفكرة ليس سوى كذب مثل كاتبها والمتسببين الذين خرج منهما فالرسول لم يعبد اللات والعزى ولا أي صنم في حياته، وإلا لما سكت عنه المشركون وجعلوا منه هدفا لتهكمهم واستهزائهم عندما جاءهم بدعوة التوحيد، وهذه الفكرة لم يتركوا شيئا في محمد من الأكاذيب إلا ونسبوه به عليه، ومع ذلك لم يحدث أن قالوا عنه قط إنه كان يعبد الأوثان أو هدية الله له من الضلال فمن قال إن محمدا يقدره من الوثنية؟ لقد وردت الكلمة في موضع غير قليلة من القرآن الكريم في غير هذا المعنى، كقوله تعالى على لسان موسى حين عيره فرعون بأنه قتل مصريا ثم فر هاربا فرد عليه قائلا "فعلتها إذا وأنا من الضالين" (الشعراء ٢٠). فهل كان موسى وقت قتل المصري خطأ ضالا؟ ليس هذا هو المعنى المراد، بل المقصود أنه حين قتل المصري كان مندفعا مع عاطفة التعصب للإسرائيلي المظلوم، فكان أن وكز خصمه وكزة عنيفة قضت عليه ليس ذلك فقط، إذ كانت تهمة فرعون له أنه فعلها وهو من الكافرين، فكان رد موسى أنه بالفعل فعلها وهو من الضالين لا الكافرين. فالضلال هنا عكس الكفر كما هو واضح، وموسى يبرأ من الكفر ويثبت لنفسه الضلال، أي أنه فعل ما فعل عن غير قصد، بل في لحظة انفعال واندفاع أراد فيها أن يحمي واحد مظلوم من ظلم قوي، وكل ما كان من فعله

مصري من وكرة لا تقل عادة فما رأى عيب مصموس البصر والبصيرة؟ وتقول إخوة يوسف لأبيهم حين نبه قميص يوسف عن بعد وأحرهم بذلك فقالوا له: ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يوسف: ٩٥]، أي ما زلت مقيما على حبك يوسف، فأنت تتوهم الأوهام الباطلة وتتصور له لا وجود لها. ذلك أنهم كانوا يقولون عنه عندما يرون حبه الشديد ليوسف به في ضلال مبين، وهو حب الذي دفعهم منذ الصغر من أجلهم الصغير حتى فعلوا معه عليه: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٨]. ولا يمكن أن يكون يعقوب وثنيا، وهو نبي من أنبياء الله! وكقوله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام في الآية حين كان يقضي بين الناس ويحكمهم ويحكم بينهم: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]. تعني أنه لولا فضل الله عليه لاستطاع أهل ضُعْمه من أليرق سارق الدرع بيهود ونسبوه عن طريق الكذب إلى الذي سرقه بالفعل هو اليهودي لا محالة. والمقصود بهداية الله إياه من الضلال في سورة "الضحى" هو الإشارة إلى حفظه عن الخطيئة أيام نبوته، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعرف الخلق الحسن على وجه الدقة والكمال إلا من الله وبهداية منه سبحانه. وهو ما وقع، إذ أوحى الله عبر روح القدس بالوحي القرآني وكلفه بحمل رسالته إلى البشر فنبههم إلى ما فيه صلاح أمرهم واستقامة حياتهم وسعادة نفوسهم. فهذا هو معنى هداية من الضلال. وهناك رواية تقول إن محمدا الصغير كان قد ضاع يوم، لكن الله أعاده إلى أهله. فهو سبحانه يمنّ عليه بذلك ويذكّره به.

وقد يكون من سبب تلاعبه من أمثال الكندي المرعوم أن يعرفوا أن

... معنى "الإضلال" في القرآن هو عمل الرسول على إبعاد المشركين عن ... الوثنية والأوثان وهديهم إلى سبل الحق والتوحيد، وهذا هو المعنى الذي ... استخدمه المشركون فيه. مما يدل على أن الكلمة قد تعني عكس ما تعنيه ... الوثنية تمامًا. فكيف يصر النافون على أن "الضلال" في سورة "الضحى" هو عبادة اللات والعزى؟ في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ... وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٧-٨]. فاختصار معنى الضلال هو عدم استطاعة الشخص من الوصول إلى الغاية الصحيحة بسبب أو لآخر. وكثيرًا ما يحدث هذا لأي منا ... ثم يرجع إلى بيته من طريق هو الذي يعرفه. ولا ينسه ولا يجربون. وهذا ... شواهد من كتابك الذي لا من خلفه ولا من أمامه تنزيل من حكيم حميد ... يضل الأعمى عن الطريق" (التثنية ٢٧: ١٨). والضلال هنا هو الضلال عن ... الطريق). "كف يا بني عن سماع التعليم للضلال عن كلام المعرفة" (الأمثال ١٩: ٢٧). والضلال في هذا الشاهد هو ضلال العلم (الوثنية). "لكن هؤلاء أيضًا ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر. الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر. ابتلعتهما الخمر. تاها من المسكر. ضلا في الرؤيا. تقيآ في القضاء" (إشعياء ٢٨: ٧). والضلال هو نقيض الوعي من الخمر). "إن لم ... لسانك منة حلو، وصل واحدة منه. فلا تزال التلعة والتلعون على ... الحسن ويذهبان بطلب الضال وبين الثلج لا يجدانه. فلحو أقول لكم إنه ... يفرح به أكثر من التلعة والتلعون الذي لم يضل" (متى ١٨: ١٢). "ولا ... علاقة هنا للضلال بالوثنية كما هو جلي). "وكان في الجلوع مناحة كثيرة ... من نحوه. بعضهم يقولون "إنه صبح" والجلوز يقولون "لا. بل يضل ... الشعب"" (يوحنا ٧: ١٢). والكلام في النص عن عيسى عليه السلام. ... لم يكن اليهود يتهمونه بالوثنية بصفة عامة) "لقد كان محمد قبل بعثته

يبحث عن الدين الحق ويبحث في غار حراء بعيدا عن الطريق السليم متوقعا ذلك الحق صافيا دون أي عيش بل هو يوحى إليه وهذا لوحي لا يجوز له من الله إلا من يستحقه. فضل محمد يبحث عن الطريق، لكنه لم يهتد إليه حتى الأنبياء إلا حين اصطفاه الله وجعله نبيا أما غيره فقد أراد أن يكون نبيا، فكل أسبوع قرر شخصي بتحد أن يتنبأ فيكون له ما أراد. ومن هذه الحالات حالة أتباع أبي الخطاب ومسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي. وذلك على عكس ما كان يفعل محمد من البحث المخلص عن الحق دون تطلع إلى أن يكون نبيا. وشتان بين من كان يبحث عن الحق ولا يطمع في عشرة مسألة سوداء وبين غيره مع ذلك. كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي ثم فليكن معنى الآية الكريمة بعد كل الذي قلناه هو ما يقول الكتبي الكذاب. فكيف يقبل عقله الأول ويرفض عقله الثاني؟ إنها تخرب كل محمد ضلالا فهداه الله. لكن الكتبي الكذاب يقبل ضلال الأول ويرفض هداية الثاني أين المنطق في قول إن محمد قبل بضلاله فكفر على بؤس الاضطهاد وبقي ببساطة؟ أو قع به ما كل هذا صحيح لكان حري بقريش على الأقل هو أطيب به أخي لقد دام قد سبق أن كنت ضالا ثم اهتديت فاتركنا نحن على ضلالنا حتى يهديه الله كما هداك ودعنا نعيش بسلام ولا تفرق وبهجرنا فنحن هذا محروم بعدها". لكنهم لم يقولوا له شيئا من ذلك. وعلى كل فقد تبقى أمرهم معه إلى أن دحض الكتبي في دينه ورجع عن كل ما قاله فيه. فنسوا أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم بأن الحق كان معه طول الوقت.

ثم لنفترض ثانية أن كل ما يقوله الكتبي الكذاب صحيح وأن محمدا كان يعتقد الأوثان قبل بعثته لقومه. فماذا لا نعامله أيها الكتبي الكذاب الذي قلت بعصمة السابق به كان يعتقد الغزى مع قومه في جاهلية

قبل أن يصطفيه الله برسالته؟ هل سمعت بإبراهيم عبدالله العُزّى في جاهليته قبل أن يكون نبيا؟ فمحمد لا تجري على لسان ينطق في حالة محمد عليه الصلاة والسلام، وخاصة أن كتابك المقدس لا يرى في مثل هذه الأمور مانعا من أن يكون صاحبها نبيا حتى ولو ارتكبها بعد النبوة. كما هو الوضع في حالة هارون، الذي تقولون إنه رفا بني إسرائيل على عبادتهم العجل أثناء غياب موسى فوق جبل سيناء ربه. بل هو الذي صنعه هم بيديه وشاركهم الرقص عند حوله. وكما هو الوضع في حال سليمان، الذي ساعد بعض زوجاته على ممارسة وثنية في قلب بيته ووفر لهن الأصنام التي يعبدنها. إنها بضاعة حال لا تعتقد بشيء مما يقوله الكتاب المقدس في حق هؤلاء الأنبياء، إلا لمن أردت فقط أن أريح نفسك عن ضمير ذلك لو عدت لأرى القراء مدى تلوث ضميره وكم هيمن النحل وخضوعه لنواعث الشعب المستكنة في أغوار قلبه الأسود.

وفي نهاية المطاف أرى أنه يسعى بإيراد ما قاله في هذه الآية من عجبة صاحب "تفسير النحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، فقد جمع تفسيرها بحسبه قال "ووجدك ضالا عافلا عن الشرائع التي لا تهتدي إليها بعقول فهدى. فهداك إليها. كقوله ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال القشيري "أي ضالاً عن تفصيل الشرائع فهديتك إليها. وعرفتك تفصيلها". أو ضالاً عما أنت عليه اليوم من معالم النبوة. ولم يقل أحد من المفسرين: ضالاً عن الإيمان قبله عياض. وقيل: ضلّ في صباه في بعض شعاب مكة. فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب. وقيل: ضلّ مرة أخرى. وهو صبي فلم يجدوه. فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا، وتضرع إلى الله، فسمعوا هاتفا يُنادي من السماء: يا معشر الناس. لا تضجُّوا. فإن لمحمد ربًّا لا يخذله ولا يُضيعه. وإن محمدا يؤدي تهامة عند شجرة السَّمُر فسار عند

مصب وورقة بن نوفل، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة تلعب بالأغصان والأوراق، وقيل: أصابته مرضعته حليمة عند باب الكعبة حين قدمت به تزوره على عبد المطلب، وقيل: ضلّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب، يُزوى أن إبليس أخذ برمام ناقته في بيئة صنعاء فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل عليه السلام، فنفخ بإبليس نفخة وقع منها في أرض الهند، ورده إلى ناقته، وقوله تعالى: ﴿فهدى﴾ أي فهداك إلى منهج الشرائع المنصوبة في تضاعيف ما يُوحى إليك من الكتاب المبين، ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم﴾.

ثم يقول المدلس الكذاب ما نصّه: "نشأ (محمد) في ذلك الأمر حتى صار في خدمة عمه خديجة بنت خويلد، يعمل فيها بأجرة ويتردد بها إلى الشام وغيرها، إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوجه بها للسبب الذي تعرفه، فلما قوي أمره دعته نفسه إلى أن يدعي النبوة والترؤس على مكة وأهل بلده، فلم يتبعه عليه إلا قليل من الناس، فعندما بلغ ما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول مبعوث من رب العالمين، فدخل عليهم من باب يطيب لا يعرفون عاقبته ما هي، ولا يفهمون كيف انتحل منه، لأنه لا يعود عليهم من ضرر منه، وإنما هم قوم عرب أصحاب بدو، يفهمهم شروط الرسالة وما يعرف علامات النبوة، لأنه لم يُبعث فيهم نبي قط، وكان ذلك من تعبيه لرجل سنقف له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا، وكيف كان أمره. ثم إنه استصحب قوما أصحاب عبادات ممن يصيب الطريق على سنّة السند وعادة أهله جارية عندهم في هذه الجهة، فتصنّع بهم هذا الصنع، وأقبل يبثّ الضلالة ويدلس بعيوب ويسعى إلى المواضع التي ترد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها، فيغيرون عليها ويأخذون العير والتجارات ويقتلون

ـرحال. والدليل على ذلك أنه خرج في بعض أيامه ورأى جملاً مقبلاً من ناحية بني مكة، لأبي جهل بن هشام. ويُسمّي أعراب البادية ذلك جوازاً. فخرج ليتعرّفه على ناحية وجهة الطريق. وكان أوّل خروجه من مكة إلى المدينة بهذا السبب. وهو حينئذ ابن ٥٣ سنة بعد أن دعى ما ذُعي من النبوة بمكة ١٣ سنة ومعه من صحابه ٤٠ رجلاً. وقد نفى كل أذى من أهل مكة لأنهم كانوا به عارفين. فصبروا على جوره لاذعانه النبوة وعلمهم بصحة صدقه من إصابته الطريق فسار مع أصحابه إلى المدينة وهي يومئذ حرب يسكنها قبيلة الأوس صفقاً، أكثرهم يهودٌ لا حرث بها. فكان أول ما افتتح به أمره فيها من العمل ورجمها بصفة النبوة وعلامتها أنه أخذ حديد الذي بالعلامتين يتيمين من بني النجار وجعله مسجداً. ثم بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ٣٠ راكباً من بعض من بلد جهينة يعترض عير قريش وقد جاءت من الشام. فلقي أبا جهل بن هشام في ٣٠٠ رجل من أهل مكة. وافترقوا لأن حمزة كان في ٣٠. فحال بقاء أبي جهل ومن معه، فلم يكن بينهم قتال".

قال بالنسبة إلى دعاء مشاعب بصلاتي بأن الرسول كان يريد بدعوته وأنه لم يشعبه على مراده هذا لا محسوس فمن الواضح أن ذلك الرجل الذي صح تسميته أشعثاً رجلاً أكثر عربي النبوة وهو غارق في الأحلام والأوهام! ترى متى كان ذلك؟ ومن أين لمحمد الذي ادعوه على عرضه ذلك؟ كيف يزعم أن نصفه إلى الرعاية كان غضب زوجه خديجة، مع أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين، وقد يعلم أنه مات إلا بعد بلوغه الأربعين. فمتى كان نصفه إلى الرعاية طول خمس وعشرين سنة لفضلة بين زوجه بها ودعوته الناس إلى الإيمان به؟ ومتى كانت دعوته العرب إلى الدين سهلة ميسورة، وهو الذي قضى نحبه بين ظهرانيهم حتى استقرّ بعقربته بين ه

يُؤْبِهُ أحد سواء أن يصدِّقه وأن يتبع منهجه رجالا ونساءً فتحوا بعده ويشرون في المعمور ربه بتوحيد بعد أن كانت الدنيا كلها تغط في نوم عميق؟ بل لأحق بريدا أن يوقن القراء أن الرسول ما بلغ من النجاح ما بلغ حتى جرد كتيبة من أصحابه حاصرت دون فهم وإدراك بحيث أنه لا يقدر على الكلام إلا قليل من المشركين. على العكس، هذه الدنيا عرضت عليه رياسته وملكه في مقابل سكوته عن أصنامهم وآلهتهم، وذلك كله معروف للناس جميعا، لكنه عليه الصلاة والسلام رفض كل عروضهم في إباء وشمم يشهد له بها كل من قرأ له ترجمة لأقل، على عكس موسى، الذي يرجع من مدين نصرانية وقلب كل شيء فيها رأسا على عقب في توالد عجيب ونقيضهم وعقائدهم!

إن صاحب الأمية يزعم كذبا أن العرب كانوا قوما معتدين صحت عليهم رسولا وخواتم على هذا الوجه حصر على الظهور، وهو أن الله حتم قدره سبق أن بعث في العرب عددا من الأنبياء منهم هود وصالح وشعيب، فلهم إذن يكونوا معتدين على النبوة والأنبياء كما يزعم هذا الجاهل، فكذلك قومهم، في حدهم نبي ومعتهم عليه، كانوا يستنبئون بعودة من الرسل وخواتمهم، إذ كان في جزيرة العربية أهل كتاب يسمع العرب منهم ويعرفون من حديثهم، كما كانوا يتحاورون إلى اليهود في يثرب فكانوا منهم المتعددة في حديثهم عن نبي الله عليه وسلم، بل كان من المسلمين المكيين حديثي أو دراسون نصرانية كورقة بن نوفل وعداس ويسار وجبر، وسلمان الفارسي الذي كان يهود كعبد الله بن سلام، وكانت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها بنت أحد زعمائهم وسمعت حديث بين أبيها وعمها فيمن منه أنهما يصدقان نبوته صلى الله عليه وسلم لكن حسدهما وعصبيتهما لليهودية يمنعانهما من إعلان ذلك للناس

ويدفعهم إلى التشبث بعيسى دينهم. لكن هذا أحد العوامل التي جعلته يؤمن بصدق الرسول وجعلته يؤمن به ويعتنق دينه وتبنى يهوديته وعدائه هي نفسها رضي الله عنه حينما وردت في "سيرة ابن هشام" عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت: كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قطّ مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيَيّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب فمكثا، قالت: فلم يرجعا حتى كاد مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيني، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع. فوالله ما نشط إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت!

وحتى لو كان ما يقوله الكندي صحيحا فإنه يطعن في عيسى، إذ رفضه اليهود، الذين كانوا على دراية بالتوراة والأنبياء، ومن ثم فرفضهم له دليل، حسب كلام صاحبنا، على أنه عليه السلام ليس نبيا حقيقيا. كذلك فالعرب والنبيون لم يقبلوا الرسول على الفور، بل حاربوه وتعنتوا معه ولم يؤمن به منهم في البداية إلا أحبابه وأقرانهم على التحمل والتضحية وأفهمهم ما تحمله من قيم عظيمة، حتى ترك مكة إلى يثرب، التي قبلته لأنها كانت على اتصال باليهود العارفين وعرفت أنه هو النبي الموعود. فسهل ذلك مهمته بينهم، على عكس ما يزعم الكاتب الكندي أن يوهمنا. ثم ما قوله في أن عشرات الملايين من النصارى قد تركوا دينهم وأسلموا في العقود الأولى من تاريخ الإسلام حتى ما هو معروف، ولا تزال تعتنقه دفعة حتى الآن، إذ يدخل في دينه عيسى عليه السلام من أوروبا وأمريكا مفكرون

والعمدة والقناصل والأعوان الكرة ورجال الدين والمدرسيون حتى أصحى عدد المعرضين المسلمين كبير يثير الفزع في قلوب السياسيين والقسوسة وغيرهم من المستقل ، وذلك رغم هول المسلمين بوجه عام وضعفهم الشديد في هذه الدورة السيئة من دورات تاريخهم . ودعنا من بقية بلاد العالم فما قول الكاتب في ذلك ؟ ألا يضرب هذا كلامه رأسا على عقب ؟ أم تراه يقول إن هؤلاء جميعهم مغفلون ساذجون ؟

إن حكاية التربص بغير قريش بمحمد قد حدثت مرة واحدة ، وكان ذلك بعد ثلاثة عشر عاما قضاها الرسول والمسلمون في مكة يرزحون تحت العنت والتعذيب والاضطهاد الوحشي والحصار الاجتماعي والاقتصادي والتشريد والتطريد ، بالإضافة إلى القتل . ومعنى هذا أن التربص المشار إليه وقع بعد النضال الذي واجهه النبي وبعد أن دفعوا الأمرين من قريش وتعرضوا لألوان رهيبة من الاضطهاد والتعذيب كما قلنا . وكان هذا كفيلا بأن يقضي على الدعوة وأتباعها ولا سيما وجوه المشاقة التي كانوا يتمتعون بها على حد قول أن يتحقق بين عشية وضحاها وعد كاد كالعادة حين يجاوز بهم المدى المصري الذي لا يعرف سيرة الرسول وأصحابه أن أول شيء فعلوه في بداية الإسلام هو تبنيهم دون حرج أو دستور هاجموا على قريش وتخريب زعمهم أنهم لم يميزوا منها شرا ولا أذى ، بل حتى منهم المعتدلون والمحرومون وحقيقة الأمر أن القرشيين بعد هذه الأعوام الثلاثة عشر قد أخرجوا المسلمين من ديارهم واستولوا على أموالهم وبيوتهم وشردوهم في الآفاق وبكل ما تملك أيديهم من مهاجرين عند مغادرتهم مكة ، فما قسوة وغلظة واحقاد وتعصبية فوق هذا يعرفها أنبياء بني إسرائيل حسبما كتب مؤرخو العهد القديم . وكلهم قسوة حقيقة لا يعرفون إلا سياسة الاستئصال والتطريد في أمر هذا المرجل ، رغم كل ما قاله عن

العرب ، الذين تهمهم بالعنصرية والسذاجة والمسارعة إلى الإيمان بمحمد دون تفكير لتجردهم من حرية الرأي والأسبقية . بعد فيقول به عليه السلام قد أغنى مثل أذى من أهل مكة لأنهم كانوا يعاقبون ، أي أنهم لم يكونوا من السذاجة بحيث يصدقون أن عليه الصلاة والسلام لأول وهلة . كما أنهم قد عانوا به من صروب الأذى ما دفع الوعد الكندي للاقرار به رغم أنهم به صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي بشرت به قريش بالعدوان والإغارة على قوافلها التجارية .

أما دعاوى أن اليهود هم الذين في يثرب أسلموا لأنهم قوم صفحة لا حول لهم ولا قوة فهو ككل ما يقوله كذب وتحريف لوقائع التاريخ وحقائقه . فقد كان اليهود أصحاب أموال وسلاح وزراعات وبساتين وذهب وحصون وكثير وغرام بالعدد والحديد . وكانوا كذلك أشجع وأشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حفظ لنا السيرة التي مثلهم هم بالعدل والمساواة والأمن والأمان والحرية والكرامة والعدوان متذرعين بدعم حلفائهم الخزرج ، وزعمهم أنهم يكونون من أهل البلاد التي عاهدوا عليها من الشمال كما كانوا دائمي التنقل والتجوال ، يتطوره بأنهم أهل الجدل . فيجب على أساسهم ، لكنهم كانوا أصحاب مؤامرات وكثيرا ما ألبوا عليه الكفار وغدروا حلفهم وتحزبوا عليه ومن دينه وجادلوا في حق ربه سبحانه وتعالى وهددوه بأنه إذا وقف هو في حرب فسوف يقف معهم عندئذ بهم هم الرجال . نعم لقد كان فيهم شجاعة وأصحاب أموال وزراعات وحصون ، ومعهم كل سلاح ، وكانوا يقاتلون ويكثرون ويتكثرون على من حولهم ، وكانوا أحدثوا به فاصل ويثيرون مشاكل ويكيدون ويمكرون من في نسبهم ، فكان يفضحهم ويخجلهم ليردهم له كراهة وغيظ وعلى دينه وشدة بأس ، لكنهم ظلوا في كل مرة أنهم غيظ وحنق في الواقع عنه

[illegible] وهو كذب لكذبة نسبة مثله قوله يتهكم على سيدنا
[illegible] وأن الذين نصروه بمكة إن أول ما افتتح به أمره في مكة من
[illegible] وإظهار بضعة النبوة وعلامتها أنه أخذ يرمد الذي للعلامين المسيح
[illegible] وجعله مسحة [illegible] كذب الناقص يقول هذا يعيرنا بحجة
[illegible] لا تنسحق. مع أن الرسول قد عرض المسيح عن مريدهم وقتل
[illegible] دون مقتل [illegible] به [illegible] بعد ذلك كله لنفسه بل أحده للمسلمين
[illegible] عليه مسحة. ولا بد أن يعرف فرق هذا الهدف كان في الحجر، وهو
[illegible] عيسى عليه السلام. فلم يكونوا عربيين إذن. ومن هنا لم يكن أنبياء
[illegible] يريدون أن يأخذوا نبيا منهم. بعد أن صلى الله عليه وسلم
[illegible] وقتل مع ذلك أحدهم دون مقتل. ودعه من حكاية الأمل التي
[illegible] المسيح بعض أتباعه حسب زعمهم أن يذهبوا إلى إحدى حظائر
[illegible] بها حتى يدخل أو شبه (صفا النبوة التي يزعمون) على أن
[illegible] وكذلك سعوه عليه السلام هو وقوفه على الحقول التي تشبهه
[illegible] عباب أصحابه. وهذه سنة مكتوبة لم أجد فيها نبيا لأنه لم يكن
[illegible] نبي. فضلا عن معجزة تقوى المدعوين في أحد الأوقات بحضور
[illegible] إلا هنا في حالة لا يستطيع كريه لا يمكن أن يسكر أو يوقر أو
[illegible] تسكر في المحمورين أو وضع حتى لا يصدق بهذا ولا ذاك ولا
[illegible] لكنه نوع كذب مدلس لم يعتقده ويدفع عنه. ولا يريد أن
[illegible] في عقده. بل كل ما هنالك أنه يرد على ما يزعمه من مزعمه
[illegible] عليه منهوفة. ولا فخر حل مسيح جدلا لا يخطر له على بال ويؤمن
[illegible] في عظمه. ومن كذب في ذات الوقت أن محمدا هو عبده الأسوة
جميعا!

٦- ولا يكتفي المرفع بتقوله السابق، بل يضيف إليه تقولات أخر

منهم من ذلك مثلا أنه يشترط لكي يصدق نبوة الرسول الكريم أن يكون
مقدور لواحد من أصحابه هزيمة ألف من الأعداء، وأن يكون مقدور
لاثنين هزيمة ربوة (أي عشرة آلاف) كاملة. على نفس المشاكلة التي يكمل
به بها في التوراة لموسى بالنسبة لبني إسرائيل وتحقق على يد يشوع بن نون
لهم بقولهم: وهذا شرط رقيع كما صرحه به صاحب كلامه، وهو ليس صحيح
لهم سوف نرى بعد قليل. ثم إن بني إسرائيل معروفون منذ أول خلقهم
وإلى آخر عصورهم، ولا أحد منهم أو من غيرهم في حروبهم مع محمد، الذي
يتهمونه هذا الرقيع بأنه هو الذي كان؟ فقد رأيناهم يخسرون أمام المسلمين رغم
تفوقهم الهائل بكثرة السلاح وسعة الحصون التي كانت تحت أيديهم ورغم
تصديقهم بأنه متى لقيهم محمد في حرب فسوف يرونه أنهم هم الرجال،
بينهم ساعة أحد لم يكونوا رجالا ولا نساء ولا حتى أطفالا. والحق أن
كلام الرقيع بدكوسي باسكتة التي تقول بأن الرئيس الأمريكي جونسون
وزعيم السوفيتي كاسيجن تعدلا يوما أن السوفيتين هي الدولة المتفوقة
حقيقة روما أم أمريكا؟ فقد جونسون بأن مواطن أمريكي يستطيع أن
يقف في أكبر ميدان عام في أمريكا ويقول ما يشاء. فما يسقط جونسون دون
أن يمسه أي سوء. فما كان من كاسيجن إلا أن قال بدوره: وما المشكلة في
ذلك؟ بل أي مواطن سوفيتي يستطيع أن يقف في أكبر ميدان عام عندنا في
الاتحاد السوفيتي ويهتف بأعلى صوته بسقط جونسون فلا يصيبه أي
أذى. ووجه الرفاعة في كلام ذلك الرقيع هو أن كل جماعة لها ظروفها
وخصوصيتها، وليس لهم أن يحدث لكل منها ما يحدث للأخرى. بل
لهم أن يسمح النبي في يشوع بعد ثلاثة عشر عصيبة التي جاء لتحقيقها وأن
يستطيع قيادة جماعته بذلك، وهو ما تم فيه محمد، على حين أن موسى
مات دون أن يستطيع دخول أرض مقدسة لأن الإسرائيليين كلهم

جعلت قلوبهم وقصدت أن يرفعوا بين هذا وذاك ما يكل كفر ووقاحة: "اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون" فهذا هو المحك الحقيقي لا الذي يعرف به ذلك الرفيع. ثم هلا قال نفسه ذلك الكلام؟ إن بهذا مقدس فكيف أن يسند قوله هذا وما ادعى عيسى عليه السلام؟ وما ادعى أن يكون واحد من أتباعه مؤهلا هو لكل بشر من أعدائه أو مائة أو عشرة، أو حتى واحد فقط؟ وما ادعى قوله أو عمله أو غيرة، وكأنهم قصدوا مسح ودس؟ إن محمدا عليه الصلاة والسلام هو النبي الوحيد صاحب الرسالة العالمية، وهو النبي الوحيد الذي لم تقتصر رسالته على الوحي العقيدة والأخلاقية بل امتدت لتشمل كل أوضاع الحياة، وهو النبي الوحيد الذي نجح في وضع دعوته وصدقها وقيمها موضع التطبيق، وهذا المستشار هارت الأمريكي أحكم عظماء هذه المائة وهذا ما يقوله دائما، إلا أن المنحطين أمثال المسيحي لا يفقهون ولا يفهمون؟

فمن الشرط الذي شرطه ليس شرط رفيع مثله لو كان صحيحا وواقع أنه غير صحيح، فإن شيئا من ذلك لم يحدث على عهد يشوع قط، بل استعمل يشوع وبنو إسرائيل في دخول الأرض المقدسة سرية من الرايات تدعى "الحاب" وخمسين أخفتهم تلك الرية في بيتها لم يعرفه أي من قواد "يشوع". فضلا عن أن أعداء بني إسرائيل قد أوقعوا بهم في البداية هزيمة ساحقة كادت تستأصل هؤلاء أن تقطع دابرهم، إذ سرق بعضهم بعض ما غنموه فاجرين من بلاد عدوهم. فأمر الله برجمهم أحياء! والإشارة إلى هذا موجودة في الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين المنسوبة إلى الله "وإذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل ثمرها، ويدرك درسكم القطاف، ويدرك القطاف

[illegible] فتكلمون حيثما شئتم وتسكنون في أرضكم آمنين وتخلعون سلاحكم في الأرض، فتسلمون وليس من أعدائكم وثبة فوق وثباته من الأرض، ولا يغمز سيف في أعدائكم وتضربون أعداءكم فتقصدون أعناقهم بالسيف بضربة حسنة عليكم منه، ومنة عليكم تضربون بها، وتقطع أعداؤكم أعناقهم بالسيف" ومع هذا فإن هذه الآية، وهي أول هذه السلسلة في يد الإسرائيليين صفة لما بعده مواعيد السفر المذكور، ما تقطع بالسيف بل بالقطع في الأرض حتى تقطع سورية ودجيرها فهذه واحدة، ثم إن هذا النص لا يتفق مع ما قاله الكتبي كما يرى القراء لأن الإسرائيليين هم الذين وعدوا أن يهزم منهم واحد منهم خمسة (لا ألفا) كما في الكتاب، وأن تهزم منه (لا تنس) ربوة، أما ما ذكره هذا النص فلم يكن وعدا من الله لبني إسرائيل بل صفة لكلام أصلا، بل كان استكثار منه سبحانه أن يعتقد هؤلاء الحمقى الجهلة بعقل وضمير أنه سبحانه سيجعل الواحد منهم يهزم ألفا، أو الاثنين ربوة، إذ كانوا قد عصوه مرة وحتى وألبوا عليه كعادتهم المتصلة عليهم طول تهديده وشدته وغرقه لهم عددهم ومعدهم لأنه الآخرين عليهم لذاهم وتفعل بهم الأفاعيل ما خطر ولا يخطر على بال وذلك كله موجود في الإصحاح الخامس والعشرين وما قبله وبعده من سفر التثنية" وهذا هو النص المذكور حتى يتبين القارئ من كذب هذا الكتاب وتدليسه "إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم" لو عقلوا عقلوا هذا وتأملوا آخرتهم" كيف يطرد واحد ألفا، ويهزم اثنان ربوة، إلا أن صخرتهم باعتهم وربنا سلمهم" لأنه ليس كصخرنا صخرتهم، ولو كان أعداؤنا الفصحاء" لأن من حكمة عدونا حكمهم، ومن أمرائه عقلاءهم، عنهم عنا سلبهم، وبهم عدلنا مرارة" "حمارهم حمة الحمار ومن الأصلاب الشوك" وهذا دليل

لفت نظر القراء الكرام إلى ما قاله الكاتب المدلس بمناسبة الذي يتأهل لتقطع من أن يشوع بن نون حين انتصر على أهل أريحا قد استأصلهم استئصالاً: "كان يشوع وقتها يحاصر أريحا، فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتحها على غير عقد ولا عهد، فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى" فهل سمع أحد أن الصحابة قد اعتمدوا يوماً سياسة الاستئصال حين انتصروا على أعدائهم. ودائماً ما كانوا ينتصرون على أعدائهم؟ وأرجو ألا ينسى القارئ ما قلته له قبل قليل من أن بني إسرائيل لم ينتصروا هذه الانتصارة بل بركة الربانية وحدها وخوارقه التي حالتهما في بيتها، وكذلك ينفخ في الأبواق حتى أبهدء بسور أم حكاية هزيمة الواحد ألف أو حتى عشرين فأرجوك أن تتأمل ولا تشغل نفسك بها، فمعروف أن كلام الليل يمحوه النهار ما لم يطبع عليه بحبر حتى يصير

وأخيراً لا يسعني أن يفوتني أن العدد سبعة يتكرر كثيراً في حدوتة أريحا هذه والحمد لله أن لم يجئ ذكر العدد ثلاثة ولو مرة واحدة يتيمة، ولا ما رحمت سعتها الكندي ونصنع رؤوسنا بالكلام عن سر التثليث، وما أدراك؟ وإلى القارئ ما قاله مؤلف السفر في ذلك الموضوع، وهو متاح لمن يريده في الإصحاح السادس منه: "وكانت أريحا مُغلقة مُقفلة بسبب بني إسرائيل لا أحد يخرجُ ولا أحد يدخلُ. فقال الربُّ ليشوع «انظُرْ قد دفعتُ بيدك أريحا وملكها، جبابرة البأس تدورون دائرة المدينة، جميعُ رجال الحرب حولَ المدينة مرةً واحدة. هكذا تفعلون ستة أيام. وسبعةُ كهنة يحملون أبواق الهتاف أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالأبواق. ويكونُ عند امتداد صوت قرن الهتاف، عند سماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتفُ هتافاً عظيماً، فيسقطُ سورُ المدينة في مكانه، ويصعدُ الشعبُ كلُّ رجل مع

وخبه» فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم: «احملوا تابوت العهد واحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب» وقال للشعب «اخترقوا ودوروا دائرة المدينة، ويختر المنحرد أمام تابوت الرب» وكان كما قال يشوع للشعب: اختار السبعة الكهنة حاملين أبواق الهتاف السبعة أمام الرب، وصاروا بالأبواق. وتابوت عهد الرب سائر وراءهم. وكل متجرد سائر أمام الكهنة الضاربين بالأبواق والساقة سائرة وراء التابوت. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق. وأمر يشوع الشعب قائلا: «لا تهتفوا ولا تسمع صوتكم، ولا تخرج من أفواهكم كلمة حتى يوم أقول لكم: اهتفوا فتهتفون» فدار تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة ثم دخلوا المحلة وباتوا في المحلة. فكر يشوع في الغد، وحمل الكهنة تابوت الرب. والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب ساروا سيرا وضربوا بالأبواق، والمتجردون سائرون أمامهم، والساقة سائرة وراء تابوت الرب. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق. ودارُوا بالمدينة في اليوم الثاني مرة واحدة، ثم رجعوا إلى المحلة. هكذا فعلوا ستة أيام. وكان في اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر ودارُوا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات. في ذلك اليوم فقط دارُوا دائرة المدينة سبع مرات. وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب «اهتفوا، لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب. راحبة الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما. وأما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تحرموا، وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلة إسرائيل محرمة وتكدروها. وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدسا للرب وتدخل في خزانة

الرب» ٢٠فهتف الشعب وصرنوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة ٢١وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. ٢٢وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض: «ادخلا بيت المرأة الزانية واخرجا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها». ٢٣فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها. وأخرجوا كل عشائرها وتركوهم خارج محلة إسرائيل. ٢٤وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب. ٢٥واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها، وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم، لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكي يتجسسا أريحا. ٢٦وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلا: «ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا. ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها». ٢٧وكان الرب مع يشوع، وكان خبره في جميع الأرض" فهذه إحدى علامات النبوة كما يقول الكندي المرعوم، وقد فرغنا من إثبات أن ما قاله كذب وتدليس لا حقيقة له.

٧- وثمة علامة أخرى للنبوة ذكرها عقب ذلك مباشرة، ألا وهي معرفة الغيب. وقد استشهد عليها من الكتاب المقدس قائلا إن "قيس أن شاول ضاعت له أتن، فوجه ابنه شاول في طلبها، فذهب شاول إلى صموئيل النبي يسأله، فقال له صموئيل قبل أن يخبره شاول عن ما جاء لأجله: أما الأتن فرجعت إلى بيت أبيك، وأما أبوك فقد شعله الاهتمام بعبستك عن الأتن" فهكذا تكون شروط النبوة التي هي علم الغيب حاصلي

وغيبه بالغيب المستقبل . فتخبر الأنبياء عنه وتذكره قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه مما يُظهر هم الروح القدس بعضي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوات ، مع أن هذا الكلام لا يصح إلا على الغيب المستقبل ، لأن الغيب الماضي قد وقع وانتهى الأمر . ومن ثم لا يصح أن يقال إن الأنبياء تعلم حدوثه قبل مجيئه ، لكن متى كان كذلك يلقيه شيئاً إلى المتلقي وكأنه قد يرى بالصورة والأنبياء في مرتبة الكهان وضاربي الرمل ، فكلما ضاعت ناقة أو سُرقت قطعة حُلي ذهب صاحبها إليه يستعين به على معرفة السارق . إن وظيفة النبي قد تخللت مسار تحلله مع مجيء رعيم الأنبياء والمرسلين ، إذ يكرر القرآن أن محمداً لا يعلم الغيب رغم أنه كثيراً ما أخبر أصحابه عما سيقع في المستقبل وما وقع في الماضي مما لم يكن هو ولا هم يعلمون شيئاً عنه . ذلك أنه كان مع ذلك حريصاً على أن يُفهم الناس أنه ، وإن صدق إليهم كثيراً من النبوءات ، لا يعرف شيئاً منها من تلقاء نفسه ، بل من الله سبحانه . أما وظيفته الأصلية فهي هداية الضمير وتصويب ما انحرف من عقائد وأخلاق وقيم ، وبعث همم الراكدة وتنشيط الأرواح الخامدة وهدم حواجز التي كانت تفصل بين الله والإنسان من كهنة ووسطاء ، وتيسير الدين بدلاً من تعسيره وتغييبه كما كان الحال من قبل ، وتوسيع نطاقه بحيث يشمل أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعلم والثقافة والحرب والسلم ولا يقتصر على العقيدة والأخلاق

فحسب، وحتى أمة من بعده ووضع سدنن و نقيم نقى أتى به موضع نتصيير حيث لا نقى هذه سدنن و نقيم مجرد حبر على ورق أو كلام جميلا نشعوب لا يصنح إلا متندق به في مجالس و لأندية دون إمكان تنفيذه لأنه يخرج من نطاق طبيعة نشرية. ولقد قام محمد بذلك كله حين قيام كما لم يحدث من قبل ولا من بعده على يدى أى نبى أو مصلح. وتعبير مسار حضارة الإنسانية بفضله أبلغ تعبير. هذا هو بحث نسوة حقيقى. أما معرفة مصير حمولة شردت أو نقرة سُرقت أو أن ولدت فليست هذه مهمة لأنبياء. بل وصيفة فارسى نمنحن وصارى الزوج

وإذ كان الكسندى قد ذكر نسو صمويل نصير لأنان نشردة لم يدخل فى مهمة نعرفين وفارنى نصبح وما أشبه. فإن محمد عليه الصلاة والسلام قد أخبر بكثير من أمور الغيب. بكل جلى من ذلك النوع نتافه، بل من أمور الأمم والتاريخ ومصائر حضارات. ألم يقل القرآن للمسلمين إن دينهم سوف ينصر على الدين كله؟ ألم يقل للمشركين إنهم سوف ينفقون أموالهم فى محاربة دين الله ثم تكون هذه الأموال عليهم حسرة ثم يُغلبون؟ ألم يقل إن الروم، وإن هزمت الآن من فارس، سوف تعود فتغلب فارس فى بضع سنين؟ ألم يقل القرآن "سيُهزم الجمع ويولون الدبر"؟ ألم يقل عليه السلام لأصحابه عند خروجهم معه فى عمرة الحديبية إنهم سوف يدخلون المسجد الحرام؟ ألم يقل الرسول إن المسلمين سوف يفتحون قسطنطينية؟ ألم يقل إنهم سوف يأتى عليهم زمان تتكالب الأمم عليهم فيه تكالب الأكلة على قصعتها؟ ألم يتحقق كل هذا بالضبط؟ ألم يقل القرآن له عليه السلام "ورفعنا لك ذكرك"؟ فها هو ذا فى كل لحظة من ليل أو نهار ينادى باسمه من فوق المآذن فى أركان الدنيا الأربعة ويصلى عليه كل مسلم كلما ذكره فى كلامه أو ذكره أحد أمامه؟ ألم يقل ليهود مشركى مكة عددا من الأسئلة لإحراج

الرسول لم يكن يعرف أحد حوائجه إلا هم ، فإذا به يجيب عليه حول لا تجرّ منه الماء؟ ثم ألم يقل الكتاب المقدس مثلا إن عيسى سوف يسمّى "عمدونيل"، فلم يحدث قط أن نادى أحد بذلك الاسم؟ ألم يطلب عيسى التين في غير إبانه؟ فكيف لم يعرف ذلك قبل أن يتطلبه في التينة؟ والعجيب أنه ، بدلا من الإقرار بأنه أخطأ طلب التين في غير موسمه ، يلعن التينة المظلومة فتيبس في الحال ، وكأنها هي المسؤولة عن عدم وجود التين لا سُنّ الكون التي من المفروض أنه هو خالقها أو ابن خالقها!

٨- ثم يتكلم الكندي عن الصراع بين المسلمين واليهود في المدينة ويُظهر الدهشة لأن النبي قد عاقبهم على مؤامراتهم وخياناتهم مبدياً مشاعر الأسف والعطف عليهم رغم استحقاقهم ما نزل بهم ، ورغم أن ما عاقبهم به النبي عليه السلام هو أقل كثيراً مما كانوا يستأهلونه بناء على تشريعات العهد القديم نفسه. فانظر أيها القارئ إلى أي مدى يبعد نفاق ذلك الرجل! لقد كان يريد أن يقصي اليهود على محمد ودينه ودولته وأتباعه. أما ، وقد عجزوا عن ذلك ، فإنه يولول ويصرخ كالنسوان متظاهراً بانتصاره للعدل والرحمة ، مع أنا رأيناه يدافع بشراسة عما صنعه يوشع بالمدن التي دخلها من استئصال وتحريق وتدمير لا يغادر شيئاً إلا محاه من الوجود محواً ، بيوتاً كان أو بشراً أو حيوانات . ولننظر الآن ما يقوله الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر "التكوين" عن التقتيل الذي أوقعه أبناء يعقوب لا بمن اعتدوا على عرض أختهم وحدهم بل بكل سكان المدينة ، والسّبي الذي أخذوه منها والغنائم التي استولوا عليها ، وما خلُوا إليه في سبيل ذلك من أساليب الغدر والخيانة: "وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتْه ليعقوب لتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيمُ ابنُ حمُور الحوّيّ رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذلّها . وتعلّقت نفسُهُ بدينة ابنة يعقوب ، وأحبّ الفتاة

ولاصف لفتاة. فكلّم شكيمُ حمُور أباهُ قائلاً «خُذ لي هذه الصبيّة زوجة» وسمع يعقوبُ أنّه نجّس دينة ابنتَهُ. ولأنّ بنيهِ فكانوا مع مواشيه في الحقل، فسكت يعقوبُ حتى جاؤوا. فخرج حمُورُ أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلّم معهُ. ولمّا بلغ بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرجال، غتاظوا جدًا لأنّهُ صنع فاحشة في إسرائيل بمُضاجعة ابنة يعقوب، وهكذا لا يُصنع. وتكلّم حمُورُ معهم قائلاً «شكيمُ ابني قد تعلّقت نفسهُ بابنتكم. أعطوهُ إيّاها زوجة. وصاهروا بعضكم بعضكم، وأعطوا بناتكم لنا، وخذوا بناتنا لكم، وتسكنون معنا، وتكون الأرض قدّامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملّكوا بها» ثمّ قال شكيمُ لأبيها ولأخوتها «دعوني أجد نعمة في أعينكم، والذي تقولون لي أعطي. اكثروا عليّ جدًا مهرًا وعطيّة، وأعطي كما تقولون لي. وأعطوني الصبيّة زوجة» فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمُور أباهُ بمكر وتكلّموا لأنّهُ كان قد نجّس دينة أختهم. فقالوا لهما «لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنّهُ عار لنا. غير أنّنا بهذا نوافيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كلّ ذكر. فنعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم، ونسكن معكم ونصير شعبًا واحدًا. وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا، نأخذ ابنتنا ونمضي» فحسن كلامهم في عيني حمُور وفي عيني شكيم بن حمُور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر، لأنّهُ كان مسرورًا بابنة يعقوب. وكان أكرم جميع بيت أبيه. فأتى حمُورُ وشكيمُ ابنهُ إلى باب مدينتهم، وكلّما أهل مدينتهما قائلين: «هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة يدين أمامهم. نأخذ بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا. غير أنّه بهذا فقط يوافينا القوم على السكن معنا لنصير شعبًا واحدًا: بختنا كلّ ذكر كما هم مختتنون. ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكلّ بهائمهم لنا؟ نوافيهم

فقط فيسكنون مقفر» فسمع بحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر كل الخارجين من باب المدينة فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن اثنين بقتوب، شمعون ولاوي اخوي دينة، أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. بنو يعقوب على القتلى وهدوا المدينة، لأنهما نجسا أختهما. غنمهما وبقرهما وحميرهما وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه. وسبوا وهدوا كل ثروتهما وكل أطفالهما، ونساءهما وكل ما في البيوت. فقال يعقوب لشمعون ولاوي: «كدرتماني بكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين، وأنا عدد قليل. فيجتمعون علي ويضربوني، فأبيد أنا وبيتي». فقالا: «أتصير زانية بأختنا؟»

ونظير كذلك العقوبات التي أمر الله موسى أن يوقعها بنو إسرائيل المديانيين لا لشيء إلا لأن بعض نساء المديانيين قد زنين مع بعض الإسرائيليين، وهذه العقوبات موجودة في الإصحاحين الخامس والعشرين والحادي والثلاثين على الترتيب من سفر العدد. وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن. وتعلق إسرائيل ببعل فغور فحمي غضب الرب على بني إسرائيل. فقال الرب لموسى: «خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل». فقال موسى لقضاة بني إسرائيل: «اقتلوا كل واحد قومة المتعلقين ببعل فغور». وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدم إلى إخوته المديانية، أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك فينحاس بن العازار بن هارون الكاهن،

قام من وسط الجماعة واخذ رُمحه بيده، ٧ ودخل وراء الرَّجُل الإسرائيليّ إلى القُبَّة وطعن كليهما، الرَّجُل الإسرائيليّ والمرأة في بطنها. فامتنع الوبأ عن بني إسرائيل. ٨ وكان الذين ماتوا بالوبإ أربعة وعشرين ألفًا. ٩ فكلَّم الرَّبُّ موسى قائلاً: ١٠ «فينحاس بن العازار بن هارون الكاهن قد ردَّ سخطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم حتَّى لم أُفْنِ بني إسرائيل بغيرتي. ١١ لذلك قُلْ هأنذا أُعطيه ميثاقي ميثاق السَّلام، ١٢ فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت الدَّهْر، لأجل أنَّه غار لإلهه وكفَّر عن بني إسرائيل». ١٣ وكان اسمُ الرَّجُل الإسرائيليّ الذي قُتل مع المِدْيانيَّة، زمري بن سالو، رئيس بيت أب من الشِّمْعونيِّين. ١٤ واسمُ المرأة المِدْيانيَّة المقتولة كزبي بنت صُور، هو رئيسُ قبائل بيت أب في مِدْيان. ١٥ ثُمَّ كلَّم الرَّبُّ موسى قائلاً: ١٦ «ضايقوا المِدْيانيِّين واضربوهم، ١٧ لأنَّهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فغور وأمر كزبي أختهم بنت رئيس مِدْيان، التي قُتلت يوم الوبإ بسبب فغور». ١٨ وكلَّم الرَّبُّ موسى قائلاً: ١٩ «انتقم نقمة لبني إسرائيل من المِدْيانيِّين، ثُمَّ تُضمُّ إلى قومك». ٢٠ فكلَّم موسى الشَّعب قائلاً: «حرِّدوا منكم رجالاً للجُنْد. فيكونوا على مِدْيان ليجعلوا نقمة الرَّبِّ على مِدْيان. ٢١ ألفًا واحدًا من كلِّ سبطٍ من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب». ٢٢ فاختير من ألوف إسرائيل ألفٌ من كلِّ سبطٍ ألفًا ألفًا عشر آلافٍ مُحرَّدون للحرب. ٢٣ فأرسلهم موسى ألفًا من كلِّ سبطٍ إلى الحرب، هُم وفينحاس بن العازار الكاهن إلى الحرب، وآنية القُدْس والأبواق الهُتاف في يده. ٢٤ فتجنَّدوا على مِدْيان كما أمر الرَّبُّ وقتلوا كلَّ ذكر. ٢٥ وملوك مِدْيان قتلوهم فوق قتلاهم: أوي وراقم وصُور وحُور ورابع خمسة ملوك مِدْيان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسَّيف. ٢٦ وسبى بنو إسرائيل نساء مِدْيان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم

وكُلّ أملاكهم. ١٠ واحرقوا جميع مُدنهم بمساكنهم، وجميع حُصُونهم بالنار. ١١ واحذوا كُلّ الغنيمة وكُلّ النهب من الناس والبهائم. ١٢ وقال إلى مُوسى والعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة بين المحلّة إلى عربات مُوآب التي على أُرْدُن أريحا. ١٣ فخرج مُوسى والعازار الكاهن وكُلّ رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلّة. ١٤ فسخط مُوسى على وكلاء الجيش، رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جُند الحرب. ١٥ وقال لهم مُوسى «هل أبقيتُم كُلّ أنثى حيّة؟ ١٦ إنّ هؤلاء كُنّ لبني إسرائيل، حسب كلام بلعام، سبب خيانة للرّبّ في أمر فغور، فكان الوبأ في جماعة الرّبّ. ١٧ فالآن اقتُلوا كُلّ ذكر من الأطفال. وكُلّ امرأة عرفت رجلاً بمُضاجعة ذكر اقتُلوها. ١٨ لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مُضاجعة ذكر أبقوهنّ لكُم حيّات. ١٩ وأنتم اسكنوا خارج المحلّة سبعة أيام. وتطهّرُ كُلّ من قتل نفساً، وكُلّ من مسّ قتيلاً، في اليوم الثالث وفي السابع، أنتم وسبيكُم. ٢٠ وكُلّ ثوب، وكُلّ متاع من جلد، وكُلّ مصنوع من شعر معز، وكُلّ متاع من خشب، تُطهّرونه». ٢١ وقال العازار الكاهن لرجال الجُند الذين دخلوا للحرب: «هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرّبّ مُوسى: ٢٢ الذهب والفضّة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص. ٢٣ كُلّ ما يدخُل النار، تُجيزونه في النار فيكون طاهراً، غير أنّه يتطهّر بماء النجاسة. وأمّا كُلّ ما لا يدخُل النار فتُجيزونه في الماء. ٢٤ وتغسلون ثيابكُم في اليوم السابع فتكونون طاهرين، وبعد ذلك تدخُلون المحلّة». ٢٥ وكلّم الرّبّ مُوسى قائلاً: ٢٦ «احص النهب المسبيّ من الناس والبهائم، أنت والعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. ٢٧ واقسم النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب، وبين كُلّ الجماعة. ٢٨ وارفع زكاة للرّبّ من رجال الحرب

لِلْخَارِجِينَ إِلَى الْقِتَالِ وَاحِدَةً. نَفْسًا مِنْ كُلِّ خَمْسِ مِئَةٍ مِنَ النَّاسِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ ٢٩مِنْ نِصْفِهِمْ تَأْخُذُونَهَا وَتُعْطُونَهَا لأَهَارُونَ الْكَاهِنِ رَفِيعَةً لِلرَّبِّ. ٣٠وَمِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَأْخُذُ وَاحِدَةً مَأْخُوذَةً مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ، وَتُعْطِيهَا لِلاَّوِيِّينَ الْحَافِظِينَ شَعَائِرَ مَسْكَنِ الرَّبِّ» ٣١فَفَعَلَ مُوسَى وَأَهَارُونُ الْكَاهِنُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ٣٢وَكَانَ النَّهْبُ فَضْلَةَ الْغَنِيمَةِ الَّتِي غَنَمَهَا رِجَالُ الْجُنْدِ: مِنَ الْغَنَمِ سِتُّ مِئَةٍ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، ٣٣وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، ٣٤وَمِنَ الْحَمِيرِ وَاحِدًا وَسِتُّونَ أَلْفًا، ٣٥وَمِنْ نُفُوسِ النَّاسِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ، جَمِيعُ النُّفُوسِ اثْنَيْ وَثَلاَثِينَ أَلْفًا. ٣٦وَكَانَ النِّصْفُ نَصِيبُ الْخَارِجِينَ إِلَى الْحَرْبِ: عَدَدُ الْغَنَمِ ثَلاَثُ مِئَةٍ وَسَبْعَةٌ وَثَلاَثُونَ أَلْفًا وَخَمْسُ مِئَةٍ. ٣٧وَكَانَتِ الرِّكَةُ لِلرَّبِّ مِنَ الْغَنَمِ سِتَّ مِئَةٍ وَخَمْسَةً وَسَبْعِينَ، ٣٨وَالْبَقَرُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا، وَرِكَتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْ وَسَبْعِينَ، ٣٩وَالْحَمِيرُ ثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَرِكَتُهَا لِلرَّبِّ وَاحِدًا وَسِتِّينَ، ٤٠وَنُفُوسُ النَّاسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَرِكَتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْ وَثَلاَثِينَ نَفْسًا. ٤١فَأَعْطَى مُوسَى الزَّكَاةَ رَفِيعَةَ الرَّبِّ لأَهَارُونَ الْكَاهِنِ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ٤٢وَأَمَّا نِصْفُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَسَمَهُ مُوسَى مِنَ الرِّجَالِ الْمُتَجَنِّدِينَ ٤٣فَكَانَ نِصْفُ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْغَنَمِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، ٤٤وَمِنَ الْبَقَرِ سِتَّةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا، ٤٥وَمِنَ الْحَمِيرِ ثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، ٤٦وَمِنْ نُفُوسِ النَّاسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا. ٤٧فَأَخَذَ مُوسَى مِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَأْخُوذَ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، وَأَعْطَاهَا لِلاَّوِيِّينَ الْحَافِظِينَ شَعَائِرَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ٤٨ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مُوسَى الْوُكَلاَءُ الَّذِينَ عَلَى أُلُوفِ الْجُنْدِ، رُؤَسَاءُ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءُ الْمِئَاتِ. ٤٩وَقَالُوا لِمُوسَى: «عَبِيدُكَ قَدْ أَحْصَوْا عَدَدَ رِجَالِ الْحَرْبِ الَّذِينَ فِي أَيْدِينَا فَلَمْ يُفْقَدْ مِنَّا إِنْسَانٌ. ٥٠فَقَدْ قَدَّمْنَا

فَزَالَ الرَّبُّ، كُلٌّ وَحْدَهُ، لِقِطْعَةِ ذَهَبٍ. خُخُولاً وَأَسْوِرَةٍ وَحُلِيِّهِمْ وَأَقْرِطَةٍ وَقَلاَئِدَ، لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نَفْسِ أَمَامَ الرَّبِّ» فَأَخَذَ مُوسَى وَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْهُمْ، كُلَّ الْقِطَعِ مَصْنُوعَةً وَكَانَ كُلُّ ذَهَبِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي رَفَعُوهَا لِلرَّبِّ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفٍ وَسَبْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ شَاقِلاً مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ. كُلُّ رِجَالِ الْجُنْدِ نَهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ لِنَفْسِهِ. فَأَخَذَ مُوسَى وَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَالْمِئَاتِ وَأَتَيَا بِهِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ تَذْكَارًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَامَ الرَّبِّ.

وفي الإصحاح الأول من سفر صموئيل الأول نقرأ نصًا عن مسؤولية بني إسرائيل مع أعدائهم في أمور الحرب: «وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لأَمْسَحَكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تُعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا». فَاسْتَحْضَرَ شَاوُلُ الشَّعْبَ وَعَدَّهُمْ فِي طَلاَئِمَ، مِئَتَيْ أَلْفِ رَاجِلٍ، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مِنْ يَهُوذَا. ثُمَّ جَاءَ شَاوُلُ إِلَى مَدِينَةِ عَمَالِيقَ وَكَمَنَ فِي الْوَادِي. وَقَالَ شَاوُلُ لِلْقِينِيِّينَ: «اذْهَبُوا حِيدُوا انْزِلُوا مِنْ وَسْطِ الْعَمَالِقَةِ لِئَلاَّ أُفْنِيَكُمْ مَعَهُمْ، وَأَنْتُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ مَعْرُوفًا مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ صُعُودِهِمْ مِنْ مِصْرَ». فَحَادَ الْقِينِيُّ مِنْ وَسْطِ عَمَالِيقَ. وَضَرَبَ شَاوُلُ عَمَالِيقَ مِنْ حَوِيلَةَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى شُورٍ الَّتِي مُقَابِلَ مِصْرَ. وَأَمْسَكَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيًّا، وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثِّنْيَانِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ، وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهُ. وَكُلُّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمَهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا. وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ

قبلا. «سمعتُ على أني قد خطئتُ شاول مكد. لأنهُ رجع من ورائي ولم يُقم كلامي». فغضب صموئيلُ وصرخ إلى الرب الليل كلهُ. فبكر صموئيلُ لمقاء شاول صباحًا. فأخبر صموئيلُ وقيل لهُ «قد جاء شاولُ إلى الكرمل. وهوذا قد نصب لنفسه نصبًا ودار وعبر ومرّ إلى الجلجال». وبعد جاء صموئيلُ إلى شاول فقال لهُ شاولُ «مباركٌ أنت للرب. قد أقمتُ كلام الرب». فقال صموئيلُ «وما هو صوتُ الغنم هذا في أذني. وصوتُ البقر الذي أنا سامعٌ؟». فقال شاولُ «من العمالقة. قد أتوا بها. لأن الشعب قد عفا عن خير الغنم والبقر لأجل الذبح للرب إلهك. والباقي قد حرّمناهُ». فقال صموئيلُ لشاول «كُفّ فأخبرك بما تكلم به الرب إليّ هذه الليلة». فقال لهُ «تكلّم». فقال صموئيلُ «أليس إذ كنت صغيرًا في عينيك صرت رأس أسباط إسرائيل ومسحك الرب ملكًا على إسرائيل. وأرسلك الرب في طريق وقال اذهب وحرّم الخطأة عماليق وحاربهُ حتى يفنوا». فلماذا لم تسمع لصوت الرب. بل ثرت على الغنيمة وعملت الشر في عيني الرب؟». فقال شاولُ لصموئيل «بل قد سمعتُ لصوت الرب وذهبتُ في الطريق التي أرسلني فيها الرب وأتيتُ بأجاج ملك عماليق وحرّمتُ عماليق. فأخذ الشعبُ من الغنيمة غنمًا وبقرًا. أولى المحرّم لأجل تذبح للرب إلهك في الجلجال». فقال صموئيلُ «هل مسرّة للرب بالمحرقات والذبائح كما بالاستماع لصوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة. والإصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرّد كخطية العرافة. والعناد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك». فقال شاولُ لصموئيل «قد أخطأتُ لأني تعدّيتُ قول الرب وكلامك. لأني خفتُ من الشعب وسمعتُ لصوتهم. والآن فاغفر خطيتي وارجع معي فأسجد للرب».

فقال صموئيل لشاول «لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب، فرفضك الرب من أن تكون ملكا على إسرائيل». ٢٦ وَدار صموئيل ليمضي. فأمسك بديل جبته فتمزق. ٢٧ فقال له صموئيل: «يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذي هو خير منك. ٢٨ وأيضا نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم، لأنه ليس إنسانا ليندم». ٢٩ فقال «قد أخطأت. والآن اكرمني أمام شيوخ شعبي وأمام إسرائيل، وارجع معي فأسجد للرب إلهك». ٣٠ فرجع صموئيل وراء شاول، وسجد شاول للرب. ٣١ وقال صموئيل: «قدموا إليّ أجاج ملك عماليق». فذهب إليه أجاج فرحا. وقال أجاج «حقا قد زالت مرارة الموت». ٣٢ فقال صموئيل. «كما أثكل سيفك النساء، كذلك تثكل أمك بين النساء». فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال. ٣٣ وذهب صموئيل إلى الرامة، وأما شاول فصعد إلى بيته في جبعة شاول. ٣٤ ولم يعد صموئيل ليرؤية شاول إلى يوم موته، لأن صموئيل ناح على شاول. والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل.

والآن فلنقارن ما صنعه الرسول الكريم مع اليهود بما تأمرهم به شريعتهم أن يصنعوه مع الأمم الأخرى في أمور أهون مما فعلوه مع المسلمين بمراحل ومراحل بحيث لا يوجد في الواقع أي وجه للمقارنة لا بين الجريمتين ولا بين العقابين. ومع هذا يتباكى الأفاق كالنساء نفاقا وتظاهرا بالرقة والشفقة، وإنما هو الكيد لمحمد عليه الصلاة والسلام ولدينه! ولقد يقال إن عيسى عليه السلام لم يكن يعاقب أحدا، بل كان يدعو للتسامح. لكن ينبغي ألا ننسى أنه عليه السلام لم يكن في يده أية سلطة حتى يقال إنه كان يتبع سياسة العفو، إذ العفو لا يكون إلا عن قدرة، وهو لم يكن يملك أية سلطة تخوّله معاقبة الجناة والمعتدين، لأنه لم يكن حاكما ولا حتى قاضيا، بل كان مجرد داعية. ومع هذا فقد قال بصريح اللفظ إنه إنما أُرسل بالسيف والنار

وإثارة الشيخ الواحد بعضه على بعض. كل ما في الأمر أنه لم يكن قد مرّ وقتٌ كافٍ لتحوّله واتساعه من تلقي الأذى إلى الرد عليه بمثله كما تقضي الصيغة الشرعية وأوضاع العمران وقوانينه في كل مكان وزمان. وإلا فسدت الأرض وطغى فيها المجرمون وتكبروا وبغوا وقتلوا الأبرياء وسرقوهم واغتصبوا أموالهم وممتلكاتهم واعتدوا على نسائهم وأخرجوهم من بلادهم وبيوتهم كما يفعلون هم. ولقد صبر النبي محمد وأتباعه في مكة على مدى ثلاثة عشر عاماً لا ثلاثة فقط كما هو الوضع في حالة عيسى، عليهما جميعاً الصلاة والسلام، كما أن النبي العربي لم يكن ينتقم لنفسه قط، فهو أكبر من ذلك بكثير. بل كان يعمل على حماية الدولة الناشئة والأمة الوليدة التي تونسها الريح وتتعرضها السيوف والسهام والرماح من كل جانب، وخاصة من قبل الخونة الغدارين من يهود، أولئك الذين عاهدهم أعظم معاهدة وسوى بينهم وبين المسلمين وأتاهم على أنفسهم وأموالهم ودينهم ومعابدهم واحترم بساتينهم وحريتهم، إلا أنهم أثبتوا أنهم لا يستحقون الدرس أبداً، فأخذوا منذ اللحظة الأولى يتآمرون عليه ويحرّضون المشركين على حربه ويسخرون منه ومن دينه، وهو يعفو عنهم، وبدا اضطرار معاقبتهم أكثر من مرة في حالة الجريمة الفردية، بالتخلص من المجرم وحده في هدوء كيلا يثير فتنة أكبر، وينتهي كل شيء في السر كما كان المجرم يرتكب جريمته في السر، أما في حالة الجريمة الجماعية فكان يكتفي بإخراجهم من بين أظهر المسلمين إلى مكان آخر وحرمانهم من بعض أموالهم. إلى أن وقعت الواقعة في غزوة الأحزاب واقترفوا جريمة الخيانة العظمى للدولة وخططوا مع الأحزاب للقضاء عليه وعلى الدين الذي جاء به ولدولته التي بناها بشق الأنفس، فلما سقطوا حوكموا. وبالمناسبة فهم الذين اختاروا قاضيهم بأنفسهم، وهو سعد بن معاذ، فكان أن حكم عليهم

بقتل خمسة السلاح منهم . أي المتآمرين الذين كانوا يعملون على تدمير الدولة والأمة الناشئة . أما الأولاد والنساء فيُسْتَرَقُّون . وهو ، كما نرى ، حكم أخف كثيرا جدا مما تأمرهم به شريعتهم في معاقبة الأمم الأخرى على أشياء لا تساوي شيئا بجانب ما اجترحوه من جرائم شنيعة! ولو كان الرسول قد عاملهم بشريعتهم لكان قد استأصلهم منذ البداية بمجرد احتراح أي واحد منهم جريمة في حق المسلمين ، لكنه عليه السلام صبر عليهم طويلا وسامحهم كثيرا وعفا عنهم في البداية عقوبات هينة أقرب إلى التدليل منها إلى ما كانوا يؤمنون به ويتدرسونه في دينهم من عقاب . فمن التباكي الكاذب بعد ذلك وانتظار الفعل الخبيث الشنيعة على مجرم وإنهاء صاحب الحق بالقسوة؟ الا إن هذا لقلبٌ للوضع بأكمله رأسا على عقب ، ووضعٌ للهزل في موضع لا يصلح فيه الهزل في قليل أو كثير ، إذ نحن أمام مصير دولة وأمة ، وفي حروب عوان ومؤامرات بشعة خسيسة تريد أن تقضي على الأخضر واليابس ، لا في مباراة للفضيلة!

٩- ويتناول الكندي بعد ذلك ما أصاب الرسول الكريم في غزوة أُحُد من جروح ، ويعدّه دليلا على أنه ليس نبيا ، وإلا لكفّ الله ملائكته وقايته من الأذى الذي أصابه . وهو كلام آخر مضحك . إذ إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدّع يوما أنه محصّن من الأوجاع والآلام والجروح . كما أن نبي الله يحيى قد قُتل وقُطعت رأسه وقُدّمتْ رخيصة على صحن إرضاء لراقصة عاهرة في مشهد مأساوي مرعب كما نعلم جميعا . فلماذا لم يسأل الكنديُّ الأحمقُ العقلَ والضمير نفسه عن السبب الذي منع الملائكة من التدخل لحماية يحيى من هذا المصير البشع؟ وبعد ، ما دامت الملائكة لم تتدخل من أجله ، لم ينفِ هو نبوته كما نفى نبوة محمد لمجرد إصابته بجروح في أُحُد؟ على أن ليس يحيى هو وحده من بين الأنبياء الذي قُتل ، بل قُتل أيضا زكريا

بن سرجيوس بن اشيكل وشنيح . ومرة أخرى يسمي زكريا ويحيى هما وحدهما من بين الأنبياء الذين قتلوا . بل قتل كذلك عيسى عليه السلام حسبما ورد في الكتاب المقدس . وإن كل المسلمين لا يؤمنون بذلك فلقد لم يتسن حتى الآن لأحد أن يثبت بالكتاب والسنة أن الله لم يكتف بملائكته مع حربته فقتله صلى الله عليه وسلم ! بالمئات ، وقد وقعت حربته وهو بجنب الله عيسى . لم يقف عند هذا الحد بل أخذ يتهجم على الألوهية أيضا عندما أنكر على الرسول العظيم أن يكون قد مجرد رسالته بمعنى خروج في معركة حربية لا لمجرد خروج لتلبية أصدقائه شيئا ما بل على الإطلاق بمعنى خروج لتلبية شيء في نفس محمد وقتل وذبح وسفك وانتصر بالحربة في الحب والسحر المرة في حياة عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن ثم صاح الرهب الذي يقطع بهذه النصوص ومرة أخرى بين عيسى ويحيى وزكريا هم وحدهم من بين الأنبياء الذين قتلوا . بل قتل أنبياء آخرون غيرهم طبقا لكلام المسيح الذي سبق أن به على بني إسرائيل وهددهم بمصير أسود كما جاء في الكلام المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرائون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء الذين قتلوا الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة . فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض . من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل " يا أورشليم ، يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء

ورحمة للمرسلين إليهم، كما مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! هوذا بيتكم يترك لكم خرابا. لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب!» (متى ٢٣: ٣٧-٣٩) وهو ما قاله أيضا القرآن الكريم حين تحدث، في أكثر من موضع منه، عن قتل اليهود للنبيين بغير حق. أما محمد فقد تكفل الله بعصمته من الناس كما ورد في الآية السابعة والستين من سورة «المائدة»، فلم يستطع أحد أن يختص إليه رغم كثرة الحروب التي خاضها، ورغم كثرة المتآمرين عليه من المنافقين واليهود والمشركين كراهية منهم لنور الظهر الذي أتى به، ورغم أنه لم يكن يتحصن وراء الأسوار ولا كان يتخذ الجلاوزة ليصدوا عنه الناس.

يقول الدكتور محمد عوض، بشيء من التصرف، في كتابه «محمد» (دار الحرمين للطباعة، القاهرة ١٩٦٠م، ٣٧-٣٨)، الذي خصصه للدفاع عن سيد الأنبياء والمرسلين ضد أمثال الكندي المنافق بل المنصف المفترين على الرسول العربي هو بعينه منصف الأكاديمية الكذب ثم الكذب لا تحصر همك في مستوى واحد من الأفراد، لا تقتصد في أمرك هل يستحيل أن يؤمن ناس بصدق محمد؟ لا تكن عثمانيا صاحا لا تكتف بتجريح رسالته، ولا تقف عند القول بأنه ليس برسول، بل ليكن مرماك أبعد من هذا ليكن مرماك تشويه سمعته باختراع أشياء من الشر، فمن ليس كفء للاحترام من حيث هو رجل من أجل الناس لن يكون كفء لحمل أمانة الرسالة والنهوض بتشريف هدية الله في شخص محمد واعد، ولا تتحرج ولا تقتصد، ولا تتقيد بدليل، ولا تأبه بتقييد، واستغل غفلة الغافلين وجهالة الجاهلين وتحير المعرضين، فلا مأرب لك في نصرة لا نصرتهم، لن يستأنف على الناس برهان، وحسبك ما تشفي به صدورهم

إفكا وبهتانا !

١٠ - ومن بين تلك الأكاذيب التي يرددها الأفاقون أعداء محمد عليه الصلاة والسلام ويتشبث بها صاحب الكتاب كما يتشبث الكلب الأجرب بعضمة بين أسنانه لا يتركها أبدا ، زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين يقول الأفاق " وأما ما كان بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فهي أكره ذكر شيء منها إجلالا لقدر كتابي هذا عن ذكرها ، غير أني أتى بشيء مما حكاه في كتابه الذي يقول به برئ عليه من السماء إذ يقول ﷻ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﷺ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﷺ [الأحزاب: ٣٧، ٣٨]. ظريف والله هذا الأفاق ! لقد بلغ من حيائه أنه لا يريد أن يتكلم في هذا الموضوع ، وكأنه يتحدث مسألة مخجلة لا يصح التحدث عنها ، وليس زواج طبيعي شرعي ليس فيه شيء البتة مما يُستحى منه . فيها لا عند الشواذ. شواذ العقل والتصوير والحس ، بعد في روحه عليه الصلاة والسلام من زينب؟ وهذه في الأمة الغربية التي صافها هذا؟ لا شيء - نعم لا شيء بالمرة . وإلا لما تورع أن يتحدث في الأمر ويعيد ، من النصح للمسلمين ، ومن حسنه للنصح ! ولكن الأمر فالتول بهم يكتبون فيقولون أولا كيف يقدم محمد على الزواج من امرأة ابنه؟ زعم أن زيد ، لكن زوجة ابنه ، ليست بسيط جدا . وهو أنه ، لكن له هناك من أصلا ولا كان له في أي يوم من الأيام ابن بمعنى الزواج . لأن أولاده الذكور منهم كلهم وهم أطفال صغار إلا أن الأفاقين يتابعون جاهلين على فهمهم أن وضع الأمر بالتبني هو نفسه

وضع الأمر الحقيقي. وحتى لو كان الأمر كذلك فقد بين القرآن في تلك الحادثة ما يمحو ذلك الفهم الخاطئ ويبين للمسلمين أنه لا يحق لمسلم أن يستخف به وبما يأتي من عنده. بل لا بد أن يكون ذلك الموقف الذي قد سيدنا هذه الثغرة وإن يجدر به يتحول منه إلى ثغرة على عنيد السبيل عندئذ فقط. ولكنه كان يشبهه، ويمكث أحدهم من زيد. وهذا أيضا كذب مبين وتدليس شنيع، فإنه عليه السلام لم يأخذ من زيد، بل حين سمع من زيد أنه يريد طلاقها قال له: أمسك عليك زوجك، واتق الله. لكن بعد مضي فصلها لأن العشرة بينهما أصبحت مستحيلة، إذا لم تكن روحة خيرا. بل كانت تجد غضاضة في أن يكون زوجها عند سائر بني قبيلة أقل شرفا من قبيلتها. يقولون إن محمدا زار ذات يوم في منزله، وقد ذهب يسأل عن زيد فوقعت في نفسه بوادر. وحين تقول ليكفي ما تقولونه صحيحا. ولكن ماذا كان رد فعله صلى الله عليه وسلم عندما رآها في منزله؟ هل دخل وراءها البيت في غياب زوجها يتبعها وراح يحدثها معها على انفراد؟ وخرج. أبدا. فهذا لم يحدث. إذن ماذا فعل؟ يقولون إنه انصرف وهو يردد بينه وبين نفسه سبحان مقلب القلوب! ويسأل نفسه بدوره وماذا في هذا؟ أليس ذلك دليلا على بشريته حتى إنه يتذكره في ذلك الموقف الذي لا يزول فيه من دليل إلا أنه وحي شهواني؟ وهكذا يقولون بتهورهم وانهماكهم ويتفرعون لأقوالهم. وحين يرد عليهم بأنهم عن دلالة كل شيء يسوقونه إنه صلى الله عليه وسلم لو أن يتضح لمقارئ أن الأمر لا يعدو أن يكون روعة في نفسه. وحين يريدهم من الشعر بيت من أبيات ويقول: وحتى لو كنت قد وقعت من نفسه موقعا. فماذا في ذلك؟ ماذا في أن يرى رجل ما امرأة جميلة فتقع من نفسه موقعا؟ أوكان عليه السلام يحسن ضبطها أو يعمل على إخفاء ما هي تضع عليه؟ أوكان يريدها عن نفسها؟

وشرع يحط عقب ذلك من مهابة الرجل من المرأة؟ أرسل إليها يستقدمها إلى بيته وهي بها؟ أمر على زجها وفتنه بدنها وجسمها إن حريته غير شاعر بهذه الحاجة بدنه؟ أنه لا يدل على ما ألصق في نفوس النبي عليه السلام في ذلك الموضوع ما يمكن تأويله بأحسن مستند؟ أن قوله تعالى "وتخشى الناس، والله أحق أن تخشاه". فهو جوفه صلى الله عليه وسلم من كلام العرب حينئذ يعيب عليه أن يقول إنه تزوج امرأة ابنه، لكن كان لمحمد موقف آخر، ولا بد أن يبدأ أحد الأشخاص لكسر هذا الحاجز الذي أكسبه الرسل رسوخاً لا يقبل المراء، فشاءت السماء أن يكون محمد، فلقد عيبه السلام على مرأى ومسمع من الناس حجر أساس المبنى بعد أن هدم الإله بوذا في بضع ساعات، وكانت أنه تبنى محمد قبل البعثة بسنوات زيد بن حارثة الذي أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أراد أن يزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش فكرهت ذلك أول الأمر ثم رضيت لما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه إياها، ثم أعلمه الله عز وجل بأنه صلى الله عليه وسلم بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمره بخلافها، وكان لا يزال يكون بين زيد وبينها ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا "تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً".

أما الذي لا شك فيه من محاسنه وفضائله وبراءة سيرته في العالمين فهو أن نبي الله موسى لما مضى عنه ما مضى، وكان عند تمام الأربعين، في وقت خروج بني إسرائيل، أن داود أرسل إليه وعبأ معه وجميع إسرائيل، فخرجوا إلى عمّان وحاصروا ربة، وقد داود قواده في أوريا، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من

على سطح امرأة تستحم. وكانت المرأة حسنة المنظر جدًا. فأرسل داود وسأل عن المرأة. فقال واحد «أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي؟». فأرسل داود رسلاً وأخذها. فدخلت إليه. فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. فحبلت المرأة. فأرسلت وأخبرت داود وقالت «إني حبلى». فأرسل داود إلى يوآب يقول «أرسل إليّ أوريا الحثي». فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه. فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لأوريا «انزل إلى بيتك واغسل رجليك». فخرج أوريا من بيت الملك. وخرجت وراءه حصة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين «لم ينزل أوريا إلى بيته». فقال داود لأوريا «أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟». فقال أوريا لداود «بما أن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في خيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟ وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر». فقال داود لأوريا «أقم هنا اليوم أيضًا، وغدًا أطلقك». فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل. وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من وراءه فيضرب ويموت». وكان في محاصرة يوآب للمدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال العدو فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، وماتت أوريا الحثي أيضًا. فأرسل يوآب وأخبر داود

بجميع أمور نحزب ... وأوصى يوشيا فقال «عندما تفرغ من الكلام مع
نبيك عن جميع أمور نحزب ... فبن شتعل عصا الملك، وقال له:
لماذا دلوتك من المدينة بقفار؟ ألم علمت أنهم يرمون من على السور»
من قبل أبيمالك بن يربوشت؟ ألم ألقه مرأة بقطعة رحى من على السور
فمات في تاباص؟ لماذا دلوتم من السور؟ فقل قد مات عبدك أوريا الحثي
أيضا» فذهب يوشيا ودحل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب
وقال يوشيا لداود «قد نحزت عليه بقوة وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا
عليهم إلى مدخل الباب ... ورمى رماة عبيدك من على السور، فمات
بعض من عبيد سيدك، ومات عبدك أوريا الحثي أيضا» فقال داود
ليوشيا «هكذا تقول ليوآب لا يسؤ في عينيك هذا الأمر، لأن السيف
يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على مدينة وأخربها وشددوه» فلما
سمعت امرأة أوريا أن قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها. ولما مضت
مناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابنا
وأن الأمر الذي فعله داود قبح في عيني يهوه ... ومع ذلك فإن الأدفيين
الكذابين لا يجدون في سلوك داود هذا ما يمكن أن يؤخذ عليه، ويجدون في
سلوك الطاهر النقي الذي صدر عن محمد العيب كل العيب! أليس الله قد
غفر لداود وأصبح قريبا منه مسحوبا كما يقولون ويحررون؟ لكن لماذا لم يغفر
الله لمحمد هو أيضا هذا الذنب؟ ولماذا؟ ولله لا أدري. فربما لم يرتكب شيئا
يمكن أن يؤخذ عليه أبدا ما دامت الوحي التي تطرأ منها بأيديهم تصور أنهم
يضحكون على أذقانك ويوقحون وكيف تشوى ضمائرهم النواء لا يمكن إصلاحه
أبدا وأخيرا فلست أنسى في وقاحة أن أقول إن المسلمين لا يقولون ما
يقولونه مخترعو تعهد تعذيبه في حق سيدنا داود، بل يرونه شيئا لا يقبل
أبدا بل كفرا بواحا، وقد سبق أن وجدت أن أحد المدققين قد قال في كتابهم ما لا

بكلمة مخدشة فيها! هذا . ولا تكلمه عن يهود ومرأة منه الحقيقي وزوجه ، ولا عن مضاجعة لوط لابنته بعد أن سقاه خمرا وبات معه الواحدة بعد الأخرى وحبلتهما منه ، ولا عن سفيه الأشيب الذي تقدمه في زعمهم سليمان بن داود قد يعجز قدماء يونان وروما قديما أن يكتبا شعرا مثله في الفحش والإغراء بالفجور . . .

(١١) ومن ريب بني عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عن جميع الصحابة وسعد ودام عن رحمته كل كذوب أو مدع لنكتة بنيم حبيت سبت ، وفيما تقوله السحر المدعى عند سدنة بيوت (الرسول الكريم) مع عائشة وما كان من أمرهما مع صفوان بن المعطل السلمي في رجوعهما من غزوة المصطلق ، بتخلفها عن العسكر معه وقدومه بها من العدد الغفير بقيادة راكبة على راحلته يقودها . وقد قذفها عبد الله بن أبي بن سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة بنت خالة أبي بكر وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش أخت زينب . وتتبع علي بن أبي طالب فيه كلام المتكلمين وعيب المعائبين . فقالا : يا رسول الله ، ما يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثيرة فلم يتفت صاحبنا إلى ذلك لما شدة محبته بها ، لأنه لم يكن في من تزوج من نسائه بكرا غيرها ولا أحدث سنا منها ، فكان هذا من قبله مكان الرضى بما كان من ذلك الأمر كله . وهذا كان سبب العقد تلك العداوة بين عائشة وبين علي إلى آخر حياتهما . ثم قال صاحبنا بنزول براءتها في سورة النور من قوله إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، وتساءل وماذا في آل عائشة منحطة عن الطهارة بعد مصرع بوتيف ، وفي ظنهم أنها في هوادجهم . وكانت قد ذهبت لقضاء حاجتها بعيدا عن العسكر ولما بنسه القائمون على هميه بأنها لم تعد بعد ، فساقوا أدميهم جمل ونصبا مع بقية العسكر . فلما رجعت عائشة ولم تجد أحدا بقيت مكانها وغلبها النوم ولم تشعر إلا

رجال بسببها فقدت من نفسه، وكان هذا الرجل هو صفوان بن المعطل السلمي. الذي كان يشتغل بمقابلة. وما عرف أنها أم المؤمنين ترجع بعيد حتى ركبت راحلته وهو الأثر صريقها إلى المدينة؟ أترى الكذب لكذب كان يريد من عائشة أن ترفض العودة مع صفوان وتبقى وحدها في الصحراء إلى أن يصبح الصباح فتشمس عنها وتموت من شدة الحر إلى أن يعثر بها السيد الخير فيترك بعيره ويذهب بنفسه لإحضارها حتى لا تتهم مرة أخرى لم يرسله لإحضارها؟ أم كل هذا بعد الذي سبق أن قد يكون لا بد من شاهدين أو ثلاثة شهود عدول في الأمور التي تحتاج إلى شهادة يريد من الرسول أن يعرف عائشة دون دليل؟ وهل كل من أتت بفاحشة حتى كانت زينة؟ أليست عائشة تنفي التهمة عنها لو كانت زنت وأراد الله؟ لقد فتح الرسول على زوجته أن يستر عليها فطلب منه أن يوسع عليها في نفقته مثل سائر زوجات المسلمين، لكنها جميعا، وأولهن عائشة، رفضن أن يتركنه رغم حشف عيشهن معه. جاء في "وفيات الأعيان لابن خلكان" "قالت عائشة رضي الله عنها: لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه قال بي: أخبرك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمرانني بفراقه. قال: إن الله قال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها؟ قلت: ففي أيّ هذا أستأمر أبويّ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم قلت له: أخبر أحدا قبلي؟ قال: لا. قلت: لا تخبرهن. فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا". وهو يعلمنا أن نكون رفيقين بالناس نتعاون معهم لا أن نتعسف عليهم بالأحكام الجاهزة. فكيف يمكن أن تكون قد خانته؟ أم يمكن أن من أحب زوجها كل هذا الحب الذي تشي به عباراتها في الفصلين الثالثين تتعاون نفسها أن تخونه؟ جاء في صحيح البخاري وغيره عن عائشة: "فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقلت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسسته، فوجدته راكعا، أو ساجدا، يقول

سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت. فقلت: بأبي وأمي! إنك لتقي شأل. وأبي تقي شأل آخر. وفي "صحيح مسلم" رواية عنها أيضاً: "ما كانت لتقي أن قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه عندي بقلب فوضع رداءه وجلس بعيده فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً ونعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً. فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام. ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك يا عائش؟ حشيا رابية! (تعني بهجب ونفس) قلت: لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير. قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! فأخبرته. قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعني. ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي. فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم. قلت: فكيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون". وفي "صحيح مسلم" وفي "المدكرة" لحمدونية: "أن حمدون" روى عن عائشة رضي عنها أنها قالت: كنت نائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة

بعضهن من شعبان لم تنتهِ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ليس عندنا، فدار في ما يدرك النساء من الغيرة فنفست مرطي أما والله ما كان حرٌّ ولا قزٌّ ولا قطنٌ ولا كتانٌ قيل فما كان يا أم المؤمنين؟ قالت: كان صنعة من شعر، ونخمته من أوبار الإبل، قالت فحركتُ به أصابعه، فانتبه كالمتوجه فسقط عني وجهه من الأرض وهو يقول: سبحانك خالقي وسوادي، وأمنت فؤادي، وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي، أنت عظيم ترجى لكل عظيم، فاغفر الذنب العظيم فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، بينك وبين فلان، وبيني وبين نفسي، فرفع رأسه ثم عاد ساجدًا فقال: أعوذ برحمتك التي أضاءت لها سموات السبع والأرضون السبع من فجأة نقمتك، وتحويل عافيتك، ومن شر كل ذي شر قد ناصيته بيدك، وأعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت بيتي وبي نفسٌ عليل فقال: مالك يا عائشة؟ فأخبرته الخبر، فقال: ويح فلان! أما علمت هذه الليلة؟ ومسح عينيها" وفي "المعجم الكبير": "لأني عبد ربه مثل ذلك" وفي "صحيح البخاري" عن عائشة: "ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل، أو جبريل عليه السلام، أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب" وفي "صحيح مسلم" عنها: "ما غرتُ على امرأة ما غرت على خديجة، وإني هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، وإن أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها" وفي "الجامع الأدب" للنويري المصبح المنير" عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على امرأة ما

غرت على خديجة، وما رأيتها ولكن كان النبي يكثر ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما ذبح الشاة فيقطع منها أعضاء ثم يجعلها في الطبق فيبعثها إلى أصدقاء خديجة فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدل الله خيراً منها؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء" قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً. ثم كيف كان من شكر رسول الله بعد دخول خديجة عشرات السنين، ودون أن يكون هناك ولد منه يشفع عن الزواج والرجال. لو كانت قد وئدت وراءه، عن بدل عيسى أنه لم يكن يوحى إليه بل كان يؤلف القرآن كما زعم؟ بل قل ذلك كله كيف لا تتفق مع عائشة وصفون على مقعد واحد ومكان واحد، وهما يكونان معاً؟ وكيف صمد الاثنتان شيء من شأنه أن يفصل هو على مكتبه في الصحراء فظل وحيدة هناك طوال الليل ثم حتى يسرع الصباح وتشتد حرارة الشمس... ما أدراك ما اشتداد حرارة الشمس في البادية حتى لا تحرق أو حتى يستطيع الإنسان بها أم كيف صمد لا تضاجعهما أحد في ذلك الوضع المحرج؟ وقل ذلك كله هل يمكن أن نشده على هذه الصورة؟ حرة كريمة كعائشة تربت في بيت أبي بكر تعاشر المغفور له رسول الله ولا حتى في الجاهلية، وعند ما أتى ستقيت في بيت النبوة حيث ينزل الوحي على وجهه الذي تؤمن به وتغمى وتغشى في مرضه؟ نسأل الله أن لا إن مشكلتكم أنكم تفتشون عن تشريف لسبلات على ما تعرفون من سيرتكم وسيرة النجاشي من

نسائكم.

ليس من الأفضل للزعماء أن يشعلوا أنفسهم بدلاً من ذلك بقلاب سيارتي كان يرسلها إلى الجو؟ لأجرب المصريات؟ ثم ماذا عن سنة ميلاد السيد المسيح عليه السلام في يوسف النجار وتأكيد أنه لم يوسف فعلاً وعدة أمور جميعها تأتي في يوسف كما رأينا في النصوص التي مرت آنفاً؟ أوليس الأولى بهذا السيد لأنه ما يقولون في القاموس؟ وذهب من بهام شهود تصريح مريم بذلك وقول عيسى إن سفاح، أستغفر الله! إنما هي عيسى في قول عنه أنه لا يزال شيء من هذا سنة سخط فيه أدب ذلك الشخص متحفي ولا، ومع يكتفي ونصوله على عرض عائشة. وهم يعرف أن من كتب حجته من البيض فلا يسعى أن يقذف حال الله واسع بهذا البيض. وكانت العلامة في حالة مريم مبشرة. الا وهي وجود حمل وولادة. خلاف عائشة، التي لم يكن هناك علامة في حالتها بشرية، بل كانت مجرد شائعات مسمومة لأن أحداً لم يحد عنها سوى واحدة تزوجها في عسكر في نفس كذب المفتري الشائع في الفلاني عندما أرسله حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليبصر لباطر مصرية به على ضلت فيصر قال لي عسكر "وقبل إنه دخل يوم فرأى عنده بعض محارمه وهاشمية، فقال له مسهوم: كيف أنت؟ وكيف الأهل والأولاد؟ فقال له ملك، وقد عجب من قوله ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة لك لسان لأمة ومتقدم على عبيده لأمة أن عندك أن سيرة هؤلاء عن الأهل والولد؟ فقال المقوقس أنه لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد وسيرهم؟ فكيف هؤلاء عندك قدس وأجل وأعلى من الله سبحانه وتعالى؟" فرفعت هيبة في نفس الرومي وقال: ينبغي أن طاعة الروم قال له. وتصدق توبيخه أخباري عن قصة عائشة زوج سيكم وما قيل

فيه. فقال له القاضي أبو بكر: هما اثنان قيل فيهما ما قيل. زوج نبينا ومريم ابنة عمران. فأما زوج نبينا فمه تلد. وأما مريم فحملت بولد تخبره على كتمها. وكل قد برأه الله مما رميت به. فتقطع الخاصية وهي تحلف له أنها. بطيعة الحال. لا تقول ما قاله كنة الأخطل وسوء بن مريم وليس جميعا من جوهر. كل ما هنالك أن سبق للأعياء أن يوهم هذه الخلق بن نفخة واحدة من هواء تسقط على الأرض. فوداعي ترب منثور.

وفي صحيح البخاري رواية عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفر أقرع بين أزواجه. فأيهن خرج سهمها خرج بها معه. فأقرع بيننا في غزوة غزاها. فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب. فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل. فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري. فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. وقال الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب. وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفافا. لم يثقلهن اللحم. وإنما يأكل العلقة من الطعام. فلم يستنكر القوم. حين رفعوه. ثقل هودجي فاحتملوه. وكنت جارية حديثة السن. فبعثوا الجمل وساروا. فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منزلهم وليس فيه أحد. فأممت منزلي الذي كنت به. فظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي. فبينا أنا جالسة غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش. فأصبح عند منزلي. فرأى

سوء [illegible] ذاته ذاتي. وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت لاسترجاعه حين أسمع راحلته توطئ بدها وركبتها، فأظل يقود بي الراحلة حتى أنيخ حيث بعد ما يرتاح معرسين في خير عشيرة. فهبك من هنك. وكان أبي تبوأ لإفك عبد الله بن أبي بن سلول. فقدمت المدينة فاشتكيت بها شهرا، والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض. وإنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع. مُتَبَرَّزنا، لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا. وأمرُنا أمرُ العرب الأول في التنزه أو في التنزه. فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم تمشي، فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعي ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضا إلى مرضي. فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوي. وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي، فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية، هوني على نفسك الشأن. فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، وله ضرائر، إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟ فبت تلك ليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله. فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب

فقال يا رسول الله، ما يصنع الله بعذبك، وبه سوء كثير، ومن جاريه تصدقت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال يا بريرة، هل رأيت شيئا يريبك؟ فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منه أمرا أغمصه عليه أكثر من أنه جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويوما حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي، قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، إذ استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت فتشهد ثم قال يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله

عنه. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة. وقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن. فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدّقتم به. ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك. ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة، لتصدقنّي. والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فصبرٌ جميلٌ. والله المستعان على ما تصفون﴾ ثم تحولت على فراشي. وأنا أرجو أن يبرئني الله. ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحي. ولأنا احقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله. فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه الوحي. فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجُمان من العرق في يوم شاتٍ. فلما سُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة، احمدي الله. فقد برّأك الله. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عُصْبةٌ منكم...﴾ الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان ينفق على مِسْطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم...﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم

والله غفور رحيم" فقال أبو بكر بلى والله يا لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري. فقال يا زينب. ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله. أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرا قالت وهي التي كانت تساميني. فعصمها الله بالورع".

وهذه كلمة لا بد من قولها. ألا وهي أنه لو كان محمد بن كذب يختلق القرآن اختلاقا ويزعم أنه يوحى إليه من السماء وبرأ عائشة كذبا كما يزعم الخبيث المستتر تحت اسم الكتبي فلا بد أن يكون له من بين أتباعه من يعرفون حقيقته ويتفاهمون معه ويتعاونون على الناس من هذه الكائنة. إذ لا يعقل أن يقوم وحده بهذه الكذبة الكبيرة دون أن يكون معه من يساعدونه أو دون أن يكتشف حقيقة أمره أحد من أولئك الأتباع الذين كانوا يعذبون في آخر حياته بعشرات الألوف! ومن ثم فقد كان تصرف المنتظر من مثل هذا النبي الكذاب أن يكشف واحد من هؤلاء أن يقتل بن المعطل انتقاما لعرض نبيه شرفه. بيد أنه عليه السلام لم يفعل. فما معنى ذلك؟ كذلك لو كان ابن المعطل قد ارتكب ما اتهمه به المنافقون الأوساخ ثم برأه القرآن. أفكان يصلي على إسلامه وتصديقه بمحمد؟ أوكان يستمر بعد ذلك في الغزو وتعريض نفسه للقتل في سبيل ذلك الرجل الذي يعرف أنه كذاب، إذ برأه هو وعائشة مع أنهما قد ارتكبا الفاحشة التي برأهما منها؟ لكننا نظن محمد عجب عجبا، إذ قد ظل ابن المعطل يشترك في الغزوات مجاهدا في سبيل الله تصديقا بمحمد وحبا لنبيه وخصما لنشره في العالمين. وبقي كذلك حتى كتب الله له الشهادة في فتح الجزيرة سنة سبع عشرة أو تسع عشرة كما جاء في "تاريخ الرسل والملوك" للطبري وفي "تاريخ الإسلام" للذهبي وغيرهما، أو بلى أن تُوُفِّي سنة ستين كما قرأت في "كتاب معرفة الصحابة": "حدثنا أبو

عبد الله الأصبهاني ثنا الحسن بن أحمد ثنا الحسين بن الفرج ثنا محمد بن عمر قال وكان صفوان بن المعطل يكنى أبا عمرو، وأسلم قبل عروة المريسيع، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها الخندق والمشاهد كلها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنيّين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحُدَيْ. ومات صفوان بن المعطل بشمشاط سنة ستين".

وفي "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر: "يقال: إنه أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع. قال الواقدي: شهد صفوان بن المعطل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق والمشاهد كلها بعدها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنيّين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو عمر: كان يكون على ساقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف بعده عن غزوة غزاها. وقال سلمة عن ابن إسحاق: قُتِل صفوان بن المعطل في غزوة أرمينية شهيدًا، وأميرهم يومئذ عثمان بن أبي العاص سنة تسع عشرة في خلافة عمر. وقيل إنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك، والله أعلم. ويقال إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقه ولم يزل يطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، وهو ابن بضع وستين. وقيل: مات سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية".

فماذا يقول الخنزير الكندي والذين يفرحون بالكتاب المنسوب له في الهجوم على رسول الله وتكذيبه؟ لن يقولوا شيئا لأن أمثالهم من الخنازير الأدناس لا يبحثون عن الحق، بل كل همهم هو تلويث الشرفاء الذين يفضحون خرافاتهم وأساطيرهم! أما عائشة أفكانت تظل على تصديقها بزوجها، الذي انكشف أمره حين برّأها، وهي تعرف أنها ليست بالبريئة؟ أفكانت تسارع إلى الإعلان عن تمسكها به عندما خيّرها هي وبقية زوجاته بالبقاء في عصمته

على حشوة العيش أو تسرنجس سرحا هيلا ينتفع بدنيا وزينتها بعيد عنه؟ لم تكن تلك فرصة تعبر تتحقق عائشة من رحمة النعيص الذي لا يملأ عيبه وتفتر بآخر يشبع عوزه؟ فكانت تفضل على وفائه له وتفضل أن تقضي طول عمرها الذي مدد عشرات السنين دون زواج كما يأمرها الضلال الذي كانت تعرف أنه قول مزور فلا تهرب وتنحو منحى هروم أو فارس مثلا وتشارس حبائها بطبيعة هناك كما فعل حمنة بن أبيه حين ناصحته بدين الإسلام في حشوة فتحل هروم في عهد الفاروق؟ هذا، وبي أذكر أن صفوان بن المعطل كان رجلا حصورا كيحيى بن زكريا عليه السلام. أي سبيل به أن في النساء أنه كان رسول الله يثق خطة على رأس الضلال وأفاق بن سلول. الذي نوى الشر لأفك عليه بعدت به. ولا يتهم فرصة عرض الله المسلم يخصص عنه أن يقال أنه ويخلص المسلمين من شره؟ لكنه نظر فوجده عليه السلام يرد هذا الاقتراح ويغير الأمر الكريم أنه سيحرس صحبة أبيه وهرة أخرى لا يثق بل رسول الله عند هذا الحد. إذ نعرف أنه عندما مات ذلك الوغد تقدم رسول الله ليصلي عليه (بعد أن أرسل له عمامته ليكفن فيها بدلا على ضنه وهو يحتضر) ولا أن نقول إن حسبه بهذه عليه الصلاة والسلام أن يصلي على مثل ذلك المجرم. فلو كان الرسول سيا كذابا وروحه معبور في عرضه، كان يتصرف هذا التصرف العجيب في بيته وتسامحه وشموحه فجأة من فضحه بين الناس ومكث به قرابة مدة شهر حتى نزلت آيات سورة النور التي تبرئ عائشة، أو فتقول حتى فكر في أن يذيع بين الناس الآيات التي تبرؤها في تبرئة عائشة؟ وأخيرا فإنه ما من أحد ممن شهدوا في هذه الفتنة قال في حق الصديقة بنت الصديق شيئا يسال منها، بل كلهم شهدوا لها بالخير والنقاء كما رأيت، وأقصى ما قاله علي بن أبي طالب، كي يريح النبي من قلقه، أن النساء

شئون ، وأن في سكن سراري جارية التي كانت تخدم عائشة ، وهذا كل ما هنالك ، ثم هل رأى أحد من هذين الراويين وغيرهما الشائعات شيئا مما أوصوا فيه؟ أهكذا تهون أعراض الناس ، فضلا عن أن تكون الأعراض المنتهكة هي أعراض صفوة الكرام الطيبين؟

وقد نسبه معروف الرصافي (أو من ينحل سمته) في كتاب "الشخصية المحمدية" (دار الجمل للطبع ٢٠٠٢ ، ٣٦٩ - ٣٧٠) إلى نكتة هذه دقته جدا ، وهي أن أم سلمة قد وقع معها ما هو أشد مما وقع مع عائشة ، إذ صحبها عندما بدأت هجرتها الطريق لكنه فجرها من مكة إلى المدينة حتى وصلها إلى زوجها ، بينما كان قد سبقها إلى هناك قبل ذلك بشهور ، ثم تصرف راحلها ، وهذا لا يعني أنه تفهها ، لأنه جرها من يوم فحسب ، بل يوما وبعض يوم دون عدد ، ومع هذا لم يخص في سيرته ولا في سيرتها أحد ، ولذلك لم تكن أولئك زوجة له صلى الله عليه وسلم بل كانت زوجة لأبي سلمة قبل أن تنزل منه ويتزوجها رسول الله ، ولا كان قد تجرب المتفقون واحدا يسوئونه عليه الصلاة والسلام بعد ، فلم يجدوا في الأمر شيئا رغم أنه أشد من أمر عائشة كما قلنا ، بدليل دوام التشيع والإشاعات المتوفرة ، فهذا حرست الألسنة فلم تجد في ذلك شيئا تتحدث مادة للإساءة والإشاعة ، وهذا برهان ساطع شديد السطوع على أن المشيعين على عائشة وصحبه كانوا من السذاجة بحيث لا يمكن ومضاعفة فقائل هذا الكلام لم يكن يؤمن بنبوة محمد بمعنى الذي نفهمه نحن من النبوة ، بل كان يظن أنه صلى الله عليه وسلم على أنه عبقري ملهم ليس إلا ، وهذه قصة هجرة أم سلمة رضي الله عنها كما وردت في "الروض الأنف" للسهيلي "كان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد

الله بن عمر بن مخزوم، واسمه عبد الله. هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة. وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا. قال ابن إسحاق فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن حدثه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل إلي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره. فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت. فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. قالت. وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابنا عندها إذا نزعتموها من صاحبتنا. قالت. فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت. فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها، حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت. فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت. فارتحلتُ بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت. فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال:

أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبُنيّ هذا. قال: والله ما ترك من متروك. فأخذ بخطام البعير وانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا رأيت استأخر ببعيري فحطّ عنه ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا. فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة. قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة". وقد أسلم بين الحديبية بعد ذلك عام الحديبية، رضي الله عنه. وفي "سيرة ابن هشام" أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. فكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة، والله، خير منك". وهذا، في الحق، هو منحى التفكير والشعور الذي يليق بسلالة البشر وكرامتهم لا الذي يهرف به الخنزير الكندي، أو بالأحرى الخنزير الذي يختفي وراء اسم الكندي!

١٢- وهنا يتكلم الكندي المدلّس عن تعدد زوجات النبي، وسوف نتريث من هذا الموضوع أمام بقضيتين: الأولى زعمه أشياء يظن أنها تسيء إلى النبي عليه السلام لم تحدث أصلا. والثانية قوله إنه ما من نبي قبل محمد قد عدد زوجاته. فأما الأولى فمنها قوله إن أم سلمة، عندما عرض عليها الرسول الزواج، قد تحججت بأن أهلها لن يزوّجوا به روجا. وهو افتراء

رحبض يؤكد مع غيره من الافتراءات التي لا تنتهي من جانبهم عليه صلى الله عليه وسلم أن القوم كانوا حمقى لا يفرقون بين الوجه عبقري الخلق لا يستحون ذلك أن شيئا من هذا لم يحدث على الإطلاق ثم من من المسلمين في ذلك الوقت لم يكن يشعر بأن إصهاره إلى النبي عليه السلام هو الشرف كل الشرف؟ أويظن عاقل أنه كان هناك مسلم وقتذاك يمكن أن يرى نفسه أفضل من رسول الله؟ لقد أتى أبو سفيان بنته أم حبيبة أم المؤمنين في بيتها بالمدينة يحاول أن يخرج من المأزق الذي وجد نفسه فيه بعد كسر قريش لعهد الحديبية، فما كان منها إلا أن طوت عنه فراش رسول الله، ثم حجبته بالسبب الذي حداها أن تصنع هذا، وذلك حين تظاهر بأنها قد تكون فعلت ذلك لأنها ترثأ به أن يمسه فراش الرسول، بيد أنها صكته في وجهه قائلة إنها بالعكس ترثأ بفراش رسول الله أن يمسه هو وهذا مجرد مثال وقد رأينا كيف أن أمهات المؤمنين، حين عرض عليهن رسول الله أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة أو يخترن الدنيا والتوسعة في النفقة ويسرحهن سراحا جميلا، كان اختيارهن جميعا دون تلجلج أو إبطاء هو الله ورسوله والدار الآخرة الوحيدة التي أسرعت في ردها على رسول الله حين عرض عليها الزواج طبقا لإحدى الروايات هي أسماء بنت النعمان الجونية، التي ندمت وبقيت طول عمرها نادمة على هذا الموقف الأحمق الذي اتخذته، وكانت شؤما على قومها الذين أسلمهم ذلك التصرف منها ومع هذا فإن رسول الله لم يمسها بأي سوء ولا حتى في قلبه بسبب ذلك الموقف منها شيئا، بل متعها وسرحها بإحسان ورد إلى أهلها معززة مكرمة ولو كان هناك ذنبا أو قليل الشخصية بكل به ويتوهم والرجل بهم من التعذيب ما يجعل منهم عبرة للناس جميعا وهذه إحدى روايتي الحديث الخاص بزواجه بها، وهي عن أبي أسيد، وتجري هكذا "تزوج رسول الله صلى الله عليه

وسلم أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فحملت بها، فقالت حفصة لعائشة احتفظي أنت، ولا أستطيع، فتعلمت ثم قالت لها إحداهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك. فقال بكمه على وجهه فاستتر به، وقال: عُذْتِ بمعاذ، ثم خرج علي فقال يا أبا أسيد، الحقها بأهلها ومتعها برازقيين. فكانت تقول: دعوني للشقية. أما الرواية التي قالت له فيها "وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟" والتي لم يورد بكتابه سواها فيفهم منها بكل وضوح أنه عليه السلام كان قد تزوجها. فكيف يقول لها وهو قد بنى كما جاء في تلك الرواية هبي نفسك؟ أيطلب منها أن تهبه نفسها، وقد كانت زوجته فعلا؟ وكيف يقول لها: هبي نفسك، وقد كان يستطيع تدبير مهرها، إذ كانت مهور النساء، وخاصة مهور النبي، قليلة لا تكلف صاحبها عنتا؟ ثم هل كان الرسول عليه السلام من السُوقة؟ وهل كانت الجونية ملكة؟ فملكة على من؟ الحق أنه لم يكن هناك ملكات عربيات آنذاك أصلا. فكيف تكون هي ملكة؟ بل هل كان أبوها ملكا؟ كلا. إذن فكيف تقول له إنها ملكة، ثم لا تقف عند هذه الدعوى، بل تضيف إليها أنه سوقة؟ بل كيف يمكن أن نخصص في حقه عليه السلام، وقد كان للعرب، أو لجزء كبير منهم، يطيعونه ويملكون عليهم؟ وهل يمكن أن نجهل أو نتجاهل أن نتغافل عن هذا كله ونقول إنه سُوقة. اللهم إلا إذا كانت خلافة الدولة قد استولت عليه استيلاء؟ لكن هل هذا ممكن، وبخاصة أن أحدا من العرب، رجلا كان أو امرأة، لم يقل في حقه عليه السلام شيء من ذلك؟ ولكن من هي في نهاية المطاف حتى يشعر تجاهه رسول الله تماما يشعر به أبو بكر ولا أبو سفيان ولا عمر أو سهيل؟ خلاصة الكلام أن في نفس من هذه الرواية أشياء، وبخاصة أنها تناقض الأولى التي تقول إن بعض أمهات المؤمنين قمن على تهيئته

المرسلون، أما هنا فإنه عليه السلام يراها في أحد السابقين بعيدا عن ساحته أي أن الأمر لم يكن قد وصل إلى درجة تهمتها له صلى الله عليه وسلم. ثم إن صاحب "فتح الباري" يورد رواية لابن سعد بأنه عليه السلام "لقي مع أبيها على مقدار صدقها وأن أباها قال له: إنها رغبت فيك وخطبت إليك وقد وجدتُ في التوراة والإنجيل أن كثير" أنه عليه الصلاة والسلام "يتزوج أحب بني الحمراء الكندية من أجل بياض (أي بهق) كان بها" وبهذه المناسبة فهناك اختلافات حول اسمها، وحول بعض التفاصيل الخاصة بقصتها. وقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ستين للهجرة في كتابه "الكامل" وفيه توفيت الكلابية التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم، حين تزوجها فطلقها، وكانت قد أصابها جنون" وهذا كله لا يساعد على الاطمئنان إلى ما تشبث به الكندي في شأنها من رواية هي مجرد رواية واحدة بين روايات أخر كما نرى.

أما الظروف التي أحاطت بزواجه من أم سلمة وليكها أبو أمية المخزومي، وهو يتبين أن الكندي كذلك أثار بقول ابن الجوزي في "زاد المعاد" "ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهي آخر نسائه موتا وقيل آخرهن موتا صفية" واختلف فيمن ولي تزويجها منه: فقال ابن سعد في "الطبقات" ولي تزويجها منه سلمة بن أبي سلمة دون غيره من أهل بيتها ولما زوج النبيُّ صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة أم سلمة ست حرة. بني حتضم فيه علي وجعفر وزيد. قال: هل جزيتَ سلمة؟ يقول ذلك لأن سلمة هو الذي تولى تزويجه دون غيره من أهلها" ذكر هذا في ترجمة سلمة. ثم ذكر في ترجمة أم سلمة عن الواقدي: حدثني مجمع بن يعقوب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة إلى نفسها

عمر بن أبي سلمة فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ غلام صغير. وقال الإمام أحمد في "مسنده": حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سلمة حدثنا ثابت قال: حدثني بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة أنها لما اختصت عدتها من أبي سلمة بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم إني امرأة غيرى، وبي لصبية، وليس أحد من أوليائي حاضرا الحديث. وفيه فقالت لابنها عمر قم فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فزوّجه. وفي هذا نظر. فإن عمر هذا كان سنّه لما تُوُفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين. ذكره ابن سعد. وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة أربع، فيكون له من العمر حينئذ ثلاث سنين. ومثل هذا لا يزوّج. قال ذلك ابن سعد وغيره. ولما قيل ذلك للإمام أحمد قال من يقول إن عمر كان صغيرا؟ قال أبو الفرج بن الجوزي ونعم ما قال أحمد قال هذا قبل أن يقف على مقدار سنه. وقد ذكر مقدار سنه جماعة من المؤرخين. ابن سعد وغيره. وقد قيل إن الذي زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ عمها عمر بن الخطاب. والحديث قم يا عمر فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسمّت عمر وسمّت أم سلمة ينتصبان في كتب. فوهم عمر بن الخطاب بن علي بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، فوافق اسمُ ابنها عمر اسمَه، فقالت: قم يا عمر فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن بعض الرواة أنه ابنها فرواه بمعنى وقال: "فقالت لابنها". وذهل عن تعذر ذلك عليه لصغر سنه. ونصيرُ هنا وهمُ بعض الفقهاء في هذا الحديث وروايتهم له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قم يا عمر فزوج أمك. قال أبو الفرج ابن الجوزي وما

عرف هذا في هذا الحديث. قلت: وإن ثبت فيحتمل أن يكون قاله على وجه المداعبة للصغير، وقد كان له من العمر يومئذ ثلاث سنين، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها في سنة أربع، وماتت وعمر تسع سنين. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر نكاحه إلى ولي. وفي "الإصابة" لابن حجر: "عن أم سلمة قالت: لما انقضت عدتي أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تزوجه فبعث إلي صلى الله عليه وآله وسلم يخطبها عليه، فقلت لحاجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني امرأة غيرى وإني امرأة مُصْبِية، وليس أحد من أوليائي شاهد، فقال قل له: أما قولك: "غيرى" فسأدعو الله فيذهب غيرتك، وأما قولك: "إني امرأة مُصْبِية" فسيكفى صبيانك، وأما قولك: "ليس أحد من أوليائي شاهد" فليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك. فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجه". وفي "نصب الراية للزيلعي": "قالت أم سلمة: لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمني بينه وبين حجاب فحصب بي نفسي، فقلت: يا رسول الله، إني امرأة أدخر في سني، وإني أم أيتام، وإني امرأة شديدة غيرة، فقال عليه السلام: أما ما ذكرت من غيرتك فسيدفعها الله، وأما ما ذكرت من يُتمك فعلى الله وعلى رسوله". قلت: فأنت أنه في نفسي فتزوجني". فما جاء في زواجه صلى الله عليه وسلم بأم سلمة، فأين تعلقهم بأن أهلها لا يوافقون على أن يكون عليه السلام قد زوجها؟ وكيف تقول له صلى الله عليه وسلم ذلك، وهي التي كانت تتوق أن تكون من أهل البيت كما روت بنفسها؟ ففي "شرح السنة" للبغوي مثلا "عن أم سلمة قالت: في بيتي أنزلت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾. قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال

هؤلاء أهل بيتي. قالت: فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله". وفي "صحيح" مسلم عن عمر بن أبي سلمة: "لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم، هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: "أنت على مكانك، وأنت على خير".

وأما قوله: "ست حجش فقد زعم الكلبي أن رسول الله "بعث إليها بضبين في لحم ثلاث مرات، فرفه في وجهه فهجرها وهجر نساءه سبعة أيام، ثم إنها مرت به فهم بالكلام، فرفه فخرت بنات، والملعون إنما يجري على سنة قومه في التزوير والتزيين كما تقدم، فكل هذه الخرافة كانت من أن رسول الله قد حلف ألا يدخل على واحدة شهرا، فلم يصبر فدخل عليه بعشرين يوما، معتمدا هذا الكلبي ساقط يجهل أن الشهر كان قبلا تسعة وعشرين يوما، فالشهر القمرية تتراوح بين تسعة وعشرين وثلاثين يوما كما هو معروف، لكن الكلبي يتجاهل ذلك تعرضا في نفسه خبيث وتمنيا له حال فلا دعى أبا الكلبي أن تكون حسب إلى هذا الحد، فمتى تتصور كذبة بالغيرة على اسم الله وتتهم رسول الله بالحنث في قسمه؟ وهذه حنث في قسمه، بل هو في الكفارة مخير، وهذه هي ذي بعض الأحاديث التي تتمنى سقوطه على زينب رضي الله عنها ومدى تعلقها برسول الله وتمسكها بالدين الذي جاء به وبقية التي دعا إليها، أما ما يتقيؤه هذا الحبر فمكانه مزبلة التاريخ التي جاء في "تخريج الكشاف" للزيلعي "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة، فأبت وأبى أخوها عبد الله

فنزلت: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة ...﴾، فقالا: رضينا رسول الله فنكحها إياه وساق إليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدًّا من طعام وثلاثين صاعا من تمر". وفي "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه "لما انقضت عدة زينب بنت جحش، وضعها عليها يومئذ خبزا ولحما، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء" وفي "صحيح الترمذي" "نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ قال: فكانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهلوكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات" وفي "البحر الزخار" للبزار "أن عمر كثر على زينب بنت جحش أربعا، ثم أرسل إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدخل هذه قبرها؟ فقلن: من كان يدخل عليها في حياتها، ثم قال عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أسرعكن بي لحوقا أطولكن يدا، فكن يتطاولن بأيديهن، وما كان ذلك لأنها كانت صناعا تعمل ما تصنع في سبيل الله" وفي "فتح الباري" "عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت أحدنا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة، وكانت زينب امرأة صناعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله". وفي "الترغيب والترهيب" للمنذري عن أبي هريرة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنسائه عام حجة الوداع: هذه ثم هذه حجة) ثم ظهور الحصر قال

وأما كنهن بجحش لا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن، وكانتا تقولان والله لا تحرك دابة بعد إذ سمعنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم" وفي "صحيح الترمذي" "وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا (تقصد أنها لم تقل لها شيئا فيه إفك إلا خيرا، وهو مسموح لضرتها أن تتغلب على دينها وصدقها)".

ولكي يعرف القارئ مدى عراقة الكذب والبهتان وأنه لا يكل هذا الحقد ولا يجرح في هجره لأمهات المؤمنين، ولا خصوصية حبيبته في الأمر كما زعم الأفاك الأفاق. أسوق هذه الرواية الحديثة في نفس الواقعة، فعن ابن عباس قال "لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللتين قال الله تعالى "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما" حتى حج وحججتُ معه، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما"؟ قال: واعجبٌ لك يا ابن عباس! هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما، فيأتيني بخبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبتُ على امرأتي فراجعتني، فأنكرتُ أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه، وإن

أحدهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأوعى ذلك وقمت. فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعتُ عليَّ ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت: أي حفصة، أتغاضب إحداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم. فقلت: قد خبت وخسرت! أفتأمين أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكي؟ لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة. قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاءً فضرب بابي ضربا شديدا، وقال: أثمَّ هو؟ ففزعتُ فخرجتُ إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم. قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول. طلّق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه. فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون. فجمعتُ عليَّ ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له وعتزل فيها، ودخلتُ على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلّقكن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا أدري، هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال: كلمت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتُك له فصمت، فانصرفتُ حتى جلستُ مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت لغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعتُ فجلست مع الرهط الذين عند

[illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [

قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير. فبدأ بي أول امرأة من نسائه فخيرنه، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة"

ومما يتعلق بتعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم قول الكتبي يتساءل على سبيل الإنكار والاستنكار "لقد كان صعبًا على الرجل أن يحب امرأة واحدة ويرضيها ولا يسخط حبها، فكيف يكون حال من يريد أن يصرف عاطفته إلى رضى خمس عشرة امرأة وأكثر، مع ما أنت عارف من شغله من تدبير الحروب وتوجيه الجيوش نشر الدعوات؟ فمتى يتفرغ لمضاجعة وملاعبة وتعاهد وجمع الفكر وصرفه إلى أمور الأسرة، وما شاكل ذلك من أعمال الأسياء؟" ثم يضيف قائلًا "ولست أشك في أنه لا نبي فيه يستطيع مثل هذا!" وهذا ودك كذب ورقاعة. ساد؟ أولًا لأن نساؤه لا معنى له إلا أن النبي لم يكن عنده وقت للصلاة والصيام والجهاد وما إلى ذلك، مع أن حياته كلها ذكر لربه وصلاة ومسجد وصيام وجهاد واشتغال بأمور المسلمين. وثانيًا في هذا الكلام عجائب مدهشة، إلا أن ترقيع الكتبي يريد أن يتجاهل حقائق التاريخ التي لا تقبل المراوغة، ثم من قال إن المرأة عدوة لصيقة لله وللدين بحيث لا يمكن للزوج أن يرضي ربه؟ ومن قال إن الرجال لا يستطيعون إلا أن يخضعوا نساءهم ولا تكفيهم أن يستغلوا شخصياتهم؟ أهذه نظرة رجل طبيعي تجاه المرأة؟ إن المرأة للرجل في أبهى يمكن أن تكون مؤنسة متعبدة، ولا كذلك فمن الممكن أن تكون مصدر متاعب وجهاد له أو عاصية له، وأكثر عبيد الله في المنطقة الثانية فليس له عندنا إلا أن نقول أيها الكتبي، لقد كان لكل من إبراهيم ويعقوب وداود مثلًا أكثر من زوجة، وسليمان كانت له عشرات النساء، ولم يكن لكل ذلك نعلم ذلك، فكيف تزعم أنك لا تعلم به فمن كل يصنع هذا؟ ثم لقد كان محمد، كما قلنا، صوامًا قوامًا رحيمًا كريمًا وصولًا تزوجه لا يمنعه أن

كانت له به علاقة ذات يوم، مثل مرضعته ثويبة وبها ومرضعته حليمة السعدية وبنتها وصواحب خدمته. كما كان دائم الجهد والنصب في سبيل الله. وفوق ذلك كان يقوم بواجبات أمر بها فلم لا تُصدق نسبة ما نسب من هذا الواجب له. وهو حكم الأعمى والرسول الأعظم. كان يمكن أن يقرر ليدفع بيده الكريمة بقرة من غنى المسلمين. لقد كان صلى الله عليه وسلم مثال الأعمى لأصحابه والمسلمين من بعدهم في سبيل الحلو والمسلوك والسقوى ومشاعر الكريمة الرحيمة. وهذا يتضح الكذب والمهانة الكذبة التي كان من الواجب أن يشعر الزنديق والمحور بين الزهد والرغبة. وكذلك يوضح فضيلة التعمق في الأدبية والكذب حسب السمع، بقراءة عن تلك الفضائح التي تفجرت في نفسي الأخيرة في أوربا وغير أوربا. ثم مني كل بروح مدمنة. فيم إلا بد كان الشخص الذي يدمنه شاذا؟ وإلا فلم خلق الله النساء؟

١٣ ويعود الكندي مرة أخرى لأن: موضوع العلامات التي على أسنمة تتميز أسوة الصدقة من سورة براءة. حاصل تلك التهمة العظيمة في الأساء بالغيب. وذلك يقف ساذجا على سطحه ويرفع أرجله إلى الأعلى متصورا خفته وجهه وحقده وصيل عضه له يعدل ذلك. ولقد سمع أن نبيا أن النبي. أي نبي! ليس صاحب ودع أو قارئ فنجان. بل هو شرب ومصلح وقائد وقدد. وهذا ما فهمه من سيرة نبيا والتاريخ الحبيل حضير الذي ترك حتفه. أما بد كل هذا سوة من نوع آخر، نوع لا فرق بينه وبين الكهنة والعرافة وفتح الفال فهذا أمر لا صلة له بما نحن فيه. وبحث ذلك المدفع عن أمر آخر يخدمه خدمة ذلك المتحلف مثله! ومع هذا فإن نبيا الكريم، وإن كثيرا في القرآن تكذبه بأنه لا يعلم الغيب، قد حشر أصحابه وأتباعه في القرآن والحديث كثيرهم بكثير من الغيوب التي

وقعت كما قال، لكنها غيبت تاريخية ذات شأن حضر في مسرد الأمم وحضارات، وليست مسائل فقهية كصيح حمار أو سرقة بقرة. ألم يقل إن جنوده سوف ينتصرون على الفرس في بضع سنين؟ ألم يقل إن المسلمين سيفتحون القسطنطينية؟ ألم يقل إن دينه سوف ينتصر على الأديان كلها، وإنه سيتراوح له ما بين مشرق ومغرب ويبقى على هذا في بلاد العرب سوف يسير بها في استدارة لا يخشى عليها إلا الله وحده، وإن المسلمين سوف يدخلون المسجد الحرام آمنين كما كان بينهم وبين قريش حائلة حتى يأمنهم من الخوف ويعمرونه؟ ألم يقل حين رأى في رؤيا حدى غدوه مع [illegible] من بعده كل [illegible] بل لكل ذلك شخص هو أن ذا قعدة؟ ألم يقل إنه سيأتي على أمته يوم يكونون فيه غثاء كغثاء السيل وإن الأمم سوف تتداعى عليهم كأنهم قصعة قصعة؟ وشتان ما بين ذلك وبين الإسلام في عنفوان مده وقوته مما لم يكن يخطر ببال أحد أنه بعد أن يصبح أتباعه مئات الملايين يسيطرون على بعض سوف يجرون صفقة بينهم حتى إذا ما كان هو حادث مثل صفعة الروس؟ ألم يقل في غير ما تحال من شأنه وصلاح؟ ألم يكلم عن تاريخ الكعبة وأنها حرمها الله في الكتب الأخرى كتابة أو غير كتابة؟ ألم يحك كيف أن إبراهيم وإسماعيل قد جددا الكعبة ورفعا قواعدها وبنيا في بعض كتبه؟ ألم يقل إنه من الذبيح من هو يدل على أن إسماعيل وليس إسحاق هو الذبيح، وهو ما يتفق مع ما جاء في العهد القديم مما يستطيع مع ذلك أن يصطرع كتبهم فيما بين إسحاق هو أنه وحيده، مع أن إسحاق هو أكبر وحيد أبيه من إسماعيل؟ ومع ذلك فكل هذا في نبوءة التي صلى الله محمد من بني إسرائيل حيث تتهاوى عنده بعد قرن محمد هذا، لكنه لم يتفق مع الكتاب المقدس من حرف وأساطير وتناقضات يعرفها كل من قرأ بين

[illegible] وبين دفتي الكتاب [illegible] محمد مرة أخرى فأصبحت نسوة على [illegible] فصلى الله وبارك وتصدق وعسكر وأحلاف [illegible] مرة ثالثة فصلى سيدنا وشفع في هذا التطبيق وتشفع فيه في [illegible] في جبينه ولم يتطرق أحد إلى الكتاب الذي أتى به المدعو مسيو [illegible] وتطبق عليه وبرأه لما حدث للكتب الأخرى. أولم يكن محمد [illegible] الكتاب فيه يتشفع هذا الاستثمار. هب في كل أرجاء العالم حتى يبحث فيه الأول. والثاني في عز ضعفهم وشقائهم. كل هذه الأعداد الرهيبة من المخلوقات المهيض والمنبوذ والمأفوك. وخلاصة من بين رجال الدين المكتئبين والمكتئبين والمعدمين والمتسولين؟ ويقول إلى دين موسى كيف وقف هذا؟ فلم يتزحزح إلا بضعة أروح حتى به لا يزيد في النهاية على [illegible] مليون نفس من مئات الملايين. أما دين عيسى فلم يستمر [illegible] سوى حتى بداية مع حدث جمهور الوثني الذي لا [illegible] بالشريعة الموسوية. ونحن ما كنا نريد أن نتطرق إلى هذا الكلام لولا أن صاحب الأحمق قد تعدى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يدع له فرصة للاختفاء إلا أن يرد عليه. ولم نكن نريد أن نتحدث فيه معرفتنا أن كل صاحب دين لا يجب أن يتناوله أحد بالنقد.

[illegible] ونصحت أن الكتاب يسوق الله على الشبكة فيقول إن المسيح [illegible] أن عيسى لم يكن سب. لأنه هو ادعى الألوهية طبعا. والدليل على هذا المقطع هو أنه ما من نبي قبله إلا وصرح بأن الله مرسل من عند عيسى بن مريم. ما يجمع به أهل العهد القديم وكل كتب الأديان الأخرى [illegible] لا أعلم لقارئ إلا مشهد إلى أنبي بأن سحر هذا من هذا الأحمق الذي حسب أن الناس جميعا قد سلموا عقولهم. ولم يقرأ ما قاله السيد المسيح عن [illegible] به. وإنه لا يمكن أن يسجد إلا به؟ هل الله يسجد لنفسه؟

١٥ - ويستمر الكندي في مناورة فيتساءل: "هل أجرى محمد معجزات باهرات؟"، ثم يجيب قائلا إنه "سمعه يقول: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون (سورة الإسراء ١٧: ٥٩) أي يريد أن يكذبوا بالمعجزات كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الأولون من قبلك، لأعطيناك لأنك وأنت تعلم أن هذا جواب مرفوض لا يقنع أحدا، ولا أدري كيف يكون مثل هذا الجواب مرفوضا، وهذا هو الكتاب المقدس يتحدث عن معجزات موسى وعيسى أمام الجماهير، فهل كانت النتيجة؟ ألم يشغب بنو إسرائيل على موسى عليه السلام ويتمردوا على ما جاءهم به ويرتكسوا في أحضان الوثنية كلما سنحت الفرصة؟ ألم تختف عصا موسى فصار ثعبانا؟ وفلق البحر على يد موسى فصار طريقا يابسا؟ وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام؟ وأبرأ الأكمه والأبرص؟ وصنع من الطين طيرا بإذن الله؟ وأنبأ بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟ ألم يشهد اليهود والنصارى بذلك؟ ألم يشهد القرآن؟ فما وجه الخطأ في ذلك؟ وبالمناسبة فقد كان ذلك المشركين الذين كانوا يقترحون المعجزات على سبيل التحدي لا لكي يؤمنوا به، وإلا فقد صنع الرسول عددا من المعجزات للمسلمين دون أن يطلبوها منه أو تتحداه بها، علاوة على ذكرها كتب السيرة والأحاديث. وهذا يصدق ما قاله السيد المسيح عليه الصلاة والسلام حين أخذه الشيطان إلى جبل عال ليعلمه إياه، إذ قال له: "ثم إن إبليس أخذه إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي" (متى ٤: ٨، ٩، ولوقا ٤: ٥، ٦). أم أن المسيح محمد الناصري كيف أتى به عليه السلام كل تلك الملايين المتعبة من المصريين واليهود بدءا من عصره حتى الآن، ومن مختلف القطاعات الشعوب، وبينهم الأحبار والقسوسة والشيوخ والرؤساء والعلماء وكبار رجال القوم حتى من

أمريكا ، فرنسا وبريطانيا والعالم في العصر الحديث ، وهو ما لم يحدث في جميع المذكورة منذ أن بدأ العقل والمنطق والفهم السليم المستقيم لا يمكن أن يعترف به مثل هذا الخلق والنفس والضمير! ثم ما معنى المعجزة التي لم يشاهدها ، وهم يأتون جميعا بعد الفترة الطويلة التي كانت خلالها ساعة وقوعها؟ حتى أنها لا تعني شيئا ، بل من السهل القول بأن الأمر لم يتم كما قيل في الرواية ، وأن الشيء غير عادي لم يقع ، وأن الرسالة لا يمكن أن تكون قد خرجت كذلك من قبل رسالة سيدنا محمد كانت بمثابة العصر الجديد في عصور الحضارة البشرية ، ألا وهو عصر العلم والتحرر العقلي الذي لا يعتمد في الأساس على المعجزات ، وهو العصر الذي يعيش فيه كل المنصفين من البشرية يعيش فيه كمثيلة له ، وهذا ما يثبت أن رسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، قد تضمن القرآن من أوله إلى آخره ، الحث على استخدام العقل والخروج من التعصب والابتعاد عن صوت الهوى المضلة والوقوف لإيمان على التفكير المجرد المستقيم والتأمل في ملكوت الله وبحكمته التي تعلو لأصحاب العقول الصغيرة أمورا معتادة لا تستحق حتى الوقوف إزاءها ولا التفكير في دلالتها على القدرة الإلهية المعجزة وفي هذا يقول الدكتور مصطفى محمود في الصفحة التاسعة والستين بعد المائة من الجزء الأول من كتابه "محمد - رسالة ورسول" ، وكأنه يرد على الكندي المسيحي "لا دعوى ولا دعاء ، ولا مصادرة على حقوق والبراهين ، وإنما هذه هي ما تطمئن به النفس ويستريح إليه العقل ، وصدق من قال:

"ولا يتم الكون العصرية إلا أن يضيف كلمة أخرى إلى الكلمات التي لا تنتهي والتي يتنفسها النفس ، فهو يدعي أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم المستقبل ، وأنه لا بد أن يكون لأنه سيرفع إلى السماء كما رفع المسيح ، بل هو أكثر من ذلك إذ يزكيه على الأرض أكثر من ثلاثة آيات! لكن

...ني قد أرسول الكريم ذلك، وهو الذي كان حريصا دائما على تشديد على مشركيه وأنه ميت مثلهم كما جميع البشر وأن الشمس التي تسجد ...ره ميت الله يرفعه، لكنت مشاركة له في الحزن على الإسلام كله، بل حزب على وجه الله الأرض؟ وها هو ذا القرآن، وهو هي تلك الأحاديث ...ن الكتب، فبينما الكتاب هي أن نص فيهما يقول هذا الذي يزعم أن ...ك الرجل يكذب بكل بوضوح حين على سنة قومه في الكذب والتزييف وفي موت الصحابي الذي كل من الشدة مسمومة في خبر يسمى الكذبي أحدا لا يبدأ محمد به فيحبه كعهده بالأنبياء المتقدمين في حياة ...ونس؟ فإن إيليا نبي قد أحياه الله أمة صرفة (١ملوك ١٧)، وأحيا ...يشع نصيبه إيليا أقام ابن الشونمية من موت (٢ملوك ٤)؟ وأحيا ...ل عيسى بدن ليس أفضل من هذين نبيين، ومن ثم لا معنى لقول ...ه لأنه أحب يونس، ولا فهما أعظم عند الله، ثانيا لماذا لم يصنع عيسى ذلك ...ضد عندما مات يحيى بن إكريا؟ كذلك نعلم من النصارى الملاحدة من ...يتهمون عيسى بأنه قد دس مع من يقدر به أعدائه إلى الحياة أن سمعنا ...ينتصر هو بأنه يحيى يونس، فإن أن معجزة عيسه السلام لا تحسب لأنه ...وأخبر بها الحكمة الحضيرة التي تعود بالنفع على البشرية في أن حي من دون سائر يونس؟ وهل أدت تلك معجزة إلى أية نتيجة؟ كلا، فها هو ذا ...سيح عندما ضلت حسب عقيدة قد نقص عنه، أول من نقص، تلاميذه ويونس الذين أحبهم وأخلص وأخلص وتعلموا الذين عندهم، ...يمنعه من ذلك شيء، أنه لماذا لم يحي نفسه؟ بل ماذا لم يقم عيون أعدائه ...ه كما أعمى الله عيون أعداء نبيه محمد عند هجرته وعند قبرهم على فوهة غار ثور؟

١٥- وبقي أن يقال إن كلام سوف عن حسب التشريعي الذي ينحدد بعثة

[illegible] محمد عليه الصلاة والسلام، إذ يقول خصمه المسلم اليوم
[illegible] في الفقه في مدرسة صاحبك من الشرع والأحكام، فيقول له
[illegible] الشرع والأحكام لم تخرج عن ثلاثة أوجه وإما أن يكون حكم
[illegible] حكماً طبعياً، وهو حكم العقل الذي هو في العقل والطبيعة ويلتبس على
[illegible] حس الناس لا يغيره، ولا يشبهه سواه، وإما أن يكون حكماً طبعياً قائماً في
[illegible] العقل موجوداً في الذكر بقسمه الصغير والكبير، وهو حكم العدل، وإما
[illegible] يكون حكماً شيطانياً، أعني حكم الجور، وهو ضد حكم الإلهي، فالحكم
[illegible] الطبيعي هو حكم الإلهي الذي هو في الطبيعة فهو المتصل الذي
[illegible] جوده المسيح المخلص بعد سيد البشر الذي شهد له صاحبك بقوله
[illegible] «قد جاء الشرهم يسوع أن مزاد فصدقوه بل يسوع من الكتابة والبشارة لا يجيء منه
[illegible] فذلك قوله "وصدقوه بل يسوع من الكتابة، فذلك وجهه بالتفويض [illegible]
[illegible] ذلك المسيح الذي في جبته الصغير أحد أعداء الله، فكل لا يعبأ
[illegible] حسب ما تقتضيه، وضد الأحمر الذي سيقول بكم ويضربكم بالكف
[illegible] الكف الذي في السموات، فهو يشرق شمسه على الأشرار
[illegible] الصالحين، ويمطر على البار [illegible] الفاسقين (متى ٥: ٤٤، ٤٥) فهذا هو
حكم الإلهي، وشبهه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الإنساني، وهو حكم
المحض الرحمة والعفو، وشبهه فعل الله بالوجود برحمته وسخطه، أما
هو حكم الطبيعي وشريعته تشابه في بعض حدودها مع العزيزة، وهذا
حد به موسى النبي نقوله في حكمه «عين بعين، وسن بسن،
ونفس بنفس، وبصرة بصرة» وخرج فقد صار فهذا حكم الطبيعة
يدخل في قانون العقل، وهو حكم العدل والمصلحة أن تأتي الناس مثل ما
تأتي به إليك، وتفعل بهم كما تعاملك به حيث يرون شراً وليس ذلك
مذهب بحكم الإلهي والسخاء ذلك هو حكم الشيطاني الذي هو جور

وشر نعته. فأي هذه الأحكام الثلاثة وأي شريعة جاء بها صاحبك؟ أو قل به جاء بالأحكام الإلهية فإنك قد سفه المسيح إليه بستمائة سنة وقلت به جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وبس النعل فقد سفه بها ذلك موسى النبي فهذان حكمان قد عرفت صاحبهما والذي بهما نفي حكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجوز فهل تقول به جاء بالحكمين معا (يعني حكم المسيح وحكم موسى) وشرحهما في كتابه فالأمر ليس بالنفي والنعل بالنعل وبس بالبس. إلخ كما قال موسى ثم أتبعه بقول المسيح وإن قلت قوله تعالى (سورة المائدة ٢١٨) فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض. كقول القائل "قام قاعدا" و"أمسى مصبحا" و"صحيح سقيم" في حال واحدة وإن أقررت كل واحد من هذين الحكمين واذعنت فلا بدعت لصاحبهما لأنهما ورثاه فصار في البديهة حق مستفاد منهما. ويقولون لك إنك متعد عليه تروم أخذ إرث من أبيه. مع إقرارك أنه لم يكن له حق وأنت أخذته فأنت غاصب لا حق لك. بل إنما أنت مدع في يدك وعندك مما ليس في يديه ولا عندك تعلم أنك صادق في دعواك ولا أصلك ترضى لصاحبك أن يكون تابعا للمسيح وموسى. وأنت ترغم فيه وتدعي من خصوصه وتفرده وشرفه عند رب العالمين، وتحرن على الله وتقول: ولا تستحيك ما خلق الله ولا ذنب له!

هذا ما قاله المسيح فإن حل المسيح الأول من التشريع فتعليق عليه هو أن كل ذلك الحكم جاء عن عمر شريعة قيل بتبيان عيسى؟ أكان الله ناسيا له فتذكره؟ أم كان الله لا يعلم بالشر وشرائعه إلى أن جاء عيسى؟ أم جاء؟ لم تكن يمكن تطبيق ذلك الكلام الذي لا يرتاب عاقل أن يكون أفق حكمة به عن قائل للتقييد، وإلا يصدق بهذا فقط. ومن أقرب الأدلة على ذلك هذه الخطوة المنسوبة على الرسول المفترض أنه عدو للمسيحيين، فكيف يتهمونه

ويعتدون عليه؟ وإذا لا يحبونه ويباركونه ويؤيدونه الحد الأيسر كما تقضي شريعتهم؟ أحق أنه لم يسمع يوما بأن مصريا قد صنع ما تأمره به هذه الأحكام. فما داعيها إذن؟ إنها - لا شك - لكيفية تدمير المجتمعات المشركة والإيقاع بالمحرومين في جرائمها وعقابهم بها تشجيعا لهم كي يبغوا في الأرض بغير الحق ويعيثوا الأحبار ويقتلوهم ويسرقوهم ويكفروا بهم ويعتدوا على أعراضهم ويغتصبوا حقوقهم. وأنت معي قطعا على نوع شتى من التشريع حسب تصنيفه فهو أنه لا معنى له إلا أن موسى قد أتى بحكم مدني من عند نفسه وأن شريعة الله لا تدخل العقل وليس فيها حكمة ولا تكفل تصنيفها، وهو كلام في منتهى الخطورة والكذب. ومعنى هذا أيضا أن ما جاء به موسى يشتمل من عند نفسه تشريعات لم يأذن ولا يرضاها ثم تركه يدعي بها ويدعو إلى تعبدها ويصفها أنها من قبل أن يأتي بتشريعاته هو التي لا يكفل تصنيفها ولا تؤدي إلا إلى الخير. ثم إن عيسى نفسه لم يستصنع تصنيفا، فقد كان يتعبد بشريعة موسى لبني إسرائيل، بل كان يشتد حواريه ويستحثهم في إتباعها كما أن سلامته ورضى ومرضاة الذين شذهم في الصدر وتركوه عندما حدا حدا. فصبروا وشبع دون أن يستحيوا لأنهم ولا أنهم أنصاره لصحيحة وأنه وهو فوق الصليب يتعبد حسب شريعة القوم.

أما الشريعة التي أتى بها محمد فهي شريعة الله سبحانه وتعالى التي تقدم مثلا عفو أولياء القتيل عن القاتل في مقابل الدية أو أجر الآخرة إذا أبوا. وأوجب الله على الزاني والزانية لا بد أن يتعبد بتحقيقهما وهما بالغان. فعندئذ لا يبقى بهما مجتمع ويطل عليهما العقوبة. وهكذا يستمر يزيد المسألة بعض التفصيل فيقول إن ذلك السفيه في آخر كلامه السابق عند حديثه عن نوع ثالث من الشريعة يسأل هاشمي الزهوم

[illegible] فهل تقول إنه [illegible] (وهو حكمين متعارضين هما حكم المسيح وحكم موسى) وشرحهما في كلمة واحدة [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لأخبرتك بحده في التوراة، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها".

وأما بيان ما يقوله التشريع الإسلامي في هذه القضية بالتفصيل، فإننا نجد الآيات التالية من سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ

جميعًا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿٣١﴾ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم ﴿٣٢﴾ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من فضله. والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم

[illegible]. ومن الواضح أن هذه الكريمة تتناول موضوع حديثه، يتطرق به موسى ولا عيسى عليهما السلام. وهو سبب ارتفاع ثمن [illegible] من شأنه تعقيد السبل لارتكاب الزنا. ولذلك الإعلان عن [illegible] لا تهتم بالعقوبات المترتبة على ممارسته دون أن يكون هناك [illegible] على الرغم من أن الإسلام يتخذ موقفًا صارمًا في هذه المسألة. ففي [illegible] أن رجلًا من أسلم جاء إلى رسول الله يشهد على نفسه أنه [illegible] بالزنا فأعرض عنه الرسول. فشهد على نفسه بذلك مرتين أو ثلاثًا. فقال له الرسول: أبك جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم. فقال الرسول: اذهبوا به فارجموه. وهو ما يتفق في الرجم والستر على ما ألمح عليه المسيح عليه الصلاة والسلام، وخاصة إذا تذكرنا أن المسيح نفسه هو الذي يقول فيما سمعناه آنفًا في العهد الجديد: "وأنا أقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه". "وإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم" (متى ٥: ٢٨، ٢٩). مما يدل على أنه قد عفا للعقوبة هنا ولم [illegible] أن تتبعه. ليس هذا فحسب، بل يتعداه إلى أشد الاضطراب [illegible] التحقيق الذي يسبق ويعقب الحكم. وكان الرسول، حين يأتيه [illegible] يعرض عنه ولا يواجهه. بعكس كل سبل التحقيق من [illegible] فعلًا لا نراه. فيقول له مثلًا: لعلك قبلت! لعلك لمست! هل أنت

سكران؟ هل أنت مجنون؟ فلما منه عليه السلام في أن يرجع فيتوب إلى الله ويستغفر الأمر عند هذا حد، لكن عندما جاء نصر على أقواله ويثبت عليه أنه فعلا قد مارس جريمة لا حد مناص في هذه حالة من تطبيق العقاب عليه، ولا فبعت الأمور وفسد المجتمع عن ذلك حديث ماعز في صحيح مسلم "جاء ماعز بن مالك إلى نبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرني. فقال ويحك ارجع واستغفر الله وتب إليه قال فرجع عنه غير بعيد. ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال نبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم أطهرك؟ فقال من الزنى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمرا؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت؟ فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقال يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى نبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم قال ثم جاءه امرأة من غامد من الأزد فقالت يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجعي واستغفري الله وتوبي إليه فقالت أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال وما ذاك قالت إنها حبلى من الزنى فقال لك؟ قالت نعم فقال له حتى

تصنعي ما في بطنك قال فكمنها رجل من الأنصار حتى وضعت فمر بي صلى الله عليه وسلم فقال قد وضعت يا معدية. فقال إذ لا يرجمها ويدع ها وولدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله فرجمها" ليس ذلك فحسب. إذ لا شك أن ما جاءت به الآيتان الثابتان من سورة "النور" هو أيضا شيء جديد لم تعرف شريعة موسى حسبما وصلت في العهد القديم ولا عرف لها عيسى عليهما السلام ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [النور: ٢-٣]

أيمكن أن يصف آدمي عاقل قد خلا قلبه من الحقد والضلال شريعة محمد بأنها شريعة شيطان؟ بل هي شريعة الله بكل يقين، نعم شريعة الله التي لا تفرق بين مسلم وغير مسلم، وتنهى عن عدوان والظلم حتى مع الأعداء، وتحث على التعامل والتكريم وتسأل صاحب الحق عن حقه، وتحرم الخمر والزنا مع الجميع، وتدعو الناس إلى تعمير الأرض وتعلي من شأن العمل، وتحرم عليهم ترك أعمالهم وسطوهم على حقول الآخرين ومصانعهم، ولا ترضى بفقهم شجر الفاكهة بعدم إثماره في غير موسمه تشرع في مناهضة بعقل وقوانين طبيعية بل الإسلام دين يقوم على احترام العقل والعقل وسنن الكون، ومن هنا رأيت أمم النصرانية لا تتقدم ولا تقوى إلا بطرح شرائع الإنجيلية من أولها إلى آخرها لأنها شرائع ناقصة قاصرة مناقضة حادة أما شريعة محمد فقد أوصت بالجار والغريب والفقير والمسكين والمدين والبنيه وقننت ذلك كله في سطور محذدة، ولم تتركه كلاما مسرحا متشعبا لا يمكن تصيده. بل طبقته وأقامت دولا انتعش فيها العلم والتراحم الاجتماعي والصداقة والتضامن الاقتصادي... إلخ. وما زال

... حتى من الدول الغربية الكبرى في عصرنا يدخلون في دين محمد بعد دراسة تعاليمه وتشريعاته وقيمه رغم هوان أهله وضعفهم أمام تلك القوى نفسها. وقد ظل الكندي مزعوم على رأيه من أن شريعة محمد شريعة شيطانية، وشريعة عيسى التي تناقضها شريعة إلهية. كان معنى هذا أن شريعة الشيطان أفضل من شريعة الله. استغفر الله. ثم إن الآية الكريمة التي استشهد بها، خاصة، وصدرها هو ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ومثل هذا يظهر حين يدعي أن رسول محمدا قد اعترف بأن المسيح سيبعث (أي اعترف به هذا!). إذ ليس في القرآن ولا في الآية التي استشهد بها الكندي ولا في أي حديث من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ما يمكن أن يُفهم منه ذلك بتاتا. فالقرآن واضح في هذا الأمر وضوحا لا يمكن لطارق أن يأتيه بباطل. ومعروف أن موقف القرآن من عيسى عليه السلام وقومه أنه ليس إلا عبدا ورسولا هو ما يهيج النصارى ضد محمد ودينه، إلا أن الرجل يكذب حتى فيما لا يقبل الكذب. فما العمل؟ العمل هو ما نقوله دائما من أن أمثال الكندي المزعوم قد مردوا على الكذب، فهم لا يستطيعون التخلي عنه أو التحرّي منه. كما أن تعليقه على ما ظنه توليفا من نبي بين الشريعة التوراتية والشريعة الإنجيلية هو تعليق مضحك، إذ إن التشريع الإسلامي لا يقول في المثل بالعقوبة والعفو في ذات الوقت، بل يقول بالعفو إن قبل صاحب الحق هذا العفو، وإلا فمن حقه تماما تطبيق العقاب. وكثيرا ما قبل صاحب الحق وما زال حتى الآن يقبل العفو رحمة منه وكرما وسعة نوجه الله. وأخيرا فإن كلام المسكين يوهم أن اليهود والنصارى لم يقبلوا التشريع الإسلامي ولم يدخلوا الإسلام

وهم يصدقون محمداً فمن أين أتت الملايين المسلمة التي دخلت وما زالت تدخل الإسلام؟ أليس معظمهم يهود ونصارى؟ وكيف أصبح كانت هذه الشعوب مثلاً مسلمة؟ أليس لأن أحداً من اليهود أو النصارى قد قبلوا دين محمد؟ إن كلام الكندي لا يعني إلا أن أحداً من غير العرب الوثنيين لم يقبل الإسلام. وإن الدنيا كلها تردده صبح مساء! وانظر حولك لترى أن العرب جميعاً قد قبلوا الإسلام عند مجيئه نصارى ويهودهم ووثنيوهم، وأن عشرات الملايين من غير العرب قد قبلته منهم. ولا فمن أين للإسلام مئات الملايين الحالية بعد؟ وأين ذهب الملايين من النصارى واليهود الذين كانوا موجودين عند مجيء الإسلام، وكذلك الذين كانوا موجودين بعد ذلك بحين حتى الآن ولم يعودوا موجودين، مما كان من نتيجته نقصان غير مسلمين بمقدار زيادة المسلمين؟ أليست هذه أيضاً حجة أنت عليهم؟

١٢- والآن إلى ما يزعمه الكندي من أن القرآن، الذي كان يقول به جدلاً على الرغم من كونه عدواً وعنيداً، إنما أخذه عن راهب يقال له سرجيوس، فما هي حكاية سرجيوس هذا؟ لنسمع أولاً لتلك الكذبة السخيفة التي يحكيها الواقدي، إذ يقول للهاشمي: "ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان أمر في هذا الكتاب ذلك أن رجلاً من رهبان النصارى اسمه سرجيوس أحدث حدثاً أكره عليه أصحابه، فحرموه من الدخول إلى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخالطته على ما جرت به العادة منهم في مثل هذا الموقف. فندم على ما كان منه، وأراد أن يفعل فعلاً يكون له توبة عند أصحابه النصارى، فذهب إلى تهامة فحج حتى بلغ مكة، فنظر البلد عالمها فيها صنفان من العبادة: دين اليهود، وعبدة الأصنام. فلم يزل يتعلم ويختلف بصاحبيه حتى سمعه ونسمّي عنده سطوريوس، وذلك أنه أراد تغيير اسمه لئلا يأتي سطوريوس الذي كان يعتقده ويتدين به. فلم يزل

يخبره ويكثر مجالسته ومحادثته إلى أن أراه عن عقيدة الإسلام ثم صيره داعيا وشهيدا له يدعو إلى دين مسطوريوس. فلما أحست اليهود بذلك داخلته الحقد، فحاسته بالسم فقتله. ثم إن اليهود والنصارى لم يزالوا بعد الأمر إلى أن بلغ به ما بلغ. فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والدفع عنها وتزكيته أمرها وشهادته لها بأنها أقرب مودة لأهل الإسلام قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (المائدة ٥: ٨٢). فلما توفي الله تعالى وانتهى الأمر إلى أبي بكر قعد عني بن أبي طالب عن بيعة الأمر لأبي بكر، فعلم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار أنهم دين أنهم فعلوا ما فعلوا بعلم ويريدون في نفسهم. فدعا بن علي بن أبي طالب فقالا له: إنا نذكر أنك لست النبوة وأنك لو قلت على منبر ما كنت تزعم به صاحبك مسطوريوس النصراني. فلست بأقل منه! ولكن أبا بكر عرف ما كان من أمرهم مع علي. فمنعك بن علي فلم صار إليه ذكره حرمة وبطء علي إلى أبي بكر وإلى قوته. فرجع عما كان عليه ورفع نفسه. وكان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار قد عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب من الكتب التي دفعها إليه صاحبه على معنى الإنجيل. فأدخلا فيه أخبار التوراة. ونسخا من حلال أحكامها. وأخبار من عندهما بعد. وشبّها فيه وزادا ونقصا وبدلا فمن ثمة تشابهت كفوهما. وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (سورة البقرة ٢: ١١٣). ومثل الأعاجيب والنقص الذي يجعل الناظر فيه يرى المتكلمين به قوما شتى مختلفين. كل منهم ينقض قول صاحبه. ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت وشبهها. إلا أن عليا حين يئس من الأمر أن يصير إليه. صار إلى أبي بكر بعد أربعين يوما (وقال قوم بعد ستة

[illegible] وضع يده في يده وسأله أبو بكر ما حبسك عنا وعن مجلسنا يا أبا الحسن؟ فقال: كنت مشغولا بجمع كتاب الله، لأن النبي كان أوصى بذلك. فما معنى شغله بجمع كتاب الله، وأنت تعلم أن الحجاج بن يوسف الثقفي جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة؟ وأنت تعلم أيضا أنهم يقولون إن النسخة الآن هي التي كانت بين العرشيين، فأمر علي بن أبي طالب بحملها، فلما شاهد عليه السلام ما يقع فيها من الزيادة والنقصان، وهي النسخة التي كانت مختفية مع الخبر الذي دفعه إلى سطوريوس، وكان بسببه عند أصحابه جريئا مرة، وجريئا أخرى.

لاحظ أيها القارئ، كيف أن ما ذكره بعض كتب السيرة من قصة التي تقول إن أبا بكر، في سفره إلى الشام رفقا عمه أبي طالب، قد قال عنه بحيرا حبر النصارى من كنيسة يهودا إن علي الذي سيكون بين ظهرانيه، قد لحوت إن هذه القصة لمستمدة من العجيب، إذ يرى بحيرا قد أصبح سطوريوس، وبدلا من أن يبقى محمد الصغير في مشارف الشام يسقط من هذا بالذي في مكة، وفي مهمة مضحكة، إذ أراد أن يثبت للأصحاب الذين تقصوا عنه لأنه تحرفه عما يقولون به أنه قادر على [illegible] على هذا؟ على أن يحول محمد عن دين آبائه إلى مذهب سطوريوس! وعند محمد دون سائر عباد الله في الشرق والغرب، وخاصة النصارى الذين يرى هذا الراهب أنهم على ضلال ووقف منه رهبانهم وقسيسوهم موقف الحيطة والتشكيك؟ وعند مكة دون سائر المدن والقرى في العالم؟ واضح أن الرجل في أعماقه يعرف أن الكتاب المقدس قد تنبأ بأن هناك نبيا سوف يظهر من بلاد العرب اسمه محمد، فهو يجري على هذي من هذه الفكرة التي تجول بكل جهده أن يخفيها في ضميره، لكنها تأبى إلا أن تشق طريقها إلى السطح، ولا فساد محمد من دون العباد، ومكة من دون

بلاد؟ لقد كان يستطيع أن يستمر في طريقه إلى أن يصل إلى اليمن حيث أكبر كنيسة في بلاد العرب. تلك الكنيسة التي شهد أبرهة وقصي أحد الأعراب فيها حاجته فكانت حرب الفيل التي رتد فيها القائد الحبشي عن بيت الله ممزق الجيش والجسد جميعا. لكن جبال الكندي لم تستقبل أبي إلا أن يأخذه إلى مكة، مكة محصن الوثنية حيث كان يقوم في كعبتها مئات الأوثان فما أن يخطمها الرسول الكريم إلى الأبد ليس هذا فحسب، بل إنه بدلا من توجيه همته إلى هداية الوثنيين المكيين يركز على محمد، ومحمد وحده. لكن أبي كان سطورس يجتمع بمحمد؟ وكيف لم يلتفت إليه أهل مكة ويهتموا بهذا الراهب الغريب الذي لا يتكلم لغتهم ولا يلبس ملابسهم ويلازم محمدا لزوم الظل ولا يكف عن مناقشته؟ ثم بأية لغة يا ترى كان يتفاهم أثناء تلك المناقشات الطويلة؟ وفي أي بيت كان سطورس يقيم في مكة؟ وهل كان هناك يهود في مكة يشتكون مع محمد في حصصه ومجادلات كما يقول هذا الناقد؟ إن كان اليهود في المدينة لا في مكة. ولو كان الأمر كما يقول لنا محمد عليه السلام من ألسنة اليهود ثم من الذي نقل له أخبار كل تلك الوقائع؟ أم أين سورة "محمدة" التي تشير إليها الكندي فهي، كما قلت وتقول، ليست في مدح أحد من النصارى، بل في فريق أسلم منهم، أي ترك نصرانيته بجميع مذاهبها ودخل في دين محمد، دين التوحيد. وهذا واضح من قوله تعالى عن أفراد هذا الفريق ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥]، فضلا عن أسباب نزول هذه الآيات التي تفيد أنهم وفد من النصارى فيهم القسوسة والرهبان لما

مقدمة نبي محمد عليه السلام. فقرأ عليهم شيئاً من آيات القرآن التي أذهلتهم وحرك ضمائرهم فدمعت عيونهم واعترفوا بإعجازه. أهذا مفهوم أم هي نعوت أقحاط؟ شيء آخر: أن هذه الآيات، بل السورة كلها مدنية، ليست مكية كما يقول ذلك حضرة! ثم أين أخبار بسطورس؟ ترى عند بحيرا أو عند النصراني الذي عند سوء؟ لا شيء من أخباره هنا أو هناك. نعم، لا يمكن الإشارة السريعة في بعض كتب السيرة عن نقاشه مع الرسول وهو نبي صغير وخديجة لعمه من نفيل بن أخيه أبعد من ذلك حتى لا تزعم اليهود. ولذا لم يظهر بسطورس ويتخذ عمداً عند دعاته النبوة أو عند حمله على هرقل برسالة حضرته يدعوه إلى الإسلام. ويقول له: كيف نصل الأمور إلى هذا الحد يا نصيدي بحيرا فتخرج على دعوة إمبراطوره إلى دين ندي أخذته عني؟ ونصحت أن يعزو نعوته وجود آيات في القرآن تهجم اليهود والنصارى إلى عمل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام اليهوديين!

وفي موقع المتحف نعوت أندراوس، وعند حديثه عن بسطور، يقرأ ما يلي "كتب صموئيل بونس في مقالة بعنوان نهاية أم بداية؟": "كانت البداية عقب انتهاء مجمع أفسس، حيث انفصل أرباب البسطورية من أساقفة المشرق بحرمانهم بسطور والانشقاق عن كنيستهم السريانية الأرثوذكسية، وذهبوا إلى مناطق خاضعة لسيطرة الفرس في المشرق. وأسسوا لأنفسهم كنيسة خاصة بهم أطلقوا عليها اسم "كنيسة الفرس البسطورية" وذهب تلاميذهم النجباء لأسقف البسطوري برصوما نصيبيني مطرانهم وأسقف إلى العراق، وقطع شوطاً عظيماً في تنشيط المشرق "بابائي" برصوما قول تعاليم بسطور ثم قتله. وفتل رهبان بيت عابي، كما قتل سبعة آلاف نفس من المسيحيين العراقيين، وتمتع بدعم من ملك الفرس النوشي فحوّل جُلّ المسيحيين العراقيين إلى

أسطورية، وتوغلت هرطقة النسطورية إلى كل مكان في المشرق، فتعرضت غودهم في منطقة ما بين النهرين وما تقصي سوى عدة عقود قليلة حتى أصبح هم مركزا هاما في مملكة حيرة، ومنها تصفوا إلى الأراضي الحجازية نفسها، فاحتفظوا بمقرات "الأحداث" وحدثوا الكثيرين منهم هرطقتهم، وصارت هم مركز همه في جنيح، وخصوصا لنجرين، ثم أوجدوا هم مركز حصيرا داخل مكة نفسها، وكان يزاوله أحد أقارب مؤسس الإسلام، وهو نفس ورقة ابن نوفل بن أسد، والذي رافقه منذ صباه، فكان من رفقاءه من الرهبان النساطرة الذين تعرفوا أمثال بحيرا، وعيصا، وعدس، وبالأخير هذا مسجد يحمل اسمه تحديه يقع بالقرب من مكة تقديرا وعرفانا من المسلمين لدوره الكبير في نصرة الإسلام! وتحدثنا المصادر النسطورية نفسها بالكثير من المعلومات التي تتناول علاقة بطاركة النساطرة مؤسس الإسلام وانصالاتهم السرية معه منذ بداية المجاهرة بدعوته كما يعترف "البطريرك" يشوعياب الثاني بكتابه صاحب الشريعة الإسلام ويهدي له ويسأله الوصية برعيته في نواحيه، فأجابه محمد إلى ذلك، وكتب إلى أصحابه كتبا بذلك مؤكدة، وبرأه صاحب الشريعة عليه السلام مما كان فيه عدة من الإبل وثياب عدنية، وتأذى وبعث ذلك إلى ملك الفرس فأنكر على البطرك فعله ومكانته، وخاصة عند ورود هداياه، فداراه يشوعياب حتى سلم منه، وعاش يشوعياب إلى أيام عمر بن الخطاب عليه السلام (!) فكتب له كتاب مؤكدا باحفظ والحيطة وأن لا يؤخذ من رجاله وخدمه الجزية وأتباعه "النساطرة" أيضا، وهذا الكتاب محتفظ به هذه الغاية" (نصر مدي في مجلة، أخبار بطركية المشرق، روما ١٩٩٩ ص ٦٢). ويقول صاحب "تاريخ السعردي" "كان يشوعياب قد أهدى هدايا إلى النبي عليه السلام وفي جملتها ألف استار فضة، مع جبريل أسقف ميشان، وكان فاضلا عالما،

[illegible] وسأله الإحسان إلى النصارى. ووصل الأسقف إلى يثرب، وقد توفي محمد، فوصل ما كان معه إلى أبي بكر، وعزّاه بما الناس عليه من مصاب نبيهم، وأنهم يجدون الروم فسمع قوله وفعل ما كان معه، وصنع به ما يجب، وانحاز إلى حائط يشوعياب مسروراً" (تاريخ المسعودي ج ٢، ص ٦١٨ - ٦١٩). ويقول صليبا بن يوحنان الموصلي "وفي أيامه (أي أيام إيشوعياب) بدا يظهر أمر العرب بني إسماعيل وما كشف الله هذا الأب (١) ما يؤول إليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوة وفتح البلاد جميعها إليه وسابق بعضه وحكمته إلى مكانة صاحب شريعتهم، وهو بعد غير متمكن، وأمره لما يصير إليه أمره من القوة، وقدم له هدايا جميلة فلما قوي أمره وتمكن عاد فكاتبه وجدد معه العهد والرسوم جميع النصارى المقيمة في كافة البلدان التي يملك عليها هو وأصحابه من بعده، وأن يكونوا في جملته آمنين على جاري عادتهم في إقامة الصلوات والبيع والأديرة" (الظر صليبا في محمد، ص ٥٤- ٥٥). ويذكر المسعودي أيضاً بطريرك النسطورة إيشوعياب الذي قد التقى وجهاً لوجه مع عمر بن الخطاب، فيقول "وتوفي أبو بكر وولي الأمر بعده عمر بن الخطاب وفيه يشوعياب وحضه بيت النصارى النسطورة، فكتب له عهداً" (الظر تاريخ المسعودي ج ٢، ص ٦٢٠ ومروج الذهب ص ٦٢). ويذكر عن هذا البطريرك المسعودي أيضاً أنه قدم دفاعاً حاراً عن أتباعه المسلمين قائلاً عنهم "إن المسلمين بيّن فقط لا يهجمون لديانة المسيحية (١) بل إنهم يوصون بإحسانها خيراً (١). ويكرمون الكهنة وقديسي الرب، ويحسنون إلى الكنائس والأديرة (١)" (الظر أيضاً السيد البير أبونا تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ج ٢ ص ٦٧). ولكن أين تمت كل تلك اللقاءات بين الرسول أو عمر من جهة وبين بطاركة النسطورة من جهة أخرى؟ وكيف سكت كتاب

نصير ومعاري والتاريخ عن هذا كله؟ وهل يوجد بين النسطورية والإسلام أي نقط التقاء؟ ومن قال إن ورقة كان نصرانيا أصلا، فضلا عن القول بأنه نسطوري؟ لقد أسلم الرجل وبشر النبي بأن قومه سوف يعادونه وسوف يلقى منهم عنتا شديدا وعداء. وكذلك الأمر في عداس، إذ كل ما ذكرته كتب السيرة والتاريخ أنه التقى بالنبي في بستان لابني ربيعة بالطائف بعدما كان يشتغل لديهما خادما. فلم يكن إذن راهبا من الرهبان كما يكذب المكذبون، بل كان عبدا حرا، وأنه أكب على قدميه ويديه ورأسه صلى الله عليه وسلم يقبلها تبجيلا وإجلالا. ومن الواضح أنه لما نعى عليه الصلاة والسلام إلى أن الكتب السابقة أنهم النبي عليه السلام لم تنهه بأنه قد يكون الذي رأسا على عقب وسقف حرا، فبدلا من أن يذكر إسلام ورقة وعداس يحاول أن يشيع القراء بأنهما قد علما النبي محمدا الذي أتى به، جاعلا التلميذ يعلم أستاذه، والأستاذ تلميذا. هذا. وقد سبق الكلام عن بحيرا ثم يأتي عن بعد ذلك هنا، أما عيصا فلا أدري وجه ذكره هنا. كما أنه لم تكن هناك علاقة أبدا بين ورقة وعداس وبحيرا. ويدعونا من عيصا إلى أن نعرف من أين جاء ورقة من أشراف مكة، أم عداس فغلام أجنبي من أهل نينوى كان جده ابن ربيعة في الطائف، وبحيرا كان يسكن أرض الشام، وهو غير عربي، فضلا عن قول الزهري (وهو من أقدم كتاب السيرة) إنه "حبر من يهود تيماء" كان يسكن تيماء ("المغازي النبوية" لابن شهاب الزهري، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر بدمشق، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٤٠، وهو ما نقله عنه النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب") وعلى هذا لم يكن بحيرا نصرانيا بل يهوديا. ثم إن النبي قد لقيه في حضرة عمه أبي طالب، وكان ذلك بعد أن بشر بحيرا نفسه، وكان محمد قد بلغ الحلم حسب قول الزهري، وإن كان النويري قد حدد سنه بثنتي

عشرة سنة. وكل ما جرى هو أن خبرا الذي حوفه على النبي المنتظر من الذي يهود لو علموا أنه هو الذي بشرت به الكتب، وحذر عمه من المضي به بعد ما ذكر، فما كان منه إلا أن عاد به حتى على سلامته. ثم أليس من السخافة بمكان أن يفكر بسحرة فارس في التردد إلى محمد، الذي لم يكن له سلطان إلا على العرب وحدهم، حريصين بذلك على إرادة عاهلهم كسرى دون أن يكون في الأفق ما ينبئ بأن محمدا سيفتح فارس وتكون له السيادة في الأرض وأن كسرى سيكون في حجر "كن"؟ اللهم إلا إذا قد به كل يعرف من بشارات الكتب أنه هو النبي المنتظر وأن الدنيا ستدين له!

بقيت كلمة مهمة، وهي أن السعردي من أهل القرن الثاني عشر ميلادي، أي أنه أتى بعد الهجرة بقرون عدة، أما صليبا بن يوحنا الموصلي فيعد عصيه بقرنين، إذ هو من أهل القرن الرابع عشر، فأين كانت هذه الحروب والحكايات الدنيئة طوال تلك القرون؟ وقد يعطي القارئ فكرة عن قيمة مثل هذين الكتابين ما وجدته في موقع "كل الاتجاهات" لرشيد الحيون http: www.alitijahalakhar.com تحت عنوان "المذاهب والأديان في العراق. المسيحية والإسلام"، إذ أشار إلى رأي بعض المؤرخين في هذين الكتابين وقيمتهما العلمية: "أما "تاريخ السعردي" (القرن الثاني عشر الميلادي) فيذكر أن رسول الخالديق قد التقى أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذ من الأخير العهد لأهل دينه. ويذكر مؤرخ آخر يدعى صليبا بن يوحنا الموصلي (القرن الرابع عشر الميلادي)، في سياق تعرضه لسيرة الخالديق ايشوعياب: "وفي أيامه .. كان قد بدأ يظهر أمر العرب بني إسماعيل سنة خمس وثلاثين وتسعمائة للاسكندر، ولما كشف الله هذا الأب ما يؤول إليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوة وفتح البلاد جمع رأيه وسابق بعقله وحكمته إلى مكانة

صاحب شريعتهم، وهو بعد غير متمكن، ولم يرد ما يصير إليه أمره من النبوة، وستر ذلك له مع هذه الحيلة قد قوي أمره وتمكن عند كافة واحد منه العهد والزمام جميع نصارى في كافة البلدان التي يمتلك عليها هو وأصحابه من بعده، وأن يكونوا في حينه أمين على جاري عادتهم في إقامة الصلاة والبيع" يذهب الرائي، في حالة اختلاط هذه الروايات، بأن المؤرخين المسيحيين قد عمدوا في كتابة ذلك تحاولة منهم للتخفيف من وطأة الحرية (ضربة الرأس) والتعويض لأخرى عليهم. ومنهم من شرعه عمرو بن العاص وأنسبه إلى عمر بن عبد العزيز أو بالعكس في شأن كنائسهم ومعاهدتهم فحسب لأن أمرها نظر كثير؛ العهود اختصاصه في الكنائس الشرقية يتذرع المسيحيون بعهود حبشية يستطيعون بها دون على كنائسهم وحفظ على دينهم وتقييدهم" عند، ولا ينسى أن يتهم المسلمين يستخدمون الأوراق بهذه الكلام هم في الواقع بما معانيه ويدعون مسلمون. لقد طعن أسقف روس في مقال آخر له بأن الدكتور مستشرق الإنجليزي وسميكة دائم مدبر مصلحة الآثار بمصر في الثلاثينات القرن الماضي قد شهدا بصحة طويل حول المقصد، مع أن كل ما قاله الدكتور في كتابه عن الكنائس القبطية القديمة في مصر " The Ancient Coptic Churches of Egypt" هو أنها مجرد شائعات ترددها الأحبار دون تمحيص، كما وصفها هو نفسه مرارا بأنها "أسطورة"، وهو ما حرفه مترجم الكتاب لأمين المحترم وصفه بأنها "قصة" بدلا من "أسطورة"، مع حذفه لكلمة "شائعات". وبمثل أقر سميكة بأن القصة كلها ليست إلا خرافة من خرافات وأنه لا يصدق منها شيئ على الإطلاق، وكتب هذا في "الأهرام" المصرية بتاريخ العشرين من أغسطس سنة ١٩٣١م

ثم مدا في القرآن من عقائد سطورس هذه بين القارئ ما قاله "الدكتور

معارف الكتابية عن عقيدة نسطور. الذي يدعى الكثير أن مرجوس كان على مذهبه. بدعة نسطوريوس بطريرك القسطنطينية بين عامي ٤٢٨-٤٣١ م. في فصله التام بين اللاهوت والناسوت في يسوع المسيح. فقال بأنهما أقنومان لكنهما متحدان في واحد طبيعة إلهية والطبيعة بشرية. وبالتالي حوض الذي بالصفتين والضعف. فقال بأن المسيح مكون من شخصين شخص إلهي هو الكلمة. وشخص بشري هو يسوع لم يكن هناك في قصده اتحاد بين طبيعة بشرية وأقنوم إلهي. بل مجرد صلة بين شخص بشري باللاهوت فكان يرفض كل من قاله في الحوض ويأبى أن يصف مريم بأنها والدة الإله. قال بأنه حسب عقيده قد ولدت الإنسان فقط. فاجتمع مجمع أفسس في ٤٣١ م. فذهب نسطورية وثبت في الوقت نفسه بأنها والدة الإله. كما نفى نسطوريوس وأعلن هرطقة جميع أتباعه فانتشرت البدعة النسطورية في بلاد فارس. عند النصيين ومعلوبيين. وذلك بتأسيس الكنيسة نسطورية. ثم إلى الشرق أبعد هذين المقابل الآخرين عن مرجوس وخلفه أشهرهم من "ثيوبيديا" Theopedia

"Nestorius (c. 386 - c. 451) was Patriarch of Constantinople from 10 April 428 to 22 June 431. He received his clerical training as a pupil of Theodore of Mopsuestia in Antioch and gained a reputation for his sermons that led to his enthronement by Theodosius II as Patriarch following the death of Sisinius I in 428 A.D. Nestorius is considered to be the originator of the Christological heresy known as Nestorianism, which emerged when he began preaching against the new title

Theotokos or Mother of God, beginning to be used of the Virgin Mary. His immediate antagonist was Cyril, bishop of Alexandria. Although Nestorius did deny theVirgin birth of Jesus, he did not in fact maintain the heresy which bears his name."

"Nestorianism is basically the doctrine that Jesusexisted as two persons, the man Jesus and the divine Son of God, rather than as a unified person. This doctrine is identified with Nestorius (c. 386-451), Patriarch of Constantinople, although he himself denied holding this belief. This view of Christ was condemned at the Council of Ephesusin 431, and the conflict over this view led to the Nestorian schism, separating the Assyrian Church of the East from the Byzantine Church. The motivation for this view was an aversion to the idea that "God" suffered and died on the cross, be it the divinity itself, the Trinity, or one of the persons of the Trinity. Thus, they would say, Jesus the perfect man suffered and died, not the divine second person of the Trinity, for such is an impossible thought -- hence the inference that two " persons " essentially inhabited the one body of Jesus. Nestorius himself argued against calling Mary the " Mother of God " (Theotokos) as the

church was beginning to do He held that Mary was the mother of Christ only in respect to His humanity The council at Ephesus (431) accused Nestorius of the heresy of teaching " two persons " in Christ and insisted that Theotokos was an appropriate title for Mary The problem with Nestorianism is that it threatens the atonement. If Jesus is two persons, then which one died on the cross? If it was the " human person " then the atonement is not of divine quality and thereby insufficient to cleanse us of our sins "

[illegible] عقيدة نسطورس ، وهي نفسها ما يقول به النصارى المثلثون . فهم لا فرق بينهم وبين النسوت و اللاهوت في المسيح. هل هما متحدان أو منفصلان؟ أم فرق عندهما هو كلامه في التثليث و الخطيئة و الصلب هو تقريب ما يقوله مذهب النصارى المثلثين . و القرآن (كما هو معروف) جاء مدمدغة على عقائد التثليث و الخطيئة و الموت على الصليب . و سوف يأتيه فوق السبعة . فكيف يقال إن محمدا قد تأثر خطأ سرجيوس النصراني؟ قد يقال لكندي إن القرآن في البداية كان يتبع عقيدة سرجيوس أو نسطوريوس ، ثم غيّر وبدّل . إلا أن هذا كلام من تعودوا على تحريف كتبهم ، فهم يظنون أن المسلمين يسيرون على ذات الوتيرة . أيّا ما يكن الحال ، فأين القرآن القديم؟ ألسنة نسخة منه يمكنكم أن تُروها لنا؟ أهناك رواية عن مسلم أو نصراني أو يهودي أو وثني أو عابد بقر أو حجر أو ريح أو ذكر تذكر شيئا من آيات ذلك الكتاب الأول؟ أم تراكم تظنون أن قولكم يمكن أن تقنع أيّ ذي عقل؟ لكن نعم ، والحمد لله ، لا يقبل

مثل ذلك الأسلوب الذي يقوله عن تلاعب في القرآن وعثمان وأبي بكر وعمر وعلي والحجاج فيه فهو كلام شخص ينعت به البلاهة أن تحسب الناس جميعًا أنهم مثله أو كما يقول هذا الأحمق لاحظ كل حزب بيديه الآخر فيقال أن أبا بكر وعمر وعثمان قد تلاعبوا بالقرآن لمصلحتهم وللإساءة إلى حق علي بن أبي طالب، فلماذا لم يُعدْ عليٌّ الأمور إلى نصابها الأول؟ وإذا كان الأمويون قد تلاعبوا بالقرآن لمصلحتهم وللإساءة إلى العلويين، فهل كان هناك مسلمين جميعًا مع الأمويين؟ بالطبع لقد كان هناك من هواهم مع خصومهم. فلماذا لم يأتوا بالنسخة الأصلية التي تخلو من التلاعب حذفًا وزيادة؟ ثم أين في القرآن ما يرى تلك النصوص التي تحابي الأمويين إذ كانوا قد عبثوا بالقرآن؟ بل أين ذلك في السيرة النبوية نفسها، وهي (كما نعرف) ليس لها شيء من القداسة التي للقرآن؟ ولقد جاء المستشرقون بعد الأمويين، فلماذا لم يفصحوا عما صنعه الأمويون بالقرآن؟ وحتى لو قام فريق بتلاعب بكتاب الله بالتخصيص من النسخ المخالفة التي تحت يده، فكيف يتخيل متخيل أن من الممكن لأي شخص بالغة ما بلغت سطوته أن يتتبع جميع النسخ المخالفة لما يريد فيصدرها كلها في أرجاء العالم الإسلامي نسخة نسخة، ويمحو فوق هذا كله كل محفوظ في صدور الأفراد فردًا فردًا؟ لكن انظر فلا تجد إلا سورة يتيمة هي سورة "النورين" (أو "الولاية" في رواية أخرى)، حاول فيها مدسوس في عصر متأخر جدًا أن يقحم القرآن الكريم. وقد وضعتْ هذه السورة مريحة على محك التحليل الأسلوبي والمضموني. وقد بصمات السورة تصرح بشيء فيها أنها ليست من القرآن في شيء، وأن القرآن ليس منها في شيء ولا حتى في جملة واحدة. وبالتأسيس فعلماء الشيعة يكررون أن يكون القرآن قد زيد فيه أو نُقص منه. وحتى لو نُسبت منهم تهمة بأنهم يدرسون السنة، فهذه

حجة بقرن لا عقد. لأن شخص يصدق لا يحتاج إلى هذا السلاح الذي لا يملك إلا المفلسين لا أصحاب القضايا المستقيمة الواضحة، وخاصة أن الشبهة اليوم في أقصى درجات ضعفها وتفاهتها، ولا أدعى من أن أجادهم هذا الموقف السلبي، ولكن يُرد أن يرى ما كتبه في هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى الشيخ أحمد ديدات الذي يزعم الرد على شبهات أثارها أحد المنصرين في موقعي "http://awad.phpnet.us" وحتى أريحك كلامي وصورة له إلى أن الشيخ قد اعتقد أن بعد عن قبيل من الأجيال معتمدة وغير معتمدة هو كل خطر الذي مرسته لكنائس على الأجيال التي لا تعترف بها هل هي من الأجيال المرسلة المقبولة عند الكنيسة تثير من الاختلافات فكيف يجدت مثل هذا أو ذاك مؤسسة تنصيرية تكريم وتصل إليها قرارات مختلفة بنفس الطريقة؟

وبخصوص ما قاله الكاتب عن تأثير المستشرق على رسول الإسلام فقد أن الشيخ رد على ذلك في كتابه الأنكليزي والشهير إرفيج في كتابه The University of Mahomet and His Successors (Wisconsin Press, 1970, PP. 100-101) من أن الحبشي لم يرجع مسلمين إلى قريش بل بسط شبهه على حديثه لأنه كان سفيرا فلم يعد فيما قاله المنصرون عن النبي صحيح ما يخالف عقيدته وهو كلام لا معنى له فلا يستحق في كتابي "مقارنة المنصرين" دراسة في شبهات المستشرقين والمنصرين حول الوحي المحمدي" المكتبة رقم (شرق ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ٣٠ - ٣٩ بالهامش). ولا فقد كان ما عليه إرفيج صحيح فلم يدع المنصرون الأحاديث في صحيح البخاري عقيدة ذلك بعقل الكريم للاستماع إلى عقيدة المسلمين الاحتجاج لا لأنه صحيح البخاري على ما تنوه عليه من قول؟

كما أن المناظرة، حسبما جاء في معجم "Hook's Church Dictionary" يعتقدون أن المسيح شخصان أحدهما إلهي هو ابن الله. فإن هذا مما تلاه جعفر بن أبي طالب على النجاشي في ذلك المجلس من آيات سورة "مريم" التي تنص على أنه "ابن مريم وإنه "عبد الله" وأن الله قد جعله "نبيًا". إلخ؟ أما التفسير الصحيح لهذا فإن النجاشي قد أسلم، بعد وجدانه ما يقوله القرآن في المسيح عليه السلام هو ما يتفق مع المنطق والعقل وما يجب لله سبحانه من توحيد، ونزيه عن الشريك والتجسيد. وقد أقر بإسلام النجاشي كل المستشرقين الذين كتبوا في السيرة المحمدية، ومنهم على سبيل المثال المؤلفان الفرنسيان Dezobry & Bachelet، صاحب معجم "Dictionnaire de Biogtaphie, d'Histoire, des Antiquites et des Institutions"، في مادة التي خصصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم (Librairie Ch. Delagrave, Parts, 1883, T 2, P 1683) بيد أن الواقع لا يجب أن يذكر هذا حقيقة، فذلك يعد من هذا السلاح المسموم الذي يستعين به المستشرون لتشويه الحق والدين بمختلف الأساليب الأعمى أن يضع على عقوله وعلى ضمائرهم فيكذبون ويهمون بعيد الأساءة لما يعتقدون هم قبل غيرهم أنه عليه الصلاة والسلام منه براء. كذلك لو كان المناظرة قد وقف في جانب النبي فيه كل هذا الجهد والسعادة من جانب هذا المستشرق حرير صاحب الرسالة التي بين أيدينا؟ وما وقف المناظرة في جانب النجاشي وحرصهم على غرو المعلم الإسلامي مستعينين بتوجيهم في الملاط بتشاري في هذا التحريض الذي كان من نتيجته أن أخذ الغزو المسيحي في بلاد العرب والإسلامي بدلا من تخلفه في أوربا كما كان مخطط له أولا. حسبما هو معروف في تاريخ؟ (أنظر محمد علي لقيت العرب والشرق في حروب الصليبية في حرب السويس

مع ١٦ (٧١- ١٤) وقد وضعوا أيديهم في أيدي النصارى الكاثوليك في أوربا من أجل تحقيق هذا الهدف، وهو القضاء على صدق ما فيه فلا فرق بين هذه الفرق وسائر النصارى المشركين، وأن كل ما جاء محمد هو كذب رخيص لا قيمة له في دين الله ولا تحقيق

[illegible] وبطلان دعواه بأن القرآن هو كلام الرسول، وهنا أذكر أني قد كتبت كتيبا من صفحة بينت فيه بالدراسة الأسلوبية الإحصائية أن القرآن ليس من عند الرسول شيء آخر، وهذا الكتاب موجود بالنت بموقع صدى الإسلام إليه من قبل، وهو "http://awad.phpnet.us" وهذا نص كتابي "مصدر القرآن- دراسة مستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي" الذي ناقشت فيه كل الشبهات التي يطرحها هذا المبشر في تفسير الوحي القرآني من أنه عبقرية كذب مخادع، أو وهم محموم في حقيقة أمره، أو مريض تعرض عصبي كالصرع والهلاوس والهستيريا. وتتبعت فيه كل الأشخاص الذين زعم المستشرقون والمبشرون المغرضون الكذابون أنهم هم الذين علموا محمدا، فوجدت أنهم بشر عاديون، أو إذا كان قد جاء قبل نزول الوحي على سيدنا رسول الله فقد عاش مع أولاده وأقاربه وحتى في حالة أنه لم أكن قد نصت وأنى عاصر أو عاشر محمدا أنه قد أخذ من الرسول الكريم أخت أمية وأولاده وكل أفراد أسرته، واحتفظ بي أبي عمر، الذي عادى الله أشد معاداة، وشهد في معركة أحد، في الوقت الذي وقف أبوه فيها إلى جانب المشركين وحتى حينما لا يقتنع حيون المسلمين الذين يقولون بأني ذنبت فقط، بل إن أحد من هؤلاء الذين أتهم محمد بأنه أخذ القرآن منهم أو تعلمه على أيديهم لم تؤثر عنه أية كلمة تفكر أن لمحمد منهم شيء من هذا، فكيف تأتي ذلك المخبول بهذه الكلام المتسلسل من ما يسمونه عنهم في أنهم محمد بأنه أخذ القرآن منهم؟ هل

[illegible] سقوراس مثلاً؟ عندما [illegible]. فما معنى ذلك إذن؟ كذلك جاء في الكتاب المذكور مضمون شبهتي فزعمت أن الروح التي سوف تعيش [illegible] يمكن أن تكون روحاً شريرة، وقدمت البرهان على ذلك. ثم إن [illegible] التي تضمنها كتاب الله قد خلقت كلها، فضلاً عن أن الإنسان بحكمته التي تعرض في نسخه مع ما خلق الله من خلق العلم بعد أن مضى في عصر هذا حضرت هذه، وإن العقائد والأخلاق والتشريعات التي جاء بها [illegible] تختلف مع ما في الأديان الأخرى فلا يمكن أن تهدي معه بأن أحداً [illegible] وهذا الكتاب يقع في حوالي ثمانية وخمسين صفحة، وهو متاح [illegible] في ذات الموقع السابق "http://awad.phpnet.us" ثم إن [illegible] فتح لي كتابي هذا أو دمره. لأن شخصاً يمنع شيئاً من الناس [illegible] يستطيع في الدنيا والحقيقة أن يقدم بكل بساطة على قتل وإلغاء الرسول الذي [illegible] تمام الاختلاف في أسلوبه وروحه عن شخصيته في مضمون [illegible] وأخلاقي وتشريعي طبيعة جداً في الروح والأسلوب لهذا [illegible] بالتحديد، أما هذا وبين يكتبه، ولا يمكن أن يتطابق بين كلامين إلا [illegible] في قلبه مرض، ومثل هذا الشخص مريض القلب لا يفقه قلبه، ولا [illegible] روحه، فما يقول ماجد حين يقول كتب كتابي إلى محمد الذي يضمنه ذلك الكتاب قد صححت الأخير أنا قد صححت على الدين [illegible] بأسلوبه التي سماها القرآن، ونحن سوف نسأل ونكلف بالرد صحت على القرآن الذين يكونوا قد صححوا؟ أو على أهل [illegible] مصريين؟ أو ليبراليين؟ أو هنود؟ أو [illegible] الأندونيسيين؟ أو [illegible] والأمريكان الذين يدخلون كل يوم في عصر هذا في دينه ويؤمنون بربه؟ أو [illegible] والرهبان والأحبار الذين ارتوا كتابهم المقدس كله في [illegible] وحيده على مدى [illegible] وهذا لو أن أحداً قد أمر بتصحيحه

[illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [

ذُقت لكم؟"، كما نهكه به الأحنف بن قيس قائلا إنه "ليس بنبي صادق ولا متبوع حاذق"، وقال فيه ثمامة بن النعمان:

دعاك إلى نسرك الديانة واهدى ... مسيلمة الكذاب إذ حنه سجح
فبئس مجاب من معشر قد تنعو ... ه في مسيل الفسيل، ونعم المسيح

وهذه مجرد أمثلة قليلة.. إذ فيهن عبرة كثيرة جداً كثيرة، وهو ما ينبغي لاحتقار المسلمين لمسيلمة و مصحفه "حتى" هذا لم من يا ترى ليس قتل مسيلمة؟ أليس مسلمين سمعوه في مصحفه "الكفروه وقتلوه"، وهو يتأثروا به كما زعم الكذاب أنهم "لو سمعوه"؟ ثم ليس يسعى أن يكون قتله برهان كاف عند الكذاب على أنه مدعي مثله، أم من أنه من طينة غير الطينة التي منها محمد عليه السلام؟ أليس هذا هو مقياس الذي يقيس به الكذاب صدق الأنبياء أو كذبهم؟ ولقد كذب مسيلمة نفسه وكذب أيضا هذا الكذاب حقير حين عرض على النبي أن يقتسم الأمر معه، مما يدل على أنه يعترف بنبوة النبي، وأن كل ما كان يريده هو اعتراف النبي به بدوره، وهو ما حرمه منه النبي، لأنه نبي صادق، ليس مثل مسيلمة الكذاب يريد أن يكون هو والإسلام كما أن شريكته في هذا الشر، وهي النبية الكذابة سجاح، قد خلت عنه ورجعت إلى الإسلام، فكذلك بذلك نفسها وشريكها الأحق الذي أورد نفسه موارد التلف، فهلاك في الدنيا وموارد الخيبة في شر الآخرة! وبعد ذلك كله ما زال الكذاب يكذب يقول إن عنده مصحفا لمسيلمة لو اتبع عليه أصحاب محمد بدلهم تبديلا؟

وعلى أي حال لا بأس أن نعرفه على نفسه وعلى قرائه بإيراد نصه مسيلمة وسجاح، التي تبنت كما نبنا، ثم رجعت إلى رشدها ودخلت في الإسلام. قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" "أول امرأة تنبأت

سجاح بنت سويد بن حنظلة أخبرني أبو أحمد عن رجل سمّيت اسمه قال: قال عمر بن بكير عن هشام بن الكلبي عن عوانة أو غيره قال: كان من حديث سجاح بنت سويد بن حنظلة بن أسعد بن المنذر بن يربوع التميمية، وكنيتها أم صادر، وأحوها عتبة، وكانوا من بني تغلب. فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وارتحف أبو بكر، وكانت الردة، ثنت سجاح وحرجت من بني تغلب، فتبعها أناس كثيرون من تميم بن مرّ بن أدّ وإياد، ومن بني تغلب وغسان بن عمرو. فخرجت تسير بهم إلى بلاد بني تميم، فبلغها بنو حنظلة فقالت لها امرأة منهم: وما تبغي منكحة، وقد نُعِتَتْ لنا قالوا: تريد فيما يزعم النساء والنساء: يأمركم أن توجهوا الركاب، وتستعدوا للحرب، ثم تغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب. فسارت بنو حنظلة إلى بني صعصعة، وهم من الرباب، وسارت سجاح ومن معها من بني تغلب وتميم بن قاسط إلى حيّ لبيم، وغلب من الرباب بنو عدي وثور. فلما بنو حنظلة فنذروا بها فهزمتهم، وغنمت سجاح ومن معها نَعَمَ وغلب وثور فقتلوهم قتلا شديدا. وجمعهم ولد بني تغلب وتنوخ وإياد، وأرسلت بنو حنظلة يعتذرون إلى حنظلة أن يؤذوا فتلاهم ويصالحوهم، فقالت: لا تحجو على الرباب، فإنهم يحتلون غيركم الصعاب. ثم قالت: عليكم بالسلامة، فإنها دار إقامة. فقيل لها: إن كل نبي فإنه لنبي علامة، وإن كان كاذبا فإنه يقوم السنة، ولا يحتكم بغير علامة. فخرجوا نحوها، ومعها حين دنت حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد وعمرو بن أهتم والأقرع بن حابس وشبيب بن ربعي، وهو مؤذنها. فساروا حتى نزلوا اليمامة فسمع بذلك مسيلمة الكذاب، وكان قد نبأ، فتحسس أهل اليمامة له، فقال مسيلمة دعوني ورأيي فأهدى لها وكتب إليها أن موعدك يوم كذا فتلقي فيه متنبئ قبلي كان اختلق سبيلك فأعطك، وإن كان في أيدينا بعض

فخرجت في أربعين، فلما جلس أخصامه ثم قال: ليقم من هاهنا عشرة، ومن هاهنا عشرة، ومن هاهنا عشرة، ومن هاهنا عشرة، حتى يقوم صاحب الأمر القائم. فقال مسيلمة لعلامته: عُدَّ هاهنا عشرة (أو تسعة عشر). أي بخٍّ هذا شيء من يصدق هذا مسيلمة لا يصدق أبدًا. وبرئت منهم، ولكل فريق لا يصدقون رحمة الله من سمع. ومن أبى في كل هذا مختصم، واجتمع في جزر فصيح أركمه الله محبكه، ومن حبلاكم. ويوم القيامة حاكم عند صيوت من معشر أبرار، لا أشقياء ولا غدار، يصدقون بالنبي ويصدقون به، ويرجعه الكبار، رب الدور والأمصار. وما رأيت وجوههم حسنت، وألسنتهم فصحت، وأسنتهم سمحت. نساء يأتون، وخمر يشربون، ثم معشر الأبرار، سحر بني كيف يخبرون، وإلى رب السماء يرفعون، ما أنت جنة من جرذلة في جنبة فاء عليها شهيد يعلم ما في الصدور. أكثر الناس يومئذ مشورا. أشهد أنك نبي صادق. فقال بكل معشر النساء خُلقن لكم أزواجا، وخُلقتم لكم أزواجا، وقد سكنتم أزواجكم، فجاءه فبكل بالأزواج، فتخرجن أولادا إناثا. قالت: صدقت. ثم قال:

لا تومني إلى الفجور ... فقد فجرت في ملتي الصحيح
فجر من شنئ شانئه ... وبر من شنئ عمه بجح
وبر من شنئ مسيلمة ... وبر من شنئ علي وسح

قلت: بذلك أوحي إليّ. قال: هل لك أن تزوجني ابنتك. فلكم ابنة، وخلف من عشيرته، فأتى بهم فزوجها وقفل إلى بلاده، وتركت جميع الذي كان معها بالمدينة. ورفع مسيلمة على بني تميم صلاة العتمة والظهر والعشاء، وقال: بني تميم (فتح الألف وضم الواو عليهم اسم جرح) فعامة بني تميم لا يصلون هذه الصلوات إلى اليوم، فلم يزل عند

[illegible] أن قتل. فهربت منه لتوحد. ثم [illegible] فتزوجها رجل من قومها. فولدت له ثلاثة وماتت بالمصرية. فلما وقع عليها مسيلمة خرجت إلى قومها وهي تقطف عرقا فقال: ما عندك؟ قالت: وجدته أحق الرجال مني فديته، وخلته نفسي مالا ومتاعا لا يذوق بعير مهرا؟ فقال مسيلمة: حصنت مهرك إن شاء الله حصانة وعفة. فقد أوحي إلي. قالت: وما هو؟ قال: قد أوحي إلي ضفدع بنت ضفدعين ترأسك في الماء ونحيك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين. صوتك في النقيق، وذنبك في النقيق. فومي إلى نقيقين. فقد وضع عن قومك صلاة العشيين. فلما [illegible] عرف قومها حقا قال عطارد بن حاجب بن زرارة:

صحب سجاحا إنني بغداف	وصحبت أنبه الناس ذكرا
فنعم الله رب الناس كلهم	على سجاح ومن لاقت عوانا
على مسيلمة الكذاب لا سقيت	عهد وإن عيشت مرد حيثما كانا

ومما يتعرض به الكتبي لأخبار مسيلمة بإعجاز القرآن، الذي يسخر من قوله تعالى بشأنه: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، والذي يروج في مقدمة سائله بطريقة ساذجة كانت تتبع في رأي فيها عند كلامه عن أول مسيرة سجاح إلى قبيلة تميم. إذ يقول: "وأخبرني أصلحك الله، عن قول الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، أفتقولون أفصح الخلق من أنطق به في عصره أفصح من كلام ليوسلمة عند قومه، وحوبة عند أهل فارس، والسريانية عند أهل الرها والسريانيين، والعبرانية عند العبرانيين، فإن كل نبي بعث بكلام فصيح عند أهله من سائر الألسن، وهم الخلق فصيحة يتحاصرون بها، وهي عندك كلها أعجمية [illegible]

أن لسانك العربي لفصيح أعجمي عندهم. بل إذا أطلقنا قولنا إن لسانك فصيح لفظاً بالعربية، فصاحب فصاحة الألفاظ هو الذي لا يحتاج إلى استعارة لفظة غيره، ولا يستعين بها في خطبه وكلامه. بل يكون مستغنياً بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره. وأنت ترى صاحبك قد افتقر في كلامه إلى استعمال كلمات غيره، وهو يحتال بذلك ليريك فوقه غرضاً. ولكنه استعان من الفارسية بـ «الإستبرق وسندس وأباريق وتعاريق». ومن الحبشية «مشكاة» وهي كثيرة. ومثل هذا كثير قد استعمله في كلامه. فتقول إن العربية صافت عنده فلم يكن فيها من الألسنة ما أحوجه إلى لسان غيره في هذه الأشياء. فمن أين لك أنها مأخوذة من عند رب العالمين على يد جبريل عليك السلام؟ فإنك تُوقع النقص بالرسول أو بالرسول. فإن كان من عند صاحبك فوقع النقص به لأنه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية. فكذلك أعجمية هذه الألفاظ عند امرئ القيس وغيره من الشعراء الفصحاء المقدمين والمتأخرين الذين لا تحصى عددهم. وكلام الفصحاء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح لفظاً منه وأرق وأدق معنى وأغزر لأنهم حيث حاجوه فصعروا فقالوا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] لأنهم خصموه، فكانوا أخصم منه وأبلغ حجة. وكانوا أبلغ في الخصومة منه. وهو الذي بان من لسان العرب أنه حمير. فأما هذا الكتاب الذي وضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد صدق على صاحبك لسان العربي. مع علمك أن لسان العربي واسع الاتساع كثير أن يكون قد أدخلت فيه الزيادة من قوم آخرين، كما تكون تلك في أصل لغته. وإن الأبدي الكثيرة قد تداولته فأخبرني أي العربين أحسن، قومه الذين لا يحصي لك من أن تقول بأحدهم. وأنت عارف بسيرة ذلك وبدئه. وإن قلت بهم لا يعلمون أن يأتوا مثل تعصبه وترصيعه. فإنك إن تعصب الشعراء لشعرهم وزوجه به الوزن الصحيح الذي هو أضعف

وفق معنى ، وختير لأحد معنيه لصفة عربية الخصة مع السياق معنى حسن ليس في الأحكام وضع في الصفة . لأن كلمة كله سحرٌ مكسر ولاء خلف وتكسر معنى لا معنى هذا فإن لست بل هو أصح معاني . سلمنا أن معنى جديد فطرت به فيه نفسه منك؟ وأي معنى صحيح وجدته فيه . فوقفنا عليه' وأي حق لم نسمعه على عليه النعم والكمال من شرح أو صحة في الكتب متقدمة . فإذا لم

ويدل على ذلك كله ينحصر في كلمة واحدة هي أن القرآن لا مثيل له فعلا في تركيبه نسمه جديدة وجيه، نفوس منة . فهم أولاء العرب بعد أن جاءهم القرآن وأمنوا به قد تغيروا من حال إلى حال أخرى غير التي كانوا عليها . فأصبحت سادة وأصحاب حضارة في عصور عدة عقود من السنين فالأقل بعد أن كانوا أمة منحطة في كل مناحي الحياة . وهو ما لم يحدث من قبل ولا من بعد . وهم حين تعلم ذلك لم يتغيروا في ملامحهم أمة منحطة منهم لله أقل منهم . بل مع أنهم ذات حضارة وتاريخ وعلوم وبعثة إدارة وعسكرية وسياسة ليس هم منه قليل ولا كثير . وأكثر عدداً وأقوى عُدة منهم ما لا يقاس . ومازال دينهم قائماً في نفوس أهل تلك البلاد حتى الآن . وذلك لعنايتهم وتاريخهم . بل إن من أهل تلك البلاد من تفوق في علوم العرب الأصلاء التي تعرفها العربية والإسلام بها . وفي دراسة الإسلام يستعين فيه فهم ما لم يستطيعه كتاب حر قبل القرآن ولا بعد القرآن . وهذا أمر يعجب أولا وقبل كل شيء . أن قوة في العرب قد حصلت ليس . إلى التصوير عليه . فلا أدري كيف نرى هذا الكتاب نفسه غير ذلك . العرب جميعاً قد سجى أمرهم بعد عليه الصلاة والسلام بخضوع بالغ لعقولهم ، قلوبهم وضمائرهم . وفي عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم وأدبهم ، ثم يعني أنه هو الذي نصر نبيهم كلهم أن كلام صاحب لا

معنى له إلا أن رسول عبده ما كان قد بعث معه دينه لفسخه في أول يوم
قومه سنوته، وهذا لا يقول به إلا من هو سخيف العقل أو المحسن به ما
قبل هذا به عيب سلام قد صحت عن العرب وتعهد سنوته لأنه قوم
سماع، فلما عاد فقال إنه قد خصوه، أي حجوه وهرموه، ما يصنع
بهذا به هذا يذكرني قصة حبيب، الذي يقص شعر جاهلي ولكن صحت
لأنه لا يعكس ترى المعنى الذي سنح إليه الترك حسب رغبته حين
وصفهم بأنهم قوم خصيف، أنه حين أراد أن يذكر خطأ خصمه أبصر
حين حجه مقصوده، فلا بد له كما من صحت استكرى حيث لا تكتب
خصائص الهداية من هذا، وهو ما حدا بي أن أعده خصمه يتوعون على قاس
واحدة أنهم إن خصمه لا يعني من سخف سبك رجحه وتفصحه، بل من
يقبل بجادلك ولا يقبل التسليم بأي غير الذي يراه مهما تتعنت له هذه
على سخف ما يرى وجرأته ما يقدر أن تسمه أن قوم خصمون أن يرد
به هذه سنة العرب ومعتقداتهم عند الغلوب، ولا تدري على أي شيء
وسعدنا في أبي وقاص وسعدنا في معاذ وأبي موسى الأشعري وجرير وسعيد
بن المسيب وأبي بكر وعمر وعثمان وحمزة وغيرهم من العباس وحمزة وحمزة
وحفصة وزينب وأم وأم ... إلخ بل كل هذا من حرائم بن وحمزة
يعني هذا الكتب مقصي شرين الذهن يقصد أنهم قوم خصيف
هو نفسه ما تكرر مرارا في كتاب الله المسيح إلى الله عز وجل أن
بني إسرائيل "شعث ضلت" فهل يقول كما قال في المحسن بن
بني إسرائيل أفصح منه سنحه وأرجح في حجة وأصلق؟ ثم عدنا إلى
يعني ... على هذا، أن يقول إن سبحوه قد أخر وانتصر سخفه
مستحث على مسيح عند محاسنه وحسنه، ومن ثم فهو يستأهل ما جرى به
لأن حجته هي التي نصرت، فكيف أليس كذلك أيها الناقد المنصف؟

[illegible] حكمه [illegible] عن فعلته، وحاجتُ حاجاً فغلبني ؟

[illegible] في [illegible] أحسنَ [illegible] قول [illegible] عن نفسه به [illegible] عربي مبين. فهو كلام [illegible] على حمل [illegible] يتصدى [illegible] ذلك [illegible] من [illegible] في [illegible] إلا وفيها [illegible] من [illegible] شيء. [illegible] العربية من ذلك؟ وهذه [illegible] التي أحدثها كل [illegible] عن [illegible] لا يقبل [illegible] وإذا [illegible] أن نقول [illegible] بالعبرية، أو [illegible]، أو عربه، أو [illegible] أن [illegible] في كل من الإنجيلية والعربية [illegible] العربية أقل من [illegible] العربية. والدليل على ما [illegible] أن [illegible] كلمات موجودة في العربية قبل ذلك. [illegible] كل منهما [illegible] العربية. فإني سوف أريد هنا إجمال ما بقي [illegible] العروبة بعد نفي الإسلام، وما وقع أن تعدد هويته العربية لا يتعدد [illegible] الأشياء وحدها، بل يتعدد في هذا على الاتساع الهائل في معجمها [illegible] بكثرة مذهلة، وتضرع جميع [illegible] شوارد دقيقه ومروره [illegible]، في [illegible] هذه وغنيته [illegible] الأعرابي وحلاوة أسجاعه [illegible]، وتوازنه، وتوازيه، وسهولته، ستجدث كلماته جديدة [illegible] [illegible] سرعة [illegible] العربية، وحرصه على سلامة تفاعيله بحيث لا يجد [illegible] مشاكل أو تعد [illegible] سماع ساكنين مثلا. فضلا عن [illegible] بعض الأحيان التي استعرت من [illegible] بكثير الكثير كالدراسة [illegible]، لأوربة وتسريحه، بالسين والصفير وقلة الأنماط الأحيه [illegible] تستعمل فقط في [illegible] بزة استعمار الأحسن، أو على الأقل [illegible]. أن إعطائه شكلا عربيا كـ "تلفزيون" مثلا أو [illegible] استعارة بأنماط أحمية فهو أمر طبيعي حين يتم هذا النمط على حيوان أو

سات أو دكهة لا تعرفها السنة العربية كحيوان "الزرافة" مثلا أو فاكهة "الباذنجان" أو "الأفوكادو"، أو جمع شتى العرب به كـ "الأوتوموبيل" الذي سرعان ما زال واحلى مكانه لـ "السيارة"، و"الفونوغراف" الذي سميه بـ "المحرك"، و"الراديو" الذي نقول عنه منذ وقت جد بعيد "النص" وهكذا... ثم إن العرب لم يستفحم عليهم شيء في القرآن، ولا تكلف لفهمه معه وأمواله وجاهدوا في سبيله وحفظوه وصدروه في مؤلفاتهم وشعرهم فكيف بهم؟ أما دعوى أن الشعر أفصح من القرآن فلا يرد عليها نحو من أن نقول إن الشعر جميعه قد أمر محمد بالشعر، وكان كلهم في خدمته يدافعون عن دعوته وجنوده ويمجدونه ويهجمون على أعدائه يمزقونهم بألسنتهم قريظ. وليس هناك كتاب في الدنيا قد نال العقول والأرواح كما صنع القرآن، ووُضعت حوله الدراسات كما وُضعت حول القرآن، وكان سببا في ظهور علوم كثيرة كما كان القرآن نفسه فقد أنشأ الشعراء وشاعرين، وأنشأ القرآن لشعر أن هذا القرآن هو من عند الله، ولا أحسن شيء من ذلك في قراءة الشعر ثم ليت شعري ذلك الكتاب الخطير من القرآن في جلاله وبين عظمته وعظمة تشريعاته وبين عجز المتعربين وغير المتعربين وهجاء المحدثين وتحسين المتكلمين والمحدثين والمتأخرين ووصف السفر وحمل وحفظ والاعتناء عند الوضاعين؟ وبقي قوله إن القرآن قد زيد فيه ونُقص، وهي أغرب قصة في تقييد هذا الادعاء مأتيه من نسبته إلى حقيقة بقطع النظر عن مكابر، وهي أن القرآن من أوله إلى آخره سورة واحدة ليس بين بعضه وبعض أي تفاوت سواء من ناحية فخامة الأسلوب وجلاله أو من ناحية أغراضه وتراكيبه وعباراته وصوره وبلاغته أو من ناحية الروح الذي يرفرف عليه أو من ناحية موضوعاته ومقاصده وأخيرا نقول لو عدنا به لو كان قد قدر

... وصحبه وسائر الأنبياء. لكذبين أضحاب كاذبين انتحلوا محمد لكذبهم قد حجوا منه وسؤال وقد لم يتح هذا لنبي مرسل لكريم؟ ... ... هو أنه بني عشرين. الله هو فاتحة رجال حقراء والواقع أن كل ذلك بعيد لكفر معناه أن محمد عليه الصلاة والسلام قد أراد بشر أن يكثروا بعضهم وأن يجتمعوا على عقائدهم سبعة ليونية وأن يخلصوا إليهم لله وحده فلا يشركوا معه واحدا من عباده الفانين؟

... وهذا يزعم الكذاب وقد رأيته الجلالة والدمع في الدور واحد يعصبه دروس في التوحيد. وهو يوبخ المشركين. فقال "ولما قرأت إنه مكتوب على العرش "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" فقد كثر تعجبي منك. كيف أمكن أن تصور مثل هذا الصحيح حتى تزويه وتكتب به إلى متنبي من أهل البغي وضحه الاستبداد. لأنك في حكمتك لم تترك شيئا لليهود يستهل خدون الله بهذا أنه جالس على عرش محدود. فلم ترض أن الجنة على عرش محدود حتى كتب على العرش سمه وسم آخر من جنته وهيهات أن ذكر رأي أهل الحديث في ذلك الحديث أود أن أقف بالقارئ قبلا عند حتى تتبين أصالة صاحبه عند ذكر الله. وكأنه من أهل التوحيد والتحميد، وليس يعبد عبد يأكل ويشرب ويبول ويجرأ ويمرض ويشفى ويسعل ويشم ويعطس ويعرق بالدم نجسة، ثم يقول عنه إنه منحسدا. وعجبت أن سحر من اليهود، وهو قد سبقه بغرق في التحسيد! ثم إن هذا الحديث ليس بالحديث الصحيح، بل حكم العلماء درجته بأنه أكذب ما يسمع. ومن ثم فلا داعي لكل تلك الضجة التي لو صح الحديث مع ذلك ما كان فيه داع لإحداثها. لأن ما في ذيل الوعد من التحسيد يرتو بالتأويل. ثم على ما في ذلك الحديث، بل كان فيه تحسيد حقا، ولكن الكلام فيه رمزي استعاري كما هو الحال في كثير من العبارات المشابهة كما

يعرف كل من له أدنى مُسْكة من عقل!

٢٠- لم يستقل بكلامه بل بموضوعات أخرى منها غسل الأيدي من أجل الصلاة الذي يسخر به ويشكك فيه لأنه لا فائدة له، إذ العبرة بالقلب كما في القلب الإلهي الذي ننشهده به، وهو ما يدركه بكلام يعرفه عندما من أن الله رب القلوب، يعني أنه لا يهمه الصلاة ولا الصيام ولا الحج، بل المهم أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله، مع أن الصلاة والصيام والحج هي بعض من أدلة ذلك الإيمان، ولا فكيف نكون بإيمان الله في الوقت الذي لا يريد المدعو ذلك الإيمان أن يؤدي الصلاة أو الصيام أو الحج أو سواه طبقًا لما أمر به عز وجل؟ إنه لا حكمة أن الذي يخلص حقًا في سواد القلب والنفس، بل لا يخرج عنه أمرًا آخر هو. الكلام هو كلام المعتقدين والمفكرين أنفسهم، لأن الشخص الذي لا يغسل يديه قبل الطعام يكون عرضة للإصابة بأمراض تنتج عن جراثيم أو ميكروبات أو الفيروس الذي يسببها، وليس أتوقع أن يتشدد المسيح على هذا المعنى فالحياة تحتاج أمراضًا كثيرة، لكن ذلك الكلام منسوب إلى الله عبر رسوله قد أحدث أثرًا عكسيًا رهيبًا شديدًا، ولا أظن أنه لا يعلم الله سبحانه يمكن أن يحدث مستقبلًا من رسله بوضعية مثل هذه بوجه ولا ذلك بفهم من العبارات التي في المسيح ذلك ضمن مؤسسي الأديان حين أن اليهود يهتمون بغسل الأيدي قبل تناول الطعام، فهو يرى أنه سعى عبثًا جدوى بفعلهم، ولا يصح أن نحسب كراهيته للتقاليد اليهودي عند تعريضهم على الحفاظ على النظافة وغسل الأيدي من جراثيم، ذلك أن نتفق تعريضهم لمرض، وحرصهم على النظافة شيء آخر، وحتى لو كان هدفهم بالنظافة معنى التمسك الشكلي بالمقدس فقد كان أحرى بالمسيح أن يرفض تدنيسه، ويكتفي مع حرصه في ذات الوقت على الاهتمام بالنظافة بغير ذلك، إذ

ليس هناك أدنى تعارض بين الإسلام كما جاء بصحيحه في الكلام المنسوب
لسيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم قوله إن الشر والشرور يظهر الإنسان من
داخله كما نحن المسيح. إذ ما علاقة هذا بذاك؟ واضح أن من كتب هذا
الكلام كان يتصور أن الأكل إنما يمر من الفم إلى المعدة ثم إلى الخارج دون أن
يعرج في طريقه على مكان آخر. وهي فكرة خاطئة تمامًا، إذ الطعام لا
يخرج إلى الخلاء إلا بعد أن تكون عناصره الغذائية قد امتصت في المعدة
والأمعاء وأصبحت بعد هذا جزءًا لا يتجزأ من الجسم. ثم إن معظم ما عناه
المسيح (حسبما نسبته له مؤلفو الأناجيل) أفكارًا. أليس من الأفكار في
شيء. نرى هل السرقة فكرة؟ هل القتل فكرة؟ إن كل
شيء من هذا إنما هو سلوك لا فكرة. كما أن الأفكار من قبيل الكبر
والطمع والكراهية وما إلى ذلك، إن عدها أفكارًا، إنما تأتي من الخارج
ويعبر المدخل ذلك أن الشهوة مثلًا إنما تثور في النفس حين يرى الإنسان
مرأة فاتنة مثلًا. والكبر إنما يصيب النفس عندما يجد الشخص أمامه ناسًا
ضعفاء أذلاء جاءوا يعرضون النجدة بمنصبه أو ماله عليهم. لهذا وذاك فإنا لا
نوافق على ما ينسبونه للمسيح الذي "ليس ما يدخل من عند الجمع إلى النبت.
سألت تلاميذه عن المثل فقال لهم أفأنتم أيضًا هكذا غير فاهمين؟ أما
تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه، لأنه لا
يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف، ثم يخرج إلى الخلاء، وذلك يطهر كل
الأطعمة. ثم قال إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان لأنه
من داخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل،
سرقة، طمع، خبث، مكر، عهر، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل.
جميع هذه الشرور تخرج من داخل وتنجس الإنسان" أما وصف موقع
صلاة الإسلام بأنها مظهر سهرجة. فلي ذلك، وصلاة المسلمين هي أسمى

الصور ... فلا موسيقى ولا طقوس غريبة ولا أسرار ولا ونيات ولا عدة للنشر ولا ضرورة لأن يقودهم رجال دين أصلاً؟ إنه لم يجد في الورد حسنا فقال له: يا أحمر الخدّين!

٢١ - وفي هذا السياق يؤكد صاحبنا أن السبب في تحريم الخنزير والحمل وغيرهما على بني إسرائيل ... أنهم عندما كانوا مقيمين بمصر كان المصريون يعبدون الأصنام التي تشبه الثيران والبقر والكباش وسائر النعم ألا ترى كيف قال موسى لفرعون: لا يجوز أن نقرب لله قربانا تحبه المصريين، لأنا نريد أن نقرب القربان التي يعبدونها. فبعد ذلك أمرهم بإراقة دماء قربانهم وذبحها؟ ويستنبط من أن موسى لما أقام في أمر السبت ضلت بنو إسرائيل من هارون أخيه أن يصنع لهم عجلاً يعبدونه لأن موسى أبطأ عليهم، فصنع لهم صنماً على صورة العجل على منهج ما كانوا يرون من عبادة أهل مصر. هذا ما ذكره المدلس الكذاب. ونكتفي من قوله بأن سبب تحريم الخنزير والحمل على بني إسرائيل هو أنه أشبه أصنامهم بمصر. "كان المصريون يعبدون الأصنام التي تشبه الثيران والبقر والكباش وسائر النعم"؟ أرجو أن يأتنا ذلك المدلس (أو من يتسترون تدليساته هذه في مواقع المشاكسة) من يفهمه هذا التفسير الصحيح الذي هو كل التفسير الصحيح لحرّم الله عليهم جميع الحيوانات التي يعبدها المصريون ولقال لهم إنما حُرّمت عليكم لأنها تشبه ما يعبده المصريون، رغم صنع هارون للعجل وعبادة بني إسرائيل له، لم يحرمه كله، في الوقت الذي حرم الخنزير والحمل رغم عدم عبادة المصريين ولا بني إسرائيل له، وهو ما يدل على أن الكذاب يكذب ويدلّس ويقول أي كلام. والسلام

وهذا هو ما جاء في سفر "خروج" خصوصا بذلك الموضوع بدءا من الإصحاح الثامن. "فدعا فرعون موسى وهارون وقال: «اذهبوا اذبحوا

لإنكم في هذه الأرض» ١٠ فقال موسى: «لا يصلح أن نفعل هكذا، لأنا إنما نذبح رجس المصريين لربنا. إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرجمونا؟ ١١ نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح لربنا كما يقول لنا» ١٢ فقال فرعون: «أنا أطلقكم لتذبحوا لربكم إلهكم في البرية. ولكن لا تذهبوا بعيدا. صلّوا لأجلي» ١٣ فقال موسى: «ها أنا أخرج من عندك وأصلي إلى الرب، فترتفع الدبّان عن فرعون وعبيده وشعبه غدا. ولكن لا يعد فرعون يحتال حتى لا يطلق الشعب يذبح لربه» ١٤ فخرج موسى من عند فرعون وصلى إلى الرب. ١٥ ففعل الرب كقول موسى، وارتفع الدبّان عن فرعون وعبيده وشعبه. لم تبق واحدة. ١٦ ولكن أغلظ فرعون قلبه هذه المرة أيضا فلم يطلق الشعب..» فأين الكلام مؤداه سفر الخروج عن عبادة مصريين للخنزير والجمل؟ إن الكلام إنما هو عن العجل. فهبنا هو رجس مصريين. وحتى لو افترضنا أن ما قاله الكسدي الكذاب صحيح، لقد كان منطقي أن يأمر الله بني إسرائيل أمرا صارما (على الأقل بعد أن تركوا مصر ولم يعودوا يتعرضون لأذى المصريين بسبب ذلك) أن يذبحوا هذه الحيوانات وأن يأكلوها كي يقر في أذهانهم وقلوبهم وضمائرهم أنها ليست آلهة، بل مجرد حيوانات تُذبح وتُؤكل. ثم لو افترضنا مرة أخرى أن تحريم الخنزير والجمل رجع لعبادة المصريين لهذين الحيوانين، لقد كان المنطقي أن يمتد التحريم لسائر الحيوانات المعبودة لديهم حسبما قلنا. لكن شيئا من هذا لم يحدث، كما أن الخنزير والجمل لم يكونا من تلك الحيوانات المعبودة في مصر كما سلف القول. وفوق ذلك لقد كان المنطقي، طبقا لذلك التفكير السخيف المتهافت، أن يتم تحريم الخنزير والجمل في مصر خوفا أن يثير ذبحهما ثائرة المصريين رغم سماح فرعون لبني إسرائيل بذبح رجس المصريين. بيد أنا نعاجأ بأنه إنما تم في

شبه جزيرة سيناء بعد أن تركت بنو إسرائيل مصر وخلصهم الله من أيدي فرعون مصر ليس ذلك فقط، بل لا بد أن نضيف أن خوف الإسرائيليين من ذبح جيش المصريين (الذي لم يكن معه جرير واحمل كما قد) بدا كان مقتصرا على دفعه قريبا منه لا لأكله ثم لو كان تحريم جرير يرجع لهذا السبب الذي ذكره الكندي، فلماذا يا ترى لم يحل لمسيح لحمه؟ بل الذي أحله بل هو يوشك سبولا على ذوق يوليين وشهواتهم كيلا يحسرهم، وأباحه حتى يعربهم المحرمون في شريعته، التي كانت تقدم الشاة أو الشاة على يديه ما أبعده عن الدعوة التي دعا به عيسى عليه السلام.

وعلى أية حال هذا هو السبب الحقيقي لتحريم لحم الإبل والجرير وغيرها من الحيوانات في شريعة موسى، وليس صحيحا أن لا علاقة لتحريمه بعبادة المصريين الشاة خلافا لما يزعمه الكندي المدلس، وخاصة أنهم بدأوا بعد خروج موسى وقومه من مصر بسنين قليلة، وكلم يرث موسى وهارون قائلا لهم: "كلم بني إسرائيل قائلين هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض. كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين، ويجتر من البهائم، فإياه تأكلون. إلا هذه لا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف الجمل، لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا، فهو نجس لكم والوبر، لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا، فهو نجس لكم والأرنب، لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا، فهو نجس لكم والخنزير، لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنها نجسة لكم" (اللاويين ١١). وهو نفسه ما جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية: "لا تأكل رجسا ما. هذه هي البهائم التي تأكلونها: الثور، الضأن والمعز، الأيل، الظبي والخنزل والوعل والرئم والشيمل والبهاء. وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه

[illegible] ويخزر فوق ذلك [illegible] هذه ولا تأكلوه. مما يخزر ومما يشق ظلفه ينقسم نجمل ولا يأكل الخنزير. لأنه يخزر لكنه لا يشق ظلفه. فهو نجس لكم. والخنزير لأنه يشق ظلفه لكنه لا يخزر فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا. وهنا نبحث في هذين النصين عن شيء يربط بين الخزير والجمل وبين عادات المصريين. فلا نجد فيهما ولا في غيرهما من نصوص العهد القديم أو الجديد ما يفيد هذا التأويل المتعسف. إن ذلك التحريم يرجع إلى علة أخرى!

ففي مقدمة الخزير من دائرة معارف الكتابة المقدسة نقرأ الفقرة التالية التي نجد فيها رداً على توضيح ستانلي هيوز الكندي فيما ذهب إليه من أن الخزير حلال. "إنه إذا كان قد حرم فقد كان ذلك لأن الخزير موسى من أكل لحم الخزير كما هو معروف. وهو عادة ما يعد عدة. وإن كان لا يوافق أصحاب هذا الرأي كاتب هذه المقدمة من أن تحريمه قديم بدليل أن سبب النهي عن لحمه كان. وقال إن الله كان ينقض الشر آنذاك أو أنه سيحدث كل تجربة أن يأمر عباده بأحسن عهد خاص به من أدنى تقوى دائرة المعارف الكتابية. وكثيرا ما كان يعجب لبعض تجربة الشريعة كل لحم الخزير. ولكن الاكتشافات العلمية الحديثة أثبتت أن الخزير يحمل في جسمه عدوى بعض الأمراض التي ينقلها للإنسان. ويعد لحمه المدودة الشريطية التي تتواجد في أحد أطوارها في عضلات الخزير. فقد أكلها إنسان أو حيوان آخر تتحول في جسمه إلى دودة بالغة تسبب أذى بليغا لعائلها. بل قد تؤدي حياته ولأسف. لكن في الإمكان تجنب هذا الخطر بالطهي الجيد الذي يقضي على هذه الديدان. أصبح من الواجب أن نعلم كلنا هو أنسب طريق للوقاية من هذه الأمراض. علاوة على أن الخزير يقدم لكل ما يجده من فضلات حيوانية أو بشرية. وكانت المقدمة التي لا نعلم من مكتوبيها يمكن أن نقلها إلى

لإنسان، وبخاصة أنها تعيش بين أماكن المأهولة". وهذا نص آخر في منتهى الأهمية يبين النسب في استنجس الخنزير وغيره من الحيوانات التي لا تُعدّ ظاهرة في العهد القديم، إذ يشير بكل وضوح إلى أن هذه الاستنجاس لم يتقرر إلى عهد موسى، بل كان معتمداً قبل ذلك بوقت طويل. وهذا النص مقتبس في "دائرة معارف الكتابية" تحت عنوان "طهارة" يرجع التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة إلى أقدم العصور، فقد قال الله لنوح "من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى" (تك ٧: ٢). ويرى البعض أن التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة كانت تعتبر مقدسة عند بعض الشعوب الوثنية مثلما كان يعتبر الخنزير مثلاً في كريت وبابل. ويبدو هذا الظن على القول: "ولا تسلكوا في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم" (لا ٢٠: ٢٣). ولكن يبدو أن التمييز بين الحيوانات الطاهرة التي كانت الشريعة تسمح بأكلها وحيوانات غير الطاهرة المنهيّ عن أكلها كان مبنياً على الأسباب الآتية: - (١) أسباب صحية. كانت الحيوانات التي تتغذى على القمامة تعتبر غير طاهرة لأنها تعيش على القاذورات والخبث بنتة وكذلك كانت الأسماك التي لا قشور لها ولا زعانف والتي هي أشبه بالحشرات. وكثيراً ما تكون الصدفيات والقشريات سبباً في حدوث تسمم غذائي. (٢) الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة لأنها تأكل لحوم ودم فرائسها. وكان أكل الدم محرماً تحريماً قاطعاً لأن نفس كل جسد هي دمه (تث ١٢: ٤، لا ٣: ١٧، ١٧: ١٠-١٤، تث ١٢: ١٦ و ٢٣-٢٥، ١٥: ٢٣). (٣) الحيوانات التي كان يستخدمها الوثنيون في عبادتهم أو في سحرهم اعتبرت نجسة مثل الخنزير والكلاب والفئران والثعابين والحشرات مثل الحافس وغيرها. (٤) الحيوانات التي تثير الاشمئزاز، والتي توصف

... كل دسيب يدب على الأرض فهو مكروه للأكل. كل ما يمشي على بطنه، وكل ما يمشي على أربع مع كل ما كثرت أرجله (لا ١١: ٤١ و٤٢). وحسبنا أنه لا يوجد شيء يقول إن تحريم لحوم تلك الحيوانات تحريم مؤقت، وهو ما يهمنا في هذا كله.

... الرجل يتنفس الكذب نفسه يراه يزعم أن تحريم لحم الخنزير وغيره مما حمل إثم أحدهم المسلمين من وهب بن منبه وعبد الله بن سلام اليهوديين. اللذين ضحك عليه وخدعه فصدق ما قالاه دون تفكير. ومن ذا الذي يصطنع بهذا العقل والعقل فيعرو التعيب في هذا إلى الرحمن لا إلى سبحانه الله. وبدق ذي بدء نقول إنه لو كان هذان اليهوديان هما المسؤولين عن ذلك الحكم في شريعة الإسلام وليسوا هما يجوز الحمل أيضا ولا ينتصر لي تحريمهما على خنزير. وليس في تحريم الخنزير في القرآن ما يرجع إلى سورة مكية، أي قبل هجرته عليه السلام إلى يثرب والتقائه باليهود هناك. وليسوا عبد الله بن سلام وهذان هما المصدر الذي يشتملان على تحريمه، وهما منحصران في سورة "الأنعام" و"النحل" على الترتيب، وهما مكيتان ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ (الأنعام: ١٤٥ - ١٤٧). ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ

ولا عاد وإن الله غفور رحيم ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿ متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ [illegible] وثالث ما زال قراني الأخير. بقي ما قلت هو إن الرسول لم يرزق من صلبه بنتا ولا كانت له بنت صلبه، بل إن ولده لم يكن له وجود أصلا أيام نبي عليه السلام، لسبب بسيط هو أنه لم يولد إلا عام ٣٤ من الهجرة في صغره، أيام عثمان، أي بعد وفاة النبي بزمن طويل. فهو بدل من تسعين؟ كما أنه فارسي الأصل لا عربي. ثم من عبد الله بن سلام أو وهب بن منه بجانب العلامة المنهية الحنيفة للنبي عليه الصلاة والسلام؟ لقد ترك دينهما من أجله. لكي يدلس الكذاب يتهرأ فيه حقد هذا النسب وتراه يقلب الحقائق رأسا على عقب للتنفيس عن ذلك الحقد. لقد دنست الدنيا كلها بدين محمد. فماذا يمثل أي من ذينك الرجلين بالنسبة لهذا الدين العظيم؟ إن قصة إسلام بن سلام هي حكاية تُروى وتُزوى وتُزوى. وبها تفصح اليهود واليهودية. فكيف لا يجعل الكندي من نفسه بدلا من أن يروج فيريف للقصص والأكاذيب الخرافية؟

وهذه قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما وردت في "سيرة ابن هشام"، وكان اسمه قبل أن يسلم هو "الحصين بن سلام" قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبرا عالما. قال: لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا ذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل بقباء في بني عمرو بن عوف فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس

خبره، أعمل فيه، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة. فلما سمعت خبر مخدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرت. فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيّبك الله! والله لو كنت سمعت كموسى بن عمران قادم بالعلم ما زدت. قال: فقلت: هذا أي عمة. هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه. بُعث بما بُعث به. فقالت: أي ابن أخي. أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت: هذا هو. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا. قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بُهُتٌ، وإني أحب أن تُدخلني في بعض بيوتك وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي. فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه، ثم قال لهم: أيّ رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون به لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي. قال: فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بُهُتٌ أهل غدر وفجور وكذب وفجور؟ قال: فأظهرتُ إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحَسُنَ إسلامها".

(٢) ومما تدعونه أيضا أنه أرجز بالنبوة والنهكم من دين محمد عليه الصلاة والسلام شعرة الحج، إذ قال لنبهاني المتوهم: "أما دعوتك

... في حج بيت الله الذي مكّنه برمي الجمار والسعي وتقبيل الركن والمقام، فسبحان الله! كأنك تكلم صنماً أو تخاطب غبياً ليس هو الموضع الذي عرفه جميعاً حق معرفته، ووقف على أصول أمره، وكيف كانت بدايته في نشأته، وكيف جرى أمره إلى هذه النهاية؟ ولا تعلم أن هذا فعل الشيعة والأئمة الذي يسمونه "المشك" لأعدائهم بعد؟ فإنهم يفعلون في سائر ما يفعلونه مستمدون اليوم من الحق والشرع الذي يسمونه الإحرام والتعريف بيوت أصنامهم في هذا الوقت على هذه الحالة. فلم نرد عليه أنت شيئاً لا تعلمه منه ذرة. فإنك أحدثت بذلك الفعل الذي سميته "المشك"، إلا أنك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف. وأنت يفعلونه في السنة مرتين عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل (وهو الربيع)، وفي دخولها أول دقيقة من الميزان (وهو الخريف) في أول دخول الصيف، وفي الشتاء دخول الشتاء. فهم يصححون ما تصحح أنت. ويشكون كما شككت أنت وأصحابك تعلمون أن العرب كانت تسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال منذ بنى هذا البيت. فلما جاء صاحب الإسلام لم يرد في هذه الأفعال ولا انتقص منها شيئاً، غير أنه لبعد مشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جمعه حجة واحدة في السنة، وأسقط من كل نسيبة ما كان فيه شناعة. وفي النصوص قولاً لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال: والله لأعلم أنكما حجران لا تضران ولا تنفعان، ولكني رأيت رسول الله يقبلكما، فأنا أقبلكما كذلك. فإن كان الرواة الصادقون الذين رووا هذه الرواية عنه كذبوا عليه أو لم يكذبوا، فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين الحجرين، وإن كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك، فلقد قال قولاً حقاً.

هذا ما قاله شيبة الرجل، وهو عجيبٌ جدٌ عجيب! ذلك أن كل ما يلزم به هو وأهل ملته تقريب أو يفعلونه في دينهم لا معنى له، وقد يقولون

بهذه الأسرار، والأسرار لا تُفهم ولا تقبل الفهم. فكيف يعيب شيخ كهذا، وما هو إلا قول عمر، وعمر ليس منهم؟ والمفهوم أنه لا عمر ولا غير عمر ينحته في شعائر حجه بل حجر أو خشب أو بشر، بل إلى الثور عز وجل أما بالنسبة إلى الأضاحي، أليس عند اليهود هم أيضا أضاحي، ثم جاء مشنة من النصارى فزعموا أن المسيح قدم نفسه أضحية تغني عن كل الأضاحي، فلم يعد هناك معنى للتضحية بعده، مما يدل على أنهم مخصوص بشعيرة التضحية، فضلا عن تسميتهم إياه بـ"الخروف"؟ إذن فالتضحية شعيرة سماوية، وإن كانت في اليهودية تُحرق ولا يتمتع بها أحد من البشر، على اعتبار أن الله يشمُّ ثم تُدفن، وكأنه بشر يتمدد بالروائح! أما البراهمة فقد صح ما قاله الكندي عنهم يكونون قد أخذوا الأضحية من إحدى الديانات السماوية، أو كانت ديانتهم في الأصل سماوية ثم دخل عليها التحريف والإفساد كما حصل في اليهودية والنصرانية حسبما يوضح القرآن. وعلى أية حال فالعبرة بالنية والمعنى، إذ قد يكون هناك عملان متشابهان أو متطابقان، لكن أحدهما من أعمال الوثنية، والآخر من أعمال التوحيد. فلنأخذ الصلاة مثلا. فالمسلمون يتوجهون فيها لله سبحانه، والنصارى للمسيح يعبدونه ويؤلهونه. وذلك توحيد خالص، على حين أن هذا شرك ووثنية. وقد يخرج إنسانان لزكاة أحدهما يتوخى بها رضا الله، والآخر السمعة والرياء، فتُقبل من الأول، وتُردّ على الثاني ويُقذف بها في وجهه، وقد يُصلى بسببها نار الجحيم. ومن هنا فحتى لو كانت بعض مناسك الحج تتشابه مع بعض مناسك البراهمة، فالعبرة أن المسلمين لا يعبدون أصناما ولا أوثانا، بخلاف ديانة البرهمية وما تقوم عليه من وثنية وشرك وعبادة أصنام كما ذكر هو، على حين أنه لا موضع في الإسلام بأي حال لصنم أو وثن أو تأليه بشر، إذ الإسلام يتشدد في هذا إلى أبعد الحدود

متشددا! ثم إن الكاتب يناقض في كلامه عن مصدر الإسلام تناقضا شنيعا يدل على أنه يتخبط ويكذب بجرأة لتعلق نفسه كيلا يغرقه البحر الذي يعبق. وهيهات! أفلم يقل إن الرسول تعلم على يد نساطرة؟ فأين نساطرة من البراهمة؟ وكيف يدري عرف البرهمية؟ أكانت عنده مكتبة في الأديان والمذاهب والشعائر؟ ثم سيقولون إنه كان بين صحابته قوم برهميون هم الذين علموه هذا؟ ألا لعنة الله على الكاذبين! أكذبك فقرة ٤ تعترف هي التي بيت القصيد من التحريف. إذ نفيه هو برهميته ونسبته إلى نساطرة كانت هذه بغتة في شعائر الحج قبل الإسلام وبعده فهو أمر عصبي. وكل ما هنالك أن العرب قد غيروا في تلك الشعائر بعض التغييرات. فجاء النبي وأعاد الأمور إلى نصابها كما كانت في دين الحنيفية صلى الله عليه وسلم. وهذا يعني قول مناقض لكذب الكاتب الذي قد حذف من الحج ما كان فيه من شناعات.

٢٣ وفي كلامه الذي من الطلاق برهان على حقده. إذ قال: أفتح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ويكتح امرأة رجلا آخر يسمى المستحلل، وأن يذوق من عُسيلته وتذوق من عُسيلته. ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك هذا. وقد يكون هذا أولاد رجال شلاث، وبنات كثر ذوات بيوت. والزوج الذي له شرف نفيس وحسب خطير، وتكون هي امرأة شريفة في قومها. فهل تدعوني إلى مثل هذا الذي ستشمئز البهائم وستقبح فعله؟. ومن الواضح تمام الوضوح ما في الكلام من خلط مستشنع. إذ كيف يعرف أنه لا يوجد في الإسلام محلل أبدا. وإنما المقصود هو أن الزواج مؤسسة ذات احترامها وتوقيرها، وأن ما يمنع هذا من حصول الطلاق الذي قد يكون من الصعب تجنبه. والذي حاول الإسلام أن يعالجه بوسائل شتى آخرها الطلاق. فرجعي بعد الطرفين ينبهان إلى قيمة ما بينهما من

... في فترة الانعصال . فيراجعها مرة أخرى ... فإن تكرر الطلاق ثلاثا فعندئذ يكون من الخلق أن يمسك حبلا شديدا في العلاقة التي بينهما ، وهو ما يعني أنهما قد فشلا ولا يمكنهما الاستمرار في تلك العلاقة . وعندئذ يجب أن ينفصلا انفصالا لا رجعة فيه . أنهما إذا تزوجت امرأة من رجل آخر وطلقها طلاقا لا رجعة فيه فعودتها إلى زوجها الأول ثم طلقها الزوج الجديد بعد ذلك سبب من الأسباب التي تحول الزوجين في الأحوال المعتادة إلى الصلاح . فحينئذ حتى الزوج الأول لا يرجعها إلى أحد . ومن ثم لا يعني بتهكم الذين يتهكمون عند الكلام عن المحلل الذي يلمح إليه فهو مشروع في الإسلام ذلك مستنكر حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سماه التيس المستعار وهذه وشرة تعبير خطير . إذ أثر عنه صلى الله عليه وسلم قوله " ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له " فما المشكلة إذن ؟ أما كلامه صلى الله عليه وسلم عن ذوق المشكلة فمقصوده تعيير الزوجين من كثرة الحلف وتكرار الطلاق حتى لا يجد نفسيهما في ذلك الموقف الذي لا يحبه أحد من خلق الله الكريم . أما التحدث عن أن الزوجة قد تكون مبدئيا سيئة . وقد لا يراد وجودها في المجتمع . فهذا شيء آخر ، إذ كيف تكون سيئة حقا ، وهي لا تستطيع أن ترتقي في مستوى سلوكها وتصرفاتها مع زوجها تحت سمع الحرام ونظره ولا يفكر في تصيدها ؟ وعلى أية حال فالتشريعات لا تعرف هذه الاعتبارات مطلقا . بل تعمل على معالجة المشكلة دون ريبة أو شبهات ! ويعجب أن يبدي ذلك الرجل امتعاضه من جواز الطلاق في الإسلام . وهو الذي يعلم أفضل من سواه ما يؤدي إليه التضييق على الأزواج والزوجات في هذه المسألة من الشقاء الذي يعيش الزوجين تعاسة الاستمرار والقهر على أساس الغش والدخل والخداع وخيبة كل من

لطرفين لصاحبه بمعرفته ورضاه، بل كثيرًا ما يترك أحد الزوجين أو كلاهما النصرانية كي يستطيع الاستمتاع بحريتهما بعيدًا عن ذلك الإعنات المشقي جدًا، فضلًا عن المفاسد الجمة التي تنقض على رأس الأسرة كلها بدءًا بوقوع الطلاق في النصرانية طبقًا للنصوص التي ينسبونها إلى السيد المسيح، بدءًا بقصر الطلاق لديهم على علة الزنا حتى يكون له معنى عند الناس إلا أن الطرف الآخر زانٍ.

٢٣- هذا، ومن الطريف عند تشيعه على بركة البيت الحرام ومسجد رسول الله أنه لم يجد من يستشهد به إلا داود في مزمورين من مزاميره تدليلًا على أن تلك المواضع لا يمكن أن تكون مواضع مباركة، بخلاف المواضع النصرانية التي يُتعبد الله فيها حق عبادته كما يقول والتي تظهر بركتها في شفاء المصابين من أمراضهم وبرصهم وعماهم ومس الشيطان هم حسبما يزعم، وكأن داود كان نصرانيًا، أو كأنه عندهم رجلٌ تقيٌّ بارٌّ، وليس ذلك الرجس المحرم الذي لم يجد مؤلفو الكتاب المقدس ما يكتفونه عنه إلا ما يلي، واستغفر الله من نقل هذا الكفر: "وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم. وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة حسنة المنظر جدًا. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: «أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي؟» فأرسل داود رسلًا وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها. فحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: «إني حبلى». فأرسل داود إلى يوآب يقول: «أرسل إليّ أوريا الحثي». فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا

بيه. فسأل داوُدُ عن سلامة يُوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. فقال داوُدُ لأُوريَّا: «انزل إلى بيتك واغسل رجليك». فخرج أُوريَّا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصةٌ من عند الملك. ونام أُوريَّا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داوُدَ قائلين: «لم ينزل أُوريَّا إلى بيته». فقال داوُدُ لأُوريَّا: «أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟». فقال أُوريَّا لداوُدَ: «إنَّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يُوآبُ وعبيدُ سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟ وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر». فقال داوُدُ لأُوريَّا: «اقعد هنا اليوم أيضاً، وغداً أطلقك». فأقام أُوريَّا في أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داوُدُ فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل. وفي الصباح كتب داوُدُ مكتوباً إلى يُوآب وأرسله بيد أُوريَّا. وكتب في المكتوب قائلاً: «اجعلوا أُوريَّا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من وراءه لينضرب ويموت». وكان في محاصرة يُوآب المدينة أنَّهُ جعل أُوريَّا في الموضع الذي علم أن رجال بأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يُوآب، فسقط بعض الشعب من عبيد داوُد، ومات أُوريَّا الحثّيُّ أيضاً. فأرسل يُوآبُ وأخبر داوُد بجميع أُمور الحرب. وأوصى الرسول قائلاً: «عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أُمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك، وقال لك: لماذا دنوتم من المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور؟ من قتل أبيمالك بن يربوشث؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص؟ لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أُوريَّا الحثّيُّ أيضاً». فذهب الرسول ودخل وأخبر

داود بكل ما أرسله فيه يوآب. وقال الرسول لداود: «قد تحزب علينا العزم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب. فرمى الرماة عبيدك من على السور، فمات بعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الحثي أيضا». فقال داود للرسول «هكذا تقول ليوآب لا يسؤ في عينيك هذا الأمر، لأن السيف يأكل هذا وذاك. شدد قتالك على المدينة وأخربها وشددْه». فلما سمعت امرأة أوريا أن قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها. ولما مضت النياحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابنا. وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب" (صموئيل الثاني ١١). "وشاخ الملك داود، تقدم في الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فقال له عبيده: «ليفتشوا للسيدنا الملك على فتاة عذراء، فتقف أمام الملك وتكون له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك». "ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم بني إسرائيل، فوجدوا أبيشج الشونمية، فجاءوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جدا، فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها" (ملوك الأول/ ١). ولكن إلى ما سنشهد به صاحبنا من كلام داود "عينا الرب لخوف الصديقين وأذناه إلى صراخهم" (مزمور ٣٤: ١٥) و"الرب قريب لكل الذين يدعونه. للذين يدعونه بالحق" (مزمور ١٤٥: ١٨) وهيت للكذب. الذي لا يعرف شيئا اسمه الحياء ولا الخجل ولا الكذب يردد ما يقوله العوام للبله من مثل "ليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بإيمان صحيح وبنية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر، إلا فرج عنه همه وغمه وكربه فهذه المعجزات العظيمة للمسيح. وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأتي فيها البرهان قائمة من هذه البركات تتعلق على

جميع من صار إليهم وقصدهم بخلاص نفسه، لا يطلب من أحد شيئاً ولا يكلفه، ولا يسأل على ذلك جزاء ولا شكوراً، لأن المسيح مخلص لهذا في جميع الظاهر بحسب أحوالهم بحسب غفلتهم لا تقتلوا ذهباً ولا فضة أعني [illegible] وهل عمله إلا ما يعتقده بعض الناس عندنا من مقدرة صريح المسيح للملائكي والدليل له تأتي على تحمل العذاب ورفعه مقامه، وعلمه حق بقصده لحمل ذلك لا يوجد فيه بعرف مرضٌ ولا نشقاءٌ به ضربة، فكيف، حمداً لله لا يتعبون ولا يتشقون، بل يتقلبون حيث يشاءون صحة وعزة ونشاطاً، فليس نقصان في جيوبهم ولا كيسهم ولا يستعينون على عدا، ولا يوجد فيهم لا حمل ولا هم بعد، إذ هم لا يجتاحون شيئاً إلا قصدوا أقرب دير أو كنيسة ويشحنون بالأرزاق، وقد عاد يجمع عليهم انهمارا، وإذا الصحة جديدة، والأشيا معدن.

٢٤ - ثم ينتحون صوب الجهاد في الإسلام فيزعمون أن في القرآن ما نقض في هذه القضية، فنسألهم هل قرأت في شيء من الكتب سيرة أحد من الدعاة استحب الناس إلى مذهبه ودعاهم إلى الإقرار بما جاء به قهر والرهب أو ضرب بالسيف وتهديد بالقتل وسبي غير صاحبك؟ فقد عرفت قصة موسى وما أتى به من المعجزات، وقرأت قصص الأنبياء بعده إلى المسيح، وكيف ذلك شاهد أن ما جاء به هو من عند الله فهل أحد أخذ من الناس بالسيف دخل في حق أو باطل إلا وقد جاء بحجة أو دليل صحيح؟ فحينئذ يسهل عند العيان صحته من خطئه وكذلك فعل كل ذي دعوة فاعمل دعوته، غير صاحبك، فإنه جاء داعياً الناس إلا بالسيف والقتل والسبي والإخراج من الديار، وما سمع برجل غيره جاء فقال من لم يتبعني ولي سوء به أعذبه بالسيف وسلبته وسبيت نساءه فلن يجد حجة ولا برهاناً على مسيح سيد البشر ومحيي الموتى فيعدل

ذكره، وجل قدره أن تُذكر دعائه في مثل هذا الموضع. وإن أتى كلام سيدي يسبح لربي ويهاري، وهو شعاري ودثاري، وأسمعه يقول: تخصص على إياس هذا، وتوسع إحداهما كي تسبغ أنكحة بني في الدنيا، فإنه يشرق شمسه على الأبرار والفجار، ويمطر على الأخيار والأشرار (الدخان: ٤٣- ٤١) فكيف لظل ظلي، وسبح بحمدي مثل هذا المخصص، لا يقبل قولي حتى أصير في صورة يحبس لعدو لقتال، فأضرب بالنبل لأدفع حسي وبداية آدم محمول عند الله وعلى صورته تعالى، والله خلق الله على صورته، لست أحب ثوب حاضن، لأنه يوم في حضانه، وعند الله سبحانه وتعالى كالأب الرحيم، سبحانه، قد شرف الله سبحانه نوع الإنسان أن كلمته حقيقة فخلقت منه، وتحدث به وأعطته من قدسه من الروحية، والأهلية والتصرف والقدرة، فصارت الملائكة تسجد له وتقدس معه وتسبح ذكره كما يسبح معه الله وذكره، ولا تتصرف في ذلك بشيء إلا بعد أن يعلمه مقدمة سأل أغضي حواس عن يمين ذي العرش شريف بدنك حسد محمود منه الذي هو من ذريته أبيه آدم، فهو منه وأحب في خلقه، وخلقه وهذا بتحدد الكلمة حقيقة به حقيقة، ثم دفع إليه جميع ما تتصرف في السموات والأرض، وجعله تدبير الخلائق وصيّر البعث والنشور والحساب إليه، وإن يحكم حكمه، وقد جاز على الملائكة والإنس والشياطين فأمرهم أن تصدّ أمر الله وأصرهم بالسجود له وسجودهم؟ إن هذا جور على الله عز وجل، وعدل لأمره، وضد نعمه، وكفران لإحسانه وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه".

ولو قع أن أمر هذا الرجل كذب وفرية، فلم يجعل الله الرسول عليه الصلاة والسلام يوم من الأيام أمر ملائكته وأهل سمواته بالتعامي صورته بالسجود له وسجدت ذريته من غير حجة ولا

يعدل ، لا صلق ذلك الكلام قط . بل استمر عليه السلام ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الناس إلى الله في الكون ، بتفكيرهم فيما يقوله لهم ويقرأه عليهم من آيات القرآن الكريم ، دون أن يرفع في وجوههم سيفا ولا رمحا ولا خوفهم في حياتهم سهما ولا نشتمهم ولا هددهم ، بل عرض عليهم مبادئ دينه وصبر على تقبيح عيوبهم وتفنيدهم وعقوقهم ما تحتويه من كفر وذنوب ، وتآمرهم الدنيء بإيذائه هو وأصحابه وبمضايقتهم ومحاصرتهم واضطهادهم ويشجعون عليهم ويدبرون ضدهم . وقتلوا بعض أصحابه وحبسوا بقيتهم هو نفسه ، وذلك بعد أن عجزوا حيال أن يسكتوه بوسائل الإغراء المختلفة من رئاسة ومال وما إلى ذلك ، فلجأوا إلى التهديد والأذى بشتى صنوفه وألوانه ، عليه الصلاة والسلام كان يجري عليه في مكة ؟ وبعد ذكر هذه الحقائق أن المسيح صبر ثلاثة أعوام فقط والرسول صبر ثلاثة عشر عاما لا ثلاثة أعوام حسب كما أن المسيح لم يكف خلال تلك السنين عن اليهود وسبهم ، وكذلك نبهه حواريه بضعف الإيمان ووسمهم بقسوة القلب والشك ، وهم أكرههم وأقربهم إليه ، وبهذيد بني إسرائيل بالسبي وإثارة أفراد كل أسرة بعضهم على بعض ، بالإضافة إلى ما أنذره من حتمية هذا السبي للأمة بأجمعها بأنهم كلاب لا يجوز لهم أن نأكل مع أهل البيت ، فما كان من المرأة الكنعانية إلا أن قالت له إن الكلاب أيضا تعيش في البيت وهو واضح ، كأنه كان يريد بهذه الإهانة الآخرين ويجد سعادة غامرة في رؤيتهم أذلاء أمامه لا حول لهم ولا قوة . وضع نحن المسلمين لا نصدق بأن المسيح عليه السلام يمكن أن يخرج هذه الأعمال ولا أن يتفوه بتلك الأقوال ، فهو نبي مكرم اختاره الله على عينه ورقى أخلاقه ورقية نفسه ، بدليل أن أحدا من ذلك الكتاب المقدس ونصوص كتبه لم يقل إنه لا يريد أن يصدأ أمر الله ويضرب الأعداء بالسيف ويقتلهم ويسبيهم

فليس لي من تعقيب عليه إلا أن أقول له: لنعقل أنك خلق لتعبد بشيء وقد فيه من أمر باستئصال الآخرين وحرق بيوتهم وبيدهم وأولادهم ونسائهم وحب بهم؟ أم تقول بأن هذا من كلام الله؟ إذن فقبح بمثل هذا وأمثاله أن تقول بأن الأنبياء الذين أتوا بهذا الكلام قد أتوا به من عند أنفسهم؟ ولكن إذا كانوا قد أتوا به من عند أنفسهم، فلماذا يرد الله هذا الكلام في كتبه؟ أم يرد به فرضه؟ فلماذا لم يعترضه خالقه ويعاقبهم على هذه الزيادة غير مغفورة ولا محمودة؟ أم ماذا؟ وعلى كل فإن عصر المسيح في عالم الدعوة، يختلف كما قلنا. ولكنه لا يستطيع أحد أن يزعم بأنه كان مستعمراً على السكوت لهم أو لأحد من أعمدة المشركين الذين عاصروا دعوته، فضلاً عن هؤلاء الذين عاصروا حياته وعاصروا موته وقبره الذي وجد فارغاً، ولا يكتمون شيئاً. ولا أحد يقتضي عليه بقضية في ذات حياته. وخاصة أن أعلى أمة من الأمم لا تسكت أو تحجم عن الرد بعضها على بعض!

وهذا كله لو كان القرآن كما يقول عنه الآخرون أنه. ولكنك لا تجد شيئاً يقرب شيئاً مما يدعى ذلك عليه. فمعنى هذا أن الآخرين إنما يردون تكذيب ومفتريات لا صلة بينها وبين واقع الذي بقضاه بين دفتيه الأغراء السيئة عكس ما هو في قضية جهاد وسوف نلقي النظر في معنى كلمة "جهاد". ففي لسان العرب "جهد" و"جهد" بالفتح لغتان في "جهد" و"جهد" بالضم الطاقة وقيل "جهد" بالفتح المشقة، و"جهد" بالضم الوسع. "جهد" بالفتح لا يستعمل من مرض أو نحوه. والأزهري "جهد" بالفتح غاية الأمر الذي لا يقدر على أكثر منه تقول "جهدت جهدي" و"اجتهدت أنا" ونفسي حتى بلغت مجهودي "جهد" و"جهدت" فلان إذا بلغت مشقته و"أجهدته" على أن يفعل كذا وكذا. ومن "جهد" الرجل "جهد" الفرس بلغت به جهدي

[illegible] وجهد الرجل في كذا. أي جد فيه وبالغ. والاجتهاد والتجاهد [illegible] وسع والجهود، هو فتعل من جهد. وجهد الدابة واستفراغ الوسع في حرب أو غيره أو ما أطلق من شيء. والصحيح أن جهد هو مشقة، وأن الجهاد هو أن ينفق الإنسان على نفسه وبذل كل ما في طاقته لا يحتمل وسع هذا هو معنى اللغوي، وهو لا يحصر في شيء معين كما نرى، بل يعم كل ما يبذل فيه المشقة من أعمال. فهل في القرآن أو في الأحاديث التي تحدث عن الجهاد في الإسلام يحصر في القتال وأن الغاية منه هي إكراه الآخرين بقوة السيف على التحول فيه رغم أنوفهم وعكس اقتناعهم؟

سنرى أولا في القرآن نجد، قد جاء لفظ الجهاد في عدة من السياقات والمعاني مختلفة نجد مثلا قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ [illegible] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ [illegible] هنا عاقلا يقول بأن الجهاد هنا هو قتال غير المسلم لإكراهه على التحول عن دينه إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام. أو إنه قتال المسلمين لإجبارهم بالسيف كي يتركوا الإسلام ويرتدوا إلى الكفر ويعبدوا الله. بل معنى الجهد في الآيتين هو بذل المجهود كل ما عندهما من جهد في التأثير على ابنهما

وصده عن دين الله. وصيغة "دعا" هنا تعني أن كلا الطرفين يبذل جهده في مواجهة الآخر. المشرك يحث المسلم عن دينه، والمسلم للاستمساك بدينه وحثه عليه وعدم الضعف أمام ضغط وتأثيره، مع إحسان صحبتهما رغم ذلك كله. والآيات اللاحقة على آية سورة "العنكبوت" مباشرة تشير إلى مدى صعوبة وشدة المحن التي كان المسلمون يتعرضون لها. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ [العنكبوت: ٢-٦] ومعنى أن يلاقي صعوبته المكلفة، وأن الأمر ليس مجرد شفشقة باللسان، بل هناك محن جارحة. والمؤمن الحقيقي هو الذي يصبر ويجاهد ويتمسك بدينه لا يفرط فيه مهما تكن شدة تلك الفتن.

وفي سورة "العنكبوت" نفسها نقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝ [العنكبوت: ٦٩] وهذه السورة، كما هو معلوم، سورة مكية. أي نزلت قبل أن يكون هناك قتال بين المسلمين والكفار. ومن ثم فالجهاد هنا لا يعني إلا صبر المسلم على ما كان يلقاه على أيدي مشركين من أذى وضر، والاستمساك بدينه في وجه هذا البلاء وعدم التفريط فيه تحت أي ظرف من الظروف. وكثير ما كان الصحابة يشكون إلى النبي ما يلقون بهم من جهد، يريدون أن يرد عنهم الإساءة بمثلها، لكنه صلى الله عليه وسلم كان ينصحهم بالصبر والتحمل إلى أن يجعل الله لهم من ذلك بعد فرج ومخرج. ومن نفس المعنى الآية الثانية والخمسون من سورة "الفرقان": ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ [الفرقان: ٥١-٥٢] وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين وكفى بربك هاديًا ونصيرًا ۝ وقال الذين كفروا لولا

[٣٢].

ويوضح هذا أيضًا أن الجهاد لا يعني القتال، بدليل أن القرآن المكي، ولم يكن مسلمون قد سمح لهم بعد أن يردوا العدوان عنه، بل كان الشعار آنذاك هو الصبر والاعتصام على الأذى كما تقدم سببه. لكن ما ورد الأمر عن جهاد وبعد هناك مفر من المواجهة بعد أن بذلوا كل ما يمكنهم تقديمه من التسامح والعفو وما بانت شيء من ذلك

شمرة. كان لا بد هم من قتل من قاتلهم وضرب من يضربهم، فالعين بالعين، والسن بالسن، والدين أصل وهذه هي الحياة، ولا أكل الدنيا لو فتح حين مساء لكل بين في القرآن أي كلام عن الحرب الأحرى على عقيدته. فالإسلام لم يعرف في عرفته الكبيسة من التسلط على العقول وترويع الأحرين والتفتيش في ضمائرهم وتعذيبهم وتحريقهم حتى يدخلوا في دينه، وذلك زعم ما تشدق به الكنيسة من كلام خيال عن التسامح المصطنع الذي يوجب على صاحبه أن يدير خده الأيسر لمن يصفعه على خده الأيمن. إلى آخر هذا الكلام الذي لا يصلح لتدبير الشئون إلا لوقت معلوم وفي ظروف خاصة، ويقتصر على حالات الأفراد داخل المجتمع الواحد. ولا كانت كارثة. وفي القرآن آيات متعددة توصي بالصبر وعدم الرد على السيئة بمثلها، وآيات أخرى توجب المساواة بين الرد والعفو، مع تفضيل الأخير به. وهو ما يدل على أنه لا فرق بين الإسلام والصبر به في تفضيل العفو على الشر. ولكن إلى حين. وهذه أخرى يدعي الأستاذ أن المسيح عليه السلام لم يمكث بعد أن جاءه الوحي أكثر من ثلاث سنوات، على حين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مكث في مكة يبشر بدعوته لا ثلاث سنوات وحسب، بل ثلاث سنوات وفوقها عشر. كما أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكن حاكما على دولة ولا تحت يده أمة هو مسئول عنها وعن مصيرها مثلما حدث مع النبي بعد هجرته إلى المدينة. ولا أظن أحدا يستطيع أن يزعم أنه كان سيجري على هذه السنة إلى الأبد! فمن الذي قال إنه لو عاش لألقى سلاحه إلى سيد؟ إنه المسيح نفسه وليس أحدا آخر سواه.

وعلى هذا فإن قوله عز شأنه في آخر سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ

وَفِي هَٰذَا هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

[illegible] لا يمكن أن يكون بعده شيء آخر غير بدل واسع لإصلاح الله في كل أمر يستصعبه الإنسان ويأمر بما يستطيعه الإنسان ويرضى به لا تنهى، لأنه تتسع كل أمور الحياة من زراعة وتجارة وصناعة ونعيم وبؤس وقوة وكثرة وسياسة وسفارة وطب وهندسة وحراسة وجندية، وكذلك قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ كالمرابحة والبيع والدول للعرب التي تعاونهم لأن [illegible] أن يجاهد في نزعة حبه وحياة أمته وحياة نفسه شيء، ولا شك أن كل المسلم لأن وعده بها في قيمة الجهاد هو الذي ذكر في هذا المرفق العسير الذي يمر به في عدة الأيام الحسنات، وهو يستحقه في حد كبير لأنه أصبح الفرصة لهو الفرصة على مدى قرون كاملة حتى ينهي به الأمر إلى وضعه الذي حتى الذي جزاء عليه أعداءه بث جرأة مهيبة التي يلوها ويذوق كأسها مرة كاملة كل يوم وهي ستكون حسب [illegible] عنها في غاية العسر يوم القيامة، ولات ساعة مندم.

قد جاءنا توجيه في أحاديث عديدة من رسول الله نخص بالخصوص شريعة واسعة التي صحيح البخاري نقرأه، حديث الذي يجيب فيه الرسول الكريم على سؤال عائشة يتعلق حكم الشرع الذي في القتال مع الرجال قلت يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال لكن أحسن جهاد وأجمله حج، حج مبرور، فقالت عائشة فلا أدع حج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه امرأة صلى الله عليه وسلم يعد حج من جهاد، بل أحسن جهاد وأجمله، وفي صحيح البخاري أيضا قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أجاهد؟ قال لك أبوان؟ قال نعم

[illegible] فقيهم فجاهدا" وقد كانت بعدَ النبي عليه السلام قيام الأمة
[illegible] جهادا في سبيل الله. وفي مسند أبي داود "جاهدوا المشركين
[illegible] وألسنتكم". وهو نص على أن جهاد الأعداء لا يكون
[illegible] فقط، بل بالمال والكتابة أيضا كما يكون بالنفس. وفي
[illegible] مجاهد بشعره. وفي سنن أبي داود عن عباس قال قدم
[illegible] فقال لي عباس ما هو بمعيب قد جاهد مع رسول الله صلى
[illegible] عليه وسلم بيده ولسانه". أي أن ما فعله وجد مثلي الأمة أو
[illegible] الأخرى بأكثر منه. وقد أعد كعب بن مالك ثمانين بالكتوب مشرفة، بحر
[illegible] في باب جهاد. وإن كان الأجر متوقفا على أن تكون مخلصا في نيتك لا
[illegible] تبغي به السمعة ورياء الناس وأن تكون قد بذلت أقصى جهدك حتى تنال
[illegible] هذا الأسلوب هو الأسلوب المطلوب وليس مجرد حماسة هوجاء لا عقل
[illegible] ولا هدف واضح أمامه. وهذا أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه. وفي
[illegible] الترمذي "المجاهد من جاهد نفسه". أي كف عن الشهوات وقام
[illegible] بواجب الطاعة لله سبحانه وبذل وسعه في عمله وشمر عن ساعد الجد في
[illegible] سبيل العمل والإصلاح. وهو يركز على الكسل أو التعثر أو الاحتكار أو أسلوب
[illegible] سلبي، بل صبر على تكليف الإنفاق والتدقيق والإبداع وسعى في
[illegible] طلب العلم، فإن كل هذه مشقات تكرهها النفس عادة ولا تريد أن تتحمله
[illegible] فيها شيئ من التعب أو المكابدة. فبين النبي عليه السلام أن الجهاد الحقيقي هو
[illegible] جهاد النفس بصرفها عن عادتها الموروثة، ومنعها من مفارقة المعصية، ومن
[illegible] التقاعس والتواكل، ومن أكثر المعاصي أو من رواية بن تيمية من الأحاديث
[illegible] الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه
[illegible] ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر
[illegible] السيئات. والمجاهد من جاهد نفسه لله". فقد جعل النبي الجهاد هو جهاد

نفس . وهذا هو معناه وفقهه . وهو لا يعني جهاد الذي هو قتال لغير المسلمين والمنافقين والمتمردين ومن أشبه . بل يشمله فيما يشمل . إذ هو نوع من مجاهدات النفس قد يكون أقصاها في بعض الأحيان . وقد يكون غيره أقصى منه . وقد تكون ألوان الجهاد كلها متساوية . وكل ذلك حسبما تقتضيه الظروف . إلا أنه ليس اللون الوحيد على أنه جهاد . ومثله ما رواه حافظ العراقي من قوله عليه السلام: "المهاجر من هجر السوء . والمجاهد من جاهد هواه" وفي صحيح جامع للأسى "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره . ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون . ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" وفي صحيح الترمذي "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" . وهو مما ينقص أمة الإسلام اليوم إلى حد كبير . إذ كلنا (إلا من رحم الله . وقليل ما هم) يخشى سلطان جائر . وكلنا من يداهنونه ويُوردونه ويُوردون أنفسهم والأمة كلها معهم موارد الهلكة كالذي نحن فيه الآن .

إن الجهاد ليس هو القتال صرفة لازب . كما أنه لا يعني قتال الآخرين بغية إكراههم على اعتناق الإسلام . والدليل على هذا هو قوله سبحانه وتعالى من سورة "البقرة": ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ۝ وقاتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ۝ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ۝ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ۝ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص

[illegible] بكل وضوح، ودون مبادلة لغدرهم بغدر مثله.

[illegible] قوله عز شأنه في مفتتح سورة "التوبة": ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ۝ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا

[illegible] الله ورسوله، إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ٣ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ٤ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ٥ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ٦ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ٧ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ٨ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ٩ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ١٠ فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ١١ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ١٢ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ١٣ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ١٤ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ١٥

[illegible] والكلام هنا يفصل بين مشركين كانت بينهم وبين المسلمين عهود فنقضوها وهم برغم ذلك لا يبيحون لأنفسهم دماء المسلمين إلا بعد أن يعلنوهم بدء حرب لا يقبلون سواها. وذلك بعد أن حرب المسلمون

نعم أوان التسامح حتى باحت المسألة وما بعد ما من معنى. ورغم ذلك سعى الأبعوت الأمر الفرنسي في هذه الآيات بإجارة المشرك الذي يستجير في هذه الظروف المتوترة بالمسلمين وحثه على أن يسمع كلام الله في جو هادئ فلا تكون له أية حجة في عدم قبوله من المعاهدات بعد هذا. ثم عليه فوق ذلك أن يوصلوه إلى مأمنه فيبلغه المأمن. فما الذي يريد من المسلمين بعد ذلك كله؟ أيجب عليهم أن يصيروا للمحتل المعتدي نعمة سلام ويقبلوا له ذلا وجبنا من عنده مثلا أعلى وذكرى يسعى أن تُحترم؟

حدثت فشريعة الكتاب المقدس لا تعرف في تلك الحقبة إلا الاستئصال لكل ذي روح، بشرا كان أو حيوانا. لا دفع جزية ولا إبقاء على حياة لأحد، واحترام عقائدهم. يقول الإصحاح العشرون من سفر التثنية "وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. كما أمرك الرب إلهك. لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع رجاساتهم التي عملوا لآلهتهم. فتخطئوا إلى الرب إلهكم". والمقصود بالتحريم هنا هو الاستئصال. وفي الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول "وقال صموئيل لشاول إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ما له ولا تعف عنه بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا". وبالمناسبة فمصر هذه الأيام تعني. أفصل شرفاء يعيشون على تخلق قلوبهم على الجود والتسامح ومئات مصريين

[illegible] قتلوا في سيناء عقب هزيمة ١٩٦٧م مجزرة وبعد استسلام جيش مصر في عهد السفاح حاكم عدو (!) جمال عبد الناصر، الذي يصور بعض سذاج أنه لو كان حيًا لأزال نفوذ إسرائيل والولايات المتحدة من المنطقة، وهذا تصوف من جانب اليهود لا يمكن فهمه على وجهه الصحيح إلا في ضوء مخطط لهذه الجريمة المتوحشة حيث في يوم السبت الموافق ١٢ / ٣ / ٢٠٠١م تحرير أسيرين مصريين يعملون في إحدى شركات أبو العطا وشركاه بالجنسية الإسرائيلية تدرس دفع تعويضات لذوي ضحايا مجزرة الأسرى في حرب ٦٧ عن المجزرة التي تم فيها قتل ٢٥٠ جنديًا مصريًا في سيناء رغم استسلامهم بعد هزيمة ١٩٦٧م أن الكتيبة من الجنود (الإسرائيليين) التي قامت في مجزرة سيناء عرضت محكمة لأول مرة المتهمون الإسرائيلي في ٢٦ فبراير الماضي اعترفوا بأنهم قتلوا الجنود المصريين المذكورين بشهوة القتل، وتنفيذ تعليمات عسكرية من قادتهم وقالوا إن من أسباب شرائهم نفسه في عمليات مصادرة الجنود المصريين المستسلمين وقتلهم بعد ذلك حتى لا يعودوا على الأرض على وجوههم بعد تقييد أيديهم من الخلف ثم تطلق عليهم الرصاص من الخلف أيضًا وأشاروا إلى أن الأوامر الصادرة إليهم من الضباط كانت تقضي بإطلاق الرصاص على الجنود المصريين العزل حتى بعد أن كانوا يرفعون أيديهم مستسلمين، ويؤيد الأستاذ جمال أسعد (القطبي) الأمر نفسه فيقول في نفس الجريدة في اليوم نفسه تحت عنوان "دم الأسرى في رقبة جميع الدول" هل اكتشف مؤخرًا أن إسرائيل دولة عنصرية استعمارية خارجة على القانون الدولي، ليس في سلوكها فحسب، ولكن في نشأتها ذاتها كدولة تخالف قرارات مجلس الأمن؟ وهل هناك جديد في قضية قتل وسحل إسرائيل للأسرى المصريين في حربي ٥٦، ٦٧ بعد دعوة المحامي الإسرائيلي

في البداية الأولى للتليفزيون الإسرائيلي داسم روح شكيد" عصفورة" أنزل
كل من يسمى او يتناسى ان قصبة الأسرى مصريين في إسرائيل لم تكن هذه
المرة الأولى التي اثيرت فيها مسألة ذلك المسلم، ولن تكون الأخيرة. فقد
اثيرت تلك القضية عام ١٩٩٦ وعام ٢٠٠٠ عند الانتفاضة الفلسطينية
الثانية من خلال منظمات شعبية وسياسية كما ان تلك القضية اعادته
وحسنة وفي قمتها شرف العسكرية المصرية وكبار الوعي المصري نجحة
تلك الممارسات الإسرائيلية الخطيرة في حق أسراء قدم واصدها وتسحيبه
كما سيرد وثائق ومحاضر ذات الثروت مسيحة مصرية ولدى منظمات
حقوق الإنسان وحقوق الإنسان، وذلك من خلال رصد وعقدية وشهادات
واعترافات الأسرى مصريين العائدين والخارجين من محاور الإسرائيلية
وذلك عما لا يدع مجالا لأي شك في تلك الممارسات الإسرائيلية في حق
أسراء فلا فيم روح شكيد ولا اعترافات من إسعرا أضافت جديدا في هذا
الموضوع، غير ان هذه القضية تعتبر نوعا من الاعتراف المباشر على قيام
تلك المحرر والتي من الواجب استعادة واستغلالها احسن استغلال في فضح
وكشف تلك الجرائم فالقضية كل من يقدم ٣٥٠ أسير لا يحملون سلاحا
بل لا يرتدون ملابس عسكرية وممارسات الإسرائيلية في حق أسراء
تجاوزت كل الحدود وانتهكت كل الأعراف واسقطت كل القوانين. فقد قام
قتل الأسرى بالمئات في مذابح بشعة وذبحهم أحياء، ودهسهم تحت جنازير
الدبابات وإعدام كل من يثبت قصورة مرضى وضعيفة بالقرب من
حدودهم بعد وصول الأمر له كل يطلب من الأسير ان يحفر قبره بنفسه.
ثم يتم إطلاق النار عليه وهو في الخلف. ثم يتم دفنه قبل ان تتأكد روحه
حية او تغيب في الأمر ان تلك الممارسات منصبة ليست نتيجة اعترافات
أسرى مصريين او من خلال مصادر مصرية فقط، ولكن الأهم ان تلك

مذبحة قام الأعداء بها من قبل وعليها من العسكريين الإسرائيليين مثل شارون وبيريز، الذي عترف بأنه قد قذف قنبلة في شاحنة مملوءة بالمصريين، وعاموس فيشمان، الذي قال صراحة المصريين وقتلهم بلا أي قيد، ناهيك عن اختطاف وأسر المصريين في أوروبا وإسرائيل فهل يوجد سلوكيات أحقر من هذا في حق القاتل المصري الأسير الذي من المفترض أن يحميه القانون الدولي واتفاقيات جنيف الأربعة عام ١٩٤٩ والتي تعتبر أن هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم؟ مع العلم أن نظرة سريعة على تلك الاتفاقيات تجد أن إسرائيل قد اقترفت من الجرائم ما لا يحصى مثل القتل العمد، والتعذيب، والمعاملة غير الإنسانية، وإجراء تجارب بيولوجية على أشخاص غير مسلحين، والحرمان من الحق في محاكمة منصفة وعادلة، وانتهاك لكرامة الإنسانية وغيرها من الجرائم. فماذا بعد؟ وما هي الأسباب الواضحة والخفية في وجود هذا التقاعس لإثارة تلك القضية وإحراج مصر دوليًا؟ وهل هناك علاقة فعلا بين عدم الجدية في الحصول على حقوقنا من إسرائيل تجاه تلك القضية وبين ما يسمى بمعاهدة السلام؟ وهذا واضح بالدليل أنه حتى هذه اللحظة والذي يثير تلك القضية في أوقات متفرقة هي المنظمات الشعبية والأهلية، ولا نرى موقفا جادا من الخارجية أو الحكومة غير الاستدعاءات والاستفسارات. وهل منعت معاهدة السلام إسرائيل من أن تمارس تلك الممارسات اللاإنسانية وغير القانونية؟ والغريب أن وزيرة خارجية إسرائيل تقول لنا الآن في سلام مع مصر فلا يجب أن نثير في قضايا قديمة مضى عليها وبالرغم من عدم تقادم تلك القضايا فإننا نسأل السيدة الوزيرة: هل أسرى هم أقل رتبة من أسراكم؟ أم أنهم شعب الله المختار؟ وإذا كان ما حدث منذ عقود ظالمًا وما زلتم تطالبون وتستعدون ما يسمى بهولوكوست ضد أبناء أوروبا؟ ولماذا قد حصلتم

على نحو ٨٠٠ مليار دولار تحت بند ما يسمى بالتعويض المادي؟ وهذا غير مكاسب السياسية التي لا تقدر مثل حصولكم على وثيقة ما يسمى بتبرئة اليهود من دم المسيح من الكنيسة الكاثوليكية. وكذلك تهديدكم بسحب الاعتراف بتلك الحرقة حتى أصبح لأي هتلر قوي تخدم ما يسمى بالأسطورة المقدسة. وكان اليهود هم وحدهم الضحايا. وإذا ذهب بعيدًا وسألت نفسك ماذا تفعل إسرائيل حتى أسرها؟ وماذا قامت بشن الحرب المقدسة لإسرائيل ضد بلد نجحة متزايد اليهود قام حرب لله بأسرهما؟ وماذا كانت نتيجة تلك الحرب؟ وما هي الخسارة البشرية في مقابل أسيرين ما زالا أحياء؟ كم دفع للفلسطينيين دم وأرواح ومازالا مقابل أسير واحد لم يفك بعد؟ ولا شك أن تدفقات السلام لا تعني شيئًا بالنسبة لإسرائيل. فهي لا يهمها ولا يهمها سوى أن تكون قوة عظمى بعضربه. عميلة لأي قوى كبرى في المنطقة. فهل السلام مصري الإسرائيلي مع تلك القيود من التجسس على مصر؟ فماذا تنجح هذا السلام الذي هو يعني حكومات وليس الشعوب؟ وماذا لا تتعامل مع إسرائيل بمثل ما تعاملت؟ وهل نقول ماذا فعلت إسرائيل حينما قام بعض الجنود المصريون بضرب بعض الإسرائيليين؟ قامت تدين وهم تفعل وحصلت إسرائيل على تعويضات وعشرات. وماذا حصل لنا عندما قام جنود إسرائيليون بقتل جنود مصريين؟ وهل لا تقول أنها صدفة وبدون قصد فهل يعلم ماذا تدرس إسرائيل لطلابها، وفي ضوء السلام هذا؟ وماذا تدعي من أكاذيب وافتراءات على مصر وتاريخ مصر؟ وهل تعلم أن عقيدة هؤلاء تعتبر أن قتل الأسرى المصريين وحدة مقدسا لأنهم أتوا عشرات مثلما حدث في حربه "تحرير"؟ وهذا مما حدث في حق أسراه قد فاق كل الحدود وخرق كل الأعراف. ومصر لن تخضع لأي أحد تحت أي معاهدة وكرامة المصري هي

أهم ما يملك. ودور الحكومة، أي حكومة، هو الحفاظ على الوطن وكرامته. فهل يمكن لهذه دور في تحد قرارات تحفظ حقوقنا وتعيدها إلينا؟ هل من حملة منظمة للعالم كله ضد تلك الممارسات؟ أين حقوق الإنسان؟ وأين المنظمات الدولية والقوانين الدولية؟ أم أن تلك المنظمات وهذه القوانين لا تتحرك ولا تفعل إلا للإسرائيلي أو الأمريكي أو الأوروبي، ولا تحل للعربي أو الشرقي؟ فمتى لا يتم سحب السفير المصري من إسرائيل؟ وكيف كانت تلك الدعوة لتقابل بالسماح من البعثة، والأجهزة تعلم بحقيقته الخسيسة؟ لمصر حقها. لا ولن يضيع طالما هناك شعب يعتز بكرامته، ولن يضيع حق وراءه مطالب. ولن تحفظ كرامة إلا بنا نحن. وقضية الأسرى لن تموت مهما تم التغطية عليها أو التعتيم حولها".

وهنا يحسن أن ننقل لقارئ ما كتبه يوري أفنيري الكاتب والسياسي الإسرائيلي في مناقشة الدعوى التي تقول بأن الإسلام دين عدواني وأنه قد انتشر بالسيف والإكراه، وذلك في مقاله الذي رد به على خطبة بابا الفاتيكان منذ عدة شهور. والترجمة لكرم محمد، الذي كان قد أرسلها لي مشكورا في رسالة فورية يطلب رأيي فيها فوجدت أسلوب الترجمة سليما إلى حد معقول، ورأيت أن أستشهد ببعض ما جاء فيها مع شيء من التصرف. يقول أفنيري: "يؤكد البابا، في سبيله لإثبات عباب العقل عن الإسلام، أن النبي محمدًا أمر أتباعه أن ينشروا دينهم بالسيف. وهذا يتناقض، وفقًا للبابا، مع العقل لأن الإيمان ينبع من الروح، وليس من الجسد، فأنى للسيف أن يؤثر على الروح؟ والبابا، في سبيله لتدعيم رأيه، يقتبس من دون التاسع حينما من إمبراطور بيزنطي يدعى إلى الكنيسة الشرقية المنافسة. ففي نهاية القرن الرابع عشر حكى الإمبراطور مانويل الثاني بالايالوجس عن محاورة له، أو هكذا قال (محدثه موضع شك)، مع عالم فارسي مسلم مجهول،

في صورة هذا النقاش طرح على خصمه هذه الغارات الثانية (حركيا على غسه) أرسي فقط ما الحديد الذي جاء به محمد، وجيهه ان نحد لا أشياء غريبة وغير إنسانية، مثل أمره بشر حين الذي كان يشربه بالسيف" هذه الكلمات تُظهر ثلاثة أسئلة (أ) ماذا فعل الإمبراطور؟ (ب) هل هذه الغارة صحيحة؟ (ج) ماذا سنشهد بها اليوم الحالي؟ كان عمانويل الثاني، حين كتب دراسته هذه، يعيد الإمبراطورية البيزنطية، فقد نقد السلطة في ١٣٩١م في وقت بقي فقط في يده جزء من مقاطعات ما كان يشكل يوما إمبراطورية عظيمة. هذه المقاطعات بدورها كانت تحت التهديد التركي. وفي هذه الفترة كان العثمانيون الأتراك قد بدءوا يضعف بهر البلقان، ويغزو بلغاريا وشمال اليونان، وهددوا لفترة طويلة حصون التي أسسها أوروبا لإنقاذ الإمبراطورية بشرقيه. وفي ٢٩ مايو ١٤٥٣، وبعد سنوات قليلة من موت عمانويل، سقطت عاصمته القسطنطينية (إسطانبول حاليا) في أيدي الأتراك وصفحة نهائية للإمبراطورية التي استمرت لما يزيد على ألف عام. وكان عمانويل يقوم، أثناء فترة حكمه، بجولات إلى خلالها عواصم أوروبا في محاولة لحشد الدعم حيث وعد بالعودة مرة أخرى إلى القسطنطينية وليس هناك أدنى شك في أنه كتب أطروحته الساخنة بغية تحريض الدول المسيحية ضد الأتراك وليقنعهم بتدشين حملة صليبية جديدة. وقد كان هدفه هو الحرب. فالعقيدة كانت تحدد السياسة. وفي هذا السياق نجد أن الاقتباس نجده تمام متطلبات الإمبراطور الذي خرج بوش الابن، فهو أيضا يريد توحيد العالم المسيحي ضد "محور الشر"، الذي هو إسلامي في العالم بالإضافة إلى ذلك يطرق الأتراك مرة أخرى أبواب أوروبا، بشكل سلمي هذه المرة. ومن المعروف جيدا أن تركيا تدعم بقوة التي تعارض دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. ولكن هل كانت مزاعم عمانويل بها شيء من

الصحة؟ لنبدأ بنفسه فهو كلمة خطيرة. فهو كلمة لاهوتي حاد وشهير لا يمكنه أن يقدم على تزييف نصوص مكتوبة. لذلك أعترف بأن القرآن على وجه الخصوص يحتاج إلى نشر لأنه مقروء. وقد لمست من السورة نفسها في القرآن (الآية ٢٥٦ الحمد لله) في قلبه بشكل غريب، فقد كان يقصد الآية (٢٥٦) التي تقول "لا كراه في الدين" كيف يمكن أن يتحامل إنسان مثل محمد بتصريح واضح مثل هذا؟ بسيطة برغم أن هذه الوصية أعطيها الرسول عندما كان في بداية دعوته في وقت كان لا يزال فيه ضعيفا عاجزا، لكنه بعد ذلك أمر باستخدام السيف في خدمة الدين. المؤكد ليس موجودا في القرآن. نعم، دعا محمد إلى استخدام السيف في حربه ضد القبائل المسيحية واليهودية، غير أنه لم تكن تعيش في الجزيرة العربية. لكن هذا كان أمرا سياسيا، وليس دينيا. أني أنه بشكل أساسي كان يهدف توسيع الدولة وليس نشر الدين. يقول المسيح "من ثمارهم تعرفونهم". إن معاملة الإسلام للأديان الأخرى جعلت أن يحكم عليه وفقا لاختبار بسيط كيف كان سلوك الحكام المسلمين خلال ما يزيد على ألف عام عندما كان في استطاعتهم استخدام ما لديهم من قوة لنشر الدين بالسيف؟ حسنا، لنا أن نتصور القرون عديدة حكم المسلمون بلاد اليونان هل أصبح اليونانيون مسلمين؟ هل حاول أحمد حتى أن يكرههم على أن يسلموا؟ العكس هو الصحيح. لقد ظل المسيحيون اليونانيون أربع مئات في الإدارة العثمانية كذلك في الجيش والبحرية وأهل روميلي. وكذلك المجريون والأمم الأوروبية الأخرى، عاشوا في فترة أو في أخرى في الأراضي تحت الحكم العثماني وتمسكوا بإيمانهم المسيحي. ولم يكرههم أحد على أن يصبحوا مسلمين. وجميعهم ظلوا مخلصين للمسيحية نعم. عانق الآلاف الإسلام. وكذلك فعل البوسنويون لكن لا أحد يزعم أنهم فعلوا ذلك تحت الإكراه. لقد

اعتنقوا الإسلام لكي يصبحوا مفضلين لدى الحكومة ولكي يستمتعوا بالمكاسب. في عام ١٠٩٩ عندما احتل الصليبيون مدينة بيت المقدس وارتكبوا مذابح في حق سكانها من المسلمين واليهود من غير تمييز، وارتكبت هذه الجرائم باسم المحترم يسوع في هذا الوقت، بعد ٤٠٠ عام من احتلال المسلمين لفلسطين، كان المسيحيون مدركون أغلبية سكان الدولة ولم يحدث خلال هذه الفترة الطويلة أن بُذل أي جهد لفرض الإسلام عليهم. لكن فقط بعد طرد الصليبيين من الدولة بدأ أغلبية السكان في تبني اللغة العربية و اعتناق الدين الإسلامي، وهؤلاء هم أجداد غالبية الفلسطينيي اليوم. وليس هناك أي دليل على الإطلاق على أن ثمة محاولات بُذلت لفرض الإسلام على اليهود. فكما هو معروف تمتع اليهود تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا بازدهار لم يتمتع اليهود بمثله في أي مكان آخر تقريباً حتى عصرنا الحالي. فشاعرٌ مثل يهودا هاليفي كتب شعره بالعربية، وكذلك فعل بن ميمون العظيم. في أسبانيا المسلمة كان اليهود وزراء وشعراء وعلماء. في طليطلة المسلمة عمل العلماء اليهود والمسيحيون والمسلمون سوياً وقاموا بترجمة النصوص العلمية والفلسفية الخاصة باليونانيين القدماء. لقد كان هذا العصر بحق هو العصر الذهبي. كيف لمثل هذا أن يحدث إذا كان النبي قد أمر بـ"نشر الدين بالسيف"؟ ماحدث بعد ذلك هو أمر جدير بالاعتبار، فعندما قام الكاثوليك بالاستيلاء مرة أخرى على أسبانيا من أيدي المسلمين أقاموا حكم الإرهاب الديني. لقد وُضع اليهودُ والمسلمون أمام خيار قاس: إما أن يصبحوا مسيحيين، أو أن يتعرضوا للمذابح، أو يرحلوا. ولكن إلى أين يهرب مئات الآلاف من اليهود الذين رفضوا التخلي عن إيمانهم؟ كلهم تقريباً استقبلوا في البلاد الإسلامية بترحاب عظيم. اليهود السفرديم (الأسبان) استقروا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، من

مغرب في المغرب إلى بغداد في الشرق، ومن مغاربة في الشمال (كانت ما
زالت تحت حكم العثماني) إلى السودان في جنوب. لم يحدث أن اضطهدوا
في أي من هذه الأماكن، ولم يقع هم مثل الذي يتلقونه في كل البلاد
المسيحية بغرب من تعذيب محاكم التفتيش وهيب محارق والذبح والتهجير
الجماعي وصولا إلى الهولوكوست. لماذا؟ لأن الإسلام حرم بشكل واضح
أي اضطهاد لأهل الكتاب. وفي المجتمع الإسلامي حظي اليهود
والمسيحيون بمكانة خاصة، يحتفظ على المساواة الكاملة في الحقوق،
بل كانوا يحصلون على معظمها. لقد كان يتوجب عليهم دفع ضريبة خاصة،
لكنهم أعفوا من الخدمة العسكرية، وهو ما كان يوضع ترحيب عليهم
من قبل الكثيرين من اليهود. لقد قبل بعض الحكام المسلمين كانوا يسبونهم أي
محاولة لإقناع اليهود بالدخول في الإسلام حتى ولو كان طريق الاقناع سيجب
أن يمشي يستلزم نقض بعض بنود الشريعة. إن كل يهودي يتسم بالأمانة ويعرف
جيدا شعبه لا يمكنه إلا أن يشعر بعميق الشعور بالجميل للإسلام، الذي
حمى اليهود لمدة خمسة أجيال. في حين كان العالم المسيحي يضطهد اليهود
ويحاول بشتى الطرق كثيرة أن يكرههم على التخلي عن دينهم. إن قصة الشر
الذي ارتكب باسم المسيحية مشهورة ومريرة، وجزء من الخرافات التي نمت في
أوروبا أثناء الحروب الكبرى ضد المسلمين، مثل حروب استرداد المسيحيين
لإسبانيا، والحروب الصليبية، وحروب الدفاع ضد الأتراك، الذين عرفوا
جيدا كيف يتسامحون مع أبناء الديانات الأخرى. لكن لا يجوز في أن يكون الدين الأساسي الأصل
الذي يؤسس فعلا لهذه الخرافات. هذا يعني أن زعيم العالم الكاثوليكي، الذي
هو عالم في اللاهوت المسيحي أيضا، يستند إلى جهد الدراسة التاريخ
المسيحيات الأخرى. ولكن لماذا يا ترى تفوه قداسته بهذه الكلمات عن
الإسلام الآن تحديدا؟ لا مفر من النظر إلى هذه الكلمات على خلفية الحملة

الصليبية الحديدة التي يقودها بوش وأنصاره من البريطانيين بشعاراته عن "الفاشية الإسلامية" و"الحرب الكونية ضد الإرهاب" في وقت صار فيه الإرهاب مرادفاً للإسلام. وبالنسبة للعرصي بوش فهذه محاولة مضحكة لتبرير السيطرة على مصادر البترول بالقوة. وهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها رداء الدين لتغطية غزو لمصالح الاقتصادية، وليست هذه هي المرة الأولى التي يتحول فيها الدفاع المقصود إلى حملة صليبية. إن حصاد التاريخ يصب في هذا الاتجاه. فمن يا ترى يستطيع أن يتنبأ بنتائجه الكارثية؟".

وبالمناسبة فآية "لا إكراه في الدين" ليست بآية مكية كما يقول أعداء الإسلام، بل هي آية مدنية نزلت بعد السماح للمسلمين بقتال من يقاتلهم. أي أن الرد على العدوان شيء، وإكراه الآخرين على الدخول في الإسلام شيء آخر تماماً لا يعرفه الإسلام. ولا أدري أيها القارئ، أن تحكم بنفسك على هذا المتفلسف المتطفل الذي يقيم من نفسه وعظاً علينا بخصوص الرحمة والإنسانية في تعاملنا معه هو وقومه. بعدما رأيت بنفسك الفرق الرهيب بين تشريعاتنا وتشريعاتهم في هذا المثال. أما تحريفه من شريعة الجهاد في الإسلام فهو خبث مفضوح. إذ لا يكره دفع أية أمة عن نفسها إلا محرفٌ أثيمٌ يريد تخدير فريسته حتى لا تكون يقظة له ولألاعيبه الإبليسية فيأخذها على غرة وهي نائمة على صماخ أذنيها كما وقع ومازال يقع لنا على يد الاستعمار الغربي، فيكون النصر عليها واحتلال أرضها عبارة عن نزهة جنوية. ويا حبذا لو خرجت له نساؤه يرقصن للترفيه عنه كما مثلت أمريكا جنودها حين استحسنهم بعض العراقيين ولو كان الإسلام يشرع الحرب الإكراهية كما يزعم هذا الكذاب، فلم قال سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾

على ذي عقل أن يرغب فيه ولا يميل إليه، فكيف وهي مشاركة لبهائم في همتها الأكل والشرب وسوء؟ وهل يميل إلى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشره في أخلاقه وصفاته. ولا أصلك عرفتني بالراغب في هذه وشبهه! فكيف أردت أن تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي لم يميل إليها ويغتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم فأما المتورعون الذين قد نظروا في الأمور فوجهوا آراءهم من مثل ما ذكرته وعذلته، بل هم مجتهدون في أن يدفعوا آفات الشهوة التي لا قوام لهم إلا بها ولو تهيأ لهم دفعها في الصانع، أو كان ممكناً لهم ذلك، لدفعوها. وما هذا خلق الله خلق، ولا لمثله بعثهم من عند بوجه الخيانة. أنت تقول في كتابك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا ناقض تقويلك. لأنك قلت إنك خلقت للعبادة، ثم تنقض وتهدم بناءك وتقول: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ (ومن بعده) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، وأن يأكل ويشرب مثل البهائم. أما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي أحله صاحبك قولاً كراهية التطويل لتتوانى عنه كما قرع الله به أنفه على لسان نبيه التي لكنك تعلم ما في هذا الأمر من التعيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل، وكيف استقبحهم له وتكذيبهم إياه. وإني لأنهى نفسي عن سفه المخاطبة فيه، وأرفع قدر كتابي عن إدخال شيء من ذكره. ووصح زريقة تكذي على أسلوب حياة المسلمين واتهامه إياهم بأنهم على شاكلة البهائم. فهل يمكن أن يصدق عاقل أن هذا الكلب، مهما ضمانه الهاشمي وأعطاه الحرية في التعبير عما بنفسه دون خشية، يجرؤ على أن يرميه هو والمسلمين جميعاً بما فيهم رسول الله وأمير المؤمنين بأنهم بهائم مع ما نعرفه من حرصه على مراعاة مقام الخليفة وعدم جرأته على وصفه إلا بـ "سيدي أمير المؤمنين" في ذلة وخنوع

وشاق صفيق؟ فهذا ما يريبني في الرسالة ولا يجعلني أصدق أن صاحبها هو الكندي، بل شخص أقدم على تسويدها في الظلام ثم وضعها في طريق الناس مصمما إلى أن أحدا لن يعرف حقيقته. ومن ثم فهو آمن من العقاب. وبالنسبة إلى الطلاق فمعروف لكل أحد أن بعض الحلال في الإسلام إلى الله الطلاق، فهو بدون ضرورة من الضرورات لا يلجأ إليها المسلم إلا في حدودها. وكأي ضرورة كان الطلاق في كثير من الأحيان أمرا لا بد منه، ولا استحالت الحياة الأسرية جحيما وكان ذلك سببا في الزنا، وربما القتل. للتخلص من الطرف الآخر الذي لا يستطاع التخلص منه بالحسنى كما هو مشاهد بين من يُعْنَتون أنفسهم دون داع ويكلفون طبيعتهم البشرية مستحيلا من الأمر. مما تناولناه قبل قليل في هذه الدراسة. ثم إن قوله تعالى في سورة "الذاريات" ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] لا يتناقض مع قوله عز شأنه في سورة "النساء": ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] في شيء قل أو كثر. ذلك أن العبادة في الإسلام ليست مقصورة على الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإن كان هذا هو المعنى الاصطلاحي الفقهي للعبادة، بل تشمل هذا كله وتتحور هذا كله إلى ألوان أخرى لا تنتهي من العبادات يمكن اختصارها ببساطة في قولنا إن كل ما وفى الحياة البشرية وأسعد الناس وجلب لهم المنافع ودفع بالحضارة الإنسانية إلى الأمام وعمله المسلم مرضاة لربه سبحانه هو لون من ألوان العبادة يؤجر عليه الإنسان أجرا عظيما. ومن هنا نقرأ في سورة "الملك" ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢]. وقد عد الرسول معاشرة الرجل لزوجته في السرير عملا طيبا يجوز من الله أجرا عليه. وكان رده على من استغرب ذلك من صحابته الكرام أن الزوج لو

كل قد عشر امرأة أخرى غير زوجته لكل منه قد خالفه، فمثل بجوبه سبحانه وتعالى أجره أحسن على إتباعه دينه في خلال. لذلك عد الرسول السعي على العشر نساء من أول العدة. وقال في رجل كان من عادته إتيانه في المسجد بعد انتهائه من الصلاة، على حين يخرج أخوه فيحرص على معاشهما، إن أخاه يسعى على معاش أعد من صلاته بالمسجد. وهناك حديث شريف آخر يقول فيه صلى الله عليه وسلم: فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وكذلك الذي يقول فيه: فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع. وهذا الذي يقول فيه: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الأخيار وشرف الدرجات وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم. وهكذا ثم إن فلاحة معجمية تفسر العبادة على النحو التالي كما نقرأ في تاج العروس: مثلا العُبُودِيَّة والعُبُودَة بضمهما والعِبادة بالكسر الطاعة. وقال بعض أئمة اللغة: أصل العُبُودِيَّة الذُّلُّ والخضوع. وقال آخرون العُبُودة: أن تصير تحت يد ربك، والعبادة: فعل ما يرضى به الرب، والعُبُودِيَّة أقوى والتعبُّد: وقول بعضهم: استولى على فلان محيط: أعد له نعني يعبده عُبُودة وعُبُودِيَّة وعبادة: خضع له وخضع وذل وخدمه وسماه شرعا دينا وخدمة: وهو نجوم به على عباده في دين سيد الأنبياء. لاستمتاع بآلائه ولا قال هم إن مطلب أحدهم ولا إشباعه شيء مقيت، إذ هو خالق تلك الأحداث وخالق حوادثها. وليهم إلا بتحوير الشخص في إشباعه حدود الحلال والاعتدال. وعلى هذا فنحن حين نستمتع بآلاء الله لا نعصيه سبحانه، بل نطيعه لأنه عز وجل منّ علينا تلك الآلاء وأخبرنا أنه خلقها لنا ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ

[illegible] وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام: ...] وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأنعام: ...] وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [الأنعام: ...] ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ...] ﴿ وَمِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ [النحل: ٨٠] كما أن الإسلام الرسالية التي لا تحارب العلم في شيء ما لا يرضاه الله سبحانه ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ [الحديد: ٢٧].

ومن هنا فلا معنى لاعتراض صاحبنا، ولا يمكن عدّ ما يزعمه حسنة من حسنات الرسالية، لكن سفاسف قوم لا يفهمون، إذ هم حريصون على السمعة الكاذبة والرياء الحقير أكثر مما هم حريصون على العيش في سور حقيقة والمصحف أن يكتفي بوصف تنعم المضيف بحياة الخلاء لساعة، وهي عند من يعاشرون البدو هي جزء من الخلاء لساعة، واختصاص الفواكه بتعداد الصغير والوحش والماء في

صلاة الكنيسة عند تقديم الاعتراف إلى الله المتوحش حلم من "أحلام النائم". وكذلك ترسيم الذين أسقفة حلم من "أحلام النائم"، وحولات الراهبات في العصور الوسطى في ربوع أوربا في صحبة عشيقاتهم حلم من "أحلام النائم" وعلى رأس كل ذلك فإن العلاقات الآثمة بين بعض الراهبات وأخواتهن كانت حلما من "أحلام النائم". وهنا يقول الكندي إن الله هو الذي خلق له نفسه وجسده، فنقول نحن له: ما دام الله هو خالق جسدك، فهل يمكن أن يخلق سبحانه الجسد ثم يحرّم عليه الشهوات مع أن الحلال منها بحجة أنها بهيمية؟ أليس جسد الإنسان، مثل جسد الحيوان، يحتاج إلى إشباع تلك الشهوات، وإلا اضطربت نفس الإنسان واستحالت حياته جحيما لا يمكن بطاقته؟ ألم يكن المسيح يأكل؟ ألم يلعن التينة من جوعه حين لم يجد فيها ثمرا زعم أن التينة لا ذنب لها وزعم أن المشكلة كانت عنده هو، بد لم يشبه إلى أن الأوان ليس أوان التين؟ وقد قام بمعجزة توفير الطعام للآلاف إذا كان الطعام، وهو شهوة البطن، شيئا مذموما، أو على الأقل شيئا لا يُحرَص عليه؟ بل لماذا كانت أولى معجزاته هي توفير الخمر للمدعوين في عرس كانت الخمر قد نفدت منه، فطلبت مريم من ابنها أن يتولى هذا الأمر، فكان أن حوّل الماء الموجود إلى خمر معتقة أعجبت السكارين بحيث شهدوا فأثنوا عليها أعظم الثناء؟ وقد كان الزواج يتنافى مع العبادة، فهل نفهم من هذا أن كل الأنبياء الذين تزوجوا، وهم يمثلون كل الأنبياء ما عدا من له ظروف خاصة منهم كيحيى وعيسى عليهما السلام، لم يكونوا خاصين لعبادة الله، وبخاصة إذا ما كان للواحد منهم أكثر من زوجة كإبراهيم، ودعك من أن يكون تحته عشرات النساء كسليمان؟ أم ماذا؟ ثم ما وجه التعارض بين عبادة الله وبين الاستمتاع بنعم الله؟ أوقد خلق الله الدنيا لكي نمر ونمرّ منها؟ فلماذا وضع خلقها إذن؟ وهل، لو تركنا

نعمه الله فلم يستمتع بها، سيقضي عمره كل أوقاته في الصلاة والصيام والزكاة والحج؟ لكن هل هذا ممكن؟ بل هل من الأدب مع خالق النعم أن يواجه بهذا تقصير منحته وكرمه؟ إنه سبحانه وتعالى هو الذي أمرنا بعبادته، وهو هو نفسه الذي أمرنا أن نمشي في جوانب الأرض ناكلين من رزقه، وهو هو الذي منّ علينا بما خلقه من أجلنا من شمس وقمر وسماء وأرض وبحر وجبال وظلال وطعام وماء وهواء، فكيف يقال هذا السفيه أن في الأمر تقصيراً؟ بل هل يمكن أصلاً أن يعبد الإنسان ربه وهو حارم نفسه من متع الحياة فلا يتزوج، ولا يأكل إلا حشائش من الطعام، ولا يسكن إلا في الأكواخ الحقيرة أو فوق أغصان الشجر، ولا يلبس إلا الخيش مثلاً؟ وهل سيتقبل هذا أو غيره أن يفعل ذلك؟ وما الفائدة التي ستعود على الله من حرمان أنفسنا من طيبات الله؟ إن الإنسان الكريم ليسرّه أن يقبل الناس هداياه وعطاياه ويستمتعوا بها، فما بالك بالكريم المتعال؟ وهذا كله لو كان معنى العبادة في الإسلام هو ذلك المعنى الضيق الذي لا يفهم ذلك المعنى سوى الفهم الذي يسعى أن يصنعه بصب أعينا طوال الوقت هو ألا يشرك بالله شيئاً من الحجر أو الحيوان أو البشر. والإسلام هو الدين الوحيد الذي يتحقق فيه التوحيد ويصل إلى أقصى مداه. وليس كالديانات التي تؤلّه العباد تحت هذه الذريعة أو تلك ثم تعبدهم ثم تأنس في نفسها الجرأة لانتقاد دين التوحيد الكامل!

٢٦- وفي موضوع تحريف الإنجيل يكتب صاحبنا مخاطباً الهاشمي المرحوم: "ولقد ذكرت التحريف واحتججت عليها بأنك حرّفنا الكلم عن مواضعه وبدّلت الكتاب، وكأن هذا القول جعلته كهفاً تستتر به. وإني لأحترك حرّاً حقاً، فاسمعه مني واقبله، فإن قولي ليس قول باغٍ ولا حاسدٍ ولا متعنتٍ معاند. أنت تعلم أنا نحن واليهود الذين يكذبون مجيء المسيح

صحيحة، وفي بعضها لأي لحية الأبيه ولكن كثيراً من الأصول يكونون آخرين، والآخرون أولين» وفي الإصحاح الثالث عشر من مرقس مرة رابعة نقرأ: «وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم». وهو ما تكرر مرة أخرى في الإصحاح السادس عشر من مرقس «آخراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبخ عدم إيمانهم، وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام». وقال لهم «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها». ويلاحظ أن الكلام في هذه النصوص عن إنجيل موجود في يد المسيح يدعو أمته إلى العمل به. ويشير إليه بضمير الغائب وليس بكلمة "هذا" صراحة. ومن ثم فلا مكان في هذه النصوص للمغامرة والجدل. فما رأي كتبتنا الكتاب في هذا؟ هل إن قول المسيح ما قال عن المرأة صاحبة الزورة المعطر هو دليل قاطع على أن هناك عهد في الأناجيل ألم يقل "الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها"؟ لكننا نظر في إنجيل يوحنا فلا نعثر على صفحة تلك المرأة ولا أثر لتلك العبارة العيسوية التي تتنبأ عنها، وهو ما يُعدّ تكذيباً له عليه السلام. لكن الأنبياء لا يمكن أن يكذبوا، فما الحل؟ الحل هو القول بأن الإنجيل الذي يقصده المسيح قد اختفى، وأن كاتب بعض الأناجيل استطاع التي أنتجه مؤلفوه بعد تركه الدنيا قد سجلت تلك الواقعة، وبعضهم فاته ذلك أو في الإصحاح السابع من لوقا نجد حكاية المرأة، لكن لا نجد عبارة السيد المسيح بشأنها

ثم لا يكتفي الرجل بهذا، بل يزعم أن القرآن الكريم يشهد لكتابهم بصحة شهادة قاطعة، إذ يقول مخاطباً الرسول عليه السلام: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين"، ثم فسر هذا القول وأكده، بعد أن

هم بالعصبية حسما قال. وذلك في الآية التالية ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]. ولا يخفى أن الكتاب الذي يعنيه هنا غير لائق بالمقام، إذ القرآن واضح تمام الوضوح في التأكيد بأن كتبهم قد نالت منها الأيدي كما قال سبحانه وتعالى عنهم في سورة المائدة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [المائدة: ١٣-١٧]. ولو تابع أن هذه نتيجة منطقية، إذ القرآن يتحدث دائما عن الخير الذي آتاه الله عيسى من مريم ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ [آل عمران: ٤٨]، وقفى على آثارهم بعيسى ابن مريم مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ [المائدة: ٤٦]، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ [الحديد: ٢٧]، على حين أن الأناجيل التي بين أيدينا ليست هي ذلك الإنجيل، بل مؤلفات كتبها أناس من الذاكرة بعد

[illegible] عليه السلام في [illegible] عشرات السنين بوصفه نبياً لله لا يصدر [illegible] وحي الذي نزل عليه. فهي جهد [illegible] قلوب ما تكون إلى السيرة [illegible] عند جل المسلمين. وإن كان بعضهم [illegible] روايات كذا في سيرة [illegible] المصطفى. كذلك فإن هذه الأجيال تختلف فيما بينها اختلافاً كثيراً [illegible] وشيعة، مما يدعو إلى أن نقسم [illegible] وفوق هذه هناك أجيال [illegible] أخرى غير تلك الأربعة سنعود [illegible] تلك الأربعة اختلافات أكثر واتساع [illegible] هذه الاختلافات تتجلى أشكالاً عدة: فقد يتناول جيل من الأجيال حادثاً [illegible] بتناوله جيل آخر، وقد يختلف نقله في رواية حديث أو الحديث نفسه. وقد يصل هذا الاختلاف حد التناقض الذي لا يمكن التوفيق فيه بسهولة. [illegible] قد يسوق كاتب لأحد الأجيال أمراً ما، نظراً منطقياً أو تاريخياً أو جغرافياً، [illegible] سليماً أو لا يتفق مع ما في بيئة وتراث الكاتب من أحكام. فضلاً عن ذلك، فإن الأجيال المتعاقبة نفسها [illegible] تلك الأربعة تختلف [illegible] وتختلف في تقويم هذا؟ ليس هناك من سبب علمي ولا منطقي هذا. إنما هي رؤية [illegible] تختلف من جيل إلى جيل، ولا يمكنها عمل مشترك بين [illegible] عقول أصحابها فتصوره بصورة وبأخرى. وهم لا يعتقدون بأن في الكتاب المقدس، كما فيه الأجيال، أحداثاً علمية وتاريخية وحسية وغيبية، ويرجعون ذلك صراحة إلى تأثير الوسط المشترك، أي ما يسمى [illegible] "Colouring by the medium" وهو يعبر عنه [illegible] حسنة ذكر المستشرق الريطاني ذيفيد صموئيل مرجليوث في كتابه "Mohammedanism" (Williams & Norgate, London, 1911, P. 63) ومعناه أن الوحي إنما يمر بتجربة عامة، ثم تقوم النبي الذي نزل [illegible] الوحي بصياغته بعضه أسلوبه هو، ومن ثم فالأحداث التي وجدت في الكتاب المقدس عنهم [illegible] جميعاً ترجع إلى هذا الوسط لا

يد السيد! وعلى أية حال فإن تحريف الكتاب المقدس، والأناجيل بالذات، أصبح أمرًا مقررًا لا يدري فيه أحد ولا حتى من رجال اللاهوت أنفسهم وآخر ما عثرت به عيني منشورًا في الكلام عن تحريف الأناجيل هو كتاب Misqotmg Jesus- The Story behind Who Changed the Bible and Why (Bart D Ehrman) بارت إيرمان

وفي القارئ لهذا (هذا واحد فقط من عشرات كثيرة يصعب حصرها) من الأناجيل المحشوة بالأخطاء شاهد على ما نقول. ويبكر أول شيء في أول إصحاح من أول إنجيل، وهو متى، بسبب تسبيح عليه السلام المذكورة في إنجيل متى. فقد جاء فيها: «هذا هو ذي أولاد المسيحة المذكورة: كان ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم: إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد آرام، وآرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسى، ويسى ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا، وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيا، وأبيا ولد آسا، وآسا ولد يهوشافاط، ويهوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عزيا، وعزيا ولد يوثام، ويوثام ولد آحاز، وآحاز ولد حزقيا، وحزقيا ولد منسى، ومنسى ولد آمون، وآمون ولد يوشيا، ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل، وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتيئيل، وشألتيئيل ولد زربابل، وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد ألياقيم، وألياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد آخيم، وآخيم ولد أليهود، وأليهود ولد ألعازار، وألعازار ولد متان، ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي

يتناسى المسيح. "فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً". ولكن هل يتصور القارئ الكريم أن من الممكن وجود أخطاء في نسب البشر عند الصحاب الأجلاء؟ لن أتكلم أنا، بل سأترك سلسلة نسب المسيح مرة أخرى كما أوردها لوقا. وأرجو من القارئ أن يقوم بالمقارنة بين النسبين من حيث عدد الأشخاص الذين تشتمل عليهم كل سلسلة وترتيبهم، مع ملاحظة أن إحدى السلسلتين تنتهي عند إبراهيم، بينما تظل الأخرى معلقة في الهواء إلى الله ذاته، الذي نقول إنه هو الذي "ولد" (ولد "لا" أخرى) آدم. وسوف يرى القارئ في هذه المقارنة عجباً سواء في اختلاف العدد أو في اختلاف الترتيب أو في اختلاف أسماء الأشخاص أو في اختلاف سبعة. وهذا هو ما قاله لوقا في الإنجيل المنسوب له، وكلامه موجود من بعضه في الإصحاح الثالث: "وكان يسوع نفسه حين بدأ كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، ابن هالي، ابن متثات، ابن لاوي، ابن ملكي، ابن يناي، ابن يوسف، ابن متثيا، ابن عاموص، ابن ناحوم، ابن حسلي، ابن نجاي، ابن معث، ابن متثيا، ابن شمعي، ابن يوسف، ابن يهوذا، ابن يوحنا، ابن ريسا، ابن زربابل، ابن شألتيئيل، ابن نيري، ابن ملكي، ابن ادي، ابن قصم، ابن الموداد، ابن عير، ابن يوسي، ابن اليعزر، ابن يوريم، ابن متثات، ابن لاوي، ابن شمعون، ابن يهوذا، ابن يوسف، ابن يونان، ابن الياقيم، ابن ميليا، ابن منا، ابن متثا، ابن ناثان، ابن داود، ابن يسى، ابن عوبيد، ابن بوعز، ابن سلمون، ابن نحشون، ابن عميناداب، ابن آرام، ابن حصرون، ابن فارص، ابن يهوذا، ابن يعقوب، ابن إسحاق، ابن إبراهيم، ابن تارح، ابن ناحور، ابن سروج، ابن رعو، ابن فالج، ابن عابر، ابن شالح، ابن

فيسل . بن ارفكشد . بن سام . بن نوح . بن لامك . بن متوشلخ . بن
اخنوخ . بن يارد . بن مهلئيل . بن قينن . بن أنوش . بن شيث . بن آدم .
ابن الله".

كذلك أرجو أن يلاحظ القارئ أن نسبتين جيدتين تنسبان عيسى عليه السلام إلى يوسف النجار . وهذه فضيحة بكل المقاييس . وبهذه الهدية تضربه يرددون ما يقوله من يتهمون مريم بالزنا . ويسمون عيسى عليه السلام بابنة الحرام . استغفر الله لعظيم . ولا يقولن أحد إن وجود اسم يوسف هذا يمكن أن يفسر بأنه أبوه بالتبني . فالتبني إنما يحدث إذا كان الأب الحقيقي متوفى أو مجهولا أو عاجزا عن تربية ابنه أو غير راغب فيه أو إذا كان الولد نفسه يستنكف من أبيه أو لا يرتاح إليه . إلى آخر الأسباب التي يمكن أن يتهم من أجلها حسنى . ولا أظن عاقلا أو مجنونا يستطيع الزعم بأن هناك سببا واحدا يدعو إلى أن يتبنى يوسف النجار الطفل عيسى . فالله لا يمكن أن يموت . ولا يمكن أن يستنكف من الانتساب إليه طفله الصغير . ولا يمكن أن يكون عاجزا عن تربيته . ولا يمكن القول بأنه مجهول لا يعرفه أحد . ولا يمكن القول بأن يوسف قد اغتصب منه بنته عنوة واقتدارا على غير رضا منه . كما أن الوحي الذي قد جسم مسألة قدوم وقال إنه ابن يوسف . وإن بنوته لداود إنما تتحقق عن يوسف . ولا تذكر بنوته مريم لا ليوسف . وهذا واضح كل الوضوح من سلسلتي النسب في متى ولوقا . فلا محل للمماحكة في هذا الوضوح بأي حال . ومعنى ذلك أن يوسف في نظر متى لإنجيلين هو أبوه الحقيقي لا أبوه بالتبني . ولو كان يريد أن يقول إنه بالتبني لذكر هذا بدلا من ذكره لآدم . وقد عرف أن من بين آباء عيسى داود ويهوذا ويوطا . وأن نعهد التشابه بينهم داود بالزنا بامرأة جاره وقتله ليختص بزوجته الحسناء . وأنه من داود إلى يوطا نجد في يهوذا بن يعقوب عن

من الدمع إجلالا وإجلالا وسارعوا إلى إعلان إسلامهم ودعوا الله أن يقبضهم في زمرة المصدقين بشهدين . ولا يمكن لنا أن ينسى القرآن على نصراني يشك ويقول بالصلب لأن مثل ذلك النصراني كفر بمحمد وبالدين الذي جاء به وليس في هذا افتئات على أحد ، بل كل إنسان حر فيما يعتقد ، وكل ما هنالك أن هذه هي عقيدة المسلم ، ولا مناص منها

٢١ - وفي الكلام عن المعجزات التي أجراها الله على يد المسيح عليه السلام ما لا يبارى فيه مسلم . وقد يدري في القلم من الاعتراف بتلك المعجزات إلى القول بأنها دليل على ألوهية المسيح ، وهو ما لا تلازم بينه وبين تلك المعجزات على الإطلاق . إذ ليس السيد المسيح هو إلا وسيلة أظهر الله على يديه عجائبه وقدرته سبحانه . يقول صاحبنا المتحمس وهو المسلم الكندي : "إنه ظهر الكوكب المحموس في بلاد فارس ليدهم على ميلاد ملك العظيم الذي لا زوال لملكه ، وكان علماؤهم قد سبقوا وأخبروهم بخبره في الكتب وعرفوهم وقت ظهوره وأعطوهم الدليل على ذلك . والعلامة ظهور الكوكب بتقدمهم في المسير إليه وقضاء بعض حق عبادته بالسجود له وخضوع الطاعة له فلم يزل المحوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومؤملين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم (متى ٢ : ١ - ١٢) . فجاءوا من بلاد فارس إلى بيت المقدس الذي هو أرض اليهودية بهداية الكوكب ، حتى وقف بيت لحم ، فتحققوا المعرض وأدوا حق الطاعة . ولما لم يكونوا يؤمنون وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين ، بل فرحين مسرورين . ثم ظهر ملاك عند ولادته لبعض من الرعاة كانوا يرعون أغنامهم (لوقا ٢ : ٨-٢٠) فقال لهم : لا تخافوا لأني أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص (يعني الأولاد ده حيفا) هو المسيح الرب . وهذه لكم العلامة

تحملون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. فلم يفرغ من كلامه حتى طبقت هذه الجماعة من الملائكة مع ذلك الملاك وهي تطير ما بين السماء والأرض تهلل وتسبح. وتصفق جميعاً بأجنحتها وتسبح وتقول: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة. فلما أقبل الرعاة إلى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا الموعود في مذود كما أخبرهم الملاك، فصدقوا وأمنوا وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أحداد الملائكة وما سمعوه من التسبيح والتحميد. وقصّوا قصة مجيئهم. فتعجب من ذلك كل من سمع. فهذه قصة البشارة والميلاد على عادة الأقصاص من القرون. هذا ما قاله الكذبة المزورون. وأما نحن فنقول أولاً هذه حدوتة لطيفة التي تعجب الصغار وتسرهم لا ترد إلا في الإنجيل المنسوب إلى متى. أما الأناجيل الأخرى المقبولة عند الكنيسة وغير المقبولة عندها فلا تعرفها. وثانياً إذا كان الرعاة، رغم كل شيء، قد عاينوا ذلك وقصوه على الناس وآمن هؤلاء الناس بما قصوه عليهم. فلماذا لم يرو كل الناس جميعاً بعد ذلك يبادرون عيسى عليه السلام مثل يوسف؟ إن هذا لا يعني إلا واحداً من أمرين: إما أن تكون الحكاية لا أصل لها، وإما أن معجزة قد وقعت، لكن لم يكن لها أن تؤتي ولا أن تحقق الأولى. ولا فائدة الرعاة وحدهم! فلهم إلا إذا قيل إن المسيح إنما بُعث إلى الرعاة ليس إلا. وهذا ما لا يقول به أحد. ثم أين هؤلاء الرعاة في الأناجيل بعد ذلك؟ الحق أنهم لا وجود لهم. بل لا وجود إلا للصيادين والعشارين والكهنة وجنود الرومانيين، فضلاً عن المسوسين والغلمان والأرصال. أما الرعاة فكلا ثم كلا! ويبقى المجوس، وما أدراك ما المجوس؟ إن صاحبنا يقول بوجود البشارة به صلى الله عليه وسلم في كتبهم. فأين هي يا ترى؟ وما القصة من مجيء المجوس لرؤية عيسى عليه السلام؟ أوقد آمنوا به؟ فما أسماؤهم إذن إن كان هؤلاء الوفد وجود

تاريخي؟ أم هي مجرد حوادث طريفة، والسلام؟ لكننا لسنا في مجال حوادث! هل أنت مستعد لزيارة في أمة الفرس؟ المعروف أن الفرس لم يحبوا هم بالبدات إلى المصرية. فالزيارة إذن لا معنى لها. وهذا هو صحيح. ولا أظنها تصح. ومن الذين تقول عن زيارة يا ترى مؤلف الجميل سوف، وهو مؤلف يوحنا الذي ذكرها دون سائر مؤلفي الأناجيل؟ وهذا مسيح فلا يمكن أن يكون هو سافل لأنه كان رضيع آنذاك لا يدري عن أمر نفسه ولا أمر الهارب من حوله شيئا. ولكنك لا يمكن أن يكون سافل مريم أو يوسف، ولا سمعت شيئا لأجيل ذلك بينهما. وهو ما يجعلك أن هناك سؤالا مهما لم يصدف أنك حدوثة. وهو كيف يا ترى سيتصرف المجوس من جهة، ومريم ويوسف من جهة أخرى. أن يتفاهما، ولم تكن بينهما لغة مشتركة؟ ثم أو يتفاهم بكلام فكان على سر مجيء هؤلاء الفرس الذين يرتدون بنطال مخطط ويلبسون قلانس أعجمية وينتعلون موضع جلود الذي ذكر فيه موضع مسرك عيسى السلام؟ ثم ترى لماذا بقيت في السماء دون حركة إلى أن يتعرفوا إلى الموضع المذكور؟ فهل من الممكن أن يطلق النجم من مجرة التي يستطيع المجوسي مسيرته سنة ما لا أدري كم من الشهور منذ تركوا بلاد فارس إلى أن بلغوا المدينة الصغيرة مشيا على القدم أو على أكثر تقدير ركوبا على الحمير، فضلا عن أن يقف في مكانه فلا يتحرك كلما توقفوا للنوم أو للاستراحة أو للأكل أو لقضاء الحاجة؟

٢٨- ولأن الكلمات يرد على شخص مرهوه لا وجود له، ثم يعلق فيدري عليه الافتراءات التي يحسب أن أحدا لا يمكنه الرد عليها، فإنه يزعم أن الهاشمي كان يستعيد المصلوب في الصلب، فكان المصلوب عيسى وحده، إلا أنه يا للأسف قد تكرر المصلوب وقصته. وهذا ما قاله بعض في

[illegible] على اتهام هاشمي له وأهل مكة بتبجيل الصليب وعبادته. فنحن على هذه السنة نبصق في وجه الصليب، ونخرج فيه على ما جرى عليه الأمر. فلم نجد غبك سبيلاً في هذا الموضع، وكذلك سنة من تقدم من الفقهاء حتى في الصليب حين استعدت به عبدة الأوثان على عبدته، وحين هربت أم هربت منه، وحين لقيت الذي لقيت في طريقك وأنت ماض إلى عمر لكرج، وحين لقك الأسد وقلت سادات مكة؟ فما لك أنت وسبهم فنحن نذكرون هذا. فلم تكفر بالنعمة وتكافئ بالشر وتكفر المعروف؟ أي ضرر لك عند تعوذك بالصليب وأنت تعلم أن بمصر نصارى لا يعبدون الصليب، وربما لجأ إليه خائفاً في الصليب، وإنما يعبد الذي يتخذه إلهاً، وخلاص الذي أنجاه منه؟ لكن لو كان هاشمي يستعيذ بالصليب كما يزعم هذا الكذاب، أكان يكفر الكندي وقومه جميعاً لاعتقادهم فيه؟ وكيف سكت عنه الكندي طول تلك المدة منذ سمعه وهو يستعين ويستعيذ بالصليب فلم يتعرف فرصة ويبلغه إلى النصرانية؟ لكنك هو من يعقوب أن يستعين بالصليب ويكفر من ثم رجل كهذا قوي الإسلام صلب الاعتقاد فيه، والافتخار به حتى إنه لا يكتفي بأن يكون مسلماً، بل يريد نصراني أن يسلم هو أيضاً ويكفر باعتقاده في الصليب؟ وهذا يدل أن الصليب له بركة أيضاً، ولا فساد، يستعين به الكندي ومئات آلاف مثل الكندي على مدى أربعة عشر قرناً بتدبير مسلمين وشطب الإسلام من خريطة الدنيا؟ حتى أن الكندي، أو بالأحرى من تسمى باسم الكندي، هو كائن عريق في التدجيل.

٢٨- وبعد فقد انتهيت من قراءة الأولى بأن الأسلوب في الرسالتين واحد، وأحد حتى لكأنه خارج من ذات القلم، فلفت في خاطري أنه لا بد من تحقيق هذه النقطة، فكانت أقرب الطرق إليه التي أفضت على الفور به إلى

الرسالتين من تلك الناحية فسنجد بلاحظه الناظر في كلام هاشمي ورد الكندي عليه تكرر كلمة "محبة" في الرسالتين بدلا من "حب"، وهي كلمة تشيع بين النصارى أكثر من شيوعها بين المسلمين كما هو معروف. ومثل تكرر استعمال كلمة "الدنيا" في موضع "الدين" عدة مرات هنا وهناك يضاف إلى هذا أن كلا من الكاتبين تكلم عن الخلود في الجنة على أنه "حياة" يقول هاشمي: "أحدثك عن ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيه بكرامة وأخبة وخلود على الأسرة متكئين على الأرائك". وهو ما عبده عند الكندي في قوله "بعد موت جسمك الذي هو عدة الأجسام وتفتح أبوابه من موعد حياة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا له بعبد يأتي يوم القيامة". وبعد ثلثمائة عبارة عربية ومائة النظر أيضا في الرسالتين تكرر هذه الكاتبين بل صيغ جملة عربية، كـ "سكنج" و"الصبيات" في رسالة هاشمي، و"الأشفة" و"الهوى" و"التحديد" و"الشهوة" و"الملاهات" و"المزاوجة" عند الكندي. ويضاف إلى هذا تورد كل من الكاتبين على القول بـ "أن المسيح في السماء" بعد نفس تعبير عن معرفته للدين، وكذلك بشارة كل منهما بأن هناك من يمكن أن يقرأ رسالته إلى الآخر مع أن المفروض أن رسالة شخصية خاصة، فمحمد هاشمي يقول "ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية"، وعلى نفس الوتيرة يقول الكندي "وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعا لك وشافيا في كشف هذا"، "أما أن قد سعيت جهدي في النصيحة لك ولكل من يقرأ في كتابي" ويمكن أن نلحق بذلك استعمال كل منهما صيغة تقلب من النعم "ودع" فعند هاشمي "فدع ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقوة والبلاء"، "فدع ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة عظيمة منعة"، وجهد ذلك الصوم الصعب والشقاء الدائم الذي أنت

مستعمل فيه". وعند الكندي "وكيس فيتاغ" لأن ذكر هذا وأحد في ذكر أعلام النبوة".

وهناك أيضا عدة عبارات وردت في كل من الرسالتين منها "دعاء الاعتراض" "عافاك الله" أو "أصبحت لله" ففي رسالة الهاشمي نجد فيها سمعت، عافاك الله، يا هذا وصف أحسن وأعجب من هذا ...؟"، "فاحتج، عافاك الله قد شئت"، وعند الكندي يقول "فأخبرني، أصبحت لله، على قولك صاحبك" ومن هذا الباب مجيء عبارة "أتى على فلان كذا من السنين" عوض عن "مضى عليه" مثل ذلك قول الهاشمي: "وأنت يعلم أي رجل أنت علي مسير ثلاثة"، وقول الكندي "أنت عليه تسعون سنة"، "فمضى على ذلك سبعة أيام فنحن على غير عقد ولا عهد"، "وأمر المطلع الذي أنت عليه ثمان وثلاثون سنة أن يجعل سريره ويمشي" كذلك تكرر عند الكاتبين إدخال كلمة "النبي" بعد اسم موسى ودود وداود وغيرهم من الأنبياء مما لا يجري عليه المسلمون عادة، مثل "موسى النبي، وشعيا النبي، ودود النبي" ومن هذا أيضا استعمال الفعل "صار" في معنى "ذهب" أو "نقله" أو "وصل" أو "حدث" كما في الأمثلة السابقة التي قدمنا أول مثال فيها من رسالة الهاشمي، وباقيها من رسالة خصمه "وأكد أمرهم عندما صار وإليه حين انقضى الأمر إليه ومتولي به" "وحفاظ علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه لم يكن يشك أن الأمر صائر إليه، فشرع من يده"، "إلا أن عليا، حين يئس من الأمر أن يصير إليه، صار إلى أبي بكر بعد أربعين يوما (وقيل قوة بعد ستة أشهر) فبايعه ووضع يده في يده". فهذه الشذرات العامرة بالتبيع تنبض على جميع من صار إليهم وقصدها بإخلاص نيته".

كذلك يشد نظرنا تشابه الرسالتين في تكرر استعمال كل منهما لعدد

هذا خلاف ما تدّعيه أنت أنه نبيّ مرسل وأن الملائكة تؤيده وتقاتل دونه"، "وذهبي معرفة ما قال في عمّه إنه وقد نسيء". "وإني أعلم أن قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة أن اليهودي قد نصح يهوديته وبخط شرائع نبوته بعد أظهر الإسلام". "وأنت تعلم أن صاحبك لم يجتمع على ما نقلت الرُّواة عنه أنه لم يكن مختونًا بتة".

ومن تلك التراكيب الموصوف باسم إشارة يليه اسم موصول في موضع "نسبة" أو "الوصفية" كما في شواهد نقلناها عند هاشمي "كشفت عما نحن عليه من دينك هذه التي ادّعيت أنك به وجميع حقه". "وبطرتُ فيها من أهل وقتكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة". "وحصرت صلواتهم تلك الصلوات التسع التي يسمّونها صلوات الأوقات". ومنها عند الكندي" وشرحته عن أمر ديانتك هذه التي أنت عليها". "وبحصص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعوه إلى الإقرار له بالنبوة". "وبين كان صاحبك هذا الذي دعوتنا إلى اتباعه يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ونجيبهم عن ديارهم، يريد بذلك هم الخير ليسقيهم ما هم عليه إلى ما هو خير منه، فقد تفضّل وأحسن وتشكّه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه". "فهل تقدر أن تجحد حقّ هذا الذي في أيدينا...؟". "وبطرتُ فيها من أهل وقتكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة". ومنها كذلك استعمال اسم الإشارة بعد تمام الجملة لربطها بجملة ثانية على سبيل التعليل أو التوضيح. مثال ذلك قول هاشمي "فقلت أكشف له عما نحن الله به عليك، وأعرّفه ما نحن عليه، بالتي القول والحسنى، متبعاً في ذلك ما أدبني الله به إذ يأمرني ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن (سورة العنكبوت ٢٩: ٤٦)، وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكّن الله له وصار إليه". ومنه قول الكندي: "ولا شك في أنك تعرف القصة، فقد قلت إنك عارف

«كتب المسألة دارس ها حق دراستها، وذلك أن قيصر أبا شاول صنعت له أمه، فوخه ابنه شاول في ظهره». «فمضى وهم معه فبعثه حيًا، ودفعه إلى أخيه مريم ومرث، وذلك بعد أربعة أيام من موته». «. وذلك أن المسيح قال في بعض المظاهر أخرى العهد كله». «فقول إنه ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان النسب في هذا الكتاب، ذلك أن رجلاً من رهبان النصارى اسمه سرجيوس أحدث حدثاً أكره عليه أصحابه». «فلم يزل يتلطف ويحتال بأصحابه حتى استمالته وتسمّى عنده بسطوريوس، وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي بسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديّن به». «وكانت هم صحف وأدراج على منهاج أدراج اليهود، وذلك من حيلة اليهود». «وحقق قوله بعمله الأعاجيب والدلائل الواضحة التي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثلها، وذلك بغاية الرفق والتواضع» ومنها الاستعانة مع الفعل المتعدي التالي لـ«ما» بحرف «من» كما في الشواهد التالية من رسالة الهاشمي. «ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره، وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر». «وجعل هم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه، ووصّى بهم تلك الوصية عندما اطلعه الله على ما اطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم». «وأقر الأمم كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة أمره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح». «لم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا». «وكتب بما عندك من أمر دينك». وكذلك من رسالة الكندي: «وشكرتُ ما ظهر لي من فضلك، وما كشفته من لطيف محبتك، فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديمًا، وقد زاده تأكيدًا ما تبيّن لي من شفقتك».

ومما يلاحظ أيضًا من التراكيب التي تكررت في الرسالتين استخدام

[illegible] للتوضيح كما في قول هاشمي [illegible] فيه من أهل
[illegible] هذه الثلاث التي هي ظاهرة: أعني سكنة [illegible] مركباتهم [illegible]
على عهد [illegible] من [illegible] من [illegible]، وهم الروم
وصلاة [illegible] أعني صلاة الظهر، [illegible] أنت أعلم بتدبيره في
[illegible] أيام صيامهم [illegible] أعني الأربعة أشهر والأيام المعدودات.
وقول الكندي: وما لا يكون حكمه [illegible] أعني حكم جواز [illegible]
كيف تتحا[illegible] [illegible] في [illegible] وحسن التسليم في كثير من
الأحيان كما في الشواهد [illegible] من هاشمي [illegible]
[illegible] حق خدمتك يا [illegible]، وما أنت عليه من محنة، وما
أرى أبقاه من إكرام سيدي وعمي أمير المؤمنين لك وتقريبه إياك وإنعامه
عليك وحسن قوله فيك، [illegible] وعلت لك من رعاية فيه بعضي. واستفدت عندك
ما صيرني من كثرة أدبك وبارع علمك وتقدمك على الكثير من أهل منزلتك
أن أكون مقيما على ما أنت عليه من ذلك هذا. فقد أكشف له عما
سألته عنه، وأعرفه ما غمض عليه، بأبين القول وأحسنه، مقتفيا في ذلك
ما أدبني الله سبحانه وتعالى به في الكتاب إذ يأمرني ولا أتعدى أمر الكتاب إذ هي أحسن
[illegible] العنكبوت ٢٩: ٤٦)، وذلك أن الرجل كما يشرفه ويجمله في
[illegible] الوحي عليه ما يكمل الله به وصاه به، وقول الكندي: وفهمت ما
فتصفحته في كتابك وتعمقت فيه من الفكرة وشرحته من أمر دينك هذه
التي أنت عليها، وما دعوتني إلى التحول إليه ورغبتني فيه منها، فأما ما
دعوتني إليه من أمر دينك، وأنك على ما أنت عليه، وما قلت فيه إنه
كل حنيف مسلما، فحق على كل [illegible] عاقل منصف للعلم، الدين وعدد
الوعد الصادق وضمن له الصدق الصحيح في [illegible] المقدس [illegible] وقد
فهمت ما دعوتني إليه من [illegible] بصحتك والإقرار بسوئه ورسله، وما

عشت من أمره. فقد أثبت ذلك عندما أثبت صادق فيما ذهب من عقائد هذا الرجل. فكل من يتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة، جاحد لما كفر بها. فإن عروة أخذ وقد أصيب بها من كسر رجليه فسكن يتعمى ويشق ثيابه ويلطم وجهه. فدعي بالله من عتبة بن أبي وقاص، ومن علاجه بن فميئة الليثي فأسف على شقه الأيمن حتى وقعه صيحة من عنيد الله السبعي جده فتقطعت أصبعه. فهذا خلاف فعل الذي فعله بأبي محلص لعنه. وكان الذي حملك على ذلك وطأة وقيمته ما فصلته في كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها، وما دعوتني إلى الدخول فيه والرغبة فيه معها. وقد علمت أن الذي دعاك إلى ذلك ما وجدته في نفسك من حق حرمناك به. وهذه سبيله في الأسلوب بدفعي أو ترجيح أن الرسائل من صنع قلم واحد. فلم يضرني أراد أن يفعل ساخة يضحك منه حقده على الإسلام ورسوله لحجة أن أحد المسلمين قد استثار إلى الدفاع عن دينه ضد ما شنه عليه من هجوم. وجئت تكذب حجج ذلك المسلم وتدحضها. وبخاصة أن الكتاب حتى يكون له هو فلا تكون ثم وضعة أمام مسلم للرد على وقاحات نصراني وسماجاته. وقد نقد كيف يمكن أن يكتب نصراني رسالة مثل رسالة الكندي الإسلامية في مصائبها وعيوبها وجوابه سهل جد. وهو أن الناظر في الرد النصراني نفسه يجد تعبيرات إسلامية وقرآنية كثيرة تدل على أن الذي كتبها مقدرة على تقمص شخصية أحد المسلمين.

٣٠- ويذهب أحد الدارسين خطوة أخرى فيحدد كاتب الرسائل بأنه خبير بالدين، وهذا الدارس هو الدكتور علي بن محمد عودة. الذي خصص لدراسة هذه الشبهة بضع فقرات من مقال مهد له على المشكاة بعنوان "العدوان الفكري الغربي على الإسلام ونبي الله محمد عليه الصلاة

و سلام" أعطاها المؤلف عنوانًا جديدًا هو "رسالة النصراني الشرقي" وهي هي ذي الفقرات المذكورة، والكلام فيها عن الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي. "وهي الأخيرة في مجموعة الطيطلية، وتُعرف باسم "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي". وهي التي أحدثت المشروع الكبير برمته. وهي عبارة عن رسالة وجواب على الرسالة. الرسالة مرسلة من رجل مسلم يُدعى "عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى صديق له نصراني يدعى عبد المسيح بن إسحاق الكندي. وقد صيغت رسالة الهاشمي المزعومة بحيث يبدو قريبًا للحنيفة المأمون، بينما صيغ الجواب وكأن الكندي المزعوم يعمل في بلاط الحنيفة نفسه. ومن الواضح أن كلا الاسمين مستعاران وأن كاتب النصين عالم عربي نصراني عاش في العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والراجح أنه الطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م. ولا نجد هذه الصنعة ذكرًا في المصادر الإسلامية إلا عند البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م الذي اقتبس منها نصًا في حديثه عن الصابئة. وقد كلّف بطرس المكرم اثنين من المترجمين بترجمة هذا النص هما بطرس الطليطلي، وبطرس أوف بو تيبه. وقد صاغ يحيى بن عدي رسالة الهاشمي المزعوم في نحو عشرين صفحة، بحيث بدأ بالسلام والرحمة على صديقه النصراني، راعمًا أن ذلك سنة النبي في مخاطبته للناس بما فيهم النصارى. ثم يبدي الهاشمي المزعوم تعبيرات مختلفة من الاحترام لصديقه والإشارة إلى النسب الأصيل للكندي، والإشادة بثقافته ومعرفته، ويدعوه إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين الحنيفية، دين أبيهما الأول إبراهيم عليه السلام، وهو التوحيد الخالص لله تعالى، ثم يعرض أركان الإسلام الخمسة والجهاد. ويسهب في ذكر نعيم الجنة لإغراء صديقه النصراني باعتناق الإسلام. وأنه إذا اعتنق الإسلام يمكنه الدخول

يُرسِع روحات ويطلق متى يشاء ويمسك من الحواري ما يشاء. ويحصل على ترقية في بلاط الخليفة. وفي النهاية يعرض على صديقه أن يجيبه بكل صراحة على عرضه وأن يقول ما يجول له في الدفاع عن دينه. ويحثه على التخلي عن عبادة الثالوث.

وقد أجاب يحيى بن عدي على رسالته التي جعلها على لسان الهاشمي، خوفه الذي جعله على لسان الكندي في ١٤٠ صفحة. أي أكبر بسبع مرات من رسالة الهاشمي، بحيث يترك جوابه الانطباع الذي القارئ النصراني أنه على المغلوب والقهر داخلة وبرهان. ومن الواضح أن يحيى بن عدي كتب هذا الكتاب حين ازداد دخول النصارى في الإسلام في القرن الرابع الهجري، وكان هدفه منه تحصين أهل الذمة من النصارى لمنعهم من اعتناق الإسلام وإقناعهم بأن دينهم هو الدين الصحيح. وبدأ يحيى بن عدي جوابه على لسان الكندي المزعوم بالعبارات المحببة لصديقه الهاشمي والدعاء بمحبته للإسلام ثم يدافع عن عقيدة الثالوث، ويزعم أن عقيدة التجسيد التي يدعو إليها الهاشمي التي كان عليها إبراهيم عليه السلام ثم هي عقيدة الأنبياء، حيث يزعم أن إبراهيم ظل يعبدها لمدة سبعين سنة في حوار مع ربه ويحاول بأسلوب فلسفي تأييد عقيدة التوحيد، ثم يوجه هجومه على النبي، ويتهمه بأنه تصنّع في المكث، ولما كان يعرف أن نفوس قريش تأبى أن يصح ملكٌ عليها ادعى النبوة للوصول إلى هدفه. ولا يتحدث جواب الكندي المزعوم عن دعوة النبي في مكة، ولم ينتقل فجأة إلى المدينة حيث يزعم أن النبي اغتصب مزيد علامين ينيمين وبنى عليه مسجده، وأنه اصطحب قومًا فُرّاعًا لا عمل لهم وبدأ في شن الغارات وممارسة النهب والسلب وقطع الطريق ووحدة السبيل، ويتهم النبي أنه أمر

موسى عليه السلام، وشريعة الشيطان، وهي التي جاء بها، يزعمه الكذاب، محمد. ويزعم أن النبي كان يتلقى من راهب هرد من الكنيسة وذهب إلى تهامة، واسمه سرجيوس، ويسمى عند محمد باسم "سطوريوس" وأنه هو الذي كان يسميه النبي "جبريل أو روح القدس".

وقال هذا النصراني في حقه عن النبي ما نصه: "فإنا لم نره دعا الناس إلا بالسيف والسبي والإخراج من الديار، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال: من لم يقر بنبوتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسبيت ذريته وسبيت نساءه من غير حجة ولا برهان" وزعم زورًا وبهتانًا أن النبي أخذ اسمه على قول القرآن: "وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول به فمزق من عند الله وأني نبي مرسل فتنته وسبيته ماله وسبيت ذريته واستبحت حريمه" وزعم النصراني أن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من القرآن بعد وفاة النبي وأدخلا فيه أخبار التوراة وأحكامها وزادا ونقصا منه، وسحر من عصبة جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وزعم أنه وقع فيه التحريف والتبديل، وأن الحجاج بن يوسف الثقفي جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة عن بني أمية. وذكر كلامًا كثيرًا ملفقًا في هذا الموضوع، وختم جوابه بدعوة هاشمي المرعوه لاعتناق النصرانية. هذه الترجمة الرئيسة في مشروع الكلوني تالت في الغرب شعبة هائلة وأصبحت بمثابة بخيل المنصّرين والمستشرقين منذ ترجمتها وإلى اليوم حيث اعتبروها أفضل دفع عن النصرانية وأقوى هجوم على الإسلام". هذا ما قاله الدكتور عودة، وهو كلامٌ جدُّ مهمٌ، لكنه للأسف لم يحاول أن يبين

ـ الأسباب التي حملته على أن ينسب كتابة الرسالتين ليحيى بن عدي
ـ فنرجح أن يلتقط بعض الكتب الخبط مني ومن الدكتور عودة
ويبحث عن كتب يحيى بن عدي ويحاول المقارنة بين أسلوبها وأسلوب
هاتين الرسالتين اللتين نحن بصددهما. ومن يدري؟ فقد ينجح في
إثبات أيهما فعلا من تأليف ذلك الكاتب النصراني. أم أن رسالة
الكندي قد أصبحت مثل عشرات المستشرقين وغيرهم في
تحيزهم فاعتقد دون غرور أن الدراسة التي في يد القارئ قد بينت أنها بخيل
مضروب لا يساوي مليما أحمر!

• • •

حدوتة الأنبا جُرْجِي:
هكذا يحارب المدلسون الإسلام!

حدوتة الأنبا جرجس:
هكذا يحارب المدنسون الإسلام!

منذ نحو عشرة أيام وصلني من تركيا بطريق رسالة مشباكية (إيميل) تتضمن حدوتة تبشيرية مضحكة لا يصدقها إلا أبله، تدور حول ما يزعم كاتبها أنه محادثة دامت بين راهب نصراني وثلاثة شيوخ من أئمة المسلمين في العصر الأيوبي، وتحداني أن أرد عليها. وكالعادة أهملتها، ولن تحدثها مع ذلك فرصة لنسيانها في كتب التاريخ لعلي أصل إلى أية معلومات تتعلق بطرفي المحادثة المزعومة، فلم أصل إلى شيء. إلا أن الزعم صبح مني فجأة منذ أربعة أيام على التعليق على هذا السخف المتحدث لدى يحسب زيكو أنه يشكل تحدياً مستحيلاً سيقف أمامه حيارى لا يجيرون جواباً، وهو ما يدل على أن مستواه الفكري والعقلي على درجة كبيرة من الضحولة والانحطاط، وأنه فعلاً كما قيل ليس أكثر من آلة دعائية يبرمجونها ويطلقونها على المسلمين على أمل أن يبشر بينهم الشك في دينهم وحضارتهم وتاريخهم ورموزهم. وكانت نتيجة ذلك العزم هي المقالة الثانية التي أنهيتها لتوي (الجمعة ١٦ يونيه ٢٠٠٦م) قبل مباراة الأهلي والزمالك في نهائي الكأس بنحو ربع ساعة.

هذا، ولم أفعل، في الرد على تلك الحدوتة المتخلفة مثله هو وأشباهه، إلا المضي في قراءتها فقرة فقرة والرد مباشرة على ما جاء في تلك الفقرات أولاً بأول، اللهم إلا إذا احتاج الأمر التثبت من شيء، فعندئذ كنت أرجع إلى هذا الكتاب أو ذاك. وتنحصر تلك الحدوتة المتخلفة في

أن جماعة من الرهبان احتالوا ذهبوا لمقابلة الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب في شأن من شؤون الدير الذي يسكنونه. فتصادف بحضرة ثلاثة من أئمة المسلمين وهم في حضرة أخيه الأمير المشمّر. وجرت بينهم وبين أحد أولئك الرهبان، واسمه الأب جرجي، مناظرة بين الإسلام والنصرانية خرج منها دين التثليث منتصرا بالضربة القاضية على دين التوحيد. وقد أظهرت الحدوتة المضحكة الأمير الأيوبي منحازا طول الوقت إلى الجانب التثليثي شامتا بالمشايخ "المساكين المحتاسين" العاجزين عن الرد والفهم. بل زاد على ذلك فأسرّ إلى الراهب المذكور، على مرأى من الحاضرين، أن أمه نصرانية رومية، وأنه ينبغي أن يأخذ راحته في مسح أولئك المشايخ البُلْه بالأرض دون خوف من أي اعتبار. والحدوتة تصرح بأعلى جهرها أنها مصنوعة صنعا كما سنبين بالدليل القاطع الذي لا يمكن نقضه بأي حال، وأن شيئا مما ورد فيها لم يقع، وأن المقصود منها هو مكايدة المسلمين ورفع الروح المعنوية لجماهير المثلثين عن طريق إيهامهم أن أئمة المسلمين أنفسهم لا يستطيعون الوقوف أمام ضياء التثليث الساهر الذي يُغْشي العيون!

والآن إلى مناقشة الحدوتة التي أعتذر للقراء مقدما عن جرّهم إلى مستواها، إذ لا يليق في الواقع أن آخذ مثل تلك التحديات الطفولية مأخذ الاهتمام، إلا أنني قد لاحظت أنها مشهورة في مواقع تبشيرية كثيرة، ومعنى هذا أن من القراء الحالي المآل مَنْ قد يظن أنها قصة حقيقية، فقلت إنها فرصة لفضح أساليب الكيد الرخيص الذي يلجأ إليه القمّص المعتوه وأمثاله في محاربة الإسلام حتى يعرف القاصي والداني أن القوم ممتلئون تمام الإفلاس وأنهم إنما يتهرون ساخة ضعف المسلمين في العصر الحالي وهجوم الثور الأمريكي الأحمق على المنطقة، للتنفيس عن أحقادهم

و حرى في بيداء الأوهام حتى تصور هم ، كما يصرح زيكو منتشيا وشامتا ، أن ساعة الإسلام الأخيرة قد دنت . وأن المسألة مسألة وقت . أما نحن فواثقون بعون الله ، رغم الفروق الهائلة بيننا وبين الأمريكان في العتاد والسلاح والتقدم العلمي والتقني ، أن الثور الأمريكي الأحمق سوف تكون نهايته بمشيئته سبحانه على يد أبطال المقاومة العربية والإسلامية ، وإن كل هذا لا يعني أننا بعدها سنكون على الطريق ، بل لا بد من النهوض مما نحن فيه من بلادة حضارية ، وكراهية للعلم والعلماء والعمل والعاملين ، وتقديس للبطالة والجهل ، وعبادة للفوضى والتخطيط والطموح ، وعجز عن التفكير وحسن أمم المجهول ، وقصر نفس وتسرع في ميادين الصبر على مشقات العمل والإتقان والتجديد والتحسين ، لا الصبر على الهوان والمذلة والرضا به والاستردادة منه والركوع أمام الظالم ، وبخاصة إذا كان هذا الظالم حاكما من الحكام وقادة الغرب والمسلمين بوجه عام هم . فالحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه . فمن أسوأ حكام الأرض وأحشاهم لأعداء أوطانهم ودينهم وأمتهم وأصوعهم لأولئك الأعداء وأعسفهم لمصلحتهم ، وهو أمر طبيعي ، إذ كما تكونوا يُوَلَّ عليكم ، ونحن سيئون مثل حكامنا بل أسوأ . فنحن وهم ذرية بعضها من بعض ، ذرية غير طيبة ، وإلا لكنا قد متنا منذ وقت طويل من الغم والقهر بسبب ما نحن فيه ، أو على الأقل : توارينا خجلا أمام النصر الذي سيبوء به المسلمون بمشيئة الله فهو بفضل أطفال فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من مجاهدين الذين لم يعتّ في عضدهم شيء من عوامل الإحباط ولا يهابون أمريكا ولا أذياها من أمتهم ، لعنة الله على كل ذليل تعيس!

والآن تعالوا ، أيها القراء الأعزاء ، لنرى ما في جعبة الحاوي من كتاكيت يخرجها من كُمّه يحاول إيهامنا أنه يأتي بها من الهواء! والقصة ،

بنسبة ، قد تبناها ونشرها راهب يقول إنه من المرسلين الكاثوليكيين العاملين في إفريقيا ، وإنه يعتمد في نشره لها على عدة مخطوطات يرجع أقدمها إلى ما بعد تاريخ وقوع المجادلة بثلاثة قرون وربع القرن ، وإنه ليس هناك أية معلومات تاريخية ، لا في كتب المسلمين ولا في كتب النصارى ، عن الأسباط حرجي أو المشايخ الثلاثة الذين جادلوه . وعنوان الخدوتة هو " مجادلة الألف حرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمر الأيوبي " . فعلى بركة الله إذن ، وسوف يتبين بما لا مجال معه للشك أن الحكاية ليست أكثر من خدوتة لا يحسن منفقها تزييفها فحسب وإنما على كل من اشترك في كتابتها وتحريرها ونشرها والتحدي بها ، ومثلت فضيحة مدوية للجميع كما سيتضح حالا .

وأول داهية من الدواهي الثقيلة التي أوقع نفسه فيها محقق القصة الكذاب مثل كاتبها الكذاب هي أول حتة في التقديم ، وها هي ذي من سمات كنيسة المسيح الظاهرة أن تدعو جميع الناس في كل عصر ومصر إلى دين الله بحسب السبيل وجميل الإحسان عملا بأمره ، أن اتحدا بشيوخ الإنجيل في الخليقة كلها " . ووجه الكذب والتدليس في هذا الكلام أنه لم يكن هناك ، في اعتقاد النصارى ، وجود للإنجيل قبل ترك السيد المسيح للسماء ، بل الأناجيل (حسب كلام النصارى ولاحظ : " الأناجيل " لا الإنجيل) إنما كُتبت بإلهام من الروح القدس بعد ذلك ، أما في حياة عيسى بن مريم على الأرض فلم يكن ثمة أناجيل ولا يحزنون . فأي إنجيل كان هناك إذن (حسب كلام المحقق الكذاب الذي لا يعرف كيف يداري كذبه وتدليسه ، إذ من نعم الله على العباد أن الخريطة الكاملة لا وجود لها في الحياة) حتى يكتفي المسيح تلاميذه بالدعوة إلى دين الله من خلال التبشير به ؟ أم إذ قالوا إنه كان في حياته صلى الله عليه وسلم إنجيل أو أناجيل ، فالسؤال

[illegible] يستقر في الذهن على الفور: وأين ذلك الإنجيل، أو تلك الأناجيل؟ ومن ثم كان على المحقق الكتاب الشريف المملوء بالترهات والأضاليل والمناقضات والأكاذيب أن يجيب على هذا السؤال بدلاً من خوضه لهذه المعركة التي لا يأمن على إعجاب بها كلما حاولوا أن يردوا على اتهامات هم بالملامات في الإنجيل والعبث به. إذ يتساءلون ويرددون الأطفال في عيبهم إذ كان هناك إنجيل صحيح لم العبث به. فأين ذلك الإنجيل؟ ولماذا لم يعثر أحد ولو على نسخة واحدة منه بنصه من الاختلافات التي يتحدث عنها المسلمون؟ وسوف نرد على هذه النقطة فيما بعد، أما الآن فتعليقنا هو إذا كان هناك إنجيل في حياة السيد المسيح كما تقول المدونة المسيئة له عليه السلام، فعليكم أنتم أن تخبرونا بموضعه وتحضروه لنا حتى نقارن به وبين الأناجيل التي بين أيديكم والتي بدأت تجرت بعد انتقال عيسى بن مريم عن الدنيا وأحيط بها الشكوك والشبهات من كل جانب، سواء فيما يتعلق بتواريخها أو بتواريخ كتابتها أو بالظروف التي كتبت فيها. أما إذا فاتكم به لم يكن هناك إنجيل في حياته، فعليكم في هذه الحالة أن تقروا بأن هذا الكلام المسيء للسيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الحالية عن وجود البشير الإنجيل في كل الأمم هو كلام كاذب لم يقله المسيح لأن الإنجيل لم يكن قد وُجد بعد.

ثم هناك ثغرة أخرى هي نقطة مشابهة من التقديم الذي قدم به هذا المحرر، إذ يقول ما نصه "إن دين المسيح لم يستطع أن يجتبه الإسلام بحجته الكبرى التي هي الجهاد وقتال من لا يدين به، ولم يقطع سيفه كل لسان، ولم يكسر أقلام صعاف البرهان الذين هم أحص دعاة النصرانية الموصوفون بـ"أحد الكتبة". ومن هؤلاء المشجعين الذين أرهفوا لقلمه وأحسنوا لسانه الأب أو الأب جرجي أحد رهبان دير القديس سمعان

سدي موقعه في حمل سمعان في ولاية حمص الذي كان من أعظم وأشهر ديارات البطركية الأنطاكية". ففي هذه الفقرة نقرأ أن الإسلام لم يتبع واحد كالأب جرجي أو غيره من المنشيرة بالإنجيل بين المسلمين، حتى في حضور أسرائهم ومواجهة شيوخهم. فما معنى ذلك؟ معناه ببساطة ووضوح أن كل ما يروجه المبشرون ويدلسون به مدلسون لأكاذيب المشوهون بالتعميم بين أممه وطوائف المستشرقون يفترون على المغلوط التي تعرض ويتعرض له النصارى في بلاد المسلمين هو كلام لا أساس له من الصواب، وإلا فلو كان الإسلام يضطهد الأديان الأخرى كان أتباعها يستطيعون أن يفتحوا أفواههم مجرد فتح، فضلا عن أن يدخلوا مع أئمة الإسلام في حوار من أجل نشر دينهم وتخطئة دين المسلمين؟

إذن فالإسلام لا يضطهد الأديان الأخرى، بل أفسح لها صدره وحماها وأسبغ عليها كرمه وعطفه، ولم يفكر مجرد تفكير في استئصالها مثلما تواصل النصارى كل من يخالفهم في الدين فلم يسمحوا له أن يعيشهم في وطن واحد، كما هو الحال في الأندلس مثلا حين أخرج فرديناند وإيزابلا وعلى حد تعدادهما عشرات الملايين من المسلمين لأسبق أهل البلاد على النصر، وإلا فالحرق أو الإغراق أو الحشر في نعوش مضلعة بالمسامير لصحوه تنبثق عنى من يدخلها فتحترق المسامير لحمه وظهره وصدره وعينيه ورأسه وفخذه وفخذيه وساقيه وقدميه ويديه في حين وتهرسه هرسا وتحوله إلى مضغة من اللحم والعظام (لنفهم جيدا!). وهو ما يمثل أسلوبا واحدا من أساليب محاكم التفتيش التي أقيمت لإرساء دين ونشر دينه، دين الرحمة والتواضع والسلام. وكما هو الحال أيضا في أمريكتين حيث تم القضاء على دين أهل البلاد تماما فلم يعد له من أثر، بل حيث تم القضاء أيضا على أهل البلاد أنفسهم في أمريكا الشمالية.

وعلى عشرات الملايين منهم في أمريكا حتوية! و"إن كنت ناسيا (كما يقول لاعبة) أفكرك" بكتاب المصري برتولوميو ذي لاس كاساس "مسيحية وليست". الذي ترجمته سميرة عزمي الزين، وبقال فسيبرو أوبيتي الذي ترجمه لعبد الله وشره على نشك بعنوان "العنف المصري في المسيح"، ولا داعي لذكر عزهما، فيهما الكفاية بمثابة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ومثل ذلك قل عن الأستراليين الأصليين الذين لم يعد هم وجود في بلادهم بعد أن دستها أقدام نصارى أوربا ودمرت كل شيء يخصهم من حضارة وثقافة ودين. ثم دمرتهم هم أيضا فلم تكد تبقي منهم باقية على ظهر البسيطة! أما التشريع للقتال فهو فعلا موجود في الإسلام، ذلك لدين العظيم الذي لم يترك أصحابه في تسويقه لحق براعة النصارى في تسويق دينهم بالرغم حين ذعوا أن دينهم هو دين رحمة وسلام. على حين أنهم في احتلالهم للبلاد الأخرى لا يعرفون رحمة ولا سلاما. على عكس الإسلام، الذي يفرض فعلا على فئات المعتدين حين لا يكون أمام أهله مناص من القتال ويعدل يستعدوا كل سبل السلام والتصالح مع أعدائه، لكنه رغم كل هذا يحرص على العدل والإنسانية والتسامح ما أمكن مع هؤلاء الأعداء. وقد رأينا كيف أن الرحمة والسلام يشهدون عليهم وعلى سبيلهم ويتهمونهم ما ليس فيهم ولا في دينهم عتمادا على آلة الإعلام الجهنمية التي يمتلكها الأوربيون منهم في الدول المتقدمة ويستثمرها سادتهم في كل أرجاء الأرض **بالكذب الفاجر المتوحش الذي لا يعرف الحياء!**

وعلى كل حال فهو ذا كتاب الحديقة يعلن كيف عوامل الرهبان والقساوسة من قبل الأمير لأيوبي سمسم "تفق أن رئيس دير القديس مار سمعان العجائبي البحري حضر بين يدي الأمير والسلطان صاحب

عديمة حسب وأعدهم حيث كان يدور حبشه في الفضاء الذي بين عل وحرم. وكان حضور تونيس لدى الأمير لأجل حوائج عرضت له من حوائج ديره ومصالحه. فلما مثل بين يدي السلطان مع من كان قد صحبه من الرهبان قبلهم أحسن قبول وأمر بقضاء حوائجهم وما التمسوه. ورسم لهم بالنزول في خيمة أحبه منك منشأ. فحين حضر بين يدي منك منشأ قبلهم أحسن قبول بغاية الإكرام والإجلال. ولما نظر إلى شبح ابن حرجي استغل بالنظر به وأدناه إليه ورسم له بخواص نفرته. ولما عاد تونس من عند السلطان يكمل حوائجه تمسك الأمير بالشبح واحد بعد واحد يسأله عن أمور الدين والرهبان وعبادتهم وسيرتهم وتصرفهم. فلما علم ذكرته الحدوتة في بهتته من تخوف الأمير للرهبان بوسق بعل سمك، وبعدة من بغاله الأميرية المشرحة. وواضح أن ما حدث هو من الإكرام والترحيب لم يكن شيئاً مستغرباً. بل كان أمراً معتاداً، وإلا لم يتذكروا أصلاً في الحين والشؤون بين يدي حاكم مسلم. أليس هذا ما يقوم به المسلمون؟ علاوة على أنه لم تصدر عن الكاتب أية كلمة تدل على أن هذا الاستقبال الذي حظي به الرهبان والمسؤولون كان شيئاً غريباً لم يتوقعوه. لكن حبك للأدب لا يريد أن يفوّت فرصة للمسلمين، بل يدور على حكم صيغته شعبية المسلمة فيعض بيد الكريمة التي امتدت له بالحسنى! ألا بعداً لله على حفدة المارقين الذين يعاديهم الإسلام أهل للعاملات فلا يكون منهم إلا أن يتقيأوا عليه فينهموه كذباً وزوراً بكل قبيحة فيهم. وإن كنت شككت في حدوتة كلها. لكنت بددتها في غمضة أيديهم بحسبة لدنية! اسمع هنري، يا بعيد، اسمك الذي أضحكه بيد الأمير زعم أنه لا يصدق حدوتتك، وخاصة أنك تقول إن الأمير قد أمر حاجبه الموجود عند مسلكته أن يعطي منك برهان "معطى سرّاً من سائر الحرامات

و خفوق"، وكان عقاب سوط و لأمير في تلك الأيام كانت تخضع لمحاسبة الضربية وامتد فارد الأمير أن يستثني الرهبان منها! على و لله هذا ما كان ينقص في بوم لعجب! كما تذكر الخدوتة أن سم خاجب هو تمام لشماري، وقد حاولت العثور على هذا الاسم في مواقع مشبوهة لمختلفة، وبحثت في مواقع تي توجد فيها عدة كتب ذلك لعهد فلم أفلح في لوصول إلى شيء! والغالب الظن أنه سم منتحل لاسمه، بُغية سطحة السذاجة لدى جزعهم خيال الكاتب لسقيم وجعلهم من "أئمة الإسلام"!

و لإضافة إلى ذلك يرى الأمير يوقع باسم "شمر الملكي"، وهذه غريبة، فالمعروف أن لقب "شمر" إنما أضفه لأمير على نفسه (حسبما تحدث بعض المؤرخين) بشارة إلى أن أسرة بعصه مملكة كبعض جيرته، فكيف به يستخدم نفسه إلا هذا للقب لذي يرمز إلى الحرمان، مع أن له لقبًا آخر لحما ليست له هذه الإيحاءات السلبية، وهو "الظفر"؟! ثم، وهذا مجرد استفسار، هل كان أحد من الأمراء الأيوبيين يصف نفسه بـ"الملكي"؟ بئس ذلك فحسب، إذ يقول الكذاب المحتال إن المصيدة كانت عند بوابة "الزرزاري"، أيها القارئ، أين تقع بوابة؟ بها في غوطة دمشق، وبهرها (الذي سوف يأخذ الراهب اسمه منه) هو بهرٌ محليٌّ صغير ينبع من عين هناك ولا يزيد طوله كثيرًا عن عشرة كيلو مترات، والمسافة بين دمشق ومعلقة حسب حيث جرت أحداث الخدوتة وحيث كان دير الرهبان هي نوفي الثلاثمائة والخمسين كيلو مترًا! أي أن الكذاب يريد أن يفهمنا أنهم قد خرجوا عن مسار عودتهم إلى ديرهم عدة مئات من الكيلومترات كي يحصلوا على وشق بعلي سمك، وأن الأمير لم يجد في ممتلكاته إلا هذه المصيدة التي يقطع الوصول إليها الأنفس كي يمنعه على الراهب بعض ما

يصدد منها من سمك أهذا ليس سمكا هذا سمك ! الآن ، فمن هنذي أنه سلفه كيف يمكن أن يبقى السمك طول طريق العودة سليما لا يتغير ، ومعروف بطء وسائل المواصلات في ذلك العهد وعدم وجود حافظات للحم والسمك وأمثالهما من الأطعمة التي تفسد سريعا"

وهذا النهر ، كما هو واضح ، لا يقع بمملكة حلب ، التي كانت تحت إمرة الملك الظاهر ، بل يقع في مملكة دمشق ، التي كانت تحت سلطان آخر هو الملك الأفضل ، الذي كان يتبعه الأمير المشطر (اسمه الحقيقي "حضر" ، ولقبه الرسمي "الظاهر" كما سبق بيانه) . ولعل في ذلك ما يفسر أن الضيعة التي يملكها الأمير كانت في دمشق لا في حلب ، وإن كان من المحتمل أنه كان تابعا لأخيه الملك الظاهر صاحب حلب (الذي لم يكن شقيقه) ، على عكس "الأفضل" (الذي كان أخا لأبيه وأمه معا) . وهذه عادته "ويظهر أنه كان من أتباع أخيه الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب مدينة حلب أصغر أولاد صلاح الدين . ومن ثم كان الأمير المشطر أقل شأنا من أخيه الملك الظاهر الذي مات في حلب ودفن في قلعتها سنة ٦١٧ الهجرية التي توافق سنة ١٢١٦ المسيحية عندما جرت هذه الحادثة . وبعبارة كان تابعا لأخيه المذكور" والمعلوم مما ذكرناه من أنه كان تابعا للأفضل ، أما الذي كان تابعا للظاهر فهو شقيقه الأمير داود ، وكانت في يده قلعة الشيرة على الفرات بقرب البويرة في "بهنسا الأرب" تستقر تحت دمشق ومع ذلك للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ، وهو أكبر أولاده وولي عهده ، وعنده أخوه شقيقه الملك الظاهر حضر والملك المعظم موسى ، واستقر الملك حلب ما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازي ، وعنده أخوه الملك الزاهر ، فجعله من قلعة على الشيرة" . وفي "نجوم الزاهرة" لابن تغري بردي أن أولاد صلاح الدين "كانوا ستة عشر ذكرا وستة

وحدة أكرهم الأفضل علي . ولد بمصر سنة خمس وستين يوم عيد الفطر
وأخوه لأبيه وأمه الملك القاهر خضر . ولد بمصر سنة ثمان وستين
وأخوهما أيضا لأبيهما وأمهما قطب الدين موسى . ولد بمصر سنة ثلاث
وسبعين لهؤلاء الثلاثة أشقاء الملك العزيز عثمان الذي ملك مصر بعد
أبيه . ولد بها سنة سبع وستين وأخوه لأبيه وأمه الأعز يعقوب . ولد بمصر
سنة ثنتين وسبعين والملك القاهر عازي صاحب حلب . ولد بمصر سنة
ثمان وستين . وأخوه لأبيه وأمه الملك المؤيد داود . ولد بمصر سنة ثلاث
وسبعين والملك المعز إسحق . ولد سنة سبعين والملك المؤيد مسعود .
ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين والملك الأشرف محمد . ولد بالشام سنة
خمس وسبعين وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك المحسن أحمد . ولد بمصر سنة
سبع وسبعين وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك الغالب مبكشاه . ولد بالشام
سنة ثمان وسبعين وأخوهما أيضا لأبيهما وأمهما أبو بكر النصر . ولد بمصر
بعد وفاة أبيه سنة تسع وثمانين والملكة موسكة خاتون تزوجها ابن عمها
الملك الكامل ناصر الملك العادل وملكت عنده . وملك بعد السلطان
صلاح الدين مصر بعد الملك العزيز عثمان . . وملك دمشق بعده بعد
الملك الأفضل علي . وملك حلب بعد القاهر عازي كما كانوا أيام أبيهم .
وإن كنت لا أحب أن أقف عند هذه النقطة أطول من ذلك رغم إمكان
التوقف قليلا إضافيا عند الاضطراب والتدليس في تلك الخدوتة . إذ لم
يزل يفرض نفسه هنا . ألا وهو عما كانت صلاحية الأمير القاهر في
حلب بحيث يقوم بتنصيب وعزل الملوك . ولم تكن له صفة رسمية في
تلك المملكة؟

كذلك ففي هذه الفقرة الأخيرة يوقع المحقق في المهالك عدواً مرة
أخرى فيكون في هذا برهان جديد على أنه لا توجد جريمة كاملة أبدا مهما

ص مرتكبها أنه قد احتاط فيها بكل شيء فسد كل الثغرات ولم يدع لذوي الأه
فقد أي أثر يمكن أن يكشف أمره. وقد قال بكداب عن الأب جرجس
مرعوم إنه من هؤلاء الذين أعمتهم التعصب وأصمهم التقليد. مع
أن رواي الخدوتة المضحكة قد ذكر أن ما جرى على لسان ذلك الأب
الذي ليس له وجود إلا في مخيلة مؤلفها لم يكن سوى كلام شتوي لا
يستخدم فيه قلم ولا ورق ولم يكن ثمة وقت للتحبير وتصحيح الطبع. على
عكس ما يكتب محقق مدقق يعرف قبل غيره أن هذه الخدوتة لا تقنع
قط وأنه لم يكن هناك مثل ذلك الأب مرعوم بين جرجس ومن سماهم
بـ "أئمة المسلمين". كذلك ليس كتبه الأخرى التي تظهر براءته السياسية
ومواهبه العقلية؟ بل أي أخباره وتاريخ حياته عندهم، وهو الرجل الذي
انتصر ذلك الانتصار الباهر على مسلمين وفي حضور أمير من كبار
أمرائهم كما يزعمون؟ وبالإضافة إلى هذا فإن في الخدوتة أخطاء تاريخية لا
تليق إلا بكداب غبي مثله. فهم أهل الإسلام يطلقون من قديم الزمن،
وصبح النحوم الزائفة بالباطل أنهم لو كان هناك نقاء كهذا. فأين خبره في
كتب المسلمين؟ أمن المعقول أن يقع مثل ذلك النقاء، وأن يكون وقوعه في
معسكر الأمير الأيوبي ابن صلاح الدين. ثم تسكت عنه كل كتب
المسلمين فلا تتعرض له ولو بكلمة؟ لقد دهشت فقلت: لعل كتب تلك
الفترة قلم أحد لتلك الخدوتة من أثر. بل لم أجد أي أثر لأي واحد من
مؤلفيها. لا لأبينا جرجس ولا لتقيه. ثلاثة مذين تقول الخدوتة إنهم
حدثوا هذا الجرجس فحدثهم. وهم أبو سلامة وأبو ظاهر والرشيد بن
هذاي. ثم ما هذه النعمة الغريبة. نعمة انتصار النصارى على المسلمين
في حدث. والمعروف أن علماء المسلمين لم يحتفلوا قط مع رهبان
النصارى ورجال دينهم في حدث إلا كان نفع للمسلمين. وكثيرا ما

[illegible] أحدث يدخون تحديثهم في الإسلام ومن حين المناظرة التي تمت في [illegible] بين مجموعة الدكتور محمد حميد غازي وجماعة القسوسة [illegible] في أواخر القرن الماضي وانتهت بإعلان القسوسة جميعا اعتناق الإسلام على يكن أنهم سيعيدون ويمكن الفارق أن يطالع وقائع تلك المناظرة كاملة في كتاب "مناظرة بين الإسلام والنصرانية"، ويقع في طبعته الثانية (الرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) في ٥٠٠ صفحة. وهو متاح على الشبكة على بريد تحميله. وبالمناسبة فقد كان بين أعضاء الوفد الذي سمى الأستاذ إبراهيم خليل أحمد. وهو قس مصري سابق أسلم وأصبح من أشد المدافعين عن سيد الأنبياء والدين الذي جاء به.

كانت أبي حين هذا اللقاء في كنف النصارى في ذلك الوقت، بل إلى ما بعد ذلك الوقت بعدد من القرون! فقد حررت الحدوتة لأول مرة عام ١٣١٦م بقلم [illegible]، إلا أن أقدم مخطوط لهذه الحدوتة يعود إلى عام ١٥٣٩م. فأين كانت تلك الحدوتة طوال تلك القرون الثلاثة والعقدين والنصف؟ يجيب [illegible] بكل بكل بساطة أنه اكتشفها بعد أن قابلها على عدة نسخ قديمة وحديثة في مكتبة الأمة في باريس وغيرها من مكتبات الشرق، وهي كثيرة تعد بالعشرات. وأقدمها وأصحها كانت نسخة خطية عام ١٥٣٩ [illegible] عن نسخة قديمة لا تعلم أين ذهبت [illegible] في الواقع لا أصدق إلى أولئك [illegible] فهم متخصصون في التزييف والعبث. ومن هنا فليس لكلام تلك [illegible] عندي وعند كل عاقل من معنى إلا أنها قد وُضعت ووضعت في تلك التواريخ إن صح ما يقولون. أي أنها قد اختُرعت من بُنيات الحبر والأوهام بعد الوقت الذي قيل بها ونقلت فيه بأكثر من ثلاثة قرون! ترى أين حيرة الخجل عند أولئك الكذابين؟ الواقع أنهم لا يخجلون ولا يستحيون. ومن كان هذا شأنهم فإن الله سبحانه لا يكتب لهم التوفيق أبدا.

بل يفضحهم ويهتك سترهم!

ثم من هم أولئك المشايخ الثلاثة الذين لا نعرف عنهم شيئاً البتة. وكأن الخشبة الأبوسية والسنة الحلبية قد حملت من مشاهير المشايخ والعلماء والكتاب ممن كانوا يستطيعون أن ينغصوا هذا الرجل في [illegible]؟ ودعك الآن من أن الأمير المشهور ذاته كان من أهل العلم والحديث وصاحب ثقافة تاريخية واسعة كما سيأتي فيما بعد من هذه الدراسة! أو كان مسلمين يمكن أن ينخدعوا بمثل أولئك العلماء فلا يكتفوا عنهم أو يرجعوا فيما علموه عن دينهم إلا أبو سلامة وأبو ظاهر وأبو شيبة من مهديي! يعقل أن يكون هؤلاء من كبار أئمة المسلمين على ما يزعم بمنتهى حدوثة ولا يرد لهم ذكر بين علماء حلب ولا غيرها من تلك البلاد؟! لقد وقعت مثلاً، وأنا بصدد إعداد هذه الدراسة، على مقال في العدد ١٠٠١ من جريدة الأسبوع الأدبي (٢٠ - ٢٦ - ٥ - ٢٠٠٦م) بعنوان "لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية؟" ذكر فيه كاتبه د. أحمد فوزي هيب، ضمن من ذكر من علمائها في المجالين المختلفة على مر العصور القديمة، مشاهيرهم في العصر الأيوبي، فكان منهم الأسماء الآتية، وليس فيها لا أبو ظاهر ولا أبو نصر ولا دبوثو. بداهة لأنهم ليس لهم وجود إلا في خيال الراهب مسلم. قال المؤلف: "ومن علماء حلب آنذاك في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية وخط وتاريخ وجغرافية الفلك والرياضيات والطب والفلسفة القفطي وابن العديم وابن سعيد الأندلسي وابن شداد وابن المحسني وعلائي بن إبراهيم الجعبري وابن الصلاح والكاشغري والكاساني وصفر بن يحيى وعبد الله الحاسبي وهاشم عبد المطلب بن عبد المطلب وابن جبار وشهدة بنت ابن العديم وابن يعيش وابن عمرون وابن مالك وابو مسلم بن القاسم وحسين بن هبة الله الموصلي وسعيد بن أبي

مصير حتي وحمد بن علي المرشدي وبن حروف سحوي وعبد المطيف سعد دي وعلي بن أبي بكر حضرمي وأسعد بن محمد بن الولي ويحيى بن محمد وبن أبي هي وبافوت حموي وحمد بن طلحة والهروي عبي بن أبي بكر والسهروردي المبشوف متصوف وأبو الفضل بن ياسين الحلبي وأبو حجاج يوسف الإسرائيلي وغيرهم. وبن أصدبه عبد اللطيف البغدادي وعفيف بن مكرمة حتي وحسون الرهاوي. وغير هؤلاء كثير.

عبى أن هناك شيئا في رواية السيدة خاصة بالحديث. ألا وهي أن الراوي. رغم ما قيل من أنه كان أحد أعضاء الوفد الذي ذهب لقاء الملك الأبيسي وأنه كان حاضرا محادثة الرعومة في حضرة الأمير المشمر كتمة تتمته. لم يرو الحديث بضمير المتكلم. مثل من كان في مثل موقفه من حضور والمشاركة. بل حكاه بضمير الغائب. لا عبى سبيل النحو فقط. بل عبى سبيل الملاحظة والرصد أيضا. إذ لم يحدث أن فكر في تتبع عن متابعيه مرة أو التعليق عبى ما جرى أثناء حضوره السالفة ولو بكلمة واحدة. فيقول مثلا كنت واحدا من وفد الرهبان الذي ذهب لقاء الأمير المشمر في شأن كذا فقال بما كذا وقلت له كيت. وكنت أشعر بالسرور لأني أرى الأمير جرجي يفحم الشيخ المسلمين ويحظى بتشجيع الأمير. ... بل إنه حين تكلم عن الراهب الذي نوى محادثة الرعومة لم تبدر منه بغضة واحدة تبين أنه كان يعرفه أو كانت له به علاقة قط! وهذه ثغرة خطيرة في الحديث تدل على أنها مصنوعة صنعا وأن قائلها لا يمكن أن يكون قد حضر شيئا مما يدعي وقوعه بين الأمير المشمر والشيخ المسلمين.

ولكي يعرف القارئ ما أريد أن أقوله وينتقل الأمر التمثل الصحيح أسوق له هذه الأسطر من رواية أم سلمة رضي الله عنها عن وقع للمسلمين في الحبشة في عهد النبي حيث كانت معهم هناك: "قال: لما

إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في رجلين منهم جلدين، ولا يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهم بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هديته، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد صوى إلى بلدنا منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في ديننا، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم واستوهنوه فيه، فانظر كيف

وت أم سلمة حكايتها بصمير المتكلم فقالت "نزلنا، جاورنا، أمنا، عندنا، لا نُؤذى، لا نسمع" أزعم أنها لم تكن من المحاصرين بمحمد بحشي، بل كانت فقط واحدة من جماعة المهاجرين المسلمين هناك، فما ما من كان حاضر وسمع ورأى كل شيء، تروي هذه الحدوتة؟

ويقول الراهب جرجي إذ حتى ما دلَّس بل الأمير المشتمر من سيرته يدة عن الحكمة في تحريمه لحم الخنزير على أتباعهم: "ولا نحن نحرم لحمه ولا أكل لحم، وإنما نقصد بذلك تعيشة اللطيفة غير الجوية ستقرَّب إلى الله الجوهر اللطيف غير الهيولي المتطيف الحسم" ووجه استشهد هنا هو وصف الراهب لله سبحانه بأنه "جوهر لطيف غير هيولي" لله أليس هذا شيئًا قريبًا مما تعلمه المسلمون في قوله النصارى حول هاتين القرون؟ أليس ما يزعمونه من أن الله قد تجسد ونزل إلى الأرض وأكل وشرب ونام وحزن وتألم وضرب وأهين وطعن في جنبه بحربة ولُعن وصلب ومات ودُفن، كل ذلك فساد في الله؟ ومع ذلك فمن قال إنه يتقرب لله بإنكار لأحداث وشهوات؟ إن هذه الأحداث والشهوات إنما هي جزء أصيل من كيان لا تستقيم الحياة بدونه، فكيف يطلب عاقل من عاقل أن ينكر هذا؟ وما العلاقة بين كون الله غير ذي جسد وبين تنكر البشر لأجسادهم؟ ثم قال الراهب لأتباعه إن الاعتدال مطلوب في إشباع شهوات الجسد كالطعام والنوم! أما تجاهل الجسد ومقاساته فإنه يتنافى تمامًا مع الطبيعة الإنسانية، إذ الطبيعة لا ترحم من ينكر تقريبها التي فطرها الله عليها. لا سبيل لخلق الله! وحتى المسيح عليه السلام الذي يقول ذلك الراهب ومن على شاكلته إنه هو الله، يكن يستطيع أن يعيش بلا إشباع لجسده ونفسه، ولو استطاعت به الحياة فترة لجد له روحًا! وبالتالي فقانون الاعتدال غير خاص بمطالب الجسد، بل

يصدق على مقتضى العقل والروح كذلك. فمثلاً لو أنفق الإنسان عمره أو معظم عمره في العبادة دون الالتفات لمصالحه الدنيوية أو واجباته الاجتماعية لكانت عقابيل ذلك سيئة أيضاً، وقد تكون كارثية في بعض الأحيان.

ويستمر الراهب في سخريته قائلاً: "سيد المسيح قال لك إنكم ما تقدرون أن تتألموا الفرح والسرور في نعيم الآتي دون الشقاء والحزن في هذا العالم الفاني". ولكني أريد أن أعرف أين قال عيسى بن مريم ذلك. لقد كان المسيح يأكل الطعام الطيب مثلما يجب أن يأكله جميع الناس. ولكنا نعرف كيف حق عليه السلام على الخبيثة بل سماها لأنها لم يكن فيها خير بالمرة حسبما تحق مؤلفو الأناجيل الذي سادوا عصب عليه السلام على الشجرة الملكية حين لم يجد في أغصانها ثمراً رغم أنها لم تكن في موسم الثمر ورغم أنها لا تحمل ولا تملك من أمر نفسها شيئاً؟ أليس لأنه يجب الناس ويريد أن يأكله، وهو صفة من صفات الله؟ ألم تطلب أمه أن يوفر الخمر لعريس أحد الأعراس وتستجاب له، وكانت هذه أول معجزة قام بها في حياته؟ ولن كنا لا نصدق أن أمه قد طلبت منه ذلك ولا أنه عصى الله بوضع هذه المعجزة! ألم يقم بمعجزة إطعام الآلاف طبق ما جاء في الأناجيل؟ أهناك من يذكر أن الطعام والشراب يدخلان من ضمن الزائد الحية؟ ألم يعمل كل ما وهبه الله من مقدرة على شفاء المرضى والمرضى والبرص، وقد كان يسعى، لو كان ما نسبه له ذلك الراهب صحيحاً، أن يُنفيهم فيما هم فيه من هم وشقاء ومعاناة حتى تكون حظوظهم في ملكوت السموات عظيمة؟ ألا يرى القارئ أن ما قاله الراهب لكذب مجرد كلام في الهواء لا مضمون له ولا مصداقية فيه؟

كذلك يدل على أن رواي الخدوعة كذب أيضاً فيما قاله عن حسد

وصفت الخبيثة أنه بركة، في مدحه بزهده، على أشكاله وملابسه من غير أن كان أحد منهم ينعتق به مثل سوء، ونقمة على صاحبه، فلم هم ذلك بكذب خلاوة منصر أن هب فوصفه شتمه مرة، وعلى أنه شيوخ المسلمين مرة، بطريقة من يتظرف به حتى أنه مرأة فاتنة تستهوي ألباب الرجال وعقولهم" إنه يقدمه لنا على النحو التالي: "تولى شيبة زهده وأخلاق عبده سوق الأحظى في مدينته". لذلك فأبو طاهر السعدي يقول عنه "كل ما عنده حسن وجميل، ووجهه صبيح ومليح" أوهذا كلام من يريد منح لقب سافضة لمعتقد حسن في دار النعيم؟

وبالمثل لا يمكن أن نصدق بسهولة أن أرهب تفقد عقله إلى الحد الذي تقول فيه للشيخ "إنه عازم أن تعصب، فقتل عندكم ستة لا تُعد، وعدة بها تفتخرون، وقد قال بعضهم: دراهم ما دمت في دراهم، أو صبيهم ما دمت في أرضهم" بل أن سلامة نحن لا نورد هكذا التصدق كذبة، ولم نخشى أن تتصور، تغلط صاغت، حق كذبة" إن هذا هو حسن بعينه، لأن مسلمين، يكونوا مقتولين الذي يسوّل لمثل هذا أرهب يعين أن يجهزهم في وجههم ذلك لكلمات بهيه "ثم ما معنى قوله هم في وجههم "دراهم ما دمت في دراهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم"؟ أليس معناه أنه لا يقدر على مواجهتهم بما يريد أن يقوله؟ فكيف إذن يواجههم بل يجهزهم بذلك الكلام بعين؟ بل كيف يفضح نفسه ويكشف عن خطته في مداهنتهم واستغفالهم؟

وعن سلامة التي لا يخس المشرق سوء في الاختراع والتصنع فور الرأي لأحظى بالأمير، ما أنجح لأن النصراني الشيخ المسلم، قد مال عنه، ليزلفه في أنه أن أنه نصرانية وأنه معه بعواطفه قلبا. ثم لم يكتف بهذا بل جمع حاشيته المسلمين وأنسه بهم في جمعه! يا سلام! ما كل ذلك

سرعة؟ ترى إذا كان كلام الأمير صحيحا، أكان رجال حاشية وتجارهم من حاضرين بجهلول هذا حتى يسأل الراهب وحده؟ ما يفيد أن أيا منهم لم يكن يعلم بهذا الأمر؟ هل كان صلاح الدين مثلا قد تزوج بأم الأمير عبد وسلبها وسرق منها الورقة حتى لا تستطيع أن تثبت عليه نفقة أو تخصص منه على بيت أو تنسب إليه منه بنين؟ ما رأيكم في هذا أيها القراء؟ وما رأيكم فيما فعله الأمير من أجل تحسين الراهب والإسراع به في أداء مهمته السر الخطير دون حاشيته من سماع المسلمين الموجودين له، وكأنه خشي من الأطفال فبصق عليه متهما إياه بسرقة لعبة زميله، فتراه يسارع إلى تحسين يده خشية ظهوره على مرأى من الحاضرين حتى منه أنه يهدد بفضح شيء المسروق عن العيون؟ أم هل كان المسلمون يعترفون للأمير ما فعله من الانتصار النصراني على المسلم؟ أوكانت تمر مثل هذه الواقعة مرور الكرام وكأن شيئا لم يحدث فلا يهتم بسببها العلماء والجمهور ولا يكتب فيها الكاتبون فيتبدون ويُعبدون؟ ومع ذلك كله فهؤلاء المغفلون يصرون أن يمقدورهم إقناعنا بهذا افتراء!

ولو سلمنا جدلا قبل عن تعاطف الأمير مع النصارى بسبب نصرانية أمه مرغومة التي نحن كتب التاريخ من أي كلام عنها، بل هي من بنات أفكار الكاتب المفضوح، فهل كانت أم أخيه الظاهر منك البلاد نصرانية أيضا؟ ولاحظ أنهما لم يكونا شقيقين كما وضحنا في موضع سابق من هذه الدراسة، فكيف سكت ذلك عن التعلق الذي فعله أخوه الأمير والذي كان لا بد أن تكون له عواقب وخيمة على المملكة؟ وذلك بغض النظر عن قوة تشدده في أمور الدين وعدم تساهله مع النصارى في مثل هذه القضية يقول ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان»: "كان الملك مهيبا حازما متيقظا كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار ملوك، عالي الهمة

حسن التدبير وسياسة وسط بعدل محبة بعلمائه مجيزا للشعراء"، وقال عن نعديه في "زبدة الحلب" عمن وقع في مملكة صلاح الدين بعد وفاته "واستقر ملك ابنه تسلطان الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب حلب، والجزيرة، وكفر طاب، وعزاز، وحارم، وشيزر، وبارين، وتل باشر، واستقل بملك حلب، وأنعم على رعيته، واستمال قلوبهم بالإحسان، وعمل بوصية أبيه في الأقدار حسن، وشارك أهل حلب في سروراهم وحزنهم، وقد أعدقهم أطواق الأعداء والمن، وجالس الكبير منهم والصغير، واستمال جليلهم وحقيرهم، وكان رحمه الله، مع ظلاقة وجهه، من أعظم الملوك هيبة وأشدهم سطوة وأسدهم رأيا وأكثرهم عطاء، وكانت الوفود في كل عام تردحم ببابه من الشعراء والقراء والفقراء وغيرهم، وكان يوسعهم فضلاً ونعمة، ويوسيهم مرة وكرما، ولم يجتمع ببابه أحد من ملوك بعد سيف الدولة من الجود ما اجتمع ببابه رحمه الله، ورد على سيف الدولة في الجباه والفضل والعطاء". وذكر ابن شداد في "النوادر السلطانية" أن جماهير المقاتلة في عكا (عفى الله عنه) كانت تعتقد أن الله قد هيأ البحر للعدو ببركة قدوم الملك غازي، كما استبشر والده صلاح الدين به وعلم أن ذلك بصلاح سريرته، وقد وجد النصر مقرونا بقدومه مرة بعد أخرى، وثانية بعد أولى. ومن المعروف أنه قد حضر مع أبيه معظم وقائعه مع الصليبيين بجزير. وفي "ترويح القلوب بذكر منوك بني أيوب" يورد مرتضى الزبيدي ما أثنى به ابن عربي عليه من أنه لم تُرفع إليه حاجة من جوانح الناس إلا سارع في قضائها من فوره من غير توقف كانت ما كانت. وكان الملك مريدا للشيخ وحصل منه على حيرة في العلم توجد مخصوصته في مكتبة الأسد الوطنية (مخطوط رقم ٦٢٨٤) حسبما كتب أسعد خطيب في مقاله: "الإطار الدفاعي عند

الصُّوفية "موقع التصوف الإسلامي" فمثل هذا الشك لم يكن ليسكت على كفر أخيه المرعوم لو كان ما قاله الخدونة صحيحا، وهو ما لا يمكن أن يكون قد حدث قط!

ولنفترضا أن ذلك الشك قد وقع بالفعل وذلك لكتاب الذي بين أيدينا صحيحا، فكيف نفسر سكوت علماء المسلمين عن كتابة الرد على تلك الشبهات التي أوردها "الراهب المسكين"؟ لقد كتب مثلا ابن كمونة اليهودي بعد ذلك بما يربو على سبعة عقود قليلة كتابه "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث" الذي تعرض فيه لليهودية والنصرانية والإسلام وأورد بعض الاعتراضات على دين محمد عليه السلام وعلى نبوته، فهب على الفور خواجة نصير الدين الطوسي وكتب تفنيدا له بعنوان "الرد على شبهات ابن كمونة" زعم أن ابن كمونة إنما عبّر عن رأيه كتابة ولم يقله في مناظرة علمية انتهت بهزيمة مدوية ومخزية للخصم المسلم كما يزعم كتاب الخدونة، فضلا عن أن غيرته على الإسلام كانت أهدأ جدا جدا مما قاله الأبا حرجي في محادثته حسبما كتب مدوّنها الموهوم. فوق أضف أن ابن كمونة كان يعيش في بغداد حيث كانت الخلافة العباسية ضعيفة وحيث كان المسلمون يعيدون عما يجعل وقع كلام ابن كمونة على عوامهم عنيفا كما هو الحال في دولة بني أيوب قائدة الصراع الدامي مع الصليبيين، وأن المسلمين هاجروا وماجوا يريدون السطش باليهودي مما استدعى تدخل كبار رجال الدولة وكبار علمائها بغية محاصرة المسألة التي لم تنته مع ذلك إلا بتهريب ابن كمونة في صندوق مجلّد إلى الحبّة، التي مات فيها بعد ذلك بأيام طبق ما كتبه ابن الفوطي في كتابه "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة" في حوادث سنة ٦٨٣ للهجرة. إذا فعلما ذلك تبين لنا أن سكوت المسلمين وعلمائهم على هذه المهزلة غير مستطاع التصديق لأنه مما يخالف

طبائع الأمور، ودعنا من الكذبة السلفية التى كذبها الكاتب المدلس حين ادعى أن ابن صلاح الدين ملأ الصحراء فى تلك الواقعة ضد المسلمين!

ولم يكن الرد على كتاب ابن كمونة شيئا استثنائيا فى تاريخ الثقافة الإسلامية، بل هو القاعدة، وأستطيع أن أذكر من محفوظى الآن "الرد على النصارى" للجاحظ (الذى أعدت كتابته من جديد كما لو كان الجاحظ يعيش فى عصرنا الآن، بعنوان "مع الجاحظ فى رسالة الرد على النصارى")، و"الرد على ابن التغريبة اليهودى" لابن حزم، وجواب القاضى أبى الوليد الباجى على رسالة راهب فرنسا التى دعا فيها حاكم سرقسطة المسلم إلى النصرانية، وكتاب أبى عبيدة الخزرجى فى الرد على قسيس قوطى كان يحاول تشكيك المسلمين فى عقيدتهم فألف رسالة بهذا المعنى أعطوها لأبى عبيدة فكتب يمتدها نميدا صاعقا، ويتهكم بصاحبها وديه تهكما ماحقا، ويفضح الاعيب رهبان النصارى ومخاريقهم التى يموهون بها على عامتهم بسبب افتقار عقيدتهم إلى أساس عقلى يسنده، و"إظهار الحق" لرحمة الله الهندى، ورد قاسم أمين على دوق داركور، ورد محمد عبده على هانوتو، وكذلك رده أيضا على فرح أنطون، و"ما يقال عن الإسلام" للعقاد، وما كتبه العبد الضعيف فى "المستشرقون والقرآن" و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل" و"عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين" وغيرها... إلخ. فكيف بعد ذلك كله يريدنا ذلك الراهب البائس نصدق أن المسلمين يمكن أن يسكتوا على هذا التجاوز الذى فاق كل تصور من بعض نصارى الدولة الأيوبية، وفى حضرة واحد من أكبر أمرائها؟

وإلى نقطة أخرى فى هذه الحدوتة المصنوعة التافهة نتنقل لنقرأ الحوار التالى: "قال الراهب: ... قل يا أبا سلامة: ألا تقر أن الله

خلق الخلائق كلها؟

قال المسلم: نعم. هو في السموات والأرض خلقه الله تعالى بأمره وكلمته.

قال الراهب: فهل يوجد عالم خلقه الله، وعالم خلقه إله آخر؟

قال المسلم: لا. ولكن لعالم كلّه خلقه إله واحد، وهو الله الذي نعبده، ولا إله سواه.

قال الراهب: فهل ترى أن الله يشاء خلاص العالم كلّه أم يؤثر خلاص أمّة واحدة من خلقه وهلاك سواها؟ أو لا تقرّ أنه عيي كريم جوّاد؟ فإن قلت أنه تعالى لا يؤثر خلاص العالم كله فقد نسبت الباري تعالى عز وجلّ إلى بخل أو البخل كإنسان أعدّ طعاما لمائة رجل فلما حضره مائة غيرها قال للمائة الأخيرة: انصرفوا عني، فما يوجد عندي لكم طعام. فيدل هذا على فقر ذلك الإنسان أو بخله.

قال المسلم: إن الله يتعالى عمّا وصفت، وإني أقرّ وأعترف إنه عيّ كريم جوّاد خالق الخلائق بأسرها ومؤثر خلاصها.

قال الراهب: فإذ كان الله يشاء خلاص العالم كلّه فيجب أن يكون رسوله إلى العالم كلّه لا إلى أمّة واحدة".

حلوٌ جدا! لقد وقعتم ولم يُسمّ أحد عليكم أيها الكذابون: لا باسم الله الرحمن الرحيم ولا باسم الآب والابن والروح القدس، ومن فمكم وكتابكم لا من فمنا ولا من كتابنا ندينكم وترى الناس جميعا أنكم أغبياء لا تفقهون ولا عقل لديكم به تفكرون. ترى أي الرسولين الكريمين هو الذي قال إنه إنما بُعث لأمته فقط، وأيهما هو الذي قال إنه بُعث للناس كافة؟ الإجابة التي لا يمكن أن يجادل فيها إنسان تتلخص في أن الأول هو

عيسى بن مريم، والآخر هو محمد بن عبد الله، عليهما جميعا الصلاة والسلام. وهذه هي الشواهد لمن يريد من الحمقى رغم ذلك أن يجادل فعيسى حين لسمع المسيح يقول بصيغة الحصر والقصر إنه لم يُرْسَل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة، نجد القرآن يمجد هذا العصر المكي يقول عن سيد الأنبياء والمرسلين: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا". إلخ، كما أشار صلى الله عليه وسلم مرارا إلى طبيعة مهمته وأنها مهمة عالمية وليست خاصة بالعرب وحدهم وأن هذا ما تتميز به رسالته على رسالات الرسل السابقين، على عكس السيد المسيح الذي تحكي لنا الأناجيل نفسها أنه لما طلبت منه المرأة الكنعانية أن يشفي ابنتها رفض وأسمعها تلك الكلمة النابية الفظة المفعمة بالاحتقار والتكبر والتجبر، وهي أن خبز البنين لا يؤخذ فيُطْرح للكلاب. والمقصود هنا هم بنو إسرائيل. أما الكلاب فهم الأمم الأخرى، ومنها تلك المسكينة التي لم تجد بدا من إظهار استعدادها للتحرع كؤوس المهانة والتحقير حتى آخر قطرة، فقالت له إن الكلاب تصيب أيضا من فتات الطعام المتساقط من المائدة على الأرض، فعند ذلك رضي المسيح بعد أن أعجبه كلامها الجميل، وقبلها على سبيل الاستثناء ليس إلا. وقد أكد كلامه مرة أخرى تأكيدا صريحا على سبيل المخالفة: "هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٠). ولا يقولن قائل إنه قد عبر كلامه في آخر حياته حين طلب من تلاميذه أن ينطلقوا ليبشروا بالإنجيل بين الأمم، إذ إن هذا لو صدقنا حدوثه لم يكن إلا بعد أن يئس عليه السلام من "البنين" فاضطر إلى اللجوء لـ "الكلاب" على مضض وكراهية وقنوط، بخلاف محمد عليه السلام الذي

كان يجمع حوله من البداية الرجال والنساء من غير العرب كما هو معروف مصاحبا لهم فى صدره وقلبه وعطفه وكرمه وحنانه ومبادئه دون مَنٍّ عليهم ولا أذى ولا نبز لهم بالكلاب أو الحمير، وكان منهم الحبشى، والرومى، والفارسى: محمد الذى قال إنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا بنين عنده ولا كلاب، بل الكل أبناء الله الرحيم الكريم! محمد الذى جعل من سلمان الفارسى واحدا من أهله: "سلمان منا أهل البيت"! محمد الذى قام عند مرور جنازة يهودى بمجلسه قائلا لمن استغرب ذلك من أصحابه: أليست نفسا؟ ولم يقل: دعوكم منه، فإنه كلب ابن كلب!... إلخ.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم قد أتبع القول بالعمل فبعث برسائل إلى ملوك الأرض من حوله يدعوهم فيها إلى الإسلام، أما عيسى فلم يخرج عن دائرة بعض المدن الفلسطينية التى كان يتحرك فيما بينها على الأقدام، ولم يحدث قط أن دعا أحدا من غير بنى إسرائيل إلى آخر لحظة فى حياته على الأرض. وهذا إن قبلنا رواية الأناجيل عن تغير اتجاه الريح فى دعوته عليه السلام، وإلا فلنلاحظ أنه، حين نص على أن رسالته مقصورة على البنين ولا نصيب فيها للكلاب، قد قال: لَمْ أُرْسَل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة. فهو هنا ينص نصًّا على أن هذه طبيعة مهمته، وأن هذا هو نطاقها لا يمكنها أن تتعداه لأن ذلك هو ما أرسله الله من أجله. فالقرار إذن هو قرار الله، بخلاف أمره هو لتلامذته بالانطلاق إلى الأمم لتبشيرهم بالدعوة الجديدة، الذى لا يعكس إلا قراره هو، وإلا لقال إن الله سبحانه قد غير الأوضاع وأمركم بالخروج من نطاق المحلية إلى نطاق البشرية كلها ولا أحب أن أتوقف كثيرا عند قوله إنه لم "يُرْسَل" إلا إلى خراف بنى إسرائيل، بما يعنى أن هناك من أرسله، وهو الله أى أنه ليس أكثر من

عبد لله ورسول كريم من رسله لا أنه هو الله نفسه، تعالى الله عن ذلك، ولا فكيف يرسل نفسه نفسه؟ ولا أريد عن هذا لأن السياق ليس سياق المناقشة لألوهيته المدافعة عنه الصلاة والسلام.

ويستمر الأب المزعوم في الكلام قائلا: "وكذلك يجب على كل من يدعي على نفسه وقال إنه رسول من الله أن يكون معه قوة مرسله ودليل يشهد له أنه رسول من الله.

قال المسلم: وما القوة والدليل؟

قال الراهب: التي كانت في رسل المسيح.

قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: هي ثلاثة خصال. خرج المعجزات، والتكلم بسائر اللغات، والمناداة في الدنيا كلها. وأنتم لكم ثلاثة خصال تضاد هذه

قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: التهديد بالسيف، والترخيص، والإقناع السفطي أو الخيالي. وهذه ثلاثة الخصال وُجدت في محمد

والتفت الراهب إلى الأمير وقال له: أعزك الله أيها الأمير، إن حضر حديث في وقتنا هذا إنسان يقول عن نفسه إنه رسول من الخليفة أرسله إليك في أمر من الأمور ولم يوجد معه كتاب من الخليفة ولا خاتمه ولا علامته ولا ما يدل عليه، فهل كنت تصدقه إنه رسول من الخليفة؟

قال الأمير: لا ويؤخذ عندي والله تحت الذنب والعقوبة.

قال المسلم: وما هو الدليل والبرهان على أن رسل المسيح كان فيهم هذه القوات والخصال من افتعال المعجزات والتكلم بسائر اللغات والمنادة

في الدنيا كلّها؟

قال الراهب: الدليل حاضر بين يديك، والبرهان واضح أمام عينيك لأنك لو نصبت إلى الشرق، ولو ذهبت إلى أقاصي الغرب، وإلى أقصى الجنوب والشمال، فإنك تجد عبدة المسيح في أقاصي الأرض، ولا يوجد إقليم من أقاليم الأرض يخلو من عباد المسيح. وهذا الدليل الواضح على أن رسل المسيح طافوا الأرض جميعها من أقصى الأقطار إلى أقصاها والدليل على أنهم تكلّموا بسائر اللغات أنك لا تجد أمّة ولا لغة ولا لسان إلا وقد نودي فيها باسم المسيح وعبد فيه المسيح. وداود النبي قد تنبأ قبل رسل المسيح بأجيال كثيرة على تكلّم الرسل بسائر اللغات وقال (مز ١٩، ٤) "في كل الأرض خرج منطقهم، وفي جميع المسكونة بلغ كلامهم". وهذا دليل واضح على أن الحواريين تكلموا بسائر اللغات. فهل عندك يا أيها المسلم سلامة في هذا شك؟

قال المسلم: هذا أمر ظاهر لا شكّ فيه".

وهذا الرد المسلوب للشيخ المسلم هو كذبٌ في كذب في كذب، كذبٌ بالثلث، إذ لا يمكن أن يقول ذلك مسلم أبدًا، وإلا فأين الدليل الذي يقيم عليه تصديقه وتسليمه بمثل هذه الدعوى التي لم يتحدث أحد على ظهر الأرض عنها غير أصحابها. فهم إذن يعلّقون ويردون على أنفسهم. ترى كيف يمكن أن يجيب المسلم على هذه الدعوى العريضة المستحيلة بأن "هذا أمر ظاهر لا شكّ فيه"؟ كيف ذلك يكون ذلك أمرًا ظاهرًا لا شك فيه؟ أين الدليل؟ لقد مات الرسل المذكورون وشعوبهم وتوالت ولم يرهم الشيخ المسلم وهم يجترحون المعجزات، ويتكلمون باللغات المختلفة، فكيف يشهد هم بذلك ويؤكده ويبني عليه الشك نفيًا مطلقًا كما في الكلام المزور على لسانه؟ ثم متى كان المسلمون يستخدمون لفظ "قوات" بمعنى "معجزات"

ينطبق على الإسلام أيضا. وعلى كثير من الديانات الأخرى كذلك. ولن يكتب انتشارها بهذه السرعة التي نلاحظها في الإسلام. ولا سيما انتشار المسيحية في ثلاث قارات من قارات العالم إلا بالحق، بالحوار والاتصال، وبمساعدة ومباركة المقاومة والأسقفة الذين كانوا يضحون الفئة الأوروبيين في حين جهة مدمر للأمريكتين وأستراليا وغيرها بالصليب بيد، وبالكتاب المقدس بيد أخرى. وكل ذلك باسم المسيح! وبالمناسبة فليس الكتاب المقدس إلا مجموعة من روايات معجزات وتكريمات مسنونة إلى الصحابة والتابعين والمتصوفة والزاهدين، وهي على استعداد أن تعطيك منها بالمئات إذا أردت. لكننا نعتذر عن هذا كله لأن كل ذلك قد ذهب مع التاريخ ولم يبق إلا ما يخاطب العقل المجرد والقلب النقي دعا إليهما كل من محمد وعيسى عليهما السلام حسبما وردت في الكتب كل من الديانتين مما يمكن أن نجده فيصلا للمفاضلة بينهما.

بقي أمر في هذه النقطة، ألا وهو قول منقول عن الحواريين إن وجد فقد تنبأ بأنهم سوف يتكلمون بكل الألسنة. وهذا نص ما قاله الأب المسكين: "وهذا الذي قد تنبأ قبل رسل المسيح بأحبار كثيرة على تكلم الرسل بسائر اللغات وقال (مر ١٦، ٥) إن كل الأرض خرج نطقهم، وفي جميع المسكونة انبث كلامهم".

نعلق على ذلك أولا بالإحالة إلى كلام الراهب الوثيق في كتابه المقدس خاصة، فالنص الذي يوجد في مرقس الذي عشر إلى التاسع عشر، كما أن الفقرة المعنية تبدأ في الخامسة إلى الرابعة وهذه النقطة هامة أحببت أن أشير إليها في هذا المقام لكي يتبين القاضي والمحامي أن ما قاله مؤلف الحديثة السادسة عن عقيدة الإسلام خرجي المقرآن والإسلام هو أن الكلام، بل عند المسلمين، إذا هذه هي ذات الأشياء لا تعرفون حتى

1 Commentary Critical and Explanatory on the Whole Bible:

Psalms 19 1-14 After exhibiting the harmonious revelation of God's perfections made by His works and His word, the Psalmist prays for conformity to "the glory of God."

1 the glory of God is the sum of His perfections (Psalms 24 7-10; Romans 1 20).

firmament another word for "heavens" (Genesis 1 6).

handywork--old English for "work of His hands."

2 uttereth pours forth as a stream, a perpetual testimony.

3 Though there is no articulate speech or words, yet without these their voice is heard.

4 Their line--or, "instruction"--the influence exerted by their tacit display of God's perfections.

2- The 1599 Geneva Study Bible

19 4 Their d line is gone out through all the earth,

and their words to the end of the world. In them hath he **set a tabernacle for the sun.**

(d) The heavens are as a line of great capital letters **to show God's glory to us.**

3- Matthew Henry Concise Commentary on the Whole Bible:

Verses 1-6 The heavens so declare the glory of God, and proclaim his wisdom, power, and goodness, that all ungodly men are left without excuse. They speak themselves to be works of God's hands, for they must have a Creator who is eternal, infinitely wise, powerful and good. The counter-changing of day and night is a great proof of the power of God, and calls us to observe, that, as in the kingdom of nature, so in that of providence, he forms the light, and creates the darkness (Isaiah 45. 7), and sets the one against the other. The sun in the firmament is an emblem of the Son of righteousness, the Bridegroom of the church, and the Light of the world, diffusing Divine light and salvation by his gospel to the nations of the earth. He delights to bless his church, which he has espoused to himself, and his course will be unwearied as that of the sun, till the whole earth is filled with his light and salvation. Let us

pray for the time when he shall enlighten, cheer, and make fruitful every nation on earth, with the blessed salvation. They have no speech or language, so some read it, and yet their voice is heard. All people may hear these preachers speak in their own tongue the wonderful works of God. Let us give God the glory of all the comfort and benefit we have by the lights of heaven, still looking above and beyond them to the Sun of righteousness.

وبهدفها وسافت اخجح المعجمة التي تكسحها كسحا. إن لديا، و حمد مه، قائمة طويلة من المؤلفات في هذا الميدان ثرية غاية الثراء فركها جهدوا المعرفة لأقصى، فكيف بتصور مزعمُ تبث الحكاية المدحة ل تستطيعه بهامة جهل أوست مشيخ (التي يسميهم "أئمة المسلمين") سلك الثرات الخالق العظيم، وسبحانه عكيهم بل هذا الحد الهزيل؟ وهذه قائمة بأهم الكتب السابقة على تاريخ محددة المزعومة، ولا أقول شيئ عما أُلف بعدها من كتب في ذات الموضوع، وهي منقولة عن موقع "ملتقى أهل التفسير":

* كتاب على عمار المصري النصراني الأبي هديل الغلاف المعتزلي مفقود.

* كتاب حروب المسلمين على الرشيد، محمد بن الليث الجهيب منشور.

* رد على النصارى لحفص بن عمرو المعتزلي مفقود

* رد على النصارى لعيسى بن صبيح المردار مفقود

* كتاب على أبي قرة النصراني لعيسى بن صبيح المردار

* رد على النصارى لحفص الفرد. مفقود.

* رد على النصارى لأبي عيسى محمد بن هارون بن محمد الورق [illegible] الوسط وأصغر [illegible] في الرد على جماعة من رؤسائهم على رأسهم داهيد توماس.

* كتاب على النصارى لأبي جعفر الأسكافي مفقود

* كلام على النصارى للنظّام المعتزلي. مفقود.

* [illegible] المعتزلي. مفقود

* [illegible] بن عدي النصراني عليه.

* [illegible] ثلاث مرات.

* [illegible]

* [illegible] (ت ٢٤٦هـ). منشور مرتين.

* [illegible] مفقود.

* [illegible] نشره عادل نويهض.

* [illegible] بخت. مفقود.

* [illegible] مفقود.

● رد على النصارى للقحطبي . مفقود .

● رد على النصارى لمحسن بن علي ، وهو كتاب بين أيدينا ، وهو عبارة عن رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير ، تتكون من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، وقد حقق مستقلاً في رسالة دكتوراه .

● الكلام على النصارى مما جمع به غيبه من سائر الكتب التي يعترفون بها لأبي الحسن الأشعري .

● رد على النصارى لناقل عربي من نقول الواعظ نشر مع دراسة عنه بالفرنسية بمجلة دراسات إسلامية .

● الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري (ت ٣٨١هـ) - مطبوع .

● الكلام على النصارى للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتاب التمهيد ، له . مطبوع .

● رد على النصارى للقاضي عبد الجبار المعتزلي ضمن كتابه تثبيت دلائل النبوة . مطبوع .

● الكلام على النصارى في كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي .

● الرد على أبي الحسن النصراني لأبي جرة المذكور في سير أعلام النبلاء للذهبي .

● إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان ما نقض من ذلك مما عندهم مما يسمى كتاب المقدس ، لأبي جرة (حديقة مقدس

للحميدي).

* مناظرة الحسن بن يحيى الخثعمي صديق ابن حزم المصري موجودة.

* مناظرة لابن حزم مع قاضي مصري قرطبة حول الأثر وطبعت في الجنة. نشرتها على الملتقى المفتوح.

* مناظرة ابن الصلاء الطرطوشي المصري مع ضيفه مفقودة

* قصيدة في الرد على شعوبي فوقس لابن حزم ورد نصها في فهرسه ابن خير، والنباهة والنهاية لابن كثير، وطبقات الشافعية الكبرى

* جواب أبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) على رسالة راهب بورسة نشرت أربع مرات اعتمادا على مخطوطة وحيدة في الأسكوريال رقم ٥٣٨

* شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ). منشور مرتين.

* معجم المصري لابن حزمة منصب (ت ٤٩٣هـ). مفقود

* رسالة ابن حزمة (أبو علي يحيى بن عيسى) كتبها إلى إلبيرة نفسها مفقودة.

* الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغرناطي (ت ٥٠٥ هـ). نشر ثلاث نشرات مختلفة.

* رسالة ميزان التصديق للفرق بين أهل الباطل وأهل الحق، بعثها أبو مروان عبد الملك بن مسرة بن عربي البحصبي قاضي جماعة بقرطبة (ت ٥٥٢هـ) في مجموعته عن كتاب أسافنة المصري إليه مع قصيدة له نظمها في معنى هذه الرسالة (فهرسة ابن خير ص ٣١٣) مفقود

* مقامع الضلال لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد الهرجي الفرضي (ت٥٨٢هـ). طبع مرتين.

* قصيدة في الرد على نقفور ملك الروم، للفقيه أبي الأصبغ عيسى بن موسى بن عمر بن رزين الشعدي ثم الغرناطي. توفي قبل سنة ٥١٠هـ (فهرسة ابن خير ص ٣٦٩ رقم ١١٤٥) مفقودة

* كتاب في الرد على النصارى للمرادي (ذكره صالح بن الحسين الجعفري صاحب التخجيل لمن حرف الإنجيل).

* كتاب في الرد على النصارى لحسن الدباغي (ذكره الجعفري صاحب التخجيل).

* الرد على النصارى لأبي الطاهر بن عوف المالكي (ت ٥٨١هـ)

* الداعي إلى الإسلام للأسدي (ت ٥٧٧هـ) (فيه فصل في الكلام على النصارى). مطبوع.

* النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى بن سعيد الطليطلي مفقود

* مناظرة في الرد على النصارى لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ). مطبوعة.

ومما جاء على لسان الأنبا جرجس أيضا في المجادلة الزائفة المنسوبة إليه: "فقد شهدت السماء والأرض والملائكة والناس والملوك والعلوم والعقل والعاقل أن الخزي يحل على الله تعالى وانتصار دينه الحق الصادق وكتابه محمد يشهد هذا وحقق فؤاده وخيبهم بقوله في القرآن "يا أيها الذين مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل" فإذا كان كتابك وكتابك قد صدق

بالإنجيل فقد لزمك أنت أيضاً أن تصدقه، وإن كذبته فقد كذبت نبيك وكتابك. وحواريو المسيح كلهم كانوا مسلمين، إذ ليس كل من أوحى الملائكة لأن على حق، يكون رسولاً للمسيح. وهذا هو الذي يثبت هم من يكذب هؤلاء الحواريين وعلى رأسهم بولس، وهو ما لا شك فيه لأن الحواريين لا يمكن أن يشركوا بالله بعد عيسى بعد أن صح إيمانهم به على عهده صلى الله عليه وسلم، بل الذين يؤمنون به على النحو الذي شرحته كلهم هم النصارى حقاً. أما قول الألباني في القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل فهو كذب مبين لأن مثل هذا النص لا وجود له في القرآن، بل الموجود فيه هو قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وبهذا أن القرآن (كما نرى) يعلن نفسه مهيمناً على الكتب السابقة، أي أنه يقول عنها هو الصواب الذي يسعى معتمداً. ومعنى هذا أن الأمر يستدعي أن يحاج المسلمين بكتبهم، فعليه أن ينقل كلام كتبهم كما هو، فليس أقل أن مثلاً حين أحدث القرآن ونقل كلامهم بنصه، لا أن يأتي كلاماً من عنديته ثم يزعم أن هذا هو كلام القرآن.

وعلى هذا فلا معنى لقولهم إن القرآن قد شهد للتوراة والإنجيل. ومن ثم فعليكم أيها المسلمون أن تصدقوا ما في أيديهما. ذلك أن التوراة والإنجيل لديهما غير التوراة والإنجيل لدينا. فالتوراة والإنجيل لديهما خاصان بالأسفار عن موسى وعيسى، أما الذي عندهم فهو العهد القديم والعهد الجديد. وهما مجموعة من الكتب ألفها أشخاص متعددون بعد وفاة موسى وانتهاء حياة عيسى على الأرض، وليسا وحيين سماويين، فإنه

يعني هذا بالضرورة أن كل ما ليس له أصل في الوحي بصلة، بل قد تكون له شبهة واضحة من وحي السماء تخالفه تمام مخالفة، ومن هنا فلا بد أن يرد الأمر على حكم المقرر إن كان يريد أن يقنع مستمعيه من خلال آيات ذلك المقرر. أما أن يأتي بالنصوص القرآنية ويحرفها حتى على ما يعتقده قومه مع أنها آيات لا تعني شيئًا من هذا ولا من ذاك ولا من المنهجية في شيء.

ومن ثم فقول مسلم للأب جرجي: أنا مصدق لإنجيل، ولكنكم حرفتموه بعد نبيه (الحسن أن المقصود أحمد بيكم) وجعلتموه على غرضكم وهواكم هو كلام صحيح تمامًا بالنسبة لكل من قال له: وهذا أين رد مسلم عليه؟ وكيف تمت محاورة؟ هذا ما سنعرفه الآن.

قال الراهب: لا تجادلني بهذا ولا ترد قصتي لا يمكنك لأنها مختصة بأخبار نجران تعرفها كما يعرفها سائر المسلمين عن ظهر قلب فما عليك إلا مطالعتها كم من السنين مضت من المسيح إلى محمد؟

قال المسلم: ما أدري.

قال الراهب: أنا أقيم لك البينة بأن من المسيح إلى محمد ستمائة سنة ونيف.

قال المسلم: صدقت يا راهب كذلك هو، وكذلك وجدته في التواريخ.

قال الراهب: أفهل كان النصارى قد وُجدوا في الدنيا كلها؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: مثلما في وقتنا هذا؟

قال المسلم: نعم. (وما زاد).

قال الراهب: فهل يمكنك أن تعدّ الأناجيل التي كُتبت في أقطار الأرض وفي سائر اللغات والألسن؟

قال المسلم: لا أقدر على ذلك.

قال الراهب: فجعل لا طائفة من أهل الغرب حرّفت الإنجيل. فكيف وصلت هذه الأناجيل إلى الذين هم في أواخر الشرق، وهم بلغة أخرى ولسان آخر؟ وكذلك الذين هم في جنوب والشمال مع اختلاف ألسنتهم وتباعدهم. فكيف يمكن أن يكون فعل واحد قد تحرّف كما تقول أنكم لم تحرّفوا بـ الإنجيل لا تعدّ ولا تحصى في أقطار الأرض كلّها عند شعوب مختلفة ألسنتهم؟ فهذا من الممتنع أن يكون الاتفاق عليه. ولو كان ذلك لوجدت بعضها محرّفة عند جماعة من النصارى، وبقيت عند غيرهم الإنجيل غير محرّفة. ولكنك بـ صفت الشرق كلها جنوب والشمال والشرق والغرب تجد الأناجيل في سائر البقاع على المثال الذي سلّمه إليه حواريّو رسل المسيح لا يختلف واحد بالآخر. وإن أحضرت لك مثل يصدّق ويحقّق قولي إن قسماً أحد الناس وأظهر قرآن يخالف القرآن المعروف الآن عندكم وقال لكم هذا القرآن نزل على النبي، وليس هو ذاك، فهل كنتم تقبلونه؟

فقال الأمير: لا. وعلى ما كنا نقبله بل نحرقه ومن أتى به

قال الراهب: فإذا كان كتابكم قد كُتب في لغة واحدة وبشقة واحدة لا يمكن ولا يجوز أن يحرّف. فكيف يمكن لنا برغم تفريق الأناجيل، وقد وُزّعت في المسكونة كلها عند شعوب مختلفة ألسنتها؟ وقد يوجد عندنا صحيح وصحة وبراهين بيّنة غير هذه توضّح صدق ما أوردنا الآن لكم من

لكتاب المسيحية ما قدمناه به الأب من قديم الزمان عن المسيح ورسله، لكن الأجدر الكلام حينما لا يكون عندكم نقل من بطانة الشرح.

وواضح أولا أن كاتب الخدوتة لا يجيد التلفيق، فالشيخ المسلم يعلم جهله بالمسافة الزمنية التي تفصل بين المسيحين العظيمين، وهو أمر لا يجهله أصغر تلميذ مسلم لكن الله سبحانه يأبى إلا أن يفضح الأب، وبسببه هو نفسه، إذ يقول على لسان الشيخ تعليقا على الموضوع ذاته: "صدقت يا أبت كذلك هو، وكذلك وجدته في التواريخ"، بما يعني أنه يعرف الفارق الزمني بين محمد والمسيح ولا يجهله كما ادعى عليه الكاتب الكذاب. وواضح كذلك من ردود الأب وتعليقاته من سفسطة مضحكة، فهو يتحدث كما لو لم يكن هناك إلا الأناجيل التي بأيدي النصارى المتنين، متجاهلا ما يعرفه كل من له أدنى إلمام بتاريخ المسيحية من أن ثمة أناجيل كثيرة جدا سوى التي تعترف بها الكنيسة، وهي تختلف عن هذه اختلافات عميقة، مثلما أن هذه تختلف فيما بينها اختلافات عميقة أيضا حسبما وضحت أنا مثلا في دراسة سابقة لي على المشكك شرنقها عدة مرات في مقال شهير بعنوان "الأناجيل - نظرة عامة". كما أن هناك فرقا أخرى من النصارى لا تؤمن بألوهية المسيح على أي وضع. لا ربا ولا ابنا لله، بل عبدا ورسولا لا أكثر ولا أقل، وهو ما يقول به القرآن، علاوة على أن ثمة بخيلا بجمل اسم بولس ليس فيه عن المسيح إلا أنه عبد ورسول، مثله مثل أي نبي آخر من أنبياء الله ليس ذلك فقط، بل هناك في العهد الجديد أسفار لم تكن الكنيسة تعترف بها في البداية، ثم عدلت وأدخلتها في كتبها، وهي رسالة يعقوب، ورسالة ثانية لبطرس، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة، والرسائل الثلاث وكشف يوحنا اللاهوتي. بيد أن الأب المدلس يقفز فوق هذه كلها محاولا إيهام القارئ الذي ليس لديه

تكذيبه، أو حتى في الحديث الشريف رغم نزوله في درجة أدنى من كتاب الله. لقد كان القرآن محمد يُكتب أولا بأول غداة نزوله من عند الله، كما كانت الذاكرة البشرية تظاهر نفسها في ذلك. وفي كل حين كان ولا يزال هناك ملايين من المسلمين كبارا وصغارا يحفظون القرآن عن ظهر قلب. وفي الأحاديث كان هناك منهج لكل محدث يعتمده في قبول أو رفض ما يجمعه من الروايات منسوبة إلى رسول الله، علاوة على أن المسلمين يحفظون كثيرا من كلامه صلى الله عليه وسلم. أما الإنجيل فلم يعرف هذا ولا ذاك، بدءا بحديث أن كُتب بعد البداية أو فكر أحد في حفظه في صدره، كما أن مؤلفيه لم يستندوا إلى أي منهج في قبول ما وقع فيه من الروايات المتعلقة بحياة السيد المسيح أو رفضها، وهذا حتى من كلام لوقا في مفتتح السيرة التي ألفها عن حياة عيسى عليه السلام كما مرّ آنفا.

وإلى القارئ أمثلة على ما سبق تجعله يكون كلاما لا دليل واحد منها حتى بشأن السيد المسيح، والآخر يعتمد الحجر الذي قيل إنه كان بعد الغير الذي دُفن فيه ثم أُخرج من موضعه. فأما بالنسبة لنسب المسيح فمتى في بداية الإصحاح الأول يقول إن عيسى عليه السلام هو بن داود بن إبراهيم، أي أنه من سلالة بشرية "كتابُ ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم. إبراهيمُ ولد إسحق. وإسحقُ ولد يعقوب. ويعقوبُ ولد يهوذا وإخوتهُ. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارصُ ولد حصرُون. وحصرُونُ ولد رام. ورامُ ولد عمينادابَ. وعمينادابُ ولد نحشون. ونحشونُ ولد سلمون. وسلمونُ ولد بوعز من راحاب. وبوعزُ ولد عوبيد من راعوث. وعوبيدُ ولد يسى. ويسى ولد داود الملك. وداودُ الملكُ ولد سليمان من التي لأوريا. وسليمانُ ولد

بن يونا، ابن يوسف، بن متى، بن عاموس، بن ناحوم، بن حسلي، بن نجاي، بن مآث، بن متا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهودا، بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شألتئيل، بن نيري، بن ملكي، بن ادي، بن قصم، بن المودام، بن عير، بن يوسي، بن اليعزر، بن يوريم، بن متات، بن لاوي، بن شمعون، بن يهودا، بن يوسف، بن يونان، بن اليقيم، بن ميليا، بن مينان، بن مطاثا، بن ناثان، بن داود، بن يسى، بن عوبيد، بن بوعز، بن سلمون، بن نحشون، بن عميناداب، بن آرام، بن حصرون، بن فارص، بن يهودا، بن يعقوب، بن اسحق، بن ابرهيم، بن تارح، بن ناحور، بن سروج، بن رعو، بن فالج، بن عابر، بن شالح، بن قينان، بن ارفكشاد، بن سام، بن

نوح ... بن لامك ... بن متوشلح ... بن أخنوخ ... بن يرد ... بن مهلئيل ... بن قينان ... بن أنوش ... بن شيث ... بن آدم ... بن الله"

وكما ترى فهذه السلسلة تختلف بن حد بعيد عن سلسلة متى ... سواء في عدد حلقاتها أو في ترتيبها ... وهو أمر مضحك ... إذ ليس من المعقول أن جبريل أتى بهذه السلسلة من سماء ... ولا نظن أحداً من القارئ أيضاً أنكم حين أتوا بسلسلة نسب يسوع ... فقد فعلتم ذلك بسبب زعمكم أنني كنت قد كنت قد أتى ما كتبه ... بل رجعتم إليه من بعد وبعد مثلاً إلى كتب تفسير الكتاب المقدس ... أليس كذلك؟ ... وأرجح ما يدور هو أن يظهر أن هو عيسى أعقبت داود به مصير سنة متى قد اختلفت في سوع مسيح (المؤلف مجموعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور وليم ماكدونالد ط٢ ... منشورات النفير بيروت ... ١٩٩٠م ١٢) بل إن الشخص المذكور في هذه السلسلة على أنه ابن الله هو مسيح بن آدم ... أما المسيح فهو ... حسب كان يقول الناس ... ابن يوسف ... أما سلسلة متى فهي صريحة في أنه ابن يوسف ... استغفر الله ... إذ ليس هناك من معنى يقول بأنه ابن يوسف إلا معنى واحد لا أستطيع أن أنطق به وهو ما يؤكده النص التالي المأخوذ من مطلع إنجيل لوقا (أحد الأناجيل غير القانونية)

"And a certain Jew when he saw what Jesus did. playing upon the Sabbath day. departed straightway and told his father Joseph I o. thy child is at the brook. and he hath taken clay and fashioned twelve little birds. and hath polluted the Sabbath day"

... يقصد المؤلف أن يهودياً معيناً رأى عيسى يلعب على الشريعة اليهودية ...

حين رأى عيسى الصغير بصنيع يده سنة من الطين طيرًا، ذهب من فوره إلى أبيه يوسف وشكا له ما صنع الغلام من الاعتداء على حرمة السبت ومثله فعل يوسف في موضع آخر إذ عيسى ذهب ذات يوم Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land, and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat وغير ذلك من مواضع أخرى وُصف فيها يوسف بأنه "أب" بل إنه تفرّد يوسف بمعجزات لم تكن لعيسى الصغير، فقد دعا ربه شاكرًا "أن أعطاه طفلًا مثله" Happy am I for that God hath given me this young child

وبعد فليس يخفى أن كتاب الإسرائيليات ليرجح أن سنة تلك هذه (بخصوص سنة السبت المذكورة في متى) لا تتبع التسلسل الطبيعي الذي نجده في لوقا). بل هناك وشرعي الذي عصفه كان المسيح وما يعرض داود (نفس المرجع، الصفحة) ويضاف ما هذا الاختلاف بين الكتبة فهم يذكر كل منهما السبت فيريح ويستريح؟ سيقولون إن كلًا منهما ذكر على حدة من حياة السيد المسيح لكن السؤال هو لماذا لم يكن كل منهما واضحًا في هذه النقطة التي تعود عليهم الديانة التي ينتمي إليها فيقول بصريح العبارة إنه قد ذكر على حدة من الأمر ولماذا حدث الآخر من أجل ذلك وكذا؟ كما أن ثمة سؤالًا آخر في هذه الحصوة: نرى هل معنى ذكر متى على حدة لنشوء في المسيح أن يسبب في بداية الإصحاح الأمر به يوسف النجار، الذي كان كثير من اليهود وما زالوا يتهمون به نبي الله عيسى عليه السلام؟ بل أقل ما يقال

في شيء أنه قد أعطى بدلت أعداء المسيح صلى الله عليه وسلم الحجر بعض شروره وعرض أمه الكريمة لمصاعب التي رفعها القرآن الكريم فوق سماء تعليل! وهذا هو ما يزعمه أنه لم يوصف ومريم معا في أكثر من موضع. بل يصفهما مثلا بأنهما "آية" (٢١: ٩١). "وعندما دخل المسيح مسقط رأسه، ليصعد له حسب عادة الناس..." (٢: ٢٧). كما نجد مريم مخاطبة عيسى الصغير وهي تشير إلى يوسف ونسبها: "يا بني، ماذا فعلت بنا هكذا؟ فؤادك وأنا قد طلبناك معذبين!" (٢: ٤٨).

... ركاء... فيما... هذه المشكلة لن يجد لها أحد حلا. وهذا مستحيل. وبقينا في مثار الشك. وهو موضوع الحجر الذي أخرج من فرق فوهة البئر المدفون فيه المسيح. الواحد عدة مشاكل معقدة! الله يعقد. وكل ما في الأمر أنه معقد تعقيدا لا تتعهده أية قصة أخرى. فهل كانت أمه مريم وحدها هي التي دفنت في البئر؟ أم هل كانت مريم ويوسف الأخرى؟ أم هل كانت مع أخيه وحدها؟ وهل كل ذلك في حضور الملاك؟ أم هل كان عند الفجر؟ أم هل كان بعد طلوع الشمس؟ وهل دخلت من ذهبت هناك إلى البئر أو بعد دخوله وتصرفت كما جاءت؟ وهل كان هناك ملاك واحد أو اثنان أو ثلاثة؟ وهل يكون هناك ملائكة ولا يكون مقبرة؟ وهل الملاك الذي قيل هو الذي يسوع قام من الأموات وبشر تلاميذه في الجليل؟ أم هو قيل كلام كثير من ذلك؟ وهل أتى بعض تلاميذ البشارة بما جاءت أو لا؟ وهل ستت مريم المسيح كما جاء في الرواية التي نقبل بها ونبقيها ممسكة بقدميه وساجدة له؟ أم هل منعها عليه السلام من مسه بحجة أنه لم يصعد بعد إلى السماء، وكأنه بعد صعوده للسماء ستراه مرة أخرى وتمسه كما تحب؟ ونصحت أنه بعد أن قام من القبر ظهر أمه وأخيه ووجهه. تقول بها قد رأت أنها؟

وهو هي ذي النصوص أضعها أمام القارئ ليقارن بينها ويتحقق من الأمر بنفسه:

متى (ف ٢٧- ٢٨) "وفي غد ذلك اليوم بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى! فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر" ٢٨ وبعد ثلاثة أيام قام المسيح، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر" وقد سرقة جسمه حينئذ، لأن ملاكا نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه "وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج" فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات "وأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب" ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال" هلما انظرا المواضع التي كان الرب مضطجعا فيه" وقد سريعا وقولا لتلاميذه إنه قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل فهناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما" فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم، لتخبرا تلاميذه" وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما" فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له" فقال لهما يسوع لا تخافا، اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني"

مرقس (ف ١٦) "١٦ وبعد ما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة، حنوطا ليأتين ويدهنه" "وبكرا جدا في أول

نفسه مما كان"

وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.[18] فحادت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا». ولا يستطيع القارئ أن يفرق بين ما ورد في أول هذا النص الأناجيلي الذي ليس له أي وجود إلا في أوهام مؤلفيه وبين حقيقة أمر الأناجيل كما هي في الواقع. كل ذلك، ومع ذلك فإن هذا النص الأناجيلي المكذوب المدسوس الذي تحيط به كل ما يتعلق بالأناجيل كتابة حقيقيين، وبريح كذبهم، ومدى أهميته بالغة عند العلماء المحققين من النصارى قبل المسلمين.

ومع ذلك فإن هذا النص المدسوس في الأناجيل لم يمنع بعض علماء النصارى من الاعتراف بنبوة الرسول الكريم وأخيه عيسى بن مريم عليهما السلام. فقد جاء في

قول مسلم: فمحمد عندكم في مدته دون المسيح ودون حواريه؟

قول الراهب: وكيف نستجيز أن نساوي بين العبد المخلوق، والمخلوق بالخالق، والإنسان بالإله؟

قول مسلم: ألا نعلم بأن محمداً نبي الله ورسوله لأنه هدى الله بدعائه وبقوله الأصنام التي عبدها الله بغير المسيح ورسله؟

قول الراهب: أنا أعلم أن محمداً دلّ على الأغراب أولاد إسماعيل وغيرهم من عبادة الأصنام إلى معرفة الله. لكن ليس إلى معرفته حقيقة لأنه لم يعلمهم عبيده وأحباءه لكن عبادة أكثر من أن يعرفهم حقيقة المعرفة الخفية التي أعلمت أولاده وملكت بصيرة ذاته وتواضعت في خلائقك أو بدأت أنك أخوة الكواكب التي وعد أن يبني في أمر محمد. ولماذا لم نوجبه ولم نَدْعُه نبيًا ولا رسولا.

قول مسلم: إذ كمال الأمر. أفترى أنه قد أوحي لك لتعلم وحدانية الله وفسح لك الكلام في دين الإسلام. فقل ما شئت.

قال المسلم: هاتِ ما عندك في أمر محمّد.

مثل ذلك...".

الإسلام في حُسْن الخلق حيث لا يراه أحد فيمدح به، ويثني عليه، ولا يرائي بخلقه صلى الله عليه وسلم كما يفتري. وما حدث شيء من هذا على الإطلاق. ولم يكن يغيب أحد من أصحابه عنه إلا وهو يحب أن يعود إليه، وهو يثني عليه بخير. وقال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه. وما انتقم لنفسه في شيء قط إلا أن تُنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها. وقال أنس رضي الله عنه: خدمته عشر سنين، فما قال لي أفًّا قط، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان أحسن الناس خلقًا. ولا مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا قط كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد خدمته عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: هلا صنعته؟ وكان صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أنس رضي الله عنه يقول: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أفًّا قط، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان أحسن الناس خلقًا.

[illegible]

لم أسمع بهذا قطُّ، ولن أسمع به عوَضٌ!

[illegible]

قال المسلم: وهو كما تقول.

[illegible]

عليه وسلِّموا تسليماً".

[illegible]

أن أصلي أنا عليه؟

قال الراهب: أفما كان أولى بك أن تصلي على ذاتك وتسأل الله يغفر لك ولأنبيك، ولا تكون كمن أضاء الخبز، هو يسأل الطعام بعيره، أو كمن يسقم بدنه ويطلب الطب لغيره؟ وقد كنت أنت والله وملائكته يصلون على محمد، فمن لإله الذي يقبل الصلاة؟ وقد كان هذا الرأي قد ساويت بالصلاة بين الله وملائكته والناس.

قال المسلم: إن الصلاة هي رحمة منه على عباده.

قال الراهب: فمن قدر على نيل رحمة الله وملائكته فما به حاجة إلى صلاتك، بل الأولى بك أن تصلي على نفسك.

قال المسلم: أفما تصلون أنتم لتصدوني على مسبحكم؟

قال الراهب: لا، ولكنا نصلي لربه لأنه بشر وخلق، وهو يقبل صلاة العباد.

قال المسلم: يا ويلكم! أين رأي الفاسد الوخيم! بكم تعبدون بشرًا مخلوقًا وُلد من مرأة وحبسه من حول ما أنتم به مقرون، وأنت يا هذا لا تذكره على نفسك، وأنت تفتح وتهجو نبيّ محمد المصطفى!

أيها الراهب: إن الذي ما وجد حقد في كل يستحوذ الإنسان عليه ويغلب منه أن يجتنبه فلا يقبل سبيل، إن هذا لمحصور، والسمع والقلب والإنسان الله من أساسه، وإلا فما معنى عبادة الله والإيمان بغيره وجحده؟ وما الفرق بين مؤمن وكافر إذن؟ يا أيها الأنبا جاهل، أن الله سبحانه وتعالى لأصحح لنا من الأعمال ما نفعه متى عن محبوبه فضلًا عن أن يسمح أن يعبد من دونه بشر مثلنا، فعلى ماذا؟ ألم تعلم بأن الله أتى من أنواع التحريم ما يفسد أفعالنا ما قصد

تؤدي به إلى هدفه، إذ مثلاً حذر مثلاً أن يهجم عليه أسد أو يضع عليه سم أو قاطع طريق أو يقع في الصلاة في حفرة مهلكة أو يلدغه ثعبان أو يتعرض له مثلاً بتربيص الكفر أحد المصلين مثلاً!

لنسمع ما يقوله من نصائح وتوجيهات للمسيح في الإنجيل متى على سبيل المثال "٢٧ قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. ٢٨ وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها. فقد زنى بها في قلبه ٢٩ فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم. ٣٠ وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.. احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. ٢ فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق، كما يفعل المرائون في المجامع وفي الأزقة، لكي يمجدوا من الناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم! ٣ وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، ٤ لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية. ٥ ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع، لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم! ٦ وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. ٧ وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. ٨ فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.. ١٦ ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم

يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم. ١٧ وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، ١٨ لكي لا تظهر للناس صائما، بل لأبيك الذي في الخفاء. وأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. ١٩ «لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. ٢٠ بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. ٢١ لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا. ٢٢ سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا. ٢٣ وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما. فإن كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون!»

أليس هذا وسواه مما يمكن أن يضحك الإنسان في أثناء الطريق؟ أليس هذا وسواه هو ما سماه المسيح في النص التالي: "عثرات"؟ "ويل للعالم من العثرات! فلا بد أن تأتي العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة! فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها والقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية وبك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها والقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان". أليس هذا وسواه مما يدعى أن يتعود الإنسان منه ويستعين بالله عليه؟ ألم يصل حواريوه حين تركوه ساعة اقتضى عليه وفروا هاربين لا يلوون على شيء وأنكروه وأقسم بعضهم إنه لا صلة له به البتة طبقا لرواية الأناجيل؟ أما كانوا يعرفون الطريق المستقيم؟ أمنعهم هذا من الحيد عن الطريق؟ بل استهوت بما تسكن أعماق قلوبنا ولا تأتينا من خارج: "إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان. لأنه من الداخل، من قلوب الناس،

تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهرة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان» (مرقس ٧)، ومن ثم فلا مفر لنا منها، وكل ما نستطيعه حياله هو أن نبذل جهدنا للابتعاد عما تغرينا به من حرام، أما أن نتجاهلها تمامًا فمستحيل. ولسوف يظل طول الحياة تتعرض لإغرائها، ولسوف يظل المؤمن بحاجة إلى الاستعانة عليها بربه ودعائه إياه أن يهديه الصراط المستقيم فلا يحيد عن الحلال ولا يتطلع إلى الحرام. إنك تسلك في العادة طريقًا معينًا كل يوم، ومع هذا فكثيرًا ما تقع فيه أشياء تكدر علينا صفوه، بل كثيرًا ما تحدث مصائب لا تخطر على بال، كأن يلقي أحدهم، ولو بدون قصد، حجرًا يكسر زجاج النافذة، أو تصاحبك سيارة لم تنتبه لها لأن النصوص سرقوا غطاءها فتقع فيها، أو أهمل العمال إحكامه فبقي ثابتًا فاصطدمت به عجلات سيارتنا فتمزقت إطاراتها كما حدث لي ذات مرة، أو يسقط كهربي عار فيصعقنا، أو ببلطجي يعترض طريقنا ويجردنا مما معنا، أو ببعض السفلة يخطفوننا ويضربوننا ثم يجتمعون عن ملابسنا ويتركوننا في طريق صحراوي إلى أن تمر سيارة يعطف أصحابها علينا ويأخذوننا معهم ونحن على هذا الوضع المزري الذي قصد به فاعلوه أن يرتونا حتى نلزم حدودنا ولا نتعرض للكبار بكلمة سيئة مثلما نمشي على العجين فلا نلخبطه... إلخ. وهذا رغم الفارق الكبير بين الطريق الذي نقطعه كل يوم وطريق الحياة الذي يمتد من ميلادنا إلى مماتنا: فطريق الحياة لا ينتهي ولا نعرفه حق المعرفة إلا بعد أن نموت، ونظل طول عمرنا نجهل مفاجآته ومنعطفاته، أما طريق كل يوم فقد تخطيناه عن ظهر قلب، إذ نقطعه كل يوم ذهابًا وجيئة مرات ومرات، ومع هذا فما أكثر ما يباغتنا بما لم يخطر لنا من قبل على بال، فما بالنا

بالطريق الآخر المحجوب عنا؟ ثم هل يصح أن نقيم من أنفسنا قضاة على سلوك وأخلاقنا فنصدر لمصلحتها أحكامها وتعطيها الدرجات والتقديرات العالية ونتجاوز بهذا حدودنا وصلاحياتنا؟

وقبل ذلك كله ألم يتعمد المسيح على يد يحيى مؤكدا أنه يسعى لكي تتم التعميد منه حتى يكمل كل بر؟ ألم يأكل هو وتلاميذه من الحقل دون إذن من أصحابه؟ ويقول لأحمق إن عيسى لم يكن يصلي لله بل كان الناس يصلون له. ألم أقل إنه جاهل حتى بكتابه الذي يقدسه؟ ألم يقرأ ما قاله متى بعد انصراف الجموع الذين أطعمهم سمكا وخبزا: "وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع" "وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلي". "حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني. فقال لتلاميذه «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» "ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب" فقال لهم: «نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي» "ثم تقدم قليلا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلا: «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» . . "فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» "ثم جاء فوجدهم أيضا نياما، إذ كانت أعينهم ثقيلة" فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه" ألم يعلمه الألم على نفسه فجعل يصرخ ويدعو الله قائلا: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"؟ فما معنى هذا؟ ألم يسمع الأستاذ الجاهل قول المسيح كما حكاه كتابه: "لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله" ومن هنا كانت دهشتي عظيمة حين شاهدت ذات مرة إحدى البرامج المرئية على

تؤكد أنها لا تحيض ولا تحتلم وأنها من تم تعرف أنها ناجية يوم القيامة. إن هذا هو الخيال المقيت والتزوير الخبيث! نعوذ بالله من انغلاق القلوب وتحجر الضمائر! إن الراهبة المجنونة تتصور نفسها وكأنها بمثابة مشروع علمي تقام معين فهو لا يعدوه ولا يستطيع الخروج عنه إن ارتكب الخطأ نحاسب. وأنى لها أن تعرف ذلك؟ بل من قال إن الإنسان لأن لا يحيض أو يحتلم أو يخرج عن مشروعه المعدّ له سلفاً؟ أوقد خلقت قديماً وبهائياً من العوالم والمخلوقات فهي لا تضل أبداً؟ إن استعصار عصمة وعلمه الذي دائماً من ربه هو أكبر دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم. ولا أظنكم تقدرون على أن يقول ما قالته الراهبة المجنونة لو كان الأمر عنده أمر ادعاء نبوة؟ لا لا، ليس هذا مصير الكذابين المدلسين! لقد كان محمد نبياً عظيماً رغم أنه كان دائماً ما يحث أتباعه ألا يقدسوه على أي من وجوهه. وهذه هي العصمة النفسية والأخلاقية في أبهى صورها!

أما آخر القرآن فهو في سورة سبأ عليه السلام بأن يقول لمكذبيه: "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" فهو لم يدعه في أدب الجدال. إذ الأمر من ناحية نظرية المعرفة لا يخرج عن هذا. وقد أمر صلى الله عليه وسلم بذلك حتى يضع حداً للجدال الذي لا ينتهي وإلى كان الكفار يعنتهم وعنادهم مدركين فيه منذ كان سوء سبيل يشغبون دائماً على المسيح عن طريق تأويلات الأباطيل ويكثرون من الأسئلة التي يريدون بها إزهاقه وعنته لا استعلام منه ومحاولة للوصول إلى الحقيقة فالتعنت معه "وأن" أيها القارئ الضعيف. كثيراً ما ألجأ لشيء مثل هذا في محاصرتي حين يطول الجدال بيني وبين أحد المضلات دون أن ينتهي إلى رأي نتفق عليه أو نتوصل إلى حل وسط. فأقول له عندئذ: "هأنذا أرى أنك قد وصلت إلى طريق مسدود وأن كلاً منا قد قال كل ما لديه ولم يعد هناك شيء يمكن أن يضاف إلى ما

قلت: فبهذا لا داعي لأن نغوص في مناقشة بعد أن أصبحت مسألة واضحة ولم يعد هناك من حديد بقوله. ولا يريد أحدنا أن يقتنع بما يقوله الآخر. وقد أكون أنا المخطئ، أو قد تكون أنت". أقول له هذا دون أن أحاول إجباره على قبول رأيي! كل ذلك دون أن أحاول التقليل من موقفه وعدم تصوري أنني بطبيعة الحال على الحق وأنني أعلم من الموضوع أكثر كثيرا مما يعلم هو. ولكن هذه هي الطريقة "الديمقراطية". وفي النهاية ألم يقبل عيسى عليه السلام بـ جميع من أتى قبله من الأنبياء والمرسلين كانوا نصوصا؟ "جميعُ الذين أتوا قبلي هُمْ سُرّاقٌ ونُصُوصٌ" (يوحنا/ ١٠)، يعني جميع الأنبياء بما فيهم بطرس وموسى كما أكد د. البير بابيه في كتابه "أخلاق الإنجيل- دراسة سوسيولوجية" (ترجمة د. عادل العوا/ دار كنعان ودار الحصاد/ ٢٦). فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء الأماجد، فكيف بمن ليسوا أنبياء ولا مرسلين؟ أليسوا بحاجة أشد إلى طلب العون من الله واستهدائه الطريق المستقيم في كل خطوة؟ إنني بطبيعة الحال لا أصدق أن السيد المسيح قال شيئا من هذا، بيد أني أحاكم القوم إلى كتابهم حتى أبين لهم ولكل من كان عنده عين لقراءة أنهم يهرفون بما لا يعرفون!

أما إشارة الأستاذ المضحكة إلى مسألة زينب بنت عمة الرسول عليها رضوان الله وقوله إنه عليه الصلاة والسلام "هام بامرأة زيد مولاه سابق له نظر إليها، وأخذها منه كُرْهًا وزعم أنّ الله قد أزوجه بها دون زيد، وخاطب بها صحابته قائلا "ولما قضى زيد منها وطرا أزوجناك بها يا محمد"، وزعم أن هذا وحي من الله أُنزل عليه في امرأة زيد. ولما خاطب بذلك صحابته قالوا: خذ يا رسول الله ما أنعم به عليك وحلّله لك وحرّمه على غيرك"، فملخص القصة (بعيدا عن كذب الأب المزعوم وجهله بالآيات القرآنية، أو تحريفه بالأحرى كما فعل قومه مع كتابهم المقدس من قبل)

أنه عليه السلام كان قد خطبها لزيد عبده السابق ومتبناه اللاحق زعم كبر هيئته هي وأخيها لذلك ، إذ كانت من ذؤابة قريش وبنت عمة الرسول ، أما زيد فمجرد عبد عتيق لا أكثر حتى لمحمد . ومع هذا فقد تأخرت ما نزل في القرآن من وجوب الاصطفاء لمثل هذا القرار وتزوجته ، إلا أن الأيام لم تفلح في تلطيف مشاعرها نحو زوجها وظلت الأمور بينهما متوترة وفي يوم من الأيام فكر زيد في تطليقها كي يضع حداً لهذا التوتر ، وذهب للرسول بهذا ، لكنه عليه السلام زجره وطلب منه الصبر وفي النهاية طلقها زيد وتزوجها الرسول عليه السلام حين نزل القرآن بذلك كي يعرف الناس أن تبني لا يعطي للناس غير الحقيقي في مسائل الزواج أو النسب وضع الابن الحقيقي أبداً وكان زيد رضي الله عنه هو الذي حظيها بدوره لرسول الله . وهو ما يدل على أنه لم يكن في الأمر ما يثير شكوكه أو حنقه هذه هي قصة باختصار ، فلم الخلطة والتشهير؟ هل ضغط فيها الرسول وتآمر على تطليقها من زوجها؟ أبداً ، فقد رأيناه يراجعه ويأمره بالصبر هل تشهر زوجة عابثة عن البيت ودخل على زوجته بمتمنع ولو بتبادل الحديث معها وتتعرى في محاسنها ، ولا تقول ترى بها؟ أبداً ، فإن الروايات تنص على أنه حين ذهب يطلب زيداً في أمر من الأمور ولم يجده انصرف في الحال ولم يتحدث إذن فما المشكلة؟ لنفترض أنه عليه السلام قد تعلق بها بعد أن كان هو الذي ضغط عليها كي تتزوج زيداً ، فما وجه العيب في هذا؟ هل يملك البشر عواطفهم في أيديهم؟ ومع ذلك فلا بد أن يعرف القارئ أن زينب كانت تحت نصر الرسول وتصرفه طوال الوقت قبل أن يزوجها زيداً على كره منها ومن أخيها ، فلما تزوجها عبده السابق ، وهو (فوق عوديته له) من قبيلة لا تساوي قبيلته هو وزينب ، تحمو في عينيه إلى الحد الذي يريد الأفكون أن

يجعلوا من حبتها قبة؟

بهم أنه لم يبحث في أي شيء يمكن أن يؤخذ عليه في هذا السياق. فلا هو أصبح ليزيد برعته في امرأته حتى يدفعه من طرف خفي إلى التشاور به عنها، فضلا عن أن يكرهه على طلاقها. ولا هو حاول إبعاده عن البيت كي يخلو بها متى أحب، ولا هو تآمر على قتله كما صنع داود (داود النبي وليس الملك) مع قائده وحامل لوائه أوريا الحثي لما رأى زوجته عارية كما ولدتها أمها وهي تستحم في فناء بيت قائده المحاور لقصره حين كان يتمشى على سطح القصر ذات يوم، ولا أدري بعد كان يفعل ذلك مثله على سطح القصر إلا أن تكون هناك ثقوب طبيعية لم تزل فيه فصعد ليطير طائرته الورقية مثلا (داود "ابن الله البكر" كما جاء في العهد القديم، وحدا به لأب الأحمق أو أبوه كما يقولون، بل المسيح عندهم هو "ابن داود" والمصيبة أنه ابنه من جهة يوسف لا من جهة مريم، فتأمل اتهامهم مريم في شرفها وعفتها بغيبوبة ما بعده عبء!). فما كان منه إلا أن أرسل فأحضرها وزفها إليه (هكذا خط بزفة "دون إجوان أو دستور"!). ثم لم يكتف بهذا بل وضع خطة للتخلص منها من "زوج المكين". ولما تمت جريمة استلحقها بحريمه، ولكن بعد أن نقصت أيام محنتها. شوفوا ذوقه وحسية قلبه ومراعاته للتقاليد!

أما الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فرغم أن مسألته زواج حلال لا ريب كما في حالة داود حسبما يعزى عليه مدلول العهد القديم عليهم لعائن الله، فقد مكث فترة من الزمن يحول أن يتحبب الزوج من زيد حتى أن يظل الناس أنه اقترن أبو بامرأة ابنه كما كانت العرب حتى ذلك حين تعتقد، إلى أن نزل القرآن يعاتبه ويشدد عليه صلى الله عليه وسلم ويأمره أمرا بإمضاء هذا الزواج حتى يضع حدا لذلك الفهم الجاهلي له

به عليه السلام ، يكن يوشع في نفسه ريب ولا غيرها من المهمات
مؤسس ، وحين طلب منه ذات مرة أن يوفر له شيئ من الخبوحة ليعيش
تساءل النساء سول القرآن يخبرهن جميعا بين أرضا ما هن فيه أو نسرح
رسول عليه الصلاة والسلام من لا ترضى بهذا الوضع المتقشف منهن ،
لا أنهن جميعا قد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على حظوظ الدنيا
وليس هذا طبيعة حال مسلمة من تأثر نفسه ويستلطف على عقله
وحكمته ويقتدي عليه أمره ، بل مسلمة من كرم يملك نفسه قد أراد
امرأة إن كان نعم ذلك هو الخروج على سنته التي يدعو إليها أدعى
خروج ثم لا يسعى هذا إلى شيئ ، وهو أن ريبا أو شعر أن في الأمر
ما يريب ، أكان يقبل على ولائه محمد ودين محمد ويخرج للغزو معرض
حياته للخطر في سبيل الدفاع عن دين الله ولا يهرب مثلا إلى الروم أو
فارس ويفضحه هناك؟ وذلك بدلا من أن يموت في معركة مؤتة مبتسم
المعلومة التي تدل على يقين لا يتزعزع ، إذ كانت كل عوامل النصر من
فارق ضخم في العدد والعتاد في صف الروم ، فضلا عن اختيار أرض
المعركة لأهلها ، ومع ذلك خاضها ، رضي الله عنه ، هو وبقية زملائه في
جيوشه وإخلاص لا يُرتاب! ويمكن القارئ أن يرجع إلى ما كتبته في هذا
الأمر في الفصل الأول من الباب الأول من كتابي "مصدر القرآن - دراسة
لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي" (مكتبة زهراء
الشرق ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١١ قم بعدها) والعجيب بعد هذا كله
أن يقول النصارى إن الله قد غضب داود وغيره من أنبياء العهد القديم
حرمانهم ذات العبارة التقليل أنهم في نهاية المطاف بشر ، والبشر
يخطئون ، ثم يجيئون إلى خلال الرذائل التي نعته بها محمد عليه السلام
فتصبح صدورهم خفقود غيرة على الشرف الرفيع ، ويدهشون فيتضمون

حدود ويشقون الجيوب ويضعون على رؤوسهم مما تحت أرجلهم ويدعون بدعوى الجاهلية راعين شأن الأخلاق والأدب! يا حرام!

قال المسلم: وبعث! إنما ذكر عليكم أنكم تجعلون لله ما ولا تسبح بحمد الله وأنه الأزلي خالق الخلائق، وتجعلونه مساويا لله في الصفة والجوهر والقدرة، وهو إنسان ولد من امرأة، ومثله مثل آدم، قال له الله كن، فكان.

قال الراهب: هل أنت يا أيها السلامة مصدق كل ما ذكره نبيك في القرآن؟

قال المسلم: نعم أنا مصدق جميع ما في القرآن لأنه منزل من الله على نبيه المصطفى محمد.

قال الراهب: أفتبقى في القرآن أن المسيح روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم؟

قال المسلم: نعم، كذلك هو.

قال الراهب: فإذا لله روح وكلمة؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: أخبرني عن روح الله وكلمته، أزلية هي أم محدثة؟

قال المسلم: بل أزليّة غير محدثة.

قال الراهب: فهل كان الله في وقت من الأوقات أخرس خلا من كلمة وروح؟

قال المسلم: أعوذ بالله منك حيث إن الله لا يخلُ قط من كلمته وروحه.

قال الراهب: وكلمة الله خالقة أم مخلوقة؟

قال المسلم: ما أشك في أنها خالقة.

قال الراهب: أفما تعبد أنت الله؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: فهل عبدتَ الله مع كلمته وروحه أم لا.

قال المسلم: أعبد الله وروحه وكلمته.

قال الراهب: قل الآن آمنتُ بالله وروحه وكلمته

قال المسلم: آمنت بالله وروحه وكلمته. ولكني لا أجعلهم ثلاثة بل إله واحد.

قال الراهب: فهذا سرّي هو رأيي واعتقادي واعتقاد كل نصراني وإن هذا كان قصدي بأن أقودك إليه بتعرف الثالوث الآب الذي هو الله، والابن الذي هو كلمته، وروحهما القدوس.

وكان الأمير متكئ فاستوى جالساً ورفع عن حاجبيه شعوشه، وضحك وكبّر، وقال صحيحٌ وحق عيسى بن مريم سلامه الله تصرّك الراهب وأدخلت في دينه.

ومرة أخرى خلا النفس وجهد الوجه مع الخشوع والنباهة والانتباه، فالقرآن لا يقول عن عيسى عليه السلام إنه روح الله، بل روح منه، وهو في هذا لا يتميز على أي إنسان كان من كان، إذ ما من أحد من بني آدم وجد إلا وفيه من روح الله. قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ

والأنوثة قبلا ما تشكرون ﴿ ... ﴾ لله. كما تقول لأية لأجيرة، قد نفخ في الشر من روحه سبحانه. وهذا هو نفسه الوضع في حق عيسى عليه السلام. فهو بدن كسائر البشر كلاهما مخلوق لله عليه السلام كلمة الله والمقصود كلمة "كن" فيكون. وهذا هو نفسه الوضع في حق آدم أيضا ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ ... وضعا ليس مقصودا أنه هو الكلمة ذاتها. بل العبرة هنا على نحو. إذ ليس عيسى ولا أي مخلوق آخر غير عيسى هو الكلمة نفسها، بل ما أحدثته الكلمة في عالم الوجود. وذلك كما يقول الواحد منا للعبرة "كن فرحت ليسر". ولا يمكن أن يقصد أنه فرحه فعلا. بل المقصود أن بإمكانه الاعتماد عليه متى يعتمد على فرحه ومثل ذلك ما قاله بن منظور صاحب لسان العرب في مادة نفخ. ونصه "وفي حديث الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن لحق الأثير هذا كلام متين وجميل، وأصله أن مسك يد صاحبه وحلا فمن الرجل يده. فكأن الحجر الأسود لله بمنزلة اليمين لمسك حيث يستلم ويلثم" وعليه فلا تثريب علينا في هذا. اللهم إلا أن ولادته قد انتفت عن ولادتنا فنحن قد خلقنا بكلمة التكوين. لكن من خلال التوالي الطبيعية للولادة. أما هو فخلق بكلمة التكوين مباشرة دون خضوع لتلك التوالي كاملة. إذ لم يكن له أب، وإن كانت له أم لم تكن أخته، وتمت فيه رحما. أما آدم فقد خلق دون أب أو أم. ومن هنا فإن خلقه أعجب وأبعث على الدهشة. لكن ما في الأمر أن أحدا من البشر لم يكن هناك ليدهش أو يعجب. لأنه لم يكن قد خلق بعد. ولا عيسى كما هو أيضا. وحكاية ليست بقصة مقصة ثانية. وإن كان الفهم القديم يقول عكس ذلك إلا أن الله

ولقد زاد القرآن هذه القضية إيضاحا وتأكيدا في مواضع أخرى منه وهو

يتركها عامرة. قال حل شأنه ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴿٧٢﴾ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿٧٣﴾ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿٧٤﴾ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴿٧٥﴾ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ﴿٧٦﴾ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴿٧٧﴾ [المائدة: ١١٦] وقد قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴿١١٦﴾ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٧﴾ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝﴾ [مريم: ٣٤-٣٥] .. إلخ

فكيف يزعم الأستاذ محفوظ بعد ذلك أن القرآن يؤله المسيح؟ أما قوله عن الأمير الأيوبي السني: "وكان الأمير منكث فاستوى جالسا ورفع عن وجهه شريوشه، وصفق وكبر، وقال ضاحكا: وحق عيسى يا أبا سلامة لقد نصرك الراهب وأدخلك في ديننا"، فلا أدري كيف يقسم سني (سني حقا أعني دولة الشيعة في مصر وليس) بحق عيسى، وهو يمين لا يقسم به سوى الشيعة، الذين يعبدونه ويسمونه هو وأمه وأسرته كلهم حتى اليوم وإلى ما بعد اليوم إلى أن تقوم القيامة ما لم يرزق الله، ومثل لا أدري كيف يتأتى لأمير مسلم في ذلك الوقت الذي كان الدين فيه منصبا أصلا على القلوب، وبالذات أيام الحروب الصليبية التي كان للأيوبيين فيها الفتح المبين، شمائله على ملأ من دينه ودين أمته وخياره جماعة من النصارى لا فيهم هم عنده ولا يعتدون به أي اعتبار، حاشا لله ذلك عن الله!

لقد كان ذلك الأمير قوي الإيمان حريصا كل الحرص على أداء فروضه الدينية، فعلى سبيل المثال كان عزمه قد صح على أداء مناسك الحج في سنة كانت هناك مشاكل سياسية بينه هو وأخيه الأفضل وبين الكامل بن عمهما أرسل الكامل من حرنه عسكرا كثيرا ينتظرونه قبل مكة ظن منهما أنه سوى الدهان ليمنعه الحاد لأداء الفريضة. ولنستمع إلى المؤرخ في نهاية الأمر يحكي لنا القصة كلها. ووجه الشاهد فيها أنه كان قوي الدين: أولا في خروجه للحج على ما فيه من مشقة يعرفها كل من خاض تجربته. وثانيا في عزمه على خصوم أن يقيدوه ويحظروا عليه حتى يقضي المناسك كي يضمنوا إلى أنه في أيديهم لا يريد ليمن بل

حج. وثالثا في حرصه على اتباع سنة النبي في عمرة الحديبية لما عجز عن تأدية الشعيرة. بعد ذبح البقر وقصّر شعره وانصرف قافلا إلى الشام، ولم يقصد الدخول في معارك وإراقة دماء مع جند ابن عمه" وفيها (أي في السنة العاشرة بعد خمسمائة من الهجرة) توجه الملك الظافر خضر بن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب لقصد الحج فنزل بالقاهرة في يوم الأحد رابع شوال. ثم ارتحل إلى مسجد عقده في خامس الشهر وكان الملك معظم غورى. فوصل إلى دمشق. وأدخله إليها وعمل له ضيافة. ثم توجه إلى الحجاز صحبة الركب الشامي. فلما وصل إلى المدينة زار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحرم بالحج من ذي الحليفة. فلما انتهى إلى سدر وجد عسكر الملك الكامل قد سبقه من مصر إلى سدر خوفا منه أن يتوجه إلى اليمن ويستولي عليها. فقالوا له ترجع! فعلم مرادهم، فقال: إنه قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة، وإني قد أحرمت والله ما قصدي اليمن، ولا أقصد غير الحج، فليدعوني وحالي حتى أقضي نسكي وأعود. فلم يوافقوه على ذلك، وأعادوه إلى الشام. فصنع كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين صده المشركون عن البيت فقصر وذبح ما تيسر. وعاد إلى الشام" وكان بمستطاعه أن يهب لمحاربتهم كما فعل أحد من قبله وجنده يأبى غير عليهم أن يرجع على هذا النحو المهين دون أن يحج. بل إنه يقص كما جاء في تاريخ الإسلام للذهبي "قال أبو شامة وحكى لي والدي، وكان قد حج معهم، قال: شق على الناس ما جرى عليه، وأراد كثير منهم أن يقاتلوا الذين صدوه عن الحج، فنهاهم وفعل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين صُدّ عن البيت، فقصر من شعره، وذبح ما تيسر، ولبس ثيابه، ورجع وعيون الناس باكية، وهم ضجيج لأجله"

فهل من يتصرف مثلا على هذا النحو من الحب لنبيه وتحمل مشاق من أجل تأدية مناسكه والحرص على اقتفاء سنة رسوله عليه السلام سوف يحرج ليحج حتى أعجز عن إتمامه يمكن تنهمه بأنه يبالي النصرانية ضد الإسلام؟

وذكر ابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب" أن الأمير مشمر كان عالما محدثا، "سمع منه بعض أصحاب شيئا يسيرا خرج عنه صاحبنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الزراتي حديثا في معجم شيوخه. وروى عنه أبو محمد إسماعيل بن حامد القوصي بإسناده أخرجه عنه في معجم شيوخه. وكان يزور عمي أبا غانم، وكنت أجتمع به عنده في المسجد المعروف به، فسمعت منه، فإنه كان يورد أشياء حسنة. وكان جوادا سخيا شجاعا عارفا بالتواريخ وأيام الناس، وكان من جملة بني الملك الناصر يوسف بن أيوب وكان يُلقب (أتى بلقب) بالملك مشمر، بحيث أنه غلب على لقبه الملك الناصر. ويقال أنه إنما غلب عليه هذا اللقب لأن أباه قسم البلاد على أكابر إخوته، قال أنا مشمر، فغلب عليه مشمر، وهجر ما سواه". وفي "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" لابن شداد الحلبي في أيام حلب مستحدا "فمثل هذا الأمير يمكن أن يواسي مع النصارى ضد الإسلام ويسبه، فضلا عن أن يفعل ذلك على مرأى ومسمع من عسكره وجل حاشيته وصبوفه والناس جميعا" وأخيرا وليس آخرا هذا هو الذي لا يجسر المنطق جنونه المسدحة يقول إن الأب حين سأل الأمير السؤال الذي "إن قد أحد الناس وأظهر قرآن مخالف لقرآن معروف الآن عندكم وقرأ لكم هذا القرآن المنزل على نبي، وليس هو ذلك، فهل كنتم تقبلونه؟" جاء رد الأمير صاعقا على الفور هكذا "لا" وعني "لم كنا نقبله بل نحرقه ومن أتى

[illegible] فهل من يكون ولد فعلته بهذا [illegible] على دعوى وجود قرآن غير القرآن يمكن أن يشتمت بالإسلام وخصومه الذين يدافعون عنه. ويشجع المشتبه على تشبيهه ويُبشّره بأنه معهم لأنه لأن أمه نصرانية مثلهم؟ لماذا نصفه بالغباء. حين أراد أن يرفع من شأنه وصف الأب، بصيحة الله أكبر. وهي صيحة إسلامية خالصة لا يقولها الأمير لو كان في قلبه مولاه نصراني. يا لتكذيب! يا للعار! ألست أيها القارئ كيف يقع هؤلاء الحمقى في شر أعمالهم؟

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ صفق الرهبان لمزعوم جاوز عديد من فهمهم خمس مسلمين. ويفهمهم معنا كل من لديه أدنى قدر من العقل. من نص سورة آل عمران "الذي منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" فالمحكم من صوره. والمتشابه غير موجود؟ بل إن المسألة كلها ليست أكثر من حدوتة جبانة لم تقع إلا في وهم كاتبها؟ "قال الراهب وأنا قولت يا أن سلامه أن يتبث قال أومثل عيسى أبن مريم إلا مثل آدم خلقه من تراب، فكان" (سورة آل عمران) فقد صدق نبيك في قوله بأن كلمة الله وروحه الخالقة الأزلية غير محدودة وغير المدركة تجلت هنا في صيغة آدم جسد من مريم وسكن فيه واتحد به لاهوت الكلمة لأجل التأنيس والتدبير لأن جوهر اللطف لا يصير إلا في جسم واحد مثل من جوهر البشر. فإنه جوهر لطيف لا يُبصر ولا يُرى إلا في مادة من الوجود. لذلك عندما سأل موسى النبي طلب من الله تعالى أن يبصر الله جوهر اللاهوت. فقال له الله ادخل في بطن الصخرة. وأنا أضع يدي في ثقب الصخرة. وأنت تبصر ما وراءي. فلما كان منه ذلك أبصر موسى ما كان وراء جوهر الإله. فلمع في وجه موسى نور لا يستطيع البصر إليه حتى ما كان أحد من البشر يبصر إلى وجه موسى إلا

... فاحتاج إلى برقع كان يضعه على وجهه حين كان يخاطب الشعب لئلا تموت كل من ينظر إلى وجه موسى من الشعب

قال المسلم: قد كان عندك أن روح الله وكلمته حلا في بطن مريم فقد نفي الله بغير روح ولا كلمة بعد حلولهما في بطن مريم.

قال الراهب: توقفت هنا يا أخي سلامة يبيح بعضهن المكاتب وأهل القرى والمصارف لأنك تقيس الله جوهر لطيف الذي لا يحد ولا يرد، ولا يحصره مكان ولا يحويه زمان، وهو عبر المنقل، وتتخيله محصور ومستقلا لعمري هذا توهم من صنك، وهذا رأي من رأيك، ولا تخيل روح الله وكلمته محصورة ومتنقلة.

قال المسلم: فكيف يمكنني أن أحقق أن كلمة الله وروحه تحلتها في بطن مريم، وهي تحملته على العرش عند الله ولا يخلو منه ولا يفارقه على حسب رأيك؟

قال الراهب: توقفت هنا يا عين عينتك العميقة الرحبة ومدهت ومدوست وشريعتك لأنكم تتصورون وتقيسون الأشياء المعقولة كالأشياء المحسوسة بحسب عقولكم المكدرة من رحوة المعيشة واستعمال الحدث الحسية، ولكني لا أكسل عن أن أوضح لك البين عما سألت وأنبئك عن ذلك توضح الصدق. فما قولك في الشمس؟ أليس هي في أفق السماء؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: أفليس تبعث شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: فهل يوجد وحي آخر غير هذا الوحي الذي تعتنقه إلى الأرض يفارقها أم لا؟

قال المسلم: لا يفارقها ولا يخلو منها.

قال الراهب: كذلك كلمة الله وروحه حلت في مريم ولم تخلُ من الله لأن ... وأنت تقول آخر فتقول إن مولانا الأمير إذا تكلم كلمة برزت من عقله ومن فيه، وصارت الكلمة في كتب من ورق ومداد، وحصلت في حسه ثم تؤدى بها في العادة وصارت مسموعة عند الكل، فهل كلمة الأمير فارقت عقله وبقي فيه بعد نطقه كلمة؟ أليس الكلمة تحملتها في عقل الأمير، وهي تحملتها في الكتب والقراطيس والمداد؟

قال المسلم: نعم.

فقال: كلمة الله مقدسة في مقدسة، والله سبحانه مطلق لا يحده حد، فكيف يحل في بطن مريم ويبقى هناك طول شهور الحمل، ثم حين يولد يصير في الأرض محصور في ذلك الجسد الذي متغير من حفظة لأخرى، وهو جسد عيسى الرضيع فالطفل فالصبي فالمترعرع فالشاب فالرجل، ويعتريه ما يعتري أجساد جميع من خلال الصحة والمكروه عليها، وتمرت خلال وحلول سوء بحكمه، فضلا عن الأكل والضعف والصداع والوجع والمعاء والشراب والرغبة في التبول والخلاء والحركة والانتقال من مكان إلى مكان والتفلي والشم والتكذيب إلى آخر مظاهر المعدة التي تحتمها مطالب العيش والتقائه مع الآخرين، إلى حين القبض عليه كما يقبض على أحقر مجرم وتعرضه للضرب والطعن والإهانة والسخرية والصلب والقتل، وهو يجأر في حالات الصلب بالصراخ العالي لعون لا يأتيه أحد "إلهي إلهي، لما تركتني؟". مقراً على نفسه زعم كل مقدسات أنه

الكتاب وأشباهه أنه ليس بالأمر الصعب أو الصعيد ينتحه إلى وجه يسرحوه مساعدة؟ ولقد صدق المسيح حين عرّى على هذه السفسطة الرقيعة قائلا: إذا كان اعتقادك أن روح الله وكلمته حلا في بطن مريم فقد نفى الله بعد روح ولا كلمة بعد حلولها في بطن مريم! ذلك أنه متى ما جعلت لله وجودا متحيزا غير مكان وزمان فلا بد أن يجري عليه من ثم كل ما يجري على الوجود المتحيز من الانحصار داخل في مكان دون سائر الأمكنة، وفي زمان دون باقي الأزمان. وعلى هذا فقد كان لله في بطن مريم أو في الثلج أو على الصليب فلا وجود له حينئذ في غير البطن أو الثلج أو الصليب. إن المسيح حين يقولون هذا فإنما يقولون ما يقتضيه العقل والمنطق. وما سوى ذلك هو مجرد سفسطة رقيعة كما قلنا مرارا. ثم إن هذا مسلما، فضلا عن أن يكون هذا العالم من أئمة المسلمين. لا يمكن بأي حال الرد بالإيجاب على سؤال متى أن يقول "نعم" كما ادعى كاتب الحدوتة على الشيخ. بل عليه أن يستعمل كلمة "لكن" فهذه علامة أخرى من العلامات المخربة التي تفضح كاتب الحدوتة وتهتك ستار كذبه ورقاعته.

والعجيب أن المرحوم الكاتب ناسي بالأحرى بل طبيعته متناسية كذلك فيتهم المسيح بأنه هو الذي يقول بتحيز الله! انظروا إلى مدى الاستهتار في تفكير هذا الكاتل وسلوكه! توقفت هنيهة لأقول سلاما يليق بمقام مكانة وأهل الفرى وتصورت أنك تقيس الإله الجوهر بمقياس الذي لا يتحدد ولا يرد، ولا ينحصره مكان ولا يحويه زمان، وهو جوهر مستقل، وتتحيزه محصور ومنتقلا، وإذا قد كان لله جوهر بهذا لا يحد، فكيف يريد الأستاذ وقوع حضوره في بطن مريم وغيره من الأمكنة التي كان يحل فيها عيسى عليه السلام أو ينتقل بينها؟ وهو يتطاول على المسلمين، فقائلا إنهم حسبوا متشدو المتأخرين وأتباعهم لا يشعلهم بالسنة

مادية، وكأنه هو وأشباهه يعيشون على غير الشمس وبسمات الهواء، فلا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولا ينامون؟

أما قول الراهب إن كلمة الله وروحه حقيقة أزلية غير مخلوقة وغير مشاركة لخلق ما من صنيعة آدم حسبما شرعه وسكن فيه وحبب له لاهوت كلمته لأجل سياسته وتدبيره لأن الجوهر المقدس لا يصير إلا في جسد، فليس له من معنى سوى أنه سبحانه لم يكن يتنزل أو يتجسم قبل زمن عيسى ولا بعد استقراره عن الدنيا. ألم يقل إن جوهر لاهوته المقدس لم يكن جسد عيسى كي يتم تدبيره والسياسة؟ إذن فنحن لأن لا سياسة ولا تدبير بقيين، ولا يكفي لأجل ما مضى، بل ينبغي أن يستنط سقطة قائلة أخرى حين يقول: "وما كان ذوي أجسام وجب عليه حكمة أن يحفظ جسمه لأن لاهوته عدة جسمه، كما إن جوهر النار لا يُغلب ولا ينفع شيء منه إذا بقيت في مادة من الوقود". وسؤالنا هنا هو: وكيف كان الله يحفظ البشر منذ بدء خلقه؟ ألم يكن يرسل لهم أنبياء ورسلا، أم كان يجسد نفسه في هؤلاء الأنبياء والرسل؟ إن قال: لا، فعيسى مجرد نبي ورسول مثل سائر الأنبياء والمرسلين، وإن قال: نعم، فجميع الأنبياء والرسل إذن آلهة أو أبناء آلهة. وفي الحالتين لا فرق بين عيسى وسواه!

ولا يكتفي الأسقف بهذا، بل يحاجج بمثال النار الذي يقنع المسلم بسخف ما يقول: "ألم تر النار في الشمس؟ أليس هي في أفق السماء؟"

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: "أليس تسخن شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: فهل نورها وحرارتها يفارقها حين تبعثهما إلى الأرض أم لا؟

قال المسلم: لا يفارقها ولا يخلو منها.

قال الراهب: كذلك كلمة الله وروحه حلت في مريم ولم تخلُ من الله الأب".

وهذا المثال مما يجري على ألسنة النصارى للتدليل على صحة تثليثهم، مع أن هناك فرقاً جذرياً بين النار وبين الله فالنار كيان مادي، أي مُرَكَّبة من عناصر متعددة كانت متفرقة قبل ذلك ثم اجتمعت وأصبحت نارًا، وسوف تتفرق بعد ذلك كرة أخرى وهكذا دواليك. فهل الله هكذا؟ وهل الله كالنار متحيز في مكان ورمان معينين؟ ثم إن النار باستمرار تصدر أشعتها منها تفنى، وبعد قليل لا تعود هناك نار. بل إن الشمس والنار المحروم، وهي كرات نارية هائلة حجم الى درجة رهيبة، هذا عمرٌ مقدار سوف تبلغ عامه يوم ولا تعود ثمة شمس ولا نهوم. كذلك فإن أشعة النار والشمس ليست هي النار أو الشمس كلها، بل جزء منها فقط، وهو عندما يغادرها لا يعود جزء منها بل ينفصل عنها. فما علاقة ذلك بروح الله التي تعرفه ولا تعرفه؟ ثم إن حرارة الشمس تضعف كلما ابتعدت عنها. فهل روح الله تضعف على هذا النحو أيضاً؟ كما أن وصول الأشعة والنور من الشمس إلينا يستغرق وقتاً، فهل يجوز أن نقول ذلك عن روح الله؟ كذلك فإن أشعة الشمس ونورها لا يصلان إلى كل مكان، فهل نقول عن روح الله ما نقوله عنهما ونفسر في ضوء ذلك أن عيسى بن مريم عليه السلام كان، في الوقت الذي يوجد فيه في مكان معين، يكون عدم

عن بقية الأمكن؟ نبينا محمد بن هؤلاء حمقى أغبياء!

وهرة أخرى يسقط المدلس سقطة قاتلة، إذ يتحدث قائلا "وبالمثل تمثال آخر فيقول إن مولانا الأمير قد تكلم كلمة خرجت من عقله ومن فيه وصارت الكلمة في كتب من الورق والمداد وحصلت في حسه ثم سرى بها في العالم وصارت مسموعة عند الكل. فهل كلمة الأمير قد فنت عقله وبقي فيما بعد غير كلمة؟ أليس الكلمة حملتها في عقل الأمير، وهي خمستها في الكتب والقراطيس والمداد؟". وهرة أخرى نجده يحاول أسلوب التفكير العلمي الذي لا يصلح في محاطة العقل والمنطق، فالكلام المفيد في الكراس ليس هو الفكرة التي في عقل الأمير، بل هو مجرد رمز لها وصورة منها، والصورة غير الأصل كما هو معروف ولا شك أن الكل من الأصل والصورة كيانه ووجوده المستقل، فالفكرة في عقل الأمير مثلا لا تبقى كما هي بل تتصور، أما في الكراس فتبقى كما هي برموزها الأولى لا يعتريها تطور، كما أن فكرة الأمير حين تنتقل إلى عقل شخص آخر تشرح به وتصبح عنصر من عناصر فكره، فهل يقول هذا عن الله وروح الله؟ وبمثل إذا أراد الأمير أن يستعيد فكرته كما استقرت في ذهنه الأول مرة بالضبط فلن يستطيع ذلك أبدا، خلاف رموزها المكتوبة في الكراس كما أن الأمير عندما يموت تنتهي معه الفكرة التي كانت في ذهنه، على حين يبقى رموزها الكتابي الذي في الكراس، أو قد يحترق الكراس وتبقى الفكرة الذهنية في رأس صاحبها، ولكن بعد اعتراء التصور ما حسمه وصححه، أو قد يموت الأمير ويحترق الكراس جميعا إما في نفس الوقت، أو في وقتين مختلفين، مع تقديم هذا على ذاك، أو ذاك على هذا، ثم قال ذلك كله يسعى لأن يقول لنا فيما بعد حديثنا عن النار، وهو أن الفكرة التي في ذهن الأمير (مثل كل الأفكار التي في ذهن الأمير وغيره

[illegible] لم يكن محمد قد قال به قبله، أم هل لديك [illegible]
به قوله لأحد أو اخترعه أو سمعه أو شعر به أو فكر فيه من قبل، فهل روح الله هكذا؟

ولا يتوقف الراهب النصراني عن الكذب، وهذا أمر طبيعي، إذ قد أصبح الكذب يجري في دمه هو وأشباهه حيث لا توقف عنه مات كما تموت السمكة إذا نفيت خارج الماء، ومن هذه يكذب على القرآن والإسلام زاعما أنه يشهد لكتبهم وعقيدتهم بالصدق وفي الكذب القراري أنه لو صح ذلك فسيأتي هو ومن على شاكلته للمسلمين ويهاجمه ويسبه؟ وبقرآنه فإنه ذلك فأقول له: أفلا تسلم ومن الآن فصاعدا بصحة دينك؟

قال الراهب: أنت ونبيك وكتابك.

قال المسلم: فما بيان ذلك؟

قال الراهب: أليس يقول كتابك في سورة آل عمران إن من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله في الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم الصالحين بالتأكيد، ويؤمنهم يعطي كل من آمن ويقول أيضا فيها: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ويقول أيضا: الذي أنزل عليك وعليه، وهذا وهكذا إلى آخر السورة (العنكبوت) ويقول لتجدن أقربهم للناس إلى مودة الذين قالوا إنا نصارى، وذلك أن فيهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون، وهذه أمة من الصالحين يتلون آيات الله ويسجدون بالحق (سورة آل عمران) ويقول في سورة آل عمران: المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم، ويقول أيضا: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين

أمسوا لك فوق الذين كفروا إلخ. وأنت دين المعلمين" (سورة آل عمران) ليس نبيك وكتابك يشهدان لما بهذا: الشهادات وأكثر منها. وأن المسيح له في السماء، الفضل على سائر الأنبياء. وأنت تتفق ولا تصدق نبيك وكتابك؟ أفما تعلم أنك بذا تصدق الإنجيل فقد كذبت نبيك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلما ولا نصرانيا؟

قال المسلم: أنا مصدق القرآن لأنه منزل من السماء، وأصدق جميع ما كتب فيه عن عيسى.

قال الراهب: لو صدقت القرآن لصدقت الإنجيل".

والحق أنه لو لم يكن في الحدوتة السابقة من أبديا سوى هذه الأحمق في تلاوة الآيات القرآنية وفي نسبتها إلى غير سُوَرها لكان هذا كاف وفوق الكافي في الإبانة بأن هذا الكلام كله مزيف مصنوع وأنه لم تكن هناك مجادلة بين الأب المدلس وأولئك الشيوخ الحيانيين، إذ ليس من المعقول أن يسمع عالم مسلم أحمق وحشية مثل هذه في تلاوة القرآن وفي نسبة الآيات إلى غير سورها ويسكت، فضلا عن أن يوافق المحطي ويحسن موافقته له إعلانا. كما أن ملوك بني أيوب وأمراءهم كانوا أصحاب ثقافة أدبية ودينية رفيعة، بل كان منهم الأديب والعلماء كما قلنا. ومن ثم فليس من المعقول أبدا أن يحضر أمثال كل هذه الأحمق دون أن يضحك الأمير الأيوبي في قمة بالنعل التي في قدمه. بله أن يرافقه على سخريته بشيوخ المسلمين ودينهم. ومن يفتح المصحف ويقارن بين ما قاله الأنبا وما يقوله المصحف لأدرك مقدار تحريف الصنع الوقح للآيات القرآنية الكريمة التي استشهد بها وعبث تعمد ليصل منها إلى تقويل القرآن ما ليس فيه بُغية إيهام القراء أن الكتاب المزيف يشهد للنصرانية الحالية وأنجيلها بالصحة والاستقامة. وهيهات. وهذا صنيع المبطلين المدفعين لا

صنيع الذين يحرصون على إصابة الحق و إفحامه . وهو ما يدل على أنهم يعرفون من أنفسهم الضلال و الانحراف ، ولكنهم يكذبون!

و الآن سوف نقوم بالمقابلة بين ما أورده القس من آيات محرفة وبين هذه الآيات نفسها كما وردت في القرآن ، فهو يقول مثلا: "المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم" . يريد بذلك أن يبرر عقيدته الوثنية في أن المسيح هو الله نفسه أو ابنه . وصورتها في صيغتها الكاملة هو ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣] . ففي القرآن أنه المسيح عيسى بن مريم ، وأنه كلمة الله وروح منه . وعند الأب المفضوح هو "المسيح كلمة الله وروحه" فحذف نعوته مريم وجعله "روح الله" نفسه لا روحا من الله ، وهو فرق رهيب .

وفي آية أخرى نراه يقول "إن القرآن نور وهدى مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل" . على حين أنها في الأصل: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ [آل عمران: ٣-٤] ومن نفس السورة نراه يورد الآية رقم ١١٤ على النحو التالي "من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله في الليل والنهار ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم

الصالحون بأعمالهم، وبورهم يعلو كل نور، مصيبا إليها ما ليس منها، وحادا منه ما هو أصيل فيها، وهذا نصه الصحيح: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (آل عمران ١١٣ - ١١٥). وهي ليست في النصارى كما يريد اللئيم أن يلوي عنقه، بل في من أسلم من أهل الكتاب ولم يبقوا على دينهم، فآيات الله هنا هي آيات القرآن الكريم، والسجود هو سجود المسلمين، إذ لا يصف القرآن بالإيمان بالله واليوم الآخر أبدا بعد مجيء النبي محمد بدعوته إلا من آمن به وصدق بالقرآن كما توضح الآيتان ١٠٥- ١٥١ من سورة "النساء" والآية ٩٢ من سورة "الأنعام" والآيات ١٥٦- ١٥٨ من سورة "الأعراف" وغيرها.

وبالمثل فالذين قالوا إنا نصارى في الآية التالية ليسوا هم النصارى بوجه عام بل فريق بعينه منهم جاء إلى المدينة للقاء الرسول عليه السلام، وقد فتح قلبه وعقله لدعوة الحق، فلما سمعوا القرآن منه صلى الله عليه وسلم بكوا وخشعوا وسارعوا إلى الدخول في الدين الجديد كما هو حتى بين لمن في عقله أدنى مقدار من الفهم. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الحكيم ﴿ ﴾ [آل عمران: ٥٤ - ٦٠]. أما هو فقد أورده على نحو النقل، وقصده أن يقول إن القرآن يثني على نصارى منتين "تجدن أقرب الناس إليه مودة الذين قالوا إنا نصارى، وذلك أن فيهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون. وهم أمة من الصالحين يشهدون أن الله ويهتدون بالحق" وبالسنة فقد قال إن هذه الآية هي من بداية سورة "آل عمران" على حين أنها من "المدنية" أما الآية التي هدف الحبث الذي يوجهه الكتاب واضح لا يحتاج إلى شرح. فهو يقول في الآية رقم ٥٥ من سورة "آل عمران" "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴿ ﴾ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴿ ﴾ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ﴿ ﴾ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴿ ﴾ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴿ ﴾ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴿ ﴾ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴿ ﴾ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ﴿ ﴾ فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴿ ﴾ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿ ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٦٤]. والفرق بين تفسيره هو الفرق بين الكفر والإيمان. فالمسيح في الآية الصحيحة لا يعدو أن يكون عبدا لله لا يمتلك

من الأمر شيئا. أما في الآية المحرفة فهو "دين المسيحيين". والدينونة هي من صلاحيات الله سبحانه وحده لا يشركه فيها أحد. وأخيرا فقوله تعالى في آخر الآية الثانية من سورة "العنكبوت": ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت: 46] معناه أنه ليس هناك إله إلا الله فلا تثليث له، ولا روح قدس إله، ومن ثم فلا أقانيم ولا تثليث. على عكس ما يريد كاتب الحدوتة أن يوقع في روع القراء من أن القرآن يشهد بأن الإله ذا الأقانيم الثلاثة الذي يؤمن به النصارى هو الإله الذي يسعى أن يؤمن به المسلمون أيضا. وشتان ما بين الاثنين!

هذا الذي نؤمن نحن المسلمين به ولا نعرف إلها غيره واحد أحد. فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. لم ينجسد ولم يتأنسن ولم يأكل ولم يشرب، ولم تكن له صاحبة أو ولد، وخلق كل شيء فقدره تقديرا. ومع هذا فكل إنسان ممن يعتقد، ومنهم ألا يتجاوز أحد حدوده ويتوقح على ربنا ويشتم ربنا ونبينا ويدعي الكذب ويؤلف حكايات تسيئ للحقيقة. فرد فعل ليس أمامنا إلا الرد بحزم. أما قول الأب مرعوم: "أليس نبيك وكتابك يشهدان لي بهذه الشهادات وأكثر منها وأن المسيح به في السماء يجلس على يمين الآب وأنت تتفق ولا تصدق نبيك وكتابك؟ أفما تعلم أنك بذا لم تصدق الإنجيل فقد كذبت نبيك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلما ولا نصرانيا؟" فجوابه هو أنا نؤمن بعيسى بن مريم عبدالله ونبيا من أنبيائه كما ورد في القرآن. ولا نريد عن ذلك شعرة لأن ما يقوله الأب لا وجود له في القرآن، بل في الآيات التي حرفها على عادة قومه في العبث بالنصوص السماوية. أما أن يحاول كاتب الحدوتة خداع الناس بالقول بأن القرآن الكريم يشهد لعيسى عليه السلام

ثم يعتقد النصارى المشئوم فيه فهو تزييف وتدليس حقير ولو كان هذا صحيحا فلماذا يا ترى يتصدى الأب الحقير على النبي محمد عليه الصلاة والسلام؟ لكن لأنه يكذب براءه يتقمص. وهذا شأن اللص حين يُضبط متلبسا بجريمته، فهو يدافع عن نفسه بكلام لا منطق فيه، ويتخبط في هذا الدفاع بكلمة من الشرق وكلمة من الغرب.

ومرة أخرى يعود كاتب الخدوتة إلى الزعم بأنه "لما كنا ذوي أجسام وجب عند حكمته أن يخاطب مجسم لأن اللاهوت عادم الجسم كما أن جوهر النار لا يُلمَسُ ولا ينتفع الناس منه إن لم يظهر في مادة من المواد فأرسل الله ابنه وحبيبه الذي هو كلمته وروحه إلى مريم العذراء جسما يشهد بذلك نبيك وكتابك بقوله "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" (سورة التحريم) ويقول أيضا إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالقة الأزلية وحلّت في بطن مريم، ومع حلولها اتحدت جسما من طبيعة آدم بريء من الخطية وكونته كما شاءت. واختصت الكلمة والروح اللطيف بذلك الجسم واتحدت به، ولم يتقدم الجسم قبل حلول الكلمة والروح بل مع حلول كلمة وروح الله الخالقة تكوّن الجسم ومثال ذلك يكون الضو مع الزرق وظهور الضو مع حضور النار واتحد اللاهوت بالناسوت المأخوذ من طبيعة آدم اتحادا بلا اختلاط لأن الطبيعة اللاهية لم تنتقل إلى طبيعة الجسم الآدمي، ولا طبيعة الجسم الآدمي انتقلت إلى طبيعة اللاهوت، بل صار كل منهما مالكا خاصته وطبيعته. مثال ذلك أنك إذا أخذت سيفا أو سكينا وأحميتهما بالنار حميا بليغا صار ذلك السيف أو السكين يفعل فعل الحديد وفعل النار فيقطع ويحرق، ولم تنتقل طبيعة الحديد إلى طبيعة النار. كذلك الجسد المأخوذ من طبيعة آدم صار يفعل فعل اللاهوت باتحاده باللاهوت. وبيان ذلك أن المسيح أقام الموتى وشفى

المرض والمرضى وفتح عيونا العميان بوضع يده. وبتوسُّط ذلك الجسم المقدس نحن نسجد لأنه متأنس. فإن عزلت بوهمك ذلك الجسم عن كلمة الله وروحه فإنه غير مسجود ولا معبود. ولكننا نعتقد أن الواحد به، والآخر فيه بحلول لأنه فيه. فقد أخذت خمس حبات مسك ثم وضعتها في خرقة وأدخلتها في منديل. ألا تحصل رائحة المسك في الخرقة والمنديل؟

قال المسلم: نعم

قال الراهب: فإذا كان المسك الذي هو مادة من المواد المخلوقة تمتلك هذه القوة والفعل، فكم تقدر كلمة الله وروحه الخالقة الأزلية إذا صعدت في مسك وحلّت فيه لأجل فصلة عتملته من النجاسة والتدبير؟"

وقد سبق أن رددنا على حكاية الضرورة التي توجب إرسال جسم إلى البشر حتى يتمسحوا. ومع ذلك فلا بأس أن نعيد هنا ما قلناه قبلاً من أن الرسول ذو الجسم مثل سائر البشر، ومن ثم كانت فيهم الكفاية لتأدية المهمة التي يتحدث عنها الأب. ولا حاجة إلى تجسد الله. وإلا فما بال الرسل السابقين؟ أكانوا آلهة متجسدين؟ إذن فالمسيح لا ينفرد بهذه الميزة؟ أم أدوا المهمة رغم أنهم كانوا بشراً؟ إذن فالمسيح منهم، قام بنفس المهمة التي قاموا بها. ولا معنى لدعوى أنه من طبيعة إلهية بتولا على حكم الضرورة التي يدلس بها الأب المدعي لأنه لا ضرورة هناك كما هو واضح. أما قوله "أرسل الله ابنه وكلمته الذي هو كلمته وروحه إلى مريم العذراء" فإنما يشهد بذلك عليك وكذلك بقوله: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" (سورة التحريم). ويقول أيضاً إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالقة الأزلية وحلت في بطن مريم، ومع ذلك فقد تجلدت جسداً من طبيعة آدم مولوداً من الخطية وكونته كما شاءت وحنجنت الكلمة والروح المتصف بذلك الجسم واتحدت به، ولم يتقدم

المسيح قال حلول الكلمة والروح، بل مع حلول كلمة وروح الله خالقة تكون "مسيح". فهو كذب مضحك لأنه لا وجود لهذا الذي يقول في أي موضع من القرآن، ولا فليدلل هذا الكذاب الذي لن يكفّه ربنا أبدًا على الآيات القرآنية التي تقول إن الله أرسل إليه وحيه الذي هو كلمته وروحه... إلى آخر هذا الكلام الذي يعُدّه كفرًا وشركًا يُرْدِي في جهنم. لقد نفى القرآن نفيًا مطلقًا أن يكون عيسى بن مريم ابن له سبحانه قائلًا إن السموات يكدن أن يتفطرن وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدًّا أن دعوا للرحمن ولدًا، إذ لا ينبغي أن يتخذ الله ولدًا، بل كل من في السموات والأرض بمن فيهم عيسى بن مريم سوف يأتي الله يوم القيامة عبدًا، وسوف يسأل الله عيسى بن مريم ساعتئذ "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟"، وسوف يرد عليه في منتهى الخشوع والعبودية "سبحانك! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق. إن كنتُ قلته فقد علمته. تعلَم ما في نفسي ولا أعلَم ما في نفسك. إنك أنت علام الغيوب* ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم" كذلك لم يقل القرآن قط إن عيسى بن مريم "روح الله"، بل قال "روح منه"، مثلما قال أيضًا عن آدم "ونفخ فيه من روحه". فهذا هو الذي يقوله القرآن، بخلاف ما يقوله الآن الكذاب، الذي ليس له من مكان يليق به إلا المراحيض!

أما كيف تكون الطبيعتان الإلهية والبشرية للسيد المسيح متحدتين دون أن تختلط فهذا ما اتركه للذهن الأسمى العلي. أما نحن فربنا بادهائنا أن نؤمن بهذا، اتحاد ولا اختلاط؟ الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه لا اتحاد هنا ولا اختلاط على أي وضع من الأوضاع. تعالى الله عن ذلك، ونستغفره سبحانه عن كتابة هذا الكلام زعمًا أننا لا نؤمن به ولا

تصوره مجرد تصور ولا ندري كيف يكون. بل لابد معناه أن الطبيعتين أصبحت شيء واحد. فإما أن تكونا قد أصبحت كلتاهما إلهية، وإما أن تكونا قد أصبحت كلتاهما بشرية. وإما أن تكون قد تقابلت في منتصف الطريق على طريقة الحل الوسط، وأصبحت شيء ثالث لا هو إلهي خالص ولا هو بشري محض. ويخيل لنا هذا ما قاله هذه المعصية. وقد أبى الأب متى كل هذا قال فوجدهم أنهم حين يتحدون بعيسى إنما يتحدون بإله متأنس أو بالحري متأنس بالإله، أي تحولت طبيعته من الإلهية الخالصة إلى الإلهية متأنسة، ولم يعد أمامه إلا صفة الألوهية، بل إنه نصف نصف! أما الأب متى فيعود فيقول إنهم يعتقدون أن المسيح ذو طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية تجدهما معاً مع استقرار وتعود إحداهما في الأخرى بغير اختلاط ولا انفصال. وكأنك يا أبا زيد لا رحت ولا جيت!

ثم هذا الإنسان الذي قام على الصليب وأهين وقتل، ما دينه عندهم غير إلهي؟ بل الذي شعر بالألم هو هذا الأدنى لا الله. أليس كذلك؟ فأين الرحمة الإلهية في عملية الصلب إذن؟ لقد كان الله قد أراد أن يخلص البشر من خطيئتهم الأولى من خلال نفسه هو بشكله هذا دونهم ثم عذبهم وأحضر بشر مثلهم ليعذب نيابة عنهم؟ لقد وعد أن يحمل عن البشر جميع خطيئتهم ثم سيذهبهم وجسمه واحد منهم. أي أنه حمل خطيئة بشرية واحد فقط من البشرية وترك الباقين. وبهذا يكون قد كذب فيما قاله، وعجز عن الوفاء بما وعد. وهكذا المسكين الذي كُتب عليه الصلب والضرب والشتم والإهانة والبصق والطعن وحده دون باقي البشر.

وعندما يكفر الشيخ علي الراهب النكاش تسمية النصارى للمسيح بأن الله يرد عليه الأب النكاش الذي لا يعرف شيئاً اسمه الخبء فيقول إن محمداً قد قال في قرآنه إن الله لو أراد أن يتخذ له ولداً لاصطفاه من

ونعدل واحد أحد لا اثنان ولا ثلاثة بأية صورة من الصور!

ونختاره طائعاً ... مع كل هذا التواضع يا مولانا؟ ثم يستمر في الوقاحة والكذب فيقول للشيخ بن "كتابك وبيتك يشهدان لديني بالحق اليقين بقوله بن الله حقق الحق بكلمته وروحه" يا للوقاحة والكذب! ترى أين في القرآن، أو حتى في السُنة، هذا الذي يقوله؟ ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة ١٧)؟ إن هذه الآية وحدها الكفيلة بإخراس ذلك المدلس الحاقد كما أن الرسول محمد عليه وعلى أخيه عيسى الصلاة والسلام يشهد لكتاب النصارى الحالي الحق ويوافقه على تأليهه لعيسى، فلم لا يؤمن هذا الراهب بمحمد بن ويكف هو وأمثاله عن التقول عليه وعلى الكتاب الذي جاء به؟ ألا لعنة الله على كل مفتر كذاب!

ثم يأخذنا صديقنا حدوتة في حديثه عن حولات الحكايات الشعبية المسيئة فيحكي لنا قصة عن إبليس مسرفة القول لا يهمنا منها إلا ما سهت به من قضاء الله عيسى في بدء الشر في هذه الحكاية (الذي قرر الله عدمه) ووقوعه سبحانه في قبضة إبليس وحبس هذا له في هاوية حجبه فترة من الزمن وتعذيبه وهدمه بيده، ثم مكاشفة الله له في نهاية الحكاية بأهمية عيسى كان جهنم نفسها وحكمه سبحانه عليه بالبقاء في حجبه أبد الآبدين قائلاً "أنا لا أحكم عليك إلا بما حكمت علي لأن ظلمك يعود إلي نفسك، وحوارك يرجع إليك، وتكون في هذه الهاوية دائماً مؤبداً معقولاً بسلاسل الزمهرير" ومع كلام الله حصر الشيطان في ذلك المارد فعلاً، وأمر بسجنه خراب ذلك السجن وبطلان من فيه وأن يُدرس درساً كلياً، وعاد الشيطان إلى قصره ظافراً طافراً "الله أكبر! ما سبق إلا أن يُحبس لأنه ويصفد

في الإعلان في قعر خشبة! أي إله هذا يرى؟ كذلك فمعنى أن الله عاد في النهاية إلى قصره ظهر ظهوراً أنه قبل ذلك لم يكن ظاهراً ولا ظهوراً، وهذا أمر طبيعي حسب عقيدة الأمريكيين. فقد حسن الشيطان الله كما رأيت في الغواية وقيده وعذبه واستعبر منه لعنته من كل كفر عظيم، ومعنى هذا أيضاً أن إبليس قد انتصر منذ ذلك التاريخ انتصاراً باهراً، وهذا ما تكذبه حقائق الحياة. وإلا فما معنى أن الأديان الأخرى غير النصرانية لا تزال موجودة؟ أليست هذه الأديان في اعتقادهم من صنع الشيطان؟ والنصارى أنفسهم، أوقد أصبحوا ملائكة طوباويين لا يخطئون ولا يكذبون ولا يسرقون ولا يقتلون ولا يعتدون ولا يزنون ولا يشربون الخمر ولا يتظالمون أو يتحاقدون؟

أما في القرآن فقد طلب الشيطان في بدء الخليقة من ربه أن يمهله إلى يوم البعث، فوعده الله بذلك أي أن الشيطان لم تتم هزيمته النهائية بعد كما يزعم الآب في كلامه المذكور. وهذا ما سيحدث في الحياة من حوله. يقول سبحانه في سورة الحجر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٧ - ٤٨].

ويستمر المدلس في الكذب والخيال فيزعم أن عقيدة الصليب كانت موجودة على عهد موسى عليه السلام، إذ شق بعصاه البحر عرضًا حتى عبر بنو إسرائيل، ثم عاد به عليه بعد ذلك طولًا فالتأم، فرسمت العصا بهذه الطريقة صورة الصليب، وحصلت البركة وأنقذ الله بني إسرائيل من العذاب على يد فرعون، الذي كان يطاردهم ويريد أن يفتك بهم. وبالفعل كانت هناك حيات كثيرة في البرية بعد خروج بني إسرائيل مما يهدد بهلاك لولا أن موسى اصنع حية على رمح عرضًا، بعد أن كان قد وضعها بالطول فلم تأت بنتيجة. وهذا نص كلام الكذاب: "وقد وجدت في القديمة فعلًا هذا رسمه من شق البحر بالعصا طولًا ثم ضمه بعودته عليه عرضًا (خر ٤. ٢٠ - ٢١) وذلك كان موسى وشعبه في البرية تعسكروا خرجت عليهم حيات تلسع الشعب لدغ كثير فقال الله لموسى اصنع لك حية من نحاس وارفعها على رمح عال، فإن كل من نظر إليها من الشعب ما يموت من بهش الحيات ولدغها فصنع موسى الحية ووضعها على رمح طويل فما أخذت الشعب شيئًا فقال الله لموسى ضع الحية عرضًا. فلما وضعها عرضًا وصارت برسم صليب لم يمت من الشعب أحد (العدد ٢١، ٦ - ٩)".

وأنا أتعجب في الحقيقة من الكذب المقدس ليرى القارئ بنفسه مدى حيرة هذا المراهق وتدليسه، وبدأ بالنص الأول الخاص بشق البحر وعبوره، وهو موجود في الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج "لا يوجد شيء في الحدوتة السابقة" "ومد موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يبسة وانشقت المياه، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليبسة، والمياه

سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ ... وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ. ... وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ نَارٍ وَسَحَابٍ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ. ... وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقَلٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ «نَهْرُبُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ لَهُمْ ضِدَّ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ» ... فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ» ... فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالَتِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ. ... فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ ... وَأَنْقَذَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى يَدِ الْمِصْرِيِّينَ، وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْيَدَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى».

وَاضِحٌ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّ مُوسَى ضَرَبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ فَانْشَقَّ وَصَارَ طَرِيقًا يَابِسًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْبَحْرَ رَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الدَّائِمَةِ بَعْدَ أَنْ عَبَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ غَرِقُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّ الْمَاءَ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. وَكُلُّ عَاقِلٍ يُلَاحِظُ الْقَارِئَ بِنَفْسِهِ لاَ وُجُودَ لِمَا يُقَالُ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى أَيِّ حَجَرٍ، فَلَيْسَ فِي النَّصِّ ذِكْرُ تَطْوِيبٍ أَوْ عَرْضٍ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أُخْرَى مَا قِيلَ فِي انْشِقَاقِ الْبَحْرِ وَالْتِئَامِهِ "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَبَسًا وَانْشَقَّ الْمَاءُ. فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالَتِهِ الدَّائِمَةِ"

فِي نَفْسِ الْمَعْنَى نَصٌّ آخَرُ وَرَدَ "فَأَمَرَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ» فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا» فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا

على الزبانية. فكان منى تدعت حنة إلىنا ونظر إلى حنة النحاس بخيا هذا؟ ترى أنني تقصين أو تعرضين في هذا الكلام؟ وحتى لو كان الكلام الذي زعمه هذا القس عن التصليب في هذين النصين صحيحا، فكيف فاته أن التصليب دليل على أن من مات عليه فهو ملعون من الله كما قال الكتاب المقدس نفسه؟ جاء في سفر التثنية (٢١: ٢٣) "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل بالدفن تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله". ترى هل من الممكن أن تتحول اللعنة إلى بركة؟

مقدمة الكتاب الذي حققه لأبي عبيدة الخزرجي باسم "بين الإسلام والمسيحية"/ مكتبة وهبة/ ٤٣ بالهامش).

ولا يرضى الكتاب لكتاب أن ينتهي حدوته دون كدمة تليق بمقام، فحدث بهدايتها على النحو التالي "قال المسلم: لقد علم الله تعالى أنك قد أرهقت فكرك وزعزعت نفسك مما أحسست في الخطاب ويزاد الجواب، فلم يبق لديك سؤال. ولله درك، فقد فجرت أهل دينك وحللت أوثقتك وريّست أخوانك، ولولا نحن على سفر لسألناك في المقام عندنا رعاية لقربك إلينا وصرّفناك فيما يخصنا من مال ودار.

قال الراهب: جزاك الله عنّا خيرا وبعد، لقد فاقتمونا بالإحسان، وإن كنّا لسانا في الخطاب وأعصا في الجواب (نظروا إلى الأدب الكاذب الذي سرى على ذلك الحبيث فحذا!)، فهلا من شيمة أهل الأدب والأحساب والأنساب، فإلى أين السفر؟

قال أبو صهر: إلى مكة لنا ولنشيع أبو سلامة بزور البيت الحرام

قال الراهب: يوحشني بعدكم ويستقل عنّي فراقكم، فقد كنتُ أنسُ بكم.

قال أبو صهر: يا بنيك أن تصحب فأنس بك ونأنس بنا

قال الراهب: إن رضيتم بصحبتي صحبتكم وسويت ذاتي بكم

فهللا وكبّرا.

قال أبو صهر: ورأى جمع بن صحبتي كفيتك كلفة ما تحتاج إليه من زاد وماء، ورد فتشرح صدرك وتطيب نفسك وتقر عينك وتعزّ عينك وتزال وتروح عنك من عيشتك الخشنة وحياتك الشعثة وأنت ما زلت تنظر

من الآيات والمعجزات.

قال الراهب: فقل لي يا أيها الصغير خلق ديننا هذا الذي تمكنه من الآيات؟

قال المسلم: أنا لا أعلم. قد حدثت في مكة مرتين، وهذه الثالثة. ولستُ أنا جاهلا بها، بل خبير بما فيها.

قال الراهب: فقد رأيتني أحدثك وقربا إليك، فصف لي ما هنالك وما نراه أولا وأخيرا.

قال المسلم: أول ما أريك من عجوبات نبي أخيرك الحجر والبيت الحجريات الثلاثي تشوق إليهن نفسه، وتسرّ بهنّ النفوس، ويبتهج بهنّ النفوس الطيف نصف، مصلح صرف، كنبيّ حور العين، في جنة الصالحين.

قال الراهب: فهل نجد عندهم مقاما؟

قال المسلم: مهما شئت.

قال الراهب: هات به، وإنك لا يعجزه تصرده وهذا تريني بعض الحجازيات؟

قال المسلم: وترى، يا راهب، حج يجتمع في منى في صبح ذلك اليوم، وترى فرادى حج صوتف يسيرون ويصفقون بالكفوف ويضربون بالدفوف ويقولون يا صبح ما كنت، من منى إلى عرفات!

قال الراهب: ومن عرفات إلى أين؟

قال المسلم: إلى مكة.

قال الراهب: وماذا تريني بمكة؟

قال المسلم: أريتك الحجر الأسود وبئر زمزم والعروة الوثقى والكوثر الأحمر والكعبة وظهر الجمل وقبر الحسن والحسين.

انظر، أيها القارئ، مدى الضلال الذي يتصف به ذلك الجندي! أهذا يسمى عقيدة مسلم (بله أن يكون ذلك مسلم عالم، بل إمام من أئمة المسلمين شديد التعصب لدينه يؤدي عنه أعنف جدال، لا واحدا من عوام الناس) يقول إنه يذهب للحج كي يستمتع برؤية النساء هناك. فضلا عن أن يشتغل قوّاد على المسلمات العفيفات لنصراني كافر؟ ولا يكتفي الرجل الكذاب بأن قد فضحه الله هذه الفضيحة النكراء، بل يضيف هذه فضيحة أخرى أشد إنكارا. إذ يزعم أن الشيخ المسلم قد وعده أيضا أن يريه في تلك الرحلة قبر الحسن والحسين في مكة مع الكعبة والكوثر الأحمر. فهل قبرا الحسن والحسين في مكة؟ وأين يا ترى يوجد الكوثر الأحمر هذا؟ وما وظيفته؟ كذلك المسلمون لا يقولون "حُور العين" ولا "بيت حرام" كما جاء على لسان الشيخ في الخدوتة المتحفة تخلف عقول أصحابها، بل "الحور العين" و"بيت حرام" ليس ذلك فقط، بل اقتضت مشيئة الله أن يرداد هذا الكذاب المتعمد في حمأة الفضائح، فراه يزعم على لسان الشيخ أن الحجاج ينطلقون من منى إلى عرفات، عاكسا بذلك الفهم الصحيح تجاه سير الحجيج، لأن الوقوف بعرفات يأتي قبل المبيت بمنى كما هو معروف. وفضلا عن ذلك فإن الحجاج لا ينطلقون من عرفات إلى منى مباشرة، بل يذهبون أولا بعد الغروب إلى المزدلفة حيث يصلون المغرب والعشاء جمعًا ويبيتون، ثم يواصلون رحلتهم من هناك إلى منى. وهذا خطأ لأبله لا يمكن أن يقع فيه مسلم عادي، فما بالك بشيخ من أئمة المسلمين سبق له الحج قبل هذه المرتين كما جاء في الخدوتة؟ وعجبي للسخف الذي يقوله هذا الغبي وضرب الدف والتصفيق بالكف وما إلى

ذلك لا مبرر له إلا عقله المحنط الذي رين له تكذيب فادّعى أن الأمير قد أثنى على كلامه وأسدى إليه عطاء مردوده فخمة ولم ير فيها شيئاً يستحق تصويبه "أحدث، يا راهب، في كلامك وأحسنت في جوابك وأبدعت في خطابك وربّيت وطنك وديننا ومثلك يجب، والله، أن يكون إمام نصارى ومقدّمهم ومن يخاطب في الدين عنهم فسلْنا ما شئت، فعندنا ما نحب"! وفوق هذا فالخدوتة المتحفة تزعم أن الأمير قال للأنبا "ربيت وطنك ..."، وكأنه كان للأنبا وطن آخر غير المملكة الأيوبية المسلمة! أرأيت، أيها القارئ، كيف يسقط كاتب الخدوتة سقطة مخزية مدوية في كل خطوة ينقل فيها قدمه! ثم إن الكاتب حقود، بعد ذلك كله. يأبى إلا أن يخبر المسلمين وخزة سامة، فيقول إن الراهب كان يسخر من أبو ظهر وهو من بلادة عقله لا يدري. نوقع أن البليد العقل ليس شخصاً آخر سواه هو وراهبه.

* * *

القـــرآن
وأميَّة بن أبى الصلت:
أيهما أخذ من الآخر؟

القرآن وأمية بن أبي الصلت: أيهما أخذ من الآخر؟

أمية بن أبي الصلت شاعر معاصر من قبيلة ثقيف، التي كانت تسكن الطائف. وكان أبوه أيضا شاعرا. كما كانت له أخت تُسمّى "الشفاء". ويذكر بعض أدباء العصر أنه "هاجر إلى الشام وقُتل مشركا في حصار الطائف". وهو من الحنفاء الذين ثاروا على عبادة الأصنام وآمنوا بالله الواحد واليوم الآخر. وأزعجهم شرك الحنفي الذي كان شائعا في الجزيرة العربية، وتطلعوا إلى نبي يُبعث من بين العرب. بل إنه هو بالذات كان يرجو أن يكون ذلك النبي. وكان أمية يحفظ رحال الدين ويقرأ كتبهم ويفتش منها في أشعاره. وكان رحل أسفار وتجارة، كما كان يمدح بعض كبار القوم كعبد الله بن جدعان ويبارك عصيانهم ويدمهم على الخمر. وإن قيل إنه قد حرّمها بعد ذلك على نفسه. وأجمع المصادر على أنه مات كافرا حسدا منه وبغيا، بعد ما بلغه مبعث النبي محمد حتى ترك الطائف ورأى إلى اليمن ومعه بنته "لتتنصر تركهما هناك، وأخذ يجول في أرجاء الجزيرة ما بين اليمن والبحرين ومكة والشام وأنطاكية والطائف. وتذكر لنا الروايات مع ذلك أنه وفد على النبي مرات وهو لا يزال في أم القرى وسمع منه بعض سورة "يس" وأبدى تصديقه به مؤكدا لبعض سائله من المشركين أنه على الحق بيد أن حقده الدفين منعه من أن يعلن دخوله في الإسلام رسميا وبصورة نهائية رغم أنه، كما جاء في بعض الروايات، كان قد اعتزم أن يذهب إلى المدينة لتلقاء الرسول مرة أخرى وإعلان دخوله في الدين الجديد. لكن

[illegible] وأثار [illegible] حفيده علي محمد من خلال تذكيره بأنه قتل أقرباءه في بدر وزعمائهم في النسب. فقد ثار منه إلا أن عاد أدراجه بعد أن شق عليه ذلك وبكى وعفر وجهه مشفقا بصنيع جدهم. ثم يكشف بهذا، بل إن في هذا المقتطف وأحداثه الخواص المشتركين على الخير هم مصممًا بذلك إلى جنبه المشرك المؤنسة عند الإسلام. وصل فكره حتى في حقده على خلاف في نفسه التي مات فيها عام ثمانية مهجرة إلى المدينة منه قبل فتح مكة بعامين تقريبا، وهو الأرجح الشعراء النصرانية قبل الإسلام ط٢ دار المشرق بيروت ٢١٩ وما بعدها. وقد جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط٢ دار العلم للملايين ١٩٧٨م ٦ ٤١٨-٥٠٠. وبهجة عبد الغفور الحديثي أبيه من أبي لهب حياته وشعره مطبوعات وزارة الإعلام بغداد ١٩٧٥م ٤٦ قصيدة وله ترجمة في الصفات الشعراء، و الشعر والشعراء، و الأغاني وغيرها)

والأمية ديوان شعر يجمع فيه شعر الصحيح نسبة له بالشعر المنسوب به وغيره بالشعر الذي لا يبعث على الاطمئنان إلى أنه من نظمه. وهذا هو الأخير هو الغالب. وأكثر شعر أمية في مدائح الدينية تأثرا في الكتب ودلالته على ريبية فيه. ووصف الملائكة وعكوفهم على تسبيح ربهم والعمل على مرضاته، وحديثه عن اليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب، وحكاية لقصص الأنبياء مع أقوامهم. إلى جانب أشعاره في مديح عبد الله بن جدعان والفخر بنفسه وقبيلته وما إلى ذلك. وفي شعر أمية المنسوب إليه ما يقارب قدرا شديدا من القرآن الكريم معنى ولفظ وكانت وراء شاعر وضع القرآن بين يديه وجهد في نظم آياته شعرا.

ومن هذه الأشعار الشواهد التالية:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... فلا شيء أعلى منك جدًا وأفخر

ملكٌ على عرش السماء مهيمنٌ ... لعزته تعنو الجباه وتسجدُ
ملك السماوات الشداد وأرضها ... وليس بشيء فوقنا يستأودُ
تسبحه الطير الكواسر في الخفا ... وإذ هي في جو السماء تصعّدُ
ومن خوف ربي سبح الرعدُ حمده ... وسبحه الأشجار والوحش أُيّدُ
من الحقد نيران العداوة بيننا ... لأن قال ربي للملائكة: اسجدوا
لآدم لما كمّل الله خلقه ... فخرُّوا له طوعًا سجودا وكبّدوا
وقال عدوُّ الله للكبر والشقا: ... لطين على نار السموم فسوّدوا
فأخرجه العصيان من خير منزلٍ ... فذاك الذي في سالف الدهر يُحقدُ

* * *

ويوم موعدهم أن يُحشروا زُمرًا ... يوم التغابن إذ لا ينفع الحذرُ
موسقين مع الداعي كذي رجلٍ ... حرد رفيقه لربح ينتظرُ
وأبرزوا بصعيد مستوٍ جُرُزٍ ... وأُزلف العرش والميزان والزُّبرُ
وحوسبوا بالذي لم يُحصه أحدٌ ... منهم، وفي مثل ذاك اليوم مُعتبرُ
فمنهمو فرحٌ راضٍ بمعيشته ... وآخرون عصوا، ماواهم السقرُ
يقول خُزّانها: ما كان عندكمو؟ ... ألم يكن جاءكم من ربكم نُذُرُ؟
قالوا: بلى، فأطعنا سادةً بطروا ... وغرّنا طولُ هذا العيش والعُمُرُ
قالوا: امكثوا في عذاب الله، ما لكمو ... إلا السلاسل والأغلال والسُّعُرُ
فذاك محبسهم لا يبرحون به ... طول المقام، وإن ضجّوا وإن صبروا
وآخرون على الأعراف قد طمعوا ... بجنة حفّها الرُّمّان والخُضرُ
يُستقَوْن فيها بكأسٍ لذة أُنُف ... صفراء لا ترقبٌ فيها ولا سَكَرُ
مزاجها سلسبيلٌ ماؤها عَذِقٌ ... عذب المذاقة لا مِلْحٌ ولا كدرُ
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بصرُ
فاستخبر الناسَ عما أنت جاهلهُ ... إذا عميتَ، فقد يجلو العمى الخبرُ
كأينْ حللتَ فيهمو من أمّة ظلمتْ ... قد كان جاءهمو من قبلهم نُذُرُ
فصدّقوا بلقاء الله ربّكمو ... ولا يصدّنكم عن ذكره البطرُ

* * *

فـــ ولي، بي دعوتك في الـ ... ـــحر، فاصدع علىّ عـــمق
بـــي زارة الحديـــد علـــى الـــ ... ـــماس دروعًـــا ســـوابغ الأذيـــال
لا أرى مـــن يعينـــي في حياتـــي ... غـــير نفـــسي إلا بـــي إنـــزال

وقد ظنت طوائف المشركين ممن فقدوا رشدهم وحيائهم أن بمستطاعهم الإجلاب على الإسلام ورسوله وكتابه بالباطل فأخذوا يزعمون أن القرآن مسروق من شعر أمية بن أبي الصلت هذه الشبهات الواقع أن عددًا من كبار دارسي الأدب الجاهلي، من المستشرقين قبل العرب والمسلمين، قد رأوا عكس هذا الذي يزعمه المشركون، إذ قالوا بأن هذه الأشعار التي تُنسب لأمية مما يتشابه مع ما ورد في القرآن عن خلق الكون والسموات والأرض، وعن العالم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار، وعن الأنبياء السابقين وأقوامهم وما إلى ذلك، هي أشعار منحولة عليه. قال ذلك على سبيل المثال نولدكه وبروكلمان وبراون من المستشرقين، ود. طه حسين والشيخ محمد عرفة ود. عمر فروخ ود. شوقي ضيف ود. جواد علي وبهجة الحديثي من العلماء العرب، وإن كان من المستشرقين مع ذلك من يدعي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذ بعض قرآنه من شعر هذا المتحنف كالمستشرق الفرنسي كيمون هوار، ومنهم من قال إن الرسول وورقة قد استمدا كلاهما من مصدر واحد.

وإلى القارئ تفصيلا بهذا. فالمستشرق الألماني كارل بروكلمان يؤكد أن كثيرًا مما يُروى من شعر أمية هو في الواقع منحول عليه. فما عدا مرثيته في قتلى مشركي بدر، وأنه قد كان كيمون هوار المستشرق الفرنسي قد زعم أن شعره كان مصدرًا من مصادر القرآن. وإن الحق ما قال نولدكه من أن الأشعار التي نظر إليها هوار في اتهامه هذا هي نظمٌ جمع القصاص فيه ما استخرجه المفسرون من مواد لقصص القرآن. وأن هذه الأشعار لا بد

أن تكون قد نُحلت لأمية منذ عهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول للهجرة، فقد سماه الأصمعي "شعر الأحزة". كما أورد محمد بن داود الأنطاكي أن يفتتح القسم الثاني في الديباجات من كتابه "الزهرة" بأشعار أمية (كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، ط٤، دار المعارف، ١/ ١١٣). يريد بروكلمان أن يقول لولا أنه كان هناك شعر يدور حول الموضوعات الدينية التي ذكرها قبلا منسوب لأمية منذ ذلك الوقت لما أطلق عليه الأصمعي هذه التسمية ولما فكر الأنطاكي أن يورد له أشعارا دينية في كتابه المذكور. ويقول المستشرق براو كانت مدة "أمية بن أبي الصلت" بـ "الطبعة الأولى من "دائرة المعارف الإسلامية"، تعتمد على "فهم هوار للقرآن بأنه قد استمد بعض مواده من أشعار أمية، إن صحة القصائد المنسوبة هذا الشاعر أمر مشكوك فيه، فإنها شأن أشعار الجاهليين بوجه عام، وإن القول بأن محمدا قد اقتبس شيئا من قصائد أمية هو زعم بعيد الاحتمال ليست بسيطة، هو أن أمية كان على معرفة أوسع بالأساطير التي نحن بصددها، كما كانت أساطيره تختلف في تفصيلاتها عما ورد في القرآن. ثم أضاف أنه، وإن استبعد أن يكون أمية قد اقتبس شيئا من القرآن، لا يرى ذلك أمرا مستحيلا. وهو يعلل تشابه بين أشعار أمية وما جاء في القرآن الكريم بالقول بأنه قد انتشرت في أيام البعثة وقبلها بقليل بدعات فكرية شبيهة بآراء الحنفاء ستهوت الكثيرين من أهل المدن كمكة والطائف، وغذتها وشغفتها كلٌ من تفاسير اليهود للتوراة وأساطير المسلمين. ثم يخلص براو مما توصل إليه نولدكه من أنه ليس في قصائد أمية الدينية ما هو صحيح النسبة إليه، وأن هذا اللون من شعره هو من نحل المفسرين (دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية/ ٤ ٤٦٣-٤٦٤).

وعند طه حسين أن هذا الشعر الذي يضاف إلى أمية بن أبي الصلت وإلى غيره من المتحنفين الذين عاصروا النبي ﷺ وحاولوا قبله إن لم نقل بعده أن يخلفوه المسلمون يشتركون للإسلام قديمة وسابقة في البلاد العربية (في الأدب الجاهلي، دار المعارف، ١٩٥٨م، ١٤٥) ويرى الشيخ محمد عرفة أنه لو كانت هناك مشابهة فعلا بين شعر أمية والقرآن الكريم لقال المشركون حين تحداهم الرسول بأن يأتوا بآية من مثله، إن أمية قد سبق أن قال في شعره ما أورده هو في القرآن زعما أنه من عند الله، لكنهم لم يقولوا هذا، بل اتهموه بأنه إنما يتعلمه عند أعجمي في مكة، كذلك يؤكد أن شعر أمية لا يشبه في نسيجه شعر الجاهلية الفوي المحكم، بل هو شعر بين الصنعة والضعف على غرار شعر الطرماحين، ومن هنا كان هذا الشعر المنسوب لذلك المتحنف الطائفي هو شعر مشكوك فيه ومنسوب زورا إليه (من تعليق الشيخ محمد عرفة على مادة "أمية بن أبي الصلت" في "دائرة المعارف الإسلامية"/ ٤/ ٤٦٥).

أما د. عمر فروخ فيؤكد أن القسم الأوفر من شعر أمية قد ضاع، وأنه لم يثبت له على سبيل القطع سوى قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين، ومثل هذا يؤكد أن كثيرا من الشعر الديني المنسوب لذلك الشاعر هو شعر صحيح النسبة لا يوثق به (د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط٥، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ١/ ٢١٧-٢١٨) ويرى د. شوقي ضيف أن المعاني التي يتضمنها شعر أمية مستمدة من القرآن مصورة وصحيحة، إلا أنه لا يرتب على ذلك أن يكون أمية قد تأثر بالقرآن، بل يؤكد أن الشعر الذي يحمل اسمه هو شعر ركيك مصنوع نظمه بعض القصاص والوعاظ في عصور متأخرة عن الجاهلية، وردّ على دعوى هوار بأن القرآن قد استمد بعض مادته من أشعار أمية يقول الأستاذ الدكتور إن ذلك المستشرق لا علم

له بالعربية وأساليب جاهليين. ولا نتبين له أنها أشعار منحولة بيّنة النحل. وقد وقع في هذا الحكم الخاص (د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، ط١٠ دار المعارف/ ٣٩٥- ٣٩٦).

ويؤكد د. حسين علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب" أن بعض أشعار أمية الدينية مدسوسة عليه، ومن ثمّ لا يمكن أن يكون أمية قد اقتبس شيئاً من القرآن، ولا لقاه نبي عليه الصلاة والسلام وسمعه يقصه. وعلى هذا فهو أيضاً يرى أن شعره الذي يوافق فيه القرآن إنما صُنع بعد الإسلام صنعاً لأنه ليس موجوداً في التوراة ولا في الإنجيل ولا غيرهما من الكتب الدينية، لنبهم إلا القرآن الكريم، وأن أكثره قد وُضع في عهد الحجاج تقرباً إليه. وخاصة أن شعره الديني يختلف عن شعره الماجن والزهدي وغيره، بل يقترب من أسلوب الفقهاء والمتصوفة وأشباه القصاص. كما تكررت إشارات المؤلف إلى أن هذا الشعر أو ذاك مما يُغري به قد نُسب لغيره من الشعراء. ثم إنه قد مدح الرسول عليه السلام، كما أن في الشعر المنسوب له ما يدل على أنه قد آمن به. فكيف يتسق هذا مع رثائه لقتلى بدر من المشركين؟ (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٤٩١- ٤٩٦).

أما بهجة عبد الغفور الحديثي فيرى أن شعر أمية الديني إلى قسمين: قسم يظهر عليه أثر الحنفية وكتب اليهود والنصارى، وقسم يظهر عليه أثر القرآن. وهو يميل إلى أن يكون القسم الأول له كما يظهر من أسلوبه ومعانيه. أما الثاني فمشكوك عليه بسبب ما يبدو عليه من ركاكة لغته وضعف صياغته، ومن أسلوبه المستمد من القرآن (أمية بن أبي الصلت- حياته وشعره/ ١٢٧).

وقد بحثت عن طريق مشكاة (السنّة) في كتب الأحاديث النبوية الشريفة عن روايات تذكر شيئاً من شعر أمية فلم أجد إلا ثلاثة أبيات له في مسند

أحد يتحدث فيها عن الشمس وعرش الله مما لم يأت شيء منه في القرآن، وأن الرسول عليه السلام قد صدّقه فيها، وهذا نصها:

رحلٌ وتورٌ نحت رحلي تجبه ... والسير للبرى، وليثٌ مرصدُ
والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتوردُ
أنى فلا تبدو لـ ل رسلها ... إلا معذبة وإلا تخلدُ

كما جاء أيضا في مُسْنَدِ بن ماجة وأحمد أن الشريد بن الصامت قد أنشد النبيَّ ذات مرة مائة بيت من شعر أمية، وكان كلما انتهى من بيت قال النبي عليه الصلاة والسلام "هيه"، يستحثه على الاستمرار في الإنشاد، ثم عقّب صلى الله عليه وسلم في النهاية قائلا "كاد أن يُسلم". وفي رواية أخرى في مسند أحمد أن النبي لم يعلّق في نهاية الإنشاد بشيء، بل سكت فسكت الشريد بدوره. وهذا كل ما هنالك، فلم نعرف من الحديث ما هي الأبيات التي أنشدها الصحابي الكريم على مسامع رسول الله، ولا مدى مشابهتها للقرآن. على أن هنا نقطة لا بد من تجليتها قبل الانتقال إلى شيء آخر، وهو أن الصحابي الجليل قد قصد عدد مائة تحديدا، فليس من المعقول أنه كان يعدّ الأبيات التي كان ينشدها على مسامع النبي أولاً بأول وهو يتوهد. ذلك أمر غير متخيّل، والأرجح في الموضوع الذي لا أستطيع أن أفكر في غيره أنه أراد الإشارة إلى أنه قد أنشد سيّد الأنبياء عددا غير قليل من الأبيات.

كذلك رجعتُ إلى تخريجات القصائد المشابهة للقرآن الكريم التي قام بها بهجة الحديثي في رسالته عن أمية، فلفت انتباهي أن هذه القصائد، أو على الأقل الأبيات التي يوجد فيها ذلك التشابه، لم ترد في أيٍّ من كتب الأدب واللغة والتاريخ والتفسير المعتبرة ككتاب "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي، أو "طبقات الشعراء" لابن سلام، أو "الشعر والشعراء" لابن قتيبة،

و الأعلى للأصفهاني، و تاريخ الرسل والملوك أو جامع البيان في تفسير القرآن للطبري مثلا بل بل كثير من هذه الأشعار لم ترد في صحة ديوان الأولى، فضلا عن أن بعضها قد نسب في ذات الوقت إلى غيره من الشعراء. ونقطة أخرى مهمة جدا لم يشر عليها المتقدمون قصية المشابه بين شعر أمية والقرآن الكريم لاستشاء محمد بن داود الأنطاكي، الذي كان يرد، فيما يبدو، على من اتهم القرآن بالأخذ عن أمية بأن ذلك غير صحيح لأنه عليه السلام لا يمكن أن يستعين في كتابه بشعر رجل أقر بنبوته وصدق بدعوته، وأنه لو كان صحيحا زعم ذلك لتسارع أمية إلى اتهام الرسول بالسرقة من شعره، وبذلك تسقط دعوته صلى الله عليه وسلم بأيسر مجهود وأقله؟ (الزهرة تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. نوري حمودي القيسي ط٢ مكتبة المنار الزرقاء ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ٢ ٥٠٣).

لقد كان ابن داود الأنطاكي من أهل القرن الثالث الهجري، في حين أن صاحب الأغاني قد جاء بعده بقرن، فكيف فصل المتقدم وشك المتأخر، أو فسفل كيف أورد المتقدم الشعر المنسوب لأمية، بينما لم يورده الأصفهاني، الذي جاء بعده بقرن كما قلنا؟ والأحرى أن يكون الوضع بالعكس حيث يكون المتقدم أقرب زمنا إلى صاحب الشعر فيستطيع من ثم أن يحسم الحكم في مسألة نسبة الشعر إليه. على الأقل قبل تراكم الروايات وازدياد صعوبة عزلها وصدار حكم بشأنها. بيد أن مثل هذا الوضع لا يعزله فيه. فعندما مثلا ابن إسحاق وابن هشام اللذان اشترك في كتابة السيرة رسول الله" تأليفا بالنسبة لابن إسحاق، ومراجعة وتعليقا وتنقيحا بالنسبة لابن هشام. وجاء الأول قبل الثاني بزمن غير قصير كما هو معروف. ومع هذا، يتبع ابن هشام تأخر زمنه عن عصر في السيرة التي كتبها سلفه وجاءت قلمه فيما يرى أنه لا بد من تغييره أو تصحيحه أو التعليق عليه بما يرى أنه

نصوص أو الأقرب للحق . فمثلا فعل عندما أنكر على ابن إسحاق مثلا
بيت امرئ القيس وغيره . حتى لأقول من قرش ذلك فمن قال بأن أهل
مكة لا يعرفون هذا الشعر أصلا أو يشكون في نسبته إليهم من شعر
ومسألة هذا هي مسألة اختلاف في شخصية بحت ما بين متعصب يقبل ما
يرون به ومتفلسف لا يقبل إلا بعد تمحيص وتشكيك . وهكذا ومعروف أن
ابن سلام وابن قتيبة وأبا الفرج الأصفهاني هم من النقاد ومؤرخي الأدب
المشهود لهم بالتمحيص والتثبت وعدم قبول أي شيء على علاته .
فمثلا لا يريد ما فعله ابن داود الأصفهاني في كتابه الزهرة عن جمع الأشعار
ونسبتها . إلا حين يعثر بكلمة هنا أو هناك تدور عادة على شرح لغته
صعبة أو تحليل حاسم من حروب حادثة الخ التي ألف كتابه عنها . بل
هذا كله من شأنه أن يعضد القول الذي سمعته كثيرا درسي الأدب العربي
من مستشرقين وعرب يرددونه من أن القصائد التي تتشابه مع الفرق من
الشعر المنسوب لأمية هي في الواقع قصائد منحولة . ولقد بقيت هذه
الكلمات في ما أحسست به عند مراجعتي لديوان أمية مؤخرا من أني لا
أستطيع أن أذكر قارئي لأي من هذه الأشعار في الكتب التي وضعت بعد
ذلك . وهذا هو نفسه الذي قد سبقني لاستعراب أثناء مطالعتي
لذلك النوع من قصائد أمية حين فكرت في الكتابة عن هذه القصيدة بالرغم
من كثرة ما قرأت عن الرجل من قبل في الأغاني أو صفات الشعراء
والشعر والشعراء مثلا . وكذلك في كتب تاريخ الأدب العربي التي أحبها
الباحثون المعاصرون ممن تكلموا في هذه القضية . لكنهم لم يوردوا شيئا من
الأشعار محل الخلاف ومناقشة مكتفين بالكلام النظري فيها . ولعل أكثر
الانطباع الذي شعرت به عند قراءة تلك الأشعار هو أنها أقرب إلى النظم
الذي وضع صاحبه أمام عينيه آيات القرآن الكريم وأخذ يجتهد في تضمينها

ما يضع من أبيات، فالكلام مهلهل وغير متين، وفيه فجوات يتعذر معها ما يكتمل لنسبك أي طريقة وسلاسة، على عكس شعر أمية في رثاء قتلى مشركي مكة مثلا أو مدائحه لعبد الله بن جدعان، وعلى كل لقبول أي وجه لمقارنة هذا الشعر بأسلوب القرآن وما يتسم به من فخامة وجلال وشدة أسر وسحر يشد إلى القلوب شدا عجيبا قاهرا، وهو ما يجعل القول بتأثر شعر أمية بالقرآن لا لعكس هو ما يمليه المنطق وتنهض له العقول والبصائر إذا صحت نسبة هذه الأشعار له. ومع ذلك كله فلسوف أسلك طريق الصعب وأفترض أن تلك الأشعار محل الخلاف هي أشعار صحيحة قد أمية فعلا، وأن الأحداث التي وقفت عند هذه القصائد هي بالفعل أحداث صحيحة وقعت هي أيضا.

ولكن لو تتبعت أهم الأحداث في حياة المصطفى وأمية لم يتصل بهذه القصة قصدا أحد؟ أو كل شيء أو شاعر كان، كما جاء في الروايات التي تحدثت عنه، يتوقع أن يكون هو النبي المنتظر، وأنه حين علم أن النبوة تدور به لم يستطع صبرا على نفسه فانطلق على مقربة من الرجل الذي كان حكم القدر أن ينزل عليه وحي السماء، فأخذ ينتبه ويهرب إلى اليمن ويعتنق ذلك أنه هو الذي كان متعولا لمحمد لا لعكس. وهذا أحرى أن يجعله متنبها لكل ما يتعلق بمحمد، وحتى إنه القرآن، الذي كان يتنبأ عنه ليترصد بل يتوقع أن يكون هو النبي الذي يتلقاه ويسمعه ليتأكد من حرصه منه على الشهرة والسمعة والمكانة بين قومه، جاهلا في عمرة حماقته وحسده الأسود بعقيدة أن سحره ونفثه أعمى حيث يجعل رسالته من المصطفى حقا، كما أوحى، القول بأنه لم يستطع أن يتحامل الرسول رغم حقده، بل قل بسبب حقده من عدم خبرة هو سبب الشعراء، وأنه كان يتصيد الأبيات والمشاهد التي تنزل على الرسول ويضعها نصب عينه وهو

قلبه وإخلاصه ما دام يرى أنه على الحق كما يشير إلى ذلك الشعر الذي يتحدث فيه، قبل البعثة النبوية، عن حاجة البلاد التي يأخذ بيدها في طريق الهداية، وكذلك القصيدة التي قالها في مدحه عليه الصلاة والسلام والتي سوف نأتي به بعد. خصّه النعيس، لم يحرم أمره، وظل متردداً يقترب منه حيناً بعد حين من الدين الجديد، لكنه سرعان ما تثور به عقارب الحقد فيبتعد عنه. بل إن أفضل الخبر في سيرة قوية بعض الشيء من بيانات يقتضيه الخلقية والروحية سعى إسلامه رسمياً، فوقفت قريش في طريقه وأخبرته بأن المسلمين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة وغيرهما من رجالات الصف ممن كانوا يمثلون إليه بوشيجة القربى. فما كان منه إلا أن لوى عنان فرسه مبتعداً عن طريق النور والسعادة حاكماً بذلك على نفسه بؤس المصير في الأبد، وهو ما يبدو واضحاً جلياً على أنه لم يحرم أمره يوماً. وهذه هي سلوكيته ترتسم مع نفسه. فأين حكمة هذا الذي ما العلم فيه من نصيبه منه لا يجرح، فيبدو هو واضح، على مثال المتصوفين والقصص من كتب الأمم السابقة بل شعراء الجاهلية الذين الأصنام حولهم، فهو إذن كالحمار يحمل أسفاراً. وإذا اعتمدنا ما يستفاد منه في الصحيح حول الذين كان يؤمن به في أعماق نفسه، فتضل عنه الأخبار إلى درجة أنه ظن الذين آمنوا وأخذهم حين مصطفون بهم بل هم أحب إليه من أخت إبنه عند الوحيد. وإذا فشل حبه عليهم وبكى وحدج بنظره كما كان يفعل أهل الجاهلية جهلاء حسبما ذكرت كتب السيرة وتاريخ الأدب إذا جاء على المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٦: ٤٢٩). وهو الذي عاد صحيح أدمعته من قبل بحديث عن حسنيه؟ وشتان بين موقفه هذا وموقف النبي عليه السلام حين أسف وخشي فعل عمه بعده وأحب لو أرضع حمزة بن عبد المطلب، وكذلك هذا أكثر الأكيد رمزية، مقتله الشهيد رضي الله عنه. لقد قبلهما النبي في

دينه . وكأن شيئا لم يكن . رغم خروج الثائر الذي حقق موت سيد الشهداء في قلبه ، ودلك نزولا على مشيئة المعجبين الذين يرون أن الإسلام يحتاج في قيمه أو عقائده ، بقدر ما هو بالدعوة إلى ما كان يؤمن به (حسبما نقرأ في الشعر المنسوب إليه) ، ولو في أضيق نطاق بين قومه في الطائف فقط ما دام دعاء مسوغا سهلا إلى هذا الحد كما فعل محمد . الذي لم يكن قارئا كاتبا متعلما؟ فتصور وقارن بنفسك الفرق بين البؤس والحسد الذي يأكل قلب صاحبه أكلا فلا يتركه يهنأ بحياته أبدا!

أما المحطة الثانية التي نحب أن نقف عندها فهي دهشة رسول الله في الطائف حين شعر أن مكة تستعصي على دعوته بعد عريب ما عدا نفسه التي دخلت في دعوته رغم التعذيب والعنف الشديد والأذى المتواصل . فحسب أن الطائف قد تكون أحسن استقبالا لدينه الجديد . لكن أهلها للأسف لم يكونوا أفضل حالا من قومه في مكة . فرأى أن كل أمله قد سوف يضيع إلى الأبد ، فتوجه إلى ثقيف موضوعة التي تفرد بها في ثالث كتاب نفسي الأعماق والعبقريات في كثير من الأحيان . ومن ثم أخذ محمد يعض أنامله من شعوره . أكان يفكر مجرد تفكير في الشعر إلى حد ذلك الشاعر معوضا نفسه بسحرية والإلهام من جانب آلهته بدلا من إقناعه عبثا ودخوله في دينه؟ إنه لمن الكاستحيل من الوجهة البشرية كما جاء في أمثال العرب ، أو كمن أخذ كحذائه فأعدها كما يقول مثل الشعبي! وما يكن الرسول يوما بالشخص الذي يمكن أن يقع في مثل هذا التصرف الأحمق المعجب . بل لم يتهمه أحد من أشد أعدائه شيء من ذلك قطعا ثم سنعتذر من بعد هذا أنه قد أنكر هذا التصرف الأحمق (واستغفر الله العظيم على هذا التعبير الذي فارقه الأدب في غاية السماحة مع الأعمى الذي هو قلوب الكل لا يعقلون بها ، وهم أعين الكل لا يبصرون بها ، وهم آذان الكل لا يسمعون بها!) . فكيف

فات المتكلمين الأمرُ فلم يجبهوه وبجهوه بهذه السرقة التي كانت كفيلة بفضحه فهبر الدعوة التي أتى بها بدلا من إغرائهم صيانهم وعبدهم وسفهاءهم مطاردته بالحجارة في شوارع المدينة حتى أخرجوه منها مستهجنين تصرفهم وحتى هند ما توجه بقصيدة تعريبية أو سخرية لقاصيه بكل عنف أو قذف، واضطروه إلى الهجرة إلى الحبشة وظنّ أن رحلته حيث قليل هناك حاجتهم عند ما. لذي قاله له الفقر من الكعب يتقوّت به ويتبرّل عن نفسه التعب، ثم أقبل عليه في حب ورحلان حين رآه يسعى إليه بضعه وعرف شبئا من ذيه على ما هو معروف بقارئي السيرة النبوية؟

ثم هناك قدوم أمية على النبي ومدحه إياه بقصيدة قرّه فيها على دعوته ويثني عليه ويصدق به ويسلم أن ذلك كان بتأثير الأسئلة التي من أجلها أتى كتب سرجاه به من جوه. إذ لا بد أن يثور في أذهانهم تساؤل عن سبب ذلك الذي جمعه من الإثنين محمد ما دام يردد ما يقوله هذا ويتضمّن شعره بعض ما جاء في قرآنه أقول هذا رغم أن في نفسي من صحة هذه القصيدة شيئا من الأسباب التي سأذكرها من قوري، لكني أبقيه على الشرط الذي وضعته حين بدأت أتكلم عن أشعار أمية التي تشبه القرآن الكريم لا بد أن نضع بعين الاعتبار التي صاحبت حسبما أوردته الروايات على أية حال هناك أورد الجزء الذي أثبت القصيدة أولا، ثم نعقب فيها بعد ذلك:

ست حمد والمجد رب بعد	د أنت ملكك وأنت أحكم
ودنا دين ربك حين أنفى	وحنفا أهوى والصلحم
محمدا أرسله بالهدى	فعاش عفيا ولم يهضم
عطاء من الله أعطيته	وحصن به الله أهل الحرم
وقد علموا أنه حوهم	وفي بيتهم ذي الندى والكرم
نبي هدى صادق طيب	رحيم رءوف بوصل الرحم

...	...
...	...
...	...
...	...
...	...
...	...

(أمية بن أبي الصلت - حياته وشعره، لنهجة عبد الغفور الحديثي ٢٦٠- ٢٦٤).

وقد رفض د. حواد على هذه القصيدة على أساس أن ما فيها من بعض قوى النبي ودينه يتناقض مع ما عرفه من تردد أمية بالنسبة للإسلام وتصر قلبه على الإيمان العميق، وأنه يشير فيها إلى وفاة الرسول التي لم تقع إلا بعد موت أمية أولا (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/ ٤٩٧- ٤٩٨) لكن بهجة الحديثي لا تشك في القصيدة، بل يرى أنها تمثل حضرة من حضرات التي كانت تنتاب أمية. فالمعروف أنه لم يكفر بالرسول تكذيبا له وحسدا، وإنما كان في داخيلة نفسه مقتنعا بما جاء به، بل همّ أن يعلن إسلامه فعلا كما أن الأخبار تشير إلى أنه كان يعيش في الطور الثالث فحسب. وقد أكد أنها موجودة في شعره وخصوصا عند أهل حضرة به (أمية بن أبي الصلت ٧٨- ٧٩). وحتى لو جعلنا الأخيرة لكان يكون المقطع الوحيد الذي نشعر من المقطع بأن هذه القصيدة إنما هي قد يدور مقطع فهي تتحدث عن خاتم النبوة لمحمد عليه السلام، وهي قصة لم تكن قد ظهرت بعد، لأن القصيدة لا بد أن تكون قد سبقت عروة بن مسعود في حر تقدير حيث حسم أمية أمره بعد ذلك بعروة وشق جيوبه وعفر ناقته وراح يهاب عن الدخول في الإسلام. على حين أن الإشارة إلى أن نبوة محمد هي خاتمة النبوات قد وردت في سورة "الأحزاب" التي نزلت بعد ذلك بزمن طويل على ما هو معروف. أما ما جاء في القصيدة من ذكر موت النبي فلا

قد نسب داود الأنطاكي[1] تلك هي المعصمة. إلا أننا لو سنحصره في مقدار أن كسر مؤرخي الأدب وقاده في تلك الفترة، وهم العلماء الذين شغلتهم قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وانحصره كل سلاح وأن قضية واحد وأنى لفرح وأن هناك، لم يزيدوا شيئ من هذا الشعر لأمية، لوجدنا أنهم جعلت المعصمة التي تستعصي على خل وأي ما يكن الأمر فكما قلنا إن من يريد من أن يقبل نسبة الأشعار محل الدراسة لأمية فلا بد أن يقبل معها الأحداث المصاحبة لها في الروايات التي أوردتها لنا.

وما تقوله الروايات عن نبي وأمية أيضا ذلك اللقاء الذي تم بينه صلى الله عليه وسلم وفرعة أخت الشاعر حينما جاءته عند دخوله المدينة في السنة التاسعة للهجرة؛ وحكت له قصة أخيها وأنشدته من شعره بيتا على ضيه. وما علق به عليه السلام قائلا "يا فرعة، إن مثل أخيك كمثل من آتاه الله آياته فانسلخ منها" (ابن حجر الإصابة في معرفة الصحابة مطبعة مصطفى محمد، القاهرة ١٩٣٩م، ٤: ٣٦٣. والاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة ١٩٣٩م، ٤: ٣٧٩) هل يعقل أنه صلى الله عليه وسلم يسعى إلى فتح مقت أمية ويقول فيه هذه الكلمة القارصة، وعلى مسمع من أخته، وفي أشد اللحظات على أهل الطائف وطأة لأنها خطة لكسر ظهره. لو كان قد سمعنا شيئا من قوله من شعر الرحل[2] به في هذه الحالة كمن يمد يده في جحر الثعابين والعقارب معرضا نفسه لخطر هلاك لم نحن دونما أدنى دليل، ومعاذ الله محمدي أن يقوله عليه السلام ما ينتظره من حظ فيقدم على التصرف مثل هذا تهورا ونفس شيء بقوله عن موقفه من الشريد من الصحابة؛ بل هذا يشجعه صلى الله عليه وسلم على الاستمرار في إنشاد الشعر الذي من شأنه أن يفضح دعواه لو كان أمية قد قاله فعلا قبل القرآن. واستمد هو قوله

منه؟ بل لماذا ينشد سويد أمامه شعر أمية أصلا لو كان متطابقا مع القرآن هذا التصديق الذي يدل على استمداده منه؟ بل كيف لم يتبه هذا التشابه وهو يحتج على الأقل ضميره بالشكوك والوساوس؟ ونفترض بعد ذلك كله أنه صلى الله عليه وسلم قد أقدم على هذا التصرف الخاطئ في الحالين، فكيف لم يصدر عن الطرف الآخر أي شيء يُلمح إلى أسبقية شعر أمية على القرآن أو حتى إلى مجرد المشابهة بين النصين ولو على سبيل فلتات اللسان؟

وعندنا من المقصين، غير قارعة أحت شاعرنا، كنانة بن عبد ياليل، وكان رئيس ثقيف في زمانه، واشترك مع أبي عامر الراهب العدو اللدود للإسلام في التآمر على الدين الجديد وصاحبه، ولم يتركا سبيلا إلا وسلكاه لبلوغ هذه الغاية حتى إنهما ذهبا إلى قيصر للاستعانة به ضد الإسلام وما فشلا بقي أبو عامر في الشام، وعاد ابن عبد ياليل بعد تطواف هنا وهناك وأعلن إسلامه ويقال إنه كان من بين المرتدين، ثم رجع إلى الإسلام مرة أخرى. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن لو كان الرسول قد أخذ شيئا من شعر أمية هو: كيف سكت مثلُ كنانة فلم يتخذ من هذا الأمر سلاحا يوجهه إلى قلب الإسلام في مقتل فيريح نفسه وقومه والعرب جميعا من هذا البلاء الذي أرقهم وأرعبهم بدلا من التضرب في الآفاق والاستعانة بمن يساوي ومن لا يساوي؟ أليس هذا هو ما كان ينبغي أن يمليه المنطق على مثل ذلك الزعيم القبلي؟ لكنه لم يفعل. فعلام يدل هذا؟ أيعقل أن يكون بيده ذلك السلاح الحاسم ولا يفكر في استخدامه على طول ما حارب الإسلام وكثرة من تآمر ضده؟ (ابن حجر/ الإصابة في معرفة الصحابة/ ٢/ ٤٩٦، و٣/ ٣٠٥).

وكان عروة بن مسعود الثقفي قد بكّر بالدخول في الإسلام قبل قومه بزمن، فأراد من حبه لهم أن يهديهم الله على يديه، فاستأذن الرسولَ عليه

لسلام أن يأتيهم فيدعوهم إلى الدخول في دين التوحيد، لكنه صلى الله عليه وسلم حذره من أنهم سيقتلونه إلا أنه لم يكن يتصور أنهم يمكن أن يعتدوا ويتآمروا عليه عندما علم أنهم يحبونه ويكرمونه أشد الإكرام. فعاود الاستفسار، والرسول يحذره، ثم أذن له في النهاية بالذهاب إليهم ويقص مصير الذي حاول الرسول أن يحميه إياه. إذ ما إن بدأ يدعوهم إلى الإسلام حتى جمعوا إليه من كل جانب ورموه بالنبل فقتلوه، رضي الله عنه (أبو نعيم الأصفهاني: دلائل النبوة، ص٢٠٠، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٠م، ٤٦٧) أرأيتم لو كان الرسول قد أخذ قراره من أمية أن يطالب أهل الطائف التي صار يتعصبون لها على الإسلام في وقت متأخر، أكان عروة يدخل في دينه بمجرد قومه بهذه البساطة؟ بل كان الرسول يرضى أن يذهب إليهم هذا المدعو الذي لا يفكر في العواقب، ومعروف أن أول ما سيجيبونه به هو أن يقولوا إن الرسول الذي ندعوه إلى الإيمان به ليس سوى سارق الشعر شاعرنا، أخذه وزعم أنه قرآن يوحى إليه من السماء؟ وحتى لو لم يفكر أي منهم في تلك النتيجة التي لا يمكن أن يتجه الذهن إلى أي شيء غيرها، أكانت الطبيعة تدع تلك الفرصة السانحة دون أن تنهكه بعروة على عقله وتجعله يقوم على هذه النصوص الشعرية من الشعراء الآخرين والزعم بأنه وحي من عند رب العالمين؟

وهناك أيضا من مشاهير المثقفين الشاعر أبو محجن، الذي كان مدمن الشراب، وكان يتأرجح بين عشقه لتلك الخمر وتحريمه الديني، وإن كان استمتع اللعبة في بداية أمره حتى لقد حُدَّ فيها مرارا، ونفاه عمر إلى إحدى الجزر إلى أن جاءت حرب القادسية، وقصته فيها معروفة، إذ كان سعد في القيد في بيت سعد بن أبي وقاص (قائد المسلمين في تلك المعركة) بسبب الخمر فتضرع لزوجة سعد أن تطلق سراحه، فأخذ يتبختر على مرأى سعد

من وراء روحها أن تحل وثاقه كي يستطيع المشاركة في الجهاد في سبيل الله. وقد عاهد عليه الله أن يعود من تلقاء نفسه بعد المعركة فيضع رجليه في القيد كرة ثانية، حتى تخمد في إقدامها وصلفه فحارب وأبلى في الحرب بلاء حسنا وانتصر المسلمون. فكان عند كلمته وعاد فوضع رجليه في القيد. ثم أعلن توبته النهائية عن أم الخلاص بعد أن أبدى سعد إعجابه به ووعده أنه لن يجده أبدا. إذ صرح قائلا إنه يستطيع الآن أن يقنع عنها دون خوف من أن يقول أحد عنه إنه تركها خشية العقاب. ولا يزال ديوانه يمثل بالأشعار التي يتغزل فيها في بنت الكرام متمردا على تحريمها في دين محمد. بل إنه كان أحد الذين دافعوا عن الطائف أثناء حصار المسلمين لها عقب فتح مكة. وأصاب سهمه فيها ابنا لأبي بكر (الزركلي الأعلام/ ط٣/ ٥/ ٢٤٣. ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٢/ ٥٩٧- ٥٩٨. وديوان الشاعر. وبهجة عبد الغفور حديثي أمية بن أبي الصلت، ٤٢- ٤٣).

والسؤال هنا أيضا كيف لم يتحدث مثل هذا الشاعر عن استعانة الرسول بشعر ابن قبيلته ولو في نوبة من نوبات نهتكه وتمرده على تحريمه الإسلام لصرام لأم الخبائث. أو في شعره قبل دخوله في الإسلام؟

ثم لدينا من التفسير أيضا الحجاج بن يوسف، الذي كان معلما للقرآن في بداية حياته كأنه لا يعني لذلك شيئا، بل احتسابا عند الله، ثم أصبح فيما بعد أحد عمال بني أمية الكبار. وهو الذي أدخل على نظام الكتابة العربية المزيد من الإتقان والضبط. إذ عهد إلى نصر بن عاصم بوضع خط، أي وضع النقاط لتمييز بين الأحرف المتشابهة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء... مما مزيد من الدقة والتسهيل في قراءة القرآن، الذي يدعي بعض الرقعاء أنه مقتبس في بعض مواضعه من شعر أمية كما كان، رغم كل ما قيل عن فساد أيام ولايته على العراق، من المدونين

على قراءة القرآن. وكذلك كان يشجع بكل وسيلة على حفظه، ويُدْنِي منه حُفّاظه (أحمد صدقي الدجاني: الحجاج بن يوسف الثقفي- حياته وأبناؤه السياسية، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م، ٨٦- ٨٧، ٩٦، ٤٧٤، ٤٧٧- ٤٧٨، وهزاع بن عيد الشمّري: الحجاج بن يوسف الثقفي- وجه حضاري في تاريخ الإسلام، دار أمية، الرياض، ٤٤). ولكن ألا يحق لنا أن نتساءل: ما الذي جعل الحجاج يتحمس لدين محمد كل هذا التحمس؟ هل كان هناك ولو ذرة واحدة من الشك تخيم حول مصدر هذا الكتاب، وخاصة أن المصدر في هذه الحالة لن يكون شيئا آخر غير شعر القبيلة التي ينتمي هو إليها؟ لا ليس من قبيلته فقط، بل هو في حالة جده الرابع لأمه معتب بن مالك (انظر في ذلك: الحجاج بن يوسف الثقفي- وجه حضاري في تاريخ الإسلام، هزاع بن عيد الشمّري، ١٥). ولا يظنّ أحد أن شعر أمية لم يكن يهم الحجاج لانشغاله بالسياسة وما يتصل بها، فقد رُوِي عنه قوله: "ذهب قوم يعرفون شعر أمية. وكذلك اندرس الكلام" (د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٤٨٣). إني لا أعرف نصوص الشعر والأدب التي تتبع مذهب من يخصونها وهي قضية مهمة جدا، إلا وهي أن شعر أمية قد ضاع، على أقلّ تقدير، جانبٌ كبير منه قبل الحجاج، فكيف وصل إلينا كل هذا الشعر الذي يشابه القرآن؟ هل كان واحد من أقرب من تصدوا له ربما لديه يشكو من ضياعه على هذا النحو؟

والأهم من ذلك كله دلالة على ما نريد من أن القضية التي يثيرها المتعاونون الجهّال من المشرين ومن لفّ لفّهم من أبناء المسلمين الذين ختم الله على قلوبهم وعقولهم وأعينهم، فهم لا يفكرون ولا يستمعون إلا لكل معترض ممن يريد أن يقضي عليهم وعلى أمتهم، إنما هي زوبعة في كأس

لا أكثر. أن الفرعة أخت أمية. وأبناء تقاسم وأمية وربيعة ووهنا، قد دخلوا مع ثقيف كلهم في الإسلام، وكان تقاسم وأمية وربيعة يقولون الشعر، ولم يؤثر عن أي منهم ولا من غيرهم ممن كان يمت بصلة نسب إلى أمية أية كلمة تومئ مجرد إيماء إلى أن الرسول يمكن (يمكن فقط) أن يكون قد استفاد من شعر ذلك الشاعر على أي نحو من الأنحاء، ودعك من أن مجرد عناقهم الإسلام هو في حد ذاته برهان على تكذيبهم لأبيهم وتخييرهم إلى محمد، وهو ما ينقض ما يهرف به الأعبياء المحاقرون حقدًا على دين محمد من أن القرآن هو في بعض جوانبه اقتباس من شعر متحنف الطائف. كما أن كثيرًا من العرب قد ارتدّ بعد وفاة صلى الله عليه وسلم، وكان لكل قبيلة تعلاتها المسحيفة التي تحاول أن تسوّغ بها هذه الردة، لكننا لم نسمع قط أن أحدًا ممن ارتدّ قد فتح هذا الموضوع مثل بني قبيلة ثقيف قد همّت بالارتداد، لولا أن عثمان بن العاص كرّ بهم لإقناعهم على مثل ذلك التصرف الذي لا يليق، فما كان منهم إلا أن فاؤوا إلى رشدهم ولم يعودوا إليه، بل كان منهم كثيرون حرسوا الرسول بكل إخلاص. وهنا أيضًا لم نسمع أية دمة حول الاستفادة المحمدية المزعومة من شعر أمية! أليس ذلك فحسب، فهناك، كما أشار د. جواد علي (في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ٦: ٤٩٣)، يوحنا الدمشقي مثلا، وهو من أوائل من كتب من النصارى مهجمًا الإسلام، وكان معاصرًا للدولة بني أمية. أفلو كان هذه الشبهة أيّ صلة من الحقيقة مهما طوّل، لكان هذا الراهب المتعصب على الإسلام، والذي يريد أن يهدمه على رؤوس أصحابه ويشتت بكل وسيلة أن محمدًا لم يكن نبيًّا صادقًا، يُغمت تلك النسخة المعنية ويسكت فلا يستخدم هذه الورقة الجاهزة والرابحة بكل يقين؟

بهذا تكون القضية قد ظهرت على وجهها الحقيقي: فلا أمية ولا أي

وحد من أبنائه أو أقربه أو قبيلته أو حتى من العرب، بل ولا من النصارى واليهود الذين عاصروا النبي أو جاؤوا بعده بقليل. قد أثار هذا الأمر على أي وضع ليس لنا الحق بعدئذ في أن نصف من يمنح هذا الموضوع لأن «مسرقعة والوقاحة؟» إن دسك تشالة رفع دعوى من غير ذي صفة، بل من شخص لا يستند إلى أي توكيل من أي من أصحاب الشأن رغم أن بعروف كلهم من شأنها أن تدفع أصحاب الشأن هؤلاء إلى الكلام لو كان لديك المزعم أساسٌ أيّ أساس! خلاصة القول إنه ليس أمامنا في هذه المسألة إلا أمران: فإما فلنذ بريف نسبة هذه الأشعار إلى أمية، وإما قلنا إنه قد نظمها تقليدا لما جاء في القرآن. لكن د. جواد على يرفض الاحتمال الثاني ولا يرى إلا احتمالا واحدا هو ريف الأشعار المعروفة إلى أمية. ومن بين ما عتمد عليه في هذا الرأي أن النبي عليه السلام لم يتهم أمية بالأخذ منه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/ ٤٩١). وأنا، وإن كنت أميل إلى رأي الأستاذ الدكتور، لا أستطيع أن أسلم برأي الآخر مالة في المسألة بعدم توفر دليل قاطع على صحته. ولكيلا أترك فرصة لأي متطرف يريد أن يُغلب على القرآن والرسول، فكان لا بد أن أسدّ هذه الثغرة. ومن هنا فإني أجيب على الحجة التي ساقها د. جواد بقولي إن النبي عليه السلام أكبر من أن يقف عند هذه الأشياء. وخاصة أنه قد نزل عليه القرآن كي يعيد منه الناسُ أيا كان نوع تلك الإعادة لا يتسمح به عقيدهم. ثم إن القرآن ليس ملك الرسول بل هو كتاب الله. فقد كان يمكن للرسول أن يقول لأمية في هذه الحالة، وبالذات إذ علمنا أن أمية لم يوجهه بل اكتفى بالإنكار؟ وحتى هذا الإنكار لم يكن كاملا. فقد جاء في بعض الروايات أنه وقف عليه ذات مرة واستمع منه إلى سورة يس، وشهد له بالحق. وأنه، عند عودته من الشام، قد أخذ طريقه إلى مدينة ليعلن الدخول في دين محمد

سولا تعريض المشركين له بإثارة فتنته على الرسول جزاء مقتل بعض أقربه على يد المسلمين في بدر حسبما جاء في "الإصابة" لابن حجر و"مجمع البحار" للطُّرَيحي وغيرهما. أما جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" (٦: ٤٨٦) فلم يجد كتابا لا سند من أن يرد عليه الذي زعم ذلك كله. أفلا يكفينا ما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله فيه "آمن شعره، وكفر قلبه" أو "آمن لسانه، وكفر قلبه" (صحيح مسلم من كتاب "الشعر" وقد أورده الدكتور جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" (٦: ٤٨٥)؟ بل معنى "آمن شعره" أو لسانه أنه كان يأخذ ما جاء في القرآن ويردّده في شعره ترديد مؤمن به. لكن حسبه أنه عليه السلام قد سمعه أن يعني ذلك بصفة رسمية وبهتانا. وهذا معنى كفران قلبه. أما الاحتمال الثالث الذي طرحه بعض المستشرقين، كالمستشرق الألماني شبرنجر ناشر ديوان أمية، من أن النبي وأمية قد استقى كلاهما من مصدر ثالث مشترك فهو احتمال ليس له إطلاقا ما يدعمه. فأين ذلك المصدر المشترك؟ ومتى ظهر؟ وعلى أي هاتيك الشروط؟ وكيف وقع كل منهما عليه، وبينهما كل هذا البعد مكانيا ونفسيا؟ ثم ماذا هما وحدهما بالنسبة من دون العرب كلهم بل من دون العالم أجمع؟

* * *

هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟

هل أخطأ القرآن فى اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟

يستدل المستشرقون والمبشرون ويعيدون فى تهمهم القرآن الكريم بأخطاء فى إيراد هذه المعلومة أو تلك، أو روايه هذه الواقعة التاريخية أو تلك، أو نقص على أن اسم الشخص الفلانى هو هذا الاسم أو ذاك، مستندين فى ذلك كله على أن الكتاب المقدس لديهم مثلا يقول بغير هذا، وجعلين كتابهم بهذه الطريقة هو الأساس الذى يحاكمون إليه القرآن، وكأن كتابهم المقدس كتاب معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسوف أختار هنا بعشوائية واحدة على هذه التحفظات التى يُقدم عليها القوم بخفة وثقة يُحسدون عليها، وسوف يتبين بعدها مدى التهافت والتعدى، والتقاضى والتعامى، والأعمى والمبصر، والجاهل والعالم، وصاحب هذا الدين أو ذاك، أن الأمر بخلاف ما يحاول هؤلاء المتعالمون أن يوهموا القراء به تمامًا، وهناك فى ثنايا ودراساتى كثير من هذه الأمثلة والرد عليها وتفنيدها تفنيدًا علميًا يترك هذه التحفظات على الكتاب المقدس نفسه الذى يعتمدون عليه نقوبًا لا يمكن سَدُّها ولا حتى رَتْقُها!

ومن هذه التحفظات التى يرددونها دائمًا على خاتمهم من أن القرآن الكريم حين يقول عن مريم أم عيسى عليهما السلام إنها ابنة عمران وأخت هارون قد أخطأ خطأ فاحشًا لا يغتفر، إذ إن عمران هو أبو موسى وهارون لا أبو مريم، التى أخطأ القرآن فى إيراد نسبها فجعلها ابنة لعمران هذا، ثم أكد هذا الخطأ بقوله أيضًا بها أخت هارون، أى أنها أخت هارون وموسى

مع ما دام أخوين ، وبنت عمران أيضا ، مع أن مريم التي هي أخت هارون وموسى وبنت عمران ليست هي مريم أم المسيح عليه السلام ، بل هي مريم أخرى التي كانت أخت هارون وموسى حقيقة لا وهما ، وهذه "مريم" الأخرى تتفق في الوجود مريم أم مسيح بنحو ألف وخمسمائة عام

وإن القارئ الكريم أربعة أمثلة على هذه النخبة مأخوذة من ثلاثة مواقع مختلفة هي التي وجدتها على شبكة الله تتبنى هذا الانتقاد الأول لصموئيل عبد المسيح ، والثاني من موقع الكنيسة الأرثوذكسية بقرص ، والثالث من موقع "Answerng Islam" الناطق بالإنجليزية ، فضلا عن كتاب صدر في مصر عام ١٩٩٤م بعنوان "هل القرآن معصوم؟" لشخص يتسمى باسم "عبد الله عبد الفادي" ، وهو اسم مخترع كما هو واضح ، وإن كانت جهة ما تقف خلفه معروفة ، ولأحرى أن يكون اسمه "عبد القاضي" أو "عبد الخاصي" كي يكون اسمه على مسمى ، وسيأتي بالكتاب الأخير ، وقد ورد فيه السؤال التالي: "جاء في سورة "التحريم" (١٢): "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين" ، وجاء في سورة "مريم" (٢٧- ٢٨): "فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا ● يا أخت هارون ، ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا" ولكن سؤال يقول الإنجيل إن مريم العذراء هي بنت هالي (لوقا ٣ : ٢٣) ، فكيف يقول القرآن بأنها بنت عمران أبي موسى أيضا ، وبهذا أخت هارون ، مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وخمسمائة سنة؟" أن ما جاء في المواقع المشكوك فيها هو ذا:

١- "أخطاء القرآن

صموئيل عبد المسيح Samu2el@hotmail.com

مريم أخت هارون أنجبت (في نظرهم) أخت نخلة

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۝ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ ﴾

[مريم ٢٣ - ٢٨].

أحق أن مريم أم مسيح هي أخت هارون وموسى؟ ما هي الفترة الزمنية بين مريم أخت هارون وموسى ومريم أم مسيح يسوع؟

٢- * مركز الكلمة المسيحي

www.alkalema.net

- تعليقات على سورة آل عمران

- أبو مريم:

- ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ ﴾

[آل عمران ٣٥ - ٣٦].

- خلط القرآن آل موسى بآل مريم، فقال إن عمران آل موسى وهارون هو أبو مريم التي حملت بكلمة الإلهية. ومما يؤيد خطأه هذا قوله في سورة مريم "يا أخت هارون" (٢٨)، مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة.

- وما رأي علماء المسلمين هذا التناقض عمران المذكور في هذا العدد هو غير والد موسى، ولكنهم أحضروا لأي كتاب مقدس لا يذكر شيئاً عن ميلاد المعذراء مريم، وهو بكل هذا مصدر يستقي منه محمد أخباره. ولكن كانت هناك بعض جزئيات المعلومات التي ملأوا خرجوه لعربيه. وأيضاً مرقس الذين كانوا يزورون المعذراء مريم ويصغون حول ميلادها وحياتها كثير من المعجزات التي وردت في كتابي مولد المعذراء وطفولة يسوع ويحيل الطفولية (راجع بغوي والقرطبي والطبري في تفسير آل عمران / ٣٥، ٣٦)".

- 3- " Qur'an Contradiction:

- Mary, Sister of Aaron & Daughter of Amram

- In several Suras the Qur'an confuses Mary the mother of Jesus [Miriam in Hebrew] with Miriam the sister of Aaron and Moses, and daughter of Amram which is about 1400 years off

- At length she brought (the babe) to her people, carrying him (in her arms). They said: " O Mary! Truly a strange thing has thou brought! " O sister of Aaron, thy father was not a man of evil, nor your mother a woman unchaste! "

- -- Sura 19: 27-28

- And Mary, the daughter of 'Imran,. .

- -- Sura 66: 12

- I am aware what Muslims claim to be a solution to this problem. Yusuf Ali for example writes in his footnote 2481 commenting on the above verse: " Aaron the brother of Moses was the first in the line of Israelite priesthood. Mary and her cousin Elisabeth (mother of Yahya) came from a priestly family, and were therefore, 'sisters of Aaron' or daughter of Imran (who was Aaron's father) ".

- This is faulty reasoning Only Aaron became a Priest of the Lord and in fact the first High Priest And only Aaron's descendents became priests. Neither Moses nor their sister Miriam are ever understood to be in " priestly lineage " Amram is definitely not a priest If Mary's lineage of being part of a priestly family should be stressed then necessarily she would have to be called a daughter of Aaron, since all of Israel's priests are descendants of Aaron, while his brother and sister are not counted among the priestly line.

- I do agree that " father ", " daughter " and " sister " might be used sometimes rather losely and only indicate a " general family relationship. " Therefore we have to carefully read in each mentioning to see what is meant And the Qur'an makes clear that the narrow, physical

meaning of daughter and (hence) sister is meant in this case as I will demonstrate below. Even if there were no concern about the issue of " priestly " but only such a wider family relationship was in view, why does the Qur'an not say " daughter of Aaron " who is her most famous forefather? Even though " sister " might be used in a wider meaning than a sister within the same immediate family, isn't it the use even in Islam that " brothers and sisters " live on roughly the same generational level (like cousins) while " father and daughter " signifies a generational difference between the two persons compared? Why are the wives of Muhammad not called the " sisters of the believers " but " the mothers of the believers "? [Today's believers' - Aisha certainly was not called the mother of 'Uthman, Umar, Abu Bakr and the other believers of Muhammad's life time] For what reason call her sister of the famous Aaron (being 1400 years older than Mary) but daughter of Imran (Bible: Amram) of whom we know nothing at all apart from the fact that his name is mentioned in the genealogical tables in Exodus 6 and 1 Chronicles 23? This is perfectly clear if the two Miriams were indeed confused. But the attempts of

harmonization don't really sound very logical

- The above points are just some " minor questions " The big problem is that the Qur'an is explicitely not talking about wider clan relationships as we see in the following verse.

- Behold! wife of 'Imran said " O my Lord! I do dedicate unto Thee what is in my womb for Thy special service... When she was delivered, she said: " O my Lord! Behold! I am delivered of a female child! " . " . I have named her Mary... ".

- -- Sura 3: 35-36

- Muslims are usually very particular about whose wife a woman is and it is definitely not allowed that just anybody can have sex with a woman only because he is a " wider relative of hers. " If Mary is the female child that came out of the womb of the wife of 'Imran, then she is the direct daughter of 'Imran and there is no question that the theory of " far descendency " is contradicted by the Qur'an itself.

- Yusuf Ali in his footnote 375 to Sura 3: 35 even goes so far to invent (?) a second 'Imran by claiming that " by tradition Mary's mother was called Hannah

and her father was called Imran, " in order to somehow save the Qur'an from this contradiction But the same tradition that calls Mary's mother Hanna, also gives the name of her husband as Joachim Why would Y Ali accept one part of this tradition (e g in the Proto-Evangelion of James the Lesser) and reject the other ' Yusuf Ali does not give any reference for this " tradition " he refers to. Until I see any reference to that, there is no reason to accept this theory As to my current knowledge there is no such tradition that predates Muhammad. Some Muslim commentators might have made something up later to explain this very problem, but such a late theory " tradition " is not very credible

- And a last question: Is there any other instance in the Qur'an where a person is consistently called daughter [son] or sister [brother] of people which are only wider relatives? Even if there was to be one name in the clan so overpowering that everybody is named in his or her relationship to that one person, it is doubly improbable that anybody would be named always after two distant relatives in the place of " father " and " brother ", and never be mentioned in relationship to his or her real parents' or brothers' names. If this is the

only instant then the Muslim explanation is even more strained since ad hoc explanations, i. e. explanations which serve no other purpose than to explain away this one problem but are not used anywhere else are not very credible. It does appear to be such an artificial reasoning in this case. And the fact that Aaron is indeed Imran's son and this is a direct and correct genealogical relationship, also indicates that the rest is understood as daughter and sister in the normal everyday sense.

- Thomas Patrick Hughes in his " Dictionary of Islam ", page 328, writes on this issue that " it is certainly a cause of some perplexity to the commentators. Al-Baidawi says she was called 'sister of Aaron' because she was of Levitical race; but Husain says that the Aaron mentioned in the verse is not the same person as the brother of Moses. "

- As always, conflicting explanations are evidence that there is indeed a problem and no one clear and satisfactory solution is available.

- Note: Moses and Aaron are called " Musa ibn 'Imran " and " Harun ibn 'Imran " in the Hadiths, just the same way as Mary is called " Maryam ibnat 'Imran " in Sura 66: 12 ".

- وعندما يكلام العلماء المنصفون فسنقول إن هذا الكلام لا موقع له من الصحة إلا في افتراض واحد؛ لأن الإنجيل الذي كان يمكن أن يجادل القرآن به لو كان بين الكتابين اختلاف، وهو الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، هذا الإنجيل لم يعد له وجود، أما الأناجيل التي بين أيدينا الآن فما تزال من نسمه كما هو معروف، بل هي سيرٌ وتواريخ كتبها بعض النصارى بعد أن توفى الله المسيح ورفعه إليه بعشرات السنين، ويختلط فيها الحق بالباطل، ولا يُتبع فيها أي منهج علمي ولا روعيت في تأليفها أية ضمانات تجنب مؤلفيها الخطأ أو على الأقل تقلل هذا الخطأ وحصره في أضيق نطاق ممكن، وكثيرٌ مما هو في تلك الأناجيل لذلك السبب وغيره فحجج هذا السفيه بأن الإنجيل قد قال كذا في المسألة التي نحن بصددها هو حجج باطل على أن هذه الملاحظة لا تصدق على الأناجيل فحسب بل تشمل الكتاب المقدس جميعه من سفر التكوين إلى سفر التعبير الشعبي معروف، وإن لقارئ بعض من الأحصاء الأدبية الموجودة في الكتاب المقدس كي يقضي وقتا بهيج مع ذلك الكتاب الذي يتحدى بعض المهووسين معجزة يختلون به قرآنه.

- فمن ذلك مثلا ما جاء في سفر التكوين (١) من أنه قد "أكملت السموات والأرض وكل جندها" وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل" وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا" وكان نهرٌ يخرج من عدن يسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب" وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع" واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش

" ومنه انفجر الشلال حدائق " وهو نحري شرقي أشور . وانفجر الرابع نهرات " أرأيت أيها القارئ تعريف هذه المدن الجغرافية و الجيولوجية التي يتعاسر دونها كل ما جاء في كتب الجغرافيا و الجيولوجيا ، فضلا عن ذلك لأنه الذي يتعب فيأخذ راحة بعد مجهود الشاق الذي بذله؟ يا له من إله مسكين يحتاج إلى كوب شاي ساخن يزيل عنه وعثاء التعب ، ويا حبذا لو كان مع الشاي قطعتان من السكويت! ولكنه شوربة! ومن قدّم شيئا بيده بذله! (منحوطة: من العرب قديما من كانوا يعزون المثنى دائما بالألف فيقال شخذى السيدة ، وكذلك قيل شخات بعزم بزمان وأزمان . أقول هذا قبل أن يطعن أحدهم بحطة وجود الألف في "بذه" زعم دخول حرف جر عليها!) .

- كما جاء في ذات السفر (٦) " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات واتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا " فقال يزعم "لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد بزعمه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة" كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا - هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم " ورأى يزعم أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم " فحزن يزعم أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه " فقال يزعم "أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأني حزنت أني عملتهم" " هل سمع أحد من عقلاء البشر أو حتى من مجانينهم أن لله أولاد ؟ فمن أمهم يا ترى ؟ ثم حين ذهب أولاد الله ليحظوا ببنات الناس . هل أحدوه معهم ليفتح أعينهن ويتفتح معهم على الشكة واللهو والشقة

والأنثى والذى منه؟ ثم أتى إله هذا الذى يأسف ويندم على ما فعل؟ ولقد منع من عصمه أن تتسلل عقله فلم يعد يستطيع أن يقوم بأتفه العمليات الحسابية، فمرة يقول ليوح خذ من كل حى اثنين اثنين ذكرا وأنثى، ثم ينسى ما قاله بعد قليل فيجعل العدد من الحيوانات الطاهرة ومن طير السماء سبعة سبعة ذكرا وأنثى. بعود مرة أخرى إلى عدد الاثنين (تكوين ٦: ١٩، ٢٠، و٧: ٢، ٣، ١٥، ١٦) كذلك مزق فى نص يسوع أنه كان هناك حاجزون فى الطوفان، قبل أن يتحد أبناء الله ببنات البشر، وبعد أن تخلصوا روحت، إلا أن كاتب هذا السفر، كعادة مؤلفى الكتاب المقدس، قد نسى هذا فقال عن نمرود (حفيد نوح، الذى وُلد بعد الطوفان برمن طويل) إنه "أول جبار فى الأرض" (تكوين ١٠: ٨) وحتى نمرود هذا لا يدرى بالضبط من أين أتت نمرة بذكر لكتاب أسماء كوش بن حام بن نوح فلا يوجد بينهم اسم نمرود. بقحاحا به بعد أقل من سطر يقول "وكوش ولد نمرود" أى أخذ (تكوين ١٠: ٧، ٨) وسلمان على سفر لا أقصد سفر نوح. بل سفر الذى كان قبل الطوفان، وكان يستخدمه الجميع، كل حبر فى عزبة وحده لا يشركه فيها أحد، إذ هى لا تكتب إلا بالحبر والمشقة وبعد أن يذهبوا فيها بمناسبة يُرفضونها بالصبون لتسهيل عملية الدخول ولا يبحثون فى حق الكتاب وتكوين حكايته! ولا لا؟ أليس حبارا؟ إن هذا يذكرنى حكايات أبى لغة التى طبرت دمع إحرجة سبحر فى حفلات "ساعة لقلبك" أيام زمان، فكان يصرخ من الدوار الذى سببه له قائلا: "آخ! يا الدوح بدع الأرض!"

- ومنه أيضا أن نوحا عليه السلام (فإن الله من يسيء إليه ويضرى عليه الأكاذيب!) قد دعا على حفيده كنعان ولعنه لا لشيء إلا لأنه هو (أى نوح، ولا أحد غيره) قد أخذ يعبّ من الخمر حتى أصبح طينة والطرح

على الأرض ويكشفت سوأته (انخصر!) فرآه ابنه حام (أو كنعان) على ذلك الوضع المزري، فلم أدق بوح وعمه ما حدث فضحك في سخرية مستهزئة بعمل كنعان أول حفل كنعان ويدعو عليه بأن يجعله الله عبد العبيد لجوته (تكوين ٩ : ٢٠ - ٢٧). مع أنه لا ذنب كما نرى لحام، فضلا عن كنعان المسكين الذي لا علاقة له في مسألة ولا حل. ولكن يبدو أن جده المسكين لم يكن قد أفاق تمامًا من الخمر فلم يكن يدري ما يقول ولا ما يفعل. ولا على من يدعو ولا من يلعن!

- وفي سفر الخروج نقرأ أن أم موسى عليه السلام، بعد ثلاثة أشهر من ولادته وبعد أن لم يعد يستطيع أن تخفيه خوفًا من بطش فرعون به أخذت من ذلك، أخذت سفطًا من البردي وطلته بالحُمر والزفت ووضعت فيه الرضيع ثم وضعت السفط بين الحشائش على حافة النهر، فيما وقفت أخته ترقب من بعيد ما سيحدث. وإذ بابنة فرعون قد نزلت النهر تستحم في الوقت الذي كانت فيه حوريها يتنزهن على الشط، فرأت السفط بين الحشائش فأرسلت أمة لها تحضره، ولما فتحته وجدت ولدًا يبكي، فقالت إنه من أولاد العبرانيين إلخ والذي أود الإشارة إليه هو أن أم موسى قد طلت السفط بالحُمر والزفت، وهذه العملية إنما تقوم بها صُنّاع القوارب والمراكب حتى لا تتسرب الماء إليها حتى لا تغرق. فيبدو فعلت أم موسى ذلك بالفعل فقصدها مجرد وضع السفط على شاطئ النهر كما جاء في رواية العهد القديم لا في النهر نفسه كما قال القرآن؟ ألا يدل هذا على أن رواية القرآن الكريم محدثة هي المرجوة الصحيحة. بل جاء فيها أن أم موسى بعد أن وضعت رضيعها في السفط قد قذفت به في اليم؟ بل كانت قصة العهد القديم قد فضحته هذه القصة أيضًا. بل فضحه قوله هو نفسه على لسان ابنة فرعون حين ذكرت أنها قد سمّت الرضيع "موسى" لأنها قد

نشأته من الماء. أي أنه كان في الماء لا على الشط بين الحقد كما قال يوسف السكران قبل أسطر (قارن بين سفر "الخروج" ٢/ ٢- ١٠، وسورة "طه" ٣٨- ٣٩ وسورة "القصص" ٧- ٩)

• ويمثل نقرأ في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر "الخروج" ما يلي "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: «قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما أصابه» فقال لهم هارون «انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها» فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر!» فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال «غدا عيد للرب» فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. فقال الرب لموسى «اذهب انزل! لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» وقال الرب لموسى «رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. والآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما» فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال. «لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك" اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل

عبدك الذين حفظت لهم بقسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد». "فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه". وواضح ما في النص من إساءة فاحشة إلى نبي الله هارون، الذي ينسب إليه الكتاب المقدس ومزوروه أنه هو الذي صنع العجل بيده وساعد قومه على الارتداد إلى الوثنية وهيأ لهم كل دواعي الكفر والفحش والفجور، وكذلك ما فيه من إساءة إلى الله نفسه حيث يصوره الكتاب بصورة إله وثني يندم ويتراجع عما كان قرره، مما لا يمكن أن يكون وحيا سماويا إلا إذا كان الوحي السماوي قد أصابه الهذيان حتى بانت كلاه وسقمه كل مفلس أقرع العقل والوجدان والإيمان مثل كاتب هذا الكلام.

- ثم هناك الأفكوهة الثانية التي تمضغ من الصحك والتي لا يمكن أن تقع ولا في الأحلام. ذلك أن سن الابن في "الخلوتة" التي نوشك أن نسمعها أكبر من سن أبيه بعامين (الله أكبر!) "وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين" فصعدوا إلى يهوذا واقتحموها وسلبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه وبنته أيضا ولم يبق له ابن إلا يهوآحاز أصغر بنيه. "وبعد هذا كله ضربه الرب في أمعائه بمرض ليس له شفاء. "وكان من يوم إلى يوم وحسب دهور المدة عند نهاية سنتين أن أمعاءه خرجت بسبب مرضه فمات بأمراض رديئة ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه. "كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك وملك ثماني سنين في أورشليم وذهب غير مأسوف عليه ودفنوه في مدينة داود ولكن ليس في قبور الملوك" (أخبار الأيام الثاني/ ٢١)، "وملك سكان أورشليم أحزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة. فملك أحزيا بن يهورام

ملك يهوذا كان أخزيا بن يهورام وابن ست وعشرين سنة حين ملك (أخبار الأيام الثاني ٢٢) لاحظ أيها القارئ الكريم أن الأب قد مات وعمره لم يتجاوز الأربعين، إذ كانت سنه حين تولى ابنه الملك ثنتين وثلاثين عاما ثم ملك ثمانية أعوام. ثم تولى ابنه الحكم بعده عشرة وكان عمره وقتها اثنين وأربعين عاما طيب. وبعد فما هذا؟ إن الفارق كله بأخي الشريعة أنهم لا يرجمون ولا يجلدون. فلم تقيم الدنيا ولم تقعد من أجل حفنة سنوات؟ ناهيك عن بضعة شهور! من أجل حفنة دولارات. وهنالك ترى أن الأمر كله مثل في تمثيل، فلا تكن حنبليا هكذا!

- وختمه بالمثال التالي، وهو عبارة عن سلسلة من التقديم لتسبيح أثرت الفارق الكريم بقدرتها على تكشيف القصص العجيبة والمحاولات السخيفة في أفلام موضوعات تعهد خديد على الإطلاق والمضمون التضليلي مأخوذة من العهد القديم ونوفا على النحو (متى ١) "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام. وآرام ولد عميناداب. وعميناداب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوعز من راحاب. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسى. ويسى ولد داود الملك. وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيا وأبيا ولد آسا. وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام ويورام ولد عزيا. وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون. وآمون ولد يوشيا. ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل. وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتيئيل وشألتيئيل ولد زربابل. وزربابل ولد

أبيهود وأبيهود ولد أليقيم وأليقيم ولد عازور ١٤ وعازور ولد صادوق وصادوق ولد أخيم وأخيم ولد أليهود ١٥ وأليهود ولد أليعازر وأليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب ١٦ ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوعُ الذي يُدعى المسيح".

- (لوقا ٣) ٢٣ ولما ابتدأ يسوعُ كان له نحوُ ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظنُّ ابن يوسف بن هالي ٢٤ بن متثات بن لاوي بن ملكي بن يناي بن يوسف ٢٥ بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي ٢٦ بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ٢٧ بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتئيل بن نيري ٢٨ بن ملكي بن أدي بن قصم بن ألمودام بن عير ٢٩ بن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي ٣٠ بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن أليقيم ٣١ بن ميليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود ٣٢ بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون ٣٣ بن عمينادب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا ٣٤ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور ٣٥ بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح ٣٦ بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك ٣٧ بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان ٣٨ بن أنوش بن شيث بن آدم بن الله.

- ونحب مع ذلك أن نؤكد بكل ثقة وتأكيد أن ما سقناه هنا من الأخطاء والانحرافات الموجودة في الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون عينة تافهة لا تذكر مما يعج به هذا الكتاب. فأنت في كل خطوة تخطوها فيه إنما تصطدم على الدوام بأخطاء وهو ما لم يعُد أحد يدريه من علمائهم الذين يفهمون ولا يستطيعون أن يصروا في الدخول بتعصب حول عصمة ذلك الكتاب، بل لجأوا إلى اختراع نظرية تسوغ وجود هذه الأخطاء في كتاب مثل هذا يزعمون زعما أنه موحى به من الله. ومؤدى هذه النظرية أنه لا بد من التفرقة بين

الوحي من ناحية الشكل وبينه من ناحية المضمون" فمن الناحية الأولى نجدهم يقولون إنه ليس إلا إبداعاً أدبياً للكاتب، أما من الناحية الثانية فيؤكدون أنه صادر عن الله. ذلك أن الوحي ـ على هذه النظرية ـ لا يمس شخصية الكاتب، بل تتدخل عبقريته في الصياغة، ويمكن أن يقع تحريف في النص، ومن ثم فلا بد من عملية النقد والتمحيص (انظر مادة "Inspiration" من "The New Bible Dictionary" لسنة ١٩٧٢م تحرير J. D. Douglas ص٥٦٥ - ٥٦٦)، وهو نفسه ما يقوله معجم "Hook's Church Dictionary" (سنة ١٨٨٧م)، الذي يرى أن الأنبياء وكتبة الكتاب المقدس قد تلقوا ما تلقوه من الوحي كما هو بدون أدنى حصر من الناحية اللاهوتية، لكن هذا لا يصدق على الناحية اللغوية والعلمية (ص٤٠٣، ٩٦٤). وقد سمى المستشرق البريطاني مرجليوث المعروف بحقده المتعصب على الإسلام وتبنيه هذه النظرية بـ "Colouring by the Medium"، ومعناه أن الوحي إنما يمر على النبي أو الرسول أو الكاتب كفكرة، ثم يقوم الوسيط بصياغة هذه الفكرة بأسلوبه هو، ومن ثم فالأخطاء التي تقع في الكتاب المقدس معناها هذا الوسيط لا السماء، أي أن الوسيط هو بمثابة كوب الشراب الذي يصفي على السائل لون وطعمه (D. S. Margoliouth, Mohammedanism, London, 1921, P 163) وهو كلام أشبه بالألاعيب اللغوية والسفسطات كما هو ظاهر بيّن على أنا لا نريد أن نمضي مع تلك النظرية لأبعد من هذا فنؤكد أن الكتاب المقدس لا يساوي شيئاً ذا بال ولا حتى من الناحية اللاهوتية كما برهنا قبل قليل من خلال بعض الأمثلة الصارخة في هذا المجال، بل حسب اعتراف القوم بأن الكتاب المقدس لا يؤبه به من الناحية التاريخية والعلمية والحسابية والجغرافية وما إلى ذلك. وهذا كل ما نريده لنرد على المتطفلين الذين يحاولون أن

يتخذوا من هذا الكتاب معيارا لنحكم على القرآن في مسألة تاريخية مثل اسم خاص بوالد السيدة مريم عليها السلام.

- وهذا كله لو كان في إنجيل لوقا (أو غيره من تلك السير التي ألفها مشرّعوا أي ضابط منهجي لديهم تأكيدهم أن مريم هي بنت هالي كما قال المسكين الذي ظن أنه يستطيع بوقاحته وجهله المطبق أن يحطّ من قدر القرآن المجيد، وهو ما لا وجود له البتة. بل المذكور في الموضع المحدد من ذلك الإنجيل (وهو النص الذي أوردناه قبل قليل للمقارنة بينه وبين النص القرآني) من إنجيل متى في نسب السيدة مريم) بل هو سلسلة نسب المسيح لا مريم، وفيها أنه (على ما يقص لنا قومه) بن يوسف بن علي (هالي) حتى تتصل السلسلة إلى آدم بن الله! كما يقول كتاب السيرة العبرية المسماة بـ"إنجيل لوقا". لاحظ أيها القارئ الكريم قولهم عن آدم إنه "ابن الله"! بل لاحظ التناقض مع قولهم إن المسيح هو وحده ابن الله، مع أن أولاد الله في الكتاب المقدس كثيرون كما يعرف هذا كل من له دراية بذلك الكتاب. بل لاحظ كيف لم يستطع الكاتب المسكين (أجزاه الله) إلا أن يثبت في حق المسيح، عليه وعلى أمه الطاهرة الشريفة أفضل الصلاة والسلام، ما كان يقوله في حقه وحقه الأوغاد من يهود! فهم أنه لا ذكر هالي في هذه السلسلة النسبية لمريم بنته. فعلام يدل هذا؟ لقد أخطأ هذا الجاهل في عبارة "مع أن بينه وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة" أخطأ الناقل، إذ لم ينصب كلمة "ألف"، زعم أنها اسم "إن"، فكان يجب أن تكون "مئة وستمائة". أقول هذا لأن ذلك الغبي قد أفرد له سماء "أخطاء نحوية في القرآن" عشرات الصفحات، مع أنه لا يستطيع أن يخط كلمة أي شيء دون أغلاط نحوية وصرفية مضحكة تبرهن بأجلى برهان أن الأبعد جهلا يظن أنه يعرف ما لا يعرف. وإن الذين كتبوا بأن بكتب ما كتب قد طلبوه، قد أسندوا إلى حمار مهمة لا

يصح أن يقوم به. لا عاد صبيع يضع عصب عينيه للوصول إلى الحق. وقد فندنا كلها في كتابي "عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين" وبينا أن كل ما قاله سخف لا معنى له وأنه يردد كلام وصعوه في فمه كما تفعل الببغاوات دون أن يفقه منه شيئا!

- وفضلا عن دسك فيلبس القرآن الجديد هو القائل إن مريم هي أخت هارون، سواء كان المقصود هارون أخ موسى أو هارونا آخر، بل الذين قالوا هذا هم قومها أنفسهم، أما القرآن فمجرد حكى ما قالوه. وقد سمع القرآن على عهد نبي كثيرٌ من اليهود والنصارى، فلماذا لم يكذبوه؟ بل لماذا دخل دين محمد، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، وأمن بقرآنه الملايينُ المُطلعةُ من أهل الكتاب دون أن يمنعهم ذلك أو يستوقفهم مجرد استيقاف، وفيهم جاثليقات وقسوسة والعلماء والفلاسفة والمفكرون والأدباء والعلماء والساسة والمؤرخون من كل جنس ولون، ومن كل العصور والبيئات؟ وحتى يستطيع القارئ أن يقدّر مدى مصداقية ما يقوله القوم عن مريم أمّ يهمه ذكر هنا أنهم لا يعرفون شيئا يُذكر عنها عليها السلام بعد أن توفي الله نبيه، بل لا يعرفون كم من الأعوام مكثت بعده على قيد الحياة. وقد يختلفون في هذه النقطة ما بين ثلاث سنوات وخمس عشرة. فتأمل! (انظر مادة "Mary" في "Wikinfo, an internet encyclopedia") بل إنهم لا يعرفون بالضبط من يكون إخوة عيسى أو كم يقولون إخوة (لأنه) سبق أن ذكرهم في العهد الجديد. أهم إخوته فعلا من أمه بعد أن يفيد أنها قد تزوجت بعد ولادته من يوسف؟ أم هل هم مجرد أقرباء له من جهة تلك الأم؟ أم هل هم أبناء يوسف من امرأة أخرى غير مريم؟ (انظر خبراء حاصل مريم المعذراء من مادة "Mary" في "International Standard Bible Encyclopedia") وبعد ما

أورده كاتبو سير المسيح المسماة بـ "الأناجيل" من الكلام الفارغ الذي قاله بن المسيح عليه السلام قد وبخ به أمه . وكذلك الكلام الذي قاله في حقها هي وإخوته عندما كان يعظ بعض أتباعه وأرادت الأم والإخوة أن يخرج إليهم ليحدثوه في أمر ما . وهو كلام يعيد الله به بكل يقين صميم المؤمنين به ويقرأ المنصفين الباحثين . وفي اليوم الثالث كان عُرْسٌ في قانا الجليل وكانت أُمُّ يسوع هناك . وقد دُعي أيضاً يسوع وتلاميذُهُ إلى العُرْس . ولما فرغت الخمرُ قالت أُمُّ يسوع له "ليس لهم خمرٌ" . فقال لها يسوع "ما لي ولك يا امرأة ! لم تأتِ ساعتي بعدُ" (يو ٢ : ١-٤) . "وفيما هو يكلم الجموع إذا أُمُّهُ وإخوتُهُ قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه . فقال له واحدٌ هو ذا أُمُّك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك . فأجاب وقال للقائل له : من هي أُمي ومن هم إخوتي ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أُمي وإخوتي . لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي" (متى ١٢ : ٤٦-٥٠) . فما كان الأمر كذلك يا إلهي . فلم يأت البجاحة مع القرآن الكريم؟

- ولأن بي ما جاء في موقع "الكلمة" الذي يديره زكريا بطرس ، وهو موقع يشعر من يدخله أنه في مولد ، وصاحبه غائب . فهو مملوء بالأقذاع بكل سوء وجهه وكذب في سبيل ذلك أو إثمه . وتطالعك من كل زاوية أسماء كتب لا حصر لها ولا عدد تهاجم القرآن والرسول والتوحيد وكل ما ينتسب للإسلام من عقائد شريفة وأخلاق سمحة وتدافع عن الوثنيات المتهالكة التي يريد للمغفلين أن يعيد مصريين إليها بعد أن أنعم الله عليهم بالتوحيد المحمدي الكريم . وعلى رأس هذه الكتب ما يحمل أسماء سعيد العشماوي وسيد القمني وحبيب عبد الكريم . وكأن كلام هؤلاء وأمثالهم قيمة علمية عند أهل التحقيق والتدقيق ! ولقد كنتُ كتبتُ كتاباً أدحض فيه ما

جاء في عدد من الكتب المنقوش عليها اسم خليل عبد الكريم وقصحتُ تهافت ما في تلك الكتب من أفكار وأبرزتُ سخف ما يظنه المتطفلون جهبذة منطقا علميا لا يخرّ منه الماء. وصال الرجل يطاردني برُسُله يريد حصول على نسخة من كتابي لأنه (كما يقول) لم يقرأه، فكنت أضحك من هذا الكلام لأن الرسول كان يخبرني بأنني قد قلت في حق الرجل كذا وكذا وكذا وأنه متألم لهذا الكلام، مما يدل على أنه قد حصل على الكتاب وقرأه جيدا على عكس ما يدّعي. ثم فوجئت منذ سنتين تقريبا بأحد طلابي يرسل لي مصورة مقال لخليل عبد الكريم في مجلة "أدب ونقد" يعرض فيه لكتابي المذكور ويدلّس تدليسا مكشوفا أكد لي أن رأيي فيه وفيما يحمل اسمه من كُتُب هو رأيٌ في محله تماما. ومع ذلك لم يستطع أن يتعرض لأي نقد وجهته إلى تلك الكتب، بل أخذ يلف ويدور قائلا إنه يسامحني فيما قلته في حقه تأسّيا بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم. طبعًا "حبيبه المصطفى" الذي تقول عليه واتهمه أشنع الاتهامات، وشكك في صدقه ودوافعه وأخلاقه، ونعى عنه النبوة وجعله مجرد سارق لأفكار الحنفاء وعادات الجاهليين وتقاليدهم، وزنّ أصحابه وزوجاتهم بالشبق الجنسي وعدم القدرة على التماسك أمام فاحشة الزنى، واتهمه صلى الله عليه وسلم بأنه كان يعلم ذلك منهم لكنه كان يغض الطرْف حتى لا ينفضّوا عنه فلا يستطيع أن يقيم دولته الهاشمية التي كانوا يمثلون ذراعه العسكري الضارب. يا سلام على الحب! ثم صدر كتاب آخر يحمل اسمه قيل فيه عن الرسول عليه الصلاة والسلام إن ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد هما اللذان صنّعاه تصنيعا وجعلاه نبيا، وإن خديجة قد "صنّعته وقَوْطَنَته": هكذا بلغة الحشاشين والمطيل والعربجية والزُمَنجية! كما وُصف عليه السلام في الكتاب بـ "كل الشعير" (ومفهومٌ مما يريد الأوعاد الأوساخ أن يقولوا)، وقيل عن أمهات

المؤمنين" لسوار صاحب "المعين"، وزعم أنه عليه السلام قد تزوج خديجة رضي الله عنها على مذهب النصارى، وأن هذا هو السبب في أنه لم يتزوج عليها امرأة أخرى، وأن الذي قام بمراسم الزواج هو القسيس ورقة، وأنه لم يذكر لنا في أية كاثدرائية بالضبط تم ذلك. كاثدرائية كانتربري أم كاثدرائية سان جرمان أم الكاثدرائية المرقسية؟ أرأيتم مثل هذا التحريف الذي يضحك به واضع تلك الكتب مؤكدا مع ذلك أنه كلام علمي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ وقد رددت بدوري على قلة الأدب هذه في كتاب منذ عدة سنوات. وأعلنت عن اطمئناني الذي يقرب من اليقين إلى أن عبد الكريم ليس هو مؤلف الكتب التي تحمل اسمه، وبخاصة ذلك الكتاب الأخير. وأغلب الظن أنه قد قرأ هذا الرد قبل أن يهلكه الله!

- نعود فنقول: لقد كذب المعين زاعما أن "القرآن خلط أبا موسى بأبي مريم". فقال إنّ عمران أبا موسى وهارون هو أبو مريم التي حملت الكلمة الإلهية". ثم أضاف قائلا: "ومما يؤيد خطأ هذا قوله في سورة مريم: يا أخت هارون (٢٨)، مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة". وهانذا أورد أولاً النصين القرآنيين الذين اعتمد عليهما في التدليل على ما تخرّص وزعم:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران ٣ : ٣٥-٣٦]،

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم ١٩ : ٢٧-٢٨]. لقد قال القرآن إن مريم ابنة عمران، هذا صحيح لا جدال فيه، لكنه لم يقل قطّ إن عمران هذا هو عمران أبو موسى وهارون. كما أنه لم يقل قط إنها أخت هارون، بل الذي

قال ذلك هم قومها ، ولا أعتقد أيضا بأنه هو الذي اتهم مريم بالزنا وقال لها "ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا" ؟ ذلك أن الذي قال إنها أخت هارون هو نفسه الذي تهكم بها وشنّع عليها ورماها بالفاحشة؟ أخت أيها الغبي أبي رلومة! أم إن فسّر أحدٌ "عمران" هنا بأنه عمران أبو موسى ، فيه يكون أباها عندئذ بالمعنى المجازي ، ثم إنه يبقى مع هذا تفسيرا مجرد تفسير وليس كلاما قرآنيا ، إذ لم يقله القرآن ، بل هو مجرد اجتهاد من صاحبه قد يصيب فيه ، وقد يخطئ .

- أما قولك يا ريكو إن "علماء المسلمين قد رأوا" هذا فالواو إن عمران المذكور في هذه العبارة هو غير والد موسى ، ولكنهم أخطأوا ، لأن الكتاب المقدس لا يذكر شيئاً عن ميلاد العذراء مريم ، ولم يكن هناك مصدر يستقي منه محمد أخباره ، ولكن كانت هناك بعض خرافات النصوصيين الذين ملأوا خريرة العربية ، وأيضاً المريميين الذين كانوا يؤلّهون العذراء مريم ويضعون حول ميلادها وحياتها كثيرٌ من المعجزات كما ورد في كتابي مولد العذراء وصغونية المخلّص و إنجيل الطفولية (راجع الطبري والقرطبي والواردي في تفسير "آل عمران" / ٣٥- ٣٦) . أما قولك هذا فلا معنى له بعد أن بيّنا للقراء القيمة العلمية لتلك السِّيَر العيسوية التي كتبها بعض الأشخاص بعد انتقال عيسى عليه السلام إلى ربه بعشرات السنين دون تمحيص ، بل حسبما كان يخطر لهم وتسعفهم به ذاكرتهم وتمليه عليهم أهواؤهم . وقد رأيناهم يضطربون في سلسلة نسب المسيح اضطراباً شنيعاً مضحكاً ، فكيف تريدنا أن نجعل معتمدنا على مثل تلك الكتابات فنحيد عما نقول ونضرب صفحا عما لم تقل؟ ثم أليست مهزلةً أن يسكت مؤلفو الكتاب المقدس عن ميلاد السيدة مريم وعن أبيها وأمها ونسبها مع أنها أم الإله عندكم؟ وما دام قد سكت ، فكيف عرفت أن ما قاله القرآن عن هذا الميلاد وعن نسبها واسم أبيها غير

صحيح؟ أم تراك تقول إنها هي أيضاً قد وُلدتْ من غير أب وأم ما دام كتابكم المقدس لم يتحدث عن أبيها ولا عن أمها؟

- وما دمنا نتحدث عن مريم وإهمال الأناجيل والكتابات المصرية المبكرة لمعظم أخبارها أرى من المستحسن أن أسوق هنا ما قاله المرحوم جلال كشك في كتابه: "خواطر مُسْلِم في المسألة الجنسيّة"، من "أن أية مقارنة بين الإنجيل وأعمال الرسل وتراث الكنيسة في القرون الأولى وبين القرآن حول مريم تؤكّد أنه لا وجود "لمريم" في الفكر المسيحي الأوّل، أو أنها (كما تقول المؤرّخة زري تاهيل) ظلّت إلى القرن الثالث عشر: "مُجرّد قديسة عادية". أمّا في الإسلام فقد أُعْلِنتْ منذ القرن السابع: "سيدة نساء العالمين"، فهي التي اصطفاها الله على نساء العالمين، هي "البتول" التي أحصنت فرجها. ليس هذا في الأناجيل الأربعة سِفْر، ولها في القرآن سورة كاملة. وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة، وفي ١٤ سورة. وذُكِرَ "عيسى" في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوبًا إلى أمّه: "عيسى بن مريم"، وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة منها ثماني مرات: "المسيح ابن مريم". ولم يرِدْ ذلك ولا مرة في الأناجيل. ونكي لا يُقال إنّ ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنه ابن الله، نقول إنه حتى عندما أراد كتّاب الأناجيل إثبات نسب المسيح الآدمي لتأكيد أنه "ابن داود" نسبوه ليوسف النجار وليس لمريم!" (مُحمّد جلال كشك/ خواطر مُسْلِم في المسألة الجنسيّة/ الطبعة الثالثة/ مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة/ رجب ١٤١٢هـ - يناير ١٩٩٢م/ ٥٠)

- أما إشارة زيكو اللعين في آخر كلامه إلى مولد العذراء وطفولية المخلّص وإنجيل الطفولية فستكون نقطة انطلاقنا لنحو مناقشة ما ورد في الموقع الإنجليزي، إذ ذكرت بعض الأناجيل غير المشهورة أن والد مريم هو يواقيم. ولكنّ للحكاية أصلاً لا بد أن أحكيه للقراء، إذ كنت قد رجعت

منذ عدة سنوات إلى معجم "وكسفورد لأسماء الأشخاص بحثا عن شيء يضيء لي الطريق فيما يتعلق باسم "يواقيم"، الذي يقول النصارى به أبو مريم، فوجدته يذكر أن عندهم رواية بأن مريم هي ابنة يواقيم، لكنه أضاف أن هذه الرواية لا تحظى بثقتهم (Elizabeth Gidley Withy Combe, The Oxford Dictionary of English Christian Names, (1948, P. 78 ثم قرأت في مرجع آخر أن الرواية المقصودة هنا هي ما تقوله بعض الأناجيل التي لا تعتمدها الكنيسة. وقد أطلعت على الرواية فعلا في "إنجيل يعقوب The Gospel of James" و"إنجيل ميلاد مريم The Gospel of the Nativity of Mary"، وكذلك "إنجيل متى الزيف (هكذا يسمّونه رغم أنه لا يختلف عن إنجيل متى الذي يعترفون به في أن كليهما تأليف بشري لا يخضع للضبط العلمي)" The Gospel of Psewdo-Matthew" وهي كلها أناجيل لا تعترف بها الكنيسة، ومن ثم لا يحق لها أن تحتجّ للمسلمين بها. بل لا يعقل أن أنفي بشاهد فاحتج بشهادته إثباتَ الحقّ أدّعيه، على حين أني أعثر في كل مناسبة أنه شاهدُ زور، وأني أنا نفسي لا أثق في شهادته طرفة عين! ألا إن هذه لقمّةُ التدقيص! إنهم بهذه الطريقة "يُحلّونه عامًا، ويُحرّمونه عامًا" كما قال القرآن الكريم عن المشركين بسبب خضوعهم القبيح للأهواء وتلاعبهم الأرعن بالأحكام التشريعية! أليس هذا بالضبط هو ما يفعله هؤلاء المشرّعون للعلم؟ ثم إنهم مع مجاهتهم ومجاسرتهم يخطئون القرآن الكريم رغم ذلك كله لأنه يسمّي أم مريم اسمًا آخر لم تذكره هذه الأناجيل!

- ونصل للموقع الإنجليزي، فماذا يقول؟ إنه يردد ما يقوله موقع "بكلمة" كحذوك النعل بالنعل (فالحكاية كلها بعالٍ في بعال لا أدمغة وعقول!)، وهذا نصّ كلامه "إن القرآن يخلط بين مريم أم المسيح ومريم

ست عمران ، أخت موسى وهرون التى كانت قبل نحو ١٤٠٠ عام ، ثم بعد أن يورد الآيات التى يزعم أنها تحيط هذا الخطأ ، وهى آيتا "آل عمران" السابقتان مرتين عليك من قبل ، وقوله تعالى فى الآية ١٢ من سورة "التحريم" "ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها" وقد سبق أن بينا للذين يتبعهمون ، وهم عقول فى رؤوسهم لا يعقلون وقلوب ، أنه لا يوجد شىء من ذلك فى هذه الآيات أو غيرها ، وأن الذى يقول بغير ذلك هو كذاب أشر . ولأن نخطو خطوة أخرى فنقول إنه من غير الممكن أن يخطئ القرآن بين المرتين حتى لو قد مع المتخرصين الأفاكين أن الرسول هو مؤلف هذا القرآن ، لماذا ؟ لأن القرآن يفرق بين موسى وعيسى تفرقة واضحة فى العصر والظرف والرسالة بحيث لا يمكن الزعم بأنه كان يخلط بينهما كما يتضح من النصوص التالية:

- "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝" (النساء ٤ : ١٥٣ - ١٥٨). فالإشارة إلى قتل اليهود للأنبياء بعد نقضهم الميثاق الذى أخذه الله عليهم فى حياة موسى يدل دلالة لا تقبل الشك على أنه قد مر زمن طويل بين موسى وعيسى بما لا يمكن أن يكون هذا هو أخت ذاك . وهو ما نجده أكثر تفصيلا فى الآية ٧٠ من سورة

المائدة: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة ١٠٠). فهناك (حسبما تقول الآية) رسل قد تتابعوا بعد موسى وقابلهم بنو إسرائيل تارة بالتكذيب، وتارة بالتقتيل، مما يحتاج وقوعه إلى أزمان طويلة. ومن جاء بعد موسى من الأنبياء على وجه التحديد سليمان، الذي ذكر القرآن أن الشياطين قد افتروا عليه الأكاذيب حسبما جاء في الآية ١٠٢ من سورة "البقرة"، وهناك أيضا أبوه داود، الذي لُعِن الكفار من بني إسرائيل على يديه، أو بالحَرَى: على لسانه، قبل أن يلعنهم عيسى بدوره. وهناك عُزَيْر، الذي زعمت اليهود أنه ابن الله كما تقول الآية ٣٠ من سورة "التوبة". ولا ننس أن القرآن قد دان اليهود بأنهم حرَّفوا الكلم عن مواضعه ونَسُوا حظًّا آخر مما أتاهم به موسى عليه السلام مما أشارت إليه الآية ١٣ من سورة "المائدة". وهذا كله يستدعي مرور الزمان الطويل، إذ لا يُعْقَل أن يتم ذلك في نفس الجيل الذي جاءهم فيه موسى بالتوراة. وبالمثل لا يمكن أن يُنزِّل الله كتابا آخر على عيسى عليه السلام، ولم يكن قد جفَّ الحبر الذي كُتِبَتْ به التوراة بعد.

- كذلك فسورة "آل عمران" تتحدث عن زكريا أبي يحيى بوصفه كافل مريم، وأين زكريا ويحيى من موسى وهارون؟ كذلك أين في مصر المحراب الذي كان تعبد الله فيه مريمُ عليها السلام على راحتها دون أن يزعجها أحد، على حين أن بني إسرائيل آنذاك كانوا مضطهدين ومستعبَدين ولا يستطيعون أن يمارسوا دينهم؟ وهذا إن كانت هم محاريبُ أصلاً في ذلك الوقت! فالمعروف أنه حتى بعد أن جاء موسى إلى قومه برسالة السماء وأنجاهم الله على يديه من بطش فرعون وخرجوا إلى سيناء ظلوا لا يعرفون المعابد ولا المحاريب، إذ ضاعوا في الصحراء أربعين سنة لا يعرفون

لاستقرار في القرى والمدن حيث تقام المعابد وتوجد المحاريب . ثم هل يُعقل أن يخلط القرآن بين امرأتين ثم لا يربط بين خالين (موسى وهارون) و بين لأخت (عيسى) ربط أمرأة ولو مرة واحدة بتيمة أثناء حديثه عنهم . وهو أكثر ما تحدث عنهم ، مثلما ربط بين أمه عليها السلام وبين زكريا ويحيى؟ بل كيف تكون مريم وحيدة أبويها على حسب ما هو واضح من القصة القرآنية ، على حين أنهما تُرف من الأولاد اثنين آخرين هما موسى وهارون ، وأصبحا بعد ذلك سبين؟ بل كيف يسكت القرآن عن ذلك فلا يشير إليه ولا يربط بين مريم وأخويها هذين بأي حال؟ ذلك أن أخت موسى وهارون ، التي يزعم الأفكون أن القرآن يخلط بينها وبين مريم أم عيسى ، لم يأت ذكرها في القرآن إلا في سياق مراقبتها من بعيد لموسى بعد أن وضعته أمه في التابوت ثم قذفته في النهر ، ولم يورد القرآن اسمها في حالتين (طه/ ٤٠ ، والقصص ١١ - ١٢) أفمن الممكن أن يسمّيها القرآن حين لا يربط بينها وبين موسى ، ويضرب صفحا عن اسمها حين يربط بينهما ذاكرًا بصريح القول أنها أخته؟ ثم كان القرآن يسكت فلا يشير إلى موقف الأخوين من معاناتها بسبب الحمل و الولادة غير الطبيعية وتعرضها للاتهام في شرفها وسخرية قومها منها في قولهم: "يا أخت هارون ، ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيًا" ؟ أهذه مسألة تحتمل أن يغيب عنها موسى وهارون؟ من الواضح أن "مريم" هذه لم يكن لها أخ ولا أخت ولا أب ولا أم لأنها كانت وحيدة أبويها اللذين كان قد ماتا ، فلم يبق لها أحد! كذلك كيف يسكت القرآن فلا يشير إلى موقفها من الأحداث الرهيبة التي وقعت لأخويها في مصر وعند انطلاق البحر وفي التيه؟ بل أين كان عيسى عند ذاك فلم يبرز لنصرة خالَيْه في مواجهة فرعون أو ضد شعب بني إسرائيل عليهما في الصحراء؟ إن افتراض خلط القرآن بين امرأتين

مستحيل . لكن الدور واقع على الكتاب المقدس ، الذى يجعل الابن أكبر من أبيه بعامين ، والذى يورد نسبى سليمان بن متعارضتين تعارضا شديدا بحيث يستحيل التوفيق بينهما ولو بالمستحيل البديع ، والذى ينسب إلى الأنبياء وأولادهم الزنا بالمحارم ، والذى يدّعى على نوح شرب الخمر حتى يسكر ويفقد عقله على النحو الفاحش الذى رأيناه ، والذى يجعل من داود راعيًا وقاتلا (وزانيًا بمن؟ بأم سليمان عليه السلام!) ، ويجعل من هارون صانعا للعجل كى يعبده بنو إسرائيل ، ثم يقول عنه فوق ذلك إنه كان نبيًا لموسى وإن موسى كان إلهًا له ، والذى يتهم خليل الله بالخيانة على زوجته لقاء قطيع من المواشى (يا لها من صفقة كريمة تليق بأبى الأنبياء!) ، والذى يقول إن مدينة "القيروان" كانت موجودة فى عصر المسيح ، ناسبًا إليها "سمعان القيروانى" ، على حين أنها لم تُبْنَ إلا فى الإسلام بعد ذلك بقرون (بالضبط فى سنة ٧٦٢م) على يد عقبة بن نافع رضى الله عنه! ترى أيكفى هذا أم أستمر؟

- أما كلام صاحب الرد الإنجيزى (على قول عبد الله يوسف على فى ترجمته للقرآن إن "أخت هارون" هنا يمكن أنها من سلالة هارون الذين كانوا يتولّون الكهانة فى بنى إسرائيل) بأن القرآن لو كان يريد بـ"يا أخت هارون" الإشارة إلى أن مريم تنتمى إلى أسرة يهودية كهنوتية لا أنها هى أخته فعلا لكان ينبغى أن يقول: "يا بنت هارون" بدلا من "يا أخت هارون" ، فالرد عليه سهل جدا كما قلت قبلا ، فالقرآن ليس هو الذى سماها كذلك ، بل هو مجرد حاكٍ لما قاله اليهود لمريم حين أتتهم بعيسى أتجبّه دون زواج فإذا كان هناك اعتراض فليوجّه إلى قومها الذين قالوا لها هذا ، إذ القرآن مجرد حاكٍ لكلامهم . ولو كان القرآن قد أسند إلى قومها ما لم يقولوه لما سكت اليهود ولا النصارى العرب على الرسول ، ولكانت هذه فرصة للدخول معه فى

حتى يخرجه ويفضحه هو والقرآن جميعا . فلماذا لم يفعلوا يا ترى ، وهم حريصون على هزيمته بكل سبيل ، ولم يكونوا يتورعون ولا طرفة عين عن التوسل بالأباطيل والأضاليل فى حربهم ضده؟

- وبالنسبة لتسميته "مريم ابنة عمران" بدلا صاحب التحفظة أيضا على عبد الله يوسف على قائلا : لو كان القرآن يريد بذلك أنها تنتمى من بعيد إلى عمران أبى موسى فكان لى مقال آخر من القرآن يسمى الشخص بن جده بعيد بمضعيد تفسيرك هذا حتى أقتنع ولأن عبد الله يوسف على قد سمح لنفسه أن يسمح لى السيد محظوظ بأن أسوق إليه هذه الشواهد القرآنية ، مع معرفتى من الآن أنه لن يقتنع ولو على جثته . فلهم إلا إذا أراد الله به خيرا فقد جاء فى كلام الله يعقوب فى ردهم على أبيهم وهو على فراش الموت ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ البقرة ١٣٣ ، فجعلوا كلا من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أبا ليعقوب ، رغم أنه لم يكن له بصيغة الحال إلا أب واحد هو إسحاق ، أما إبراهيم فهو جده ، وأما إسماعيل فهو عمه . أم لكم رأى آخر؟ ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يكون له إلا أب واحد وأم واحدة على رأى أهل النكاهة من المصريين الذين يقولون لمن له أخ واحد منهم للتدليل على أنه مسكين إنه ليس له إلا أب واحد وأم واحدة . وكأن الآخرين عندهم أكثر من أب وأكثر من أم! وبالمثل نسمع يعقوب يقول ليوسف عليهما السلام "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق﴾ يوسف ٦ ولست فى حاجة إلى القول بأن إبراهيم وإسحق لم يكونا أبوين ليوسف ، بل أحد البعيد والجد المباشر على الترتيب . وفى الآية ٣٨ من سورة "يوسف" أيضا يعلن هذا النبى الكريم وهو فى السجن عن عقيدته قائلا "واتبعت ملة آبائى: إبراهيم وإسحق

ويعقوب". بل إن الأمر في هذه الآيات أعقد، إذ يستحيل (كما قلنا) أن يكون هناك أكثر من أب لشخص واحد. لكنها البلغة! كذلك فالقرآن الكريم يقول عن آدم وحواء بهما أبوا البشر أجمعين. والبشر من الناحية الأخرى هم "بنو آدم"، مع أن آدم وحواء لم يكونا أبوين إلا لقابيل وهابيل ومن يمكن أن يكونا قد أنجباه من الأبناء. فهما وحدهما وحتى الآن مثلا بيننا وبين هذين الأبوين لا يدرى إلا الله كم من الدهور والأحقاب، ورغم هذا نحن "أبناء آدم وحواء"، وهما "أبوان" أولى الآية ١٨ من سورة "الحج" يخاطب الله سبحانه المسلمين واصفا إبراهيم عليه السلام بـ "أبيكم إبراهيم". وأين إبراهيم في عرض من المسلمين في عصر النبي ومن بعده إلى يوم القيامة؟ وفي الآية ٦١ من سورة "آل عمران" يأمر الرسول عليه السلام بأن يقول لوفد النصارى الذين وفدوا عليه في المدينة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ إن [illegible]، ولم يكن للرسول حينذاك إلا فاطمة رضي الله عنها، بل المقصود فاطمة وابناها الحسن والحسين، وهما لم يكونا بنين للرسول بل حفيدين.

وأما قوله إنه إذا كان القرآن يريد أن مريم تنتسب إلى هارون نسبا روحيا لا جسديا فقل: "يا أخت هارون" لأنه لا يعقل أن ينسب شخص إلى شخص لا معاصرة بينهما بسبب الأخوة، فرغم لي قد أجبت بأن الذي قال هذا ليس القرآن، بل قوم مريم، وأن القرآن هو مجرد حاكٍ لما قالوه، فهي أسوق إليه الآية ٣٨ من سورة "الأعراف" التي تتحدث عن تتابع الأمم الكافرة على النار واحدة بعد واحدة "كلما دخلت أمة لعنت أختها"، فقد جعلت الآية النسب بين هذه الأمم التي لم تكن متعاصرة هو نسب الأخوة لا البنوة. فما رأيه في هذا؟ وما رأيه في قول الرسول عليه السلام يصف

العلاقة التي تربط بين الأسباط حيث تعد "الأسباط أولاد علات"، أي إخوة لأم واحدة، وأمهاتهم شتى؟ ومعروف أن الأسباط تفصل بينهم مدة متباعدة على صفحات التاريخ. وهناك أيضا هذا الحديث الذي يجمع فيه موسى وهارون محمداً عليه السلام حين التقوا ثلاثتهم في السماء ليلة المعراج بقولهما "مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح". فمن هو "الأخ" المزعوم بينه وبين أخويه الطويلي العمر اللذين يفصل بينهم وبينه

- وهناك نقطة أخرى كنا التحفظنا بها على مناقش كلامه هذا، وهي أن التفسيرات المتضاربة التي يقدمها علماء المسلمين حول تسمية القرآن مريم "ابنة عمران" هي دليل على أن ثمة مشكلة لا يتوفر فيها حل مقنع. وأن معنى ذلك أن المفسرين المسلمين قد يقدمون تفسيرات متناقضة أو مختلفة لهذه المسألة، بيد أن هذا لا يعني أن القرآن مخطئ. لقد رأينا أن النصارى ليس لديهم رواية موثوقة بأن اسم أبي مريم هو يواقيم، بل كل ما هنالك أن هذا الاسم قد ورد في بعض الأناجيل التي يؤكدون أنها الأناجيل مزيفة. إذن فهم من الناحية التاريخية لا يستطيعون أن يثبتوا أن القرآن قد أخطأ في القول بأن أبا هو عمران. بل حتى لو افترضنا أن رواية الأناجيل المذكورة هي رواية صحيحة فإن هذا لا يعني بالضرورة أن رواية القرآن خطأ، إذ من الممكن جدا جدا أن يكون للرجل أكثر من اسم. ونستطيع أن أذكر الآن عددا من قريبي وأبناء جيراني في القرية ممن يحمل الواحد منهم أكثر من اسم، كالشيخ دفي العداوي الذي كان يسمى أيضا "إبراهيم الصاوي"، ومحمد نعيرة ابن خالي الذي لا أدري أنا وكثير ممن يعرفونه عن قرب إلا بـ "رمضان"، وإحدى قريباتي التي لا يدري أهلها إلا بـ "عنة"، على حين لا يدري زوجها وأولادها وزملاؤها وزميلاتها في الكلية وجيرانها في بيت زوجها إلا بـ "فاطمة" وهلم جرا. وفي الكتاب المقدس أشخاص

يجمعون بين اسمين وأكثر ، مثل أبرام وإبراهيم ، وحمى موسى الذى يسمى فى ذات الوقت "يثرون" و"رعوئيل (بن يثرون)" (خروج ، ٣ : ١ ، و٤ : ١٨) ، فضلا عن سبع ثالث سماه به "ثمود هو "حويدث" حسب ذكر أبو الأعلى المودودى فى تفسيره لقرآن الكريم (S. A. A. Maududi, The Meaning of the Qur'an, Lahore, 1978, Vol. IX, P. 87) وضعه لا بد أن يكون القارئ قد لاحظ التخبط فى تفسير من حمى موسى على أنه هو هو ، وأنه هو نفسه فى نفس الوقت ، بد هو مرة "يثرون" ، ومرة "ابن يثرون" وهناك يعقوب وإسرائيل ، وهناك يسوع والمسيح وعمانوئيل إلخ . وهناك أبو بكر والصِّدِّيق وعتيق ، وكذلك عمر والفاروق ، وأبو حفص وعمرو ، وأبو هب وعبد العُزّى وقس هؤلاء جميعا رسول الله الكريم ، الذى له من الأسماء محمد وأحمد ومصطفى ، إلى جانب طه وياسين فى الأوساط الشعبية وكما يرى القارئ قد تكون بعض الأسماء فى الأصل ألقابا أو كُنى اشتهر بها أصحابها حتى طُمِسَت أسماؤهم الرسمية .

- كذلك كثيرا ما يقابلنا فى الكتب المقدسة عدة أشخاص يتسمون بنفس الاسم رغم تباعد العصور والأزمنة ، وليس بنا حاجة فى ذلك بعيد ، فأبو قيم مثلا يُطلق فى تلك الكتب على ستة أشخاص طبقا لما ذكرته "The International Standard Bible Encyclopedia" ، ومنهم أبو قيم بن يشوع ، الذى يُسمَّى حفدة أبو قيم بن زربابل "كما تقول هذه الموسوعة ذاتها" فما وجه الغرابة بدن فى أن يكون هناك عمْرَان عمران أبو موسى وهارون ، وعمْرَان أبو مريم؟ وسواء بعد ذلك أكان اسم هذا الأخير هو "عمْرَان" فقط أو كان له اسم آخر هو "يواقيم" . وبالمناسبة فعمْرَان أبو موسى الذى يرفض إخواننا المسلمون أن يكون هناك عمْرَان غيره ، هذا العمْرَان

قد ورد ذكره في الكتاب المقدس (عمرام لا عمران) على أنه ابن قهات بن لاوي . بيد أن كاتبي مادة "عمرام" في "The International Standard Bible Encyclopedia" و"دائرة المعارف الكتابية" يشكون في هذا كثيرا فقالا إنه لا يمكن أن يكون ابن مباشرا لقهات ، بل أغلب الظن أنه من نسله فقط ، لأن المسافة الزمنية التي تفصل بين الاثنين ، والتي تمتد لعدة أجيال ، لا تسمح بأن يكون أب والد بمعنى حرفي . وهذا ما جاء في "دائرة المعارف الكتابية" نصا . ويكاد لا يكون ترجمة حرفية لما ورد في "The International Standard Bible Encyclopedia" ، وإن زاد عليه أن يوكابد زوجة عمرام لا يمكن أن تكون ابنة لاوي حرفيًا ، بل من نسله فحسب:

- "عمرام بن قهات بن لاوي ، وأبو هرون وموسى ومريم (خر ٦ : ١٨ ، عد ٣ : ١٩ ، ٢٦ : ٥٩ ، ١ أخ ٦ : ٣ ، ٢٣ : ١٣) واسم امرأته يوكابد بنت لاوي (خر ٦ : ٢٠ ، عد ٢٦ : ٥٩) وليس من السهل الجزم بأنه كان ابنا مباشرا لقهات ، بل لعله كان من نسل قهات ، حيث أن هناك عشرة أجيال بين يوسف ويشوع (١ أخ ٧ : ٢٠ - ٢٧) ، بينما لا تذكر سوى أربعة أجيال بين لاوي وموسى في نفس مدة الفترة . كما أن عدد القهاتيين في زمن الخروج كان ٨ ٦٠٠ (عد ٣ : ٢٨) . وهو أمر مستبعد ، إن لم يكن مستحيلا ، أن يحدث في خلال أربعة أجيال . ولذلك فالأرجح أن عمرام لم يكن ابنا مباشرا لقهات ، بل كان من نسله . وكذلك كانت يوكابد ابنة للاوي بنفس هذا المعنى".

- وبالمناسبة فكلمة "عمران" لا تعني "نشعب تعالى أو تعظم" فقط كما تقرر في هذه المادة ، بل هي معان أخرى حسبما ورد في موقع "Behind the Name" هي "their sheaves, handfuls of corn, their

slime'. وهكذا يتضح لكل ذى عينين وبصيرة أن مسألة "عمران" هى مسألة يحيط بها الشك من كل جانب، فكيف تواتى القوم هذه الجرأة المتناهية فى الاندفاع إلى تخطئة القرآن؟

- والآن ما رأى المدين يتلاون الذين صباح ومساء لأن القرآن قال "مريم ابنة عمران"؟ أى أنه حتى لو ثبت أن "عمران" هذا هو عمران أبو موسى وهارون فلن تكون هناك أية مشكلة صدقنى فى التسميات وما ورد فى كتابكم نفسه فى هذا المجال، ومنه "يوسف (النجار) بن داود" (متى ١)، و"يسوع بن داود" (متى ١/ ١٦- ٢٠)، و"ابنة إبراهيم (حسب رأى المسيح عليه السلام امرأة منحنية الظهر التى قابلته فى الطريق)" (لوقا/ ١٣/ ١٦)، علاوة على "بنى الله" التى أطلقت فى الكتاب المقدس (عندهم) على عدة أشخاص مثل "آدم"، وقد مر من قبل، و"إبراهيم" (إرميا/ ٣١/ ٩)، و"إسرائيل" (خروج/ ٢٤/ ٢٢- ٣٢)، و"داود" (مزامير/ ٨٩/ ٢٦- ٢٧).

- إذن فمن الناحية التاريخية المحضة (فى حدود علمى) لا يوجد بين أيديكم دليل على أن أبا مريم كان يدعى "يواقيم" أو "عمران" أو أى اسم آخر، ومن ثم كان من القطع المسارعة بتخطئة القرآن. أقول إن هذا هو الموقف من الناحية التاريخية المحضة، بيد أن هذا الموقف لا يقبله إلا من يتناول المسألة تناولا باردا كأنه آلة من الآلات التى لا تستطيع أن تفكر من تلقاء نفسها، وليس عنده طريق آخر يسلكه. وفى حالتى أنا وأمثالى ممن يؤمنون بصدق القرآن وعصمته، لا بد على الإطلاق من موروث بل استاذ لى تحت استغرق سنوات وسنوات سمعتُ فيها حديثا وراء معرفة مصدره، وتحليل مضمونه وجوه الروحى، والمقارنة بين لغته ولغة الحديث النبوى، وكذلك المقارنة بينه وبين الكتاب المقدس فى الموضوعات المشتركة بينهما

لمعرفة أيهما المصيب وأيهما المخطئ في حالة وجود اختلاف لا يمكن التوفيق بينهما فيه، والنظر في كل اتهام أو تشنيع وُجِّه إليه من قبل من لا يؤمنون به. بل ودراسة "دائرة المعارف الإسلامية" التي وضعها المستشرقون ويشترك فيها كل أفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم في القرآن والرسول والإسلام بوجه عام وتأليف كتاب كامل تناولتُ فيه كل ما قالوه في تلك الموسوعة وتوصلتُ إلى أنه كله كلام فارغ لا أساس له ... إلخ، وهو ما خرجتُ منه بأن القرآن هو كلام الله وأن محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول من عنده سبحانه وتعالى. فهو لم يكن كاذبًا مدَّعيًا ولا واهمًا مخدوعًا ولا مصابًا بأي مرض نفسي مما يتهمه به الأفاكون المفترون. وقد سجلتُ كل ذلك في عدد من كتبي ودراساتي ليطَّلع عليه القراء ويشاركوني رحلتي في هذا البحث. وعلى هذا فإني موقن بأن ما قاله القرآن الكريم من أن "مريم" هي ابنة "عمران" هو حق لا يمكن التشكيك فيه. وهذا ما انتهى إليه فكري وعقلي وسعي الحثيث المتواصل بعد أن بذلتُ جهدًا في هذا السبيل، ثم يوم القيامة تمثل كلنا أمام سيدنا نيحاسب على مدى اجتهاده وإخلاصنا. وأمله في كرمه ورحمته واسع كبير يكفي عصمته وبرّه ومقدرته، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء الصراط!

- وبعد، فقد كان هذا تحليلا علميا مناسبا لإحدى الدعاوى التي يطعن المشركون ويُخشون بها على العقيدة وأشباههم يحاولون أن يوهموهم أن في القرآن أخطاء، ومن ثم فلا هو معصوم ولا هو من عند الله. ولا شك أن القارئ الكريم قد تبين له الآن أن الأمر ليس بالسذاجة التي يصل هؤلاء المتعيسين المتحيسين أنها يمكن أن تُغني عن العلم الصحيح، ولاحظ كيف أن التنقيب والتفتيش قد انتهيا بنا إلى أن كل ما قالوه وأخشوا به لا يزيد على أن يكون رصاصة من ذلك الرصاص الفشنك الذي يخصون به

الأصفاد. وهذه كل بضاعتهم التي لا يستطيعون أن يجدوا غيرها مستعينين بالأسى الاقتصادية التي تمر ببعض البلاد الإسلامية فيتخذها هؤلاء المبشرين فرصة لنشر سمومهم والتضحك على نعرته والشبهم مثل تلك المزاعم التي لا يستطيع العوام أن يعرفوا وجه الحق فيها. وهدفهم من وراء ذلك هو تشكيك عوام المسلمين على الأقل بأن لا يستطيعوا أن يختلوهم عن دينهم! وقد أرسل إليّ مشكوراً الصديق المغربي الأستاذ حسن السرات (الذي عرفته بالمصادفة عن طريق الشبكة منذ أسابيع) مقالاً بالفرنسية عن التنصير في الجزائر. لافتاً نظري إلى الأخطار التي تهدد هذا البلد العربي المسلم من جراء ذلك. وقد قرأت المقال فور وصوله، فوجدت أن ما يحدث في الجزائر هو هو نفسه ما يحدث في المغرب مما تناوله مقال آخر بالفرنسية كان قد بعث به إليّ أيضاً الأستاذ السرات من قبل وقمتُ بترجمته ونشرته في بعض المواقع الشبكية. فالتدخل التنصيري هناك هو التدخل التنصيري هناك، والمزاعم المضحكة عن صلاح أخلاق المسلم بعد تنصره هنا هي نفسها هناك، وتحويل بعض السذج في السر إلى كاثنس هنا هو نفسه هناك، واستغلال جهل وفقر هنا هو نفسه هناك، والغاية التي يتغياها المبشرون هنا هي نفسها هناك. ألا وهي تحويل المغرب العربي إلى نصرانية مرة أخرى بعد أن أنعم الله على شعوبه بنعمة التوحيد لظاهر الكريم. والأمر الآن إلى الشعوب العربية المسلمة حكاماً ومحكومين. فهل ترضى تلك الشعوب بهذا الذي يجري وتترك هؤلاء المبشرين يسرقون عقائد عوامها وفقرائها في الظلام مستغلين فقرهم وجهلهم، أم هل تنظر في هذا الخطر الماحق فتضع له خطة تكفل وقفه والقضاء عليه قبل أن يستفحل ويتحول إلى سرطان يلتهم عقيدة الأمة وروحها وضميرها؟

* * *

إعجاز قرآني علمي
أم مجرد ملاحظات ساذجة
يعرفها كل أحد؟

إعجاز قرآني علمي
أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد؟

كنت أعتقد لفترة أنني أول من أطلق مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن على موقع وجه لوجه أمام معجم فرنسي عنوانه "Dictionnaire des religions et des mouvements philosophiques associes". فقمت بالدخول وألقي نظرة على المعجم، فوجدت عنوان جديد به هو "Coran et Sience" ثم كتب اسمه yohanfras لم يسبق أن سمعت به. فوقفت أحلق قليلا في العنوان. ثم استجمعت عزيمتي وتوكلت على الله وشرعت أقرأ. فانتبهت لكتب يتناول النصوص القرآنية التي يرى المسلمون أنها تتحدث عن موضوعات علمية. وقف أمام كل نص من هذه النصوص محللا إياه لينتهي من التحليل إلى أن ليس في القرآن أي نص لم يمكن أن يقال عنه بحق إنه يتحدث عن موضوع علمي. وفكرت في نوعية أحد الموضوعات التي عالجها الكتاب تحت العنوان المذكور والتعليق عليه. واخترت الموضوع الخاص بما تتحدث عنه بعض آيات القرآن بشأن البحرين مع وجود برزخ يمنعهما أن يبغي أحدهما على الآخر. وهذه أولا ترجمتي للنص المذكور:

"يتحدث القرآن في ثلاثة مواضع منه عن حاجز يفصل بين بحرين عذب وملح ينتفيان دون أن يمتزج أحدهما بالآخر (الفرقان ٥٣، وفاطر ١٢، والرحمن ١٩- ٢١). وهذه هي النصوص المذكورة:

١- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ (الرحمن: ١٩-٢١). وجدير بالذكر أن كلمة "برزخ" الملازمة هنا لـ zone intermediaire تعني "فاصلا، حاجز، حدق، مانع، عائق، بوغاز".

٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝﴾ (الفرقان: ٥٣).

٣- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ (فاطر: ١٢).

وحسبما يقول بعض المفسرين فإن هذه الآيات تكشف عن وجود منع يحول دون اختلاط مياه الأنهار عند مصبها بمياه البحار. لأن هذا الاختلاط لا يتم في حالات معينة إلا في غرض البحر بعيدا عن الشاطئ. ومن الممكن أن يكون هذا صحيحا. لكن أحدا من هؤلاء لاحظ بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد، ألا وهي عدم اختلاط مياه دجلة والفرات بمياه البحر مباشرة عند مصبهما في الخليج الفارسي؟ ومن الممكن أن نلاحظ عند مدينة البصرة بالعراق كيف أن مياه دجلة والعلقمي تصبان في الخليط العذب والملح العالي نشاهد طبقة مائية ملحة ذات لون أخضر تلامس طبقة من مياه عذبة ضاربة إلى الحمرة دون أن يكون بينهما أدنى امتزاج. ولا شك أن القارئ يوافقني على أن هذا المشهد مثير للاهتمام بالنسبة لنا اليوم لا بد أنه كان شيئا هائلا في عين أهل الفرس السابع الميلادي!

ولأن علينا أن نسطر فيما تقوله لنا حكاية الأسطورية التالية التي يرجع تاريخها لما قبل القرآن بثلاثة آلاف من الأعوام "في البدء لم يكن هناك إلا "نمو" التي كانت تتحد صورة البحر الأصلي، أو بمعنى: المحيط الكوني

وقد أثبت "دلمو" هذه "أن" (السماء)، و"كي" (الأرض)... و"حبر" أو"كي" الإله الخاص بهذه المعبد الذي كان يسوى لماء المنح في سفر (النحر الأصبي). فكان لا بد أن يُتفق إلى السماء على هيئة مطر".

ومن هذه الحكاية يتبين أن القرآن لم يكشف عن شيء في الواقع! وإذا كان بعض المسلمين يزعمون أن هذه الآيات القرآنية تكشف عن إحدى الحقائق العلمية، فيسعني حينئذ أن أتخذ نفس الموقف إزاء الأساطير البابلية. وأن أستخلص أن ثمة وحياً كان ينزل على البابليين الوثنيين أيضاً. إني لا أتصور أنه ينبغي الوصول في تفكيرنا إلى هذا المدى، بل كل ما علينا هو أن نكون شرفاء وأن نصرّ على القول بأن هذه الآيات لم تتبع إلا من ملاحظة بسيطة لظاهرة من الظواهر الطبيعية تحدث عنها الناس آخرون ينتمون لحضارات سابقة على محمد بآلاف السنين.

كذلك لا بد من التنبيه إلى أن هناك مفسّرين آخرين قد ذهبوا أبعد من هذا وادّعوا أن القرآن يكشف لنا هنا عن وجود صفات مائية يختلف بعضها عن بعض في درجة حرارتها، وفي سرعتها، وفي كثافتها الخاصة، وفي مدى ذوبان الأوكسيجين فيها... إلخ. ولأن نتفحص ما قاله القرآن إنه يتحدث هنا عن عدة اختلاط هذا الحبر (بعد نفرات السائل شرابه) بماء المنح (الأجاج)، بيد أنه لا يقول شيئاً عن اختلاف درجات الحرارة أو الكثافات الخاصة أو ذوبان الأوكسيجين. إن هذا كلام لا أساس له في القرآن في الوقت الذي يصف فيه بأنه تبيان وتفصيل لكل شيء، وأنه ما من شيء إلا وهو موجود في آياته.

إن القرآن إنما يتحدث عن ماء عذب سائغ شرابه، لكي يقول شيئاً، ولكي يقول بوجود خمر عذبة شيء آخر! ذلك أنه من الخطورة بمكان على البشر أن يعتقدوا في مثل هذه الأشياء. فشرب هذا المنح في الواقع من

شأنه أن يجعل الشخص عرضة للسخرية . . ولقد لا ريب فيه أن البحث في القرآن عن الحقائق العلمية هو أمر ليس في صالحه، وبخاصة إذا وضعنا في الاعتبار ما قلناه قبلا من أنه لا يستمر البعض في الزعم مع ذلك بوجود إشارات علمية في القرآن. فيسعى أن نقف ذات موقف من الأسطورة السومرية، وهو ما يترتب عليه أن القرآن لم يأت في هذا المجال بشيء. وأنه لم يزد على أن ردّد ما قالته تلك الأسطورة قبله بما يزيد على ثلاثة آلاف عام! وهكذا نجد أنفسنا قد وصلنا إلى نفس النتيجة، ألا وهي أن الآيات القرآنية لا تقدم لنا شيئا آخر غير ملاحظة بسيطة لإحدى الظواهر الطبيعية.

وفي الختام يجب أن نؤكد أنه خلافا لما يؤكده بعض المفسرين المسلمين من قراءة تلك الآيات يترتب عليها جهل وتخبط من شأنه، إذا نظرنا إليه على أنه معجزة علمية، الإصرار حتى الآن (جزء الاعتقاد بوجود الحواجز ذات مياه عذبة). ولكن بالرغم البعض مع ذلك على أن يروا في هذه الآيات كشفا علميا، فعليهم في هذه الحالة أن ينظروا إلى الحكاية السومرية بنفس العين. وهكذا تُختزل معجزة القرآنية الوحيدة فلا تعدو أن تكون **تكرارا لما سبق أن قاله الآخرون من قبل . . .**".

* * *

وأول كل شيء نفعله بعد أن نرجع ما قاله الكاتب هو أن نبين الأخطاء المعرفية والمنهجية التي وقع فيها. فقد ذكر أن في كتاب الله ثلاثة مواضع تتحدث عن حاجز يفصل بين بحرين عذب وملح بالتتابع دون أن يقع بينهما مع ذلك أي تمازج. وهي الفرقان ٥٣، وفاطر ١٢، والرحمن/ ١٩-٢١ ونظرة سريعة إلى الآيات التي استشهد بها تدلنا على أنه لا توجد في سورة فاطر أية إشارة إلى الحاجز المذكور، بل الكلام فيها مقصور على الاختلاف الملاحظ بين ماء البحر وماء النهر. ومع ذلك فهناك فعلا نص ثالث في

القرآن الكريم يشير إلى وجود مثل هذا الحاجز لم يذكره الكاتب، ألا وهو قوله تعالى في الآية ٦١ من سورة "النمل": ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١]، فهذه واحدة.

أما الثانية فهي مقارنة الكاتب بين ما جاء في الأسطورة البابلية وما ذكرته النصوص القرآنية. والخروج من ذلك بأن القرآن لم يأت بشيء جديد. فها هي ذي الأسطورة البابلية قد سبقته منذ بضعة آلاف من الأعوام إلى هذا الذي قاله. والواقع أنه لا وجه للمقارنة بين النصين، فحكاية الخرافة تتحدث عن خلاف بين الماء المالح والماء العذب استتبع رفع الماء العذب إلى طبقات الجو العليا وتحويله إلى أمطار. فأين في القرآن ما يمكن أن نقارن به هذا الكلام؟ إن القرآن يتحدث عن إحراز الله تعالى البحر والنهر بما يؤدي إلى التقائهما، ولكن دون أن يطغى أحدهما على الآخر. وهذا شيء معبر تمام لما جاء في الخرافة البابلية، وهو من الوضوح بمكان. ولا أدري كيف سقط الكاتب الهمام في هذه "الغلطة" ثم هل الماء العذب مقصور على صفات الجو العلي؟ فماذا نقول في الأنهار والجداول والآبار والعيون إذن؟

وهنا يأتي إلى الخطأ الثالث الذي ارتكبه المؤلف، وهو ما فهمه من أن الآيات القرآنية تتحدث عن التقاء بين النهر والبحر دون أن يتم بينهما امتزاج. وهذا الزعم أيضا لا وجود له في القرآن. القرآن يقول إنه قد جعل بين البحرين (أي البحر والنهر) حاجزا أو برزخا يمنعهما من طغيان أي منهما على الآخر، لكنه لم يقل إنه لا يحدث بينهما امتزاج عند التقاء وسوف أوضح هذا المعنى فيما بعد. لكني أحب أن أركز هنا على أن الكاتب قد نسب للقرآن ما لم يقله القرآن! لقد فهم النص القرآني خطأ أو تعمد على ترجمة فهم صاحبها ذلك النص فهما خاطئا. فكان أن خطأ

القرآن الكريم، والقرآن من الخطأ براء! وقد يكون تعمُّد هذا تعمُّداً!

وهناك خطأ رابع وقع فيه الكاتب أيضاً، وهو محاسبة النص القرآني على أساس من فهم بعض المفسِّرين المسلمين كما قال. ولعله يقصد ما ورد من كلام الطيب الصديقي المسلم الذي فسَّر الآيات القرآنية المذكورة على أساس أن المقصود بالبحرين هما دجلة والفرات من جهة، والخليج العربي من جهة أخرى. وسوف أعود إلى هذه النقطة لاحقاً (انظر موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ٢٠٥). وليس في النصوص القرآنية ما يُفهم منه أن ذلك هو معنى البحرين الواردين فيها، ومن ثَمَّ فليس للكاتب أي عذر في اتهامه للقرآن حين أكد أن ما يقوله الكتاب الكريم في هذا الشأن لا يزيد عن ملاحظة بسيطة جداً لظاهرة طبيعية يمكن لكلِّ من يقف عند مصب نهرين أن يلاحظها في الخليج العربي أن يلاحظها. وأن خرافات البابلية قد سبقت القرآن إلى هذه الملاحظة منذ آلاف السنين. فلا إعجاز إذن ولا يحزنون!

ثم خطأ خامس، وهو أن الكاتب يشير إلى مسألة وجود طبقتين من الماء في حالات المدّ للعالي إحداهما طبقة مالحة حمراء، لون تلامس طبقة عذبة مالحة للحمرة دون أن تمتزج بها بوصفها أمراً يستطيع الرجل العادي أن يلاحظه بسهولة. وهو ما لا أظنه أنه صحيح. وإلا لذكره كل إنسان، ودعك من أنه كان من الممكن معرفة في أيام ازدهار الثقافة الإسلامية علماء الحيوان وشعراء وأدباء كمحمد بن سيرين (مولى أنس بن مالك) والحسن البصري وعمرو بن عبيد والفرزدق وجرير والفرزدق من الفصاحة ورؤبة بن العجاج وبشار وأبي نواس وابن المقفع والأصمعي والمفضل الضبّي وحنبل بن أحمد وسيبويه والنظّام وواصل بن عطاء وجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وابن دُريد والباقلاني مثلاً لمن لم يكن من الممكن أن تفوتهم ملاحظة مثل

هذه الظاهرة لو كان إدراكها سهلا إلى هذا الحد الذي يصوره لك الكاتب، وبخاصة أنها كانت نابسة للقدماء أمر هائلا كما يقول. والحقيقة أن هذه الملاحظة لم ينتبه لها إلا العلماء في العصر الحديث بعد رحلات وأبحاث ودراسات مضنية استعانوا فيها بآلات التصوير الجوي التي لم يكن لها أي وجود قبل القرن العشرين حينما كتب العلماء المسلمون في هذه المسألة على ما سيأتي بيانه. ولولا الصورة المرفقة لما تنبه إليها لما دار ذلك بخاطري، أما بالنسبة للقدماء فلم تكن تلفت أنظارهم لأنها ليست مما يُدرك بالعين المجردة على خلاف ما يحاول الكاتب أن يوهم قراءه. وحتى لو لاحظ أحدهم كما يريد منا وقت إنها قد تفتت منها الأمطار، فكيف يا ترى كان لهم أن يعرفوا أن النوعين المختلفين يمثلان طبقتين من الماء إحداهما حلوة، والأخرى مالحة؟ وعلى أية حال فلم يكن للرسول من سكان منطقة النصرة حيث كان من الممكن أن يشاهد هذه الظاهرة لو كانت مشاهدتها ممكنة بالنسبة للرجل العادي فعلا كما يزعم الكاتب، بل كان عليه السلام من سكان مكة آنذاك. ومن ثم فلا يمكن أن يقال إنه في هذه النصوص القرآنية قد تكلم عن ملاحظة بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد!

والواقع أنني لم أكتف بهذا، بل ذهبتُ فقلّبت كل ما أتيح لي من "معاجم البلدان" وقرأت ما كُتب فيها عن "النصرة" ونهرَيْها لعلي أعثر على ما يمكن أن يُفهم منه، ولو على سبيل التأويل والتمحُّل البعيد، أن أحدا قد لاحظوا هذه الظاهرة التي يصرّ الكاتب في جرأة عجيبة على أنها مما تراه العين العادية للرجل العادي، فلم أجد شيئا بالمرة. ومن الكتب التي راجعتُها لهذا الغرض "المسالك والممالك" لابن خرداذبة (من أهل القرن الثالث الهجري)، و"الأعلاق النفيسة" لابن رستة (من أهل القرن الثالث الهجري أيضا)، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي (من أهل القرن

السادس والسابع)، و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (من أهل القرن السابع)، و"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني (من أهل القرن السابع أيضا)، و"الروض المعطار في خبر الأقطار" لمحمد بن عبد المنعم الحميري (من أهل القرنين السابع والثامن)، و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العُمري (من أهل القرن الثامن الهجري) و"Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia" لـ J. G. Lorimer (من أهل القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين). ولقد تناول كلامُ هؤلاء الكتاب عن البصرة موقعها وتاريخها وحدودها وأنهارها وأطعمتها وسكانها ومشاهيرها وحيوانها وطيورها ومدها وجزرها وما قيل في مدحها وذمها. لكني لم أقرأ كلمة واحدة، كلمة واحدة يتيمة، عن تلك الظاهرة التي ادعى الكاتب أنها مما نوحظ من قديم الزمان في القرآن بضعة آلاف من السنين. رغم أن بعض هؤلاء الكتاب قد أورد في حديثه عن مدها وجزرها الخرافات والأساطير مثل المقدسي، الذي نقل ما سمعه من أن ثمة ملكًا قد وضع إصبعه في نهر حدث المدّ، وقد رفعه حدث الجزر، أو أن الحوت إذا أحد نفسًا سحب الماء إلى منخريه فكان الجزر، وقد أخرجه كان المدّ" (المقدسي/ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ط٢ بريل ١٩٠٦م/ ٣)! بل لقد تحدث القزويني عن ملوحة ماء البصرة قائلا: "وماء دجلة والفرات إذا انتهى إلى البصرة خالطه ماء البحر فيصير ملحا" (القزويني/ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ودار بيروت/ ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م/ ٣٠٩)، أي أنه قد اقترب كثيرا من النقطة التي نتحدث عنها الآن، ورغم هذا فإنه لم يبس بأي شيء مما يزعم الكاتب أنه ظاهرة طبيعية بسيطة لاحظها القدماء بكل سهولة. وليس فيها ما يمكن أن يُعدّ إعجازًا بحال! إن الزعم أمرٌ هيّن الشأن لا يكلف صاحبه شيئا، بخلاف الماء والنتن، فإنه

يتعب من يرومه ويخشّمه من أمره جهداً ومشقة ونصباً. إن كاتبنا لم يكلف نفسه أكثر من أن تركها ترعى ما يحلو لها دون أن تقدّم عنى ما تقول أي برهان، وهو أمر لا يعجز عنه أي شخص مهما يكن حظه من العلم. أو فلنقل بالأحرى: مهما يكن حظه من الجهل. كل ما هنالك أنه يسعى أن يتدرع بالاندفاع واللامبالاة، ثم لا عليه بعد ذلك من شيء! أما الذين يحرصون على سمعتهم ويشعرون بقيمة الدين والعلم والخلق الكريم فلا يستطيعون أن يخطّوا حرفاً إلا بعد التثبّت والتحرّي خشيةَ الخطأ وتحرُّزاً من الوقوع في التدليس. وصدق المثل القائل إنّ رمْي حجر في بئر لا يحتاج إلى أكثر من مجنون واحد، أما إخراج الحجر من البئر فيحتاج إلى ألف عاقل!

ثم يضيف الكاتب أن من المسلمين من يقول بوجود بحار ذات ماء عذب صالح للشرب (eau de mer potable)، قائلاً إن الاعتقاد بهذا والشرب بناء عليه من ماء البحر المالح يؤدي إلى الجنون. ولست أدري من أين أتى الكاتب بهذا الكلام الذي ينسبه لبعض المفسرين المسلمين. لقد كان ينبغي أن يذكر لنا أسماء من قالوا بذلك ويحدد السياق الذي ورد كلامهم فيه، وعلى أي أساس قالوه. أما أن يترك في عمياء من الأمر متصوراً أنه ينبغي أن نلقي إليه بمقاليد طاعتنا ونصغي إليه أسماعنا وأفئدتنا دون دليل أو توضيح فأمر لا يصحّ. ومن شأنه أن يدفعنا إلى تكذيبه فيما يقول نظراً لغرابته البالغة، إذ لا يعقل أن يكون بين المفسرين المسلمين في العصر الحديث ولا في أي عصر آخر من يُقدِم على كتابة هذا الكلام المضحك مهما تبلغ قلة بضاعته من المعرفة. إن هذا الكلام يعرف كذبَه أي عاميٍّ قدَم. فما بالنا بمن يتصدى لتفسير كتاب الله المجيد؟ ولقد رجعتُ إلى ما نشره موقع الإيمان على شبكة الإنترنت في هذا الموضوع فوجدت ما أورده الكاتب المذكور وعمل على تفنيده من تفسير علماء المسلمين المعاصرين للآيات

نقرئية التي نحن بصددها، لكننا لا نعثر البتة على أي شيء يومئ من قريب أو من بعيد ولو على سبيل التوهم إلى ما يمكن أن يُفهم منه أنهم يقولون بوجود بحار (بحار كالبحر المتوسط أو البحر الأحمر أو بحر قزوين أو خليج المكسيك أو المحيط الهندي أو الأطلسي مثلا) ذات مياه عذبة، بل الذي قالوه، وهو صحيح مائة في مائة على ما سوضح لاحقا، هو أن كلمة "البحر" قد تُطلق في لسان العرب على ما تسميه عادة "نهرا". وهذا غير ذاك كما هو واضح، لكن الكاتب بما أنه لم يفهم كلامهم، وهو ما استعدنا لأنه قد فهم بقية ما قالوه فهما سليما يدل على أنه يعرف هذا قالوا بالضبط سواء طبع عليه مباشرة في لغته الأصلية أو ترجمه له مترجم، وإما أنه فهم هذا الكلام لكنه أراد التحريف والتشكيك فيما قالوه برُمّته ليبعكس ذلك على نظرة قارئي كلامه للقرآن ليصد، وهذا ما نرجحه.

وقد استخدم القرآن كلمة "البحرين" للدلالة على ما نعرفه الآن بـ"النهر والبحر"، إذ "البحر" في اللغة العربية "هو الماء الكثير، ملحا كان أو عذبا، وهو خلاف البر، أو هو ملح فقط. وقد عدّ عدّه حتى قلّ في العذب" حسبما نقرأ في "لسان العرب" و"تاج العروس" وغيرهما من المعاجم. وقد يكون الكتاب المجيد استخدمه على سبيل التغليب كقولنا مثلا "القمران" للشمس والقمر، و"الخسان" للشمس والخسيف، و"الأبوان" للأب والأم، و"القمران" للشمس والقمر، و"الأسودان" للتمر والماء. فقول عثمان بن البحر قد يكون عذب الماء كما قد يكون ماحها هو كلام لا خطأ فيه، ولا يمكن أن يتوهم متوهم أنهم يقصدون أن الماء الملح يطفئ الظمأ حتى يخفف الكاتب على البشر من هذا أن يصيبهم الخبل جراء تصديقهم لذلك الكلام وكزعمه من ثمّ من هذا الماء، بل المقصود هو ما نعرفه الآن بـ"النهر"، وهذا كل ما هنالك. ونحن في مصر كثيرا ما نطلق على "النهر" اسم "البحر"

كقولنا "بحر النيل". وفي قرية "كفر نعنة" بمحافظة الغربية نسمى الترعة الواصلة بين بلدة وطنا "بحر عاصي". كما نسمى الترعة الأخرى التي تمر بالقرب من "شفاقرون" المجاورة لنا "بحر شفاقرون". وبالمثل نسمع الناس يقولون لفرع النيل القريب من "سيبون" "بحر المُقصّبة" على اسم قرية "المُقصّبة" التي تقع عليه. ولفرع نيل آخر بدسوق "بحر سيدي إبراهيم" على اسم إبراهيم الدسوقي رضي المعروف الدفين بالمدينة المذكورة. وبالترعة التي تقوم على شاطئها قرية "سدينة" "بحر سيدي أبو النيرين" على اسم "أبو النيرين البسطامي". بد في اعتقاد أهل منطقة أن الضريح الموجود في تلك البلدة هو لذلك الصوفي المشهور. ويوجد في القاهرة شارع اسمه "شارع البحر الأعظم". كما يوجد في بعض شارع يسمى "شارع البحر" إشارة إلى ما كان يوجد في كل من المكانين من مجرى النيل. وهذه الحكمة دفعت كل العلماء في مصر يسمون "البحر المتوسط" "البحر المالح". وهو دليل آخر على أن هناك في أذهانهم "بحرا عذبا" مثلما أن هناك "بحرا مالحا". بل لقد وجدت بدر الدين العيني يستخدم هذه التسمية في كتابه: "عِقْد الجُمان في تاريخ أهل الزمان" عدة مرات. ومرة واحدة على الأقل تسمية "البحر الملح". كذلك استعمل شوقي ضيف هذه التسمية الأخيرة في "الروض المعطار في خبر الأقطار" عند تعريفه لمدينة "الإسكندرية". وذلك في قوله "مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهي على ساحل البحر الملح". وبالمثل نقرأ في "ثمرات الأوراق" لابن حجة الحموي أن ملك بحر الأردن خاف على بنته من أردشير حين أرسل يخطبها منه فـ "أرسلها إلى بعض الجزائر في البحر الملح". وهذه مجرد أمثلة قليلة ورد فيها كلمة "mer" الفرنسية لا تعني إلا "بحر الملح"، فينبغي ألا نخدع بهذه المرادفة، فلكل لغة أوضاعها التي كثيرا ما تختلف فيها وبها

عن غيرها من اللغات كما هو معروف.

ومن الشواهد التي تجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، ومعروف أن السمك يخرج من البحر والنهر كليهما لا من البحر فقط، وكذلك قوله عز شأنه: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، حيث وُضع البحر مقابل البر مما يدل على أن المقصود به النهر والبحر معاً. وقرأت في "الحيوان" للجاحظ هذه العبارة: "ومررتُ به وهو جالسٌ في يوم غمق حارٍّ ومبذ، على باب داره في شروع نهر الجوسق بأردية، وإذا ذلك البحر يبخر في الهه" فانظر كيف ذكر أولا "النهر"، ثم كيف سماه بعد ذلك: "بحرا". وجاء في "كتاب الصناعتين" لأبي هلال العسكري: "ولولا كراهةُ الإطالة ومخوف الإملال لَزِدْتُ من هذا النوع، ولكن يكفي من البحر جرعة". والبحر هنا لا يمكن أن يكون إلا الماء العذب، فالإنسان لا يجرع إلا من النهر. وفي "الفرج بعد الشدة" للقاضي التنوخي نقرأ هذه العبارة: "فلا شدة أعظم من أن يُبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم، حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر مع طفوليته، ولا شدة أعظم من حصول طفل في البحر". ويقول الشابشتي في وصف دير القصير بمصر من كتاب "الديارات": "وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر. وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطىء البحر، ويذكرون أن موسى، صلى الله عليه، ولد فيها، ومنها ألقته أمه إلى البحر في التابوت". ويقول أيضا عن "دير طمويه": "وطمويه في الغرب بإزاء حلوان. والدير راكب البحر، وحوله الكروم والتين والنخل والشجر. فهو نزهٌ عامرٌ آهل. وله في النيل منظر حسن وخير لخصر الأرض، فإنه يكون بين بساطين من البحر والزرع". وفي

"فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبي أن نورين شاه لما حاصرته جنائيك أبيه في قلعة عند المنصورة رمى بنفسه وهرب إلى "نيل" ومرّ في البحر إلى حلقه" فقتلوه. والمقصود بـ "البحر" في هذا كله: "نيل" كما هو واضح. وعندنا من الشواهد الشعرية الكثير، ومنها قول أبي الشيص الخزاعي.

بحرٌ يَلُوذُ المُعتفونَ بِنَيْلِه ::: فَهُمُ الجَداوِلُ مُتَّزِعُ الأحواضِ

وقول ابن الرومي:

هو بحرٌ مِنَ البحورِ فُراتٌ ::: ليس مِلْحًا وليس حاشاه مَلْحًا

وقول ابن حيّوس:

ومَنْ جادَ بالآمالِ عنكَ فإنني ::: أرى كُلَّ بحرٍ مُذ رأيتُكَ جَدْوَلا

وقول ابن درّاج القسطلي:

وإن أرْفَهَتْ في بَحْرِ جُودِكَ شِرْبَها ::: فَمِنْ ظِمْءِ عشرٍ في الهجيرِ إلى تِسْعِ

وقول البحتري:

بحرٌ مَتى تَقِفِ الظِّماءُ بِمَوْرِدٍ ::: مِنهُ يَطِبْنَ لَهُم جَداهُ وَيَعْذُبِ

وقول الخبز أرزي:

ولكنهُ بحرٌ يَلَذُّ لشاربٍ ::: ويُكرِمُ مَثْوىً من مُنِيفٍ ومُرْمِلِ

وقول ظافر الحداد الشاعر المصري:

تأمّلتُ بحرَ النيلِ طولاً وخلفَه ::: من البركة الفيحاء شكلٌ مُدَوَّرُ

وقول البوصيري:

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلتَمِسٌ ::: غَرْفًا من البحرِ أو رشفًا من الدِّيَمِ

وقول المتنبي:

فواصِلُ كافورٍ تُوارِثُ غيرَه ::: ومِن قَصْدِهِ البحرَ استقلَّ السواقيا

ثم كيف يمكن أن يتوهم متوهم هذا الذي يحشاه الكاتب (أو بالأحرى

هذا الذي يزعم أنه يحتاه)، وبذهب فيعُبّ من هذا الملح عُبًا؟ ويبقى تأكيده أن شرب هذا الماء يصيب الشخص بالجنون. ولا أعرف مدى صحة هذا الكلام من الناحية الطبية، وإن كنت أستغربه غاية الاستغراب، وبخاصة أنه من غير المعقول أو المتصوّر أن يستمر أي إنسان في شرب ذلك الماء بمجرّد أن يذوقه ويحس ملوحته! لكن الذي أنا متأكد منه أن الذي يعُبّ من الماء المالح يكون قد أُصيب بالجنون فعلا، وانتهى أمره والعياذ بالله، لا أنه سيصاب به بعد الشرب، إذ لا يفعل ذلك عاقل بحال من الأحوال!

والآن نأتي لتفسير الآيات المذكورة لنرى أفيها ما لم تكن العرب بل ما لم تكن البشرية كلها تعرفه أولاً، وسبدأ بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان ٥٣]، إذ هو من الوضوح بمكان بحيث لا يثير مشاكل وخلافات حول المقصود بالبحرين هنا: أهما بحران ملحان أم بحرٌ عذبٌ وآخر ملحٌ؟ وقد فسره بوكاي قائلا: "معروفةٌ تلك الظاهرة التي كثيرًا ما نشاهدها عند عدم الاختلاط الفوري لمياه البحر المالحة بالمياه العذبة للأنهار الكبيرة. ويرى البعضُ أن القرآن يشير إليها لعلاقتها بمصبّ نهرَيْ دجلة والفرات. اللذين يشكلان بالتقائهما بحرًا، إذ جاز القول، طوله ١٥٠ كم هو شط العرب. وفي الخليج ينتج تأثيرٌ لمدّ ظاهرةٌ طبيعيةٌ هي انحسار الماء العذب إلى داخل الأراضي، وذلك يضمن ريًّا عذبًا" (موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ٢٠٥) والحق أن هذا التفسير، رغم احترامي الكامل للدكتور بوكاي، هو تفسير غير مقنع: فمن الناحية اللغوية يصعب عليّ أن أوافق العالم الفرنسي على أن أداة التعريف في كلمة "البحرين" هنا للعهد، الذي قيل على أساسه إن "البحرين" المذكورين هما شط العرب والخليج اللذي يصب فيه. ذلك أن الآيات السابقة تتحدث عن الظل والرياح والماء والأنعام والأناسيّ، وهي

مفاهيم عامة لا تشير إلى أصل معين ولا إلى بحر محدد ولا أعلم وأسمى مخصوصة. فلم يقل إذا إن البحرين هما هما نحن معينان (خليج وشط العرب)؟ إن السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة هو سياق عام. ومن ثم فإن بلاغة الكلام تقتضي أن يكون البحران أيضا هما هما البحر والبحر على الإطلاق. أي أن أل التي فيهما هي أل الجنسية لا العهدية. وقد يقال إن كلمة "فرات" الواردة في النص القرآني هي اسم إلى نهر الفرات، ومن ثم يستغربون قولي بعدم وجود قرينة تدل على أن السياق هنا سياق خاص لا عام. لكن لا بد أن نعرف أن كلمة "فرات" في النص ليست علما على نهر معروف في بلاد الرافدين، بل صفة لنوع من البحرين المذكورين معناها "شديد العذوبة". كذلك هذا البحر، مهما توغل بقوة اندفاعه إلى مدى بعيد في داخل البحر الأجاج وحتى أثناء ذلك خصائصه وعذوبته، يختلط في النهاية بمائهما ويتحول من ثم إلى ماء ملح أجاج. فظاهر الأمر إذن أن النهر يبقى في البداية على البحر الآخر يشق عباب الملح ويريقه عن طريقها بعيدا في البحر فيبقى في النهاية عذب الماء. لكن هذا البحر الملح الذي يشقه خاصة العذوبة ويعذب ماءه نهر (موجه)، فأين الحرج إذن في الحجر والحِجْر المحجور؟

لم أستحب في تفسير القرآن بكريم أبدا يقول، في هامش خصصه للتعليق على هذه الآية، إنه لم أستبين بعد سبب الله على عدة: عدم اختلاط ماء الملح المنسرب من البحر في مجرى الفرية من الماء العذب المنسرب إليها من النهر اختلاطا تاما، بل إنهما يلتقيان مجرد التلاقي يظلان متمايزين منهما فوق الملح كأن بينهما برزخا يمنع بغي أحدهما على الآخر وحجرا محجورا، أي حجرا حقيقيا مستورا لا نراه. لكن ثمة نقطة هامة يظهر أن كاتبنا هذا التعليق، رغم حدته وطرافته، نسيها في غمرة

الأقل ، قد أعفلاها ، بل إن ماء العذب وماء الملح اللذين يلتقيان في البحور على هذا النحو لا يمكن تسميتهما "بحرين" ثم إذا كان الماءان في هذه الظروف لا يلتقيان ، فإنهما في عُرْض البحر يلتقيان ويتمازجان ويصبحان في النهاية ماءً واحداً كما قدمنا من قبل

يبدو لي ، والله أعلم ، أن البرزخ المذكور في الآية الكريمة هو القوانين التي تقتضيها بقية كل من ماء العذب وماء الملح كلَّ هذه الدهور المتطاولة التي لا يعلم مداها إلا الله ، وسيبقى هو أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما هو لا يتغير . فالأنهار تصب في البحار والمحيطات ، ولكن المفروض ، لو أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، أن يحتفظ كل منهما احتفاظاً دائماً فلا يتصلا بعد ذلك أبداً ، ويصبح كل ماء الموجود على سطح الأرض من ثمّ ماءً مِلْحاً . بَيْدَ أن التقدير الإلهي قد شاء أن يقوم البخر بحمل ماء البحار والمحيطات فتسوقه الريح ليسقط على جبال وينحدر إلى الأنهار ماءً عذباً كما كان . . . وهكذا دواليك . وهكذا أيضاً يبقى ماء العذب والماء الملح كما هما ، ويتعايش البحران دون أن يبغي أحدهما على الآخر ويقضي عليه فهذا هو البرزخ ، وهذا هو الحَجْر المحجور فيما أفهم ، والله أعلم . وهو ، كما نرى ، برزخٌ وحجْرٌ غير مادي ، إنه حاجز من قوانين لا من أحجار أو مسدات أو تضاريس . ومن الحواجز المعنوية أيضاً "براجح الإيمان" التي جاء في الحديث أنها تفصل بين الشك واليقين أو التي تفصل ما بين أول الإيمان وآخره ، والبرزخ الذي يفصل بين الدنيا والآخرة ، و "الحِجْر" المذكور في القرآن على لسان المشركين: "وقالوا: هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ لا يطعمها إلا من نشاء" ، أي محرَّم أكلها حسب نصت الآية الكريمة ، والتحريم (كما هو معروف) حاجزٌ معنوي لا مادي . كما أن قوله تعالى في الآية ٢٢ من سورة "الفرقان": "حِجْرًا محجورًا" معناه "حرامًا محرَّمًا" . . . وهكذا . وهذا قالت

المعاصر وكتب التفاسير في البرزخ تفاصل بين البحرين إنه حاجز حقيّ من قدرة الله. ولا ننس أن القرآن لم ينف التقاء البحرين رغم وجود البرزخ، بل قال بصريح اللفظ: "مرج البحرين يلتقيان" بينهما برزخٌ لا يَبْغيان" كما جاء في الآيتين ١٩- ٢٠ من سورة "الرحمن". فالبرزخ موجود، ولكن الالتقاء حاصل أيضا لأن البرزخ في النص القرآني إنما يمنع بَغْي أحد البحرين على الآخر لكنه لا يمنع اللقاء بينهما.

يُقال ذي قبل فسّر الطبري الآيتين المذكورتين فقال: "قوله: "هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ"، الفرات: شديد العُذُوبة. يُقال: هذا ماءٌ فُرَاتٌ، أيْ شديد العُذُوبة وقوله: "وهذا ملْحٌ أُجَاجٌ". يقول وهذا مِلْحٌ مُرٌّ، يعني بالعذب الفُرات مياه الأنهار والأمطار، وبالملْح الأجاج مياه البحار. وإنما عنى بذلك أنّهُ، من نعمته على خلقه وعظيم سُلطانه، يخلط ماء البحْر العَذْب بماء البحْر المِلْح الأجاج، ثُمّ يَمنع المِلْح من تغيير العذب عنْ عُذُوبته وإفساده إيّاهُ بفصلِهِ وقُدْرته لئلاّ يَضُرّ إفساده إيّاهُ بِرُكّان المِلْح منهُما فلا يجدُوا مَاء يَشْرَبُونهُ عند حاجتهمْ إلَى المَاء، فقَال جلّ ثناؤُهُ" وجعَلَ بَيْنهمَا برْزَخًا"، يعْني حَاجِزًا يمْنع كُلّ واحد منْهُما منْ إفْسَاد الآخر. "وحجْرًا محْجُورًا"، يَقُول. وجَعل كُلّ واحد منْهُما حَرَامًا مُحرّمًا على صَاحبه أنْ يُغيّرهُ ويُفْسدهُ". على أن هذا التفسير لا يمنع أن يدخل فيه التقاء ماء دجلة والفرات بماء الخليج العربي بوصفه إحدى الحالات التي يتبدّى فيها القانون الذي شرحتُه آنفا لا بوصفه الحالة الوحيدة المقصودة في القرآن كما جاء في كلام الدكتور بوكاي، فضلا عن أن التفسير الذي ذكره يختلف عن تفسيري أنا حسبما وَضّحْت.

وفي رأيي المتواضع أن آيات سورة "الرحمن" تدل على نفس هذا المعنى، لكن كاتب مقال "البرزخ الذي بين البحرين" في "موقع الإيمان على شبكة الإنترنت" يرى أن "البحرين" هما بحران مالحان. وهذا نصّ كلامه: "قال تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١]. لقد توصل علماء البحار، بعد تقدُّم العلوم في هذا العصر، إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين، فوجدوا أن هناك برزخًا يفصل بين كل بحرين ويتحرك بينهما، ويسميه علماء البحار "الجبهة" تشبيهًا له بالجبهة التي تفصل بين جيشين. ووجود هذا البرزخ يحفظ كلَّ بحر على خصائصه التي قدرها الله له، ويكون مناسبًا لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة. ومع وجود هذا البرزخ بين البحرين المتجاورين يحتفظ كل منهما بطيف يحمل القدْر الذي يميز من بحر إلى بحر آخر يكتسب خصائص البحر الذي ينتقل إليه عن طريق البرزخ الذي يقوم بعملية التغليب لمياه كثيرة من بحر إلى بحر ليبقى كل بحر محتفظًا على خصائصه تدرج العلم البشري لمعرفة حقائق اختلاف مياه البحار وما بينها من حواجز:

كشف علماء البحار أن هناك اختلافًا بين عينات مائية أُخذت من البحار المختلفة في عام ١٣٨٤هـ - ١٩٧٣م على يد البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة تشالنجر، تعرف الإنسان أن لمياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها البعض من حيث درجة الملوحة ودرجة الحرارة ومقدير الكثافة وأنواع الأحياء المائية. وقد كان اكتشاف هذه المعلومة بعد رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام، جابت جميع بحار العالم. وقد جمعت الرحلة معلومات من ٣٦٢ محطة مختلفة لدراسة خصائص المحيطات، وملأت تقاريرُ الرحلة ٢٩,٥٠٠ صفحة في حين تحتاج إكمالها ٢٣ عامًا. وإضافة إلى كون الرحلة أحد أعظم مشروعات الاستكشاف العلمي فإنها أظهرت كذلك ضآلة ما كان يعرفه الإنسان عن البحار.

بعد عام ١٩٣٣م قامت رحلة علمية أخرى أمريكية في خليج المكسيك،

ونشرت مئات المجلات البحرية لدراسة خصائص البحار، فوجدت أن عدد كبيرا من هذه المجلات تعطي معلومات موحدة عن خصائص الماء في تلك المنطقة من حيث الملوحة والكثافة والحرارة و الأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء، بينما أعطت بقية المجلات معلومات موحدة أخرى عن مناطق أخرى، مما جعل علماء البحار يستنتجون وجود بحرين متجاورين في بعض لا مجرد عينات محدودة كما عند من رحلة لتشالنجر.

وقام الإنسان مئات المجلات البحرية لدراسة خصائص البحار المختلفة، فقرر العلماء أن الاختلاف في هذه الخصائص يميز مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض. لكن هذا لا يمنع البحار وتتحاشى رغم تأثير قوتي المد والجزر التي تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب الكثير من الأخرى التي تجعل مياه البحر متحركة باضطراب على الدوام مثل الموجات السطحية والداخلية والتيارات المائية والبحرية؟ ولأول مرة يظهر جواب على صفحات الكتب العلمية في عام ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م، فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار المختلفة، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة والأحياء المائية وحرارة وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء. وبعد عام ١٩٦٢م عُرف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر مع تعذر أحد البحرين على الآخر فيحدث الاختلاط بين البحار المتجاورة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز. ويبين الشكل التالي حدود مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة والمالحة عند دخوله في المحيط الأطلسي ذي المياه الباردة والأقل ملوحة منه.

وأخيرا تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين

البحار بلمحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية، والتي تبين أن مياه البحار وإن بدت جسمًا واحدًا. إلا أن هناك فروقًا كبيرة بين الكتل المائية للبحار المختلفة تظهر بألوان مختلفة نتيجة لاختلافها في درجة الحرارة. وفي دراسة ميدانية للمقارنة بين مياه خليج عمان والخليج العربي بالأرقام والحسابات والتحليل الكيماوي تبين اختلاف كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة في كل منهما ووجود البرزخ الحاجز بينهما. وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية وعدمها في حفظ خصائص كل بحر قرابة مائة عام من البحث والدراسة اشترك فيها المئات من الباحثين، واستُخدم فيها الكثير من الأجهزة ووسائل البحث العلمي الدقيقة، بينما حلَّى القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرنًا. قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن ١٩ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل ٦١].

هذا ما جاء في المقال المنشور على موقع "الإيمان على شبكة الإنترنت" والواقع أنني أميل إلى تفسير "البحرين" في سورتي "الفرقان" و"الرحمن" بأنهما بحران مختلفان، وأوثر هذا التفسير على القول بأن البحرين في هذه السورة هما بحران مالحان كلاهما. وعلى هذا فإني أرى أن البحرين في آيات سورة "الرحمن" أيضا هما البحر العذب والبحر المالح. والسبب في ذلك هو حرصي على أن يكون هناك انسجام بين آيات القرآن مراعاة للسياق القرآني العام، إذ القرآن يفسِّر بعضُه بعضًا كما هو معروف، وعلى هذا أرى أن تكون النصوصُ التي حددت البحرين بأنهما البحر العذب والبحر المالح حاكمةً على النصوص التي لم تحددهما. ولكني رغم ذلك لا أستطيع أن أحطِّئ من يقولون بهذا التفسير مادامت الآية تقبله على وجه من الوجوه.

د. سيس في النص الكريم ما يجعل التفسير الثاني مرفوضاً، بل الأمرُ أمرُ تفضيل تفسير على تفسير كما أوضحت. أما الحجة التي استند إليها من فسروا "البحرين" في النص الأخير بأنهما كليهما بحران مالحان، وهي أن المرجان قد ذُكر فيه، وهو لا يُستخرج إلا من مياه المالحة، فليست إلا حجة واهية، إذ المرجان عند معظم اللغويين والمفسرين القدماء هو صغار اللؤلؤ أو كباره، واللؤلؤ يُستخرج من الأنهار أيضاً مثلما يُستخرج من البحار على ما سوف أُبيّن بعد قليل. لكني مع ذلك لا أحد، كما قلت، منعه أن يفسرها الآخرون بغير ما فسرتُها به ما دامت تقبل هذا التفسير. إن yohanfrais يشير إلى أن النص القرآني لا يذكر اختلاف مياه البحار من حيث درجة الملوحة ودرجة الحرارة ومقدير الكثافة وأنواع الأحياء المائية، وكلامه صحيح بلا جدال، لكنه صحيحٌ أيضاً أن علماء المسلمين الذين يتحدثون عن هذه الفروق لا يقولون إن القرآن قد ذكر هذا، بل كلّ مقصدهم أن دلالة الآية تشمله، ولا داعي من ثم إلى اتهامهم بأنهم يُقوّلون النص القرآني ما لم يقله.

هذا، وقد اختتم كاتبُ المقال المنشور على "موقع الإيمان على شبكة الإنترنت" كلامه بالملاحظات التالية:

١- أن القرآن الكريم الذي نُزّل قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة قد تضمّن معلومات دقيقة عن ظواهر كونية لم تُكتشف إلا حديثاً بواسطة الأجهزة المتطورة، ومن هذه المعلومات وجود حواجز مائية بين البحار. قال تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝﴾ [الرحمن ١٩-٢٠].

٢- يشهد التطور التاريخي في سير علوم البحار بعدم وجود معلومات دقيقة عن البحار، وبخاصة قبل رحلة تشالنجر عام ١٨٧٣م، فضلاً عن وقت نزول القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة الذي نزل على نبيٍّ أميٍّ عاش في

بيئة صحراوية ولم يركب البحر .

٣- كما أن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين ، وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين . وقبل ذلك كان البحر مجهولا تحيط به الكثير من الأساطير والخرافات . وكل ما يهتم به ركوبه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم التجارية . ومن عرف الإنسان أن البحار ليست بحراً مختلفاً إلا في الثلاثينات من هذا القرن بعد أن أقام الدارسون آلاف الفحصات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار ، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة ، ونسبة الملوحة ، ومقدار الكثافة ، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل الفحصات وذلك بعد أن البحار ليست متنوعة .

٤- ومن عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار ليست إلا بعد أن أقام الفحصات الدراسة البحرية تشير إليه ، وبعد أن قضى وقتا طويلا في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة التي تتغير في مواقعها تغيراً في بعض فصول العام .

٥- ومن عرف الإنسان أن مياه البحرين منفصلان عن بعضهما بحاجز برزخي ومختلفان في نفس الوقت إلا بعد أن تكتب بدراسة الأجهزة ومتابعة حركة مياه في مناطق الالتقاء بين البحار ، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق .

٦- ومن قرر الإنسان هذه القاعدة على كل البحار التي تلتقي إلا بعد استقصاء ومسح علمي واسع لهذه الظاهرة التي تحدث بين كل بحرين في كل بحار الأرض .

فهل كان يمتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الفحصات البحرية .

وأجهزة تحليل كتل المياه، وقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة؟ وهل قام بعملية مسح شاملة، أم هو الذي لم يركب البحر قط، وعاش في زمن كانت الأساطير هي المسيطرة على تفكير الإنسان، وخاصة في مسألة البحار؟ وهل يسر رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه من البحث والدراسات ما ييسر لعلماء البحار في عصرنا الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة؟ إن هذا يعني أن ما في القرآن يتضمن وصف لأدق الأسرار التي لم يستطع علم البشر به معرفتها إلا على مصدره الإلهي كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦]. كما يدل على أن الذي أنزل عليه الكتاب رسولٌ يوحى إليه. وصدق الله العظيم ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وأخيرًا، وبعد أن عدت من حيث بدأت، أعود إلى آية سورة الرحمن ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [الآية: ١٢]. وسوف أتناولها من زاوية أخرى لأنبه، كما سبق القول، لا أتذكر شيئًا عن مرجان أو حجر كريم يتذكر أحد البحرين من المعنى على الأحمر. لقد قرأت هذه الآية مرات لا تحصى، لكني لم أكن التفت إلى ما تؤكده من أن حليًا تُستخرج من البحر وليس كلهما. بل كنت أتصور أن اللؤلؤ والمرجان لا يوجدان إلا في البحر المالح. وبعد عدة سنوات كنت أقرأ هذه الآية، وفجأة تساءلت عما كان عالقًا في ذهني، فتساءلت: هل يوجد حليٌ حقًا في مياه الأنهار كما هي موجودة في البحار؟ وقد رجعت يومها إلى ترجمة عبد الله يوسف علي للقرآن إلى الإنجليزية. فأخبرني، في تعليقه على هذه الآية في دمشق، بذكر من أنواع حليّ نهري يعقيق وبردة الذهب وغيرهما. ثم

رجعتُ بعد ذلك إلى "Encyclopaedia Britannica" (الطبعة الرابعة عشرة) فقرأتُ في مادة "Pearls" أن المؤلف يوجد أيضا في المياه العذبة وبعد هذا وقع في يدي "مختصر في تفسير القرآن الكريم"، الذي أصدره مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر. فقرأتُ في التعليق العلمي الموجود بأسفل الصفحة على الآية المذكورة الكلام التالي الذي يبدو وكأنه كُتب خصيصا لي: "قد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرا للحلي، ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك أما اللؤلؤ فإنه كما يُستخرج من أنواع معينة من البحر، يُستخرج أيضا من أنواع معينة أخرى من الأنهار، فتوجد اللآلئ في المياه العذبة في إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا ... إلخ، بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة. ويرجع في ذلك إلى تحمله المياه العذبة من المعادن المعينة للصلادة كالماس، الذي يُستخرج من رواسب الأنهار حتى المعروفة بالبرازيل. ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من بنكلاس في بورما العليا. أما في سيام وفي سيلان فيوجد الياقوت عادة في الرواسب النهرية. ومن الأحجار الثمينة الكريمة التي تُستغل في أوربة حجرُ التوباز، ويوجد في الرواسب النهرية في مواقعَ كثيرة ومنتشرة في البرازيل وروسيا (الأورال وسيبريا). وهو فلوروسيليكات الألمونيوم، ويجب أن يكون أصفر أو بنيًّا. والزيركون (circon) حجرٌ كريمٌ جدًّا تقترب جوعته من جوعة الماس، ومعظم أنواعه الكريمة تُستخرج من الرواسب النهرية". علاوة على أن "المعجم Glossary" الموجود تحت توقيع "British Iles Natural History" يذكر أن المرجان ذاته (بالمعنى الحق للمرجان لا بمعنى "اللؤلؤ صغيره أو كبيره" كما سبق القول) قد يوجد في المياه العذبة، أي في الأنهار. وهذه هي عبارة المعجم المذكور:

"Coral: marine (rarely freshwater) organism that lives in shallow water, often in groups (colonies, reefs) Found over a wide span of Earth history, the Great Barrier Reef is a present-day example of a series of coral reefs".

ولكي يفسّر القارئ رد فعلي الأول حق قدره أذكر أن بعض المترجمين الأوربيين أنفسهم في العصر الحديث قد استعدوا أن تكون الأنهار مصدراً من مصادر الحلق. وقد تجلّى هذا في ترجمتهم هذه الآية. فمثلاً نرى رودويل الإنجليزي يترجم آخر الجزء الخاص بحلي منها هكذا: "yet from both ye eat fresh fish, and take forth ornaments to wear" فعبارة "from both" لا تعطي المعنى الموجود في الآية، وهو أن كلا من البحرين فيه حلي لا أن الحلي تستخرج منهما معاً. فمن الممكن أن يكون معناه أنه يخرج من مجموعهما حتى لو أنه يخرج في الواقع إلا من أحدهما. وهو ما قد يصلح لترجمة قوله تعالى في سورة الرحمن: "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" (لاحظ "منهما" لا "من كل منهما"). كذلك ينقل رُودي پاريت المستشرق المعروف هذه العبارة إلى الألمانية على النحو التالي: Aus beiden esst ihr frisches Fleish" وهذه ترجمة صحيحة، فهذه العبارة تقابل قوله تعالى "ومن كلٍ تأكلون لحماً طرياً"، وقد استخدم پاريت في مقابل "طريا" كلمة "frisches"، ومعناها الدقيق "طازج". لكن فاتته الترجمة الجزء الثاني الذي يقول فيه: "und (aus dem Salzmeer) gewinnt ihr Schmuck.. um ihn eukh anzulegen". والذي نترجمه: "وتستخرجون (من البحر المالح) حلية تلبسونها". ويرى القارئ بوضوح كيف أن المترجم قد أضاف من عنده بين قوسين عبارة "من البحر المالح": aus

dem Salzmeer'. وهو ما يوحي باستبعاده أن تكون الأنهار مصدرا من مصادر اللؤلؤ والعقيق وغيرهما من أنواع الحلي على ما تقول الآية الكريمة أن ترجمة جورج سيل وبلشير الإنجليزيتان وترجمة كازيميرسكي وماسون الفرنسيتان، وكذلك ترجمة ماكس هنج وموللر صدر الدين الألمانيتان على سبيل المثال. فقد ترجمت كلمة البحر القرآني كما هو، لكنها لترجمت الصمت فلم تعلق بشيء.

ويرى القارئ من هذه الآية كيف أن القرآن قبل أربعة عشر قرنا قد أشار إلى حقيقة علمية يستعصي على مشي ومثل المستشرق الإنجليزي رودويل وغيره الأمي رُؤى نريت ممن يعيشون في هذا العصر الذي بلغ فيه التقدم العلمي والتقني أمدا مذهلا. فكيف عرفها الرسول الكريم بدون والذهاب بهذه البساطة لو كان هو مؤلف القرآن. وخاصة أن الأنهار التي ذكر أن اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة تُستخرج منها تقع في بلاد سحيقة بالنسبة بالجزيرة العربية. بل إن بعضها كالمسيسبي مثلا لم يُكتشف إلا في العصور الحديثة؟

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أن المفسرين القدامى، كالطبري والقرطبي وابن كثير وخلائق على سبيل المثال، قد وقفوا حائرين إزاء هذه الآية وأمثالها حيث يقررون أن الحلي إنما تُستخرج من البحر الملح فقط، وبما أن القرآن قد ذكر البحرين معا، يريدون أن يقولوا إن العرب كانت تعلم في مثل هذه الحالة أحد البحرين على الآخر، بل إن بعضهم، محاولة منهم لاتساق الآية وعدم الوقوع في التجوز إلى المجاز هنا، قد قالوا إن المقصود بالبحر العذب هو ماء المطر، بمعنى أن اللؤلؤ والمرجان لا يتم تكوينهما إلا بنزول ماء المطر على صدفهما في البحر فيعقد لؤلؤ ومرجان. وهذا كله خلط خاطئ، فالمطر لا يُسمى بحرا. فضلا عن أن القرآن الكريم قد نص

على أن الحُلي تُستخرج من كلٍّ من البحرين ، لا من مجموعهما كما يقول مفسرونا القدامى ، وهم العذر رغم أنهم جاؤوا بعد الوحي بعدة قرون كانت الحضارة الإسلامية قد قطعت أشواطا في مجال العلم والفكر فسيحة ، إذ إن معلومات متعلقة بهذا الموضوع لم تُكتشف إلا في العصر الحديث كما بيّنا في الفقرات الأخيرة وقد كانت هذه الحجة حاضرة في بدئي في إحدى المناظرات التلفزية التي شاركتُ فيها مع أعوام عدة من بدئي ببعد العلوم الطبيعية عن القرآن الكريم وعدم الاستعانة بها في تفسيره بشبهة أنه كتاب عقيدة وتشريع وأخلاق لا كتاب كيمياء أو فيزياء أو فلك أو طب مثلا ، إذ ها هم أولاء كبار المفسرين واللغويين يتحاهلون التركيب النحوي الواضح للعبارة القرآنية بسبب عدم توفر المادة العلمية بين أيديهم ، فيجعلون تركيب "ومن كل" على أن المراد به "ومن مجموعهما" مع أن هذا غير ذاك تمامًا .

Le non mélange des eaux douces et salées

Dans le Coran, on parle en trois endroits d'une barrière séparant deux mers, l'une d'eau douce, l'autre d'eau salée, qui se rencontrent sans se mélanger (25: 53, 35: 12 et 55: 19-20):

" Il (Dieu) a donné libre cours aux deux ondes, pour qu'elles se rencontrent ,comme il y a entre les deux une zone intermédiaire, elles ne s'en veulent pas. Eh bien, vous deux, lequel des bienfaits de votre Seigneur traiterez-vous de mensonge ? " Sourate 55: 19-21

Le mot traduit ici par " zone intermédiaire " (barzakh) signifie " intervalle ", " barrière ", " fossé ", " barre ", " obstruction ", " isthme ".

" Et c'est Lui qui donne libre cours aux deux ondes celle-ci, douce, rafraichissante, celle-là, salée, amère Et assigne entre les deux une zone intermédiaire et barrage barré. " Sourate 25: 53

" Les deux mers ne sont pas identiques: [l'eau de] celle-ci est potable, douce et agréable à boire, et celle-là est salee, amère Cependant de chacune vous mangez une chair fraîche, et vous extrayez un ornement que vous portez. Et tu vois le vaisseau fendre l'eau avec bruit, pour que vous cherchiez certains [de produits] de Sa grâce. Peut-être serez vous reconnaissants " Sourate 35: 12

Ces versets révéleraient selon certains interprètes musulmans, l'existence du non mélange des eaux fluviales dans la mer à l'embouchure car le mélange des eaux ne s'opère parfois que loin au large.

Cela est possible, mais ne sommes nous pas là devant une simple observation d'un phénomène naturel bien connu, qui est le non mélange immédiat des eaux

de l'Euphrate et du Tigre avec celles de la mer, à leur debouché dans le golfe persique?

En effet, on peut observer a Bassorah (en Iraq), les eaux douces du Tigre se déverser dans l'Océan Indien. Dans la marée haute, on voit une masse d'eau salée de couleur verte côtoyant une masse d'eau douce de couleur rougeâtre sans qu'il y ait entre elles le moindre mélange.

Vous en conviendrez que ce spectacle impressionnant pour un homme d'aujourd'hui, devait l'être d'une plus ample mesure encore pour un homme du septième siècle!

Ceci dit, examinons ce que nous enseigne un conte de mythologie Babylonienne datant de plus de 3000 ans avant le Coran:

"A l'origine il n'y avait que Nammou, la mer primitive, l'océan cosmique. Elle engendra An et Ki, le ciel et la terre (...). Enki, enfin, parce qu'il est le dieu des eaux douces qui, en tant qu'elles s'opposent aux eaux salées de Nammou la mer primordiale, doivent être situées du côté du ciel, comme eaux de pluies ". Conte babylonien

A cette lecture, nous constatons que le Coran n'a rien révélé!

De ce fait, si des musulmans aiment encore à alleguer, que ces versets coraniques reveleraient une verité scientifique, il faudrait alors adopter la meme attitude face aux textes mythologiques babyloniens, et en conclure qu'il y aurait la, une révélation divine faite aux Babyloniens, qui rappelons-le, sont polythéistes Je ne pense pas qu'il faille en venir jusque là, mais simplement être honnête et se resoudre au fait que ces versets coraniques ne ressortent que d'une simple observation d'un phenomene naturelle, qui a été rapporte par d'autres hommes etant de civilisations antérieures de plusieurs millenaires a Mohammed.

Signalons aussi, que d'autres interprètes ont fait plus fort, et prétendent que le Coran revélerait ici l'existence de masses marines differentes l'une de l'autre, tant au niveau de la temperature, de la salinité, des organes vivant, de la solubilite de l'oxygene...

Examinons, ce que dit le Coran: celui-ci nous parle d'un non mélange d'eau douce (potable, rafraichissante et agreable à boire) et d'une eau salée (amère). Le Coran n'indique en rien, la distinction de températures des

eaux, des organes vivant, de la solubilité de l'oxygene Ceci ne trouve aucune base dans le Coran alors que le Coran se dit être un expose DETAILLE de TOUTE chose ou RIEN n'est omis avec des versets bien clairs

Le Coran parle juste d'une eau douce potable, et agreable à boire, mais cela n'existe pas des mers d'eau potable! C'est même un danger pour l'homme de croire en telles choses. En effet, boire de l'eau salee, risque de rendre la personne sujette à la folie

Il n'est décidement pas bon pour le Coran d'y chercher des vérités scientifiques D'autant plus que comme explicité, si malgré cela on accorde ici une revelation scientifique au Coran, il faut par consequent agir de même vis-a-vis du mythe babylonien, et ainsi le Coran n'a rien revelé, mais a alors simplement répéte ce qui a déja été dit, ceci il y a plus de 3000 ans! Nous en arrivons toujours à la même conclusion, à savoir , être honnête et conclure que ces versets ne proviennent que de la simple observation d'un phenomene naturel

En conclusion Contrairement à ce qu'affirment certains commentateurs musulmans, de la lecture de ces versets, il ressort plutôt une méconnaissance scientifique et une ignorance qui considerées comme

vérités scientifiques pourraient même mettre en danger la vie de personnes (voir eau de mer potable) Si neanmoins, certains refusaient de cesser de voir dans ces versets coraniques une révelation scientifique, il faudra en faire de même pour le conte babylonien.. et ainsi, le seul miracle coranique se réduirait à répeter ce que d'autres ont déjà dit...

• • •

حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عَيْنٍ حَمِئَةٍ

حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة

بعث لي أحد مصري مهجر في أسبوع ماضي برسالة مشكلة (مكتوبة بلغة إنجليزية لا بأس بها، وإن لم تخل من الأخطاء) يعقب فيها على مقالي "إعلان سيد القمني الاعتزال خواطر وتساؤلات" الذي نشر بجريدة "الشعب" المصرية يوم الجمعة الموافق ١٢٠ ٨ ٢٠٠٥م، لكنه لم يقرب كل ما قلته في مقالي مشار إليه فلم يرد على شيء منه، إنهم لا ما كتبته عن المعجزات ولا عدها عن السنن التعبدي عند لا يصر الإسلام في شيء، ورغم هذا جاء تعليقه تعليقاً عاماً على نحو لم أجد معه داعياً إلى الخوض فيه كرة أخرى، وخلاصة أنه لم يعلق جيداً ما كتبته في هذه النقطة ثم ثنى فتحدى المسلمين أن يستطيعوا الرد على ما يوجه للقرآن من انتقادات علمية منها ما يتعلق مثلاً بما جاء في الآية ٨٦ من سورة "الكهف" عن ذي القرنين ومشاهدته الشمس وهي تغرب في عين ماء، مما يخالف حقائق علوم الفلك كما قال، وفي نهاية الرسالة لم يفت أن يرجو منا أن نعيق من تعاشية التي تقتصر على المصابين منذ أربعة عشر قرناً من الظلام وأن نعود إلى المسيح بعد أن تبين أنه هو وأمثاله مصدر الجهل الكبير الذي يتصف به الله ومحمد جسيماً فقال: يا شيخ، فلنترك الله ولا داعي لذلك! أتريدنا أن نرتد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ونعود إلى العصر الحجري في مسائل العقيدة والعبادة؟ ألم تقرأ قول الحق تبارك وتعالى "وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول

الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون؟" (التوبة ٣٠)؟ لا يا عمر، بفتح الله حقك فيما أنت فيه. ونطق عمر أيضا في نور وهدى الذي أكرمه الله به على يد سيد النبيين والمرسلين، صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين. وقد كتبت هذه الكلمة على عجل وأنا على جناح سفر، ولم يرق النوم في عيني طوال الليل إلا تسعة أو سبع دون سبب واضح، فلم يتسن لي تدقيق مراجعتها، ونعني أن تخلو فيها أخطاء فاحشة، وإلا فإني أعتذر مقدما من الآن.

والآية التي يشير إليها صاحب الرسالة هي قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ أي ذو القرنين) مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما﴾ الكهف ٨٦. وأدخل في الموضوع على عجل وأقول: من المعروف في كتب اللغة أن حروف الجر يحل بعضها عن بعض، بمعنى أن هناك توسعا في استعمالها، بل إن في اللغة توسعات كثيرة في غير حروف الجر أيضا، وإن لم تكن هذه التوسعات دون ضوابط حتى لو لم تستطع في بعض الأحيان أن تقيسها، أو على الأقل حتى لو لم تتفق عليها. وقد تُسمّى هذه التوسعات بـ "مجاز"، وهو ما يعني أن الكلام لا يلتزم أو يؤخذ على ظاهره أو حرفيته. وهذا، كما سبق القول، معروف عند دارسي اللغات. وتأخذ حروف الجر "في" (الموجود في الآية) أكثر من أي حرف آخر في استعمالاته فهم يقولون إنه يُستخدم في عشرة معان: الأول الظرفية، زمانا أو مكانا، حقيقة أو مجازا، ومن الزمانية "حصرت بن لاحتماع في العاشرة مساء". ومن مكانية: "سكنت في هذا البيت لعوامل الأمن" المصاحبة، نحو قوله تعالى ﴿ادخلوا في أمم﴾ الأعراف ٣٨، أي بمصاحبتهم. الثالث: التعليل، نحو ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ يوسف ٣٢، أي بسببه. الرابع: الاستعلاء، نحو قوله تعالى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ طه ٧١، أي عليها. خامس

مرادفة الباء، نحو "فلان بصير في موضوع كذا"، أي بصير به. السادس مرادفة "إلى" نحو قوله تعالى ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩]، أي مدّ الكفار أيديهم إلى أفواه الرسل ليسمعوهم من الدعوة إلى الهدى والنور. السابع مرادفة "من" للشمس المذيبة، وهي الداخلة على مقصور مسئول ومفصل لاحق، كما في قوله سبحانه ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، أي ما متاع حياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة قليل. التاسع: التعويض، كما في قولنا "دفعتُ في هذا الكتاب عشرين جنيهاً" بمعنى "تركيبه". وأخره بعضهم في قولهم "وقد ركبوا فيها"، أي أن التركيب لا يكون إلا في السفينة. ولذلك لا ضرورة تحمل على ذلك إلا من باب التوكيد (انظر في ذلك مثلاً "مغني اللبيب" لابن هشام).

وفي القرآن الكريم نقرأ قوله عز وجل ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]، والمقصود أن كلا منهم يضع طرف إصبع واحدة من أصابعه عند فتحة الأذن، لا في داخلها. ونقرأ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وضعه لم يجعل المولى الإنسان خليفة في الأرض، أي في باطنها، بل على سطحها. ونقرأ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. وليس المقصود العجل نفسه بل عبادته. وهي لا تُشرب ولا تدخل في نفس بالمعنى الذي نعرفه ونقرأ ﴿قُلْ أَتُحَٰٓجُّوٓنَّنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]، أي أتحاجوننا بشأن الله؟ ونقرأ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي صوب وجهي للسماء. وليس في السماء قبلة. ونقرأ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴿ ... ﴾ ... والإنسان لا يعتق ... في الرقاب، بل يعتق به الرقاب ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... مُوكَّلِينَ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿ ... ﴾ ... أي مقامي حريمة القتل وتعريض أهل ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَمَا نَوَىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴿ ... ﴾ ... أي ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... هَلْ يَظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴿ ... ﴾ ... أي ينتظر بهم عقاب الله في هيئة ظلل من الغمام ... وقرأ ... ﴿ ... ﴾ ... وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴿ ... ﴾ ... أي فعلن بأنفسهن ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿ ... ﴾ ... أي على الألواح ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿ ... ﴾ ... أي أعدم أعينكم وأعينهم ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِى أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴿ ... ﴾ ... ولا يمكن ... أن يكون في يده ... أحد معنى حرفي كما هو واضح ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... أين كانت ... في عضو من أعضاء ... ﴿ ... ﴾ ... ولعيون لا تكون في أعضاء، بل تحت أعضاء ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴿ ... ﴾ ... أي أذن تحيث يسمعك الناس ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَمَشْكٍ فِى ٱلسَّجُودِ ﴿ ... ﴾ ... أي معهم ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَوَدَّىٰ وَأَنَّهُ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴿ ... ﴾ ... أي أودى ... بسبب الله ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... فَكَانَ يَسْعَىٰ فِى مَنكِبِهَا ... ﴿ ... ﴾ ... وحسن لم تكون في مساكن سعى ... حولها أو قريب منها ﴿ ... ﴾ ... أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿ ... ﴾ ... ونسوة لا يشاركن في الحلية إلا مرتبات ... ومستمعات به ... وقرأ ﴿ ... ﴾ ... وَٱلتَّقَيِّنَ فِى حَنَّتٍ وَنَهَرٍ ﴿ ... ﴾ ... وتقولون في الآخرة سيكونون

فعلا في الحنان، لكنهم بكل تأكيد لن يكونوا في الأنهار، بل سنجري الأنهار في جنان. ونقرأ ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 148]. وهم لن يكونوا في الجنة في شجر النخل، بل سيأكلون منه. ونقرأ ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: 22]. ولا كتابة في القلوب بالمعنى الظاهري بطبيعة الحال ولا حتى فوقها. ونقرأ ﴿ثُمَّ سَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزمر: 21]، أي يصنعه بها. ونقرأ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 5]، أي حول جيدها. وهكذا.

وفي الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أمثلة كثيرة على ما نقول، وهو أمر طبيعي. فهذه هي طبيعة اللغة، سواء في كتاب الله أو في كلام أهل الكتاب أو في أي كلام آخر. وهذه بعض الأمثلة من الكتاب المذكور: "ثم غرس الرب الإله جنة في عدن شرقا" (التكوين 2: 8). "وكان فيض يصعد من الأرض" (التكوين 2: 6). "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب" (التكوين 6: 8). "كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله" (التكوين 6: 9). "تصنع طريقي الذي أسلك فيه" (التكوين 24: 42). "فوضعت الجرة على كتفها" (التكوين 24: 46). "واحب اسحق عيسو لأن في فمه صيدا" (التكوين 25: 28). "فتعاظم الرجل وتزايد في تعاظم" (التكوين 26: 13). "فقال يا أبي فسمع يعقوب في صوت أبويه" (التكوين 27: 18). "وبسرك تحيا وإياك تسخدم وتكون عند انحلالك تفك نيره عن عنقك" (التكوين 27: 40). "وجمع فرعون جميع رؤساء مصر وقص عليهم الرؤيا" (التكوين 41: 8). "وجمع يوسف كل طعام السنين التي كانت في أرض مصر" (التكوين 41: 48). "فتقدموا إلى الرجل الذي على بيت يوسف وكلموه في باب البيت" (التكوين 43: 19). "أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه؟" (التكوين 44: 5). "وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحملته" (التكوين 46:

٥). "ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل" (خروج ١: ١٤). "خرج إلى إخوته ليطلع في أثقالهم" (خروج/ ٢/ ١١). "لم تكن سرعتك في المجيء اليوم" (خروج/ ٢/ ١٨). "وقال الرب لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون" (خروج ٤: ٢١). "فذهب والتقاه في جبل الله وقبّله" (خروج ٤: ٢٧). "هما الاثنان كلّما فرعون ملك مصر في إخراج بني إسرائيل من مصر" (خروج/ ٦/ ٢٧). "لتتضاعف آياتي وعجائبي في أرض مصر" (خروج/ ٧/ ٣). "تجعل في صدغي سيفك وترس يمينك كل ما فعلته في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم" (خروج ١٠/ ٢) إلخ. وهي كلمات، إن لم تكن مألوفة، ومن هنا كان من السهل أن ندرك معنى قول الفرضي مثلا في الآية المذكورة "ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءه (أي وراء العين الحمئة) أو معه أو عنده، فيُقام حرف الصفة مقام صاحبه". يقصد أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن يُستعمل بعضها في مكان بعضها الآخر. وفي بعض المجرى يجري ما نجده عند النحوي وابن حيان، إذ نقرأ في تفسير الأول نقلا عن الفتيبي أنه يجوز أن يكون المعنى هو أنه كان "عند الشمس" أو "في رأي العين" عين حمئة. أما الثاني فقد ذكر أن بعض البغداديين يفسر قوله تعالى "في عين حمئة" بمعنى "عند عين حمئة".

بل إن في الكتاب المقدس عبارات كثيرة من نوع الآية القرآنية التي بين أيدينا بل أوغل في مضمار الاستخدامات المجازية، ويقرؤها هؤلاء الذين يرددون تخطئة القرآن كما تفعل الببغاوات الغبية، لكن دون فهم أو تمييز، ومن ثم لا يخطر في بالهم أن يقفوا ويتدبروا ويفكروا في أمر هذا التشابه في الاستعمالات الأسلوبية وأنه مسألة عادية جدا لأنه هكذا كانت اللغة وهكذا ستظل إلى يوم يبعثون. وهم في هذا كالكلب الذي وبّاه صاحبه على نبح

مرة وعضهم . فكلما رأى شخصا مرّ من أمام البيت سحه وعضه دون تفكير. لنأخذ مثلا الشواهد التالية "أما هما في عبر الأردن وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين" (تثنية/ ١١/ ٣٠). "هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب. وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها" (قضاة ٥/ ٣١). "هكذا قال الرب. هانذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس" (صموئيل ٢/ ١٢/ ١١). "وقفت هما لا تفتح أبواب أورشليم حتى تحمى الشمس" (نحميا ٧/ ٣). "قدام الشمس يمتد اسمه" (مزامير ٧٢/ ١٧). "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس" (الجامعة/ ٤/ ١). "ويخجل القمر وتخزى الشمس" (إشعيا/ ٢٤/ ٢٣). "واظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه" (لوقا/ ٢٣/ ٤٤). "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائها وهاربا في الأرض. فيكون كل من وجدني يقتلني" (تكوين/ ٤/ ١٤). "وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما" (تكوين/ ٦/ ١١). "الآن قم اخرج من هذه الأرض" (تكوين/ ٣١/ ١٣). "وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم" (خروج/ ٦/ ٨). "واستراحت الأرض من الحرب" (يشوع/ ١٤/ ١٥). "دور يمضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد" (جامعة/ ١/ ٤). "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور" (تكوين/ ١٦/ ٧). ومن الواضح أن هذا كله على خلاف الواقع ويكفي ألا يأخذه القارئ مأخذا حرفيا، ولا لم يكن للكلام معنى: فمثلا ليس هناك للشمس تحتٌ ولا فوقٌ، وإنما هو تعبير بشري، فنحن أيضا كنا على الأرض نتصور أن الشمس فوقنا، ومن ثم فنحن تحتها، على حين أنه لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي إذن أن نكون

"فوق" الشمس بعد ستة أشهر من ذلك حين تدور الأرض نصف دورتها السنوية. وهذا لا يتصور كذلك فليس للشمس عين (ولا أذن ولا أنف) أصلا حتى تكون أو لا تكون في عينها. كما أنها ليس لها طريق تسير فيه على الأرض، ودعك من أنه يمكن أن تسير تحت فيه أيضا. وبالنسبة لقول قابيل إنه هرب في الأرض، فهو مجرد تعبير بشري. ولا نقول: "في الأرض" بمعنى حرفيا "داخل الأرض". وهو ما لا يقصده قابيل ولا أي إنسان آخر في مثل وضعه... وهكذا.

وقبل كل ذلك فإن الكلام هنا ليس كلاما في علم الطبيعة أو الجغرافيا أو الجيولوجيا، بل هو كلام أدبي يقوم في جانب منه على التعبيرات المجازية والتحسيدية والتشخيصية وما إلى ذلك. والحق أن هذه هي طبيعة اللغة، أما الكلاب التي تبيح المادة وتعصبه لا الشيء سوى أنه قد قيل لها: تحي أي مار من هنا وعضيه، فإنها لا تعبه هذا ولا تفقهه ولا تدركه ولا تتذوقه. بل حتى لو كانت الكلاب تستطيع أن تتذوق شيئا غير اللحم المطبوخ الذي أكل ما عليه من لحم، ثم ألقي به هنا لتعضه وتمضغه تحت الأقدام؟ وعلى هذا فليس هناك أي مبرر لأي إنسان كان من كان كي يتخذ الآية القرآنية إذا كان يريد النصح والخير والسلام، ولا يبغي فهما أو معرفة. فالحرف "في" في الآية الكريمة لا يعني "داخل العين حمئة" لأن الآيات القرآنية التي تذكر الشمس (كما سوضح لاحقا) تتحدث عنها على أنها جرم موجود في الفضاء لا يغادره أبدا، بل يعني أنه قد تصادف وقوع غروب الشمس حين كان ذو القرنين في ذلك المكان عند العين حمئة، ومن كان ما شاهده يوحي أنها قد غربت في نبع العين. وحتى لو قيل إنها غربت في العين بل وراء العين أو عند العين أو ما إلى ذلك، فإن هذا كله لا يصح من الناحية العلمية. فالشمس لا تتعدد ولا تختفي، بل الأرض هي التي تتحرك حولها.

فتبدو الشمس وكأنها هي التي تغيب. لكني قد عثرت أثناء تقليبي في المشبك على ما يقول معترضا على الآية إن مثل هذا التوجيه كان يمكن أن يكون مقبولا لو أن الآية قالت إن ذا القرنين "رأى" أو "شاهد" الشمس تغرب في العين، أما والآية تقول إنه "وجدها" تغرب في عين حمئة فمعنى هذا أن المقصود هو أنها كانت تغرب في العين فعلا. وقد جعلني هذا أفكر في استعمال هذا الفعل في مثل ذلك السياق في العربية لأرى أهو حق لا يعدى إلا أن الأمر هو كذلك في الواقع لا في حساب الشخص وإدراكه بغض النظر عما إذا كان هذا هو الواقع فعلا أو لا. وقد تبين لي أن الأمر ليس كما ذهب إليه ذلك المعترض الذي سمي نفسه "خوندمير" أو شيئا كهذا. فنحن مثلا عندما يُسأل الواحد منا السؤال العادي عن صحته "كيف تجدك اليوم؟" (أي "كيف حالك؟") يجيب قائلا "أجدني بخير وعافية". وقد يكون هذا القائل مريضا لكنه لا يدري لأن أعراض المرض ليست من الوضوح أو لأنه من الانشغال في حياته اليومية بحيث لا يشعر بحالته الصحية الحقيقية. ومثل يمكن أن يقول أحدنا مثلا (صدقا فيما يصف) إنه وجد فلانا يضرب ابنه عند البيت، ليس لحقيقة أنه كان يداعبه أو كان يضربه على الحقيقة مثلا، لكن لتكلمه بوهم الأمر على ما قال. كذلك فالمصاب بمعنى الأمراض قد يقول إنه وجد الصحة التي تشاهد حضرة على عكس ما أكده الطبيب، ثم يكون المعيب في الشاري لا في البائع ولا في الصحة. أما المتنبي في قوله:

وعين يبلك ذا السقم فرد مريضة يجد فرأسه الماء السلالا

فقد كفته مؤنة التوضيح بأن وجدانه الشيء على وضع ما لا يعني بالضرورة أنه على هذا الوضع في الحقيقة والواقع. وفي المثال مثلا "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه" (الكهف ٧٧)، وليس هناك في أي مكان في الدنيا جدار عنده إرادة أو تلافيص ولا يشاء على وضعه الذي

هو عليه، لأن الجدران من الجمادات لا من الكائنات الحية ذوات الإرادة كذلك فعندنا أيضا قوله عز شأنه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ (النور: ٣٩)، ولا يمكن القول أبدا بأن الآية على معناها الحرفي، فالله سبحانه لا ينحصر وجوده في مكان من الأمكنة، بل لكون كله مكان وزمانا وكائنات في قبضته عز وجل، ومن ثم لا يمكن أن ينحصر وجوده عند السراب، وهذا من البداهة بمكان لأنه سبحانه وتعالى هو المطلق الذي لا يحده حد. والطريف أن بعض المفسرين الذين رجعت إليهم بعد ذلك قد وجدتهم يقولون إنه لو كانت الآية قالت إن الشمس "كانت تغرب" في العين فعلا لكان ثم سبيل لانتقادها، أما قولها إن ذا القرنين "وجدها تغرب" في العين فمعناه أن ذلك هو إدراكه للأمر لا حقيقته الخارجية. ومن هؤلاء البيضاوي، وهذه عبارته: "ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء، ولذلك قال: وجدها تغرب، ولم يقل: كانت تغرب"، وهذا الذي قاله أولئك المفسرون هو الصواب. وفي الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى شيء مثل ذلك، ومنه هذا الشاهد: "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب" (تكوين/ ٦/ ٨)، "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور" (تكوين/ ١٦/ ٧). فالنعمة لا توجد في عين الرب على سبيل الحقيقة، فضلا عن أن الله لا يمكن أن يُرى ولا أن تُرى عينه (إن قلنا إن له سبحانه عينا لكنها ليست كأعيننا). كما أن المرأة التي وجدها ملاك الرب لم تكن "على" العين، بل "عند" العين. أي أن الحقيقة الخارجية في كلا الشاهدين لم تكن على حرفية ما جاء في العبارتين.

وعلى هذا النحو يمكننا أن نقرأ الشواهد الشعرية التالية: قال الأسعر الجعفي:

إني وجدتُ الخيل عزّ ظهرها ... تحمي من الغمّى ويكشف الذحى

وقال الحارث بن عباد:

ومتى رأته الحوبُ حتى إذا ما ... وجدت قعودهُ عليها ثقيلا

وقال امرؤ القيس:

لم تربني كلّما حنّت طرفةٌ ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّب

وقال الدحداحة الفقيمية:

* مِنْ معشرٍ وجدتهم لئاما *

وقال حاتم الطائي:

قد أوطس القوة النبوت وجدتهم ... غمدةً عن الأحرار خرق المكسب

وقال سلامة بن جندل:

قبل بنُ محمودةٍ آباؤك فلقد ... وجدتك مسوباً إلى الخير أروعا

وقال النابغة الذبياني:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نارٍ عندها خيرُ موقد

وقال مالك بن عمرو:

متى تمحرْ بزرعة أو بمخبرٍ ... تجدْ فحرا يطيرُ به الماءُ

وقال الحصين بن الحمام الفزاري:

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياةً مثل أن أتقدّما

ذلك أن وجدانك لشيء على وضع من الأوضاع إنما يعني إدراكك له على هذا الوضع رؤيةً أو سمعًا أو شمًّا أو لمسًا أو شعورًا باطنيًّا أو استدلالا عقليًّا كما في العبارات التالية: "نظرتُ فوجدتُه قائمًا"، أو "حينما فتشتُ عن الحجرة وجدتُه يعمل"، أو "قرأت الزهرة من أنفي فوجدتها مسكينة العبير"، أو "احتكت يدي بالحائط فوجدته خشن الملمس"، أو

"وجدتُ وقع إهانته لي عنيفاً"، أو "أعدَّ العلماء النظر في هيئة الأرض فوجدوها أقرب إلى شكل الكرة". ثم سواء عليك بعد هذا أكان هو فعلاً في الواقع والحقيقة كذلك أم لا. وفي ضوء ما قدمناه نقرأ قول الزبيدي صاحب "تاج العروس": "وقال المُصنِّف في المصدر نقلاً عن أبي القاسم الأصبهاني: الوُجُود الضَّرْب". والوُجْدة بوجهي حرفي من جنس، نحو: وجدتُ زيداً ووجدتُ طعمه ورائحته وصوته وخشونته، ووجُود بضمّ الفاء للشيء هو وجدتُ لشبع ووجوده أيضاً للغضب كوجود الحزن والسخط. والوُجْد بالضم أو بواسطة بعقل، كمعرفة الله تعالى. ومعرفة الثروة وما أشبه ذلك. وما نُسب إلى الله تعالى من الوُجُود فمعناه نفي الفقد، إذ كان الله تعالى مُنزَّهاً عن الوصف بالجوارح والآلات. نحو قولنا نحن "وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين". وقد يعبرون بذلك عن صدور هذه الأوصاف ويُعبَّر عن التمكُّن من الشيء. والوُجُود نحو "وقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم" أي حيث أثبتموهم. وقولنا نحن "إلى وجدنا فراة منكلهم". وقوله "وجدتها وقومها يسجدون للشمس" وقوله "ووجد الله عنده فوفاه حسابه". ووجود بالصيرة. وقد قوله "وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً" وقوله "فلم تجدوا ماء فتيمموا" أي لم تقدروا على ماء".

ولقد كتب مؤلفنا مقالاً بعنوان (على نفسه في حد ذاته) كان ألَّفه قبل ثلاثة عشرة عاماً في مشكلة بعنوان "Islam and the Setting of the Sun: Examining the traditional Muslim View of the Sun's Orbit" يهاجم فيه القرآن ويزعم أن الرسول حين قال ما قاله في الآية التي نحن بصددها هنا إنما كان يقصد فعلاً أن الشمس تغرب في عين حمئة على حرفية معناها. ومع هذا فقد بدأ كلامهم بالقول بما معناه أن تعبير مثل التعبير الذي في الآية الكريمة لا يسلم بالضرورة على أن صاحبه قد

حتى خطأ علمي أو أنه يعتقد أن الشمس تغرب فعلا في العين . ثم أضاف أيضا . حتى في عصرنا هذا حيث يعرف الجميع تماما أن الشمس في الواقع لا تشرق ولا تغرب ، ما زلنا نقول بها تشرق وتغرب . ولكن كتبان هما Sam Shamounn و Jochen Katz ، وهذا نص ما قالاه:

we do need to make it clear that statements about the sun rising or setting do not, in and of themselves, prove that a person or author held to erroneous scientific views, or made a scientific error. One can legitimately argue that the person or author in question is using everyday speech, ordinary language, or what is called phenomenological language. From the vantage point of the person who is viewing the sun from the earth, the sun does indeed appear to be rising and setting. In fact, even today with all our advanced scientific knowledge we still refer to sunrise and sunset. Hence, an ancient book or writer may have not intended to convey actual scientific phenomena when describing the sun as rising or setting any more than today's meteorologists, or newscasters, are speaking scientifically when referring to the rising and setting of the sun.

وقد أخذت أقرأ في النصوص الإنجليزية والفرنسية الموجودة في الشبكة حتى عثرت على طائفة من الشواهد الشرعية والشعرية يتحدث فيها أصحابها لا على أن الشمس تشرق وتغرب فحسب ، بل عن سقوطها أو غوصها أو

غروبها في البحر أو في السهل أو ما إلى هذا. وإلى القارئ عينة مما وجدته من تلك النصوص:

Alone stood I atop a little hill. And beheld the light-blue sea lying still. And saw the sun go down into the sea' (من قصيدة بعنوان: 'AN EPISTLE' لـ Numaldasan)، The Water-' (من رواية 'The sun sinks down into the sea' لـ 'Babies The Sun came up upon'. (Charles Kingsley the left, out of the sea came he' And he shone bright, and on the right Went down into the sea' (من قصيدة 'The Rime of the Ancient Mariner' لكولريدج)، The red sun' going down into the sea at Scheveningen' (من Letter' from Theo van Gogh to Vincent Gogh van Auvers-sur-Oise, 30 June 1890 ")، " The sun sank slowly into the sea' (من مقال 'The Light Of The Setting Sun' لـ Rocky)، Just then the sun plunged into the sea it popped out from behind the gray cloud screen that had obscured the fiery disk' (من مقال بعنوان 'Taps for three war buddies' في موقع 'sun-herald. com')، Le soleil descendre dans l'ocean' (من 'L'ILE DES PINGOUINS' لأدتول فرانس)، ... soleil, disparu dans la mer, avait laissé le ciel tout rouge, et cette lueur saignait aussi sur les grandes pierres. nos voisines' (من 'En Bretagne' لجي دي موباسان)، Spectacle saisissant, que le soleil couchant dans ces

"RAID EN LIBYE" من مقال "dunes impressionnantes
On comprend aussi que la ."(Roger Vacheresse" لـ
blessure de Réginald a quelque chose du Soleil plongeant
le "LES CHANTS DE MALDOROR" من "dans la mer
.(comte de Lautréamont

هذا، ومن معاني "العين" في العربية (فيما يهمنا هنا) حسبما جاء في "لسان العرب": "عين الماء والعين التي يجري منه الماء والعين: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري ويقال عارت عين الماء. وعين الركية: مفجر مائها ومنبعه. وفي الحديث "خير المال عينٌ ساهرةٌ لعينٍ نائمة". أراد عين الماء التي تجري ولا تنقطع ليلا ونهارا، وعين صاحبها نائمة، فجعل السهر مثلا لجريها. وعين القدم مصب مائها. والعين من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها، يعني قبلة العراق. وفي الحديث: إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عينٌ غديقة. والعين: مطر أيام لا يُقلع، وقيل: هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة أو أكثر لا يُقلع، قال الراعي:

وأتى حسيٌّ تحت عينٍ مطيرةٍ ... عظام البيوت ينزلون الروابيا

والعين: الناحية". وعلى هذا فعندما يقول عبد الفادي (اقرأ "عبد القادر") مؤلف كتاب "هل القرآن معصوم؟" (وهو جاهل كذاب من أولئك الجهلاء الكذبة الذين يشنعون على كتاب الله المجيد) إن القرآن، بناء على ما جاء في تفسير البيضاوي، يذكر أن الشمس تغرب في بئر، فإنما يعرف في الحال أنه يتكلم بلسان الكذب والجهل. فأما الجهل فلأن المسألة، حسبما رأينا في "لسان العرب"، أوسع من ذلك كثيرا بحيث تصدُق كلمة "العين" على البحر والسحاب والمطر أيضا. ولذلك وجدنا من المترجمين من يترجمها بمعنى "بحر" أو "بحيرة". فضلا عن أنه من غير المستبعد أن يكون

المعنى في الآية هو ذلك النوع المذكور من السحاب أو المطر. وأما الكذب فلأن البيضاوي لم يقل هذا، بل قال "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة: "ذات حمأ"، من "حمئت البئر" إذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: "حامية"، أي حارة، ولا تدري بسببهم خوار أن تكون العين حامعة للوصفين، أو "حمية" على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها. وبعده بيع ساحل المحيط فرأها كذلك إذا لم يكن في مطمح بصره غير ماء. وبذلك قال "وجدها تغرب". ولم يقل "كانت تغرب" فكيف ترى ليس في البيضاوي أنها غربت في نفسها بل كل ما فعله المفسر الكبير أنه تحدث عن "البئر" مثلا لشرح كلمة "حمئة"، لكنه لم يقل قط إن معنى "العين" هو "البئر"، بل قال ما نصه "فعلى هذا القريبين قد يبيع ساحل المحيط ورآها كذلك". وحتى لو قال ذلك فإن كلامه يبقى مجرد اجتهاد منه قد يصح أو لا يصح، ولا يجوز حمله على القرآن أبدا. وبخاصة أن كثيرا من المفسرين كذلك لم يفسروا العين بهذا المعنى. بيد أننا هنا بصدد جماعة من الطغام الدهماء الرُّقعاء الذين كل همهم هو التنقُّب بجهل ورعونة، إذ هم في واقع الأمر وحقيقته لا يعرفون في الموضوع الذي يتناولونه شيئا ذا بال، ومع هذا تراهم يتطاولون على القرآن الكريم! فيا للعجب! إن الواحد من هؤلاء الطغام يتصور، وهو يتناول الكلام في كتاب الله، أنه بصدد كراسة تعبير لطفل في المرحلة الابتدائية، بل إن معلوماته هو نفسه لا تزيد بحال عن معلومات طفل في تلك المرحلة كما تبين لي وبينته للقراء الكرام في كتابي "عصمة القرآن الكريم وجهالات المستشرين" الذي فنَّدتُ فيه كلام هذا الرقيع، ومسحت به وبكرامته وكرامة من يقفون وراءه الأرض!

وهانذا أسوق أمام القارئ الكريم بعض ما جاء في كتب التفسير القديمة ففي القرطبي مثلا "وقال بعض العلماء. ليس المراد أنه انتهى

إلى الشمس مغربًا ومشرقًا ووصل إلى حزمها ومسّها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تتصل بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافًا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أن شاهدها في الأرض المستوية كأنها تدخل في الأرض. ونحوها قول: "وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا"، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسّهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم. وقال القتبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيقدم حرف الصفة مقدم صاحبه والله أعلم". وفي ابن كثير "وقوله: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس"، أي فسلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض وأنى توصل إلى مغرب الشمس من السماء فتتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة، والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم. وقوله: "وجدها تغرب في عين حمئة"، أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق تلك البقاع التي هي مثلثة فيه لا تفارقه". وفي الجلالين: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس: موضع غروبها "وجدها تغرب في عين حمئة" ذات حمأة، وهي الطين الأسود. وغروبها في العين: في رأي العين، ولا فهي أعظم من الدنيا". وأرجو ألا يغيب عن ناظر القارئ الحصيف كيف أن بعض كثير يتفنن بالقوم في أمر التعبيرات الخرافية في الآية على زنادقة أهل الكتاب وكذابيهم، مما يدل على أن القوم

هـ هكذا من قديم لم تتغير شخصيتهم، وأن فريقا من علمائنا كانوا واعين بالدور الشرير الذي كانوا يصطنعون به تضليل المسلمين بإسرائيلياتهم، وكانوا يعملون على فضح سخفهم ومؤامراتهم

أما الرازي فإني أود أن نقف معه قليلا لنرى كم يبلغ جهل عبد المحصن وبلادته وتدليسه هو وأشباهه. بيد أن مفسرنا العظيم قد أشبع القول في هذا الموضوع بما يكفي لقطع لسان كل زنديق كذاب. قال العلامة المسلم عليه رضوان الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝﴾ [الكهف ٨٦ - ٨٩]. اعلم أن المعنى أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغه، أما قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ففيه مباحث: الأول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم "في عين حامية" بالألف من غير همزة، أي حارة ... وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر، والباقون: "حمئة"، وهي قراءة ابن عباس ... واعلم أنه لا تنافي بين "الحمئة" و"الحامية"، فجائز أن تكون العين حامية للوصفين جميعا. البحث الثاني: أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضا قال: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ من وجوه. الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة. وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط، وهي في

الحقيقة تغيب وراء البحر. هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره. الثاني: أن المحدث العربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في نبك البحر، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حمئة، وهي أيضاً حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء، فقوله ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر، وهو موضع شديد السخونة. الثالث: قال أهل الأخبار: إن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة، وهذا في غاية البعد، وذلك لأن إذا رصدنا كسوف قمر فوجدنا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا: "حصل هذا الكسوف في أول الليل"، ورأينا المشرقيين قالوا: "حصل في أول النهار"، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الذي عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد، ووقت الظهر في بلد آخر، ووقت الضحوة في بلد ثالث، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع، ونصف الليل في بلد خامس، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال فيه تغيب في العين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين، وكلام الله تعالى منزّه عن هذه التهمة، فلم يبق إلا أن يُصار إلى التأويل الذي ذكرناه. ثم قال تعالى ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾. الضمير في قوله: "عندها" إلى مَن يعود؟ فيه قولان. الأول: أنه عائد إلى الشمس، ويكون التأنيث للشمس لأن لأناساً ما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس. والقول الثاني: أن يكون الضمير عائداً إلى العين الحمئة، وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه".

ومع هذا كله يريد الكاتب المذكور أن (Sam Shamoun)

و Jochen Katz) ان يعيدا مرة أخرى إلى المربع رقم واحد، إذ يقولان إن مؤلف القرآن (يقصدان بالطبع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام نعم عليه الصلاة والسلام رغم أنهما وألف رشاد خليفة وتابعه فقط) قد ذكر أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة، ولم يقل إنها كانت تبدو له كذلك. وهذا رغم قولهما إنه لا سبيل حتى الآن، ورغم كل التقدم العلمي والفلكي والخبر في، يقول إن الشمس تشرق وتغرب. ولم يقولا إن على الواحد منا أن يوضح أن الأمر إنما يبدو فقط كذلك. فلماذا الكيل بمكيالين هنا؟ ترى أي حيث هذا الذي أتيه حين أراد في البداية أن يتصيد بموضوعية والحياد والنزاهة كي يحذر القارئ ويوهماه أنهما لا يريدان بالقرآن شرا ولا تدليسا، ثم سرعان ما يستديران بعد ذلك ويمحسن ما قالاه؟

ثم يمضي العالمان المحترمان فيقولان إن القرآن يؤكد أن ذا القرنين قد بلغ فعلا المكان الذي تغرب فيه الشمس، وهو ما لا وجود له على الأرض، مما لا معنى له البتة إلا أن مؤلف القرآن قد ارتكب خطأ علميا فاحشا بظنه أن القصة الخرافية التي وصلت إلى سمعه هي حقيقة تاريخية

However, the Quran goes beyond what is possible in phenomenological language when it states that Zul-Qarnain reached the place where the sun sets, i. e. the Quran is speaking of a human being who traveled to the place of the setting of the sun Such a statement is wrong in any kind of language, since such a place does not exist on this earth. This is a serious error that was introduced into the Quran because the author mistook a

legend to be literal and historical truth" أي أن سبب تنبهما يريدان أن كلمة "مغرب الشمس" لا تعني إلا مكان غروب الشمس، وأن معنى الكلام لا يمكن أن يكون إلا مع رؤيته سلامتهما. فلنتوقف قليلاً في هذا الكلام نرى فيه أيضاً مبلغه من العلم أو الجهل. فأما أن "غروب الشمس" لا تعني هنا إلا المكان الذي تغرب فيه الشمس فهو كلامٌ عربيٌّ فصيحٌ، إذ إن صيغة "مفعل" التي جاءت عليها كلمة "مغرب" قد تعني المكان، أو قد تعني الزمان، بل قد تعني المصدرية فقط. وهو ما يجده الدارس في كتب الصرف والنحو في باب "اسم الزمان والمكان" و"المصدر الميمي". أي أن الآية قد يكون معناها أن ذا القرنين قد بلغ مكان غروب الشمس أو أن يكون قد بلغ زمان غروبها، أو الطلوع كما يقع على المكان فإنه يقع على الزمان أيضاً (فضلاً عن الأشياء والأشخاص). جاء في مادة "بلغ" من "لسان العرب": "بلغ المكان: نزعه. وبلغته: وصلت إليه وانتهيت، ومنه قوله تعالى: ﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ أي لم تبلغه شرفاً عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿قد بلغ العسر أجله﴾. أي قاربه. وقال ابن السكيت في "المفردات": "البلوغ والإبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان، أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه، وإن لم يتته إليه، فمن الانتهاء: حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة". ومن هذا ببالغيه": لم يقرب بلوغه. و"بلغني نبأ الأمر". و"أبلغ عليك بلغة"، أي منتهية في التوكيد. وأما قوله "قد بلغ العسر أجله فأكرمن بمعروف". فمشارفة، وإنها لم تنته إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها. وبلغ الغلام أدرك. وبلغ في الجودة مبلغاً، كما في "العباب". وفي "المحكم" أي ختمه، كأنه بلغ وقت الكتب عليه والتكليف، وكذلك بلغت الجارية...".

فبعد كون بلوغ الزمان (أو حتى وقوع الحدث، أي المصدر) هو المقصود في الآية الكريمة فلا مشكلة. إذ سيقال حينئذ إن ذا القرنين حين أتى عليه وقت المغرب قد وجد كذا وكذا. لكن مجدداً لو كان مكان غروب الشمس هو المراد؟ والجواب هو أن الكاتبين لأنفسهما قد ذكرا من معناه أنه لا خصوصية في أن يقول المتكلم حتى في عصرهما إن الشمس قد غربت في البحر أو في السهل أو فيما وراء الجبل... إلخ. أليس كذلك؟ فهذا هو معنى الشمس طبقاً لما تخبرنا به الظاهراتية (phenomenological language) حسب تعبيرهما. وعليه فإنه يجوز أيضاً أن يقال إن فلاناً أو علماً أو نبتة قد بلغ مغرب الشمس، أي وصل إلى البحر أو الجبل أو السهل الذي رآه يغرب عنده. وعلى هذا أيضاً فلا مشكلة! وإن أحبهما إلى ما سلف في هذا المقال من تعبيرات مشابهة في الكتاب المقدس، ومنها ما هو أبعد من الآية الكريمة في استخدام هذه الاستعمالات المجازية! فما قول سيادتهما إذن؟ ألا يرى القارئ معي أن الأسداد قد ضُربت عليهما فلا يستطيعان أن يتقدما خطوة ولا أن يتأخرا؟ وبالمناسبة فقد تكرر الفعل "بلغ" في صيغتي الماضي والمضارع هنا سبع مرات، وهو ما لم يتحقق لأية سورة أخرى غيرها. كما تعددت صيغة "متفعل" فيها "مسجد، موعد (مرتين)، موئل، مصرف، مؤتل".

ويعجب أنهما يوردان بعد ذلك عدداً من النصوص القرآنية المجيدة التي تتحدث عن دوران الشمس وتسير مساراً معلوماً دائماً لا تخرج عنه، وهو ما يعضد ما قلناه من أن الأمر في قصة ذي القرنين إنما هو استعمالٌ مجازيٌ أو وصفٌ لما كان يظنه ذلك الرجل في نفسه بخصوص غروب الشمس لا أنه واقعٌ فعلاً خارج ذاته لأن القرآن يؤكد وجود مسارات سماوية دائمة لهذين الجرمين. بيد أنهما كعادتهما يحاولان عث في الآيات الكريمة عن معانٍ كي تدل على ما يريدان هما على سبيل التفسير والتعنت! وعلى هذا فقول

مؤخرين إنه إذا كان المفسرون المسلمون يشرحون الآية القرآنية بما يصرفها عن معناها الحرفي فذلك لأنهم يعرفون أن الشمس أكبر من الأرض، ومن ثم يستحيل أن تسعها أي عين فيها، ولأنهم أيضاً يؤمنون بعصمة القرآن مما يدفعهم من البداية إلى تأويل الآية بحيث لا تدل على أن ثمة خطأ علمياً قد ارتكب هنا. أكرر أن قول مؤخرين هذا هو قول متهافت بناء على ما أوردناه هنا أنفسهما من آيات قرآنية تنص على أن كلاً من الشمس والقمر مسار فلكياً دائماً لا يفارقه. ومن ثم فمن المصحح أن نتمسك بحرفية المعنى في الآية المذكورة بعد كل الذي قيل وقالا هنا أيضاً. والعجيب أيضاً أن مؤخرين يغمضان، أو بالحري يتعاميان عن أنه كان أولى بهما، بدلاً من تضييع وقتهما في محاولتهما الفاشلة تحفيظ القرآن الكريم، أن يحولا بقدر الإمكان مما أوقعه فيه النص القرآني مثلاً من ورطة تاريخية ليس لها من مخرج قال متى: "ولما وُلد يسوع في بيت لحم في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإنا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له... وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً" (متى ٢: ١- ١٠). فهب نحن أولاء إزاء نجم حجمه ضعف حجم الأرض مرتين ومرات ومرات... يتحرك من مكانه في الفضاء ويهبط مقترباً منها إلى حيث البيت الذي كان فيه الطفل الرضيع مع أمه وحطبها السابق بوصف النجار، وهذا هو المستحيل بعينه، ولا يمكن توجيهه على أي نحو يخرج كاتبه من الورطة العبثية التي أوقعه سوء حظه العاثر فيها. إن النص لا يقول بأي حال إن النجم قد صدر منه مثلاً شعاع ضوء إلى المكان المذكور، بل قال إن النجم نفسه هو الذي اقترب من البيت، كما أنه لم يقل إن جماعة المجوس وجدوا النجم يقترب أو بدا لهم أنه يقترب، بما

قد يمكن أن نقول معه بهم كما يُهْوِسُون، ومن ثم نقد كاتب الإنجيل من ورطته ولو على حساب جماعة محوس مشركين، وأمره إلى الله. بل كان الكلام واضح قطعا في أن النجم هو الذي تحرك هبط حتى بات فوق المكان تماما

وإلى القارئ شيئ من النصوص القرآنية التي تبين أن هناك مسارا معلوما دائما للشمس والقمر ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴾ وجعل اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام: ٩٦] (أي بنظام وحساب دقيق). ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ [يونس: ٥]. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الرعد: ٢]. ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ [يس: ٤٠]. ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦] (أي في السموات السبع). ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١]: (أي خُلِعَتْ من مسارها يوم القيامة، بما يعني أنها لا تفارق هذا المسار قبل ذلك الحين) وقد صدقت بحثي في المشكاة بعنوان Orbits of Earth, Moon, & Sun. 18 RELEVANT VERSES REGARDING THE SUN'S & MOON'S: ORBIT, ROTATION AND LIFE وقع باسم "Frank" يستشهد بهذه الآيات وأمثالها على ما قلناه هنا، ويرد من خلالها على من يتهمون القرآن بأن ثمة أخطاء علمية في حديثه عن الشمس والقمر والأجرام السماوية. ثم إنه يؤكد أيضا ما زلنا نقول حتى الآن بأن "الشمس غربت في بحر" كما جاء في الآية التي يدور حولها هذا المقال we still use expressions such as the sun set into the "sea, as is used in verse 18: 86 وفي النهاية أحب أن أقول للقارئ بأن هناك وجها آخر في تفسير الآية الكريمة يخلصها كل هذا التعقيد رأيت ابن حزم في كتابه الجغرافي العظيم "الفصل في الملل والنحل" يقول به

ويرفض كل ما سواه، وهو أن مدى كل في "عين حمئة" ليس هو الشمس، بل ذو القرنين نفسه. والمعنى حينئذ هو أن الرجل قد أدركه المغرب (أو أدرك هو المغرب) وهو في معين حمئة. وتركيب حمئة يسمح بهذا شيء غير قليل من الوجاهة. وربما يكمن هو المعنى الذي يتبادر للذهن بوهلة الأولى. وشبه جملة "في عين حمئة" في هذه حالة سيكون ظرفاً متعلقاً بفاعل "وجدها" وليس بالمفعول، أي أنه يصور حال ذي القرنين لا الشمس. وإن كان من المفسرين من يرفض هذا التوجيه كأبي حيان في "البحر المحيط"، إذ يرى فيه نوعاً من التعسف. وسأضرب هذا التركيب مثلاً أبسط يوضح ما أقول. فمثلاً لو قلت "ضرب سعيد رشداً وقف" جاز أن يكون المعنى هو أن سعيد ضرب رشداً، وسعيد وقف. أو أن يكون المعنى هو أن سعيد ضرب رشداً، ورشاد وقف. والسياق هو الذي يوضح ما يراد.

وأخيراً أختم مقالي بسرد نص الرسالة التي بعث بها الأخ النصراني مهجري إلي المحترم، والتي يصدق منها الكثير منه ومن أمثاله لكنني لخصت عنها عدة ولا أحب أن أشير إليها حتى لا يتحول الأمر إلى مسألة شخصية وهذا هو النص المذكور:

Mr. Ibrahim Awad

In your article titled, 'Sayed Qumni retires', in the 8 20 05 issue of the Online El Shaab Newspaper. Even though the article subject was a critical review of Mr. Qumni's response to a threat on his life, you could not help but inject your venomous hate to Christianity, Christians and the West at large. What concerns me here is that you made two, equally absurd, Claims.

First claim: Christianity needs Islam ,because it is the only religion that witness to the legitimacy of the lord Jesus Christ.

Second claim : Denying miracle occurrence, matters not to Islam, Muhammad or the Quran because of its absence in their make up Unlike Christianity with it's theology that relies heavily on belief in miracles.

To address the first claim: Make no mistake, Christianity never admitted that Islam is a God inspired religion, nor Christians ever appealed to

Muslim's god 'Allah', his prophet Muhammad or the Quran to vouch for it's legitimacy. It would be absolutely inappropriate for God, Jesus Christ, to ask a human to testify for Him In the Gospel of John chapter 5, the lord Jesus Christ explained what would be acceptable as witness for Him I chose 3 verses to quote John 5: 31 " If I bear witness to myself, my witness is not true. " He goes on to say in 5: 34 " But I receive not testimony from man, but these things I say that you may be saved. " then He drives in the point in 5: 36 " But I have greater witness than that of John (the Baptist). For the works which the Father has given me to finish. The same works that I do bears witness of Me that the Father

has sent me. "

You Are a writer and your works are articles and books. we know you as good or bad writer through your works. likewise a taxi driver, his works is to drive safely his customers, a teacher's work is to teach and so on . . . God's work is to create and all his works to us humans are supernatural.

No one else but Him can do it, we call it miracles

The works that Jesus Christ did. Mr Awad, bears witness to Him, and all His works can only be explained as the works of God. No sane person can deny that God's work s are miracles.

Responding to your second claim By contrast you claim that denying miracles. matters not to Islam.

A close examination of this statement reveals fast that it is unfounded. on account that Hadith and Sunnah recite that Muhammad experienced a miracle at the start of his mission. Whereupon. while in a cave in the mountain an angel Gabriel appeared to him Then holding Muhammad three times and ordering him to read in the name of Allah. Sura 96: 1-5 He Muhammad-an illiterate man-learned to read. Would

not you say that was a miracle of substantial importance to the advent of Islam.

However the internal evidence within the Quran reveals that it was a he . ' . Because if Allah the creator had performed the miracle of causing Muhammad learned to read. It would have stayed with him for the rest of his life ' Alas a short while later when Muhammad had doubts about what Allah says to him. Allah in Sura Yunis 10 94 says If you Muhammad had doubts about what I said to you then ASk those who read the

Book before thee This clearly shows that if Allah had taught him how to read. then He would have told him in this Sura to read what is written in the Book The truth always has a funny way of being shouted out loud from the roof top of buildings and it prevails.

Without miracles, how else can you explain the events of the Israa and Mi'raj"

No discusston of the Quran miracles is complete without talking about what I call the 'MOTHER' of all miracles. Most miracles we know of are recitation of a single supernatural event that ceased to occur anymore

and there are no ways to verify it. Not so.with the Mother of all miracles because it is an event that recurs once daily since the creation of earth and will keep going on strong until the hereafter. It is out there for every one to see and verify, should He she will. If you are now anxious enough to know about it, read Sura El Kahf 18: 83-85. In response To the people curiosity about where does the sun go at night ? The all knowing Allah creator of the Earth and heavens provided the answer in the above said sura (18)

in which Allah instructed his macho man " 'Zul Qurnain " to follow the sun. so he followed it until he saw it submerse in a hot murky spring.

The American philosopher Mark Twain said: " It is better to keep your mouth shut and appear stupid, than to open it and remove all doubts "

Little did Allah and his prophet Muhammad know neither about mark Twain, nor that the sun that appears to the human as big as a Basketball or a big round water melon, if you will, in the sky is actually the largest body **in the solar system.**

Consider these scientific facts before you embark on

doing unwise thing. :

The sun's diameter is : 1,390,000 kilometers

The Earth's diameter is . 12,106 kilometers

That means that the sun is 115 times bigger than the earth.

downscale it to visualize it The sun would be the size of a Basketball or a large round water melon. then the earth would be the size of one grapes and the hot murky spring. may be a dot. if can see it all. on the outer skin of this one grapes.

need I say anything more to show how hopelessly impossible the situation is and how pathetically ignorant Allah and Muhammad turned to be

Tank you Mr Awad. for giving me the challenge to respond to your unfounded allegations about Christianity and I pray that Lord Jesus Christ would break the shackles and locks that holds a steal veil of darkness upon Muslim people mind. so they would come out from 1400 years of ignorance to the light of knowing the one and only true God; the Father. His Word (Jesus Christ). and the Holy Ghost.

• • •

تقاليع مخبولة
في
دراسة السيرة النبوية

عندي في قائمة المفضلة موقع عثرتُ عليه في أشباك مد شهور بصم بين الكتب التي يصنعها تحت تصرف القارئ أكثر من خمسين سيرة نبوية باللغة الفرنسية بعضها قائم برأسه، وبعضها فصلٌ من كتاب، وبعضها بأقلام مسلمة، وبعض الآخر من تأليف المستشرقين. وبعضها معروض كاملاً بفصله وفصيصه، وبعضها حدا منها قد اكتفى بعرض خطوطه العامة مع بصعة نصوص فنية منه. ومن هذا الصنف الأخير كتاب بعنوان الفرنسي بريجيت بارديه اسمه "Un Juif nommé Mahomet" يهودي اسمه محمد" وقد عمدتُ في كتابة هذه الدراسة التي بين يدي القارئ على تلخيص الكتاب لأفكاره المودعة في كتابه، فضلا عن تعليقات بعض القراء على تلك الأفكار وردودهم عليها. وبدأتُ كتابه أحد قراء الكتاب المذكور تعقيبا على ما أثاره مؤلفه من تشكيكات خاطئة في الإسلام وكتابه ونبيه ووقائع تاريخه حتى عدت كأنني ملفقة تمت في وقت متأخر كثيرا عن التوريخ المعروفة بدءا من عهد النبي على ما سوف يتضح في هذه الدراسة. ويوجه القارئ المذكور اتهامات بركان قائلا إن كتابه قد أقنعه تمام الاقناع، وبخاصة ما جاء فيه عن الخندق الذي يمثل المسمار الأخير في نعش ما يسميه حرفة لا صلة له بالواقع. يقول هذا الخندق الذي تذكر كتب السيرة والحديث والتاريخ أن المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد حفروه لحماية المدينة من هجوم الأحزاب عليها) هو في رأيه أمر لا وجود له في الواقع. ذلك أنه ليس ثمة دليل على أنه قد تم حفره فعلاً، ومن ثم

فكل ما يقال عن الرسول ووجوده التاريخي هو محض هراء. ولا ينقص إثبات ذلك إلا شيء واحد، هو أن يتم التحقق، عن طريق الحفر أو التصوير الجوي، من أنه لم يكن هناك خندق بالمرة. وعندئذ يتبين للمسلمين أنهم كانوا يعيشون طوال هذه القرون على وهم كبير، ومن ثم يتركون الإسلام نهائيا

والملاحظ أن المنطق المستخدم في كلام المعلق والمؤلف جميعا هو منطق متهافت تمام التهافت كما سيتبين للقارئ عندما نأتي إلى تحليل هذه الأفكار التي لا يمكن أن تدور إلا في عقل مضطرب أو عقل قصد صاحبه قصداً سيئة التشكيك في كل شيء، دون أدنى دليل. التشكيك مجرد التشكيك رغم كل المخطوطات المدونة التي نكاد أن نتحسس منها رؤوسنا! فإن القارئ المذكور الذي لم يكتب اسمه بعد قد شارك في البحث عن بقايا بعض النمل بعاصمة الرومانية في موقع يعود عهده إلى عصر أقدم من عصر الخندق المزعوم بالمدينة، بيد أنه لم يعثر على أكثر من كسور بعض الفخاريات. وربما قد يستطيع أن يرى من الطائرة بقايا مبان تعود إلى عصر الرومان، وإن من الممكن جدا، تحرك الحفر على عمق متر أو مترين أو أكثر من ذلك قليلا، بعثور على آثار ترجع إلى أزمنة جد سحيقة مما لا يُعدّ معها الرومان لدى يقال إن الخندق قد تم حفره فيه شيئاً مذكوراً. وخاصة بالنسبة لخندق يقال إنه قد حُفر بعمق يستحيل معه على جندي مشاة عبوره، وبعرض لا يتيح لفارس القفز فوقه بسهولة. وعلى هذا فمن المرجح جدا أن الخندق المدينة، إذ كان قد حُفر فعلا، لا بد أن يكون لأي موجود رغم أنه قد أعيد ردمه بطبيعة الحال، إذ من المعروف أنه قد تم حفره في العصور، والعصور من بعيد نفسه بالنسبة إلى ما كان عليه قبل الحفر، ومع ذلك فمن الممكن ووارد جدا أن الحملة الأخيرة هي سخرية من الكتب! ومن المعروف، كما

يقول : أن الخندق كان يحيط فقط بالمدينة . التي كانت أصغر كثيرا مما هي الآن . ومن ثم فلو حفروا من أي نقطة حول مسجد باتجاه الخارج فلا بد أن يتقاطع حفر مع الخندق القديم بعد قليل من الزمن

Je vais vous dire l'argument qui m'a definitivement convaincu, genre le dernier coup de marteau qui enfonce le clou deja solidement planté le fossé de Medine. J'ai participé a des fouilles de villas gallo-romaines, dans un site PLUS ANCIEN que le site potentiel de Médine. Je n'ai rien trouvé de plus que des bouts de poteries dont le plus grand lot formait au mieux un fond de vase. En avion, j'ai vu des vestiges de maisons pouvant remonter jusqu'aux Romains. Je sais qu'il suffit de gratter sous un a deux metres de terre, parfois plus mais pas tant que ça, pour retrouver des traces remontant à des époques faramineusement lointaines. 2000 ans ce n'est rien 1400 ans encore moins, surtout pour un personnage qui aurait creusé un fosse suffisamment profond pour être infranchissable a des fantassins, et suffisamment large pour être difficilement franchissable a un cheval Or, il est TOTALEMENT evident, que ce fameux fosse de la bataille de Medine devrait toujours exister! Comblé, certes, mais toujours là Il est censé avoir été creuse

dans la roche par endroits : la roche n'a pas pu se reformer (quoique. Allah est grand...) Et le fosse ne pouvait qu'encercler la ville, plus petite qu'actuellement Sinon il suffisait de passer par l'endroit où il n'y avait pas de fossé! Donc on creuse une tranchée depuis l'exterieur de la mosquee vers n'importe quelle direction et, mathématiquement, on coupe le fossé à un moment ou à un autre.

كذلك حين يحفر الإنسان خندقا فلا بد، حسب كلامه، أن تكون هناك صخور، أو على الأقل أكوام من التراب، ناتجة عن الحفر، إلا أن الروايات لا تتحدث أبدا عن شيء من ذلك. ثم يضيف قائلا: إنه كانت هناك، فيما يذكر، مبارزة بين أحد الصحابة وفارس من فرسان الأعداء استطاع عبور الخندق قفزا بالحصان، وأن المحاربين كانا يتبارزان لكل من الطرفين على جانبي الخندق. وهذا أمر في نظره عجيب، فما دام واحد قد استطاع القفز فوق الخندق، لقد كان الجميع يستطيعونه هم أيضا، فما الذي منعهم من ذلك؟ ثم ما دام الموجودون على جانبي الخندق يستطيعون رؤية المتبارزين، فلم لم يصوبوا عليهما سهامهم؟ لكن أحد من الطرفين لم يتحرك. ومعنى ذلك أنه كانت هناك مبارزة تدور بين اثنين وسمع من جنبتي مئتين تماما، وهو ما لا يقبله العقل. أما بالنسبة لهؤلاء الذين يتربصون على نمط التعليم الإسلامي فإنهم لن يُعمِلوا أنفسهم بالتفكير في تلك الرواية غير المنطقية البتة وعلى هذا فإنه ينتهي إلى تأكيد ما قاله المؤلف من أن شهرين فقط من التنقيب في ذلك المكان كفيلان بالقضاء على تلك الخرافة، وعندها يكون المسلمون قد تخلصوا من دينهم!

En plus, quand on fait un fossé, on fait un rempart, au minimum un remblai, avec les deblais : or le récit ne parle pas de rempart ni de remblai. Si je me rappelle bien, il y a un duel entre un adepte de Mahomet et un cavalier qui réussit à sauter le fosse, et les combattants sont visibles des deux côtes du fossé, encouragés par leurs armées respectives. Le terrain est donc à découvert des deux côtés du fosse. N'importe quoi. J'avais trouvé le détail bizarre : si un cavalier passe, tous passent ; si on peut voir le duel, on peut tirer des fleches sur les dueilistes, or personne ne bouge. Les duels qui se deroulent devant deux armees passives, ça n'existe pas. Des que l'on se met a reflechir, ça saute aux yeux, oui mais voilà le " merveilleux " du recit berce l'intelligence qui s'endort, et la grosse couleuvre s'avale comme une cuillere de confiture même quand on n'est pas musulman. Alors ceux qui sont passés par les écoles coraniques, ils ne risquent pas de refléchir. C'est evident, comme vous l'écrivez . deux a trois mois de fouilles, et c'est fini, les musulmans sont débarrassés de l'islam.

ومن الغريب ، كما يقول ، أن أحدا لم يفكر فى هذا الأمر بناء على ما فيه من مخالفة للمنطق تبعث على الدهشة ، وهو ما يبين لنا إلى أى مدى

ستطيع الإسلام التلاعب بالعقول عن طريق التقنيات الخاصة بذلك جميعها دون استثناء: بدءًا مما يسمى بغسيل المخ، ومرورًا بالتزام صمت الجماعة والخضوع لتأثير الموضة جمعية وغسل مسائل بعينها لا ينبغي الخوض فيها واستغلال الجنس... وانتهاء بتعطيل عمل العقل... إلخ ويقول أيضًا إنه، رغم حرصه على أن يظل منفتح العينين حتى لا يخدعه أحد، فقد انطلى عليه ما يُسمى "التزمين المُضوِّق"، إذ ظن أنه ما دامت هناك كتب تتحدث عن محمد فمعنى هذا أن محمدًا كان موجودًا حقيقة، مع أن هناك كتبًا كثيرة عن تنتن، ومع ذلك فإن تنتن لم يكن له في يوم من الأيام وجود:

C'est ahurissant comme c'est simple, et encore plus ahurissant que l'on n'y pense pas. Voilà qui montre a quel point cette manipulation de l'islam est psychologiquement bien conçue En fait TOUTES les techniques de la manipulation sont utilisées dans l'islam, absolument toutes le lavage de cerveau par mantras, la démonstration publique de soumission, la pression du groupe, les non-dits, l'intrumentalisation de la sexualité, la paralysie de l'intelligence par la double contrainte etc... Moi qui me targue d'être du genre " on ne me la fait pas! " hé bien je me suis fait " couillonné " par l'" argument d'autorité " : il existe des livres qui racontent les aventures de Mahomet, donc Mahomet a existé. Ben non : il existe aussi les aventures de Tintin, et il n'a

jamais existé!

وحسب قوله فإن علم الآثار يفسر سر المنع في حظر الذهاب إلى مكة والمدينة على غير المسلمين، إذ لا بد أن يكون زوار تلك المدينتين عميان لا يبصرون ولا يفكرون، أي مسلمين مقتنعين قد يقال لهم، وإلا يكون عندهم وقت للتفكير إذا ذهبوا إلى هناك. ومن ثم كان لا بد من أن تُفرض عليهم شعائر معقدة يؤدونها ثم يعودون على الفور من حيث أتوا دون أن تكون لديهم فرصة لإعمال العقل أو لزيارة الأماكن المحيطة، وهو ما نشاهده في نفس الظروف عند الأمم الأخرى:

L'archéologie explique de surcroit cette interdiction faite aux non-musulmans d'aller dans les villes de La Mecque et de Médine. Il faut absolument que les gens allant dans ces endroits soient aveugles. psychologiquement parlant, donc musulmans convaincus, et ils ne doivent pas avoir le temps de réfléchir quand ils viennent. Donc on leur impose des rituels compliqués, il font ça, et ils repartent. Point. Pas de réflexion, pas de visite des alentours. Surtout pas! On retrouve un peu la même chose dans le pèlerinage au volcan de Lassolas pour l'histoire de Raël. Et le pèlerinage à Arès, pour la révélation d'Arès du frère Michel Potay.

وهو يتساءل: أمن المستطاع أن تريح لنا بعض الصور البسيطة التي يمكن التقاطها عن طريق الأقمار الصناعية الستار عن سر اختفاء ذلك الخندق،

من خلال المقارنة بينه وبين صور المواقع الأخرى التي فيها خندق يعود تاريخها إلى نفس الفترة الزمنية وتم ردمها، ومع ذلك يمكن رؤيتها من خلال التصوير الجوي، على حين أنه لا يوجد شيء من هذا في حالة المدينة؟

Je me demande si de simples photos par satellite ne pourraient pas révéler l'absence de ce fameux fosse, en comparant avec des photos de sites similaires connus pour avoir eu des fossés avérés, datant de la même époque, maintenant comblés mais toujours visibles sur des vues aériennes. Alors qu'a Medine, rien.

هذا ما قاله المعلق على كتاب ركان اليهودي اسمه محمد، وواضح من كلامه أنه يريد من السلطات السعودية أن تمكنه المدينة المنورة كلها ببيوتها ومحلاتها ومؤسساتها وفنادقها ومطاعمها ومدارسها وجامعتها وشوارعها وطرقاتها وحدائقها، وإخلاء السكان طبعاً قبل هذا (أما أين يذهبون، فليهم رب اسمه الكريم)، وذلك كله من أجل التحقق من وجود الخندق أو عدمه! يا له! أية سادية تدميرية ودموية هذه؟ الواقع أنا لم نسمع بشيء من هذا في الأولين، ولا أعتقد سنسمعه في الآخرين! وهل تراه سيؤمن لو وجدت آثار الخندق بعد أن تكون المدينة المنورة قد تم تدميرها وتحويلها إلى أنقاض وخرائب ينعق فيها البوم والغربان؟ أبداً لن يؤمن! ألم يقل المؤلف (وتابعه المعلّق فيما قال) إن محمداً لم يكن له وجود، وإنه قد تم اختراعه بعد ذلك بزمن طويل؟ يعني أنه حتى لو دمرت المدينة المنورة كي يرضى هذا الرجل فلن يؤمن هو وأمثاله! ولو أن كل أصحاب دين استجابوا لما يدعو إليه هذا الكاتب وأشباهه لما بقي شبر واحد في الأرض معموراً، ولتحولت البسيطة كلها خراباً وبوراً! ولقد كان أمثال الكاتب والمعلّق ينكرون وجود

عاد مثلاً إنكاراً شديداً . ويصمُّون ما قاله القرآن عنهم وعن حضارتهم وألسنتهم التى لم يُختلق مثلها فى البلاد بأنه كلام أساطير لا يستحق أن يصغى له العلماء الباحثون المدققون . ثم ثبت وجود تلك المبانى المهولة الضخمة فى الأماكن التى حددها القرآن مساكن قوم عاد ، عن طريق التصوير الجوى الذى قام به الغربيون أنفسهم فى صحراء الجزيرة العربية ، فهل رجعوا عن تكذيبهم للقرآن ؟ وهل أحسوا بخطئهم بما قاله كتاب الله المجيد ؟ لا ، يفعلوا شيئاً من ذلك ! وقد ذهب ثمود ؟ أترى الأمريكان والروس بعد أن ثبت كذبهم فى موضوع أسلحة الدمار الشامل بالعراق قد ترجعوا عن غيهم فى العراق واعتذروا ، وأعادوا مواطنيهم الذين يُعتبرون بمئات الألوف إلى أحبتهم ، وأرجعوا ما نهبوه ودمروه من عمارة العراق وثروة العراق ؟

وهذا كله لو أنه لا يعرف حقيقة حفر الخندق معرفة تمنعه من التهور والإقدام على هذا الإجرام التدميرى . فقد كتب الواقدى فى مغازيه عن حفر الخندق ما يلى : حدثنى أبو بكر بن أبى سبرة قال حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى جهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرسا له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فرأى موضعا يتزله فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً خلف ظهره ويخندق من الجداد إلى ذباب إلى راتج فعمل يومئذ فى الخندق ، وندب الناس فحزبهم بدور عدوهم وعسكرهم بذى سفح سلع ، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم واحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل معهم فى الخندق لينشط المسلمين وعملوا ، واستعذروا من بنى قريظة أنة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل يحفرون به الخندق . وهم يومئذ مسلم للنبى صلى الله عليه وسلم يكرهون قدوم قريش . ووكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى

ذلك ، وكانت الأنصار تحفر من ذلك إلى حيال بني عبيد ، وكان سائر المدينة مشتكا بالبيان . فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن جده قال كنت أنظر إلى المسلمين والشباب يعقبون التراب و الخندق سطة أو نحوها ، وكان المهاجرون والأنصار يعقبون على رءوسهم في المكاتل وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من حيال سلع ، وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حبال التمر ، وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها . فحدثني ابن أبي سبرة عن مروان بن أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يحمل التراب في المكتل ويطرحه والقوم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر .. هذا أبرُّ ربنا وأطهر

وجعل المسلمون يومئذ إذا رأوا من الرجل فتورا ضحكوا منه . وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي ، فقال المهاجرون: سلمان منا وكان قويا عارفا بحفر الخنادق . وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم فقال سلمان رجل منا أهل البيت . ولقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه يومئذ قيس بن أبي صعصعة ، فلط به فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروه فليتوضأ له وليغتسل به وليكفئ الإناء خلفه . ففعل فكأنما حُلَّ من عقال .

فحدثني ابن أبي سبرة عن المفضل بن مبشر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لقد كنت أرى سلمان يومئذ وقد جعلوا له خمسة أذرع طولا وخمسا في الأرض فما تحينته حتى فرغ وحده وهو يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة وحدثني أيوب بن النعمان عن أبيه عن جده عن كعب بن مالك قال جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر وكنا ، بني

سلمة ، ودحية فعرم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ألا أقول شيئ ، فقلت هل عرم على غيري؟ فقيل حسان بن ثابت . قال فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يهدد لوجده له وقفته على عيره ، فما تكلمت بحرف حتى فرغت من حسان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لا يعضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوءا ، إلا ما قال كعب وحسان فإنهما يجدان ذلك وحدثني يحيى بن عبد العزيز عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال كان حُعَيل بن سُراقة رجلا صالحا ، وكان ذميما قبيحا ، وكان يعمل مع المسلمين يومئذ في الخندق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غير اسمه يومئذ فسماه عمرًا ، فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد حُعَيل عمرا وكان للبائس يوما ظهرا

قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول من ذلك شيئا إلا أن يقول: "عمرا".

فبينا المسلمون يحفرون وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين فنظر إليه سعد بن معاذ وهو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله يا رسول الله الذي أقدني حتى آمنت بك ، إني عرفت أن هذا يوم بعاث ، ثابت بن الضحاك ، فكانت النبعة به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه نعم الغلام وكان زيد بن ثابت قد رفد في الخندق ، فسته عيناه حتى أخذ سلاحه وهو لا يشعر وهو في فور شديد ترسه وقوسه وسيفه ، وهو على شفير الخندق مع المسلمين فانكشف المسلمون يريدون يطيفون بالخندق ويحرسونه وتركوا زيدا نائما ، ولا يشعرون به حتى حداه عمارة بن حزم فأخذ سلاحه ولا يشعر حتى فزع بعد فقد سلاحه حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا زيدا فقال يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من له علم بسلاح

هذا الغلام؟ فقال عمارة بن حزم: أنا يا رسول الله وهو عندي. فقال فرده عليه. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروع المسلم أو يأخذ متاعه لاعبا. حدثني علي بن عيسى، عن أبيه قال: ما كان في المسلمين يومئذ أحد إلا يحفر في الخندق أو ينقل التراب ولقد رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر (وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل ولا سير ولا مسير) ينقلان التراب في ثيابهما يومئذ من العجلة إذ لم يجد مكاتل لعجلة المسلمين. وكان البراء بن عازب يقول ما رأيت أحدا أحسن في عينه حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان البياض شديد البياض، كثير الشعر يضرب الشعر منكبيه. وقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه وبني لأنظر إلى بياض بطنه. وقال أبو سعيد الخدري: لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وبين عكنه وهو يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

ومما يشهد على أن الوقدي يتبين الكذب من يفهم ولا يعطل معاصلة الكذب والضلال أن الأمر يتعلق بحفر الخندق بالمدينة لا بتكسير حجارة كما يزعم الكذب والمعلق. فالأرض إذن كانت ترابية رملية لا صخرية صلبة. وهذا واضح من قول مؤرخنا المسلم: "فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن جده قال كنت أنظر إلى المسلمين والمشركين ينقلون التراب والخندق بسطة أو نحوها، وكان المهاجرون والأنصار يتفاورون على رءوسهم في المكاتل. وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من حيل سلع، وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حبال الشعر. وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها" ففي النص، كما هو واضح، أنهم كانوا ينقلون التراب الذي يتم

ستخراجه من الخندق بعيد عنه ، ويحصرون الحجارة من خروجه فى طريق عودتهم . أى أن حركة الحجارة كانت حركة عكسية ، فقد كانت تُحْمَل من خارجه إليه ولا تؤخذ منه إلى الخارج ، كما أنها حجارة لا صخور ، وهى حجارة تلزمى مما يدل على أنها كانت حجارةً صغيرة الحجم لا كتلاً كبيرة ويؤكد هذا الآلاتُ التى كان المسلمون يستعملونها فى عملية الحفر ، وهى المكاتل والمساحى والفؤوس ، وهى (كما ترى) آلاتٌ لحفر الأتربة وتسويتها ونقلها ، ولو كانوا يكسّرون صخورا لكانت الآلات المستعملة آلات تكسير وتحطيم . ولكانت وسائل النقل عربات تستطيع أن تحمل الصخور بعيدا عن ميدان العمل . ويؤكده أيضا أن المدة التى كان عليهم حفر الخندق فيها كانت مدةً جدّ قصيرة لا يمكن أبدا تكسير الصخور لصنع خندق كبير مثل هذا ونقلها خلالها ، إذ كان المدة ستة أيام لا غير كما جاء فى "مغازى" الواقدى كما كانت الإمكانات الإسلامية فى ذلك الوقت أعجز من أن تنجز مثل هذا العمل الشديد الصعوبة . ونلاحظ أنهم قد استعاروا حتى هذه الأدوات البسيطة البدائية من يهود ، وهذا يعطينا فكرة عن مدى التخلف التقنى عندهم ، هذا التخلف الذى لم يمنعهم مع ذلك من الانتصار فى معاركهم مع قوى الكفر والشرك والطغيان المحلية والعالمية وتحطيمها تحطيما لم تقم لها قائمة بعدها ، على حين أننا نحن العرب والمسلمين فى هذا العصر التكد نمتلك من الإمكانات ما لم يحلم أحدادنا هؤلاء بواحد على المليون منه ، ومع ذلك يسيطر علينا العجز وتنتشر فينا روح الخوف والهزيمة المسبقة فلا نكاد نحسن شيئا فى عالم الانتصارات . اللهم لا على أبدى رجال المقاومة الإسلامية الذين يمرغون أنوف الأمريكان وأذنابهم فى الطين! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترك يومئذ فى العمل ، شأنه شأن أى واحد من المسلمين لا يتميز عنهم بشىء . فكان يحمل التراب فى المكاتل ويطرحه

حسبما جاء في النص السابق وحسبما ذكر الواقدي في نصوص أخرى على لسان بعض الصحابة "وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، فلقد كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يضرب مرة بالمعول، ومرة يعرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب في مكتل"، "ولقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه وإني لأنظر إلى بياض بطنه"، "كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وبين عُكَنه" ونلاحظ هنا أيضا ذكر التراب لا الصخور مما يؤكد أن المسألة كانت حفرا لا تكسير، وهو الأمر الذي تكررت الإشارة إليه عند الكلام عن شرط زيد بن ثابت في الحفر، إذ نقرأ في النص قول الراوي "وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين" كما يؤكد ذلك أن بعض الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا يستخدمون ثيابهم في حمل ناتج الحفر بعيدا عن الخندق نقلة بالمكتل (وهي تقابل المُنْقَلة والقُفَف عندنا في مصر)، ولا يُعقل أن يستخدم ثيابه في نقل الصخور بل التراب. وفي "صحيح البخاري" أيضا يطالعنا هذا الحديث لأنس بن مالك: "جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدا

قال يقول النبي صلى الله عليه وسلم، هو يجيبهم: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة. فبارك في الأنصار والمهاجرة" كما نقرأ فيه كذلك قول البراء بن عازب: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب، وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

و ... مشركون قد نصوا عليا ... إذ أرادوا قتلة أبيه"

ويؤكد هذا كذلك أن الروايات لم تتحدث إلا عن صخرتين اثنتين قامت المسلمين أثناء عملية الحفر وسببت لهم عناءً فاق طاقتهم وخبرتهم مما اضطرهم إلى اللجوء إلى رسول الله، الذي قام بنفسه بتحطيمهما كما رأينا، وهذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. وقد تكرر هذا الكلام في المصادر الأخرى، إذ نقرأ في سيرة ابن هشام مثلا: "قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته عند ذلك المسلمون. فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُدْية فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدْية فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيا، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة... وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عني نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى. قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى. قال قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيتُ لَمَعَ تحت المعول وأنت تضرب؟ قال أوَقَدْ رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت: نعم قال أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق". ومن هذا كله نرى رؤية اليقين أنه لن يكون ثمة وجود للخندق حتى لو بَقَرْنا الأرض كلها أو صورناها من الجو، ذلك أن حفر التراب يعد أن يتم ردمه كرة أخرى لا يبين

له أثر، فما قول الشياطين المخربين المدمرين أعداء الحياة والحضارة والثقافة في هذا ؟ وقد تحدث المستشرق الفرنسي إميل درمنجم (في صفحتي ٢٦٣-٢٦٤ من كتابه: "La Vie de Mahomet "، Librairie Plon, Paris, 1929، وفي صفحتي ٢٦٦- ٢٦٧ من الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها عادل زعيتر، ط٢، عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٩م) عن الخندق فذكر التراب والحجارة التي كان يعطي حمل الرسول عليه السلام أثناء عمله في الحفر ونقل الأتربة، وإن كنتُ وجدتُ رصيفه سافاري (M. Savary)، الذي كان يعيش في القرن الثامن عشر الميلادي والذي ترجم القرآن إلى الفرنسية وكتب له مقدمة طويلة بمثابة كتاب كامل خصصها لسيرة سيد المرسلين عنوانها "Abrégé de la vie de Mahomet"، يقول في هذه المقدمة عند حديثه عن غزوة الخندق (ولا أدري على أي أساس قال ما قال، ولا من أي مصدر استقاه) إن الأرض كانت صخرية صعبة الحفر، وإن المسلمين كانوا يستعملون القواديم في كسرها كما أشار إلى الصخرة التي استعصت على المسلمين واستطاع الرسول عليه السلام أن يفتتها، وإن فسّر ذلك تفسيرا طبيعيا نافيا عنه جانبه الإعجازي.

"On n'entendait de toutes parts que le bruit des marteaux, les cris des travailleurs. Le sol était pierreux et difficile à creuser. Une roche fort dure résistait aux attaques des pionniers et rebutait leur constance. Mahomet, s'apercevant de leur découragement, prit de l'eau dans sa bouche et en répandit sur la pierre ; elle s'amollit, et céda aux coups redoublés des marteaux. Les Musulmans crièrent miracle et attribuèrent à la vertu de

cette eau merveilleuse un succès qu'ils devaient à leurs nouveaux efforts. Tel Annibal, se frayant une route à travers les Alpes, ranima le courage de ses soldats, en faisant répandre du vinaigre sur le rocher qu'il voulait percer. Partout le grand homme est le même : partout il aplanit les obstacles sous ses pas et fait céder la nature à ses efforts. Le charme invincible qu'il emploie pour produire des prodiges est l'assurance du success dont il enivre les curs des mortels ".

وهذا كلام ليس له مرجع يحُور إليه ، بل اعتمد فيه الكاتب على تخيلاته وأوهامه بأسف شديد ، وليس هذا مما يرتضيه العلم ولا البحث المنهجي!

أما بالنسبة لكلام كاتبنا هو وقارنه عن سلبية الجيشين المسلم و الكافر فهذا أسوق ما كتبه الواقدى كى يتبين القراء مدى العشم الذى يندفع إليه المستشرقون بوجه عام عندما تأتى سيرة الإسلام فيقولون كل ما يطوكونه عن المنهج العلمى ووجوب تثبت الباحث من كل ما يقوله أو يكتبه بحيث لا يخط حرف إلا بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع التى تتناول الموضوع المهم: تعالوا إلى ما قاله الواقدى لنرى إلى أى مدى كان الكاتب والمعلق الفرنسيان محتضين للمنهج العلمى: "قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال قالت أم سلمة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق فلم أفارقه مقامه كله وكان يحرس بنفسه في الخندق ، وكنا في قر شديد فإني لأنظر إليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في فنته ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول هذه خيل المشركين تطيف بالخندق من لهم؟ ثم نادى: يا عباد بن بشر . فقال عباد لبيك قال أسمعك

احد؟ قال نعم أنا في نفر من أصحابي كنا حول قبتك .

قال فانطلق في أصحابك فأطف بالخندق فهذه خيل من خيلهم تطيف بكم يطمعون أن يصيبوا منكم غرة . اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبنهم غيرك فخرج عباد بن بشر في أصحابه فإذا بأبي سفيان في خيل من المشركين يطيفون بمضيق الخندق . وقد مدر بهم المسلمون فرموهم بالحجارة والنبل . فوقفنا معهم فرميناهم حتى أذلقناهم بالرمي فانكشفوا راجعين إلى مسرحهم . ورجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه يصلي فأخبرته قالت أم سلمة فنم حتى سمعت غطيطه فما تحرك حتى سمعت بلالا يؤذن بالصبح وبياض الفجر فخرج فصلى بالمسلمين فكانت تقول يرحم الله عباد بن بشر فإنه كان ألزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبة رسول الله يحرسها أبدا .

فحدثني أيوب بن النعمان عن أبيه قال كان أسيد بن حضير يحرس الخندق في أصحابه فانتهوا إلى مكان من الخندق تطفره الخيل فإذا طليعة من المشركين مائة فارس أو نحوها عليهم عمرو بن العاص يريدون أن يعبروا إلى المسلمين فقام أسيد بن حضير عليها بأصحابه فرموهم بالحجارة والنبل حتى أجهضوا عنا وولّوا . وكان في المسلمين تلك الليلة سلمان الفارسي ، فقال لأسيد إن هذا مكان من الخندق متقارب ونحن نخاف تطفره خيلهم ، وكان الناس عجلوا في حفره وبادروا فباتوا يوسعونه حتى صار كهيئة الخندق وأمنوا أن تطفره خيلهم . وكان المسلمون يتناوبون الحراسة وكانوا في قرّ شديد وجوع .

فحدثني خارجة بن الحارث عن أبي عتيق السلمي عن جابر بن عبد الله قال لقد رأيتني أحرس الخندق ، وخيل المشركين تطيف بالخندق وتطلب غرة ومضيقا من الخندق فتقتحم فيه وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

هم الشدان يفعلان ذلك يطلبان الغفلة من المسلمين. فلقيا خالد بن الوليد في مائة فارس، قد حال بخيله يريد مصبح من الخندق يريد أن يغير فرسانه فصحناهم بالنبل حتى انصرف. فحدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال قال محمد بن مسلمة أقبل خالد بن الوليد تلك الليلة في مائة فارس، فأقبلوا من العقيق حتى وقفوا بالمذاد وجاء قبة النبي صلى الله عليه وسلم فدرت بالقوم فقمت لعباد بن بشر وكان على حرس قبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قائما يصلي، فقمت أنبهه فركع ثم سجد وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم فأسمعهم يقولون هذه قبة محمد ارموا فرموا، فاقتصصناهم حتى وقفنا على شفير الخندق، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر فترامينا، وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم وكثرت الجراحة بيننا وبينهم ثم تبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم والمسلمون على حارسهم فكلما مر بحارس بعض معه طائفة وثبت طائفة حتى انتهيت إلى راتج فوقفوا وقفة طويلة وهم ينتظرون فريضة يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم بن حريش يحرس فيأتون من خلف راتج، فلاقوا خالد بن الوليد فاقتتلوا واختلطوا، فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت إلى خيل خالد مولية وتبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء. فأصبح خالد وقريش وغطفان تزري عليه وتقول ما صنعت شيئ فيما في الخندق ولا فيما أصحر لك. فقال خالد أنا أقعد الليلة وابعثوا خيلا حتى أنظر أيّ شيء تصنع".

ولنقرأ أيضا في الواقدي: "حدثني ابن أبي سبرة عن عبد الواحد بن أبي عون عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله إني لمع خوف الليل في قبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم إلى أن سمعت الهيعة وقائل يقول يا خيل الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شعار

المهاجرين" يا خيل الله" ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته فخرج من القبة فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونه، منهم عباد بن بشر فقال ما بال الناس؟ قال عباد يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة بوسته، ينادي: "يا خيل الله" والناس يثوبون إليه وهو من ناحية حسيكة ما بين ذباب ومسجد الفتح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر اذهب فانظر ثم ارجع إلي إن شاء الله فأخبرني قالت أم سلمة فقمت على باب القبة أسمع كل ما يتكلمان به.

قالت فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما حتى جاءه عباد بن بشر فقال يا رسول الله هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين معه مسعود بن رخية بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان في خيل غطفان، والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة.

قالت فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس درعه ومغفره وركب فرسه وخرج معه أصحابه حتى أتى تلك الثغرة فلم يلبث أن رجع وهو مسرور فقال: صرفهم الله. وقد كثرت فيهم الجراحة. قالت فنام حتى سمعت غطيطه وسمعت هنيهة أخرى، ففزع فوثب فصاح يا عباد بن بشر قال لبيك قال انظر ما هذا. فذهب ثم رجع فقال هذا صرار بن الخطاب في خيل من المشركين معه عيينة بن حصن في خيل غطفان عند جبل بني عبيد، والمسلمون يرامونهم بالحجارة والنبل.

فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس درعه وركب فرسه ثم خرج معه أصحابه إلى تلك الثغرة فلم يأت حتى كان السحر فرجع وهو يقول رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة. ثم صلى بأصحابه الصبح وجلس. فكانت أم سلمة تقول قد شهدت معه مشاهد فيها قتال وحوف

مريسيع وخيبر، وكذا بالحديبية. وفي فتح وخيبر لم يكن من ذلك شيء. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف عندنا من الخندق ولقد كان المسلمين كانوا في مثل الحرجة وإن قريظة لا نأمنهم على الذراري والمدينة نحرس حتى الصباح يسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوف، حتى رد الله عنهم لما يشاء خيرا وكفى الله المؤمنين القتال.

حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن محمد بن مسلمة قال كنا حول قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحرسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم نسمع غطيطه إذ وقف أفراس على سلع، فبصر بهم عباد بن بشر وأخبرنا بهم فقال فأتى إلى خيل وقف عباد على باب قبة النبي صلى الله عليه وسلم أخذا بقائم السيف بظهري، فرجعت فقمت. خيل المسلمين أشرفت عليها مسلمة بن أسلم بن حريش فرجعت إلى موضعنا. ثم يغدو محمد بن مسلمة كان ليلة يحرسه بها حتى فرجه الله.

ولنستمر في نفس هذه السيرة الشائقة حتى يتبين الرشد العلمي المسلم من يعي الفرنسي المتحذلق بعشبه. حدثني حرملة بن الحارث عن أبي عتيق عن جبير وحدثني يعقوب بن عتبة، عن عبد الله بن مقسم، عن جبير بن عبد الله، قال كان خوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش حتى فرج الله ذلك.

قالوا: فكان المشركون يتداعون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما، ويغدو عيينة بن أبي وهب يوما، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما، وصفوان بن أمية يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم ما بين المدينة إلى رانوناء، وهم في نفر من أصحابهم يتفرقون مرة ويجتمعون أخرى، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفا شديدا. ويقدمون رماتهم، وكان معهم رماة حتى من العرقة وأبو أسامة جشمي وغيرهم من أفناء العرب، فعمدوا يوما

من ذلك فتشاوشوا ليلة سبعة وهم جميع في وجه واحد وجاءه قتة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم عليه يدعو وينفر ويقال على فرسه فرماني حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله فقال حبان بن العرقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق الله وجهك في النار. ويقال أبو أسامة الجشمي رماه وكان درعا. فكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول كنت في أطم بني حارثة قبل الحجاب ومعنا أم سعد بن معاذ. فمر سعد بن معاذ يومئذ عليه درع حبوق ما رأيت أحدا في حبوق مثله وعليه درعه قد خمرة على درعه ورمحه إبي لأخاف عليه يومئذ من تشمير درعه فمر يرتفل في يده الحربة وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل ... لا بأس بالموت إذا الموت نزل

وأمه تقول الحق يرحمك الله يا بني. وقد والله تأخرت. فقلت والله يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ على بنانه.

قالت أم سعد يقضي الله عز وجل فقضى له أن أصيب يومئذ وقد جاء الخبر بأنه قد رمي تقول أمه ويحلاه لئن رؤساءهم الجمع أن يعدو حميد، فعدا أبو سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله مخزومي، وعمرو بن عبد، ونوفل بن معاوية الديلي في خيله فجعلوا يطيفون بالخندق ومعه رؤساء غطفان عيينة بن حصن ومسعود بن رخيلة والحارث بن عوف، ومن سمينا رؤساؤهم ومن بني أسد طليحة بن خويلد. وتركوا رجالا منهم خلوفا يصلون مصيفهم يريدون يفتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانتهوا إلى مكان قد أضعفه المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويقولون هذه المكيدة ما كانت العرب

سمعه ولا تكبدها. قالوا: إن معه رجلا فارسا، فهو الذي أشار عليهم بهذا. قالوا: فمن هناك إذا؟ فعمر عكرمة بن أبي جهل، وبوقل بن عبد مناف، وحمزة بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد، وقام سائر المشركين من وراء الخندق لا يعبرون. وقيل لأبي سفيان: ألا تعبر؟ قال: قد عبرت إن جئتم بيثربا عبر. فجعل عمرو بن عبد يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بححت من النـ ... ـداء لجمعكم هل من مبارز؟

وعمرو يومئذ لئن قد شهد بدرا فأثبت جرحه فلم يشهد أحدا، وحرم الذهب حتى يثأر من محمد وأصحابه وهو يومئذ كبير، يقال بلغ تسعين سنة فلما دعا إلى البراز قال علي عليه السلام: أنا لك يا رسول الله، ثلاث مرات. وإن المسلمين يومئذ كأن على رءوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، وعممه وقال: شد عمه عليه. قال واقبل عمرو يومئذ وهو فارس وعلي راجل فقال له علي عليه السلام: إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها. قال: أجل. قال علي: فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لله رب العالمين. قال: يا ابن أخي، أخر هذا عني. قال: فأخرى، ترجع إلى بلادك. فإن يكن محمد صادقا كنت أسعد الناس به وإن غير ذلك كان الذي تريد. قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبدا، وقد بدرت ما بدرت وجرحت هذا. قال: فثالثة؟ قال: أبرز. قال فضحك عمرو ثم قال: إن هذه لحصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومني عليها إني لأكره أن أقتل منك، وكان ابنا له بدريا، فرجع وأنت علاه حدث بما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر. قال فقال علي عليه السلام: فإني أدعوك إلى النزال. قال: أحب أن أقتلك. فأسف عمرو وسول وعقل فرسه.

فكان جابر يحدث يقول فقد أحدهما من صاحبه وذكرت بينهما عبرة فمن سرهما ، فسمعنا التكبير نحتها فعرفنا أن عليا قتله . فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين وظفرت بهم خيلهم إلا أن نوفل بن عبد الله وقع به فرسه في الخندق ، فرمي بالحجارة حتى قتل ورجعوا هاربين وخرج في أثرهم الزبير بن العوام وعمر بن الخطاب ، فدوشوهم ساعة . وحمل ضرار بن الخطاب على عمر بن الخطاب بالرمح حتى بلغ وحد عمر من الرمح رفعه عنه وقال هذه نعمة مشكورة واحتضنها يا ابن الخطاب إني قد كنت حلفت لا تمكني يداي من رجل من قريش إلا قتلته فانصرف ضرار راجعا إلى أبي سفيان وأصحابه وهم قيام عند جبل بني عبيد .

ويقال حمل الزبير على نوفل بن عبد الله بن المغيرة بالسيف حتى شقه باثنين وقطع أندوج سرجه .

والأندوج النسع الذي يكون تحت السرج . ويقال إن كاهل الفرس فقيل يا أبا عبد الله ما رأينا سيفا مثل سيفك فيقول والله ما هو بالسيف ولكنها الساعد . وهرب عكرمة وهبيرة فتحت أبي سفيان وحمل الزبير على هبيرة فضربه ثم قصده فقطع ثغر فرسه وسقطت درع كان تحتها الفرس . فأخذ الزبير الدرع وفر عكرمة وألقى رمحه فلما رجعوا إلى أبي سفيان قال هذا يوم لم يكن لك فيه شيء ، رجعوا فانهزمت قريش فرجعت إلى المعسكر . ورجعت عطفان إلى ديارها ، وتعدو يغدرون جميعا ولا يتخلف منهم أحد فسمت قريش يعنون أصحابهم وسمت عطفان يعنون أصحابهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق قبل طلوع الشمس . وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وحضهم على القتال ووعدهم النصر إن صبروا ، والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كثرتهم فأحدقوا بكل وجه من الخندق .

فحدثني الضحاك بن عثمان، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله قال قتلوا يومهم وفرقوا كتائبهم ومحوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم يومه ذلك إلى هوى من الليل ما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من مواضعهم وما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، فجعل أصحابه يقولون يا رسول الله ما صلينا فيقول ولا أنا والله ما صليت حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا منصرفين، فرجعت قريش إلى مرها، ورجعت غطفان إلى مرها، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين فهم على شفير الخندق إذ كرت خيل من المشركين يطلبون غرة، عليهم خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة ومع المشركين وحشي. وزرق الطفيل بن النعمان بن سلمة بمزراقه فقتله فكان يقول أكرم الله تعالى حمزة والطفيل بخزيني ولم يهني بأيديهما.

فلما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبته أمر بلالا فأذن، وكان عبد الله بن مسعود يقول أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن وأقام للظهر وأقام بعد كل صلاة بإقامة.

وتصدى فقراء الواقدي وليست بمحروم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون حيفة، فقال بن عبد الله يشترونها بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي حيفة حمار، وكره ثمنه. فلما انصرف المشركون تلك الليلة لم يكن هم قتال حتى انصرفوا. إلا أنهم لا يدعون يعتون بصلائع بالليل يصنعون في بعارة. وخرجت بعد ذلك طليعتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، فانقلبا ولا يشعر بعضهم بعض ولا يقضون إلا

أنهم العدو. فكانت بينهم جراحة وقتل ولست تعرف من قتل ولم يسم بـ
ثم بدوا بشعار الإسلام وكف بعضهم عن بعض وكان شعارهم حم لا
ينصرون. فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم جراحكم في سبيل الله. ومن قتل منكم فإنه شهيد
فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض بدوا بشعارهم لأن
يكف بعضهم عن بعض فلا يرون شيئاً ولا يحجز كانوا يصبحون الخندق
بالليل حتى الصباح يتداورون وكذلك يفعل المشركون أيضاً، يطيفون بالخندق
حتى يصبحوا. قال فكان رجال من أهل العوالي يصلون إلى أهليهم فيقول
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف عليكم بني قريظة فما زلنا
في كثرة ما يستأذنونه يقول من ذهب منكم فليأخذ سلاحه فإني لا آمن بني
قريظة هم على طريقكم. وكان كل من يذهب منهم إنما يستكون على سمع
حتى يدخلوا المدينة، ثم يذهبون إلى العالية".

فهذه هي الحقائق لا الذي يقوله دائماً المغرضون! وخلاصة ما قرأناه معاً
أنه كان هناك أكثر من محاولة لعبور لا محاولة واحدة كما زعم المتحاملون
خبثاً، وبعض هذه المحاولات نجح في حين، وإن كان انتهى بمقتل
أصحابه، وبعضها رُدَّ على عقبه على الفور. ولا يمكن أن يعيب على
أحد في هذا السياق أن عبور الخندق كان أمراً جديداً على العرب لم
يتعودوه لا هم ولا خيولهم. كما أن نقاط العبور الضيقة التي تعرى بمحاولة
كانت محصورة في موضع واحد تقريباً سهلة المعالجة التي كان فيها المسلمون
أثناء حفر الخندق نظراً لضيق الوقت وبدائية الأدوات والأساليب. فضلاً
عن أن المحاولين بخيلتهم وسلاحهم هم بضعة الخيل قلة في كل العصور.
ولا يُعقل من ثم أن يتوقع محاولة لجميع العبور. فضلاً عن أن يتم هذا
العبور فعلاً. إن هذا يُعد بمقياس منطق الحياة والواقع أشد المذاهب. وخاصة إذ

كان المسلمون بالمرصاد لكل من يعبر فيُخهرون عليه، أو يرمونه بالسهام أو يضربونه بالسيوف حتى يردوه على عقبيه محمولا مدحورا. أما أثناء الهجرة فكيف كانت الأحطيش الفرنسيس أنه من غير الممكن تفكير أى من الفريقين فى رمى الفارس المعادى بالسهام خوفا أن يصيب السهم فارسهم هو بدلا من فارس الأعداء. إذ إن السرارة لا تتته فى سكون وتحشب، بل يتدفع السرار الشاهها ويتنقلان من موضع إلى موضع فى كل لحظة، بل كثيرا ما يتبادلان موقعيهما فى مثل سبح النصر؟ أما السوتر التى ظن الأفاكون الفرنسيون أنهما سيُمسكان بها المسلمين بل لأحد فيها هو ما قاله الوقدى بسندها على نسق رواى القصة "وكانو يعصون التراب مما يلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانو يبصرون الحجارة مما يليهم كأنها حمار نعم. وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها". أى أنهم كانو حريصين على أن يُبقوا الأتربة فى جهتهم كى يتترس وراءها النبى وأصحابه عند الهروم، فيما كانوا يرمون المشركين بالحجارة التى كانوا يحصرونها من حول سفح وراءهم. والتى يبصرها الراوى بأنها كانت أعظم أسلحتهم. والصحيح أن أنها كانت مثل الذى سبح على سوائه الفضل الانتصاصة الحجرية فى أرض فلسطين المباركة.

ومن بشأ الاطلاع على المدرسات المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية يمكنه أن يراجع وصف معركة حنين فى الفصل السابع عشر من كتاب وليم موير "Life of Mohammad" (طبعة John Grant, Edinburgh, 1912، بدءا من صفحة ٣٠٦ فصاعدا). وكذلك الفصل الستين من كتاب أبو بكر سراج الدين (مارتن لنجز سابقا) "MUHAMMAD- His Life Based on the Earliest Sources"، إلى جانب كتاب "The Life of Muhammad" لمؤلفه A. H Siddiqui (طبعة Millat

Book Centre, New Delhi, 1993 بدءاً من صفحة ٢١٥ فصاعداً)، وفيه تفصيل للأمر كله حقاً وتشويهاً بتراث و خضرة وحراسة وخشية وعنوراً ومبارزة... إلخ في أسلوب عصري. ومثله في هذا التفصيل بتدقيق الفصل التاسع والعشرون من كتاب Salim Ibn-i-Muhammad Raffi: " Muhammad the Beloved of Allah" (طبعة Kazi Publications, Lahore, 1998 بدءاً من صفحة ٢٩٣ فصاعداً). ولا أذكر أنني قد قابلت تشكيكاً أي تشكيك في واقعة الخندق وحفره عند أي من المستشرقين على تباين أديانهم و تجاهاتهم الفكرية والسياسية و اختلاف أهوائهم وجنسياتهم وعلى طول ما قرأت لهم. وكثير منهم متشككون متداورون من النصارى الأول لا يتورعون عن محاولة إثارة الريبة حتى في حقيقة وجود المسيح نفسه وأنت واقف أمامهم

ثم قول المعلق إنه لعجيب حقاً أن أحداً يفكر في أمر الخندق بناء على ما فيه من مخالفة للمنطق تبعث على الدهشة. ومن هذا يبين لنا إلى أي مدى يستطيع الإسلام التلاعب بالعقول عن طريق التفسيرات الخاصة بذلك جميعها دون استثناء بدءاً مما يسمى بغسيل المخ، ومروراً بالتزام مبدأ السمع والطاعة والخضوع لتأثير العواطف الجمعية وتحت مسائل بعينها لا يسعى الحرص فيها واستعلال الحس، و انتهاءً بتعطيل عمل العقل ... إلخ، وإنه رغم حرصه على أن يظل مفتوح العينين حتى لا يخدعه خادع، قد انطلى عليه ما يُسمى "برهان السنة". بل ص أنه ما دامت هناك كتب تتحدث عن محمد فمعنى هذا أن محمداً كان موجود حقيقة، مع أن هناك كتباً كثيرة عن تنتان، ومع ذلك فإن تنتان لم يكن له في يوم من الأيام وجود. والواقع أنه لا يسعى إلا الاتفاق معه في أن وجود كتب أو حكايات عن فلان أو علان أو تنتان لا يعني بالضرورة أن هذا الفلان موجود أو كان موجوداً، إلا أن

هذا لا يعنى أبدا أن نشك فى وجود فلان ذلك شكًا آليًا رغم وجود كتب ودراسات تتحدث عنه. وخاصة إذا لم تكن هناك بواعث للشكوك غير مجرد العناد والرغبة فى المخالفة. فما معنى أن تتوفر الدواعى على القول بأن ما ترويه تلك الكتب والدراسات قد وقع فعلا؟ إذ ما الداعى لأن يخترع المسلمون قصة الخندق؟ إنها لتدل على أنهم كانوا مضطرين حقيقيين لأن يفعلوا شيئا من كل نوع. وغير قادرين على مواجهة المشركين. ومن ثم فقد احتموا خلف ذلك الخندق. واستحقوا سخرية الكفار واستخفافهم بهم! كما أن الرواية تصور المشكلة فى هذه المرة بالنسبة إلى رجل فارسى (الفارسى المرجح بينهم) لا إلى رجل عربى. وهو ما يضيف على كاهلهم عبئا نفسيا مؤلما إلى عبء الحصار. فقد كان بإمكانهم. ما دام الأمر أمر اختراع وتزييف. أن يقولوا إن الملائكة قد حرثت فى صف المسلمين وإنها ... ولكنهم لم يتجاوزوا فى مثل هذا على قربه من منطق الاختراع والتزييف والتأليف معنا الذى تصوير المسلمين فى عصر النبى ومن بعده فى يوم هذا تصورة من لا يفكر ولا يعقل ولا يستخدم حاسته النقدية فهو يبدو على خطأ فى تفكير سطحى وتأليف وعناء عليظ وجهل مدقع بطبيعة الأمور. فلماذا؟ لأن المسلمين لم يتركوا شاردة ولا واردة فى دينهم سواء تعلق بالعقائد أو بالتشريع أو بالتاريخ إلا وفحصوه ووضعوه على مائدة البحث والجدل فى حرية تامة. ومن هنا فإن العقل المفكر الإسلامى يعرف مصدق ما أقول. فمن الواضح إذن أن الرجلين جاهلان جهلا عجيبا لا يليق بمن يتصدى لمناقشة مثل هذه الموضوعات. ولقد كان الصحابة يناقشون الرسول فى كل أمر تقريبا. وكان هو من ناحيته يشجعهم على ذلك ويطلب منهم المشورة فى أحيان كثيرة مؤكدا لهم أن مجتهدا مأجور حتى لو أخطأ. كما كان يُفهمهم أنه فى نهاية المطاف ليس أكثر من بشر لا يعرف الغيب ولا يدرى ما

له دخل به ولا بهم، وأنه من امرأة من قريش كانت تأكل القديد نكاة! أبعد كل هذا يقال إن الإسلام قد مارس على المسلمين طوال العصور نفسه غسل المخ وما أشبه؟

وبرغم أنه كان أمام بعض الناس في حظر الذهاب على غير المسلمين إلى مكة والمدينة، إلا أنه لا بد أن يكون هناك تبشير، حسب ادعائي، عميان لا يبصرون ولا يفكرون، أن مسلمين مقتنعين لا يقال هم، وإلا يكون عندهم وقت للتفكير إذا ذهبوا إلى هناك، ومن ثم كان لا بد من أن تُفرض عليهم شعائر معقدة يؤدونها ثم يعودون على الفور من حيث أتوا دون أن تكون لديهم فرصة لإعمال العقل أو لزيارة الأماكن المحيطة، وهو ما نشاهده في بعض الوفود عند الأمم الأخرى.

وهذا لو كان المسلمون جميعاً يرجعون فعلاً إلى بلادهم عقب الحج، إذ الواقع أن كثيراً من المسلمين كانوا يتحركون بعيداً عن الإسلامي وعرضه خلال تاريخهم الطويل، ولم يكونوا يعرفون الخمود المصطنعة ولا حتى السفر الذي نعرفه الآن، ولم يكن هناك من يحول أمامهم بذلوا أن يتركهم فيه غيرهم من فقراء المسلمين، وكان كثير منهم يذهب سلاماً حرمين ويستقر هناك فترة، قد تطول، وقد تقصر، وقد تستمر إلى الأبد، وهذا معروف للجميع، فدعوى من جماعتي المرتزقة وما يسمونه هم جهلهم من حرفيات! وسيرة هذه كلها وتأتي في خاصرة، ليست السعودية فيها أكثر جاذبية عربية وإسلامية لأن من الأماكن القديمة والعصور الحديثة بسبب كبر مساحتها وكثرة سكانها؟ أترهم يعصبون عيون هؤلاء العمال والخدم، كلما مروا بالكعبة والمسجد النبوي والمناطق المحيطة؟ أم هم يأخذون عليهم في عقود العمل شرطاً ألا يخرجوا معهم معاوناً وحريفاً وقفة وعنقاً حتى لا يُشبههم بالبشر وهم ناسون ويكتفوا طرقات المدينة

لفضح خرافة الخندق.

ويستمر الكذب قائلا بـ المدينة كانت تقع في قلب الصحراء في مكان ليس فيه ماء ولا زرع، وأن سكانها عشرين ألف (حسبما أحصاهم) يكفي استطاعتهم أن يحفروا خندقا بهذا الطول الشديد. ولا أدري من أين له بأن المدينة المنورة ليس فيها زرع ولا ماء. لقد كانت حرفة سكانها الأساسية هي زراعة لأنها تقع في واد خصيب يتوفر به الماء، وهي تكاد هي المدينة الوحيدة التي تتمتع بهذه الميزة في جزيرة العرب، ولا تكاد تسمى واحتها الكبيرة، وهي تقع في قلب الصحراء. ومع هذا كانت عامرة بالماء والزرع؟ بل كيف كان يعيش المكيون، المدينيون لم تكن مدينتهم في واد خصيب كالمدينة؟ أم أنهم كانوا لا يشربون ولا يغتسلون ولا يصحون؟ بل الماء موجود، بقدرة الله، في كل مكان على وجه العموم سواء من الأنهار أو السيول أو الآبار أو العيون، ولولا هو لما قامت حياة، وجزيرة العرب رغم كل شيء كانت مسكونة بالأحياء والبشر، لم تتوقف إلى آخر؟

ولا تسل أيها القارئ الكريم أن الخندق لم يكن يحيط بالمدينة كلها لقد يتوهم الصليبي الفرنسي، بل تم حفره فقط في الموضع التي لم يكن فيها جبال ولا حصون ولا بيوت متشابكة ولا حرات (والحرات هي أودية تصحو بحركاتية منصبة) حسب قالت الروايات كلها التي وصلتنا، لأن جبال والحصون وحرات والبيوت متشابكة تقوم تلقائيا بدور الخندق في العمل والنصب. ومن الواضح أن الصليبي الفرنسي لا يعرف عن هذه الروايات شيئا، ثم هو رغم ذلك يجد عند نفسه الجرأة لاقتحام الكلام بوقاحة وعشم وجهل، غير عابئ بشيء ولا مبالي أحد عليه! هذا يمكن أن يقول مثل هذا الصنف من البشر؟ إنه يفتي أوربيته كافة لتأهيله للخوض في كل حديث ولطرق كل موضوع دون أن يعفف عليه حسيب ولا رقيب!

بالمدينة فطبيعيا ينكر أن تكون هناك مدينة منورة في ذلك الوقت، ويؤكد بعد لأحد المستشرقين أن معركة الخندق قد دارت رحاها في الشام بعد ذلك بتاريخ بعدة عقود. لكن على أولا أن أسوق بقارئ الكريم نص كلام الطبيب في أصله الفرنسي:

"L'islamologue Alfred-Louis de Prémare (Les fondations de l'islam, Editions du Seuil) établit qu'une bataille s'est deroulee en 683 en Syrie, et non à Medine, ville qui n'existait pas au septieme siecle, soit cinquante ans apres la mort officielle de " Mahomet ". D'après les legendes islamiques, j'ai calcule que Médine aurait compté vingt mille habitants, soit autant que Paris a la même époque.. en plein désert, sans eau et sans agriculture. Creuser un fosse autour relève de la fantaisie " .

لكن ما حكاية مدينة سورة هذه؟ الواقع أن مدينة المنورة ليست هي وحدها التي يشكك فيها هذا الجنون، بل مكة والرسول ذاته والمعارك التي خاضتها القوات المسلمة في ذلك العصر والمواقع التي دارت رحاها فيها أيضا، ونستمع أولا إلى ما يقوله عن وفاة الرسول عليه السلام وتولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة من بعده " Mahomet a été déclare mort en 632 suite à une tractation entre Abou Bakr et le calife Omar, sans concertation avec Ali, floué alors qu'il dirigeait une armée de la région qui est aujourd'hui l'Irak. Pourtant " Mahomet " donne des ordres en 634,

855 830, 785, 725, 688, 683, 660, 651, 640, فحسب أوهام صبيانية كان قد تم اختلاق بين أبى بكر وعمر، عند وفاة الرسول عليه السلام، على تولى الأول حكم المسلمين. على حين كان على بن أبى طالب، ابن عمه صاحبا الحق، يقود جيوش وقتها بعيدا فى العراق فلم يتم التنسيق معه بل تم خداعه كما يسخر صبيانيا متهوس من أن الرسول، زعم وفاته فى ٦٣٢م، كان لا يزال يصدر الأوامر بعد ذلك بوقت طويل فى الأعوام ٦٤٠، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٨٣، ٦٨٨، ٧٢٥، ٧٨٥، ٨٣٠، ٨٥٥ م! أترى من أين لكاتب كل هذه العبقرية التى لا مثيل لها؟

لكن سائلة متى كان على يقود جيوش فى العراق عند وفاة النبى؟ لقد كان، رضى الله عنه وكرم وجهه، ملازما فى المدينة مشغولا بتغسيل نبى وتكفينه ودفنه مع غيره من أهله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن هناك جيوش إسلامية فى أى مكان فى ذلك حين. اللهم إلا جيش أسامه بن زيد، الذى كان قد تم تجهيزه بالذهاب إلى حدود الشام، إلا أن موت النبى عليه الصلاة والسلام قد أوقفه فى حين. وبالنسبة للعراق بالذات لم يحدث أن وطئته أى جيش مسلم، ولم يحدث أى تفكير فى إرسال قوات إلى حدوده المشتركة مع جزيرة العرب، فى عهد النبى قط. أما أنه عليه السلام كان يصدر أوامره إلى المسلمين إلى ما بعد وفاته بعد عقود فيقال إلى القراء الكرام كيف كان هذا؟ وهذا الرجل يترك حقائق التاريخ ويذهب فيفترض أشياء لا يمكن أن تكون صحيحة أبدا لمجرد أنه بسبب قوقعته يريد الوصول إليه من نتائج يرى أن من شأنها التشكيك فى ثبات الحقائق التاريخية. فعلى سبيل المثال فمكة عنده ثابت، فيما يبدو أنها يثرب! (لا حظ!) حيا من أحياء دمشق. لكن لماذا؟ الجواب، حسبما يقول، هو أن كلمة "مكة" تعنى بالآرامية "مدينة محتضنة" ثم يمضى مؤكدا أنها الآن قد أصبحت تعرف أن

مسلمين الأوائل، شأنهم شأن القرنين الأولين (جمع "قرآن"). ثم اختلقوا لهم في الشام، وليس في جزيرة العرب:

"Le mot la mecque est arameen syrien, et signifie ville basse, designant probablement un quartier de Damas On sait maintenant que les premiers musulmans, comme les premiers corans, et la vie de Mahomet, furent inventes en Syrie, et non en Arabie La Mecque n'existait pas, car on n'a jamais vu des milliers d'habitants s'installer dans un désert aride sans eau ni cultures".

حلاص لقد أراد سيدنا سارجون بجرة واحدة أن يقضي على مكة بجعلها من مدن جزيرة العرب بل من مدن الشام ولا يستطيع المتضرر أن يحاجي أي قضاء بعد هذا القضاء. هذا الذي قضى صاحبا "انظر الله عبث أيها القارئ كيف يُكتب التاريخ. وكيف يريد بعض الناس أن يحكموا أهواءهم مخونة في تغيير حقائقه. وكيف يريدون أن تتبعهم على هذا التضليع. ولا كنا منخدعين! لكن لو كانت مكة حيا من أحياء دمشق. فأين ذهب ذلك الحي؟ وبلاد سكت الدمشقيون عن هذا التزييف العجيب الذي وقع في مثله في التاريخ. وخاصة أنه يشبههم شرف يتمثل في أن بلادهم هي مركز الإسلام ومصدره؟ وكيف صمت أحفاد القرشيين، والأمويون منهم بالذات، على ما ادعته أقلام مأجورة وكتب مسمومة لتزيفه عن أجدادهم وعن بعد دتهم للدعوة الجديدة مما يشهر بهم ويفضحهم في كل أرجاء المعمورة؟ وأين ذهب الرومان الذين كانوا يحتلون بلاد الشام فلم يشهر أحد في هذا التزييف الواقع الذي مر به العرب والمسلمون، على الأقل من بات

لاستقام والخرب معنوية وبدعائية بعد أن خسروا الحرب العسكرية والسياسية؟ ومعروف أن الشواهد بتسوء كثيرة. بل بقى منهم حتى الآن كثير من النصارى واليهود. فكيف يسكتون على مثل تلك الفعلة المعجبة، وهى فرصة تفضح عوارهم بين فنحو بلادهم وتؤلبهم بين غير الذين يعيشون، وتسد عين الشمس التى كانوا يتكلمون؟ ولماذا لم يتكلم ويصدع بالحقيقة واحد مثل البوطى الذى تعرض لنفس الذى لقى بعد عصر وعمره سبعة عقود سنين إلا واحدا على عاتقه محاربة الإسلام بدلا من سنة الأديب فى الرسالة الكريمة وتصحيحه على عادة المستشرقين؟ ترى هل من سبيل أن نضع تبريرا شيء مثل هذا لم نسكت الذين كانوا عنه فلا نتكلم ولا نعترض أو لا نسعى على الأقل شكا. بل أن هل عجب طبيب النفسى يعترى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان فعلى موضع المثل. اعتمادا على مدا؟ اعتمادا على أوهام ما أنزل الله بها من سلطان!

ثم ما دخل معنى الذى بدعيه. صوا أو خطأ، بكلمة "مكة" فى الآية فى أن تكون تلك مدينة حقا فى دمشق لا مدينة فى جزيرة العرب؟ إن كلامه يوحى بأن كلمة "مكة" ليست عربية. وهو سخف أحمق من سخافات الرجل الذى من الواضح أنه لا يفقه شيئا نظرة فى موضوعه. بل يقل من كتب بعض المستشرقين ما يوافق هواه دون عقل أو فهم! فالآرامية والسريانية والكنعانية والأشورية والعربية والحبشية... كل هذه اللغات، منها مثل العربية، لغات سامية. والخط المستعمل بقرون فى الفرنسية والصينية والإسبانية والروسية هى لغات لاتينية. أى لغات تفرعت من اللغة اللاتينية وسميت بأسمائها. وعلى هذا فتقول أن هذه الكلمة الموجودة فى لغات العرب أو تلك ليست عربية مثلا أو أن الآية هو فى الواقع كلام نقصده به تشبيس على القارئ العادى الذى لا يعرف شيئا عن الموضوع. وهذا

ليس هناك أي دليل على أن ذلك صحيح. فضلاً عن أن ليس هناك من معنى لأن تُختص العربية دون أخواتها الساميات بالأخذ عنها بدلاً من القول المنطقي العاقل بأنها تشتمل على هذه الألفاظ كما تشتمل عليها أخواتها.

والعجيب أن المستشرقين عادة لا يعقلون العكس. فإنهم لا يتوهمون مستعيرة للغات السامية الأخرى شيئاً من العربية. وليس في هذا وذاك ما هو مُدعاة للتحامل على العرب والمسلمين لا غير. وخاصة بعد وضوح في الاعتبار أن بعض علماء الساميات يرون في اللغة العربية اللغة السامية الأم التي تفرعت منها الأكادية والحبشية والعبرية ... إلخ! ومرة أخرى نقول لنرى ما دخل معنى الذي يدعيه، صواباً أو خطأ. طبيباً متضلعاً يفكر بكلمة "مكة" في الآرامية في أن تكون تلك المدينة حيّاً في دمشق لا مدينة من مدن جزيرة العرب؟ والعجيب أنه يرجع بكلمة وجود مكة بمعنى أنها تقع في وادٍ جديب غير ذي ماء ولا زرع. فكذلك بدو أقرب ومعارف وكل مصريين والعرب والمسلمين وكل الكتاب والرحالة من مسلمين وغير مسلمين ممن زاروا مكة قبل توصيف شطر من أموال النفط في تحية ماء البحر الأحمر لسكانها ومسافر أهل السعودية وجميع كتبه عموماً. وتخيل فيه وبين أنهم فاتهم ما عن مكة فليس مكة وجوداً الفاسي الرحل أن وسرم كانت ولا تزال هناك صور توقت يشرب الناس ويستعذبون جدتهم الأخرى من مائها فتكتبهم فيه وصيوف الرحمن بحمد الله. وهذا أمر قد شهد به المستشرقون الذين استطاعوا الاستمتاع بين الحجيج والتظاهر بأنهم مسلمون وكتبوا عن بعد الأمين. وحتى بعد أن توفر ماء البحر المُحلّى فلا تزال المنطقة المحيطة بها وأنبت غير ذي زرع. ومازال الناس كذلك يفضلونها ويجبون العيش فيها حتى لأن رغم شدة حرارتها، ومبيضون

يفعلون ذلك إلى ما شاء الله. وعلى أى حال فليس العيش فيها بالصعوبة التى عليها الحياة فى مناطق الإسكيمو ولا يواجد على المليون منهم. ومع ذلك فتلك المناطق تعج بالسكان ويحبها أهلها كما يحب أهل كل بلد بلدهم!

لقد فات الكاتب أن الأصل فى الأخبار عموما أنها صادقة ما لم يقم دليل على عكس ذلك أو يحث فى أمر شىء مما سمعته، فعندئذ يشك الإنسان فيما يسمعه. وحق له أن يشك. فما الذى فى الخندق أو فى وجود مكة أو المدينة مما يبعث على الريبة؟ لقد كان أحرى بهذا المجنون أن يذهب فيقرأ أولا قبل أن يثور كل هذا الثور ويقترح تلك الاقتراحات البيرونية المسعورة.

ولكن فلنترك هذا كله ولنسأل: ما الذى يريد منا هذا الرجل أن نفعل بمكة (مكة التى فى جزيرة العرب، وليست مكة الشامية التى لا وجود لها إلا فى ذهنه)؟ أنكتبها هى أيضا، لا نلبث هذه المرة عن خندق، بل نمحوها محوًا كى يتسق الوضع الموجود على أرض الواقع مع أوهامه؟ وهل يمكن أن يتصور عاقل أنه لم تكن هناك فى بلاد العرب قبل الإسلام مدينة اسمها مكة، ثم نبتت هكذا لنا عمرانيا بعده، ثم لم يبد أحد دهشته (وبخاصة من سكانها الجدد الذين لم يكن هم قبل ذلك وجود) من هذا الميراث الغزير الهائل الذى يصور حولها شعرًا ونثرًا وتاريخًا وأديانًا وأساطير وتقاليد بأنها طول عمرها كانت موجودة فى جزيرة العرب؟ وماذا نقول فى بطليموس الجغرافى اليونانى القديم الذى تكلم عنها وسماها "مكورابا" Macoraba كما كتب وليم موير عن سيرة الرسول الذى سلف ذكره، ص xc، ومادة "Mecca" فى الطبعة الأولى من "The Encyclopaedia of Islam"؟ وماذا نصنع مع ما قاله هيرودوت عن اللات، إحدى الآلهة النبطية التى كان لها صنم فى كعبة مكة قبل الإسلام (وليم موير/ ص cii-

(Bruce) ؟!!! كذلك ما نعمل بما ذكره الرحالة الأوربي بروس (Bruce)، الذي زار بلاد الحبشة في القرن الثامن عشر الميلادي من أن الأحباش بروون في تواريخهم أن أبرهة قصد مكة ثم ارتد عنها لما أصاب جيشه من المرض الذي يصفونه بالجدري (عباس محمود العقاد: مطلع النور، كتاب الهلال ديسمبر ١٩٦٨م/ العدد ٢١٣/ ٧٥)؟

وفضلا عن ذلك فثمة بحث للكردينال الألماني المشهور يرد فيه على كاتب المستشرق الإيطالي ومن يذهب إليه من إنكار بناء قريش للكعبة، ويؤكد أن ما وصفه في كتب التاريخ عن هذا الأمر صحيح لا شك فيه (العقاد: مطلع النور ١٦) وهناك أيضا كتاب للمستشرق الهولندي دوزي يحاول أن يثبت فيه وجود بني إسرائيل في مكة (التي نعرفها) خلال عصور الجاهلية عنوانه "Die Israelten zu Mekka". كما كتب في نفس الموضوع المستشرق البلجيكي لامنس كتابا عنوانه "Les Juives a la Meeque"، وهو ما يدل على أن وجود مكة هناك في ذلك الحين لا يواجه أي شك في نفس دوائر المستشرقين، بل إننا لم نسمع بأحد سواء من المستشرقين أو غير المستشرقين ممن يؤمنون بكلامهم أو لا يؤمنون يقول إن مكة لم يكن لها في إقليم الحجاز أثناء الجاهلية وجود! ثم ماذا نفعل للعرب بعد الإسلام هذا كله؟ وهل يُتصوَّر أن يفكر الحكام العرب بعد الإسلام، وبعد أن أصبحوا يسبحون في نور الله ويعرفون في بناء مدينة مثل مكة في قلب الجبال والصحراء حيث يشح الماء (على أساس أن مزعم عن موجودة الماء على فرضيته) وحيث تنعدم الزراعة والصناعة؟ ثم كيف يرضون بعد ذلك كله، وهم المسلمون، أن يُتَّهَم آباؤهم زورا وبهتانا أنهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام والأوثان وأنهم حاربوا القرآن والرسول الذي أتاهم به وحاولوا القضاء عليه وعلى دعوته، بل وصل الأمر بهم أن فكروا

يموت في قتله و لتخلص منه عمدا وعيلة؟ ومن المجنون الذي سولت له نفسه بالاستناد إلى مثل تلك الفقرة دون أن يكون هناك حدث من أي نوع يقوي شوكته بأنها حتى ولا ذكريات لطفولة و نشأة فيها وكونها موطن الأحداث؟ واختصار لا يوجد سبب واحد. كما رأيت، يجعلنا نصدق هذا الهراء، في الوقت الذي تتصدر فيه كل الدواعي لرفضه والسخرية من عقل صاحبه.

ولقد وقعتُ على الفقرة الثانية في مدخل "مكة" بـ"ويكيبيديا" الموسوعة الحرة" الموجودة على الشبكة. وهي إذا صحت (ولا أظن إلا أنها صحيحة، ولا لم يسمح بنشرها مشرفون على هذه الموسوعة العالمية) كانت كفيلة وحدها بنسف كل هذه السخافات. إذ لا يمكن أن تكون المواصفات الجغرافية التي يؤكد الكاتب أنه قد اكتشفها في موقع تلك المدينة المكرمة على الخريطة قد أتت عن طريق المصادفة حين طلب في أدمغة حكام المسلمين أن يبنوها بالمخالفة لكل الشرائع والأسس حسما وضحنا، بل لا بد أن يكون ذلك من تدبير الخالق العليم منذ بدايتها الموغلة في التاريخ. تقول الفقرة المذكورة: "الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في يناير ١٩٧٧ يقول إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم. وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي". ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف العجيب فيذكر أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلف تماما، حيث كان يجري بحثا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للحرج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غربية. كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات

في حرج . لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها الدوائر الخمس ، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته . فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم ، وأنك بيده مرحلا وضع طرفه على مدينة مكة ، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما ، ووجد مكة في هذه الحالة هي مركز الأرض اليابسة ، وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا واستراليا وكرر العملية ، فوجد أنه يكتشف أن مكة هي أيضا مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام . ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين : لقد بدأت أخشى رسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض ، عن مدينة مكة ، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة ، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط ، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة ، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض هذا الإسقاط الجديد وبالصدفة وجدها اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست ، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية مكة بدن ، بتقدير الله ، هي قلب الأرض ، وهي بعض ما عرفه العلم في كتشف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي " وقد سبق أن قال القرطبي ، عند تفسيره

بقوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" بأن "الكعبة" تقع "وسط الأرض"، فعلقت أن على دستك بأنه لا يوجد مكان على سطح الكرة الأرضية يمكن أن يقع في وسطها لأن الأرض كرة، فوسطها بدقة لا يكون إلا في واحد منه وإن كانت الأرض دائرة أو مستطيلا أو مربعا مثلا نصح في هذه الحالة أن نختار إحدى النسبيات وسطها. أنا وأنت كرة فمركزها لا يمكن أن يقع على سطحها بل في بطنها (انظر كتابي "من مصدري إلى سيد قطب- دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه" دار الفكر العربي ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص ٢١٦) لكن يُفهم من كلام الدكتور حسين كمال الدين أن كلمة "الوسط" أو "قلب" فإن هذا "القلب" لا يعني أن تؤخذ على حرفيتها، وعلى هذا فلعله أن يرجع عن اعتراضه على ما جاء في تفسير القرطبي عن هذه القصة إذا صح ما قاله الدكتور المذكور.

ونفس الشيء الذي قاله الكاتب عن مكة نجده في كلامه الذي عن يثرب، إذ يقول: "Le mot medina (s'ecrivant mdn) est un mot araméen syrien, et signifie district, dans la région de Madian (s'ecrivant aussi mdn) en Syrie" وكما قضى قضاءه حاسما في أمر مكة فحكم عليها أن تكون شامية لا عربية، ومُخذلة الشاة بعد الإسلام لا عريقة الجذور فيه، نراه هنا كذلك يصدر حكمه الذي لا يُصدّ ولا يُردّ بأن المدينة هي أيضا ذات أصل شامي، وأن اسمها "آرامي" ونفس الردود التي أوردناها عليه في تخريجاته عن مكة تنطبق في الرد على تخريجاته هنا! ونريد على وجه الخصوص أن نضيف أن إسطفانوس البيزنطي قد كتب عن المدينة وسماها "يثرب" "Yathrippa". كما سنشير إليه النقوش النبطية باسم "يثرب" "المدينة" "Al-Madina" في "Encyclopaedia of Islam The". وبالإضافة إلى هذا فإن ثمة

كانت يهودية شامية من القرن الثالث قبل الميلاد تتحدث عن وجود يهود في مصقلة خيبر وما حولها، وقد أكثرت عليهم طريقة ممارستهم لدينهم (إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٧م، ١٣)، وهو ما يتسق مع ما يقوله المسلمون عن وجود يهود قبل الإسلام في تبوك لمناطق بما فيها يثرب، هؤلاء اليهود الذين لم يعد هم أثر هناك بعد مجيء الدين الجديد، فما الذي يدفع المسلمين يا ترى إلى القول بأنه كان هناك قبل الإسلام وجود لليهود في يثرب إذا لم يكن هذه المدينة وجود فعلي حسبما ترعم تحريفات الطيب الفرسي؟ وثمة كتاب للعالم الغربي لشريشكي يتناول وجود اليهود في المدينة قبل الدعوة المحمدية اسمه "Die Juden zu Medina"...

كما يتحدث إسرائيل ولفنسون الباحث اليهودي في كتابه السالف الذكر عن وجود اليهود في يثرب وما حولها حديث موقن تمام الإيقان، مورداً أقوال المستشرقين في ذلك، ومستدلاً من بعض أسماء القبائل والشخصيات والأماكن والحصون والآبار اليهودية على سبيل المثال على أن ما يقوله العرب عن هذا الموضوع صحيح (ص ١٦ - ١٧، ٦١، ٦٢، ٨١)، فضلاً عن أنه لا ينكر شيئاً البتة مما تقوله المصادر الإسلامية عن الحوادث التي جرت هناك بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين بني إسرائيل عليهم اللعنة. وما هذا، رغم ذلك كله، إلا غيضٌ من فيض!

ولا يقف تهور الكاتب عند هذا الحد، بل ينطلق زاعماً أن عقيدته في الله عقيدةٌ شركيّة. إذ هو (حسب كلامه) يؤمن بالله، وهذا (بناءً على معتقداته) إله القمر، ويؤمن معه بالرحمن، وهو (طبقاً لما يقول) إله الصواعق، كما يؤمن بإبليس، وإبليس (في زعمه الكاذب) إله الخير وعندنا، فضلاً عن هذا، كثير من الجوانات كالجن والملائكة والشياطين

وتعقاريت وغير ذلك من أوهام، علاوة على الكعبة و"العذراء السوداء" (يقصد الحجر الأسود!)، ثم هناك الأحجار التي تستخدمها، كما يقول، في مسجد وفي الطهارة، وكذلك الصلوات التي تقرب بها إلى الشمس قبل الشروق وبعده، وفوق ذلك القرآن، الذي يُستخدم كرُقى وتعاويذ تحمية من الشرور. ثم يبقى "لا سبي بوجه خاص" محمداً، ذلك لأنه حميد الذي أخذ عنه الإسلام وجعله شريكا لله، والذي ينظر إليه الإسلاميون على أنه "الإنسان الكامل" الذي يسعى جنداوه، وبخاصة في مجال جرائم الدينية والعنف الذي يمارسونه ضد كل من وضد من يعرفونهم نظرا بين البشر!

Une part du succes de l'islam, en dehors de la violence qui hébete les mechants, vient du polythéisme islamique et des superstitions coraniques. Allah le dieu de la lune, Al Rahman le dieu de la foudre, Satan le dieu des enfers, Iblis le diable, les trois filles d'Allah (divinités d'origine sumerienne puis syrienne), les djinns, les ogres, les anges, les demons, les ifrits, les malaks et autres fantasmes, la Kaaba (Cybele), la Vierge Noire (météorite) et le culte des cailloux utilisés dans les mosquées ou aux toilettes. Et bien sûr le culte solaire, avec la prière qu'on doit faire avant ou après le lever du soleil, pour ne pas avouer le paganisme de cette pratique qui vient des rédacteurs zoroastriens du Coran. Et le Coran, qui sert de fetiche et de talisman dans les

niaiseries populaires. Sans oublier le seul dieu inventé par l'islam : Mahomet, le nouvel Associé d'Allah. Les islamistes le considèrent comme un homme " parfait ", et veulent donc l'imiter... surtout dans les crimes rituels, les violences faites aux femmes et aux gens plus évolués qu'eux.

أما القرآن، فما أدراك ما القرآن حسب ما يعرف به هذا الرجل؟ القرآن عنده هو توراة يهود السامرة والناصرة، مضاف إليها عدد من القصص الخرافية والأخطاء التاريخية مر بها ومر عليها على مدى بضعة قرون. وكان في بداية أمره مكتوب بعدد من اللغات الأجنبية كالآرامية والحبشية والعبرية والسريانية واللاتينية والسلافية واليونانية والجرجورية ولغة الصابئة. كتبه العشرات من اليهود المارقين والنصارى الأريوسيين، ثم لحق بهم الزرادشتيون، ثم دخل العرب على الخط في آخر المطاف بعد القرن التاسع الميلادي فترجموه إلى العربية، التي كانت قد اخترعت في ذلك القرن ولم يكن لها وجود قبله! أية عبقرية هذه يا ترى؟

Le Coran n'était au début que le Pentateuque des Juifs samaritains et nazaréens de Syrie, puis on y a ajouté des légendes et des erreurs historiques pendant encore cinq ou six siècles, la plupart du temps issues de romans populaires antérieurs au cinquième siècle. Dès le cinquième siècle, des guerriers arabes de Syrie se convertirent au judaïsme samaritain et deviennent les Ismaélites, qui donneront plus tard " islam " (qui ne veut

pas dire soumission, mais ismaélite, car c'est ainsi qu'ils étaient appelés par les chroniqueurs contemporains). Ce n'etaient pas des Bédoins, mais des soldats professionnels de Syrie, au service des grandes puissances : Rome, Constantinople et la Perse. Les redacteurs des premiers corans ont été plusieurs dizaines, d'abord des hérétiques juifs en Syrie (cinquième siècle), puis des chrétiens arianistes a Damas (septième siècle), puis des scribes zoroastriens a Bagdad et en Perse (huitieme siècle), et ensuite des Arabes, après le neuvième siècle, lors de la traduction du Coran en arabe. En dehors des groupes des langues anciennes qui ont servi à rédiger les légendes coraniques (akkadien, sumérien, phénicien, moabite, ugaritique, égyptien, nabatéen, chaldéen) les textes des corans originels au cinquième et sixième siecle sont en sabeen, abyssin, araméen, syriaque, hébreu, slavon, latin, grec, géorgien... Le Coran, s'appuyant sur des mythes juifs sans fondements, est entièrement faux historiquement et scientifiquement... On sait maintenant que le Coran a été rédigé avec des textes datant d'avant le cinquième siècle, quand des rabbins convertirent les soldats de Syrie à l'ismaléisme, une hérésie judaïque qui deviendra

l'islam après le neuvième siècle. Ce n'est que bien plus tard que le Coran fut traduit en arabe, langue inventée au neuvième siècle, ce qui en explique les incroyables falsifications et absurdités. La lecture du Coran ne fut (partiellement) unifiée qu'après 935. Heureusement, beaucoup de croyants sont capables d'interpréter le texte selon des conceptions modernes du Dieu, en écoutant leur coeur.

والرجل المسكين يأبى إلا أن يمسّ طائفةً من سخفه الأثمة والخطباء المسلمين، فهو يتهمهم بالضحك على جماهير المسلمين والحُؤول بينهم وبين التفكير وإعمال العقل حتى يظلوا منبعا لا يغيض لملء جيوبهم . . . إلى آخر هذا الهراء الذى يُضْحِك الثكلى، فالأئمة الفلاّبى مظلومون ظلم الحسن والحسين، إذ هم ليسوا إلا موظفين حكوميين مطحونين. وهم، شأن أى موظف حكومى، لا يحتكمون بعد الخمسة أيام الأولى من الشهر إلا على الستر، إذ تصبح جيوبهم التى يفترى عليها الأخطل أنظف من الصبى بعد غسله! ومن هنا فإن كثيرا منهم لا يتورع عن الاشتغال بأية صنعة بعد الظهر كى يمكنه الحياة: فترى هذا سبّاكا، وذاك نجّارا

وأعتقد، بعد أن اطّلعنا على عينة من تلك الهلوسات، أننا لسنا بحاجة إلى الرد على هلوساته الأخرى التالية، فهو يقول مثلا إن محمدا قد تم اختراعه فى نفس الوقت التى اختُرِعت فيه الأحاديث فى القرن التاسع الميلادى، أما القرآن فاختُرِع (حسب هُرَانه) بعد ذلك فى القرن الحادى عشر، وهو ما يفسر لنا، كما يقول، الإضافات والكشوط التى كان الكتبة يقومون بها فى مخطوطات ذلك الكتاب طبقا لأهواء المحاربين التى كانت

تملى عليهم ما يكتبون أو يشطبون! ثم يستمر فى اضطراباته العقلية مؤكدا أن محمدا قد صار لأن شريك لله فى ألوهيته، بل إن هناك اتجاها عند المسلمين لإحلاله محله كما حدث فى الأديان الأخرى. لقد تمّ، بناءً على مزعمه، تأليه محمد وعليّ كما هى العادة، واستبدل النبى بالله بعد أن أصبح يتكلم باسمه! وبطبيعة الحال فلا أظن أن ثمة حاجة للرد على هذا الهذاء الذى لا يمكن أحدا أن يأخذه مأخذ الجدّ. ومع هذا فقد وقع لى النص التالى لنيل فياض، وهو عدة سطور من تعليق طويل أضافه إلى مقال ترجمه لبرنارد لويس المستشرق اليهودى المعروف بعنوان "نصّان يهوديان حول بدايات الإسلام" ونشره فى "شبكة اللادينيين العرب"، وفيه إشارة لعدد من النصوص التى كتبها بعض أتباع الديانات الأخرى المعادية للإسلام من المعاصرين للنبى محمد عليه السلام أو ممن جاؤوا بعده بقليل، وكلها تؤكد وجوده التاريخى صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة أمور جديرة بالاهتمام في النص السابق: أولاً: واقعة أنّ النبي كان على قيد الحياة حين غزا العرب المسلمون أرض فلسطين، واقعة نجد توثيقاً آخر مستقلا في التقاليد التاريخية لنيقاسة، النساطرة، والسامريين. إنّ أقدم توثيق لذلك هو توثيق نص Continuatio Byzantia Arabica الذي يحفظ لنا في ترجمة لاتينية تاريخ سريانيا يرجع إلى زمن هشام بن عبد الملك، وربما يكون من أصل يعقوبي أو ملكاني. وهذا المصدر يرى، أنّ السرسنيين (أى المسلمين) غزوا أقاليم سوريا، شبه جزيرة العرب وبلاد مابين النهرين تحت قيادة ماهمت (أى محمد). من الجانب اليعقوبي فإنّ أهمّ شهادة هي الرواية القديمة لأصول الإسلام التي حفظها لنا ميخائيل السرياني. وإلى هذا يمكن أن نضيف مدوّنة سريانية مجهولة المؤلّف تعود إلى القرن الثامن. ويبدو هذا واضحاً من الجانب النسطوري في شاهد متأخر من تاريخ سيرد Si'ird

العربي . لكن تاريخ سريانية مكتوب على الأرجح في حوالي القرن السابع من القرن السابع يبرز على نحو إيجابي ذكر محمد كحاكم للعرب في خضم رواية الفتوحات . أما من الجانب السامري ، فلدينا شهادة لحزقيل عربي متقشف ترجع إلى القرون الوسطى الثاني وقعة أن النبي كان يشار بالمسيح أو المسيح الذي سيأتي وفي هذا يتفق أحد أشكال المسيانية اليهودية ، وهو ما سنعالجه لاحقاً ثالثاً حديث نص نسائي حول امتلاك النبي المسيح لحنة يدعمه نص آخر متضمن في قسم يربطي بالتنكر للإسلام ، يقول «إني أعلن عقيدة المرسلين (أي المسلمين) المسرية ووعد محمد Moamed بأنه سيكون خاتم نبوة الله « kleidou khos » وعلى أية حال فهاندا أحلى بين القراء وما قاله أركان في الأصل الفرنسي لكلامه

La vie de " Mahomet " fut inventée au neuvième siècle, en même temps que les hadits. La mise en forme du Coran s'étant achevée bien après le onzième siècle. Ce qui explique pourquoi les rédacteurs effaçaient et réécrivaient directement sur les manuscrits, selon les exigences des guerriers qui leur dictaient les sourates à inclure ou à effacer. Quant à l'idée coranique qu'Allah efface ses propos pour les remplacer par d'autres, elle parait, aux yeux de beaucoup, éminemment profanatoire... Aujourd'hui, Mahomet est devenu l'Associé d'Allah, et a, comme dans d'autres religions, tendance à le remplacer. Mahomet et Ali, comme c'est la coutume, sont divinisés : le prophète, parlant au nom de Dieu, s'y

substitue.

وثمة سببا أيضا لجأجة بى أرد عليه بوضوح سخفه قوله إن قبر الإمام حسين لم يكتشف إلا بعد مقتله بخمسين عاما عندما لوحظ أن الكلاب تتجنب مكان دفنه احتراما لحرمته كما تقول الأسطورة حسبما قال. وإن علىّ بن حسين بن الإمام على (يقصد الحسين بن على سبط النبى عليه رضوان الله) قد ذُبح وهو طفل رضيع. وليست فى مقتله أنه كان هاجريًا، أى من سلالة هاجر (الأمة التى تزوج بها إبراهيم عليه السلام)، وإن كلمة "هاجرى" كانت مستعملة على نطاق واسع للدلالة على المسلمين حتى القرن العاشر الميلادى. ثم تحولت فى اللغة إلى "هجرة". أى انتقال النبى عليه السلام من مكة إلى المدينة. مشيرا كانت كلمة "إسماعيلى" هى مستخدمة فى البداية قبل أن تفسح المجال لكلمة "مسلم". وإنه لو كانت حقا الحسين الموجودة فى مسجده بالقاهرة فخصوم النصارى لكانوا أحدثوا ضجة من حولها لسوء ما يكررون ١٤ حاضر بها وجدوها كى يثبتوا أنها ليست له، وبذلك تنتهى خرافته!

أى سخف هذا الذى يمكن أن يصل إليه ضلالات التفكير؟ فالحسين يصغر علىّ بن الحسين، الذى مات فى عمر الرضيع، والمسلمون كانوا يُسمّون إلى القرن الذى لا أدرى كم بـ "الإسماعيليين" أو "الهاجريين" ثم فليكن رأس الحسين فعلا فى المسجد المسمّى باسمه فى القاهرة أو لا يكن، فماذا فى ذلك؟ إن الموضوع الخارج يثير عجبك فى غير محله، ورأس الحسين، رضى الله عنه، أو رأس أى شخص آخر حتى لو كان نبيا من الأنبياء، ليست من شعائر الدين فى قليل أو كثير، بل إن الإسلام (لا الإسلام "لا المسلمين من عوام ومتصوفة) لا يعترف بالأضرحة ولا يستريح للصلاة فى مسجد يوجد فيه ما يُعرف بـ "مقامات الأولياء". والوهابية مثلا تتشدد فى هذا تشددا لا

يعرف اهواءه! وهكذا نرى أن سيدنا يشع روعة في فحوى أعلى آية حق هذا نص ما قاله الرجل بالفرنسية، أسوقه دون تعليق كما وعدت:

Concernant les objets ayant appartenu à Mahomet, c'est la même chose que le tombeau d'Ali découvert cent cinquante ans après sa mort, parce que des chiens évitaient respectueusement un monticule de terre , de la legende De même dans une mosquee en Egypte, on trouve la tête d'Ali Hussein, fils d'Ali, egorge bébe uniquement parce qu'il était agarene, c'est-a-dire descendant d'Agar, prétendue esclave d' Abraham. Cette tête fut retrouvée cinq siècles apres sa mort. Des tests ADN et au carbone 14 aneantiraient ce culte imité des chretiens, mais l'islam ne peut se passer dixième siècle Le mot ismaélite (descendant d'Ismael, fils d'Agar) fut traduit en arabe par musulman (soumis), le mot agarene (descendant d'Agar) etant traduit par hégire, en inventant la fiction de la fuite à Medine.

ومن قبله عن رأس حربة سوقه تعليقا على ما يقوله بعض المسلمين عن مخلفات أثرية يتوسلون بها لمسيحي عليه السلام كي يجادل فيه صاحبه ويحاول أن يجعل من حبته قبة ترتفع في أجواز الفضاء وقائلا لأولئك: فمثل هذه الأشياء لا تقدم في ميزان الدين ولا تؤخر فيه أنملة، فمنهم أن نبي صلى الله عليه وسلم قد ترك لنا ميراثا روحيا عظيما لا يقدر بالثمن، هو القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة والسيرة العطرة التي تريانا كيف يكون

الرجل رجلا نحل، وكيف يثق الإنسان فى مولاه وفى القدرات التى منحه إياه ليبحر خلال الأعمال ويدفع بأحداث التاريخ فى الاتجاه الذى يريده له سبحانه ولا يقعد كلاً عاجز تحت رحمة الأعداء يسومونه الخسف وهو يحتقرون بلاده ويقتلون أهله ويغتصبون نساءه ويبهبون ثرواته وهو مكتف يوضع يديه على خديه كالولايا.

وعودة إلى ما ذكره عصيب الفرنسى عن مخلفات النبى عليه الصلاة والسلام، حقيقة كانت هذه مختلقات أو مدّعاة، يؤكد أن مثل هذه الأشياء لا علاقة لها بالدين، الذى هو فى حقيقته عقيدة وأخلاق وسلوك مستقيم كريم وعقل يسعى ويرى، معرفة فى جهد وشورة وعزيمة حرة تذلل الصعاب وتخلق المستحيل وعلى هذا فإنه لا أحد مأخذ الحد ما يقول حسبنا الله (أو الواحد الأحرى) بهم قد تحسبوا استطاعت التركية به من فحص ما عنده من أشياء فقد صدق أو كذب بها فحص النبى عليه السلام ذلك أن الأمر لا يستحق كل هذا التصحيح، لأنه حتى لو ثبت أن هذه الأشياء لا تخص النبى فلن تؤثر فى إيمان مؤمن بشورى تغير أو تضير، أما الأحاديث التى يرجح أنها قد اخترعت للاستعانة بها على بسط النفوذ والسيطرة على الجماهير، فمن الواضح أنه لا يختلف شيء عن طبيعة تلك الأحاديث، إذ هى تدعو إلى الإيمان بالله وبوحدته وتقرن بكل هذا توبة وعقاب على ما يخترعه المفترون أو يهملون أداءه من أعمال، مثلما تدعو لمكارم الأخلاق والتمسك بالعفة والشرف والرفق فى كل الأمور والحث على الصفح والتسامح والتعاون مع الآخرين والدعوة فى وجوههم والمحافظة على صلة الأرحام والاحتفاظ دائما بباب الأمل مفتوحا وشحذ العمل وإدانة مبدأ السلب فى الحياة، وفى تسهيل شؤون الزواج والستر على ضعف الإنسان ما أمكن إلا بما أدى إلى ضياع الحقوق، كما تحض على الشورى والعلم والتفكير

و لاجتهاد في سبيل بلوغ الحق حتى لو كان مُرًّا وحتى لو أخطأ المجتهد بصريح ما دام لم يدخر في اجتهاده وسعًا أو إخلاصًا. ومن ناحية أخرى نراه يحذر من التملق والتفريط في الكرامة والانسياق وراء الخنوع دون تفكير والسكوت على الباطل والرضا بالدنية. ويأبى على المسلم أن يستنيب عقله حاكم ما كان في مستطاعه أن يقوده ويغير فكره. أو أن يعرض في استقلال وطنه. بل توجب عليه أن يهب بالدفاع عن عرضه ورزقه ودمه. أن يختار حياة المعتدين بل حتميه عاجل في الدنيا قبل أن يذوقوا حتميه الآخرة لأنني في نهاية المطاف ... وبالتأسيسة على حق العلماء المؤهلين أن يتدبروا في الأحاديث وبمحصوله بغية استرداده من الانسياق والتعمق في فهمه. وليس مطلوبًا منهم أن يجزموا عبيه ظنًا وعُنْيًا وتكهنًا دون بحث أو تدقيق. فأي شيء في هذا يمكن أن يُوصف بأنه بما اختُرع للتصحيح على أذقان الجماهير؟

Concernant les reliques de Mahomet, comme les hadiths, elles ont ete inventees pour se donner du pouvoir et du prestige, et en imposer aux foules. Les marchands vendent ce qu'on leur demande, et quoi de plus rentable que de fourmir des objets ayant appartenu à un soi-disant prophete ? On peut emettre l'hypothese que les " objets ayant appartenu a Mahomet, sa dent et des cheveux " ne datent pas du septieme siecle, quand le calife Omar inventa le personnage de Mahomet, mais probablement du huitieme ou neuvieme siècle, quand sa legende fut fabriquee à partir de nombreux textes de

provenances diverses. Mais on peut parier que la Turquie, surtout avec la regression islamiste actuelle, refuserait de faire expertiser, par un college international d'archéologues specialisés, avec diffusion 24 24 par webcam sur internet, ces reliques, sous prétexte qu'elles sont " sacrées ", comme le tombeau du " prophète " et le tombeau d'Ali

واخيرا لا بد من كلمة توضيحية وترحل ، كما هو ظاهر من كلامه .
ثائر على الأديان كلها . بلا أسى وكرت ردى على ما يخص الإسلام فى ذلك
الكلام وقبل أن أترك نفسه (أسف. قبل أن أترك لوحة أصابع الحاسوب)
احب ان اقول كلمة فيما ذهب اليه من أن الأديان إنما تقوم على الصراع.
الصراع بين الإنسان والإنسان ، والصراع بين الرجل والمرأة ، والصراع بين
البشر والحيوان ، والصراع بين الأب والابن ، والصراع بين شعب من
الشعوب وسائر شعوب الأخرى

" Le mécanisme psychologique du prophétisme est le conflit: Dieu contre l'humanité, l'homme contre la femme, les humains contre les animaux, le père contre son fils, et un peuple contre tous les autres peuples ".

وسيصح سوف أكرر ردى هنا نصا على ما فى الإسلام من قبح ومدى
تناقض ما قاله على حد مستفيض والله هو الخالق البارئ الرحيم الكريم
الودود المعز المذل الذى يجرى على الخليقة بعشر امثالها إلى مائة ضعف
وسبعمائة ، على حين لا يجرى على سيئة ، إن جازى ، إلا بمثلها ، وكثير ما
يغفرها بل يعفو عن صاحبها حبيبه ، ونبيه فى عقيدتنا صرح بينه وبين عباده

على أي نحو. ومن الواضح أن النص قد خلط هنا بين توحيد المسلمين
وثنية الإغريق. وقد كان للملائكة موقف رافض من خلق الإنسان. إلا أن
الله قد بيّن لهم أن استطاعة آدم أن يتعلم الحديد دائم فتزداد معرفته
باستمرار، بخلافهم هم، إذ لا يمكنهم تعلم أي شيء آخر غير ما خلقوا له
منذ البداية. فهل في شيء من هذا ما يمكن اتخاذه ذريعة للزعم بأن هناك
صراعاً بين الله والإنسان في الإسلام؟ أما بالنسبة للرجل والمرأة فقد خلق
كما يقول القرآن، من نفس واحدة، ونساء شقائق الرجال حسبما جاء في
كلام النبي محمد عليه السلام. والله سبحانه قد خلق الرجال والنساء من
نفس واحدة ليسكنوا إليها وجعل بينهم وبينها مودة ورحمة طبقاً لما جاء في
الآية الحادية والعشرين من سورة الروم. وتصل بين العلاقة التي يسعى أن
تسود في الإسلام بين الأب والابن والأب مأمور أن يكون عطوفاً وشفوقاً
على ابنه وأن يحسن تربيته وتعليمه. والابن مأمور باحترام والده والقيام
بجانبه إذا كان مُعْوِزاً وأن يخصص له جانباً من ثروته وأن يخلط به
جميل وأن يدعو له بالمغفرة. أما جيوت فيرفق بها في الإسلام وحب
ديني. وقد دخلت مرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت. فلم تطعمها ولم
تسقها تحبث عن زرقها بنفسها في أرض الله الواسعة. ودخلت موسى
الجنة لأنه عطفت على كلب ولهث حتى مات من العطش وسقته من نفس
الدلو كان يحمله. وتبقى العلاقة بين الشعوب كما يريدها الإسلام. ويكفي
في تصويرها أن نسوق الآية ١٣ من سورة الحجرات التي يقول فيها مولانا
سبحانه وتعالى: «يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم». إن ما في القرآن
من شيء، وما في الكتاب المقدس عن هذه الموضوعات شيء آخر، وكان يسعى
على الكاتب ألا يخلط بين هذا وذاك ولا يتوهم أن القرآن يمكن أن يقول

شيء بشيء ما كنتم مارف سفر "تكوين" مثلا عن شجرة الحياة التي نهى الله سبحانه آدم وحوا عن الأكل منها حتى لا يصيرا عارفين بالخير والشر كمعرفة الله هما، لكن حيته استطاعت أن تغوى أبوينا بعصيان نهي الله، فأكلا من الشجرة مثبتين بذلك حقده سبحانه عليهما وحشيته من أن يزعزع ألوهيته "فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل". "وقال الله (أي يهوه) للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بوجه تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك" "وقال يهوه هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارف خير وشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من الشجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد" فأخرجه يهوه الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها" (الإصحاح ٣ كاملا). أو هذا الكلام الذي يبين عن خشية الله وخوفه من بني آدم حين رأهم قد بنوا مدينة وبرجا فقال "هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتدأوهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه" هلم نهبط ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض" (١٠/ ١- ٩).

الفهـــرس

الفهـــرس

بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل ٩
أيهما أعظم: محمد أم المسيح ؟..... ٥٣
١- السـؤال المثير ٥٥
٢- ولادة محمد والمسيح ٦٠
٣- الوعود الإلهية عن محمد والمسيح ٦٥
٤- براءة محمد والمسيح ٦٩
٥- الوحي لمحمد والمسيح ٩٢
٦- آيات محمد وآيات المسيح ١٠٦
٧- موت محمد وموت المسيح ١٢١
٨- محمد والمسيح بعد موتهما ١٣٠
٩- سلام محمد وسلام المسيح ١٣٣
١٠- آية الله ١٣٩
١١- رحمة الله ١٤٥
١٢ - من هو الأعظم؟ ١٦٤
الخاتمـة ٢١٩
رسالة تافهة يطنطن بها المبشّرون! ٢٢٣
حدوتة الأنبا جُرْجِى: هكذا يحارب المدلّسون الإسلام! ٤٨٥
القرآن وأميّة بن أبى الصلت: أيهما أخذ من الآخر؟ ٥٩١
هل أخطأ القرآن فى اسم والد مريم كما يزعم المتخرّصون؟ ٦١٩
إعجاز قرآني علمي أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد؟ ٦٥٩
حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ٦٩٣
تقاليع مخبولة فى دراسة السيرة النبوية ٧٢٥
الفهـرس ٧٨٣

• • •